

الملك العزيز



الهيئة المصرية
العامة للكتاب

المجلد الأول



أدب العرب

الطاهر بن يحيى



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٦

رئيس مجلس الإدارة
أ. د. سمير سرهان

رئيس التحرير:
جمال الغيطاني

أشرف على هذه الطبعة:
خيرى عبد الجواد

الغلاف للفنان: محمد بغدادى

مقدمة

أخيراً..

هاهى ملحمة الظاهر بيبرس.

أخيراً تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب الملحمة الشعبية، العربية، المصرية الخالصة، فى نصها الأتم بعد أن أختفى لعقود طويلة من المكتبات وأصبح العثور عليه صعباً، بل مستحيلاً، المطبوع والمخطوط صارا إلى ندرة أكيدة، لا أبالغ إذا قلت أننا نستردها من العدم، فمن كان سيقدم على إعادة هذا النص الضخم مرة أخرى مع إرتفاع تكلفة الكتاب، لولا إقدام الهيئة المصرية العامة للكتاب على تلك الخطوة التى اعتبرها حدثاً ثقافياً هاماً.

تعرفت على هذا العمل الروائى. الملحمى، الإبداعى، الجميل الفذ فى سن مبكرة، عندما كانت الطبقات الشعبية من تلك الملاحم متاحة لزوار منطقة مولانا وسيدنا وإمامنا الحسين عليه السلام. والأزهر، أذكر أننى قرأت أجزاء منها وأنا دون الثالثة عشر، وأذكر أننى كنت أحفظ سطوراً منها، وخلال حوارى مع الآخرين تتسرب جمل كاملة من سطورها بتركيبتها العتيقة إلى حديثى، كانت تجسد المناخ القاهرى إجتماعياً وعمرانياً ونفسياً، فالملحمة مصرية خالصة، تدور أحداثها فى مصر، وأبطالها مصريون، البطل الرئيسى وهو الظاهر بيبرس يعتبر الحاكم الوحيد فى تاريخ مصر منذ الفتح العربى

وحتى العصر الحديث الذي تحول في وجدان الشعب إلى بطل شعبي، أسطوري، وهذا أمر نادر الحدوث في تاريخنا، إذ كانت العلاقة بين الشعب وحكامه شديدة التعقيد، ولنتأمل أضرار الممالك العظمى التي أقاموها وشيّدوها ودفنوا داخلها، لنتأمل برودتها وضوائها، وعدم وقوف أى إنسان من أفراد الشعب لزيارتها أو قراءة الفاتحة، بينما تقام الموالد لمجهولين بسطاء، وتوقد من أجلهم الشموع، عرفوا بتقواهم وصلاتهم.

الظاهر بيبرس إستثناء، وإستثناء وحيد، تحول من حاكم إلى بطل تتلى سيرته فى المقاهى التى تخصص بعضها فى السيرة وصار يعرف بها «الظاهرية»، كما كانت مقاهى أخرى متخصصة فى «الهلالية»، أو «ألف ليلة وليلة»، ودسيف بن ذى يزن، الظاهر بيبرس فى التاريخ ولد فى كبحاق عام ٦٢٠هـ (١٢٢٣م)، جلبه تاجر الرقيق حيث بيع فى دمشق، وأحضره السلطان الصالح أيوب إلى مصر. وسرعان ما بدأ نبوغه وظهوره، وترقى فى درجات الوظائف، وأبلى بلاءً حسناً فى عين جالوت، وشارك فى أغتيال قطز أثناء خروجه إلى رحلة صيد. إنتخبه قواد الجيش سلطاناً على البلاد، سرعان ما بدأ سلسلة معارك ضد الصليبيين، إنتزع منهم أنطاكية بعد أن هاجمها سبع مرات، وكسر شوكة أشرس فرسانهم من الداوية، وبهزم المغول هزيمة نهائية حاسمة فى سهل صوفى من صحراء البلسنتين سنة ٦٧٥هـ، ويقزو سيس لتأديب الأرمن، كان الظاهر بإختصار رجل جهاد، وفارس شجاع، ورجل دولة من الطراز الرفيع، ومن شاء الإستزادة من سيرته يمكنه الرجوع إلى السيرة التاريخية المعروفة بتاريخ الملك الظاهر، تأليف عز الدين بن على بن إبراهيم بن شداد، ويمكن للدارسين أن يقوموا بالمقارنة بين السيرة التاريخية، والسيرة الشعبية الموجودة بين أيدينا الآن، وصورة الظاهر فى كل منهما، ويمكن للدارسين أن يتوقفوا عند اللغة العامية المستخدمة فى الزمن المملوكى، أما الأدباء والمبدعين فليتأملوا معنا طرائق السرد والحكى، ولنتأمل جمعياً دقة التصوير وجرأته.

خلال السنوات العشرين الأخيرة لاحظت إختفاء سيرة الظاهر، وسيرة عنقرة، وسيرة الأميرة ذات الهمة، وسيرة سيف بن ذى يزن، وسائر هذه النصوص القصصية الكبرى، لقد أغلقت معظم المكتبات المجاورة لمسجد مولانا الحسين أبوابها، وما تبقى منها فى شارع الصنابيقية توقف تماماً عن إعادة طبع هذا التراث الفنى.

منذ سنوات أخبرنى الصديق ببيرنارد مؤسس وصاحب دار سندباد أنه عثر على مخطوط نادر لسيرة الظاهر ببيرس فى دمشق، وأنه سوف يبدأ مشروعاً لترجمته ونشره بالفرنسية، وسوف يكون النص أكبر رواية فى تاريخ الأدب، إذ سيصل عدد الصفحات إلى أكثر من ثلاثين ألف صفحة، وقد لظهورها ربع قرن، وبالفعل بدأ، وظهر من الترجمة الفرنسية سبعة أجزاء قويت بترحيب كبير، ونفذت جميع نسخها، ولكن القدر لم يسهل برنارد، إذ أدت ظروفه الاقتصادية إلى تعثره، إلى توقف دار سندباد وإغلاق أبوابها، وقبل تصفيتها سقط فريسة لمرض عضال، وحجبه الأطباء فى المستشفى، ولم ير نهاية مشروع عبيد الله ويعلم الله وحده مصير المخطوط النادر لسيرة الظاهر الذى حاولت الحصول على صورة حتى منه لكننى فشلت.

كنت أشعر بحسرة وأنا أتأمل الأجزاء السبعة بالفرنسية، وأسأل.. هل من المعقول أن تظهر السيرة كاملة فى لغة أخرى، وتظل بمنأى عن أيدي القراء العرب. إلى أن طرحت فكرة نشرها فى سلسلة أدب الحرب كاملة، وتحمس الدكتور سمير سرحان، وافق على الفور، وهنا قدم الصديق الأديب خيرى عبد الجواد نسخته الخاصة، الكاملة، النادرة، وقبل مشكوراً أن يشرف على تنفيذ مراحل إعادة طبع السيرة، إستقر رأينا على تصوير النص القديم المطبوع الذى يقع فى خمسة مجلدات ضخمة، وبذلك نقدم النص الكامل للسيرة من جديد إلى القارئ العربى، وهكذا ننقذ قطعة عزيزة، غالية، من أدبنا وتراثنا وتاريخنا، وجوهر وجداننا.

جمال الفيضاني

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شبيحة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء الاول

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)

بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

مطبعة المصنف بدار قسم المطابع بمصر

لصاحبها محمد عبد الطيف حجازي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الملك الحق المبين . المحسن البر الامين . السلام الذي سلم عن
العقب والزوجة والبنين . الذي آمن به كل شيء . وجعل الخلق من سطوته
خائفين . القائل تعالى في محكم كتابه المبين ، ذلكم الله ربكم فادعوه مخلصين
له الدين . سبحانه وتعالى واشكروه واتوب اليه واستغفروه من كل ذنب ظاهر
أو كمين . وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين .
شهادة تنجي قائلها في القيامة يوم الدين وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه
وسلم عبده ورسوله وحبيبه وخليفه الصادق الوعد الامين الذي حاهد بسيفه
حتى أقام الدين ونصر المؤمنين واخذل المشركين اللهم فصل وسلم وبارك
على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واصحابه وازواجه وآل بيته الكرام
الطيبين الطاهرين صلواتا وسلاما دائمين متلازمين في كل وقت وحين وسلم
تسليبا كثيرا (أما بعد) فان الله سبحانه وتعالى جعل سير الاولين عبرة
للآخرين وموعظة للجاهلين وتنبيها للغافلين يتعظم بذلك أصحاب العقول
الكاملين . ويعلمون ان الجهاد فرض على المؤمنين وانى قد استخرت الله
المعظم في كتابة هذا الكتاب حيث رأيت محتويا على نصرة الاسلام واخذل
الكفرة الثام ويحث في غيره من السير فما وجدنا أصدق قولاً منه ولا

أقوى برهان ولا أفصح بيان من سيرة الملك الظاهر بيبرس إلى الفتوحات المروعة من الله بالنصر والتأييد من ابتدئها إلى انتهائها وما سيذكر من ناصيتها الغربية وأمورها المطربة المجيبة وألفاظها الحسنة ونظومها المستحسنة وسنذكر فروعها وأصولها في خمسة محاور لتسمع أهل الفجور تأليف السادات الكرام المشهورين بالعلم وعلو المقام نبراس الأفهام الديناري ووافقه على ذلك الدويداري وهما بذلك أعظم داري ثم ناظر الجيش وكاتم السر والصاحب فكل من هؤلاء له بحر فيها وما يخصها من معانيها ومبانيها وما أرخوه وما شاهدوه وما نقلوه عن السادة من أخوانهم الذين يمتدنون من كلام الصدق عليهم وما طابنوه من كرمات الأولياء ومعجزات الأنبياء وسنذكر كل شيء في مكانه بمون الله وسلطانة (قال الراوي) وهو الديناري رحمة الله تعالى أنه كان من قديم الزمان وسلف مصر والأوان بعد أن توفي إلى رحمة الله تعالى المعتصم بالله وتولى الخلافة بعده الواثق بالله ولده ومات إلى رحمة الله وتولى المقتدي بالله وهو شعبان المقتدي بارض بغداد وكان له وزير يقال له الملقمى وكان هذا الملقمى له ولد إبراهيم الملقمى وكان يهوى الحمام وله شجيرة كثيرة في غية وكان لأمير المؤمنين المقتدي بالله ولدين أحدهما يقال له إبراهيم والآخر يقال له أحمد وكان إبراهيم أيضاً يهوى الحمام وينويه وله حبة فيه فلما أن كان يوم من بعض الأيام تلاعبوا الاثنين مع بعضهم بعضاً بالحمام ووقعت بينهم الشروط على أن كل من غلب يأخذ حمام الآخر وتقرر بينهما ذلك ومن الأمر المقدر والفضاء المبرم غلب حمام إبراهيم الملقمى ابن الوزير حمام إبراهيم بن شعبان المقتدي بالله تعالى (فقال) إبراهيم الملقمى هذا الحمام قد صار حقي وأنه من رزقي فقال إبراهيم المقتدي هذا لا يكون وما أنت إلا مجنون ثم تشاجر أحدهما مع الآخر ووقع بينهما الشر فقال إبراهيم المقتدي لا بد أن أسير على أبي وأخبره بذلك ثم تركه الحمام ومضى إلى أبيه وأخبره الخبر وأطلعه على جلية الأثر

فقال شعبان المقتدى بالله هذا الامر يا ولدي لا ينبغي الحكومة فيه فابطل الامر ومعانيه ثم أنه صاح على الغلمان الذين حوله وقال لهم امضوا في ذلك الوقت والحين واذبحوا حمام الاثنين (قال الراوي) فلما سمع الغلمان ذلك تجاروا على حمام الاثنين واذبحوا حمام ابن الوزير جميعه وحمام بن السلطان واذبحوا منه البعض وتركوا البعض لما أن رآوه يبكي واليه من محبته الى الحمام يشكي وقد قصدوا بذلك الرحمة له واعطاه لأمير أبيه (فلما نظر الى ذلك ابن الوزير صعب عليه وكبر لديه وصار الى عند أبيه وقال له يا أبني الملك المقتدي أمر بذبح حمامنا وقد جري من الامر ما هو كذا وكذا ثم أخبره بالقصة من أولها الى آخرها فاطلمه علي باطنها وظاهرها فلما سمع الملقى ذلك من كلام ولده اغتاض غيظا شديدا ما عليه من مزبد وقال في نفسه كيف ان الملك يهين ولدي ويكرم ولده ولكن لا بد ان أستطع له شيئا يذهب به ملكه ويفني به غزه وسوف أحرض عليه الملوك وكل غني ومملوك ثم أن الوزير صار بدبر امره في ذلك وانه يريد أن يستقى الملك كأس المهالك بإسادة فهذا ما جري هاهنا واما ما كان من أمر أمير المؤمنين شعبان المقتدي فانه بات ليته ولم يكن عنده خبر بمبادير الوزير . فلما ان كان عند الصباح نزل الى الديوان وجلس على كرسي مملكته واحدقت به ارباب دولته ورؤوس عشيرته والوزير محمد الملقى الى جانبه يتمنى له الهلاك ويريد أن يوقعه من سوء الارتباك ثم ان الخليفة شعبان المقتدي نظر الى الوزير فأخفى عليه حاله وما هو عليه من أحواله ونظر منه عين الغدر وهوناوى له على الشر فالتفت اليه وقال له يا أبراهيم ما لي أراك معبس الوجه وأظن انه قد صعب عليك من حيث أمرت بذبح الحمام فقال يا أمير المؤمنين أمرك مطاع وجميع ماشرطته يستطاع فالأمر أمرك ولا تقدر تخالف مقالك فانت خليفة الله في الارض ذات الطول والعرض ثم شكره واثنى عليه ودعا له فأمر له الخليفة شعبان المقتدي بخلمة

تسره واعطاه اياها وطيب خاطره وضاحكه وباسطه وجمل يتحدث معه كل هذا والوزير محمد الملقمى لايزداد الا غيظا ويطلب للخليفة الشرف فلما نظر الخليفة الى ذلك خاف على روحه وقال فى نفسه لاشك أن هذا غدار وربما فعل معي فعل الاشرار ويخاطب أحدا من الملوك ويحرضهم علىّ وأنا لا آمن منه ثم انه صبر باقى ليلته الى أن تنصف الليل وجمع ارباب الدولة وقال لهم امسكوا ابواب بغداد وفتشوا كل من خرج منها بجواب والداخل فلا لكم عليه سبيل فقالوا سمعنا وطاعة هذا وقد نزلت المفتشين بأمر أمير المؤمنين المقتدي

(قال الراوي) فهذا ما كان من أمر السلطان واما ما كان من أمر الوزير محمد الملقمى فانه سار يدبر الحيل ويتقن العمل الى أن أعياه الامر ولم يقدر أن يرسل مكاتبه الى أحد من الملوك لاجل الحراس الذين على الابواب فلما ان كان في بعض الليالى دعا بمملوك عنده يقال له جابر وصاح عليه وقال له باجابر انا لي عندك حاجة وما أريد قضاها الا منك فقال له ياسيدي وما تكون اخبرني بها وانا أقضيها ولو شربت من اجلها كأس النون قال له اني أريد أن ارسل معك رسالة الى الملك منكم ولك بعد ذلك عندي خمس مائة دينار وخلمة سنية وأنت فيما بعد ذلك حر لوجه الله تعالى فإذا أنت قائل اخبرني ان كان قلبك لي مائل فقال له جابر ياسيدي روى لك القدا من كل سوء وردا ولكنني لم أقدر أخرج من مدينة بغداد بالرسالة لانك تعلم أن الحرس شديد والامر عتيد فقال له الوزير الامر أقرب من ذلك ثم انه أخذ موسا وحلق به رأس المملوك وأخذ الابر وكتب بها على رأسه جواب سنذكره فى مكانه بمون الله وسلطانه وقال له سيروا قطع البرازى وعد الى بالجواب واعلمني على الخطاب فقال له السلام سمعنا وطاعة ثم انه صبر في بعدد عشرة أيام الى أن انكست رأسه بالشعر وخفيت الكتابة

فقال له الوزير اذهب الآن الى البلاد المعجم فقال له نعم ثم انه خرج من بغداد
وفتشوه الحراس الذين على باب المدينة فاجدوا معه حاجة فقالوا له امض
الى سبيلك فمئذ ذلك سار الغلام يقطع في البراري والاكام قال فهذا كله يجري
وأمر المؤمنين لم يكن عنده خبر بما فعله الوزير من المكائد وما دبره من النكايد
(قال الراوي) وأما الغلام فانه سار يجد السير وسرعة الجيد والتشهير الى
أن وصل الى بلاد المعجم ودخل على الملك منكم وسلم عليه وقبل الارض بين
يديه فرحب به الملك وقال له من أنت ومن أين اقبلت ومن الذي تريد فقال
له يامولاي انا من مدينة بغداد دار السلام من عند الوزير محمد الملقى وزير
خليفة المسلمين شعبان المقتدي فقال له ما معك من الاخبار فقال له معي سرا
أريد أن اطلعك عليه بيني وبينك (فلما) سمع الملك منكم ذلك الكلام نهض
قاما على الاقدام فأخذه ودخل به الى مكان في جانب القصر وقال له ارني
ما معك قال معي رسالة وهي مكتوبة على رأسي فمئذ ذلك حلق رأسه فظهرت
الكتابة وقرأها يجد فيها خطابا من الوزير محمد الملقى الى بين ايادي الملك
منكم الذي نللك به أن أمير المؤمنين خامر علينا وتكبر وظلم وتجبى وأنت
احق منه بالسلطنة لانها من قديم الزمان لجدك الملك كسرى انوا شروان خال
وصول الملوك اليك نحضر ركبة كبيرة وتنزل بها على بغداد وانا املكك
الارض والبلاد واكون انا مقما من داخلها وأنت من خارجها والقوم بيننا
متوسطين وتقنيهم اجمعين ونملك الارض والبلاد وتطيعنا كل العباد وتعمل
على قتل حامل الرسالة من غير اطالة ليكون السر بيننا ولا أحدا يطلع عليه
غيرنا وهذا ما أخبرتك به واطلعتك عليه والسلام

(قال الراوي) فلما سمع الملك منكم ذلك الامر فرح فرحا شديدا
ما عليه من مزيد وحط يده على الحسام وضرب به ذلك الغلام أطاح رأسه
عن الهام فأت شهيد في طاعة الملك العلام لانه ما يعلم باطن هذه الامور

الاحكام قال وكان هذا اللعين منكم فارس جبار . وبطل مغوار . لا يبعده
على جبار وهو فارس شديد . وبطل صنديد . وشيطان مريد . وكان يعبد
النار . دون الملك الجبار . وعنده عساكر بعداد قطر البحار . وكلهم منكبين
على عبادة النار . ليلا كان أو نهار . وقد كان له ولدين ملعونين أحدهما يقال
له هلاون . والآخر يقال له كلب يزيد فأمر باحضارهما بين يديه فلما
حضرأ قال لهما اعلما انه قد جري من ما هو الامر كذا وكذا ثم انه
أخبرهم بالقصة من أولها الى آخرها وكشف لهم عن باطنها وظاهرها
فلما سمعوا أولاده منه ذلك الكلام سجدوا بين يديه شكرا للنار . ذات
الاضطرام وقالوا له لا بد أن نركب على بلاد المسلمين ونملكها بهمتنا العالية وما
نترك منهم بقية ثم تقرر بينهما الامر على أن أحد أولاده يسير الى بغداد
ويعملك البلاد ويقتل العباد وبعد ذلك أمر بدفن الملوك الذي قتله فدفنوه
ووالوه التراب ثم أن لللك منكم أمر بتجهيز المساكر فركبت المساكر وكان
عندهم ستين ألف فارس من كل بطل مداعس وقال لولده هلاون خذ هؤلاء
المساكر والاجناد وارحل بهم الى أرض بغداد وأنزل عليها وأنا لاحق بك
وعلى ما بين يديك أعاونك قال فسار الملعون هلاون في ستين ألف من الفرسان
وكلهم يعبدون النيران . دون الملك الديان راكبين خيول مثل الفزلاز وساروا
يقطعون البراري والوهاد . طالين أرض بغداد . ياساد واما الملك منكم فانه
بعد مسير ولده بثلاثة أيام جهز ركة ثانية وهي ثمانين ألف فارس ليوث
عوايس مامنهم من يهز العرش بكلمة التوحيد بل الجميع يعبدون النار . دون
الملك الجبار . ونحن نقول . لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لولده كلب يزيد سير يا ولدي على أثر أخيك عن يقين وعاونه على
قتال المسلمين فأجابه ولده بالسمع والطاعة وسار يجدي الميسر من وقته والساعة

ياساد وبعد مسيره جهاز ركة أخرى بشنار كامل عدتها مائة ألف وسار
خلفهم وقد تبع أثرهم

قال الراوى فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من أمير المؤمنين شعبان
المقتدر بالله فانه ماعنده خبر بما دبر الوزير من الآثام وأنه يريد ان يسقيه
كأس الحمام بينما هو جالس في يوم من بعض الايام واذا بفبار قد ثار وعلى
وسد الاقطار فأرسل الخليفة من يكشف له الاخبار فسارت جماعته وعادوا
اليه وقالوا يا أمير المؤمنين قد أقبلت جيوش الاحجام وهم سستون ألف عنان
وفي أولهم هلاون ابن الملك منكم الملعون وهم طالبون أرض بغداد ويريدون
لنا العناد معولين على الحرب والجدلاد (قال الراوى) فلما سمع الخليفة ذلك
قال انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولكن
لاي شيء أتت هذه الفرسان وما الذي يريد من الامر والشأن ياوزير الزمان
فقال الوزير محمد الملقى لا أدري شيئا من ذلك يا أمير المؤمنين وخليفة رب
العالمين فمنذ ذلك جمع الخليفة دولته ورؤوس عشيرته واطلمهم على ذلك الامر
وشاروهم فيما يعمل وما الذي يصنع فقال يا أمير المؤمنين اعلم ان الآن لم
يكن عندنا عساكر كثيرة وأن الرأي الصواب مالنا غير الحصار على الاصوار
الى ان يأتينا الفرج من الله العزيز الغفار فقال الخليفة هذا هو الصواب والامر
الذي لايماب ثم أنه امر بفتح ابواب بغداد فأغلقوها وصمدت الرجال على
الاصوار وأخذوا يصلحون عددهم ويتجملون بأسلحتهم هذا وقد أقبل
الملعون هلاون وحط على بغداد ونزلت حولها عباد النار واحتاطوا بها من
سائر الاقطار كما يجتاط النيل بالبلاد أو البياض بالسواد فصاحت الابراور مومهم
بالاحجار والصخور الكبار ودام انحصار ذلك النهار حتى أقبل الليل التفت
الخليفة الي وزيره الملقى فقال يا وزير والله اني متمجب من قدوم هؤلاء
الملاعين الينا ونجرتهم على بلادنا وانني أريد منك أن تنزل في غداة الي هؤلاء

الملاعين وتنظر مام طالين وماهم عليه معمولين فقال له الوزير يا ملك الاسلام ومولانا الانام ان هذا احتقار بقدر الدولة العباسية والرايا المحمدية والراي عندي ان تنزل أنت في عساكرك ومن عندك من الرجال وتكون بالسلاح وآلة الحرب والكفاح وانا اكون من خلفك اعين الفساكر الذي معك فان انزلت وفتحت ابواب البلاد فاخرج الي القوم اللثام ولا تبالي فان الله ناصر الاسلام وبهذا يكون اهيب لنا وارهب لاعدائنا اذاراؤك وقد خرجت اليهم وربما وقعت هيبة الاسلام في قلوبهم فينكسرون عن آخرهم فلما سمع الخليفة ذلك الخطاب ظن انه صواب وما يعلم ان الوزير اراد هلاكه ثم انهم باتوا تلك الليلة ولما ان كان من الفسدهض الخليفة ونزل برجاله وأهل دولته وفتحت ابواب بغداد وخرج الخليفة طالب اهل العناد ومعه العساكر والاجناد

قال الراوي فهذا ما كان من الخليفة وأما ما كان من الوزير العلقمي فانه بعد أن خرج الخليفة من بغداد أمر الوزير بفتح أبواب المدينة في ظهره خوفا من الوزير لانهم يعرفوه أنه كثير الشر فلما أن ماين الخليفة ذلك علم أن الخليفة قد تمت والردية تمت وعلم أن كل ما قد صار من الامور بأمر الوزير فقال أسلمت أمري الي اللطيف الخبير ثم ان الامام صاح بعلى رأسه يا عصبية الاسلام احملوا الآن على القوم اللثام وابذلوا فيهم الحسام فن حاش منكم حاش سعيد ومن انتقل الى الله بالوفاة فهو شهيد فاتركوا الدنيا خلتكم واجعلوها من وراء ظهوركم واقبلوا على الآخرة. بوجوهكم تفوزوا بالشهادة وتسكنوا حنة ربكم وأنا أول من يجاهد أمامكم فقد قال عز من قائل (وجاهدوا في الله) الآية ثم انه بعد ذلك صاح الله أكبر فتح ونصر وخذل من كفر بدين محمد وحمل على الكفار وبعه اثنا عشر الف من الابرار وعمل البتار وطلع الفبار وقدحت حوافر الخيل الشرار وقصرت الاعمار وكشفت الاستار وراحت الاسرار وصارت الدماء مثل الانهار ولم يزل السف يعمل والدم يبذل والرجال تقتل

ونار الحرب تشعل الى أن ولي النهار واستحال وأقبل الليل بالانسداد وقد كانت سواعد أمير المؤمنين ومن معه من الرجال المجاهدين وكأن عدتهم كما ذكرنا اثني عشر الف فارس لكنهم أبطال أشاوس والقوم اللثام في ستين الف من الاعداء فاحتاطوا جميعا بالاسلام وكان قد أسر في ذلك اليوم من عساكر الاسلام أربعة آلاف فارس وجرح أكثرهم ثم أضرموا النيران ونحارس الفريقان الى ان أصبح الله بالصباح واضاء الكرم بنوره ولاح فركب أمير المؤمنين ومن معه من العساكر المسلمين وركبت ايضا الكافرين واختلطت الطائفتان وحان الحين وزعق غراب البين وعمل القتال واختلقت الاقوال وكثر الزوال وعملت النصال وكثر على المسلمين العدد وزاد المدد ولم تزل نار الحرب دائمة والقيامة قائمة الى وقت العصر وقد سطت الكافرون على المؤمنين واخذوهم يسري عن بكرة أبيهم وفي الجملة اسير المؤمنين شعبان المقتدي واوثقوا الجميع كتافا وقروا منهم السواعد والاطراف هنالك دقت الشناير وضربت الكوسات والمزامير وصاحت اللثام الكفار يا للنار ذات الشرار فلما سمع الوزير الملقب بذلك النداء علم ان الاسلام لسروا والكفار نصروا فأمر بفتح ابواب المدينة وخرج في جماعة من رجاله وتلقا الملك هلاون وهناه بالنصر على الاسلام وقال له ما انت الا بطل همام وأسد ضرغام فشكره الملك هلاون واثني عليه ودخل هلاون في بعض رجاله الى بغداد وقد ترك أمير المؤمنين في القيود والاصفاد هو ومن معه من الاجناد واكل جماعة من قومه هذا وقد دخل الوزير وفي صحبته الملك هلاون الى أن صعدوا الى القلعة واجلس الوزير هلاون على كرسي بغداد وقال له أنت احق بهذا من شعبان المقتدر (فلما) سمع هلاون ذلك التفت اليه وقال له يا علقمي أما أنت مسلم قال نعم انا مسلم قال له الخليفة ما هو مسلم قال نعم هو مسلم فقال له وما السبب الذي حملك على ما فعلت وكيف انك دبرت على هلاكه وعزله من مكانه فعند

ذلك اعاد عليه ماجرى من أول الامر الى آخره واطلمه على ظاهره وباطنه
قال الراوي وهو الديناري رحمه الله فلما سمع هلاون ذلك قال له يا ويلك
إذا كنت أنت فعلت في من هو من دينك لاجل حماة فتهلكنا نحن الآخرين
من أجل ذبابة وأنت لم يكن فيك خيرا في دينك وأهل ملتك وكيف يكون
لك خير فينا ولا بد أن نجازيك على فعالك وماعملت من اعمالك ثم أن هلاون
صاح على رجاله وقال لهم خذوه وعلى باب المدينة اصلبوه ففى الحال قبضوا
هو وولده وصلبوهما على باب المدينة بغداد واستقوها أشد المذاب (ياساده)
وبعد ذلك ادعى الملك هلاون بالاساري فحضروا اليه وصاروا بين يديه وكان
من جلهم أمير المؤمنين شعبان المقتدر فلما وصل الخليفة الى المدينة نظر واذا
به رأي الوزير وهو مصلوب هو وولده فتمعجب من ذلك وقال الحمد لله الذي
ايدنى بنصره المبين وارقمك في بغيك وجازاك على فعلك ولقد صدق من
قال هذه الايات

متي أرى عدوى ميتاً وفي الحرير مكفنا
وارفص برجلي قبره وأقل له ها من أنا
من عاش بعد عدوه يوماً فقد بلغ النفي

قال ثم سار الخليفة هو ومن معه من الرجال وهو يحجل في السلاسل
والاغلال حتى انه وقف بين يدي الثعين هلاون فلما رآه ارتعدت فرائضه
وخاف منه وامر في الحال بسجنه ولم يكلمه كلمة واحدة وذلك هيبة من الله
تعالى فعند ذلك اخذوه بعض الرجال وادخلوه الى السجن هو ومن معه من
الرجال وفي ارجلهم القيود الثقال وفي اعناقهم السلاسل والاغلال فلما رأي
أمير المؤمنين نفسه على ذلك الحال قال كلمة لا يحجل قائلها (لاحول ولا قو
الا بالله العلى العظيم) ثم انه بكأ وأن واشتكى وانشد يقول
اسلمت امرى لرب السماء قد بر على تيسير كل عسير

رب المشارق والمغارب كلها رازق الانام وصنعه التدبير
به استعنت حقاً على العدا وجعلته خبير ونعم بصير
لهي توسلت اليك باجدا تكن لي نصيراً يا اعز نصير
واطلق صراحي مما حل بي ونجني من حرقتي وزفيري
وجدلي بالخلاص على رغم العدا فقد كان منك الوعد والتقدير
ثم الصلاة على الحبيب محمداً نبي الهدى والسراج المنير

قال الراوي فهذا ما كان من الخليفة وأما ما كان مني العيين هلاون فانه جلس
على كرسي بغداد وحوله عساكره والاجناد وبات تلك الليلة في اهناء ما يكون
من البيت ولما ان كان من الغد جلس على الكرسي وحوله أرباب الدولة وصار
يحكم في العساكر قدر ساعة زمانية فينبأ هو كذلك اذا دخل عليه من باب
القصر خمسة وسبعون من الاكراد وعليهم آثار العبادة وهم متقلدين بسيف
من خشب وهم ينادون لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأهم اجمعين العيين
هلاون قال لمن حوله ما هؤلاء فقالوا له (اعلم) يا ملك الزمان حفظتك النيران
ان هؤلاء من فقراء المسلمين وأظنهم انهم ما أتوا الي هاهنا الا يهنوك بسلامتك
ويطلبوا احسانك وهم يذكرون الله تعالى ويذرون في الارض ويأكلون من
رزق الله ويطوفون البلاد ريجبونهم كل العباد (قال فلما) سمع الملك ذلك قال
يا قوم اني أريد أن أنظر الى ذكرهم وكيف انهم يذكرون ربهم فعنسد ذلك
أمروها بالذكر فقام المقدم عليهم ونصب حلقة من الذكر في داخل القصر فلما
رأى العيين هلاون ذلك قال وحق النار ما هذا الا جنون وأي جنون ثم انه
صاح على من حوله يا ويلكم أضربوهم وعن هذا السكان أخرجهوهم فعند ذلك
صاحت الاكراد بعلو أصواتهم ونادوا الله اكبر الله اكبر ففتح الله ونصر وأخذل
من كفر فأجابهم من خارج القصر سبعون ألفاً من الاكراد وهم ينادون
يا كريم يا جواد انصرنا على أهل العناد والشرك والفساد وكان المقدم على تلك

الأكراد رجل يقال له يوسف صلاح الدين فقام على حيله وما قصد إلا السجن الذي فيه أمير المؤمنين وضرب باب السجن بلده فانكسر الباب بأذن مسبب الأسباب ثم انه أشار على من كان داخله من المؤمنين الأسرى فتساقط الحديد من أعناقهم وخلصوا مما هم فيه من الاتقال فخرجوا وبأيديهم السيوف الصقال وصاحوا على أهل الكفر والضلال وأسقوهم شراب الوبال يا سادة ثم أن الأكراد حروا سيوفهم على خشب قابلوا الكفار بالويل والمطب وما كانت إلا ساعة من ساعات النهار حتى شرب الكفار كأس البوار وما نجا منهم لا كبار ولا صغار إلا أنهم فنوا بقوة الجبار وقد نصر الله المؤمنين الأبرار على عبادة النار وما هرب إلا اللعين هلاون وصحبته اثنين لا يزيدون وقد هج على وجهه في الفلاة وهو لا يصدق بالنجاة من شرب كأس الوفاة

(قال الراوي) وكان السبب في مجيء هؤلاء الأكراد الأيووية سبب عجيب وحال غريب وسنذكره إن شاء الله على الترتيب بعد الصلاة والسلام على النبي الحبيب وذلك انه كان بين وادي بكر وبين بغداد قبيلة من جلة قبائل العربان وكانت تنسب بقبيلة الأكراد وكانوا هؤلاء من نسل الأشراف من قريش يقال لهم الأكراد الأيووية ينسب إلى حبيب النجار رضي الله عنه وإن هذا حبيب كان له سر عجيب وكان السبب أنهم سموه حبيب النجار لأنه كان ينجر الخشب بالخشب فسبحان من أعطى ووهب (يا سادة) وكان له كرامات لم تخفى على سائر المخلوقات قال ولما يريد الله تعالى من انتفاذ حكمه ومجري مشيئته أن قد أخذ تلك الأكراد وجاءها سيل أعاق زرعها وزل الثلج فقتل مزارعها وأخربت الأرض وقد أعياهم الأمر في ذلك وأيقنوا الجميع بشرب كأس المهالك فذهبوا إلى كبيرهم وكان يقال له يوسف صلاح الدين الكردي وشكوا إليه حالهم والذي أصابهم وقالوا له يا سيدنا قد خربت الأرض وقل متاعنا ولم يبق لنا فيها معاش فانظر لنا أرضا خصبة غير هذه الأرض فقال لهم يوسف صلاح

الدين لما سمع ذلك الخطاب لهذا هو الصواب والامر لا يعاب ثم انه قام من
 ساعته وأحضر رؤوس أهل عشيرته وقد جمع من الاكراد سبعين الفا وقال لهم
 سيروا بنا الى عند أمير المؤمنين لنشكي له ما قد حل بنا من العذاب المجهن
 قلعل أن يعطينا أرضاً خصبة تقيم بها فقالوا له شأنك وما تريد ونحن عن أمرك
 لا نحميد (يا سادة) ثم انهم تهيئوا للعسير وسرعة الجدد والتشمير وصاروا
 يقطعون القفار بلا معرفة الى أن وصلوا الى الطريق وبيناهم سائرون وقد
 لاح لهم شخص في البرية يوحد رب البرية وله وجه كأنه القمر اذا اكتمل
 في ليلة أربعة عشر وهو يسبح الله تعالى ويذكر سيد البشر نغر ربيعة ومضر
 وما زال في ذكره الى أن تقرنا اليه وتقدم يوسف صلاح الدين وقبل يده
 وقد فعلوا قومه كفعله فقال لهم الشيخ الى أين تريدون يا كرام هذاكم رب
 العباد ودلكم الى طرق الرشاد فقالوا له نريد مدينة بغداد لان أرضنا أجديت
 علينا نريد أن نسير الى أمير المؤمنين يعطينا أرضاً غيرها فقال لهم الشيخ نعم
 ما رأيتم وما به أشرتم ولكن اتبعوني حتى قول لكم ما تعملون وما أتم
 تقدمون فقالوا له سمعنا وطاعة ثم سار الاستاذ وسار الجميع من خلفه الى ان
 اقبل الى مغارة وقال لهم اقلعوا ما عليكم من الملابس والبسوا هذه الازلاق
 وتحملوا بالسيوف الخشب والاتراس الجيز فوعزة الله تعالى انهم يقومون مقام
 السيوف واسقوا الاعداء كاش الخوف واني قد سألت الله سبحانه وبمالي ان
 يلبسكم الولاية انتم وذرياتكم ويعطيكم الهداية والرعاية وتدركم العناية من رب
 البرية فقبلوا الجميع يده وقالوا رضينا بما اشرت به ثم انهم خلصوا ما عليهم
 من الملابس ولبسوا الازلاق وتقلدوا بالسيوف الخشب والاتراس الجيز وقد
 البسهم الله الولاية وشرفهم بالهداية فقال لهم الاستاذ الان صرتم من عباد
 الله الصالحين فيجب عليكم نصره اخوانكم المؤمنين فاذهبوا الآن الى بغداد
 دار السلام وخلصوا الامام ومن معه من الاسلام فانه في القيود والضر وقد

عمل عليه الوزير ودبر عليه التدبير ورد الله كيده في نحره وهو الطليف
 الخبير انه على كل شيء قدير فاذا وصلتم الى هناك فجدوا سلاحكم ونادوا
 بالتكبير والصلاة على البشير النذير والسراج المنير فتمعجب من صنع الطليف
 الخبير ثم أن الاستاذ تودع منهم وانصرف عنهم بعد ماداعلمهم وكان هذا الاستاذ
 حبيب النجار رحمه الله تعالى فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر الأكراد
 فانهم ساروا وجدوا المسير وهم يذكرون الله من غير تقصير الى أن دخلوا
 مدينة بغداد ورأى أنهم كل العباد وقد طلوعوا الديوان وجري ما جري من
 ذلك الامر والشأن وقتلوا الكفار عن آخرها كما وصفنا

(قال المؤلف) وعندنا الى شياقة الحديث والخبر بعد الصلاة والسلام على
 خير ربيعة وقريش الذي انشق له القمر فان الخليفة شعبان المقتدر بالله لما
 قتلت الكفار أقبل على الأكراد بنفسه وصار يقبل ايديهم ويشكرهم ويثني
 عليهم ثم انه جلس على تخت بغداد وقد علامراتب الأكراد واجزل لهم المطايا
 بالازدياد وافرد لهم مكانات ودورو قصور ورتب لهم الطعام وزاد لهم في
 الاكرام وقال لهم لا بد من أكل ضيافتي ولا تبرحوا من عندي الا بعد تسعين
 يوما فقالوا ممعا وطاعة يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين كان الله لك معين
 وحافظا وشايرا وأمين بجاه سيد المرسلين ثم أقاموا الأكراد على كرمي مملكتهم
 ودارت به أرباب دولته ورؤوس قبيلته وجلست الأكراد من حوله وقد هنيهة
 بسلامته وجعلوا له وزيرا من الأكراد على ميمنته وآخر على ميسرته فدعا أن
 استقر الملك في جلوسه سأله الأكراد عن سبب هذه الفتنة ومن فعل تلك
 المحنة فأخبرهم بما جري من أول الامر الى آخره واطلهم على باطنه وظاهره
 ثم أنه بعد ذلك بكاء من شدة الفرح وازالة الهم والترح وقد تذكر ما جري
 عليه من قصته وما اعتراه من بليته فانشد كل ذلك في قصته وجعل
 يترنم ويقول

لقد كنت سابقا في أمان ولم يكن لي ضد ولا معان
وكننت أظن الناس خيرا وأرى الجميع بالعدل والاحسان
وأطلب العز من رب الهدي لجميع المالمين والاخوان
وأطلب لهم السلامة كل وقب وارجوا من الله منة وامان
وكننت في عز مهابة مؤيدا وحكمي نافذ على الفقلاق
فبالامر المقدر من رب السما جاء دهري على وارمان
وأغار على الوزير ظما وبغيا وحدا منه ثم عادان
واقام جيوش الكافرين جما واعن أهوان وري بهتان
فساروا الى الجميع بأسرم وراموا قتالي وضرب طعان
وقد وقعت في الاشرار حنا وأسملت أمري للعلی الديان
وجازاة الله حقاً يفعله ولفاه كل مضرة وهوان
وارسل لي الصالحين عبادة فيانعم الصالحين اولى الامان
كسروا جيوش الكفر وما حوي وما نجا منهم غير اثنان
ولقد كنت آيست من البقاء فاحياي رب الانام وهنان
ورد على ملكي تفضلا ورفعني ربي اعز مكان
وإني اليوم سابق عبد رفكم وانتم بغيثي ومنيتي وامان
وصل يا الله علي المصطفى احمد المبعوث الهاشمي العدنان

قال الناقل فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك الشعر والنظام وما قاله من
ذلك الكلام وطرب كل من كان قدامه وشكرته الا كراد على فصاحته
وبلاغته فشكروهم واثني عليهم ولما ان كان ثاني الايام أمير المؤمنين وأجلس
يوسف صلاح الدين وكيلا عنه في بغداد وقال له يا أخى اعلم اني أريد ان آخذ
معى جماعة وأطلب البر لاجل الصيد والقنص واغتنام اللذات والقرص فقال له
الامر اليك يا مولاي افعل ما تريد فان نحن لا من جملة المبيد ثم ان الخليفة

شعبان المقتدر أخذ معه مائة من الرجال الفرسان وترك الاكراد في الديوان ونزل طالب الصيد هو والمائة فارس الذي معه وقد صاروا الى الخلوات وتوطنوا في الفلوات وغابوا ثلاثة أيام وصادوا شيئاً كثيراً ومادوا في اليوم الرابع ولما ان دخلوا الي بغداد وسار امير المؤمنين في شوارعها ونظر الي قصورها واذا به قد وجد عقدا من الجوهر معلقا على دكان واحد جواهرجي فتأمله واذا به عقدا من عقود السلطنة وكان الملك شعبان المقتدر اعطا ذلك العقد لابنته وسنذكر كل شيء في موضعه

قال الراوي وكان لهذا العقد سبب عجيب بعد الصلاة على النبي الحبيب وهو ان الملك شعبان المقتدر بالله كان عديم الخلف من ذرية البنات وكان لم يرزق بهن في تلك السنوات وهو يحبهن اكثر من الغلمان وكان متولع بهن فقام ليلة من الليالي وسأل الله تعالى بعد أن صلى ركعتين في جوف الليل ودعا الله أن يرزقه ذرية من البنات فاستجاب الله دعاءه ورزق بنت كانها القمر اذا بدر ليلة أربعة عشر فسمها فاطمة ولما تمت الرضاع ومشت وتكامل لها من العمر سبع سنوات فمن محبته لها قد فصل لها بدلة من الدروا لبسها اياها وجعل العقد في عنقها وقد رآها بعد خروجه من السجن وانها قد أتت اليه وقبلت يده وسلمت عليه وهنته بسلامته فقال لها أهلا وسهلا ومرحبا ياسيدي فاطمة يا بنتي أنت الآن مثل شجرة الدر كفاك الله شر كل يؤس وضر فكنتيت بشجرة الدر من تلك الساعة وبعد ذلك سار الى الصيد والقنص كما ذكرنا والسيدة فاطمة بعد مسير أيتها جلست في شباك قصرها في يوم من الايام وكان تحت القصر رجل سائل وهو يقول هنيئاً الى فاعل الخير تصدقوا ترزقوا خير للمعطي ما كان لله فلما أن سمعت السيدة فاطمة شجرة الدر ذلك رق قلبها وحنّت أعضاؤها وقالت في نفسها خير ما عندي هذا العقد ثم انها انزعته

المقدر من عنقها ورمته الى السائل فلما رآه السائل فرح به وأخذه وسار من
 ساعته وهو فرحان ولكنه ما يعلم له ثمن (يا سادة) ثم سار به الى السوق
 وصار ينادي عليه فأخذه منه رجل جواهرجي بمائة ذهب وفرح بذلك السبب
 وقال له الجواهرجي من أين لك هذا فقال له يا مولاي انهم تصدقوا به علي
 أهل الخير كفاف الله الشر والضير فالله يصل من أوصلني الى هذا ثم انه أخذ
 المائة الذهب وفرح بذلك الامر والسبب وسار الى حال سبيله فلما عاد المقدر
 ونظر الى ذلك المقدر عرفه فأقبل على الدكان وقال للجواهرجي أخبرني بالصحيح
 ودع عنك التلويح من الذي باعك ذلك المقدر المليح فقال يا سيدي رجل سائل
 باعه لي وقد ذكر لي وقال لي ان أهل الخير تصدقوا به علي (فلما) سمع المقدر
 ذلك من الجواهرجي تعجب وقال في نفسه لا بد أن السيدة فاطمة شجرة الدر
 طلعت من شباك القصر فاتتك المقدر من عنقها وسقط الى الارض غصباً عنها
 فأخذه هذا الرجل وسار به الى هنا وباعه الى ذلك الجواهرجي قال ثم ان
 المقدر التفت اليه وقال له يا هذا بكم اشتريت المقدر من السائل فقال له يا مولاي
 اشتريته بخمسة آلاف دينار فقال له الخليفة اعلم يا هذا لا بد لي من أخذ المقدر
 وأزبدك على ثمنه ثم انه أخذ المقدر منه وأمر له الخليفة بمشرة آلاف دينار
 ثم أن المقدر أخذ المقدر وجعله داخل جيبه وسار الى أن وصل الى سرايته
 وصعد الى زوجته وجلس في قصره على مرتبة فأقبلت فاطمة شجرة الدر اليه
 وقبلت يديه فنظر الخليفة الى عنقها فلم ير عقدها فقال لها يا فاطمة أين المقدر
 الذي معك ما هو الآن في رقبته فقالت له يا سيدي هو عقدي في رقبتي
 واني محترسة فيه غاية جهدي وقوتي فقال لها لا شيء تركته ومن عنقك
 قلعتيه فقالت له من شدة الحر لانه من الجواهر (يا سادة) وكان المقدر بالله
 يحب فاطمة شجرة الدر حباً شديداً ما عليه من مزيد لانه ما عنده غيرها وهو
 مشفق بمحبها ويقال انها ليست ابنته وانما هي بنت الكامل بالله وهو والده

وهي أصفر منه سنّاً وقد أحبها محبة شديدة وقيل أنها بنت جارية بيضاء رقيقته وأخذها منها وجعلها ابنتها ولكن الأصح أنها ابنته من ظهره بلا محال وإنما ذكرنا ذلك لاجل اختلاف الأقوال

(قال الراوي) فلما سمع الخليفة المقتدر منها ذلك قال لها يا بنتي قومي الآن والبس به سريع والا ضربتك الضرب الوجيع فقالت له يا أباي السمع والطاعة وقامت من وقتها وساعتها ودخلت وهي خجلانة الى خزانها وقد وقع بها الخوف الشديد من والدها وخافت أن يعدمها وبكت وعظم احراقها وكثر شكواها وأتيناها وقد حارت في أمرها فبينما هي باكية وإذا قد أقبل عليها رجل من داخل المكان وهو يقول يا رحيم يا رحمن ثم انه تقدم اليها وقال لها لا تخافي ولا تخزني فأنا الرجل الفقير الذي أخذت المقدر منك وقد عاملت ربك في الوسع وهو قد عاملك في الضيق فافتحي الرزمة ترين العجب من ذلك الامر والسبب وإذا سرت الى عند والدك وذهب عنك الهم والقهر فتعني عليه أرض مصر فانك تنال بذلك العز والنصر فقالت له يا سيدي أنت من تكون من عباد الله الصالحين زادك الله التوفيق والبنين فقال لها أنا الرجل الفقير الراجي رحمة القدير عبد الله بن عطاء الله ثم انه دعا لها بخير وانصرف الاستاذ الى حال سبيله قال وأما السيدة فاطمة شجرة الدر فانها فتحت الرزمة وإذا المقدر فيها فأخرجته وفي عنقها لبسته وخرجت به الى عند أبيها والمقدر مضي في رقبته فلما أن رآها كذلك تعجب ومد يده لينظر المقدر الذي معه فلم يجد مجده فزاد عليها غضبه وتخيل له ان ذلك سحر منها ثم انه صاح عليها وقال لها يا فاجرة نحن مسلمون ومتوكلون على رب العالمين وما نعرف الاسحار فمن الذي علمك هذا السحر والاثار وأنا قد وجدت المقدر عند الجواهرجي وأتيت به معي وأمرت انك تأت به من خزانتك فذهبت من حينك وخرجت به أنت فأخبرني ما السبب في هذه الامور والاحكام والاضربت عنقك بهذا الحسام وأسقيتك كأس الحمام

قال فلما سمعت ابنته منه ذلك الكلام ونظرت بعينها الحسام أخبرتة بالخبر من أوله الي آخره وكففت له عن باطن الامر وظاهره فلما تحقق منها ذلك قال لها أنت محبوبة لله تعالى ولا وليائه الصالحين تخفي تعطى يا فاطمة فقالت تخفيت على الله ثم على جانب أبي أرض مصر تكون لي وبأسي فلما سمع الخليفة مقالها أجابها الى مرادها وقال لها ان الله أعطاك وبلغك منك ثم انه كتب حجة من وقته وساعته بذلك الذي طلبته فأخذتها عندها وجعلتها في خزانها وقد فرحت بما نالها وشكرت ربها على ما أعطاه وكيف ان مصر صارت لها وكان ليس في زمانها مثلها ولا في فصاحتها فأنشدت تقول

سأحمد ربي في كل ساعة على نعمة لم أقدر أمضيها
قد من عليّ الكريم بفضله وبلغني من الدنيا أمانها
وعزني رب الانام بعزه واعطاني معالي لم أقدر أكافيا
فله الحمد شكرا ومنه على وهبه مصر آياي وما فيها

(قال الراوي) فهذا ما كان من امر السيدة فاطمة شجرة الدر وأما ما كان من امر الخليفة المتتدر بالله فانه لما سمع منها مقالها قبل رأسها ونزل الى الديوان وجلس على كرسي مملكته ودارت به أرياب دولته والحجاب والنواب واقفين في خدمته وكان الاكراد عنده في ضيافته كما ذكرنا في أول الديوان كما قدمنا ثم ان الخليفة قد زاد لهم في الاكرام وزاد لهم في الطعام فلما ان كان يوم من بعض الايام والخليفة جالس على سريره واذا بفبار قد ثار وعلى وسد الافطار وانكشف الفبار وبعد ساعة ظهر اللعين عبد يزيد ومعه عسكر جرار كأنه البحار وهم مقبلون مثل الظلام فقابلهم القوم الكرام واذا بهم القوم اللثام عبادة النار الاعجام ياساده ان الملك منكم لما ارسل ولده هلاون كما ذكرنا وأرسل أخيه على أثره كما قدمنا وجاء أخيه الى بغداد وجرى عليه من الامر ما قد وصفنا وهرب اللعين هلاون وفي صحبته اثنان فساروا يجدون المسير ليلا ونهارا يقطعون البراري والقفار

ولم يأخذهم هدو ولا قرار مدة ستة أيام ولما ان كان في اليوم السابع فبينما هم
سائرين وفي سيرهم مجدين واذا بأخيه قد أقبل بالكفرة الملاعين وصحبته ثمانين
ألف من المشركين فلما رأى الملعون هلاون اخاه عرفه وقد اطمأن قلبه وآمن
على نفسه وسار اليه وسلم عليه فقال له أخيه عبد بن زيد مالك وما الذي جرى
عليك وأين العساكر والفرسان مالي لا أرى معك ولا انسان فقال له يا أخي
قتلت الرجال وهلك الابطال وحرى علينا من الامر ما هو كذا وكذا ثم
أخبره بالقصة من أولها الى آخرها واطلعه على ظاهرها وباطنها فلما سمع أخيه
مقاله قال له سر معي حتى أريك العجب وأبلي المسلمين بالويل والمطب لان
شيخ النار قد دعالي ثم انهم ساروا يقطعون البراري والوهاد الى ان اشرقوا
على مدينة بغداد فقال الخليفة يا قوم اغلقوا باب البلد كفا فانا لله شراهل النكد
فقال له الامير يوسف صلاح الدين الكردي يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين
لا تفعل ذلك القصة فنحن لهم كفاية وحق رب البرية فلا تغلق أبواب ديارك
طيب الله أحوالك فقال الخليفة افعل ما تريد ونحن لك ولاصحابك من جله العبيد
قال الراوي فعند ذلك نهض الامير يوسف صلاح الدين من ساعته وكذلك
اهله وعشيرته وركب كل واحد جواده وقد خرجوا من بغداد وقد جردوا
السيف الخشب والخليفة ودولته والاجناد متقلدين بالسيوف الحداد معتقلين
بالرماح الحداد راكبين على الخيول الحياء فلم يلحق كلب يزيد أن ينصب الوطاقات
حتى لعب السيف فيهم من سائر الجهات وسأل الدم مثل القوارات وصاحت
المسلمين عن لسان واحد الله أكبر الله أكبر وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة
والسلام على البشير النذير والسراج المنير فخيّل للمشركين أن السماء عليهم قد
وقعت والارض من تحت أرجل خيولهم قد خسفت وارتفعت وارتفعت والارض
تزلزلت والعقبان عليهم حامت والقتل تددت والاعين بالما تكحلت والارض
من الدما قد تطينت وطلع القبار وعمل القفار وقد دعت حوافر الخيل الشرار

وقل الاصطبار وقصرت الاعمار وكشفت الاستار وباحت الاسرار وفاضت الدما
مثل الانهار وقتلت الكفار ولم يزلوا على ذلك الغيار الى أن تنصف النهار حتى
هلكت الكفار والملمون هلاون واخيه اشرفا على الاثار وأيد الله الاسلام
الابرار بتوحيد الملك الغفار

قال الراوي ولما أن هدبت نار الحرب وبطل الطعن والضرب أمر الخليفة
شعبان المقتدر بالله المساكر بلم الاسلاب فلموها والخيول الشاردة فجمعوها
وارادوا الدخول الى المدينة واذا بفبار قد نار وسد الاقطار وكان هذا الجيش
المقبل من المعجم والمقدم عليهم الكلب الاكلب والذئب الاجرب الملمون منكم
وصحبته مائة الف فارس كرا ر يمدون النار على رأسه الشنيار (ياسادة) ولما
قدم اللعين ونظر محل القتال ورأى اصحابه ممدودة على الرمال صعب عليه وكبر
لديه وصاح بالنار ذات الشرار ساطعة الانوار عليهم بارفاظ وأمر بهز الشنيار
فجردت اللثام سيوفها واعتدلت على خيولها واقبلت الى المعركة بصدورها وهو
يعوي هواء الكلاب ينادون بالنار ذات الالتهاب فتلقتهم المسلمين الابرار بكل
سيف بتاروهم ينادون بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وجردوا
السيف في اعناق الكفار وانسلبت منهم الارواح وحجب الغيار ضوء الشمس
حتى غاب وناح الغراب واكلت من لحومهم السباع والكلاب وعشش في اذانهم
للفاموس والذباب وقد صاحت الاسلام ولعب الحمام في هؤلاء اللثام وغلق الحمام
وانقطع الكلام وزاد الزحام وعلى الغبار ونما وطلع الى عنان السماء وتكحلت
الاعين بمراود الماء وتحسرت الاكباد على شربة من بارد الماء ولم يزل السيف
يعمل والدم يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن دلى النهار بالارتحال
وأقبل الليل بالانسداد وأرادوا الاتفصال الفوم اللثام فما مكنتهم من ذلك
عصبة الاسلام بل حملوا عليهم ومكنوا السيف في اعناقهم والله در الاكراد وما
فعلت من الفعالم بل انهم زادوا في القتال وكثر الزال وبطل القيل والقيل وعمل

البتاروقل الاصطباروقصرت الاعمار الى أن ولي الليل واقبل عليهم النهاروقد مات من العجم خلق كثير وجمع غزير وأراد الملعون منكم الراحة فما مكنه من ذلك الامير يوسف صلاح الدين بل أنه صاح على اكراد الايوبية دونكم وعباد النار الحية واتركوا هذه الدنيا الدنية وأرضوا بقتالكم رب البرية فعندها حملت الاكراد وعساكر بغداد وجميع أمراء بغداد والاجناد وكثر العنادوزاد عدد القتلى على الارض أزواجاً وافراد ولم يزلوا القوم في ضرب الحسام وكثرة الصدام ثلاثة أيام ولما كان في اليوم الرابع كثري الكفار المعاطب وحملت العسكرين وتقاتلت الطائفتين وحان الحين وزهق غراب البين وقد قصد الامير يوسف صلاح الدين الى منكم اللعين وأشار عليه بيده اليمين فأخذه ذليل مهين ولما أن رأت العساكر الى امر ملكهم انحلت عزائمهم فولوا الادبار وركنوا الى الهرب والفرار وقد لعب فيهم السيف من جميع الاقطار ولا نجابهم لا كبار ولا صغار وشربوا الجميع شراب البوار ونصر الله المؤمنين الا برار على المشركين الكفار (باسادة) وبعد ذلك أمر الخليفة بجمع ما خلفوه هؤلاء الكلاب من خيول واثقال واسلاب فكانت هذه غنيمة عظيمة لكثرة ما فيها من الاموال والخيام والخيول والبغال وخرج الخليفة شعبان المقتدر بتلك الاموال وهو يشكر الملك المتعال وأمر أن تزين مدينة بغداد وقد شكر الخليفة المقتدر بالله الشيخ يوسف صلاح الدين الكردي وما فعل من فعالة وكيف اباد الكفار بحربه ونزاه فطفح الشعر على ياله فأشدد يقول

لقد نالني خطب جسيم ومحنة	وغاروا على الكافرون بمهلهم
وأرادوا بنا كيداً وسوء مذلة	فرد الله كيدهم في نحرهم
وتفرقت فرسانهم وسط القلا	وتاهوا في بحار لجاههم
وبعد الضيق عني تفرجت	كل الامور وضافت بهم
وأرسل لي ربي حقيقاً جنده	فيا نعم مولاي زين دونهم

واقدنا الحسام كل جوعهم	ايدنا الله في كل موقع
حرام عليهم أن يعودوا لحيم	فلم تراهم الا كل هالك
بعد ما فنيت اللثام وحيهم	واسرنا رئيس القوم ثم عياله
وشرفنا الرحمن على الانام بسرهم	وعادملك القوم أسير قيودنا
لنا مع الاشراف ونسلمهم	وجاء النصر من رب السماء
ينسب الى الاشراف أمير جيوشهم	على يدمن قد اتانا نصحه
يدعى يوسف عند الانام كبيرهم	صلاح الدين حقا لقبه
أيده الرحمن على المداة بجمعهم	من حاز مجدا عظيما ورفعة
أهل المكارم صغيرهم وكبيرهم	وعصيته والله لقد نصحوا
وفي الكون قد اشتهر فضلهم	وشرفهم رب الانام وعزهم
ولست انسى والله جميلهم	وقعلوا معنا الجليل كلها
بنصره الاسلام على يدم	فالحمد لله الذي قد خصنا
ما دامت الفرسان في حيمهم	وله الشكر دائما سر ندنا
ما هب رياح الصبا ومسالهم	صل عليك الله يا علم الهدى

قال الراوى فلما فرغ الخليفة من ذلك الشعر والنظام وما قاله من الكلام طربت الرجال الكرام وشكروه يوسف الدين الكردي واثني عليه ودعا له ولدولته بالميز والذوام على ممر الاليالى والايام فلما سمع الخليفة دعاءه قرب به وادناه واوهبه وأعطاه وكذلك رفقاءه ثم أنهم دخلوا بغداد وكان يوم مثل يوم الاعياد وجلس الخليفة على كرمى مملكته ومن حوله أرباب دولته ولما استقر الخليفة بالجلوس أمر باحضار الكفار الذي اسروا اليه فحضروا في الحال وصاروا بين يديه وكان في أولهم الملعون منكتم وأولاده الاثنين فلما رأهم الخليفة أمر بضرب رقابهم فانتدب السياف على رؤوسهم وهم يصبحون بالنار ذات الشرار هذا والسياف قد استطى سيفه وضرب اللعين منكتم بالحسام أطاح رأسه عن الهام وعجل الله بروحه الي النار وبئس القرار

قال الراوي فلما نظروا أولاده الى ذلك الحال اخذهم الانهزال وصاحوا بملو رؤوسهم نحن في غنمة الامام يوسف صلاح الدين البطل الهمام فعند ذلك نهض يوسف صلاح الدين وقبل الارض بين يدي أمير المؤمنين وقال له أيها الملك اللهاب وحاكم على المعجم والاعراب وابن عم النبي الاواب اعلم أن عمار الارض خير من الخراب ونحن نبيع هؤلاء الكلاب أنفسهم بالمسال والجواهر العوال لان قتلهم مافيه فائدة للاسلام وأخذنا لهم احب مما نسقيهم كأس الحمام فقال له الخليفة شأنك وما تريد فنحن عن أمرك لانحيد فعند ذلك التفت يوسف صلاح الدين الى هلاون واخيه كلب يزيد وقال لهم صمعتم ماقلته للامام قالوا نعم الأمرنا بما تريد من الاحكام فقال عليكم عشرة خزائن من المال كل خزنة مائة الف ريال فقالوا السمع والطاعة فقال لهم وعليكم الخراج في كل عام عشرة آلاف ريال فقالوا علينا ما تحب ونختار فقال يوسف صلاح الدين للخليفة يا أمير المؤمنين ان القوم الاعجم اجابوا بما قلنا من المرام وان يدفعوا الخراج والمال والانعام فقال الخليفة هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ولكن نجعلهم في السجن حتى يأتي المال ونبلغ ما نريد من الامال فقال الامير يوسف وعزة الله المتعال انا الضامن لك جميع الاموال فدعهم بمضون الى حال سبيلهم وما يغيب عنك المال الا بقدر وصولهم وانا قادر ان آخذ رؤوسهم من تحتهم وهم في ارضهم وبلادهم بقدره الله ربي وربهم فامر الخليفة بأطلاقهم من وقتهم وساعته بعد أن رد عليهم خيولهم وسلاحهم وانصرفوا الى حال سبيلهم فساروا طالين اوطنهم

فقال الراوي ثم ان الخليفة شعبان المقتدر بالله جلس على كرسى بغداد واعلمته اهل البلاد وارضى العباد وانت اليه اهل القرى والبلدان يهنونه بالسلامة على اهل الشرك والطغيان وهو يخلع ويهب ويفرق النضة والذهب فدعت له اهل البلدان بدوام المز والبقاء والامان مدة يسيرة من الزمان وبينما

هو جالس وإذا بفبار قد ظهر فقال الخليفة يا قوم اكشفوا لنا الخبر واعلموني
بجلية الاثر لئلا يكون أحد من أهل الشر فبينما وهو يحدث قومه بمثل ذلك
الكلام وإذا برجل يقبل الأرض بين يديه ودعا وترحم واحسن ما به تكلم
فقال له الخليفة ما حالك فقال له ياسيدي نجاب وحامل كتاب فقال له الخليفة
من اين والى اين قال من بلاد المعجم من عند سيدي كلب يزيد وأخيه الملك
هلاون الى اين ابادى امير المؤمنين ثم انه ناوله الكتاب فآخذه وقرأه وفهم
رموزه ومعناه وإذا مكتوب في أوله يا النار ذات الشرار خطاب من عند هلاون
وأخيه كلب يزيد الى بين ابادى ملك الاسلام اعلم ان الواصل لكم صحبة
الكتاب عشرة خزائن مال التي اشترينا بها انفسنا وفدينا بها وارحنا وعشرين
الف ريال عشرة خراج هذا العام وعشرة لسيدي يوسف صلاح الدين شكرا
لنار ساطعة الانوار. فما قرأ الخليفة اسبح الملك التواب ومزق الجواب ورماه
وارسل من عنده جماعة يتلقوا المال الذي مقبل. من تلك الجبار فاما كان الاقليل
حتى حضر المال بين يديه فراه مال كثير ومن جملة ذلك خيول وبغال وجواهر
واحمال وجوار وعبيد ففرح الخليفة بذلك وامر للقوم الذين أتوا مع المال
بالضيافة والاكرام مدة ثلاثة ايام ولما كان في اليوم الرابع أحضرهم اليه فحضرهم
وقبلوا الأرض بين يديه فامر أن يخلعوا على القوم الخلع السنية واعطاهم أوفى
عطية وردهم الى بلادهم وصرفهم الى حال سبيلهم

قال الراوى ثم أن الخليفة شعبان المقتدر بالله تفرغ بعد ذلك الى ضيافة
الاكراد الابوية وزاد في اكرامهم وهو يحادثهم ويكرمهم الى ان تمت الضيافة
فلما ان كان اليوم التسمين وجلس الخليفة على الكرسي ودارت به الوزراء والامراء
وقد قرب يوسف صلاح الدين وقال له ياسيدي انت احق بهذا التخت منى
لانك نصرت الاسلام وأقت الشعائر والاحكام وهذه القمعال فقال الكرام فلا
لجازيك الا بهذا التخت لانك الآن احق به واولى فأجلس ملكا وسلطانا على

بحر الليالى والازمان واحكم على سائر البلدان القاضي منها والداوانا وعسكرى
لك من العبيد والخدام قال فلما سمع يوسف صلاح الدين ذلك الكلام قام قائماً
على الاقدام وقال ياأمير المؤمنين وخادم للنبي الامين انت ابن عم سيد المرسلين
فلا ينازعك أحد فى السلطنة جعلها الله بين يديك ممكنة وكان ذلك أبداً ولا
شئنت بك الاعداء فقال له الخليفة اذا لم ترض بذلك فتمنى على أي شيء تريده
منى حتى ابلغك اياه وقتال ما تتمناه فقال له يوسف صلاح الدين أنا تمنيت على
الله ثم على جناب أمير المؤمنين ارضاً غير ارضنا التى نحن فيها لانها ياأمير المؤمنين
قد اجذبت علينا وهلكت أكثر رجالنا وهذا ما تمنى على أمير الاسلام
وخادم البيت الحرام ومهلك الكفرة اللثام ثم أن يوسف صلاح الدين اشار
الى الخليفة يقول صلوا على الرسول

سیدی اجذبت علینا ارضنا	فصرنا حیارى من شدة الجذب
ومات منا رجال كثيرة	من عذم المرعى والكل والعشب
فقلنا عن ارضنا نرحل	الى ارض عليها خصب
قالوا الكرام لنا سیروا الى	شجرة الجود والعطا والوہب
طيب اصلا والفرع منه زكى	كريم الحسب والفخر والنسب
فسرنا اليك بكل جوعنا	لننال منك ما نرجوه من طلب
فامن علینا سیدی بعیرها	فقد تمنينا والله أعظم للتعب

(قال الراوى) فلما سمع الخليفة ذلك الكلام وما قاله من الشعر والنظام
فقال فى نفسه والله لاعطينهم اشياء يفتخروا بها على سائر الافاق وأحسن
من أرض العراق فقال الخليفة أيها الامير الهام انى قد اعطيتك انت وقومك
ارض مصر والشام ولك الخطبة ولك السكة ولك العزل والتولية وان أردت
شيئاً غير ذلك اعطيتك اياه فلما سمع يوسف صلاح الدين من الخليفة ذلك
الكلام دعا له بطول العمر والدوام وفرح الفرح الشديد الذى ما عليه من مزيد

وأخذ يمدح الخليفة ويقول هذه الايات

أدام الله عزك والسرور وعشت مؤيداً اطول الدهور
وزادك المولي الكريم مهابة ونصراً وتأيداً ولطفاً صهور
وأيدك الاسلام دهرا وأمدك دهر في الدهور
ولا زلت منما في مساء بحين تصبح للبيك
ولا زالت لك الايام بيضا من مواهب المنان والملك الفخور
(قال الراوى) فلما سمع الخليفة ذلك النظام شكره وانثى عليه وأمر ان
يخلموا عليه وعلى قومه الخلع السنيه واعطاهم اوفى عطيه هذا وقد اكتبته الخبيص
بما قر الامر بينهما وفرح كل منهما وبمد ذلك ودع الامير يوسف صلاح الدين
الخليفة ونزل من الديوان وصحبته سبعة الف من الاكراد وعولوا على الارتحال
من بغداد وخرج الخليفة وكبار الدولة لوداعه يوم كامل وارادوا ان يسيروا معه
اليوم الثاني خلف عليهم يوسف صلاح الدين وودعهم الي بلدهم وسار بمن معه
من الاكراد حتى اتى الي عزة وأخذ الاكراد عيالهم ومالهم وأمرهم بالمسير الي
أرض مصر فأجابوا الجميع بالسمع والطاعة واجدوا في تجهيز شملهم من وقتهم ولم
يمض عليهم اكثر من ثلاثة أيام حتى قضوا شغلهم وحلوا احمالهم وساروا طالين
ديار مصر وقد زال عنهم الهم والقهر ولم يزلوا سائرين وفي سيرهم مجدين الي
ان وصلوا الي أرض حلب فنزل عليها الامير يوسف صلاح الدين وهو علي هيئته
المعروفة وشجاعته الموصوفة وصحبته اولاد عمه وكان بها حاكم يقال له مبد الله
ابن سعيد وكان فارس شديد وبطل صنديد فلما سمع بوصول يوسف صلاح
الدين اليه خرج الي ملتقاه ومعه رجاله وفرسانه وأبطاله فلما التقيا سلما علي
بعضهما بعضاً وأخذه وادخله البلد وأخرج لهم الضيافات والطوقات والاقامات
وزاد لهم في الاكرام مدة ثلاثة أيام ولما ان كان في اليوم الرابع عرض يوسف
صلاح الدين الحجة التي معه علي نائب حلب فأجابه ونزل عن نيابته لوقته وساعته

وولى عليها حاكماً من طرفه يقال له اعطى وضم اليه ألف كردي من الاكراد وبعد ذلك أمر الاكراد بالمسير وسرعة الجدد والتشمير وما زال سائراً الى أن وصل دمشق الشام فنزل عليها فخرج صاحبها الى ملتقاه واستقبله وحياء فاعرض عليه الحجة فنزل عنها وولى عليها حاكماً من رفقته يقال له شرف الدين وارتمل الى ان وصل الى غزة فولى عليها حسان الكردي ثم انه سار الى ان وصل الى بحر النيل فولى على دمياط الاقراوى وولى على رشيد اسماعيل الكردي ولم يزل يولى على اقطاع مصر والشام وكل بلد كانت تحت حكمه حتى اتى الى مصر فخرج صاحبها الى ملتقاه ومعه فرسان وبماليك وغلان وكان قد سمع بما جرى على البلدان وان هذا يوسف صلاح الدين هو الذي نصر أمير المؤمنين فخرج وقد جعل له موكب عظيم وكفله أهل مصر وفرحوا به الفرح الشديد ودخل الى البلد وهو بهذه الملابس والترس الجليز والحسام الخشب ولم يزل سائراً والعساكر حوله ودائرة به حتى انه صعد الى قلعة الجبل وجلس على الكرسي وجلست حوله أولاد عمه وأقاربهم وصار يحكم ويمدل وقد جمع العلماء وعرض عليهم المكاتبات فأجابوا الى ما أراد من تلك الاشارات ودعوا له على المنابر ونهيات المعاملة المصرية بخدمته عليها وقد أطاعته مصر والشام ودعت له بسائر الانام وحكم وعدل وقدر زقه الله بولدين أحدهما يقال له العادل والآخر يقال له الكامل وقد زينت له أرض مصر ثلاثين يوماً وبطل التعب والهم

قال الراوي ثم ان الملك يوسف صلاح الدين أمر بأحضار خراج الارض والبلاد من النياب الذين ولاهم وأرسل يطلب منهم المال فأجابوه الجميع الى ذلك في الحال فلما حضر عنده الخراج أحضر البنائين والمهندسين وأمرهم أن يبنوا له قصراً عاليا شاهقاً في العلو ويكون بقلعة الجبل ويسمونه باسمه فقالوا له السمع والطاعة ثم انهم صاروا يتعاطون الاشغال ليلاً ونهاراً ولم يزالوا كذلك

الى أن فرغ بناء القصر وكتبوا على بابه هذا قصر خليفة الله يوسف الكردي
أدام الله بقاءه قال ولما فرغ بناء القصر عمل فيه الختمات والليالي الفاخرات
وأنعم على أهل الممارات فدعوا له الجميع الرفيع منهم والوضيع وانصرف كل
أحد الى مكانه وراح الى حال سبيله وقد فرش ذلك القصر من أنواع الحرير
الفاخر الملون من أحمر وأصفر وجعلوا فيه اواني من الذهب الاحمر وقد فرح
به الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد قال فلما كان يوم من الايام جلس الملك
على كرسي قلعة الجبل يوحد الملك الازل ويذكر الله عز وجل وقد تكامل
الديوان وجلست المساکر والفرسان الى أن تعالي النهار وأراد الملك أن يتعاطى
الاحكام ويحكم بين الخاص والعام واذا قد أقبل عليه سائر ومعه كتاب وهو
يقول أمير المؤمنين أزدك الله عزاً وتمكيناً وأنشد يقول

سلامي على ذا المقام وذا الحمى . مقام به كرمي الخليفة قد نما
بم النبي الكريم وآله وكل من تناسل من احداها
حتى أمير المؤمنين بمحيشه وقد حفت الكرمي ملائكة السما

قال الراوي فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ذلك الكلام وما أبداه
من الشعر والنظام قال له من أين والى أين فقال له يا مولاي من الشام فقال له
مامعك من الاخبار فقال يا مولاي كتاب فاخذ منه الكتاب وناول له للقاضي
فاخذه منه وقراه وفهم رموزه ومعناه واذا فيه

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين وامام المتقين
خطاباً من أهل الشام الى بين أيادي مالك الاسلام فاعلمك أن يوم تاريخه توفي
الى رحمة الله شرف الدين وأنه قد خلف غلاماً صغيراً يقال له عيسى الناصر
والوكيل على الشام رجل من الاشراف يقال له حسن الاقواسي وهو الذي
أرسل اليك هذا الكتاب بمحضرة علماء أهل الشام لاجل أن تولي من تريد
على الشام والسلام على نبي تظله النعام

قال الراوي فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ذلك السلام قال لاجول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون فاين ولدي العادل فقال
له لبيك يا أبتاه فقال له اني وليتك على أرض الشام واياك والظلم على الانام
بين الخاص والعام والوزير لك حسن الاقواسي حتى تبلغ رشداك وشدة ركنك
(ياساده) ثم انه البسه ولاية الشام وأرسل معه الف فارس كرام وأرسلهم
صحبة النجاش سيار وقد ساروا يقطعون البراري والآكام الى أن وصلوا الى
الشام يا ساده وأما الملك يوسف صلاح الدين فانه بعد ما توجه ولده الى الشام
امر القاضي ان يكتب كتاب الى الخليفة المقتدر بالله فكتب في أول الكتاب
بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد الانام ومصباح الظلام
ورسول الله الملك العليم الملام خطاب من نائب أمير المؤمنين المهادي الى
الطريق القويم المقتدي بالله السميع العليم عبد الله يوسف صلاح الدين الي بين
ايادي امير المؤمنين الذي نعلمك به باننا أقننا في مصر ورضاك معنا في كل
وقت وعصر وانكنت السكة والخطبة باسمنا وقد بنينا قصرنا وارادنا ان نعلم
بذلك أمير المؤمنين زاده الله نصرا وتمكين لاجل ان يطمئن علينا ويدهم لنا
والسلام ختام على نبي شيد اركان الاسلام وقد ضمن الكتاب بهذه الايات
يقول صلوا على طه الرسول

قد كتبت كتابا للامير ابث فيه الشوق والتقصير
واقرا الخليفة مني سلاما مزجته بالمسك والدمع الغزير
ولواني شرحت ما بقلبي الى العشاق لغاض فيضاً كثير
ولكن قلبي اليك رسولا يترجم عنه لديك بشعري
يخبر بان لديك شوق فاجير سيدي لكسر الكسير

قال الراوي فلما فرغ القاضي من كتابة الكتاب قرأه على الملك يوسف
صلاح الدين فاعجبه وعلم عليه وختمه واعطاه للسيار واركبه هجين وقال له

عليك ببغداد دار السلام وهات الي رد الجواب فركب السيا وأخذ معه الكتاب
وركب وسار يقطع في البراري والقفار ليلا ونهارا الى ان توسط الطريق وكان
ذلك وقت الظهر فنزل الي أسفل شجرة لاجل الراحة وقد أخرج شيئا يأكله
ويطعم المهجين فينا هو كذلك واذا قد اقبل عليه من كبد البرهجان آخرو مال
الى ذلك الشجرة فقال له السلام عليك يا أخي فقال له وعليك السلام من أين
والي اين فقال له انا من مصر وطالب ببغداد فقال وانا الاخر من بغداد وطالب
مصر فقال له انا قاصد أمير المؤمنين المقتدر بالله تعالى فقال له وانا الاخر طلب
الى الامير يوسف صلاح الدين فقال له أخبرني عن السب فقال له اعلم يا أخي
ان المقتدر بالله قد انتقل بالوفاة بعد مسير يوسف صلاح الدين من عنده بسنة
كاملة وتولوا أولاده من بعده الخلافة وهما أحمد وإبراهيم وجلسا مكانه وقد
ارسلوا كتابا الى مصر للامير يوسف صلاح الدين يطلبون منه الدوا والراف فقال
له يا أخي اعلم ان رجوعي معك أحسن من رواحي الى بغداد (يا سادة) ثم
انهم ركبوا الاتنين وعادوا الى مصر مسرعين الي أن وصلوا اليها ودخلوا على
الملك يوسف صلاح الدين وسلموا عليه وقبلوا الارض بين يديه فرد عليهما السلام
وقال للسيار مالك عدت في مدة قريبة هل انت وصلت الى دار السلام فقال
لا يا مولاي ولكن قد التقاني هذا السيار وانا سائر في البرار وذكر ان المقتد
انتقل الي رحمة الله ومعه كتاب من عند اولاده وهما أحمد وإبراهيم فلما سمع
الخليفة ذلك قال للسيار الذي اتى من بغداد احق ما يقول قال نعم ثم ناوله كتاب
اولاد الخليفة شعبان المقتدر بالله فآخذه وحله وفرأه وفهم رموزه ومعناه واذا
به بمجد خطابا من ابراهيم المتوكل واحمد أخيه أولاد المقتدر بالله الماضي الى
رحمة الله الذي تعرف به امير المؤمنين يوسف صلاح الدين ان والدنا انتقل
بالوفاة وجلسنا نحن على بغداد وتداقت لنا البلاد وأطاعتنا العباد وقد كتبنا
لك هذا الجواب فعند اطلاعك عليه تحضر من تتولاه وترسل الينا ونحن نسلمه

الامانة ونعطيه الخلفات التي تحت يدنا لتكون عندك محفوفة لاننا نخاف أن
 يغور عليها هلاون وأخيه كلب يزيد أولاد اللعين منكم ونحن من قبلك مثل
 ثياب على سلك الارض والبلاد وان شئت أرسلنا لك الخراج ولا بدمن أخذ
 الامانة التي عندنا والسلام على من تظله الغمامة وفي آخر الكتاب شعر

سلاما عليكم ياسادتي	سلاما جزيلا متوسلا
يغم الارض افرقها ومفرها	مثل سيل يعم ويهطلا
أنتم السادات حقا لانكم	حماة النبي الرسلا
فارحموا ضعفاء قوم قد أنوا	لجنابكم خاضعين معمولا
قد مات والله سيد عزهم	أمير المؤمنين الخليفة لافضلا
وسار رديم الثرا وهو باليا	وعدنا حيارى من بعده تتذلا
وما خوفنا الامن فتجاة عدونا	أهل الحياة والملامة والبلا
فعمينوا وارحموا قوما لا ذوابكم	ودخلوا في حماكم باجمعهم اولا
وانتم الآن صرتم عزنا	وما نذل قط وانتم فضلا
ثم الصلاة على النبي المصطفى	النبي المختار الشفيع الرسلا

(قال الراوى) فلما سمع الملك يوسف صلاح الدين ما فى الكتاب هطلت دموعه
 مثل قطر الميزان وبكى بكاء شديدا ما عليه من مزيد حتى غشى عليه وبكت لبكائه
 جميع الاكراد التي حوله ولما أفاق الملك من غشوته قال كلمة لا ينجل قائلها الا حول
 ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه واجعون ثم أشار بهذه الايات يقول

لقد كان خينا خلا موافيا	وكان لدين الله نعم الحمايا
وكان والله ابن عم نبينا	عليه أزكى صلاة واوفى سلاميا
وكان يحب الال والصحب كلهم	وكان يكرم من كان آتيا
وقد اعطاني فضلا ونعمة	وأوهبني اجزا المعطايا

ولكن حكم الله لاشك نافذ نعماء مولانا ونعم القاضيا
فاختاره رب المباد خليفة وأعطاه في الفردوس قصرآ طاليا
وعدنا حيارى والله بعده وانهدم من الاسلام ركنانا ميا
فيارب اعطى خير عطية كما أعطيت الانبيا والاصفيا

قال الراوى ولما فرغ الملك يوسف صلاح الدين من نظامه ومات له من كلامه
أمر أن يكتبوا كتابا في أوله بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على زين
النبيين وسيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين خطابا من عبد الله
يوسف صلاح الدين الى مابين أيادى أولاد أمير المؤمنين وأتينا قد وصلنا جوا بكم
وفهمنا خطابكم وأعلموا أن كل من عليها فان ولا يدوم ولا يبقى الا وجه الملك
الديان فاجلسوا مكان ايكم ولا تخافوا من اعدائكم وأنا خلا لخلقكم وعدوا
لعدوكم وصاحبنا لحبيبتكم نخلوا الامانة والمخلفات على ما هي عليه وان تحرركم عليكم
عدو الله ارسلوا الى واحد من عندهم وأنا احضر لديكم واحلك عدوكم والسلام
على من تظله النعام ثم انه علم عليه وأرسله مع السيار فأخذه وسار بعد ما انعم عليه
السلطان وأعطاه شئ كثير من الاحسان ولم يزل يمجّد السير في البرازي والتقفار الى
أن وصل الى بغداد ودخل على أولاد المقتدر وسلم عليهم وقبل الارض بين ايديهم
وقد اعطاهم الكتاب فأخذوه وحلوه وقرؤه فلما عرفوا ما فيه فرحوا بتلك الامور
والاسباب وفويت قلوبهم واشتدت ظهورهم واستقرت لهم البلاد واطاعهم
سائر المباد وصاروا يهادون ملك مصر وهو يهاديهم بالهدايا والانعام
والمكاثبات في أغلب الاوقات سائرة بينهم وهم فارحين بما نالهم قال فهذا ما كان
من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر يوسف صلاح الدين جالس بعد ذلك المدة بثلاث
سنين ذات يوم من الايام وحواله رجاله والخدام واذا بسيار يقبل الارض بين
يديه فقال له الملك ماملك من الاخبار فقال يا مولاي جواب ثم ناوله أياه فأخذه
منه وحله وقرأه وعرف رموزه ومعناه فلما اتى على آخره يكاوأن واشتكوا وأنشد يقول

اكم للدهر من نائبات وكم ايلا جيوشاً بالثبات
 وكم فرق من جموع ومزق جمعهم بالباديات
 وكم بجوره أصاب قلب وكم رماه للدرى الرماة
 وكم للدهر من غدر مصب فکرد علينا مرهفات
 كذا للزمان له احتكام ومثله الليالى المنقلات
 ولكن هكذا حكم الآله فهو قدر بالميات
 فانه يحمل له جنة الخلد ويمطيه خيراً من جنات

قال الراوى فلما نظرت الاكراد الى بكائه وما قاله من كلامه وشكره قالوا
 له ياملك الاسلام ما انتدي ابكائك اخبرنا باحوالك اصلح الله اعمالك فقال الملك
 يا قاضى خذ هذا الكتاب وأقرأه حتى يسمعوا ما فيه من الخطاب فأخذه القاضى
 وقرأه واذا بأوله الايات

ايا ايها الدهر الخؤون كم اربمتنا بكل محون
 وكم فينا فعلت فعلا وكم أخذت منا مصون
 وكم اهرقت دماء قوم وكم اتلفت لهم عيون
 فرق وارحم يادهر قوما قد لقيهم بما لا يكون
 وقد أصبحوا سلباء عقل وما زدتهم الا جنون
 طمى مصابحاً يادهر فأرحم فأمر ربي بين كاف ونون
 فاقى الله يادهر فينا فهو الذي يعلم عما قد يكون

قال الراوى خطاباً من حسن الاقواسي الى بين ايادي أمير المؤمنين القدي
 نعملك به أن يوم تاريخ الكتاب توفي ولدك العادل الى رحمة الله تعالى الكريم التواب
 وقد أودينه التراب وعملناه الختم والليالى وصار جسمه في التراب الى ونحن اعملناك
 وعلى ذلك الامر اطعنناك لا جل ان تولى من تريد على الشام وهذا آخر ما عندي
 والسلام قال فلما سمعوا الاكراد بموت العادل بكوا الحاضرين عليه وعزوا فيه

أبيه قال وأما الملك يوسف فإنه قد غشى عليه ساعة زمانية ولمافاق قال أنا لله وأنا
اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم انه التفت الى كبار دولته
ورؤس عشيرته وقال لهم اكتبوا الآن الى حسن الاقواسى مكاتبة بالشام ويحكم
على من فيها من الخاص والعام اذا لم يكن بلغ عيسى بن شرف الدين مبالغ الرجال ولا
صار فى عدد الرجال فقلت له ارباب الدولة هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب
ثم أن القاضى كتب لحسن الاقواسى نيابة بالشام وهو يحذره ويقول فيه أياك والظلم
والاسراف واتبع العدل والانصاف وبعد ذلك أرسلوا الكتاب مع السيار فأخذه
وسار طلب الشام وأوصل الكتاب الى صاحبه بسلام وتمت تلك الامور والاحكام
(يأسادة) قهذاما كان من أهل الشام وأما ما كان من الخليفة يوسف صلاح الدين
فانه قد حصل عنده غما شديدا ما عليه من مزيد حتى انه ابطل النزول الى الديوان
وقد اجلس موضعه الكامل ورسم له بالسلطة بعد وفاته هذا وقد ازداد عياه وكثر
شكواه مدة إحدى وعشرين يوما ولما كان اليوم الثاني وعشرين توفى الى رحمة الله
فى يوم الخميس المبارك سادس ساعة من النهار من شهر ذى الحجة من سنة سبع مائة
واتنان وخمسون هلالا من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام ما عرود
القمرى وما نأح الحمام فثرب فيه يوسف صلاح الدين كأس الحمام ففسلوه وكفنوه
وواروه من داخل القصر وعملوا له الختم وما يحتاج اليه وحزت جميع الدولة عليه
قال الراوى ثم أن الكامل بعد العزاء جلس على كرسي أبيه وقد أطاعه جميع
أهله وذويه وحكم بين الناس بالانصاف والعدل وترك الجور والاسراف وعدل
فى الرعية سنة كاملة وبعد ذلك طلب الخراج من البلاد قطاعته سائر العباد وجلوا
اليه الاموال والجواهر الثقال ولما أن رأى ولاية البلاد طائعين لامره ولم يكن
أحد منهم يخالفه فطلب الزواج لنفسه فزوجه بينت من أولاد بني عمه وعمل لها
الافراح وبخر البخور وعمل الولائم فى مصر مدة سبعة أيام وقد أكل من الولائم
الخاص والعام ولما كان الليلة الثامنة دخل عليها وأزال بكارتها فعملت منه من

ليتها وظهر حملها وكبرت بطنها فلما كملت مدة الحمل الى أن كان ليلة من الليالي فجاءها
الطلق كما يشاء خالق الخلق فولدت ولدا ذكر اكا أنه فلقه فخرجيل الصورة حلوا المنظر
والشمائل ماله مثيل في الاكراد الاواخر ولا الاوائل ثم أن القوابل اخذوه وفي
سنيّة من الذهب وضعوه والى بين يدي أبيه قدموه فلما رآه فرح به الفرح الشديد
الذي ماعليه من مزيد وخلع على القوابل الخلع البهية وأعطاهم أوفى عطية فقالوا له
أيها الملك السعيد والملك الحميد شمي ولدك أنت بنفسك فقال هذا نجم الدين ايوب
فقال أرباب الدولة اسم مبارك ان شاء الله تعالى هذا ونجم الدين قد نشأ وترعرع في
الارض ومشا وظهر أمره وفشاوانه قد قرأ القرآن وختمه وبمد ذلك طلب
الاحكام وعرف الحلال من الحرام وصار فطينا لبيا عارفاً بأحكام السياسة
والشرعية والرئاسة فكتب له أبوه الكامل حجة بالسلطنة بعده فانه ثم صر في الخلافة
للكامل ستة عشر سنة وانتقل بالوفاة رحمه الله تعالى فتولي على الكرسي نجم الدين
وقد اطاعته الدولة وجميع الرجال وابذل عليهم الاموال وقد سارت الخطبة والسكة
باسمه وطاعته العباد وملك البلاد وأرسلوا اليه الخراج من سائر الامصار والادوية
والقفار وقد اطاعوه الكبار والصغار وقد تزوج بجارية من اولاد بني عمه وكانت
مزيدة في الجمال زائدة في الحسن والكمال فتزوج بها وازال بكارتها وما أنت
عليه السنة الثانية حتى أن زوجته وضعت غلام كأنه البدر التمام وله جبين واضح
فعماء الصالح وكناه بنجم الدين ايوب وقد أحبه أبوه محبة عظيمة فكتب له
حجة السلطنة في يوم مولده وأمرهم الملك أن يكتبوا له حجة لا يكون بعده الا
ولده الصالح نجم الدين ايوب فأجابوه ارباب الدولة بالسمع والطاعة وقالوا يا أمير
المؤمنين هذا هو الصواب والرأي الذي لا يعاب فقال لهم الخليفة اعلموا اذا
قضي نحبي ولحقت بربي وولدي لم يبلغ مبالغ الرجال فليقم له وكيل عا دلا حتى
يبلغ رشده ويجلس على كرسي سلطنته فقالت الامراء نعم مارأيت يا أمير المؤمنين
وخليفة رب العالمين (ياسادة) ومكت نجم الدين أيوب بعد ذلك أحد عشر سنة

وقيل سبعة سنين وقيل تسعة والمعمد الاخير وتوفي الى رحمة الله تعالى فتباكت عليه ارباب الدولة ووراءه التراب وعملوا له ما يليق بالمملكة وهناك مدفونهم رحمة الله عليهم هم ومن مضى من أموات المسلمين بجاه سيد الاولين والاخرين (قال النقل) وكان ولده الملك الصالح قد زهد في الدنيا ورغب في الآخرة وقرأ القرآن وعرف ما فيه من البيان وعرف الحلال من الحرام فعبد الملك العلام وصار من عباد الله الصالحين وهو من صغر سنه على التفلاج واليقين ولا يجالس الدولة ولا يحضرهم في حكومة فسموه الاكراد للصالح نجم الدين أيوب ولي الله المجذوب ولما توفي والده بأيامه قومه على السلطنة فقال لهم نعم ما قدم وما به قد أشرتم وأقام له وكيلا من الاكراد يحكم بالعدل بين العباد وقد اشترط على نفسه أن لا يأكل من السلطنة ولا يأخذ شيئا من أموال المملكة ولا يأكل الا من كسب يده ولا يفسر دلو أيه ولا ترسه فبايموه على ما طلب وأجابوه الى ذلك الامر والسبب وجلس على كرسي مملكته ودارت به ارباب دولته وهو يتعاطى الاحكام بالعدل والانصاف وأبطل الجور والامراف وأطاعته سائر العباد واقت اليه الجزية من سائر البلاد مدة من الايام فلما كان يوم من بعض الايام الملك جالس في الديوان وحوله الامراء والاعيان واذا بواحد من أهل الشام تقدم اليه وقبل الارض بين يديه ودعا وترحم وأحسن ما به تكلم فقال له الخليفة ما بالاك وما حاجتك فقال ذلك الرجل يا مولاي ان الدنيا لا ندوم والملك للحي القيوم وتعيش رأس أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وان حسن الافراسى توفي الى رحمة الله تعالى وان عيسى الناصر بن شرف الدين قد بلغ مبالغ الرجال وعرف سائر العلوم والحرام والحلال فلما سمع الصالح ذلك الكلام قال الملك للحي الذي لا ينام ثم انه أمر القاضي ان يكتب له المسكنايات بالسوية وهو يأمر الناصر بالعدل بالرعية ويبعد عنهم الظلم والاذية فكتب القاضي مثل ما أمر الخليفة الصالح نجم الدين أيوب ولي الله

المجذوب وأخذ الرجل ذلك المكتوب وسار الى الشام ففرح بذلك الخاص والعام وجلس الامير عيسى على الشام يتعاطى الاحكام وعدل وحكم وأنصف وما ظلم قال المؤلف وهذا ما كان من الامير عيسى الناصر وأما ما كان من أمير المؤمنين الصالح نجم الدين أيوب ولي الله المجذوب فانه أخذ يتعاطى الاحكام على شريعة سيد الانام وقد أحبه الخاص والعام مدة من الايام وقد صار له شأن وأي شأن وخطبوا له على المنابر في سائر البلدان وكان يعد من الرجال الكرام الى أن كان يوم من بعض الايام التفت الخليفة الى الاكراد الابوية وقال لهم اعلّموا ان مرادي ان اصلى في الحسين وأطلب منهم الدماء للعالمين وكان ذلك اليوم يوم الجمعة فقالت الاكراد سمعنا وطاعة وركبوا من وقتهم والساعة وركبت الاكراد الشهب وتقلدت بالسيوف الخشب والاراس الجيز ونزلوا من الديوان وهم يعبدون الملك الديان الرحيم الرحمن وهم يقولون الله لا اله الا الله محمد رسول الله الى أن اقبلوا الى وسط الرميّة فيبيناهم سائرهم واذا اقبل عليهم مركب عظيم والرجال راكبين على خيول عربيات متقلدين بسوف هنديات والمقدم عليهم رجل جليل القدر كثير الهمة وهو لابس بدلة من الابللس الاحمر مرصعاً بالذهب الاحمر فلما نظر مقدم القوم الى الخليفة والاكراة وهم بتلك الصفة وينادون بذلك النداء فقال هؤلاء من فقراء الله تعالى ثم انه تقدم اليهم وسلم عليهم وحط يده في جيبه وقد أخرج شيئاً من حطام الدنيا ومد يده الى كبيرهم وهو الملك الصالح وقال له خذ هذا يا ولدي وادع لي فقال له الصالح يا هذا أنا أدعى لك من غير أن آخذ منك شيئاً من الحطام وحق الملك بالعلام فلما سمع ذلك الرجل من الصالح ذلك الخطاب تعجب غاية الاعجاب وكيف أنه ناداه باسمه ولم ينظره الا في هذه الساعة فاعتقد فيه وقال والله ان هذه لكرامة عظيمة ثم انه أراد أن ينزل عن الحصان ويسير في ركابه من جملة الخدام والغلمان فقال له الملك الصالح خليك يا شاهين على يميني وسير الجواد جنب الضربة وقل

معنا الله لا اله الا الله فصار الاغا شاهين جانيه وقد زاد تعجبه وانشرح صدره وسأل عنه بعض الاكراد من يكون هذا من العباد فقالوا له هذا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين من طاعته فرض لاهل جميع الارض في الطول والعرض هذا يقال له الصالح أبوب ولي الله المجذوب فلما سمع الاغا شاهين ذلك الامر المفيد فرح الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد وقال والله يهون علي أن أترك بلادي بما فيها وأولادي وأخدم هنا عند هذا الرجل وأسير له من جملة اللطمان ولا أخالته فيما يريد من الامر والشان وأنا على نذر الله تعالى ان طلبني لخدمته لا خدم عنده وأترك ملكي وأقدم له نعماله وأنا أسأل الله الحبيب ان يذكر لي ذلك الامر عن قريب

قال الناقل وكان السبب في مجيء الاغا شاهين الى الديار المصرية وتعام تلك القصة سبب عجيب وأمر مطرب غريب نريد أن نذكره علي الترتيب حتي ان المستمع يلتذ ويطيب بعد الصلاة والسلام على النبي الحبيب وذلك أنه كان في سابق الزمان وقديم العصر والاولان مدينة يقال لها مدينة برصه وكان الحاكم عليها والمشير على رجالها ملك يقال له حسن بيك وكان معه ولد يقال له اسماعيل بيك وكان ذو عقل وتدبير وبالامور خبير فاما كانت الايام فلائيل حتي توفي حسن بيك ووالده للتراب باذن مسبب الاسباب فتولى مكانه ولده وقد أطاعوه أهله وأقاربه وتزوج من بني عمه وقد خلف منها اثنين ذكور كأنهم البذور فسمي أحدهم عثمان بيك والآخر قاسم بيك قال فلما انتعشا الاثنين وبلغوا مبلغ الرجال وصاروا يمسدون من الابطال تزوج الاثنين خلف عثمان ولده فسماه مسعود بك وأما قاسم فانه خلف ولد فسماه شاهين وصاروا الاولاد يكبروا ويقربوا في المدينة وقد طلع شاهين فارس لا يطاق وعلما مر المذاق صاحب رأي وإدارة وخيرة ومشورة وهو فارس من الابطال وفيل من الاقبال كثير الاحتيال وكان حافل لبيب فطين وكان مسعود بك الآخر كذلك فبعد

مدة يسيرة من الزمان توفي عثمان وقاسم الى رحمة الله تعالى فتقاسموا الاثنين في ملك برصه وصارا بمحكان فيها وكثرت رجالهم وقويت شوكتهم فلما كان يوم من الايام الاغا شاهين جالسا وأخيه الى جانبه واذا بغبار قد سار وسدا لافطار وبعد ساعة انكشف الغبار وبان من تحته لمعان والعساكر خوله قد سدت البر والفدقد وخلائق ما لسكثرتهم عدد والجميع ينادون عيسى ومريم والصليب المنفخم (يا سادة) فلما نظر الاغا شاهين ذلك خاف على نفسه وعلى رجاله من شر بكأس المهالك وكان ذلك الجيش المقبل من الافرنج وهم طائفة يقال لها المسكف ووادي القرم فعند ذلك جمع الاغاشاهين أرباب الدولة وأهل المشورة وقال لهم ما عندكم من الرأي مع هؤلاء اللثام ونسل الحرام فقالوا له شر الينا أنت بما فيه الصواب وبين لنا الاسباب فقال الراي عندي أننا نركب في هذه الساعة ونكون ثلاث فرق ونحمل عليهم ونصددهم صدمة صادقة بنيات متوافقة ونحن نسأل الله أن ينصرنا عليهم ومن هذا المكان نكسرهم ونجمعهم تحت أيدينا ونرتب عليهم المخرج الى بلاد الاسلام ونرسله الى الخليفة الامام في كل عام فقال له رجاله هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب فقال الاغا شاهين اعلموا أنني سأركب بنفسى واحامي عن رجالي بسيفى ورمسى وأسير اليهم وأجل عليهم وأنت يا مسعود تكون حافظا الى بورصه وأهلها خوفا من الكفار أن يفتنموا الفرصة ويهجموا عليها فقال له أخيه مسعوديك يا أخي أمانك الله رب السماء وكان لك حافظا وحاميا

قال الراوى فعند ذلك ركب الاغا شاهين كانه أسد العرين وركب جواده واعتد بعدة جلاده وقد ركب حوله من قومه واهله واقاربه مائة الف فارس من كل مدرع ولابس في الحديد غواطس وكلهم متقلدون بالرماح الطوال معتقلين بالبيض النصال والاغا شاهين في أولهم والى جانبه رجل يقال له حسان الوزير وكان الآخر بطل فحزير وهو فارس من الفرسان ليس له مثال في ذلك

الرومان ولما أن قد خرجوا من برصا التفت الاغا شاهين الى الوزير حسان وقال
 له أيها الوزير خذ معك خمسين الف فارس واجل على اليسار وأنا آخذ مئتي خمسين
 الف واجل على اليمين وابذلوا فيهم السيف البتار أسأل الله أن ينصرنا على هؤلاء
 القوم الاشرار فقال له الوزير ممما وطاعة ثم أنهم صاحوا صيحة واحدة الله
 اكبر فتح الله ونصر وخذل بالشام من كفر ولعنة الله على من طغى وتجبر هذا
 وقد حملت الطوائف على بعضها وتكدت من ركض خيلهم الارض وعمل البتار
 وقدحت حوافر الخيل الشرار وجرت الدماء مثل الانهار وطلع الغبار الى أن
 حجب بين الارض والسما وتكحلت الاجفان بمرود العمى وتحسرت الأكباد
 على شربة من بارد الماء وصال الشجاع مدمدما والجبان ولي منهزما والغبار عليهم
 قد غيا قال وعلت المشرفيات وقتلت المبيد والسادات وتكدت القلوات
 وضافت على الهارب الخلوات وصاحت الرجال باختلاف الاصوات فهربت الوحوش
 من الغابات وحامت على القتلى الطيور الكاسرات ولم يزل السيف يعمل والدم
 يبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل الى أن ولي النهار وأقبل الليل بالاعتكار
 وانفصلت الطائفتان عن الصدام ورجعت كل طائفة الى من لها من الخيام ونزل
 الاغا شاهين وهو كانه شقيقة ارجوان فما سأل عليه من أدمية الفرسان لانه
 قد أشفا الخليل وارضى الملك الجليل ولكن العدد كثير والجمع غزير ثم أنهم
 استشاروا بينهم في القتال عدوهم فقال الاغا شاهين طيبوا نفسا وقروا عينا فلا
 بد لي في غداة عند ما ابرز الى الحرب بنفسى وأفديكم بروحى وجسمى واطلب
 البراز وأسأل الانجاز لعل أن يخرج الى ملك الافرنج فاما أن أقتله واما أن أعمره
 وان أعانى الله عليه هانت علينا عساكره فقالوا له افعل ما بدا لك نبح الله أعمالك
 قال الراوى فهذا ماجرى ما هنا من الاخبار وأما ما كان من القوم الكفار
 فانهم رجعوا الى خيامهم وجلسوا واستقر قرارهم وقد شكوا الى ملكهم ما لا قوه
 من الاغا شاهين والوزير حسان لانهم قتلوا الفرسان وابدوا الشجعان والافران

فقال لهم الملك صدقتم وحق المسيح والمدبح والذبيح ولا بد لي ما أخرج في
غداة اليه وآخذ روحه من بين جنبه وكان ذلك الملك جبار من الجبابرة الكبار
لا يصطلي له نار وهو آفة من الاوقات وبلية من البليات يقبض الاسد بيده
من الغابات وهو اكفر خلق الله بالرحمن يقال له جرجيس ابن صلبان قال فلما
سمع قومه كلامه اطمأنت قلوبهم وطابت نفوسهم وباتوا تلك الليلة على ذلك
الروح الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح وطلعت الشمس
على الروابي والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح فعند هاركب الطائفتان
الجرد القداح واعتقلوا حوامل الرماح وتقلدوا بالبيض الصنماح ونحدروا يطلبون
الحرب والكفاح وامسقت الصفوف وتعدلت الميات والالوف فكان أول من
برز الى الحرب وموقف الظعن والضرب الاغا شاهين وهو راكب على جواد
اشقر عالي من الخيل مضمركا نه الطير في الجريان وهو معتقل برمح طويل وعليه
سنان كانه لسان ثعبان او قيس من النار ذات اللهب ومتقلد بسيف بتار قوي
المسار ماضي الشفار قاطع للاعمار ثم انه صال وجال ونادي وقال ألا يا كفار
من عرفني فقد اكنفني ومن لم يعرفني فإني خفا انا الاغا شاهين ملك برصا
ثم انه طلب البراز وسأل الانجياز قال فلما نظر الملك جرجيس ذلك أيقن أنه
يسقية كأس المهالك فخرج اليه أسرع من البرق اذابرق وأوالسهم اذا رشق وهو
راكب على جواد ادم عالي ملحم بمحافر كالدرهم أعلاه جبل أسفله جندل وهو
معتقل ببنطاربه جلنجية ومتقلد بصحيفة هندية سقيها بكأس النية ثم انه حمل
على الاغا شاهين فتلقاه كما تلقى الارض العطشانة أوائل المطر بقلب أقوي من
الحجر وجنان اجري من تيار البحر وطلع عليهما الغبار وغابا عن الابصار
وتطاوت اليهما أعين النظار وايقن كل منهما بشرب كأس البوار واتصلا غبار
التراب وأخذ الاثنان في أخذ ورد وقرب وبعد ألى أن وقعت الشمس في قبة
الملك وايقن كل واحد انه هلك وقد خرج منهما طعنتين أصليتين فكان السابق

بالطعنة الاغا شاهين فوقعت في صدر عدو الله خرجت من ظهره وعجل الله
بروحه الي النار وبئس القرار

(قال الراوي) فلما رأنا الافرنج الي ملكها قتيلا وفي دماه جديل
فحملوا على الاغاشاهين من كل مكان وجانب وعملت القواضب وحملت الاسلام
في جميع المواكب وتكدرت المشارق والمغارب وصاقت الطرق على الحارب
وتخضبت بالدماء الحما والشوارب وصاحت الابطال وعمل للقتال وكثر النزال
وترزنت الارض بالوزال وصارت الدماء مثل السيل اذا سال فله در الاغا
شاهين وما فعل فكم جنبدل من بطل لانه هاج في المعركة كما تهيج لحول الجمال
وضرب الاعداء بالسيف الفصايل ومدد أكرهم على الرمال وما كانت الاساعة
من النهار على ذلك الميارحتى ولوا الكفار الادبار وركنوا الي الحرب والفرار
وقد تركوا خيامهم وأثقالهم وما عز لديهم وأموالهم فعند ذلك صاح الاغا
شاهين على الاسلام وقال لهم دونكم وهؤلاء اللثام استقوم كقوس الحمام ثم
انه تبع الكفار في تسعين ألف فارس كراو وترك الباقي يلعبون الاسلاب وما
خلفوه الكفار الكلاب وما زالت الاسلام الايرار تابسة الكفار الي أن
أوصلوهم الي أرضهم والديار وعمل فيهم النار وهجموا على الموسكف وأسقوهم
كاس التلغ فعند ذلك صاح الكفار طلبت الامان على عيالهم والنسوان
قالوا ها نحن لكم وبين أيديكم عن يقين ونحن مستجيرين بالاغاشاهين (ياساده)
فلما سمع الاغا شاهين كلامهم أمر برفع السيف عنهم بعد ما أخذوا أموالهم
وذخيرهم وما تحتويه أيديهم وارنحل بعد ذلك وطلب وادى القوم وأسقى
كل ما فيه كاس القم وأبلاهم بالويل والعدم وأخذ ذخايرهم والنعم وبعد ذلك
أمر عساكره بالارتحال وطلب بر المركس وبذل السيف في الرجال وأباد
الابطال وافنا الاقبال واحتوى علي ما فيه من الاموال وأخذ الاسلاب والامتنعة
والجواهر ومن كل شيء فاخر وقد جمع الاموال والاتقال وولي علي تلك البلاد

التي ملكها من يصلح من دولتهم ورتب عليهم الخراج والجزية في كل عام ثلاثون ألف دينار فأجابوا الجميع بالسمع والطاعة وكتب عليهم بذلك الحجج وتماهدوا على ذلك وعاد الاغا شاهين فرحان بالنصر والظفر من رب العالمين الى ان أقبل الى برصا فلما وصلت أخبار المبشرين الى أخيه مسعود بيك ان أخيك قد أقبل ومعه اموال تسد الفضا وتملا المستوى فلما سمع مسعود بيك ذلك الكلام اخذه الفرح والابتسام وفرح الفرح الشديد الذي ما عليه من مزيد وامران تزين مدينة برصا لقدومه فعملت اهل المدينة المهرجان والزينة ونزل الى لقاء وسلم عليه وبالسلاطة هناء وفرقوا على الرجال شيئا كثير من تلك الاموال والباقي دخل الخزائن وجلس الاغا شاهين وهو فرحان والى حانبه عثمان بيك بن عثمان (ياساده) هذا وقد تعجبت الناس من فعال الاغا شاهين وقد حسدوه وقد كثر فيه التكلام واكثر الناس يقولون هذا فعاله على صغر سنه فلذا يكون في كبره وقيل ان الحسد يورث النكد فبالامر المقتدر والقضاء المبرم انه مرض مرضا شديدا ما عليه من مزيد وقد اشرف منه على الهلاك وسوء الارتباك وتجارت عليه الحكماء والفلاسفة وغيرهم ولم يعرفوا له دواء ابدا وأيقن الاغا شاهين بشرب كأس الرداء.

(قال الراوي) فلما كان يوم من الايام وهو في أشد مرضه اذ دخل عليه رجل رمال وسلم عليه وتقدم اليه وقال له ياسيدي أنا أدلك على مافيه الصلاح والرشد والنجاح فقال له الاغا شاهين أيها الرمال قل واخبرني بما تريد من المقال فعند ذلك ضرب الرمل وحققه وبين اشكاله ودققه وقال له اعلم ياسيدي انه قد بان لي في الرمل انك تسافر من هنا الى ارض يقال لها ارض مصر وفيها بقعة يقال لها البساتين واعلم ياسيدي ان سبب ماسميته بالبساتين كان بها رجل يهودي يقال له اسحاق وكان يعرف الاسحار وهو شيطان مكار فاصطنع في العقبة بساتين بعلوم الاقلام مع ارهاط الجان وكان فيها من كل فاكهة وزوجان

واصطنع بها ايضا بحر عجاج متلاطم بالامواج وكان يجرى وله تيسار يقصف
 البحار وكان كل من يراه يظن انه بحر وهو مافيه من الماء ولا فطرة وقد مرض
 اسحاق اليهودي وأشرف على الموت وكان له ولد يقال له عزرين فأحضره
 وأعلمه بالارصاد قبل موته وهلك الملعون وذهبت روحه الى الاحترق
 وتولى عزرين على ذلك المكان بعد ابيه ولعب في الارصاد ففك الرصد الذي
 للبحر فسار لايجرى ولا احد يرى فيه شيء فسمى بحر بلا ماء واعلم ياسيدى
 ان ذلك المكان اذا انت امت فيه ثلاثة شهور تبرىء باذن الملك الغفور ولكن
 اذا شفاك الله تعالى الملك الجواد ابطل ما في الارصاد ولا تبقى لليهودى هناك
 اثر في ذلك المكان الازهر فقال الاغاشاهين اذا كان الامر على ما ذكرت والحال
 كما وصفت فان هذا الامر سهل باذن الله عز وجل ثم اجابه بالسمع والطاعة
 وكان الاغاشاهين يثق بكلام الرمال ويصدقونه في كل الاحوال فعند ذلك قام
 من وقته وساعته وجيز نفسه وركب فيمن شاه من دولة وسار طالب ارض
 مصر بعد ان اجلس أخيه مسعود بيك على برصا وقال له اذا وفي العام أرسل
 الى البلاد وأجلب الخراج وأجمعه عندك لاجل ان يعملوا شأني وشأنك فقال
 له سمعا وطاعة يا سادة ثم سار الاغاشاهين ولم يزل يجد المسير وسرعة الجدد
 والتشجير الى ان أقبل الى أرض مصر ودخل بها ووصل الى تلك العقبة واجتمع
 بعزرين اليهودي واغواه بالمال والجواهر والخليل والبغال واشترى منه ذلك
 المكان وأخذ حاجته منه وأفسد الارصاد فذهبت البساتين وبحر بلا ماء وسكن
 الاغاشاهين مدة يسيرة فاشتد سجاوت له العافية وحمد الله تعالى وأمر بمارة
 البيب بعمروه وأصلحوه وقد وجد فيه قاعة عظيمة فيه صفة السلطان والدولة
 واستولى كل شيء في مكانه بعون الله وسلطانه وأقام الاغاشاهين في ذلك
 المكان تمام الستة أشهر فصار كانه مامرر أبدا فشكر الله تعالى على السلامة
 الى ان كان بعض الايام وكان يوم الجمعة اراد أن يصلى في سيدنا الحسين فركب

فبين عنده وصار طالب الحسين الى ان وصل الى الرملة فالتقا بالملك الصالح
كما ذكرنا وقد قال في نفسه انه يخدمنا كما وصفنا

قال الراوي ثم ان الملك الصالح التفت الى الاغا شاهين وقال له اعلم يا شاهين
انا رجل اظفر الخوص واعمل المقاطف ولا أعرف السلطنة ولا أعرف أحكامها فهل
لك أن تكون معي والبسك وزير أعظم وانا ما عندي خدمة ولا محتاج الى أحد
يخدمني رضيت يا شاهين قال رضيت يا أمير المؤمنين (يا سادة) وأتينا ذكرنا أن
الملك الصالح لما تولى السلطنة شرط على نفسه انه لا يأكل شيئاً من أموال السلطنة
وله لا يأكل كل الامن شغل يده وصار يظفر الخوص وكانت هذه عادة وشغله
وصنعتة ثم ان الملك الصالح قال يا شاهين تأخذ حق المظلوم عن ظلمه وتحكم بالعدل
والله عليك من الشاهدين رضيت يا شاهين قال رضيت يا أمير المؤمنين قال له لعنة
الله على من يعزلك الا بالموت رضيت يا شاهين قال له نعم يا أمير المؤمنين قال له
أوليتك وزيراً أعظم وصدر معظم رضيت يا شاهين قال له نعم يا أمير المؤمنين
قال تأكل كل معي في الدقة والقراقيش قال نعم يا مولاي ففرح به الملك الصالح
ومديده الى الهواء وقال يادائم ثلاث مرات واقبض على شيء من الهواء وناوله
الى الوزير وقال له خذ هذا فآخذه واذا به كتاب يقال دلائل الاحكام فقال له الوزير
يا مولاي وما منفعة ذلك الكتاب فقال اعلم انه اذا تصرت عليك دعوى فقمكها من
هذا يا شاهين واحترص عليه غاية التمكن فانك موعوده وهو انه كان لاحد
ابن باديس السبكي وقد جعله في مكان كذا وكذا وانا آتيتك به منه لاجل راحتك
وتكامل عزتك فقبل الوزير يدة وسار الاثنان الى أن دخلا الحسين وصلوا الجمعة
وعادوا بعد أن دخلوا وقرأوا الفاتحة لاهل الله على التمام اكلوا من الدقة والقراقيش
وخرجوا من الحسين وساروا وطلع الملك الصالح بالاغا شاهين الى الديوان مكان
جلوسه واجلسه على شيء من الخوص فجلس رحمة الله عليه ولم يتكبر وقعد يتحدث
معه الى أن جاء وقت العصر فتودع الاغا شاهين من الخليفة وقام يردد البساتين فقال له

الملك الصالح غداة اثني الى ديوانى فقال سماعا وطاعة لله ولا مير المؤمنين ونزل من الديوان وهو منشراح الخاطر وسار الى منزله الذي بالبساتين وبات فيه تلك الليلة وهو فرحان بما قد ناله من ذلك الامر والشأن الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح وطلعت الشمس على الداب والبطاح وسلمت على سيدنا محمد زين الملاح ركب الوزير شاهين الا فرم وسار الى ديوان الملك الصالح وكان الملك الصالح نزل الى الديوان وحوله الامراء والفرسان والوزير شاهين دخل اليه وسلم عليه وقبل الارض بين يديه ففرح به الملك الصالح ور عليه السلام باحسن التحية والاكرام وأجلسه الى جانبه اليمين وتكامل الديوان وحكم في ذلك اليوم الوزير شاهين وعدل وما ظلم فشكره الملك الصالح على ذلك هذا وقوتداولت الايام والشهور والاهوام فيوم من الايام بينما الملك الصالح جالس واذا بأربعة يقبلون الارض بين يديه فقال الملك الصالح ما الخبر فقالوا يا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين اعلم أننا نحن رسل السيدة فاطمة شجرة الدر بنت أمير المؤمنين المقتدر بالله تعالى وقد أمرتنا أن نقول لك أن الارض أرضها ومصرها وان حجتها معها وهي تأمرك أن تنزل من على التخت وهي توليه لمن تريد من السادات أو من العبيد

قال الراوى فلما سمع الملك ذلك الكلام وما قالوه من المرام أخذته الغضب وزاد غيظه والعجب وقد رآه الوزير على ذلك الامر الخطير فقال له اعلم يا أمير المؤمنين وخليفة النبي الامين ان ما ذكره الرسل فهو حق وما تكلمت به السيدة فهو حق لاسيما وقد ورثت الارض عن ابيها ومعهما تشريف بخط الملك وختمه فطاعن فيه الاجانب وان كلام الملوك تمام وما رسوبه لا بد من الاتمام ولو كان خلاف ما فيه المصالح للانام واني أقول لك ان هذا الامر ماله غير الخيل والجداع وقد قال القائل في المعنى

دارهم مادمت في دارهم وحبيهم مادامت في حبيهم

واتبع فتات المكر حتى تنال ما تروم من الامر
فالصبر قليل على هذا القليل فبالصبر تكفى كل أمر وييل

قال الراوي فلما سمع الملك ذلك الكلام من الوزير علم انه بالامور خبير فقال له
والله يا شاهين لقد تكلمت بالصحيح وما قلته فهو عندي مليح لكن الرأي الصحيح
انك تنزل اليها وتسلم عليها وتقبل الارض بين يديها وأعطيتها حق الخدمة وانظر
ما الخبر ودبر هذا الامر بفعلك وأمر فيه برأيك فكل ما تراه حسن فهو عندي
أحسن فأجابه الوزير بالسمع والطاعة ثم زل الوزير من عند الملك تلك الساعة
قال الراوي وكان للسيدة في ذلك شأن عجيب وأمر مطرب بديع غريب
أريد أن أسوقه على الترتيب بعد الصلاة على النبي الحبيب صاحب البردة والقضيب
وذلك أن السيدة فاطمة بعد أن تداولت عليها الايام وأن لها الاوان في علم الملك
الديان من اتقاد المشيئة والامتنان اشتاقت الى الحج ذلك العام والى زيارة النبي
عليه الصلاة والسلام وقد اشتغل خاطرها ليلا ونهاراً وصارت لا يأخذها قراراً
وقد أكرت من الشوق والبكاء والالان والاشتكاء ثم ازداد ما بها وقيل اكلمها
وشربها وعدمت صبرها وجلدها وقصدت غرفة نومها فأخذت ما لها ونوالها وثيابها
وخدماتها وطلبت الاقطار الحجازية وكان مرادها الاقامة هناك بالكلية وتنفق جميع
ما معها من الاموال على الفقراء وأصحاب العيال الى أن حوت بتلك البقاع
لينا لها أعظم انتفاع هذا وقد ركبت دابنها وأخذت باقي عشيرتها ومن أراد مثل
ما تريد ثم طلبت الارض والصعيد وكلما أتت على واد من الاودية أو قطر من
الاقطار يتلقونها الكبار والصغار ويخرجون اليها الاقامات ويسمعون في خدمتها
ورضاها جميع السادات ويكرمونها غاية الاكرام حتى ما يعلموا انها بنت الامام
وصارت هذه عادتها وهي تسأل على العيان من قومها وتدانيه واذا بلغها أمر مريض
أقامت تسأل الله يشفيه ولم تزل على ذلك الحال الى أن جاوزت القياض والتلال

وأقبلت الى أن وصلت الى أرض مصر السعيدة وأمرت بنصب الوطاقات فانتصبت
وقامت بالوطاقات الى ثاني الايام فلم نجد أحداً يلقاها ولا يكرم مشواها ومع ذلك
كان الوزير يعرفها وكذلك الصالح لا ينكرها غير أنهم لا يعلمون أن هذه الارض
أرضها وحجتها بيدها ولذلك تركوها ولم نجد أحداً منهم يلقاها ولا سألوها
فصبرت الى ثاني الايام وهي على هذا المرام فلما آتت من ذلك غضبت غضباً
شديداً ما عليه من مزيد وقالت واعجباه كيف ان البلاد جميعها يكرمونني ويهادونني
ويوادونني ولم يكن لي عليهم أيادي وكيف أن هؤلاء القوم لا يكرمونني وهم
يأكلون في بلادهم ويستمتعون بسوادي ولا يبالون بي ولا يمتنونني فوالله لا كان
ذلك أبداً ولو سقيت كس الردي وأنا أولى بأرضي منهم وسوف أبعدهم عنها
وأطردهم فقال لها بعض جلاسها ياسيدتي لا تمجلي فرعاً كان هناك مانع والصبر
أولى من الاستعجال فكاتبهم وانتظري رد الجواب ليظهر لك السؤال والخطاب
فلما سمعت من جلسائها ما ذكر أرسلت هؤلاء الاربعة القصار وقالت لهم جميع
ماذكروه فساروا الى أن أقبلوا الى أمير المؤمنين فاعلموه بما جرى عن يقين فغضب
كما ذكرنا وصوب الوزير كما وصفنا ونزل الاغشاهين كما قدمنا فكان أصل السبب
هكذا وسرّج الى كلامنا باذن من لا يحول ولا يزول (ياسادة يا كرام) ولم
يزل الوزير الاغشاهين سائر الى أن وقعت العين على العين ونظروا الى بعضهم
الاثنين فتسمى الوزير بين يدي السيدة فاطمة وتأخر الى ورائه ثم غنى ثانياً وثالثاً
وقد رأت السيدة فاطمة بهي المنظر حسن الخبر الشجاعة لأئمة بين عينيه تشهده
ولا تشهد عليه فصارت تنظر الى آخر مرامه وما ينتهي اليه كلامه هذا وقد
قبل الارض مرة أخرى ووقف واعتدل وقال هذه الايات صلوا على سيد السادات
ألا يا كرام الاصل بالله فاعطفوا على عبد أتى اليكم ذليل
أنتم السادة في كل الملا وأنتم الشفا لقب العليل
أتيتكم بانكسار فارحموا من في حكم أضحى نزيل

يرجو القبول من آل الرسول يريد الوصول الى السليم
 فناء الغرام وداء السقام فيا أهل المقام خنوا على الهزيل
 أنتم السادات أهل الكفاء ونحن الرعاة في البر الطويل
 فاحسنوا لنا أتم سادتنا ولا تأخذونا بقالها الويل
 ان كنا معبرين فأتم الاكرمين وكم مثلنا خادمين الى الرحيل
 تجاه المصطفى صاحب الصفا والكارم والوفاء والتاج والاكيل
 ارحموا بحق المرسلين وآلهم والتابعين ومن يحبهم أضحي قتيلا
 قال الراوى ثم ان الوزير لما فرغ من شعره ونظامه نعى بين يدي السيدة
 فاطمة كل ذلك وهي تنظر اليه باهتة شاخصة فلما سمعت ما تكلم به من الكلام
 وما قاله من الشعر والنظام تبسمت ضاحكة وتقدمت بنفسها حتى قربت منه
 فقالت له من أنت وما تكون وما الذي تريد فقال لها ياسيدي أنا خادم الملك
 الصالح أيوب ولي الله المجذوب وقد أرسلني اليك وانه يقبل يديك ويثني بالسلام
 عليك فقالت له وما اسمك قال لها اسمي شاهين الافرم فلما سمعت تعجبت غاية
 العجب وقالت له لملك من برصة فقال لها نعم هي بلدي فقالت له وما السبب
 في مجيئك الى هذه الديار واقامتك بأرض الامصار فأطاد عليها القصة من أولها
 الى آخرها وكشف لها عن باطنها وظاهرها فلما سمعت منه ذلك صدقته في كلامه
 وأمرت باكرامه لانها كانت تعرفه من قديم الزمان وسالف العصور والاولاد وان
 المقتدر كان يكاتب أبي الوزير والآخري كان به وكانت السيدة تسمع من أبوها
 حديث الاغا شاهين وانه قد صار فارسا عظيم وبطلا جسيم فلما علمت حاله وماتكم
 به من قصته عطفت عليه وقالت له ولا شيء مما زلت أنت وهذا الملك الى لقائي
 مثل ما فعلوا غيركم من الناس الذين لا يعرفوني ولا يأتون في أرضي فقال لها
 وقد أحسن في كلامه يا سيدتي اننا لم يبلغنا الخبر بحضورك الى هذا المكان
 الا بالامس ولما بلغ الملك ذلك جعل ينهيا الى اللقاء والمقابلة وأنا كنت مقبل

الى حضرتك ذلك اليوم ولولم يأت رسولك الينا والآن فابقى لك الالزمة
الملكية والاقامات المستوفية وكل ما أمرني به مطاع فتسك الامر وسنا
الاستماع ثم ان الوزير مازال بها وهو يمازجها ويتحايل عليها ويعدحها ويثني عليها
يحسن معرفته وفطاته الى أن لان جانبها وطاب قلبها وخاطرها ثم سمحت له في
الضيافة وطاب على قلبها فعند ذلك أمر الرجال بنقل الاثقال وسار مع السيدة
يمازجها الي أن رأت القلعة فقد أقبلت الى السرايا باذن رب البرايا هذا وقد علم
الملك الصالح بمجيئها فنهيا الى لقاءها ولبس أنغر الملائس وكان كل ذلك بمشورة
الاغا شاهين ثم انه قابها وسلم عليها فردت عليه السلام وطاب بينهما الكلام
وهي داخل الستار وهو خارج مع الحضار فلما تكلمت مع الصالح أيوب أوقع الله
حبه في قلبها وصارت قتيلا تحدينه عن أكلها ونومها هذا وقد أقامت على ذلك
المرام وهي في ألد مقام مدة ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع أقبل الاغاشاهين
على الملك وقال له يا أمير المؤمنين اعلم ان السيدة فاطمة معها حجة من أبيها بأرض
مصر وأقطارها ولم يكن أحد يمانعها في ملكها لان كلام الملوك تمام والذي أريد
أن أشيره اليك سوف ألقيه بين يديك فان رأيت فيه اصلاح فاقبله وان كان غير
ذلك فامله فقال له تكلم بما تريد فانت عندي رشيد وكلامك مفيد فقال له أريد
الامان من ملك الزمان فقال له عليك الامان ولك الزمان فقال اعلم يا أمير المؤمنين
ان السلطنة لم تثبت لك ولا هي حقك الا بحركة واحدة وذلك انك تزوج بهذه
السيدة وتأخذ الحجة منها وتصير من الآن ولي أمرها فاذا فعلت ذلك تثبت لك
السلطنة دون العباد واطاعتك جميع العباد وأهل البلاد من غير عناد فقال له وكيف
ذلك يا وزير الزمان فقال له ان سلمت الى الامر فأنا أنهيه على خير ما يكون
باذن من لا تراه الميون فقال له الامر اليك فافعل ما تريد فعند ذلك نزل الاغاشاهين
وتوجه الى السراية واستأذن للدخول على السيدة فأذنت له فدنى خلف الستار
وتنمى فأمرته بالجلوس فجلس فلما استقر به الجلوس قالت له يا أغاشاهين قال نعم

فقلت له ما تقول في أرض مصرنا اما انكم تحلو اعننا واما أن تدفعوا اخر اجها فقال لها يا سيدتي أمرك مطاع فالارض أرضك ونحن عبيدك وخدامك فان تركتها لنا فنحن نواب حفظناها بكل الاسباب وان وليت غيرنا فأنت المالكة لقنا غير أني أقول انه لم يوجد أحد يقيم بهامثل هذا الملك الصالح لانه في كل الامور ناصح وأنا معي كلام خلاف ذلك وأريد من حضرة مولانا الامان فقلت له تكلم بما معك من الجواب وخذرد الخطاب فقال يا سيدتي ما على الرسول الا البلاغ ها أنا أخذت الامان وما علي في ذلك من جناح ثم أن الوزير نهض على الاقدام واستقبل الستار وخطب خطبة بليغة للزواج فقال (الحمد لله) الذي حلل النكاح وحرم السفاح وأجرى بقدرته الرياح خلق الخلق بقدرته ومسكهم بحبل عصمته وأقامهم على سنته وجعلهم يتناسلون شيئاً بعد شيء وموتناً بعد صنف وما زال المؤمن متمسكاً بالكتاب لا يخاف ولا يفرح من الارتباب وبعد فقد قال أعز من قائل (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً وكان ربك قديراً) أعلمك أيتها السيدة الفاخرة ان الدنيا ساخرة والباقي الدار الآخرة فهنيئاً لمن تزود فيها بالخيرات وجعل رأس ماله الاعمال الصالحات وان الله تعالى خلق النساء للرجال ليظهر النسل باذن الله المتعال وان الملك الصالح نعم الدين أيوب ولي الله المجذوب قد تكدر عيشه وقل زاده وعاقه وقاده وتعلق قلبه بالحبة وشكى ذلك لجميع الإحبة فوددت أن أكون مؤلفاً بين اثنين في الجلال لارزق أجر شهيد مقيم في دار الجلال وأنه يريد أن ينشرف بقربك ويحطى بطلمتك وقدك وقد بعثني اليك بهذه الرسالة وهو باكي العين لا يخفى حاله فماذا أنت قائلة في ذلك كففاك الله شر المهالك

قال الراوي قلنا سمعت السيدة فاطمة ذلك الكلام تبسمت في وجهه وقد أظهرت الابتسام فظن الوزير أنها سمحت اليه بذلك المرام فقال لها يا سيدتي أعلميني بما تريدن حتي اني أخبر الملك الصالح فقالت له أعلم يا وزير الفطنة والخير

أنه لو كان رجل غيرك كنت قتلته ولكن لا أؤاخذك في ذلك غير أنك تعضي
 إلى الصالح وتأمره بالرحيل عن هذه الديار وأن يسكن غيرها من الأمصار
 وأنا أحكم فيها ما أريد من البادات أو من العبيد والسلام على نبي تظلة الغمام
 (قال) فلما سمع الوزير من السيدة ذلك الكلام تأخر إلى ورائه ورجع على
 عقبه وخفت قلبه وولى إلى ظهر السراة فبينما هو كذلك وإذا بالاغوات لآحقين
 به وهم ينادون عليه يا وزير الزمان وهويظن أنهم يطلبوه ليعاقبوه لاجل ذلك
 الشان ولم يزالوا خلفه حتى أدركوه وعن مسيره عوفوه وقالوا له ارجع إلى
 السيدة لأنها قد طلبتك لتقضي حاجتك فقال لهم أحقا ما تقولون قالوا نعم وحق
 من على العباد أنعم فرجع ثانيا إليها وهو بين المصدق والمكذب فلما وصل بين
 يديها أمرت له بالجلوس وقالت له قد قضى الله حاجتك وبلغك أمنيته أنت
 وصاحبك ومن الآن ها أنا بين يديه ولا أبخل بروحي عليه وأكون له أهلا
 وقد رضيته يكون لي بملا ولا حياء في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم ومن الذي يكره الحلال فمعد ذلك فرح الوزير فرحا شديدا
 ما عليه من مزيد وقال لها يا سيدتي أنا ما سئيت في ذلك إلا لما علمت أنه ليس
 بحرام ولكني تعجبت في أمرك غاية المعجب وكيف أنك رضيته بذلك بعد
 أن كنت امتنعت فإسبب الذي أوجب للطاعة فقالت له اعلم أيها الوزير أن
 هذا الملك له سر عجيب وأمر غريب وذلك أني بعد امتناعي ومسيرك من قدامي
 أخذتني سنة من النوم فوجدت الملك الصالح قد أتى ويده اليمن قد ضربني
 بحربة من النار وجعل يفرع بها علي ويقول لاي شيء ترجي وزيرني خائب
 من بين يديك ولا تقضى له حاجة وعزة الربوبية ان لم تقضي حاجته وتبلغيه
 أمنيته والا نفذت هذه الحربة من ظهرك وأنا الملك الصالح ثم صاح فانتبهت
 من نومي وصحت على الخدام أن أدركوه وأدركوك وإلى عندي أوصلوك
 واني قد رضيته بالزواج وأنت وكيلي من غير لجأج ثم خلعت على الوزير خلعة

سنية وأوهبته جزيل العطية وأمرته بالمسير الي سيده الملك الصالح فصار اليه وقبل الارض بين يديه فوجده يندندن ويقول ياسلام ياسلام وعزة الله الابدية لا بد عن ذلك وكلام الوزير مؤيدا بقدره الله هذا وقد أقبل الوزير فقال له الملك الصالح يا وزير لا بد أن السيدة فاطمة قد أقامتك وكلا في عقد الزواج فقال له كما ذكرت يا أمير المؤمنين فقال له لا بد أنها تمزنت عليك وأظهرت في وجهك الغضب فقال لا يا أمير المؤمنين بل فرحت بذلك واستبشرت وخلعت علي وأوهبت وسيرت اليك بقضاء الحاجة قال ولم يذكر له شيء مما جري من السيدة فقال له هكذا يا وزير الزمان شأن الوزراء أهل العرفان ثم أن الملك أمر بتجهيز الولائم واصطناع الاطبخة الفاخرة والملابس وكل ما يحتاجون اليه وذلك كله بأمر الوزير الاغا شاهين وقد أمر الوزير باحضار ثلاث خرفات من المال من بيت مال المسلمين فاحضروها ثم أمر بتزخرف المكان وحضرت الامراء وأرباب الديوان والقاضى وشيخ الاسلام ونهض الملك الصالح ووقف بين يدي الشيخ وقال له يا مولاي اعلم أن المقتدر بالله له بنت يقال لها السيدة فاطمة وقد أقبلت تريد الحج الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه وآله الصلاة والسلام فوصلت الى الاقطار المصرية فطلبتها للزواج وارسلت اليها الوزير فاخبرني بأنها أجابت والآن فاسألوها وفي أمرها فاستشيروها فقام شيخ الاسلام ووقف خلف الستار وسأل السيدة عن ذلك الاخبار فاخبرته بأن الوزير وكيلها وفي كل الامور هو مشيرها فرجع وأعلم السادات بما قالته السيدة فاطمة من الخطابات ثم انعقد العقد عليها بمحضرة الجميع وأخرج الوزير الى شيخ الاسلام عقدا من الجوهر وانشرت الشريات وتفرقت العطايات ولم يبق بين الملك الصالح وبين السيدة حجاب ثم أقاموا على ذلك المنوال الى أن اتى طلوع الحجاز بعد شهر رمضان قال فاخبرت الملك الصالح أنها تريد الحج فاذن لها في ذلك ثم أمر الاغا شاهين أن يتوجه معها الى الاقطار الحجازية لزيارة خير البرية ثم شرعت السيدة

في المحمل المصري وكسوة الكعبة وأخذت معها العوايد الى العراق ثم نادى المنادي
معاشر الناس كل من كان يريد الحجاز ان ليس معه راحلة فيتأهب الى السفر على راحلة
السلطنة ويتوجه مع السيدة فاطمة على غاية ما يريد محبة في رسول الله الملك
المجيد (ياساده) فلما وقعت المناداة قبل كل من كان مشتاق ثم أخرجت الخيول
المسومة وكان عدتها مائتان أربعة وأربعون حصان بالسروج المذهبة والنقوش
السكرية ثم رتبت كاتب السر وجمعت الاغا شاهين أمير حج وسارت السيدة
فاطمة بالركب وبين يديها جيوش الملك وأغوات وعساكر المملكة بالنوبة التركي
والمزامير الملصكي وقرعت المدافع وخرجت البنت من خدرها والمرأة من خياها
وتزينت أرض مصر وسار الموكب والمحمل الى جهة الحصوة ونزلت السيدة
فاطمة هناك وقد ساروا الناس يتأهبون الى الرحيل كما قال في مثل ذلك الشاعر
النبيل حيث يقول صلوا على طه الرسول

ترك ديارى ثم أهلى ورفقتي	في حب من هو ضمن العاجزين
وهجرت نوى في حبه	وزاد شوقى البكا والالين
وما يغسل ذنوبى سوى نظرة	الى من سيد المرسلين
طه الذى بمث رحمة	الى كافة العالمين
من صلى وسلم عليه الاله	وقد خصصه البارئ بحسن اليقين
جار الفزال واحما الضلال	ويوم القتال أفضى المشركين
كن زخري يوم حشري	يانغرى بن سسى طه ويس
يا هنا من لاذ بأرض الحجاز	وسلك النجاز مع العايزين
كن لى ضمن يا شفيع المذنبين	أنت الامين امام المتقين
قال الراوى وقد مضى اليوم الاول والثانى والثالث وقلت هذا المعنى	
يادليل الركب عندى أقيم	قال لى المسافر مسافرو المقيم مقيم
وأيضاً قيل في حقهم	

مقام الغريب بكل أرض كبنيان القصور على الثلوج
يهب الريح تهدم البنايا وقد عزم الغريب على الخروج
قال الراوي ثم سافرت السيدة والاغا شاهين وما زالت تفعل الخيرات التي
يطول الشرح فيها الى أن وقفت بمرقات وطلبت من الله نوال الحاجات وقضت
الفريضة وتوجهت الى المدينة وزارات وسلمت وصلت ودعت وبما شاءت
تكلمت وقد نظمت هذه الايات صلوا على سيد السادات

ألا يا رسول الله ياخير مرسل	كن لي شفيعاً بأجل الوري قدرا
رما الله أياماً تقضت بطيبة	ليال ومالي لا علمت له قدرا
ليال لو تباع شرئها	بروحي ولكن لا تباع ولا تشري
سألت الهى قبل موتى نظرة	الى طيبة المعجبا والقبه الخضرا
وأنظر بعيني الخطيم وزمزم	وجبل قبيس والكعبة الغرا
وأدخل من باب السلام مسلماً	على المصطفى الهادي وأفرح بالبشرا
وأقول لعيني أنظري وتمتعي	وأقول لقلبي قد بلغت ذا الفخرا
وقل يا رسول الله جئتك قاصداً	ياخير مسئول ومن عشى على الغبرا
ويا من جار الغزال اذا أتت	ويا من له الاقدام قد غاص بالصخرا
اجرني اجرني يا ملاذى ومسندى	فأنت ضميري من وقفة عثرا

قال الراوي ثم قرأت ما تيسر لها من كلام الله القديم وسلمت على الرسول
الامين وتأخرت بظهرها الى خارج الحجرة النبوية وهي في غايه الادب بالكلية
وتقدم الوزير الاغا شاهين وقبل الارض بين يدي رسول رب العالمين وشكا
اليه حاله وشكا كل ما رأى من أحواله ودعا وطلب وتوسل بالرسول الى من
احتجب وفرأ ما تيسر له من القرآن وسأل الله القبول والاحسان وتعلق بأذبال
الحجرة وتأخر الى ورائه وهو في غايه الاحتشام وأنشد يقول صلوا على طه الرسول
ألا يا رسول الله جئتك قاصداً أرجو رضاك وأحتي بحماك

والله يا خير الخلائق ان لي
 وبحق جاهك اني بك مفرم
 أنت الذي لولاك ما خلق امرأ
 أنت الذي من نورك البدر اكسى
 أنت الذي لما رفعت الى السما
 انت الذي ناداك ربك مرحبا
 انت الذي فينا سألت شفاعة
 انت الذي بك قد توسل آدم
 وبك الخليل دعا فعادت ناره
 ودعاك أيوب لضر منه
 وبك المسيح آتي بشيراً مخبراً
 وكذلك موسى لم يزل متوسلاً
 والانبيا وكل خلق في الوري
 لك معجزات أعجزت كل الوري
 نطق الذراع بسمه لك مملنا
 والذئب جاءك والغزالة قد أتت
 وكذا الوحوش أنت اليك وسلت
 ودعوت أشجاراً أمتك مطيعة
 والماء فاض براحتيك وسبحت
 عليك ظلمات الغمامة في الوري
 وكذلك لا أثر لمشيك في الترا
 وشفيت ذا العاهات من أمراضهم
 ورددت عين قتادة بعد العما

قلباً مشوقاً لا يروم سواك
 والله يعلم اني أهواك
 كلا ولا خلق الوري لولاك
 والشمس مشرفة بنور يهاك
 بك قد سمت وتزينت بسراك
 ولقد دعاك لقربه وحباك
 ناداك ربك لم تكن لسواك
 من زلة لديه وهو أباك
 برداً وقد خدت بنور سنالك
 فازيل عنه الضر حين دعاك
 بصفات حسنك مادحاً لملاك
 بك في القيامة عثم بحماك
 والرسل والاملاك تحت لواءك
 وفضائل جللت فلت تحماك
 والضرب قد لباك حين لقاءك
 بك تستجير وتحمي بحماك
 وشكى البعير اليك حين لقاءك
 وسعت اليك بحبيبة لنداك
 صم الحصا بالفضل في يمناك
 والجذع حن الى كريم لقاءك
 والصخر قد غاصت به قدماك
 وملائت كل الارض من جدواك
 وابن الحصين شفيته بلماك

وكذا حبيب وابن عطر بعد ما
دعني من رمد به داووته
وسألت ربك في ابن جابر بعدما
ومست شاة لام معبد بعد ما
ودعوت عام القحط ربك معلنا
ودعوت كل الخلق فانقادوا الى
وخفضت دين الكفر يا علم الهدى
أعداك عادوا في العذاب بجمعهم
في يوم بدر قد أتتك ملائكة
والفتح جاءك يوم فتحك مكة
هود ويونس من بهاك تجملا
قد فقت يا طه جميع الانبياء
والله يا يس منك لم يكن
عن وصفك الشعراء يا مدثر
انجيل عيسى قد أتى بك غبرا
ماذا يقول المادحون وما عسى
والله لو ان البحار مدادهم
لم يقدر الثقلان تجميع نذره
بك لي قليب مغرم يا سيدي
واذا سمعت فميك جسمي كله
واذا سألت فميك قولاً طيباً
يا مالكي كن شافعي من فاتي
يا أكرم الثقلين يا كنز الوري

جرحا شفيتها بلمس يداك
في خير فشفي بطيب لماسك
ان مات أحياء وقد أَرْضاك
نشفت فدرت من شفا رقيقاك
فأنهل قطر السحب حين دعاك
دعواك طوعاً سامعين نذاك
ورفعت دينك فاستقام هناك
صرعى وقد حرموا الرضى بجنالك
من عند ربك قانت أعداك
والنصر في الاحزاب قد وافاك
وجال يوسف من ضياء سنالك
طراً فسبحان الذي أسراك
في العالمين وحق من نباك
عجزوا وكلوا عن صفات علاك
وأتى الكتاب لنا بمدح حلاك
أن تجميع الكتاب من معنالك
والشعب أقلام جعلن لذاك
أبدا وما استطاعوا له ادراك
وحشاشني محشوة بهواك
واذا نطق فادح لملاك
واذا نظرت فما ارى الاك
انى فقير في الوري لفضلك
جد لي مجودك وارضى برضاك

انا طامع بالجود منك ولم يكن لي في العالمين سواك
 فمساك تشفع لي يوم اللقا فلقد غدوت متمسكا بمرآك
 فأنت أكرم شافع ومشفع ومن التجى بحماك نال وفاك
 فاجعل قراي شفاعا لي في غد فمسي أكن في الحشر تحت لواءك
 صلى عليك الله يا علم الهدى ما حن مشتاق الى مثواك
 وعلى صحابتك الكرام جميعهم والتابعين وكل من والاك
 قال الراوي ثم تأخر الوزير بظهره الى خارج الحجر وأراد ان يمضي مع
 السيدة فاطمة واذا به تأمل فرأى شخصاً باكي العين في غاية الاحتشام واقفاً
 بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وقد بسط يديه وتلمي وصلى وسلم عليه
 وجعل يترنم بالاشعار وكانت أشعاره على عروض هذه القصيدة التي تكلم بها
 الوزير فسمعه وهو يقول هذه الايات صلوا على سيد السادات

يا غاديا نحو الحبيب عساك تقرأ سلامي اذا وصات هناك
 وقال السلام عليك يا خير الوري من منرم طول المدايهواك
 انت الذي لولاك ماسرت الطبيا كلا ولا عرف الهدى لولاك
 لولاك ما غفرت لآدم زلة لما التجى في ذنبه لحماك
 لولاك ما رفعت ليونس رتبة ولقد نجا من حوته بهداك
 لولاك ما كان ابن عمران ارتقي طرر الخطاب ونال من نجواك
 ولقد صريت الى المهيمن ليلة والله اهديه سر سراك
 بالجسم كان سراك لآعن ريبة وتحكمت من ملكه عيناك
 ناداك جبريل الامين مخاطباً لك بالكرامة عن رضا مولاك
 ان كان آدم صورة من خلقه فقد اصطفاك لحبه وهداك
 او كان نوح قد نجا بسفينة فمن العدا بالنار قد نجاك
 او كان ابراهيم أعطى خلة فقد اجتباك الله اذ ناداك

او كان اسماعيل جاء له الفدا
 او كان موسى للاله مناجياً
 أو كان عيسى نال قبلك رتبة
 قد حملت بالمعراج كل فضيلة
 فعليك يا خير الانام نحية
 سكن لي شفيماً يا أمل الوري
 صلى عليك الله يا علم الهدى
 صلاتي مع سلامي دائماً
 والف الف نحية نحية
 والمرسلين والاقربين جميعهم
 من ربه فكما فداه فذاك
 فليلة المعراج قد ناجاك
 فراتب المجموع قد اعطاك
 ورأيت جبار السماء وراءك
 تأتيك بالاقبال من مولاك
 واحنى يوم اللقاء بجمالك
 مادامت الدنيا بشمس هداك
 ما هب ريح الصبا لنحو حماك
 عليك مني وعلى صحبائك
 كل المحبين وكل من واقاك

قال الراوي هذا الكلام المعجيب والامر المطلوب البديع الغريب فلما فرغ
 المتكلم من هذه الايات والاغا شاهين شاخصين اليه ومنتظرين التقرب اليه
 يديه وقد سمعوا منه ذلك النظم البديع وتأمله الوزير واذا به الملك الكبير
 الصالح أيوب ولي الله المجذوب ياساده وقد رآته أيضاً السيدة فاطمة ونظرته
 بعينيها وسارت باهتة نحوه فلما فرغ مديحه غاب عن الابصار فلم يجدوا له خبر
 ولا وقمواله على أثر فتمعجب الوزير منه غاية العجب وثبتت عنده كرامات الصالح
 وزاد حب الملك في قلب السيدة فاطمة ثم عادوا خارجين وهم يقولون اللهم لانجعل
 هذا آخر العهد بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ياساده وقد زاد الوزير الاغا
 شاهين الاكرم واشتد وجهه واستعظم فباح بما في خاطره ونطق بما كتبه سره
 وصار هائماً لا يدرى ما يقول فقال هذه الايات صلوا على سيد السادات

قد زاد شوقي ولوعتي وطهبي
 الاشتاق قلبي الي لقاء حبيبي
 يا غايه مطلبى ومسكى وطهبي
 يا كزري ثم زخري ومنقدي
 فاقبل دعايا وشكوني ونحبي

وقل اجرتك يوم حشري في الوري وجعلتك من المادحين قريبي
 فجز تحت اللواء ولا تخف ولا تخش لوما وانت حبيبي
 فكل المحبين انا لهم ومن جبههم له في الشفاعة نصيب
 يا بختنا يوم القيامة بمحمد يسمعنا بصاحب اللوا والقضيب
 جعلت حبك مكسبي ومتاجري وجعلت مدحك لي نصبي
 لا اخش يوما وانت مشغمي ولا اخش ضرراً وانت طيبي
 اجرنى اجرنى يا ابن رامة انى بحبك مظنى يتيم غريب
 عليك صلى وسلم ربنا ما هب ربح عن غصن وطيب

قال الروى وبعد تمام حجهم ساروا راجعين الى نحو مصر متأهين ولم يزالوا
 سائرين وفي سيرهم مجدين الي أن أتوا الي العديلة ووصلت البشائر وكان الملك
 الصالح أيوب منتظر قدومهم ففرح غاية الفرح بوصولهم وأمر الناس بالزينة والذكر
 وتلاوة القرآن وقابلوا الحجاج من كان لهم من الاخوان وزال عن مصر القل
 والاحزان وربكت السيدة فاطمة مع الاغشاهين في موكب عظيم ووهبوا واعطوا
 ولم يزالوا كذلك الي أن وصلوا الي قلعة الجبل وقرعت لهم المدافع وطلعت الملكة
 الي السراية وحملت مولد الي خير البرية وشرعت في مولد الحسين والملك لا يمنحها
 عن ذلك ولا يتقرب منها الا بالسلام ولم يزالوا كذلك الي آخر العام وقد آن
 اوان الحجاز ففعلت مثل فعلها الاول وطلبت مع الوزير الاقطار الحجازية
 ولم تزل هذه حادتها في كل عام من الاعوام حتي كملت اثني عشر عاما وهي
 على هذا الترتيب فسبحان من جعل لها في هذا الخير نصيب كل هذا وهي بكر
 عذراء والملك الصالح مقيم مع ابنة عمه فلما كان العام الاثني عشر واقبلت من
 الحجاز شرع لها في الافراح والبيالي الملاح وطلبها الي التقرب اليه فأجابته
 ألى ما طلب فاعطى ووهب وأمر بالزينة ثلاثين يوما فلما كانت ليلة الزفاف نزل
 الملك مع السادات الاشراف وصلى معهم في جامع سيدنا الحسين وطلع الي السراية

وعبر فوجد الفراشات والحشرات والمساند والوسايد والورد والهام والافح
والاقحوان وقد أغلقوا عليه باب السراية وتقدمت السيدة فاطمة وباست
بده فجلس الى جانبها وتحادث معها وقد رآها على رأي الذي قال هذه الايات
صلوا على سيد السادات

بدمة حسن أفنت كل الوري ما لها في الملاح شبیه
إذا رمشت جرحت بلفظاتها كل من أتى يقارن التشبيه
قال الراوي فدنى الملك منها وجر الحسام على مجري الدم فلهرق لساعته
وفاحش على حدته وقد رآها درة مائقت ومطية لغيره ماركت فازاح بكارنها
وهجر بنت عمه بها وامر في الحال بمز لها فانتقلت في الصالحية وهي ديار أبرها
الصالحين وكان يقال لها السيدة شهوة وكانوا من الاكراد الايوبية وسيأتي
كلامهم في محله بمون الله وفضله

ياساده وقد أقام الملك مع السيدة فاطمة واحتوى علي جميع ممتلك يداها
وثبتت له السلطنة وأقام في عز وهنا وخبرو غنى وجلس يتعاطى الاحكام فهذا
ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وسنرجع الى مجيء ابيك التركاني وسبب محيئه من ذلك
الديار وتوجهه الى تلك الامصار وذلك كان له سبب عجيب وأمر مطرب بديع
غريب وذلك انه كان ملك من الملوك بارض الموصل وكان يحكم عليها وفدورها
عن أبيه وأبيه عن جده وكان ذلك الملك جبار عنيد وشيطان مرديد وكانت تأتي
اليه الاخبار بما يجري في كل الامصار فبالامر المقدر بلغه ان مصر عليها ملك
من الاكراد الايوبية يقال له الملك الصالح أيوب وذلك الرجل فقير الحال
لا يعرف السلطنة ولا له عليها احوال وله صناعة يعملها وهي انه يعمل الخوص
مقاطف وله سلاح من الخشب ونرس من خشب الجبذ وكل دولته مثله ولا له
رجال ولا يعرف أبطال ولا يدري حرب ولا قتال قال فلما جمع ملك الموصل

بذلك الكلام غار على مصر وأمر بتجهيز العساكر وجائهم من كل قطر ودفع لهم الاموال حتى صار في ركبة عظيمة وقال لا بد أن أملك أرض مصر فأنأحق بهامن الذي هو مالكمها ثم أنه جعل على أرض الموصل نايباً من الرجال وارصاه بحفظ الأرض وسار بمن معه من بلد الى بلد ومن محل الى محل حتى وصل الى أرض حلب احط عليها وقد تواصلت الاخبار الى نائب حلب فأغلق الابواب ورفع الحصارات وخرجت عليه جمل المدافع لخط على حد رمى النار ونزلت العساكر والرجال وكان في مراده ان يملك حلب ويحمل دماً أهلاً منسكب فابلاء الله تعالى بالمرض الشديد الذي ماعليه من مزيد فأيس من الدنيا وظن انه لاحق بالآخرة وقد ازداد مرضه ولم يملك غرضه هذا وقد أقبلت اليه الاطباء والحكماء وصاروا يداووه ويعالجوه ويلطفوه كل ذلك ولم يفده شيء بل زاد في عيابه وكثر آينه وشكواه وتألمه وبكاه وقد انتهت رجاله يمرض سيدهم فأنحلت عزائمهم وانكسرت شكوتهم وقلت همتهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر نائب حلب فانه سطر كتاب وارسله مع سيار وقال له عليك بارض مصر فأخذ السيار الكتاب وسار بمجدد السير في الغياض والادوية والشعاب وهو قاصد الى ذلك الرحاب فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر الملك فانه بات وأصبح مثلك يصلى على نبي له الوورد فتح ظهر جلس على التخت أحدث له الرجال أيداًهم بالسنة ردوا عليه بالفريضة الشرعية بسط أياديه قرأ الفاتحة وقال اللهم اهد نوابها الى جملة الفاعرين والعارفين الى روح الملك الذين تقدموا قبل وبعد ثم جلس وتكامل الديوان قرأ المفري آية من القرآن وختم رقى المرقى وختم دما الداعي وختم صاح جاويز الديوان وهو يقول

الملك لله دون الورى وكل ماسوي الله باطل
كل ما تراه عينك فانيا وكل فرح وحزن زائل
فلا يدوم سوى الآله ولا يبقى الا الكريم العادل

فأطلب كل الأمور منه ولا تخف فإله يعطي ما يشاء ويفضل
قال الملك صالح آمنا من إن كنا حتى اتصلنا سبعان من عنده كل ملك كمملوك
وكل غنى كصعلوك سبعان مالك المالك سبعان المنجي من الشدائد والمهلك يا شاهين
جار الرجل علينا ونحن لم نعمل له عين وكان مراده يقتل الناس وينهب أرضهم وبلادهم
ولكن الأرض محفوظة يا شاهين وربك رب الخيرات قادر على فرج العباد وهذه مصر
محروسة من أرادها سوءاً أهلكه الله يا حجاج شاهين فقال لا فاشاهين وقد تمعجب من
هذا الرجل يا أمير المؤمنين فقال له يا رجل لا تأخذ على كلامي فإني رجل فقير عبيط
فبينما الملك يدندن والوزير يتمعجب واذا بباب الديوان أرتج والستار احتج وسار
يقبل الأرض بين يدي الملك وهو يقول

سلامي على أهل المكارم والنعما سلام جزيل بالتفاوح فاخر
يخص منهم كبيرهم وصغيرهم ويمم أمير المؤمنين بمسك طاهر
قد اتيت اليكم طالبا لاحسانكم فاقبلوا من اتي لكم زائر
واوهبوه من بعض احسانكم فأنتم كرام كالبحار الزواخر
قال الملك الصالح من أنت قال له سيار وحامل كتاب قال له من اين والى اين
قال له حلب الشهباء قالت سائر المدن عبيدي وانا في تحت عز بين سعد وسعيد قال
الملك مامعك من الاخبار اخرج كتاب سلمه للوزير الاغا شاهين ووضع عليه
تفخذ الملك الصالح فقال الملك خذ هذا الكتاب يا قاضي الديوان واقرأه أسمع
أو الرجل والاخوان فقرأه للقاضي وجد في أوله

يا كتيباني اذا قرأك حبيبي قبل الاقدام وبوس اباديه
واقرأه مني جزيل السلام وزدة مني نحيمة تكفه
وقبل الاوض عند القفا وقال له محبك ياسيدي لا اوقيه
خطابا من عند نائب حلب الى بين ايادي أمير المؤمنين اعلم يا أمير المؤمنين

اتما مقيمون يوم تاريخ هذا الكتاب واذا بملك يقال له ايبك التركاني من ارض الموصل حط على الارض والبلاد فاغلقنا الابواب في وجهه وافئنا الحصارات لخط على جذو من النار فارسلنا اربعة جواسيس يكشفوا لنا على الاخبار فغابوا وعادوا الينا وقالوا انه يريد ارض مصر والشام ومرامه أخذ السلطنة وسائر بلاد الاسلام فما استقر به النزول حتى خصه الله بداء مهول وأبتلاه الله بمرض لا يعلم له دواء وانه الآن على حياض الموت واشتد عليه المرض حتى انه حارت فيه الاطباء ثم سطرنا لك هذا الكتاب واعلمناك بما كان من الخطاب فالارض ارضك ونحن خدامك وانا عبدك ارسل لنا جواب كافي نعمد عليه من فضلك والسلام علي نبي تظله الغمام

قال الراوي فلما رأى الملك ذلك وسمع ما في الجواب قال الملك اكتبوا له رد الجواب بانهم يفتحوا له حلب واذا مر برجاله الي جهة مصر أو الشام فلا يمنعه أحد من الانام والله يفعل ما يشاء فكتبوا له ما أمر به السلطان ورد السيار بالكتاب فهذا ما كان من هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر أيبك فانه زاد عليه المرض حتى صار كانه الدن الكبير وسار يتخطف نفسه حتى كاد ان يطير فيينا هو كذلك واذا مر به رجل من علماء الاعلام فسلم عليه فرد عليه السلام فجلس الى جانبه وجعل يحادثه ويسامره حتى انه احتوي على قلبه ثم قال له مالك يا ملك الزمان وسيد الملوك والاعيان فقال له كما تري بالاعيان فقال له ازال الله عنك البؤس ولا رأيت يوما ملبوس ألم يأتك حكماء يعالجوك ومن هذا المرض ينقذك فقال جاءني كثير وما زادوني الا تحسر فقال له انا أدوايك ومن هذه الامراض اشفيك فقال له جزاك الله كل الخير هذا وقد تقدم اليه وجعل يداويه بأدوية يخبرها وأعشاب يعرفها ثلاثة أسابيع حتى طاب وبراء الله من كل مصاب وجعل شفاءه على يد الشيخ المهاب كما أراد رب الارباب الذي جعل لكل شيء أسباب فلما

فأتى من مرضه وعلم بنفسه أقبل على ذلك الشيخ وقبل يديه ووقع جبهه في قلبه
 وعينيه فأكرمه ومدحه وأثنى عليه وقال له ما اسمك يا مولاي قال له اسمي
 الشيخ صلاح الدين قال له من أي أرض قال له من المراق وما ساقى إليك إلا
 الملك الخلاق فظن أنه ولي من أولياء الله الصالحين والعلماء العاملين فاعتقده
 وقربه ووجهه ولم يدر من هو ولا كيف حاله وما يعلم الغيب إلا الله تعالى
 قال الراوي وكان السبب في ذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب يريد
 أن يذكره على الترتيب بعد ألف صلاة وسلام على النبي الحبيب وذلك أنه كان في
 قديم الزمان وسابق العصر والاولان فرقة من العرب يقال لها طائفة بني سليم
 وكلهم كانوا مسلمين فتخلف منهم رجل يقال له عقبة اللعين ابن مصعب وكان داخله
 الفروور يوقع الفتن ويحجر كل الأمور حتى أنه أشرك بالله تعالى ومحمد رسول الله
 عليه وسلم وقد تقدمت قصته في غير هذه السيرة ثم تولد من نسله غلام العن وأضل
 سبيل يقال له معقب الويل فلما نشأ خلف غلام يقال له الحصين خلف معقب ومعقب
 خلف معمان ومعمان خلف نشران ونشران خلف اصفهان واصفهان خلف ولدين ذكرين
 الاول يقال له كرميول والآخر يقال له اصفوط فلما نشأ هذين الولدين وخرجوا
 إلى المكتب فخرج كرميول على أثر آبائه والاجداد وخرج اللعين اصفوط من أهل
 المناد ونداء عليهم الايام فأما البطرك كرميول فإنه قام بدير شهير بأرض الشام
 يقال له دير العامود والصليب المعقود وسار يعلم أولاد اللثام الانجيل ويعلمهم
 التحريم والتحليل وقد هرعت اليه اللثام بأولادها وسارت تقرأ عليه كتابا وأما
 اصفوط اللعين الملقب فانه سار يجمع أولاد الملوك ويفسدهم على أهلهم ويعلمهم
 الضلال وينفويهم وقد اجتمع عليه أربعون فسادا هو كبيرهم والمتكلم عليهم وساروا
 من أهل الفساد حتى أنهم يقتنصون البنات ويفسدون بهم في الشوارع والازقات
 ولا يخشون نفمة رب البريات وسارت لهم بذلك عادة وقد حادهم السعادة فهذا ما
 كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر البطرك كرميول فإنه مقيم يوم من الايام

اذ حضرا اليه ملك الكبار يقال له عبد الصايب صاحب جزائر البرغال ومعه ابنته
يقال لها فتنة المسيح فلما أقبل بها اليه قبل يديه وزجله وقال له اعلم اني قليل
الخلف والقدرة ولم يكن لي أولاد ذكور ولا اناث بالكلية فلما جاء عيد الشمانين
نذرت نذر للمسيح وهو انه ان رزقي بفلان او بفلانة وهبتها للتعليم وعاشت
التحليل والتحرير وجملتها راهبة وحفظتها الانجيل فاستجاب المسيح دعائي
وقبل نذري ووفائي ورزقي بهذه الفليونة وقد كبرت ونشأت واني اريد منك
انك تعلمها لي الانجيل والتحرير والتحليل وتنجرها يرجع الرهبان لاجل ان
تكون من أهل العرفان فقال له البطرك سمعا وطاعة ثم استلم منه البنت من
تلك الساعة وكان معها كل ما تحتاج اليه من الاكل والشرب وترك لها خادماً
يرسها وزكها عند الراهب وسار راجعاً الى بلاده فهذا ما كان من أمرها وسداده
قال وأما ما كان من أمر البطرك كرسميول قلبه سار يقري ذلك البنت ويعلمها
ويجتهد معها ويفهمها مدة أربع سنوات حتى صارت البنت تعرف القراءة فيوم
من الايام بينما هو جالس واذا بأخيه اصغوط داخل عليه ومعه الاربعون فلسم
عليه وجلس الى جانبه وقد نظر ذلك البنت الى جانب أخيه كرسميول فقال له
تعلق قلبه بها وبهت الى حسنها وجمالها من هذه البنت قال له هي من أولاد الملوك
فقال له انها جميلة الصورة حسنة الطلعة صاحبة بهجة ولمعة وقد قال القائل في -
حقها هذه الايات

صفاح خدام سهام الميون	به رمين أو بحر الشجون
أم ناعسات الطرف قد جردوا	بيض القنا حتى لنا يقتلون
أجاني من لحاظها متكلم	يا من يسأل عن ناعسات الجفون
كف الملام عن ذات الرشا	م وأترك للهام تبغضون
وان لم ترجع عما تريد	فانت عندي كثير الجنون
فقلت يا باهي الجلال	رق وأرحم وانف شجون

فقال لي وكم مثلك رهين في سجينتي بنين بذاك القنون
طيف الخيال أورث له النكال فكيف الوصال بالنظر والعيون

قال الراوي ثم ان اصطوف قال لاحيه اعلم اني قد تلوع نلبي بهذه الغليون
وشغفت بحبها وقد كملني طرفها واني أريد أن اذن منها وافتح التنور واعمع بها
دون الذكور فقال اعلم يا الاصطوف ان هذه البنت بنت ملك الروم عبد الصليب
وما تريد أن تفعله بها فهذا مميب وقد قرأت الانجيل فوجدت الزنا حرام عندنا
وعند الاسلام ونحن لا نفعل المحرمات ولا تتبع الشهوات سيما وقد اوصاني عليها
أبوها فلا يمكن أحد منها حتي تخرج روجي دونها ثم صاح فيه فتركه وقام القيام الي
الخلوات وقد تبموه الاربعون فقال لهم وحق المسيح والدييح لا بد لي من هذه الغليون
واتصال بهذه البشنية فقالوا له الاربعين افعل ما بذاك فنحن كلنا سامعين مقالك
فصبر بهم الي الليل وهم يعد نوم الناس الي الدبر فرأي أخوه نائم في مخدع من
المخادع فأغلقه عليه وقد أخذ البنت وغصها على باب المحل الذي فيه أخيه وأزال
بكرتها وانصل بها ثم تأخر عنها وصاح برفقائه الاربعين فأتوا اليه فقال لهم
قد حلت لسكم هذه البشنية فبادروا اليها وانكحوها فاني قد أبحث نكاحها
لكم ولا عليكم وزر في ذلك بل لكم الثواب من المسيح المهاب فعند ذلك اجتمع بها
الاربعين وعادوا عنها راجعين وطاق بها اصفوط آخرهم وترك البنت وأخذ
الاربعين وساروا الي البراري قاصدين فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي)
وأما ما كان من البطرك كرسميول فانه استيقظ من نومه فرأى الباب مغلوقا
عليه فصاح على البنت ففتحت له الباب واعلمته بما جرى عليها من المصائب وما
فعل اصفوط الكذاب ورفقاءه الكلاب فاعتم غما شديدا ما عليه مزيد ثم انه
قال في نفسه ان هذا اللعين قد علم بتلك البنت وربما يمود اليها ثانيا وان منعت
عن ذلك قتلتني وما لي الا ارسلها الي أبيها ثم كتب كتاب وأرسل البنت صعبة
عشرة رهاب وأعطاها الجواب فساروا من ساعتهم طالين البراري والشماب

حتى أتوا الى عبد الصليب وقبلوا الارض بين يديه وأعطوه الكتاب فأخذه
وقرأه وعلم ما فيه من معناه وقد كان فيه خطابا من البطرك كرسميول الى بين
أيادى عبد الصليب اعلم أننا أئنا نعلم البنت هذه المدة حتى تعلمت وتمت تعليم
وفهمت الانجيل والتحرير والتحليل وكان مرادنا اقامتها عندنا بالدير غير انه
حضر اصفوط اللعين الممقوت وفعل كذا وكذا وأعاد عليه ما جرى من أول
الامر الى آخره وكشف له عن باطنه وظاهره وقد راجعته عن ذلك جهدي
فما ارتجع وعن ابتنتك ما امتنع فارسلتها اليك خوفا عليها منه ولولا أن المسيح
حماني منه لكان قتلني فالحمد للمسيح على سلامتي وسلامة ابتنتك وأنها وصلت
الي عندك بالحياة فأحضر لها بطركا من عندك يسمع لها خوفا من ان اللعين
يأتى اليها ويقتلها ويحرمك طلمتها شكر يا مسيح والسلام قال فلما قرأ الكتاب
وفهم ما فيه من الخطاب صعب ذلك عليه وكبر لديه والتفت الى وزرائه وقال
لهم اني اريد ان أركب وأدور على هذا الملعون وأقتله وأشر قتله وأقبح به أقبح
مثله فقال له وزير ميمنته اعلم أيها الملك السعيد واللواء الرشيد أن هذا الامر
قريب غير بعيد وأنا أدبرك تدبير تقتل به هذا الخنزير فقال له وكيف ذلك يا
وزير الزمان ومشير أهل العرفان فقال له احضر خزنة مال وهدية سنية وأرسل
ذلك مع أربع أبقار راكبين على الخيول العربية وأمرهم أن يدورون على خصمك
فاذا رأوه بقبول يديه ويثنوا عليه ويقولون له قد وصل جيلك وما يضيع ذلك
الجميل عند كل حر نبيل ونحن شكرنا المسيح الذي قدر بهذا الفعل المليح
وجعل فتح الكشتوان على بدأ كبر الرهبان وقد وصل الخبر الي أيها الفرح
بذلك غاية الفرح وأرسل لك هذه الهدية على قدر مقامه لا على قدر مقامك
مكافأة لاحسانك ثم يدفعوا اليه خزنة المال والجوهر والهدية وانظروا ماذا يجري
فقال له الملك وكيف يكون من ذلك اذا أخذهم وعاد الى حال بسبيله فلم يقدنا
من ذلك الا فقد الاموال فقال له اعلم اني أقول ان صح هذا التدبير لا بد أن

فيه هلاكه وسوء ارتبائه فلا تخالفني في ذلك وانظر عاقبة تلك المهالك فاهي
الاهدية في الظاهر ومكيدة في الضائر فقال له عبد الصليب السمع والطاعة
نم انه فعل ما أمر به الوزير من تلك الساعة وأرسله مع ماله بطريق كل واحد
منهم يمزق الحديد تمزيق وقد كتب له كتاب يشكره على فعله وأرسل البطارقة
يدورون عليه وقال لهم اذارأيتموه سلوا الكتاب والخزنة والهدية اليه وانظروا
ماذا يجري فاجابوه بالسمع والطاعة وساروا في قضاء حاجة الملك من تلك الساعة
فهذا ما كان منهم وأما ما كان من أمر عبد الصليب فانه أنعم على العشرة الرهبان
وردهم الى البطررك كرسيمول وجعل يشكره على ما فعل من ارسال ابنته فساروا
راجعين والى دير المأمور قاصدين وقد أتوا الى البطررك واعلموه بما جرى فهذا
ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى واما ما كان من امر البطارقة فأنهم مازالوا سايرين والى البراري
قاصدين وهم يدورون على اصفوط اللعين المقنوت شهرا تاما فلما كان اليوم
الحادى والثلاثون بينهم سائرين واذ قد لاح لهم غبار ذلك الملعون الكهين
المفتون فلما وقعت العين على العين ترجلوا له على مل مراكبهم وجعلوا يقبلون
يديه ورجليه وقد تعجبت الاربعون الذين حواليه ولم يعلم هو ما السبب في
ذلك نم انهم أخرجوا اليه الكتاب فلما قرأه ضحك ضحكا عاليا واستبشروا وقال
لرفقائه رايتم ما فعل سيدكم من الفعال وكيف شكروه الملوك العوال فقالوا
له ما السبب في ذلك فاعاد عليهم القصة وقرأ عليهم الكتاب وقد زالت عنه
القصة وكان الكتاب في أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنم
توحد الملك القريب المجيب خطابا من الملك عبد الصليب الحمد للمسيح الذى
انت فعلت هذا الفعل المليح وفتحت لنا التنور فجزأك المسيح كل الخيور وقد
أرسلت اليك هذه الهدية والخزنة بالكلية فلما قرأ اللعين ذلك الكتاب أعجبه
غاية العجب وأخذ الهدية وقال سلوا لى عليه كثير نم قبلوا يديه فرجعوا الى

ورائهم وجعلوا ينتظرون ما يكون من أمرهم يا سادة وقد أخذ اللعين خزنة المال والهدية فقالوا له رفقاءه نحن كنا معك ولنا في ذلك شركة فاعطنا قسمنا فقال لهم انظروا الى هذا الكتاب فانه لي من دونكم وأنا ما أعطي لكم منها شيئاً فقالوا له نحن نأخذ المال وأنت الهدية او أنت تأخذ المال ونحن الهدية فقال لهم هذا لا يكون أبداً ثم وقعت المشاجرة بينهم وزادوا في الكلام مع بعضهم وزاد الامر وقوي الضرب واشتعلت النار وزاد العيار وقد أسوامنه الاربعين وانه احتوى على المال دون الجميع فلما أسوامنه هجموا عليه الاربعين بالسلاح وقد ادوا اقتضاح وطمعوه بالسيوف حتى أخرجوه كالقطن المندوف وقد قطعوه ربعين قطعة وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم قالوا لبعضهم تقسم المال سوى فقالوا لبعضهم نأخذ نصف المال ونعطي الراهب كرميول النصف الاخير فامتنعوا من ذلك فقالوا ان كرميول ما كان معنا ولا رافقنا وهانحن الذين طينناه بقوة عز منا وساعدنا فقال بعضهم لا يكون ذلك أبداً ولو سقيننا كأس الردي ثم وقع العندمهم فتضاربوا بالسيف وقد أسقوا بعضهم كأسات الختوف ولم تكن الساعة حتى خسرت ذلك الضيافة وما بقي من الاربعين غير خمسة أفقار متجرحين ففند ذلك ردوا عليهم البطارقة فأهلكوهم عن آخرهم في أقل من ساعة واحدة ثم انهم أخذوا المال والهدية وساروا راجعين الى بلادهم قاصدين ولم يزوالوا على ذلك حتي وصلوا الى ملكهم عبد الصليب فسلموا عليه وأعلموه بما جرى وما كان من أمر ذلك الكلب الخوان ومن معه من أهل النقصان فلما سمع الملك ذلك فرح وانشرح واسع صدره وفرح وشكر الوزير على ذلك وانعم عليه بغاية الانعام وقال له لا شك انك وزير خبير فطين فصيح اللسان ثم أعطاه الخزنة والهدية والجوهر فأخذهم الوزير وفرح بذلك وشكر الملك على أفعاله وما أنعم عليه من افضاله فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر بنت الملك عبد الصليب فانها كانت حملت

على افلاحها لما أراد الله ربنا وربها فكبرت بطنها وظهر عليها الحمل وظهر حملها حتى وقت أيامها فوضعت غلام ذكر عيرة لكل البشر أبطش المنخروليلة وضعه انكسف القمر وأظلمت الدنيا ولمع البرق ونزل المطر وزادت الرعود واشتدت الظلمة وكانت ليلة عتمه اربع وعشرون آخر شهر صفر فهو نحس النحوس كما قال البيهقي وذكر وقد خرج رفيع العنق كبير الرأس شنيع المنظر ومن جملة قباحتها أن امه بعد أن وضعت انقلبت الى شفقتها فانت وتركتها فلما عاين ذلك عبد الصليب بكاء على ابنته بكاء شديدا ما عليه من مزيد ولبس ملابس الحزن وذم الولد وقال هذا مشؤم الناصية ولكن نحن مأمورون على الاطفال من المسيح بالصوم ولولا ذلك كنت ذبحتها وارتاح قلبي منه ثم أمر له بمرضعة فأتوا اليه فحما مسك ثديها فأتوا اليه بغيرها فكانت كمثلها ولم يقبل المراضع فأتى اليه بالفزالات والمعيز والبقرة فأتى ذلك ومنهم نفر فلما طين ذلك الوزير قال للملك ياملك الزمان اعلم ان هذا الولد منحوس وانه مؤذي وطالعه منكوس الا تنتظر لئلا مولده كيف ظهرت فيها العجايب وتصارخت فيها الشياطين من كل جانب وقالوا هذا ولد ابليس وخليفة أهل التنكيس اما رأيت القمر وقد انخسف والشمس وقد تغيرت بالكسف فان طأوعتني نزيلة الى الدير الذي خارج البلديه كلبه جويئة فاحلة الشعر ونهى ترضع اولادها فاجعله معهم فان عاش فبرزقه وان مات فبأجله فقال له هذا هو الصواب ولم أخالف لك مقال ولا خطاب ثم انه أمر بحمله الى الدير فحملوه الرجال واوصلوه الى هذا المكان ووضعوه في دهليز الدير مع أولاد الكلبة فسك ثديها وشرب منها وقد حننها الله عليه فصارت ترضعه ولا تنصير عنه درجة واحدة وذلك بأمر رب القدرة والمجاهدة فلما علم عبد الصليب بذلك تمجب في أمر ذلك المولود وكيف انه ترك المراضع ورضى بهذه الكلبة وكيف رضيت برضا عته ثم انه جعل يفتقدها ويرسل لها المأكول والمشرب الى أن كبر الولد وانتشي ودب على الارض ومشى فطلع آفة رقطا وبلية مسلطة ومؤذي

لا يطاق كربه الملقى كثير النفاق لا يري شخصاً الا ويضربه ولا يجلس مع قوم
 الا ويفسدهم ويلقى بينهم الفتن وقد زاد ظلمه على العباد وعم جورهم على البلاد
 وقد شاع أمره بذلك فشكت منه النصارى وقالوا هذا غلام ردىء الاصل
 دنىء الفصل لا يعرف حقيقة ولا هو بين طريقة ثم زائد أذاه وكثر على الناس
 بلاه فشكوا ذلك الى عبد الصليب فنهاه وعن ظلمه وجوره أنهاه فلم ينته عن
 افعاله ولا رجع عن احواله فشكوا الى عبد الصليب ثانياً وثالثاً فلما اعياء الامر
 وتزايد عليه الشكوى والضرر ارسله الى عمه كرميول في الدير وقال في نفسه
 اذا وجد عند عمه لا بد ان المسيح يهديه على يده ثم انه ارسله مع عشرة من
 البطارقة فساروا به الى دير المامود فلما وصلوا به الى هناك قبلوا يد الراهب
 وقالوا له خذ هذا ابن أخيك وهذا كتاب من عند عبد الصليب الي بين ايدى
 كرميول الواصل لك ابن أخيك وقد مميته عبد الصليب وقد جرى من الامر
 ما هو كذا وكذا واعاد عليه جميع ما جرى في الكتاب وعرفه بما جرى لآخيه
 اصفوط والاربعة والقصة من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها
 وكيف أن امه ماتت عند ولادته وكيف عرض عليه المراضع طابى وما شرب
 الا من لبن الكلاب فلما سمع بذلك فرح في أخيه وقال الى لعنة المسيح فلعمنه
 الله على هذا الولد القبيح ثم لانه أخذ الغلام وجعل يعلمه الاحكام مدة من الايام
 حتى قرأ الانجيل وعلم التحريم والتحليل وقد اتفق مع اربعين من اولاد الملوك
 الكبار الذين يقرؤون عند كرميول وكان اكثر اتفاهه مع ولد يقال له سيف
 الرؤم وكان يسرح ويروح معه واذا دبر شيئاً يكون باطلاعه وكان هذا عبد
 الصليب صاحب مكر وخداع وحيل ودفاع ولم يزلوا على ذلك حتى فرؤ اغوامض
 العلوم النصرانية ودروا كل الامور الخفية فهذا ما كان من أمر هؤلاء
 قال الراوى وأما ما كان من أهل الدير فانهم طلبوا في عيد لهم الى جهة
 البحر وركبوا الراكب وكانت هذه عوائدهم في كل عام يطلعون الى البحار

ويأخذون ما جاء اليهم من المسافرين فيبينا هم كذلك واذا قد أقبل عليهم مركب
 حجاج طالبن الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه السلام فداروا
 بها أهل دير المامود وفرضوا عليها وقد استأسروا كل من كان فيها من الاسلام
 فأخذوهم اسارى وقادوهم حياري وكانت لهم بذلك عادات يأخذون الاسلام
 ويخدموهم في الديور مع الرهبان فكان من جملة ما أخذوه رجل عراقي من أهل
 العراق صاحب فضل واشراق يقال له الشيخ صلاح الدين العراقي وكان من
 أهل كتاب الله تعالى كما أنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ويقرأ علوم
 كثيرة ويروي أحاديث ويفسر المعاني ويفهم في علم الادب والادب والعروض
 والمنطق والصرف والفلك والتخليص والبروج والمنازل والهندسة والحكمة
 وقد فتح الله في قلبه عين الرحمة فكان على ديانة عظيمة هذا وقد أخذوا جميع
 ما في هذا القليون فأخذوا الشباب وخصوم لقطع الاحطاب والاشباب والنساء
 منهم مراضع ودادات للاطفال والصبيان يجمعونهم لقضاء حوائج الديورة
 والسكرول يرفعونهم الخنازير (يا سادة) وقد نظروا الى ذلك الشيخ المهاب
 وهو بهذه الشبهة المظيمة اوقع الله هيئته في قلوبهم وقد حماه من اذاهم وفما لهم
 فقالوا له انت رجل كبير ومالك عندنا منفعة في رعي الخنازير ولكن خذوه
 والى السجن اوصلوه فقيدوه بالسلاسل والاغلال وأدخلوه في سجن ضيق
 ظلام وكانت هذه من الطاف الملك الملام والا كانوا قتلوه أو الى البحر رموه
 فلما جلس في السجن حمد الله تعالى على ما أعطاه ورضى بالقضاء والقدر ولا تألم
 ولا تكلم في هذا الامر المقدر فلما جن عليه الليل ورأى نفسه قريباً ولا مأنس
 ولا رفيق جعل القرآن رفيقه وسلك في العلم طريقه ثم انه جعل يترنم بهذه
 الابيات صلوا على سيد السادات

لك الحمد يا ذا المجد والجود والعلی تبارکت تعطى من تشاء وتمنع
 الهی لئن جلّت وجهت خطيئتي فمفوك في ذنبي أجل وأوسع

الهى اجرنى من عذابك انى
 الهى . آتسنى بتلقين حجتى
 الهى لئن عذبتنى الف حجة
 الهى اذقنى طعم عفوك يوم لا
 الهى اذا لم يف عن غير محسن
 الهى وخلاقى وحرزى وموئلى
 الهى لان اعطيت يمنى وسؤلها
 الهى زى حالى وفقرى وفاقى
 الهى فلا تقطع رجائى ولا تزغ
 الهى لان خيبتنى وطردتني
 الهى بنحى طول ذكرك لوعى
 الهى اقلنى عثرنى وامح حوبنى
 الهى لان اقصيتني واهنتنى
 الهى حليف الحب بالليل ساهر
 الهى تمنينى رجائى سلامة
 الهى اذا لم زعنى كنت ضائعاً
 الهى ان اخطأت جهلاً فرمأ
 الهى لان فرطت في طلب التقا
 الهى انلى منك روحاً ورحمة
 وكلنا ترجوا ثوابك راجياً
 الهى فان تغف عفوك منقذى
 الهى بحق الهاشمى وآله
 الهى توفى على دين احمد

أسير ذليل خائف لك اخضع
 اذا كان لي في القبر مشوى ومضجع
 فخل رجائي منك لا يتقطع
 بنون ولا مال هنالك ينفع
 فن لمسيء بالهوى يتمتع
 اليك لدي الاعسار واليسر افرع
 فها أنا في روض الندامة ارفع
 وأنت مناجاة الخفية تسمع
 فؤادى فى في سيب جودك مطعم
 فمن ذا الذى أرجو ومن ذا يشفع
 وذكر الخطايا العين منى تدمع
 فاني مقر خائف متضرع
 فاحيلنى يارب أم كيف اصنع
 ينادي ويدعوا والمفقد يهجع
 وقبح خطاياى على يشنع
 وان كنت زعانى فليست اضيع
 رجوتك حتى قيل ماهو يجزع
 فها أنا أنر العفو اقفوا واتبع
 فليست سوا أبواب فضلك اقرع
 لرحمتك العظمى وفي الخلد نطمع
 والا فبالذنب المدمر اجرع
 وبجريمة أبرار هالك خضع
 منيباً تقياً قاتلاً لك اخضع

ولا تحرمني يا الهى وسيدى شفاعته العظيمي فذلك المشفع
 الهى رضيت بما قد قدرته بغير اعتراض عليك فيما تصنع
 الهى رضيت بالتقضا فكن راضيا عني وشفع أفيتنا حبيباً مشفع
 وصل وسلم عليه مادعاك موحد وناجاك اخيار انبيائك ركم
 ماهب ربح من الجنوب وما طلعت شمس على اعلا مطلع
 كذا الآل والاصحاب أهل جميعهم والتابعين ومن للتابعين توابع
 (قال الراوي) ثم ان الاستاذ جعل يقرأ القرآن ويكي خوفاً من الرحمن
 ويتاجى مولاه بهذه الاستغاثات ويروي الاحاديث وهو مقيم في السجن وكانت
 هذه صناعته في مدة اقامته هذا وقد تداولت الايام قليلة من ذات الليالي بينما
 هو كذلك اذ أمر اللعين عبد الصليب على باب السجن ووقف واذا قد سمع الاستاذ
 على مثل ما ذكرناه من قراءة القرآن والصلاة على سيد ولد عدنان قالقى اذنبه وتأمل
 من كلام الاستاذ فاعجبه فرجع الى رفقاته وقال لهم ان هذا الرجل الذى في السجن
 مقيم هو راهب من رهبان المسلمين فقالوا له تقرب الى المسيح بقتله فقال لهم ما هذا
 صواب والرأي عندي أننا نزل اليه وتقبل يديه ورجليه ونضع الاحتيال عليه
 ونسلم على يديه اسلام باطل ونخلية يعلمننا كلام المسلمين لتكون بجميع العلوم عارفين
 فقالوا له افعل ما يبدالك طيب المسيح أحوالك فعند ذلك أخذهم وسار الى نحو
 السجن وفتح الباب ونزل بينا الشيخ جالس واذا باللعين عبد الصليب مقبل عليه
 وجعل يقبل يديه ورجليه وكذلك من كان حو اليه فقال له الاستاذ من أنت فقال
 له يا مولاي أنا من هذا المكان وقد سمعت منك هذا البيان فأعجبنى هذا البرهان
 وانى أريد منك أن تعلمنى اياه فقال يا ولدي هذا كلام الله ولا يتعلمونه الا
 المسلمون فان شئت فأسلم وأمرك الى الله تعالى سلم وأعلم أن الكفار ليس لهم أديان
 ولا لهم ملة ولا ايمان ومادين الا دين الاسلام فقال له اللعين ما أحسن كلامك وما
 أقوي برهانك ولكن ماذا أفعل حتى أكون مثلك وأصير من حزبك فقال له تقول

قولاً حقاً عدلاً غلصاً صدقاً أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله حقاً
 وصدقاً فأسلم اللعين اسلاماً باطلاً وقبل يدي الاستاذ ظاهراً وباطناً وقد فك منه
 الاغلال وفرش له فراشات غوال وقد جعل يعلمه القرآن والاحاديث وقد أقام
 معه في مخدع اعلا الدير وهو يكرمه ويقبل يديه ويخدمه ويقرب له أعز المأكول
 والمشرب ويطعمه وقد رافقه سيف الروم وما زالوا كذلك أربع سنوات
 وكان اللعين ذو فهم وثبات فصار الشيخ يعلم عبد الصليب وسيف الروم وبأقني
 الاربعين وظن الاستاذ ان اسلامهم صحيح وكانوا الذي يتعلمونه الاربعين في
 شهر من الزمان يتعلمه عبد الصليب في يوم واحد من الايام ولم ينس شيئاً مما
 يلقيه اليه وما زال بهم حتى صاروا أهل معرفة وفطنة وصار هذا عبد الصليب
 لبيب ماهر يتكلم بالقرآن ويعلم التأويل والبيان ويروي احاديث ويعرف أصله
 وشرحه ويدري العريية والنحو وغير ذلك حتى صار مثل الشيخ صلاح الدين
 الوافي سوي يسوى فقال له يا مولاي جزاك الله كل خير وكفيت كل هم وضير
 ثم أن عبد الصليب اتفق مع سيف الروم دون الاربعين وقال له يا سيف الروم
 اني تعلمت جميع مامعه من العلوم وأريد أن أجازيه على فعله وأعمل معه مثل
 أعماله فقال له سيف الروم تطلق سبيله وتدفع له مالا يوصله الى ما يريد او
 تقويه وتعينه بأزاد والراحلة الى الحجاز الذي كان قاصدا اليه وتعطيه دابة
 سرية ورفيق وتدله على أوفى طريق فقال له مرادى افعل معه أعظم من ذلك
 فقال وما هو قال له اذبحه واعدمه الحياة وارتاح منه واجعله مقبلاً هنا حتى
 يقابل مولاه فقال له ولاي شيء ذلك مع انه فعل معك كل جميل وتعلمت منه
 جميع الاقاويل فقال له أنا الذي لأرى جميل ولا أعرف تفضيل ولا لي عزيز
 ولا ذليل ثم أن اللعين وضع البنج في الطعام وقد مده اليه وسير حتى أكل
 وتبنج ومكث البنج منه فنهض الملعون وعرا من ثيابه وأخذ مامعه من ملابسه
 وحجابه وذبحه من الوريد الى الوريد فرحه الله وجعله في الدنيا سعيد وفي

الآخرة ان شاء الله شهيد ثم أن الأمير عبد الصليب أخذ المحفظة والمقلة
والحوائج واحتفظ بهم وجعلهم في مكان لا تهدي اليه الشياطين وقال ادفنه
باسيف الروم لئلا يعلم بذلك البطرك كرميول فاذا علم بذلك اسقانا شراب
المهالك لانه أراه يتكلم بالغيب وما ادري كيف ذلك قال فدفنه سيف الروم
في جانب الدير. وقال اذا سألتا البطرك تذكر له انه هرب فقال يا عبد الصليب
ان البطرك يعرف المعاني ويدرك كل أمر رباني فقال له وكيف ذلك ياسيف
الروم ا فقال انه سوف ادلك على ذلك واسلك بك المسالك ولكن جئ تنقطع
الصحبة بين هذه الاربعين وبينك فامتنع اللعين عن ذلك الاربعين وقطع
صحبته معهم وجعل لكل انسان منهم شغلا يقيم به حتي لا يبقى يسأل عن
الآخر قال وكان البطرك كرميول يتكلم بهذا الكلام كأنه كشف أو برهان
ويعلمهم بما جرى لهم في زمنهم الماضي وما يحصل لهم في المستقبل ويطلع على
الدنوس ويدل لهم ما يتحصل من خير أو بؤس هذا وقد تعجب عبد الصليب
وذكر ذلك الي سيف الروم فقال له عنده كتاب يقال له كتاب اليونان وتأليف
الحكماء والكهان وله فضلية عجيبة وسيرة غريبة سوف تذكرها في محلها
وتبين اصلها وسببها وأنا يا عبد الصليب سوف اطلعك على هذا الكتاب
وتأصيلته تذكر مع تأصيله شعبان الغزى وباقي الكلام في أرض جنوى
ليكون واضح كل شيء في محله بمون الله وفضله

(قال الراوي) ولما جرى من الامر ما جرى واستشهد الشيخ صلاح الدين
المراقبي وأخذ بدولته ومحفظته ومقلته واتفق مع سيف الروم على انه يطلعه على
كتاب اليوناني فيبيناهم كذلك اذا قبل عليهم البطرك كرميول وقال لهم ابن اليسير
الذي تعلمتم منه كلام المسلمين فقالوا له انه هرب ونجا فقال لهم قد علمت بأنكم
قتلتوه والى جانب هذا الدير دفنتوه واخذتم مامعه من الصالح ولكن اخرجوا
عني وان اقم هذا الدير قتلتم انتم الاثنين فعند ذلك خرج عبد الصليب وسيف

الروم وأخذ مصالح الشيخ صاحب العلوم ولبس ملابسه وهيا سيف الروم في
صفة طالب وسماه منصور وشاروا مع بعضهم الاثنين يطلبون لهم ارضاً ينزلون
بها أوقية يقيمون فيها فيبنام سائرين وفي سيرهم مجدين واذا قد بلغهم الخبر بأن
ملك الموصل زاكب على حلب وانه طالب أرض مصر يريد أن يملكها وقد اعتراه
المرض الشديد الذي ما عليه من مزيد فقال له يا منصور سر بنا الى ذلك الملك حتى
ننظر كيف نصنع وما زالوا الى أن وصلوا الى أرض حلب ودخل العيين على أيبك كما
ذكرنا ودأواه كما وصفنا وقد اعتقد فيه أيبك وجعله أمامه وعظمه وسار يقبل
يديه وقدامه فهذا كان أصل مجيئه والسبب الى هذه البلد وأصل المعرفة بأيبك
ومحبته واعتقاده فيه وانه لا يعرف حقيقة لانه قد احتوى على قلبه بزخايف
الكلام وقال له سوف يكون لك ذكر أعظيما مادمت أنا معك لاني رجل من عباد
الله الصالحين وأنا من بلاد العراق أهل المحاسن والاخلاق وجدي يقال له الشيخ
صلاح الدين العراقي فصدقته أيبك في مقاله ولما أراد الرحيل من على حلب طلب
الشيخ يسير معه فقال له سرأنت الى أرض مصر وأنا اكون لاحقاً بك بعد أن
أزور سكان الشام من الانبياء والرسل العظام وبعد ذلك اتوجه الى مصر ولا بد
من الاجتماع من غير امتناع فقال له نسألك الدعا في جميع الاماكن الطاهرات وعند
أهل السادات فقال له أن شاء الله يكون كل الخير ثم تودع منه وسأيبك طالب أرض
مصر ولم يجد احدا يمنعه عن ذلك أبداً فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أيبك فانه سار من حلب الى غزة ومن غزة الى قطية
ومعه جيوشه وعساكره وقد ضلوا بأمر الله عن الطريق وعدموا السعادة والتوفيق
ولم يزالوا سائرين وفي سيرهم مجدين مدة أربعين يوماً وهم لا يرون بلاداً ولا ينظرون
أحدًا من العباد والخللا اتسع عليهم وقل منهم زادهم وما معهم فضافت العساكر
عليهم من ذلك وقد اشرفوا على شرب كأسات الممالك وحراروا في امورهم وضلوا
في سبيلهم وكانت ذلك من كرامات الاستاذ الملك الصالح نجم الدين أيوب ثم

انهم صبروا على تلك الالهوال مدة عشرين يوما طوال فضغت منهم القوي
 وشكوا ذلك الى ابيك فوجدوه ضيق الصدر لا يدري كيف يصنع ولا له
 معين على ما قد نزل به من المذاب المهيئ فقالوا له انظر لنفسك ودبر هذا الامر
 بعقلك واختار لك خيرة ترضاها وذلك اما أن ترجع بنا الى ارضنا وبلادنا
 ونعود من هاهنا واما أن تدلنا على الطريق واما تقتلك ونرح اقمنا منك
 قبل ما نتقده ارواحنا والسلام اما تعتبر مما حل بك من المرض الشديد الم
 تنظر كيف تهنا وضللنا في ذلك الصعيد واننا نقول ان هذا الملك على قدم
 الرسول فلولا ذلك ما كان حاكما على مصر مع فقره وقلة جنده فقال لهم يا قوم
 الآن قد علمت ان هذا الرجل من أولياء الله الصالحين ومن المتوكلين
 على رب العالمين واني من يوم ما عزمت اني اغزيه وأنا مريض بالمرض الشديد
 وقد صحت عندي هذه العكرامات الظاهرة كيف اني مرضت في حلب
 وكيف أمرم بفتح الابواب ولم يبالي بدخولي عليها وكيف ضللتنا وكيف
 ضاعت مصالحنا وكيف غدرتم دون غيركم مع انكم انتم رجالي وبكم اشد
 اوصالي واني أقول لولا دعاء هذا الرجل الصالح والا كنت هلكت من
 بركات ملك مصر ولكن نذر الله تعالى على أن اخذ ربنا بيدي واستدلنا
 على الطريق ودخلنا مصر لا بد أن اطلع عليه وأقبل يديه ورجليه وان أراد
 بالمال حملته اليه وان أراد الخدمة خدمته وان أراد قتلى سلمت له قسي
 ومالي حاجة بمخافة رجال الله الصالحين (بإسادة) وقد صفى قلب ابيك وترك
 ما كان مازم عليه وغير نيته التي قد أتى عليها هنا وقد ساروا باقي ليلتهم
 فلما أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح وطلعت الشمس من
 الروابي والبطاح وقد سلمت على أزكي النبيين الملاح تأمل ابيك ومن معه
 ذلك اثبتوا لكرامات الملك الصالح وعلموا أن جميع ما كان فيه من

كرامات الملك وقد ثبت في ذهن ابيك ذلك وصفي قلبه ثم نصب الخيام وأمر بالنزول فنزلوا لاجل الراحة وقد فرحوا بسلامة أنفسهم وأقاموا مدة ثلاثة أيام ولما كان في اليوم الرابع تجهز ابيك التركاني ابن ملك الموصل ولبس أنغر الملابس وركب برجاله وماعنده من سادات أبطاله وطلب الدخول الى مصر فهذا ما كان من أمره

قال الراوى وأما ما كان من الملك الصالح أبوب ولى الله المجذوب فانه بات وأصبح يصلى على نبي له الورد فتح صلى صلاة الافتتاح وقد أسلم أمره للكریم الفتح وقرأ وردده ونوكل بحمده واذا بالاناجوهر الصالحين اتى اليه وتمنى وأعلمه بان الديوان قد تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم نهض وهو يتوكأ على قضيب خيزران وصلى على سيد ولد عدنان حتى أقبل الى الديوان فنهضت كلاء الرجال حياء من السلطان فبدأهم بالسنة ردوا عليه بالقريضة الشرعية فبسط أيديه وقرأ الفاتحة أم الكتاب وأهدى ثوابها الى ضامن جملة العاجزين وسيد الاولين والآخرين ثم الى روح المتقدمين والمتأخرين وجلس الملك على كرمى قلعة الجبل ذلك بوجد القديم بالازل وأمنت المسكر وانطلق المود الجاوي والعنبر وقرأ المقرئ وختم ورقة المرقى وختم ودعا الداعى وختم وصاح جاويز الديوان يقول صلوا على طه الرسول

الملك لله دورى هو الدائم الباقي بغير زوال

هو الذي لا يدوم غيره وكل ما تراه فهو خيال

فهو الباقي بغير فنا وقد ضربت بذلك أمثال

كل ما في الدنيا سيفني ويبقى وجه ربك ذو الجلال

قال الملك آمنا من يوم كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان المتجنى

من الممالك سبحان من عنده كل ملك كملوك وكل غنى كملوك ثم أن الملك جعل يدندن ويقول يا حج شاهين قال له نعم قال له الراجل

اجتمع على الرجل ولكن الرجل قلبه خالص ولا يعلم بحال الرجل الا
الملك العادل ولكن الملك معذور لان الظاهر للناس والخافي لله فلما سمع
الافا شاهين منه ذلك وقد تعجب منه قال له أى رجل يا أمير المؤمنين
قال له أنا رجل عبيط وأنت ربنا خلقك فطين لبيب وقد جعل لك عقل
وأذنين فسيب بالاولى واستمع بالآخرى الرجل الذى يجيب لي الخوض كام
مرة وأنا أقول له هات لي من النخلة المعدلة يجيبه من النخلة المبوجة يا حجاج
شاهين ثم صاح الملك يا حق يا اعلام الغيوب يا سائر العيوب يا حق أنت الحق
انظر الحق واعلى كلمته وأخفض الباطل وقل نعمته

قال الراوى بينا الملك الصالح يدندن ويتكلم بمثل ذلك ولم يجد أحداً
يعرف معنى قوله واذا بساب الديوان استند والستائر احتجبت والحجب
أرتفعت وأيبك يقبل الارض بين يديه والنبي صلو عليه وقد خدم وترجم وأحسن
مابدا وتكلم ودعا بدوام المز والبغا وأزاله البؤس والشقائم قال نعم يا أمير
المؤمنين خصك الله بالنصر والتمكين قال له الملك أهلا وسهلاً بالعز ايبك
ملك الموصل من أراد أن يأخذ مصر ويملكها ويكون حاكماً بها ويجعلها
تحت حكمه أنت اسمك ايش فلما سمع ايبك ذلك الكلام قال له يا مولانا
السلطان أنا ايبك وقد أتيت من بلادى وقصدي حاك وكل ذلك فى طلب
رضاك قال له الملك الصالح اخبرنى على ما قد جرى لك فى طريقك قال
فحدثه ايبك بما جرى له من أول الامر الى آخره وحكف له عن
باطنه وظاهره من مدة طلوعه من أرض الموصل الى مجيئه الى السديلة
وحكف نظرو شاهد الكرامات وثبتت عنده هذه الموعظت فرجع عن
جميع ما كان طازم عليه ولما صفت نيقى يا أمير المؤمنين رأيت الطريق
السالك بمنى أن أشرفت أنا ورجالى على المهاك ثم تركت رجالى بالسديلة
وأتيت اليك بالاكابر منهم بالكلية الى بين أيادي أمير المؤمنين أدام الله

حكّمه بطول السنين قال فلما سمع الملك منه ذلك الكلام قال له أهل
تريد الخدمة بديواني وتكون من بعض جلاسى وأقرانى قال له أخدمك
بروحى وجسى وأفديك بأبى وأمى فقال له البس أوليتك وزير أعظم
وصدر انغم ودستور مكرم ثم البسه القفطان وأجلسه مرتبته بالديوان وأمر
له بمنزل يقيم فيه برجاله وحواشيه فلما أقام أيبك وتمكن أرسل كتابا الى
نائب الموصل يعلمه بما جرى وتقدم فهذا ما كان من تأصيله الوزير أيبك
فأنظريا أخى الى هذه الكرامات الظاهرة وكيف أن هذا ملك ابن ملك
وكيف طابت نفسه للخدمة وكيف بمد المملكة يلبس وزير والمهابة من
اللطيف الخبير فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر الوزير أيبك فانه تداولت عليه الايام
فبينما هو جالس فى بيته واذا بالشيخ صلاح الدين العراقى داخل عليه والنبي
صلوا عليه فلما وقعت العين على العين ونظروا الى بعضهم بعضاً نهض له
أيبك وتلقاه وسلم عليه وأكرم مشواه واجلسه الى جانبه وجعل يتحدث
ويلاعبه وهو يزخرف له الضلال ومحسن له الكذب والمقال ثم أن أيبك
قال له يامولاي اعلنى ما الذى جرى لك بعد أن فارقتك فقال له ياولدي
طلعت بيت المقدس وزرت نبي الله موسى وأبراهيم وباقي الانبياء وقرأت لك
القوايح والقراءة العظيمة وسألت الله تعالى أن يمطيك المناصب الجسيمة
وبعد ذلك اقبلت اليك لاني ما وجدت لي عليك اصطيبار اناه الليل وأطراف
النهار فقال له مرحبا بك يامولاي عسى أن يكون دعاك لي مستجاب عند
الملك التواب ثم أنه اعاد عليه أيبك ماجرى له فى طريقه من الابتدا
الى الانها وهو ماورد وتقدم وسمعتة آذانكم الرايقه ومعانى عقولكم الفايقة
والاعادة ليس فيها افادة الا فى الذكر والتوحيد

قال الراوي فلما سمع الشيخ صلاح الدين كلامه وما قاله من مرامه

فرح بخدمته في الديوان وجعل يحذنه بشأن القضايا وقد جلس في بيتحه وجعل يصلي ويصوم ويقرأ الاحاديث والعلوم وقد احتوي على قلبه كل ما كان وما يكون فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر الملك الصالح فانه متى أصبح الصباح جلس على كرسى قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل فلما تكامل الديوان جلس العساكر والرجال قرأ المقرئ وختم ودعا الداعي وختم ورفي الراقي وختم وصاح جاويز الديوان وهو يقول لا تحسبن الله ينفل ساعة الا ينفذ حكمه فاذا نفذ أعطى الذين تجبروا في ملكه حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذوا قال الملك آمنا يا حاج شاهين الطير جاء عند الطير واتفق مع الطير ودخل القفص ولكن يا حاج شاهين الارادة لله ما شاء فعل وقد قال القائل في معنى ذلك .

أمر لها القضاء ممضى يعتبرها الجاهل بقول ذا افساد

وهي الطاف خفيات والارادة للحق فيما أراد

فقال الاغا شاهين الطير يشدو يا أمير المؤمنين فقال له أنا رجل عبيط فلا تأخذ على قولي فقال الاغا شاهين سبحانك لا اله الا أنت جل شأنك ولا اله غيرك ولا معبود سواك خلقتني ورزقتني وعلى عبادك الصالحين وليتنى الهى من أسيادي الذين أنا معهم وخدامهم ولا أعرف لهم كلام ولا أفهم لهم مرام يا سادة وقد راق الديوان وقد طلع ايبك وجلس في مكانه فقال الملك الصالح يا أغا شاهين سبحان مسبب الاسباب أين قاضى الديوان فقال له الوزير انه مريض من مدة ثلاثة أيام ولم يزال راقى مثل ذلك الشأن الى أن مضى قدر شهر من الزمان بينما الملك جالس واذا بالاخبار داخلة عليه تمشي رأس مولانا السلطان في قاضى الديوان السيد محمد نور الدين بن السيد مجي نور الدين فلما سمع الملك بوفاة القاضى قال كلمة لا ينجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم أمر الاغا شاهين أن ينزل بالدولة ويمشى في

مشهد القاضي فاجاب بالسمع والطاعة وأجاب من تلك الساعة وسار الوزير مع المدفن الى ان دفنوه قريباً من السيده تقيسة رضى الله عنها ثم بعد أن واروه التراب وفروا عليه شيئاً من الكتاب عادوا بعد ذلك راجعين الى الملك قاصدين وقد أمر له الوزير ببيتا يبنى له فبنوه وكتبوا عليه اسمه فهذا ما كان من هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر الوزير الاغا شاهين فانه عاد بعد أن نهى الفراغ من ذلك قال الملك يا أغا شاهين أنظر لقا رجلا أهل صلاح وديانة ومعرفة وفطنة يستلم القضايا فقال الاغا شاهين يا ساداتنا يا علماء الاسلام هل عندكم من يصلح للاحكام والقضايا بالديوان فقالوا له يا وزير الزمان الخير موجود وبأذن الملك المعبود فعند ذلك نهض الوزير ايبك وقد وقف في محل الطلب وقبل الارض بين يدي السلطان فقال له ما تريد يا ايبك فقال له يا أمير المؤمنين عندي رجل من أرض المراق وكثير العلوم وحسن الاخلاق يدرك العلوم وغوامضها ويعرف ظاهرها ومغضها وهو رجل ذو صلاح وأهل ديانة ونجاح وقد رأيت ي صوم النهار ويقوم الليل على ما طال وقد اجتمع على وأنا في حلب وكنت مريضاً فبركته عند الله أشفاني ربى على يديه وقد جعلته امامي وهو مقيم بمنزلي فلما سمع الملك الصالح ذلك قال له يا ايبك اصبر حتى أسأل الاغا شاهين في ذلك الامر المصكين ثم التفت الملك الى الاغا شاهين وقال له ما تقول في الشيخ صلاح الدين يكون قاضى بالديوان ويحكم على الامراء وكامل الاخوان فقال الاغا شاهين وما ذا أقول يا أمير المؤمنين في اهل الفضل الصالحين وأنا لم أكن الا خادمهم ومقبل أيادهم وعبد لصغيرهم وكبيرهم فقال الملك الصالح انزل يا ايبك هات الرجل يتولي رتبة القضاة ولكن على شرط انى لأصلي وراءه فقال له الاغا شاهين ولاى شيء ذلك يا مولاي فقال له باشاهين أنا رجل عبيط ولا أعرف حقيقة الصلاة وهذا رجل

من ارض العراق منابع الملووم بالاتفاق واذا صليت وراءه أخاف أن يعايب
 على وعلى صلاتي على قدر معرفته وبلادتي فلا تغضب على في ذلك يا شاهين
 فقال له يا أمير المؤمنين شأنك وما تريد فقال له الله تعالى يأخذ بيدك ويسترك
 ويقبلك ولا يفضحك هذا وقد سار ابيك الي منزله وأقبل على الرجل
 وقبلة وقال له سر معي الى الديوان فقد صدر لك الاذن من السلطان بانك
 تكون قاضي قضاة الديوان فانهم معي في هذه الساعة فما احسن هذه
 البضاعة فقال له سمعاً وطاعة ثم ان العالم لبس مقلته وبدلته وقطعانه وجبته
 ومسك سبخته ووضع في عبه محفظته ودوانه وسار يترنم بقراءته وهو
 يقول هو الله الذي لا اله الا هو الحى القيوم الملك العزيز الجبار المتكبر ولم
 يزل يذكر الله ويقرأ أسماء الله وآيات من القرآن الى أن أقبل الي باب
 الديوان فنزل عن البغلة وسلمها الى طالبه ودخل من باب الديوان فقدم
 وترجم وأحسن ما به تكلم ودعا بدوام العز والبقاء وازالة البؤس والشقاء
 وجعل يقول هذه الايات صلوا على سيد السادات

سلامي على أهل ذاك الحما	سلاما جميعا طيباً دائماً
يم أمير الامراء وما حوي	من الاشراف كل معظما
ادام عزك ربي والبقا	ما دامت أيا من متراكما
وأزال الله عدوك دائماً	وحفظك ربي دواماً دائماً
وأطاع اليك كل الورى	وكل من تخلف من نسل آدم
أمير المؤمنين قد عمك الوفا	وقد حفت الكرسي ملائكة السما
واصطفاك رب المبادخلقه	خليفة وفي كل الامور مقدما
ما زالت أيا منك يرضى يا سيدي	وأيا من أخصامك سودا معما
ورضى عنك ربي بالرضى	حيث كنت عدلا محرما
قد جئت أطلب منك الرضا	فاقبلني لان أكون لك خادماً

قال الراوى ولما فرغ الشيخ صلاح الدين من كلامه وما قاله من أشعاره ونظامه قال الملك الصالح السلام على أهل السلام أهلاً بالعالم المراقى الذى هو من أمل المراق وجاء بسعى فى الإصلاح والتلاق ثم اجلسه على كرسى القضاة فقال ايبك اجلس يا قاضى واطلب النصر الى أمير المؤمنين فقال الملك اجلس يا قاضى وادع لمن تسبب لك فى ذلك المنصب فهو ايبك هو الذى جاء بك الى هذا المكان يا شيخ صلاح الدين أنت اسمك ما هو قال كما ذكرت وقد ثبتت عندى كرامات الصالحين كثيرة يا أمير المؤمنين انك من الاكراد الايوبية من خصهم الله بالولاية والرعاية العلية قال نعم ورحم الله جدك الذى قد سميت نفسك باسمه وهو الرجل الشهيد الذى سار الى ربه سعيداً شهيداً الذى قد جازيته أنت على التعليم وقد بلغني عنك ذلك فهل هذا صحيح أم غير صحيح فقال القاضى وقد علم فى نفسه ان أمره لا يخفى عليه هو كما ذكرت يا أمير المؤمنين فقال له الملك اجلس على هذا الكرسي واجعل جلوسك قدام ايبك ووجوه الاحبة ولا تجعل وجهك ناحيتي لاني كنت أخاف من القاضي الذى كان عندنا وكانت له هيبة عظيمة على ولم أكن أقدر أن أذكر ذلك لاحد وأنت أكثر منه قراءة وعلوم وأنا لا أقدر أنظر بالقلب ولا بالعيون فتعجب الوزير من ذلك الكلام الذى قاله الخليفة ولا يعلم بحقيقة الامور الا اللطيف الخبير الغفور (يا سادة) وقد جلس القاضي وحكم وأمر واستطال وظهور ومد وكسر ونهي وزجر وهو يحكم فى الامراء والوزراء والوزير يأثم وقد تبرأ الملك من الصلاة معه ولا يكاد ان يتبعه فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر القاضي فانه صار يحكم فى الديوان بين الامراء والاقربان وغلامه الطالب منصور بين يديه الى أن ثبت رجله ثم اشترى له مكاناً بجارة الروم واستوطن فيه وبلغ ما روم ثم انه أرسل

مكاتبات الى الملوك وجاب الاموال من الملوك الكبار واطلهم على في ضميرة
وما استدل عليه ونحن ان شاء الله قابلين نتكلم عليه في التأصيله وجعل يدبر
نفسه ويفعل بأمره ومقصده الي أن ينال مطلوبه فهذا ما كان منه

قال الراوي وهو الدينساري والدويداري وناظر الجيش وكان السر
والصاحب راوي هذه السيرة المجيبة انهم بعد أن ولت الايام على السلطان
وتمكن الوزير أيبك والقاضي الديوان فيوم من الايام صبر الملك الى آخر النهار
وتقضى المنديل تحولت المساكر والرجال نزل الملك الى مكان جلوسه الى أن
أما المساء وصلى المشاء الاخره وختم الصلاة وقرأ ورده وأكل شيئاً من
الدقة والقزاقيش ووضع رأسه فنام وتوكل على العليم العلام الذي لا يغفل
ولا ينام فرأى في منامه ولديذ أحلامه منام ووحى من الملك العلام وكان
قد آن الاوان وكل شيء له أوان من الكريم الديان قال فلما استيقظ من
نومه وقد أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم ينورة ولاح وطلعت الشمس
على البراري والبطاح وسلمت على زين الاعيان الملاح قرأ الملك شيئاً من
كلام الله الفتاح ثم دخلت الاغوات اعلموه أن الديوان قد تكامل قال
الكامل لله ونزل الملك الديوان وهو يتوكأ على قضيب خيزران ويصلي على
سيد الثقلان والبخور قد امة مطلق والعدو قد صار مخنوق فلما أقبل
على التخت بسط يديه وقرأ الفواتح وأهدى ثوابهم الي ضامن جملة
العاجزين والطلالين النبي الكريم . سلم على الاكراد ردوا عليه السلام جلسوا في
أما كنهم راق الديوان فقرأ القاري وختم ودعا الداعي وختم ورقى الرافي
وختم صاح جاويز الديون وهو يقول

لاندعي بالممالك أو تقول لي ملك من حي سلطان ومالك راح وفات الملك
من يدعي الكبر هالك في بحار المهالك

والبين سدد للسالك له وكانت سلك

قال الملك سبحانه ملك الممالك سبحانه المنجي من الممالك قال ولما
راق الديوان قال الملك ياسادتنا يا علماء الاسلام رأيت في الليلة الماضية
منام فهل يصح فيها منام قالت العلماء نعم يا أمير المؤمنين ان الليلة الماضية
رؤياها صادقة لانها السابعة من الشهر العربي والقمر في زيادته وهو
غير منحوس فما الذي رأيت يا أمير المؤمنين فقال رأيت كافي في براققر
متسع الجهات ولا له اول يمرف ولا آخر يوصف فبينما انا كذلك اذا
نظرت الى ذلك الوادى فرأيت قد امتلا ضباعا من الجهات وقد نظرت
بعيني انني في وسطهم فريد ولم يكن لي مساعد ولا رشيد الا الملك المجيد
فقطعت الملائق من الخلائق ورفعت وجهي وطرفي الى الملك الخالق
وطلبت منه النجاة مما انا فيه ومن حملة ما تصور في ذهني وقلته في منامي
هذه الايات صلوا على سيد السادات

لقد آن الاوان لكل شيء	فاسعي لما رأيت من المنام
فقد أتاك الاذن من رب السماء	وقد فزت بالنظر من رب الانام
فكن حافظا لما أرينا كنه	وكن واعيا ودع الملام
ودع التفصير فاننا	نريد هدم جيش الثمام
قد جعلناك للاسلام سد	فامشي الى نصره الاسلام
واترك التكاسل في كل أمر	وشد عزمك للزحام
واسأل الرب المجيد نصرا	واطلب المز من خير الانام
واعدد الى الحزم جيشا	تبيد به الكفار يوم الصدام
واسمع واسعي لتحصيل جيش	تهدم به ركن الظلام
والصلاة والسلام على النبي	نبي المهدي وبدر التمام
قال الراوي ثم ان الملك الصالح قال للعلماء وأنتي قد اشتد بي الوجد	

وحصل بي غاية الكرب والكدر وأنا أطلب النجاة والفرج من الله فينبأ
أنا كذلك وإذا بفارس قد ثار وعلا وسد الاقطار وانكشف بعد ساعة
للنظار وإذا بخمسة وسبعون سبعا قد أقبلوا من الهضام وهم في أعظم همة
واشد استعباب ويقدمهم سبع اغتشم على القدر وسيع الصدر والمحجر له
وجه مليح أشقر حلو المائل والمنظر بوجه كدائرة القمر كما قال فيه
الشاعر الحرر حيث يقول صلوا على طه الرسول

قد جاء يندر في مشيه يخبر أغصان البان عند قدومه
ياله من صبيح وجهه قد عم بالخير الامل مع جيرانه
يا حسنه لما أتى مقبلا ياطيب عيناه ويامقلة عينه
قد أعطاه الله بهجة ووجنة تزهوا وتزهى على أغصانه
يائمه لما أتى متبسا ياطوله لما أتى ليم حماسه
يا عزمه مع حزمه مع قدره يا قدره وجمع الرجال سباعه
يهتز تيهها ويمجج تارة ويمسى ويصبح معجبا في نفسه
فياله من دون السباع لقد جري فضلا وسرف على انداده
ماذا تقول الواصفون في مدحهم ولقد عجزوا عن صفاته

قال الروي ثم أن الملك الصالح قال للعلماء وقد هجم ذلك الاسد وصار
فيهم كالبيت اذا احتد وتبعوه أصحابه والذي حو اليه من أحبابه وما زالوا
في حرب شديد وطمن أكيد ألى أن افترسوا الضباع ولحقوهم في تلك
البقاع وقطعوا منهم النخاع وجعلوا الارض منهم خالية ولم يبقوا منهم بقية
فن شدة ما عثراني استيقظت من منامي ولذيد أحلامي وهذا ما سار
وحق النبي المختار .

قال الراوى فلما سمعت العلماء ذلك قالوا له يا أمير المؤمنين أما الضباع
التي رأيتها فهذه أهل الكفر والضلالة والخداع والنفاق والملاة ولا بد

انهم يتحركوا عليك ويطلبون أذاك ويخرجون لهم تلك السباع ويحملونهم قتلا في البقاع وهؤلاء السباع هم أهل الاسلام والانتفاع يقطعون من الاعادي النخاع وينصربهم الاسلام وتستقم بهم كامل الاحكام ولكنهم الآن في علم الله الملك الملام وسيأتي مع هؤلاء سبع كبير وهو كبير القوم وهو الذي يسدد شمل أهل اللؤم فينبغي انك يامولانا تشتري لنا جلبة ممالكك من مال السلطنة ويكونون لك خاصة من غير شريك ولا تكون في هذه الامور متهاون فان منامك يدل على ذلك ويكونون هؤلاء لنصرة الاسلام وقد أذن بذلك الملك الملام

قال الراوي فلما سمع الملك الصالح من العلماء ذلك الكلام النافع الناصح تبسم ضاحكا وقال يا شاهين المسالميك يقولوا ايش قال له الوزير خلقا مثلنا وهم من أولاد آدم وبنات حواء قال الملك الله الله يا شاهين بنوا آدم يباع ويشترى قال له نعم يا أمير المؤمنين والسبب في ذلك دعوة نوح عليه السلام حين دعا على ولده وقد أسود وجهه لما ضحك عليه لما كشف الهوى ذيله ولم يغطه بل ضحك عليه وغطاه ولده الاخر ثم عاد عليه القصة من أولها الى آخرها وسبب مبيع المبيد والجواري والممالك والقصة مشهورة وكل أمورها مفهومة ومذكورة في كتب غير هذا مسطورة قال الراوي فلما سمع كلام الملك الصالح ذلك قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثبتنا الى الاولياء الكرامات والى الانبياء المعجزات ومن المعجزات اجابة الدعوات ولكن يا شاهين انا لم أعرف أي مكان يباع فيه بنى آدم فانت وكيلى وانت الذي تشتري لي وقد وكلتك في ذلك فنجاك الله من المهالك فانظر ياسيدى شاهين كم يقطعوا من التجدد وانا أعطيك اياهم فقال يامونا عنهم خمسة وسبعون الف شريفى ذهب معدودون ومفردودون ومنقودون فقال له الملك انظرهما بكام جديد لاني قليل الحساب فان كانوا

بعشرة جدد أعطيك خمسة آخر فقال له سمعاً وطاعة يا أمير المؤمنين ثم أن الملك نقض المندبل تحولت الرجال ونزل الوزير فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي) وأما بما كان من أمر الوزير الاغا شاهين فانه نزل من الديوان الى مكانه وجلس وأحدثت به جلساءه وأقرانه ووقعت بين يديه أعوانه فقال شاهين لاحد أتباعه خذ هذا الخطاب وسر به الى شيخ الياسرجه وأمره يعمل بما فيه بالكلية فقال له تابعه السمع والطاعة وأخذ خطاب أبو زيد وسار من تلك الساعة وأعطى الجواب الى شيخ الياسرجه ففضه وقرأه عليهم وفهم ما فيه من معناه واذا فيه خطاب من الوزير الاغا شاهين الى بين أيادي شيخ الياسرجه الذي نعلمك به انك تجمع كامل من كان تحت يدك من الياسرجه ونجار الرقيق وتأتي بهم عندي وتكون سريعا والحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام على نبي نطلله الغمام

قال الراوي فلما قرأ الكتاب أجاب بالسمع والطاعة ونهض على الاقدام من تلك الساعة وأخذ طائفته ورفقته وصار طالب ديار الوزير من وقته وساعته فلما وصلوا الى بين يدي الوزير قبلوا الارض منهم الكبير والصغير وسلموا عليه فرد عليهم السلام وأجلسهم وأمرهم بالاكرام فلما شربوا الشرابات وراق المكان أقبل الوزير على الكبير فيهم وقال له يا والدي ما اسمك قال له اسمي يسار الياسرجي قال له ان الملك يطلب منك جلبة بمالك كتابية يكونون يليقوا الى السلطنة بالكلية وهم خمسة وسبعون مملوكا ويكونون من ثلاثة أجناس وكلهم أولاد ملوك ومن أطيب الناس فخمسة وعشرون سركية وخمسة وعشرون أباطية وخمسة وعشرون جرجية وتأخذ الثمن كما تريد فإذا أنت قائل فقالوا له يا وزير الزمان هذا شيء لا يكون أبدا ولم يتوفق مثل الذي تذكره على بال انسان ولو قعدنا ندور عليهم ثمانين عاما في البراري والاكام فقال له الوزير وما يكون الرأي في ذلك قال له يا وزير

الزمان وفريد العصر والاوان اعلم اننا كلنا عاجزين عن ذلك الطلب ولم
نقدر عليه لو تسبنا بكل سبب غير اني أدلك على من يقضى حاجتك ويبلغك
أمنيتك وهو غلام ياسرجي عن أبوه وعن جده وهذه صناعته ورشده
وهو رجل يقال له على بن الوراقه وانه رجل قد من الله عليه بالفهم والقطانة
حتى اذا سمع حديث أى انسان يعرف هو من أى جنس كان فان أردت تقضى
ذلك الاشغال فطليك به من غير محال فلهذا الا مر سواه ولم يقضى هذه
الامور الا اياه لكن ياوزير الزمان أصيب بدام الفقر والهوان بعد العز وعلو
الشأن وقد أعلمتك والسلام على سيد ولد عدنان

قال الراوي فلما سمع الوزير ذلك من شيخ الياسرجه يسار انعم عليهم
واطلقهم الى حال سبيلهم فهذا ما كان منهم

قال الراوي ثم ان الوزير شاهين بعد ان انصرف عنه الياسرجه
من عنده أحضر الوالى بين يديه فلما حضر قبل الارض بين يديه وكان
كل والي يسمى سوا باشا فلما وقعت عين الوزير عليه قال ياسوا باشا انزل
الى الحسينية واسأل على بيت بن الوراقه فاذا وجدته تأتني به الى عندي فقال
سمما وطاعة ونزل من تلك الساعة وسار طالب الحسينيه فهذا ما كان منه

قال الراوي واما ما كان من على بن الوراقه فانه بعد المز وعلو
الشأن أصابه الفقر والذل والهوان وسار لا يملك درهما ولا دينار وقد
جار عليه الزمان الفقدار وتألمت عياله من الجوع ونالوا المشقة والاضرار
وصار لا يملك نفقة عياله لما تغرب أحواله وقدمضى عليهم ثلاثة أيام ما استطعموا
فيها بطعام وكان له زوجه من أكابر الناس فنلته ياسيدها ثم واطلع
الى السوق وتوكل على الملك الشفوق سيد كل مخلوق ورازق كل مرزوق
فلعل الله يبلغنا ما نتمناه ويزول عنا غضبه وشقاة فلما سمع المتقدم على
من زوحته ذلك الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وبكا بكاء شديد

ما عليه من مزيد وخرج وهو حزين القلب منكسر الخاطر ولم يعلم ما أذن له
به الملك القادر القاهر غير أنه توهم في نفسه أن زوجته تدعوه إلى السؤال
من الأحرار والاندال فخرج من عندها وهو يبكي وينشد ويقول صلوا
على طه الرسول

أكابد الدهر في الصباغ وفي المسا	ولي عزم جلود على حمل الاسا
وما ضرتني فقرى ولو حاجتى	ولا كادنى الا مصابة للنسا
وبعد عزي ومجدي ورفعتى	أصبحت ذليلا خاليا متردسا
وقد ألمنى بكاء الاطال حتى كانبى	صرت فى أمرى الدميم ملبسا
وصرت مثل الخيال اذا سرى	ووهى خلالي ثم أطبق الكسا
فيارب جرنى بحرمة أظهر	طه رسول الله من أزال الاسا
بحق الحبيب المشفع فى الورى	الذى أرسلته رحمة لكل عرندسا
سيد الخلائق فى الارض والسما	رسولك المختار زين كل الاجنسا
تفرج عنى همى وغمى وفاقتى	ونمحو عنى الشقاوة والراثا
والطف بمعد قد دعاك وجد له	بفرج قريب عاجل متمرسا
فأنت رب المطايا كلها	فامن يا الهى وكن عنى منقسا

قال الراوى فلما فرغ من اشعاره واستغاثته وشكوته لعالم اسراره حتى
بكت اطفاله وعياله وقد ألمه ما هم فيه من الضرر وحلت عليهم مكابد الدهر
فقال له زوجته سر يا سيدي من غير تكدير عسى ان يردك علينا مجبور
الخاطر الملك القدير فصار علي وهو باكى والى مولاه شاكي وخرج من
داره من الحسنية متوكلا على رب البرية وسار فى الطرقات وهو لا يدري
الى أين يذهب من الجهات ولم يزل سائر الى ان اتى باب الشرية فينما هو
كذلك اذ نظر الى رجل زيات وكان ذلك اسبابا من رب اليريات (ياسادة)
فلما نظره الزيات عرفه فنهض من مكانه واقبل اليه وقبل يديه ورجليه

واخذه واجلسه على الدكان ووقف بين يديه وقال له يا سيدي انت على بن
 الوراقه فقال له نعم انا يا هذا وانت من تكون فقال له الزيات انا خادم
 والدك ومثري في نعمته وما انا البهلول سايس ركاباً إليك فاخبرني يا سيدي
 ماذا جرى عليك فقال له اعلم اني بعد السعد افترقت وبعد الغنى انكسرت
 واعتزاني ما اعتزاني من المنا بعد عزى والفنا وقد ذهبت متاجري البعض
 في البحار والبعض في البراري والقنار وقد رضيت بالقضاء والقدر من الملك
 الحبار والمجد على كل حال ولا ينبغي ذكر ما قد مضى فلقد ثاب وانقضى
 قال الراوي فلما سمع البهلول الزيات ذلك الحكايات اخذته الحمية
 وحكي على ما جرى له بالسكية وقال له يا سيدي والله الذي لا اله غيره ما خدمت
 سواكم ابدا ولكن هذا تقدير رب الارض والسما ثم ان الزيات نهض على
 الاقدام واخذ قصعة كبيرة من الدكان واتى بمائة خبز حامية وبسهم في ذلك
 القصعة من السمن البقرى وعسل النحل الابيض المفتوح وقال له يا سيدي
 خذ هذه القصعة وصربها الى الدار واعلم منها العيال الصغار فاذا فرغت
 تأتى الى عندي وتأخذ ما تريد من يدى فقال له جزاك الله يا اخي كل الخير
 وكفاك كل هم وضير ثم انه حله القصعة وناوله في يده ورقة فيها ستين فضة
 وباس الزيات يد علي وقبله على ما جرى عليه فهذا ما كان من امر البهلول الزيات
 (قال الراوي) واما ما كان من علي بن الوراقه فانه سار بذلك القصعة
 وقد اخذته الفرحة ولم يزل سائرا الى عند السلجانية بينما هو كذلك اذ
 رأى رجلا جالسا تحت السيل وهو يقول طالب من الله ومن رزق الله
 ومن خير الله قصعة بسيسة يكون فيها مائة خبز حامية وعليها السمن
 والعسل والذي يأتيني بها يعطيني ستين فضة وأجره بعد ذلك على الله رب
 المزة والقدرة فلما سمع المقدم على ذلك الكلام قال في نفسه ان هذه الاشياء
 التي ذكرها هذا الرجل المسكين لم يوجد أحد حاملها غيري من الناس

أجمعين وأنا رجل فقير وهذا الآخر رجل مثلي فمن رأى انى اشاركه وأقدم له نصف البسيصة وأعطيه نصف المعاملة ثم أقبل اليه وقبل يديه وسلم عليه وقال له يا مولاي انا رجل مثلك وأمرى كأمرك غير ان الذى ذكرته فهو معي وانا عيال جائعين والى عودتي لهم منتظرين وقد رضيت بالقسمة بيني وبينك فهل تريد أن تشاركنى وتأخذ مامى أو تأخذ البسيصة وترك مامى من الدراهم أو تأخذ الدراهم وترك مامى من البسيصة أو تأخذ النصف فى كل شىء منهم فشأنك وما تريد

قال الراوى فلما سمع الفقير منه ذلك الكلام أبداً الابتسام وقال له يا أخى انا طالب من الذى عطاك فهو الممطي المانع وأنا ما سألتك فان أردت أن تعطى مامك فافعل والا فإذهب به الى حيث تريد فلما سمع على منه ذلك الكلام قال له ياسيدى خذ ما معي جيمه وانا رزقى على الله تعالى الذى خلقنى وأنشأني وانه لم ينساني ثم انه دفع اليه الدراهم والبسيصة وقال ياسيدى ها هو مطلوبك فعند ذلك قال له الله يزرع ألم الفقر من جوفك ويزيل مرارة القهر من قلبك ثم أن الفقير مد يده فى القصة مرة واحدة فتارة القصة كما قيل فى الممى من الاقاويل

اعلم ان الدنيا تزول بأهلها وما هي شبيهة الخيال قال وكان على بطن انه يأكل منها ويأخذ هو الذى يبقى الى عياله فلما شاهد ذلك العجب تعجب من تلك الاحوال وقال فى نفسه لاشك فى هذا الا انه من الرجال الابطال هذا وقد تقدم اليه على وقال له ياسيدى سألتك بالله الا ما دعيت لى فقال له ذلك الرجل الفقير أسأل الله العظيم رب العرش الكريم رب موسى وابراهيم وزمزم والحطيم أن يرزقك بالنوالى

في هذا النهار ويأخذك من دون العالم اجهار وأنت مكتف اليمين على اليسار
 ويتكلم فيك الصغار والكبار فلما سمع على منه ذلك الكلام أخذته الاوهام
 وقال لاحول ولا قوة الا بالله الملى العظيم أدفع بها عن نفسى ما أطيق ومالا
 أطيق وقد سلمت نفسى الى اللطيف الشفيق ثم تركه وانصرف ولم يدر من
 هو هذا الرجل وكان قطب الدائرة المتولى بذلك الوقت ثم ان الاستاذ
 خفى ما بان كانه ما كان فهذا ما كان من أمره
 (قال الراوي) وأما ما كان من أمر على فانه أخذ القصعة وأعادها الى الزيات
 وسلم يعلمه بما جرى له من الامور السيئات ورجع ولم يعلم الى أين يمضى
 والى اين يذهب وقد ضاق به كل مذهب فينما هو كذلك واذا بالوالى وقد
 أقبل بعيلته عليه وقد تقدم اليه وقال له انت اين الوراقه قال نعم فعند
 ذلك صاح الوالى يارجال هذا غريم الوزير فامسكوه فتقدمت اليه الرجال
 وأوثقوه كتنا في الحال وشدوه بالحبال وكان قريبا من الحسينية فلما عاينوا
 ذلك أولاد حارته ونظروا ماحل به من حيرته نكلموا في حقه فقال واحد
 منهم لآخر ماذا فعل على حتى أخذوه وفي ذلك الحال أوثقوه فقال له انه
 يدق الزغل فقال آخر وحق العزيز الاجل الازل وانما أنا أعرف القضييه
 وقد علمت بها من ليلتى الماضيه فقالوا له وكيف ذلك وما الذى فعل
 فقال لهم اعلموا أنه قتل زوجته فقال الآخر لا لا وانما نكح بنى الوير
 فقال آخر سرق وآخر شهد زور وتكلمت الناس على قدر عقولهم وما
 يهوى تخريفهم فهذا ما كان من امرهم وأما أهل الخير العقلاء أهل القناعة
 النبلاء فانهم قالوا لا بد ان عليه ديون أو ضمانات أو ربما تكون السلطنة
 احتاجت اليه في بعض مهمات فالله تعالى يسهل عليه الخيرات ويدفع عنه
 المضرات وهذا والوالى سائر بعلى الى ان أقبل الى منزل الوزير وكان هذا

تقديرا من اللطيف الخبير (ياساده) وقد سار على متفكرا في أمره ولم يعلم
بذنبه وما السبب في قبضه وهو بنعي على أولاده ونفسه وقد نزم بهذه الايات
صلو على سيد السادات

ولكنه يهدم على الرجال	لقد كان الدهر محسنا الى
ذهب غنى متجري ونوالي	وبالتقدير المحتم من خالقي
ومن جوره فقد أجاع عيالي	واعتراني الفقر حتى كاذني
أضنى قواي وأورثني نكالي	وتكبر وتجبى حتى انه
وكم فعل مثل ذلك بأمثالي	وتركني رهينا في قيد صجن
صغاني في الودي مع كالي	ولا يدعون لي قدرا ولا يعرفوا
عند الايام باسم والي	قبضني باشة الوا المسمى
وكم ظلم مثالي مع مثالي	وما هو وال الا بسقر
وفرج كرتي واصلح حالي	فيارب كن لي مغيثا
من فاقتي واهانتني واذلالي	وامح غنى ما اعتراني
سيد الانام وعين الدلال	توسلت اليك بأحمد المصطفى
ما تعاقبت أيامنا بليالي	عليه الصلاة والسلام جما
والتابعين وجميع الال	كذا الاحباب والاحباب حقا

(قال الراوي) ولم يزل على يدعوا ويتضرع ويستغيث الي ان أقبل به
الوالي الي بين أيادي الوزير الاغا شاهين وقال نعم ياوزير الزمان هذا
الذي طلبته فقال له الوزير من هذا قال له علي بن الوراقه فلما سمع
الوزير من الوالي ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال له يا قليل
المعرفة والادب أنا امرتك ان تكتفه وتتعبه ذلك التعب وتقل قدره بين

الانام المقل منهم والعموم فقال الوالى اُدام الله بقاء مولانا الوزير الذي بكل الامور خير يا سيدى أنت أدري منى بكل ضمير وذلك أنه لما أمرتنى بمجيئه فتصور عندى اهانتة لان الوالى رسول الفضب ولو كنت أنت راضيا عليه كنت أرسلت غيرى اليه اما بجواب واما بخطاب واما بخلعة أو هدية أو بدلة سنية وأما أخذ الوالى فهو كما رأيت فقال الوزير صدقت ولكنى ما ظننت ذلك ولا قرأت ثم ان الوزير نهض بنفسه على الافدام وحل بيده كتفه والبسه عمامته وأطلق أطرافه وأخذه بيده وأجلسه وأمرله بالشرابات فشرب وأزال الله ما به من التعب واطمأن قلبه وهدأت سرأته ولبه ثم قال الوزير للوالى أخبرنى ما ذا فعلت معه فقال له يا سيدى نزلت من عندك الى الحسينية وسألت شيخ الحارة عن منزله فدلتنى فطرفت الباب فجوابتنى زوجته بأفصح خطاب وأحسن جواب فسألتها عليه فقالت مضى الى السوق فأخذت من أهل الحارة من يعرفه ومضيت معه فوجدناه سائر فى الطريق فاوثقتة كثافا وأتيت به الى جانبك من غير خلاف والسلام قال فقال الوزير لعنة الله على كل ظالم ثم صاح فيه امض الى حال مسيلك فخرج الوالى من بين يديه وهو يتعثر في أذياله فهذا ما كان منه وما جرى به

قال الراوى وأما ما كان من الوزير فانه التفت الى علي بن الوراقة وقال له يا سيدى أخبرنى عما جرى بك وكيف افتقرت بمد كثره مالك ونوائك وكيف ذهب فضلك وافضالك فقال يا وزير الزمان كل شيء بتقدير الملك الديان وحق رأسك والملك العلام منذ ثلاثة أيام ما استطعت أنا وعيالى فيهما بطعام وقد صارت على ديون كثيرة وبقيت فى أعظم حيرة وقد كنت تاجر شهير وبكل الامور خير ففرق مالى فى البحر واتهب باقيه فى البر وقد ركبتى ديون كثيرة واعتراني الفقر والحزن وقد رضيت بما

فقد الرحمن على من اللطاف والامتنان فقال له الوزير دعنا من ذلك الآن واعلم اني ما طلبتك الا الحاجة ومقصودي قضاؤها من غير لجة وهي مطلوبة الي السلطان فقال وما هي يا وزير الزمان فقال خمسة وسبعون مملوك يكونون مرافقين وأولاد ملوك ويكونون ثلاث أجناس سركية وجرجيات وأباضية فقال له وزير الزمان وفصيح اللسان نعم اني أفهم الاشارات وأفهم اللسان واللغات ولكني اذا سافرت في طلب تلك الحاجة يتحركون على أهل اللجة لاجل ما لهم عندي من الديون وربما أخذوا دراهمهم مني فأرجع مغبون فلما سمع الوزير مقالته وفهم معنى سؤاله فقال له لا تخف فالامر قريب بأذن الملك المحيى بالله تعالى يعطيك العسر ويثيبك بالاحسان غاية الاجر ولكن أخبرني حيث أنك تعرف باللسان فهل تعرفني وتعرف أبي بما سمعت من لغاتي فقال نعم أعرفك يا وزير الزمان حق المعرفة وأعرف تلك الصفة فقال له الوزير أخبرني الآن فقال أعطى الامان فقال له عليك الامان فقال له يا وزير الزمان أنت أبوك من الترك وأملك من بلاد المغرب فهل هو ذلك أم لا فقال الوزير نعم يا علي هو كما ذكرت والحق كما وصفت ولكن يا علي اذهب الى منزلك الآن واذا كان من الغد احضر الى عندي في الديوان فقال له السمع والطاعة يا وزير الزمان هذا وقد خلع عليه الوزير خلعة سنية وأمر له بخمسمائة دينار عديدة ثم صاح الوزير على الخزانة فحضروا الي بين يديه بالكلية فأمر الوزير بخمسمائة حمل محملة من الارز والسمن والعسل والقمح ومائة شاة من الغنم وخمسين من الابل وخمسمائة حمير محملة اخشاب وأحطاب وأرسل الي عياله البديل وكذلك زوجته وقد أذهب الله فقره وفاقته وقال لهم الوزير سيروا بهذا كله الى بيت هذا الامير وحق رأسي أن يصل كل ذلك قبل أن يصل هو

الى هناك فعند ذلك جهزوا كل ما قال عليه الوزير وساروا بالجميع الى البيت
وطرقوا الباب ففتح الباب فلما عاينت زوجته تلك الاسباب ظنت أنهم تاهوا
عن المكان الذي هم اليه قاصدون وعليه معتمدون فقالت لهم ما هذا بيت
الامير وانما هو بيت رجل فقير فقالوا لها يا سيدتي هذا ارسله اليك سيدنا
على باشا تاجر السلطان ففرحت بذلك الامر والشان وزال عنها وعن
عيالها كل الاحزان ورجعت الحالين والشيالين الى حال سبيلهم وقد انخزن
المكان وأما علي فانه فرح بما اعطاه الوزير من الاحسان وقال سوف
اطعم عيالي بما أوهبني الملك الديان ولم يزل سائرا الى أن أتى المكان
فوجد فيه الخير والاغنام وقد مضى الشر عنه والاسقام ففرح بذلك غاية
الفرح وزال عنه الهم والترح واتسع صدره وانشرح ثم أقبل الى زوجته
واخبرها بقصته ففرحت وانشرفت وكذلك العيال لمبوا بعد ما سمعوا باذن الملك
المتعال وقاموا باقى يومهم وليلتهم وهم في حظهم وفرحهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء
قال الزاوي وأما ما كان من الملك الصالح فانه بات واصبح يصلي علي
من له الورد فتح جلس على كرسى قلعة الجبل بوحد التقديم الازل تكامل
الديوان جلست العساكر والاخوان أقبلت العلماء والاشراف وأهل المراتب
والانصاف وطلع الاغا شاهين وجلس في مكانه بعد أن سلم وصبح على كامل
اخوانه وطلع القاضى وهو يقرأ كلام الملك الهادي وصبح وجلس على كرسى
وتكاملت جند الديوان وحواشيه وقرأ الملك التوائح وأجدها الى الخاتم الفاتح
ثم قرأ الحزب وختم رقي الراقى وختم دما الداعى وختم صاح جاويز الديوان

قد غرت دار الدنيا وأحوال الملوك تتغير
قد جل الذي في ملكه دائم باقى يغير ولا يتغير
ومقر العالم بكأس الموت وهو الذي لم يقهر
اخنارت الافهام في صنعه وقدره في العقل لا يتصور

قال الروى فقال السلطان آمنا سبحان عالم الغيب سبحان سائر العيب
سبحان راحم الشيب اراد الملك أن يتعاطى القصص ويزيل الفصص حكم ما أمر
مولانا جد الاشراف واذا بباب الديوان احتجب والستار أنشدو على ابن الوراقفة
يقبل الارض وهو يقول صلوا على طه الرسول

تصبحك السعادة كل يوم باجلال على كيد الحسود
أدام الله لك الايام بيضا وأيام من عداك سود

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثانى أوله مقابلة الحسن بن الوراقفة
الياسرجى بالملك الصالح ونكليفه بمشتري الممالك

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيعة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء الثاني

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)

بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

مطبعة القاها بمرقس الميالي بمصر

لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي



(وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم)
(قال الراوى فلما رآه الملك الصالح ولي الله الناجح قال له أهلا وسهلا
ومرحبا ياسيدى على ياابن الوراقه ياأبى الحسن الوراقه ياابن محمد الوراقه
ياابن سعد الوراقه أنك اسمك ما هو قال ياأمير المؤمنين اسمى على ابن الوراقه
فقال له وما الذي تريد يا على فقال له الاغا شاهين يا مولانا السلطان هذا الذي
يجيب لك المماليك الحسان الذي رأيتهم في المنام فقال له ياسيدى على أبت تفعل ذلك
قال نعم ياأمير المؤمنين فقال اعلم أنى طالب منك حاجة أخرى وذلك انى طالب مملوك
خاصة لنفسى يكون فيه الشروط التى أذكرها اليك وهو أنه يكون فهم قوي وفطين
قوى ويكون يحفظ القرآن قوى ويكون ضعيف قوى ويكون وجهه حسن ومحمود
اسمه واذا غضب يكون فى وجهه جذريات تملكه من الطارقة اليمن الى الطارقة اليسرى
ويكون بين عينيه شعرة أسد وبين حاجبيه سبع من اللحم هذا عند الغضب
واذا راق لم يكن لذلك عنده أثر ولا سبب فاذا تقول فى ذلك يا على فقال
على يا مولاي ان وجدت هذه الشروط أتيتك بالمطلوب وحق علام القيوب فقال
له الله يسهل عليك الامور ويجعل خاطرك مجبور ولكن خذ هذه السرة فاذا

وجدت هذه الصفة اشترى بها ولا تفتحها ولا تعلم ما فيها الا أنت ولا الذي تشرى منه بل تقول له يعني بهذه السرة ألهجولة فقال سمعاً وطاعة (ياساده) وقد تحدث على في نفسه فقال هذا شيء لا يكون ولا تدرك هذه الاوصاف في احد من البشر وكيف اني اشترى بشيء مجهول وكيف يبيعني صاحبه بما لا يعلم من المحصول فعند ذلك كاشف عليه الملك الصالح فقال له يا علي اذا اراد الله قضاء شيء هياً له الاسباب فارجع يا علي عن سوء الظن واحسن الخطاب فسوف تري ما يسرك وتدفع عنك شرك وضرك فسر الى ما امرتك به وسلم امرك لمولاك واعتمد عليه ثم قال الملك للوزير اعطه ثمن المساليك يا وزير الزمان اعطه خمسة وسبعين بدلة ملكية يا وزير الزمان اعطه خلعة ثنية يا وزير الزمان اكتب له حجة متمكنة شرعية بأنه يكون شيخ على طائفة الباسرجية يا وزير الزمان هذا رجل مديان وربما يقبضوا عليه اصحاب الديون فيأخذوا منه الماليك والتجارة ولا يناله منا الا الخسارة فاكتب له فرمان بعدم المعارضة في البلدان واذكر فيه ان جميع ما علي من الديون يحسبهم من مال الارض أو من الخراج ومن لم يكن عليه مال ولا خراج يحسبهم على السلطان وكل من عليه ديون من أهل البلدان يأخذه من نايبها الذي يكون عليها وبضيف ذلك مما عليه أو يرسل به مكاتبه ويقبض من الديوان حكم ما أمر السلطان والحذر من المخالفة والسلام على نبي تظله الغمام وكان كل ١٠٠٠ ضمير الوزير وكذلك على ابن الوراقه فكتب له ذلك ونزل من الديوان بعد أخذ الدراهم والمطبات والبذل وسار المنادى بالفرمان قدماه ينادي وهو يقول يا اولاد مصر كل من له ديون أو ضمانات على علي بن الوراقه يطلع الى الديوان ويأخذ حقه من السلطان حكم ما امر به الصالح أيوب ولي الله المجذوب والحذر ثم الحذر من الاختلاف فانه يورث الاتلاف

قال الراوي فلما سمعت اهل مصر بذلك تضاحكوا وقال واحد لرفيقه على عليه اربعون فضة فاذا طلعت الى الديوان ما يعطيني الملك وما عنده الا مقاطف الخوص فقال الاخر عليه تسمون فضة وان الملك لم يحكم عليهم فقال له الاخر يعطيك الدلق فقال الاخر يعطيك الترس الجبز فقال لهم رجل آخر اعلموا ان كل من كان له ديون وطلع الديوان ليطلبهم قتلوه الاغوات وبذيقه كاس الممات فقد اتفق الوزير مع الملك على ذلك الحالات ثم ان الناس تكلمت بمثل تلك الخرافات وقد تركوا ما عند على خوفا على انفسهم من طلوع الديوان فهذا ما كان من امر هؤلاء

قال الراوي واما ما كان من امر على بن الوراقا فانه اخذ ثمن الماليك وأخذ الفرمان وترك ما أخذه من الانعام الى أولاده وأخذ بجذ السير وحزم له متجر عظيم وذهب ما كان عنده من الفقر الجسيم وارتحل من هذه البلد وقد توكل على الواحد الاحد ولم يزل سائر من بلاد الى بلاد ومن مكان الى مكان حتى توسط الطريق واخذ على طريق غزة ولم تكن الا اياما قلائل حتى أقبل عليها فنزل في خان من الخانات فينا هو جلس ثاني يوم واذ اقدأقبل عليه اربع أغوات من عند الوزير حسان نائب غزة وباشة ذلك المكان فلما وصلوا اليه سلموا عليه وقالوا له اجب سيدنا حسان فقال لهم سعي على الرأس والاعيان ثم نهض معهم الى الديوان وسلم وخدم وترجم فقال له الكردي حسان الحمد لله الذي أغناك بعد الفقر وأعطاك وأرضاك بعد القهر فأعطني ما عليك من الحساب القديم وسلمني الذي جئت به الان فقال له خذ فرمان ابن عمك السلطان ثم أخرج له الفرمان فلما رآه قام على الاقدام وهو يقول بعلو رأسه السلام والتحية والاكرام على ملك الاسلام وأهل السلطنة وأهل الاحتشام فتصارخت الرجال بالسلام ثم أخذ القومان وقبله ووضعوه على راسه وقرأ ما فيه وتأمل معانيه يجذ فيه خطابا من أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين الى جميع نياب الارض

والبلاد وسكان البراري والوهاد ومن كان في القرى والسوادانهم لا يتعرضوا لعل
يوجه من الوجوه والذي عليه يحسبه على أميراً ومنين والحذر من المخالفة والسلام
قال الراوي فلما سمع الوزير حسان الكردي ذلك الكلام أجاب بالسمع
والطاعة ثم أعطاه الفرمان وقال له يا سيدي لا بد أن تشتري لي مملوكاً يناسبني
فقال إذا رأيت ما يناسبك شريت لك فترك سبيله وماد على من عنده الخان
وبعد أن أخذ الراحة سافر من غزة إلى الشام وقد توارت الأخبار إلى عيسى
الناصر شرف الدين فنزل بنفسه إلى عنده ولما وقعت عينه عليه قال له ادفع
لي ما عليك من الدراهم فقال له ممماً وطاعة ثم أنه أخرج له الفرمان وأعطاه إياه
فلما قرأه قال ممماً وطاعة ثم قال له إذا رأيت مملوكاً يناسبني فاشترني لي إياه
فقال له إذا رأيت ما يناسبك أتيت به إليك ثم سافر من الشام إلى حلب فتعرض له
أقط النجبين فأعطاه الفرمان فامتثل وقال له هات لي مملوكاً يناسبني فقال له ممماً
وطاعة ولم يزل سائر من مكان إلى مكان حتى أنه وصل إلى مدينة (برصا)
وكان بها حاكماً يقال له مسعود بيك بن عثمان فنزل في خان من الخانات وأقام به
يريد الراحة (ياساده) وقد بلغت الأخبار إلى الأمير مسعود بيك بن عثمان بأن
علي بن الوراقة قد أقبل بالتجارة فأرسل إليه أربعة من طرفه فلما وصلوا إليه سلم عليهم
وسلموا عليه وقالوا له أجب الأمير فقال ممماً وطاعة ونهض معهم إليه وسلم وقبل
يديه فأجلسه إلى جانبه وقال له يا علي ما سبب مجيئك إلى هذا المكان فقال له
يا مولاي إني أريد أن أشتري مما إليك إلى السلطان ثم أنه حدثه بالقصة من أولها إلى
آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فقال لا بد أن هذا الشيء لا يتصور ولا
يكون ولا يخطر بالظنون فقال له لا بد أن يأتي من العرضيات ما لم يكن في
الحساب ولكل شيء أسباب ثم إن علي بعد أن أخذ مجلسه مع الأمير مسعود
بيك أراد أن يعود إلى محل التجارة والخان فقال له يا علي لا بد لك من
الضيافة وأقلها ثلاثة أيام وحق الملك العلام فأقام علي عنده وقد شكر فضله

وبأت تلك الليلة فلما أصبح الله الصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح جلس الامير وأرسل أحضر الباسرجية الذين هم بتلك الناحية فلما حضروا سألهم عن مطلوب السلطان فقالوا هذا أمر لا يتم لانسان ولم يقدر على ذلك فعند ذلك صرفهم الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم ثم بات عند الامير الليلة الثانية والثالثة وهو في أعز الاكرام

قال الراوى وأعجب ما فى هذه للسيرة المجيبة والامور المطربة الغربية وما حصل من الاتفاق الذي يجب أن يكتب بالذهب ويسطر فى الاوراق لمافيا من توفيق الخلاق ولما أصبح الصباح وأضاء الكرم بكوكبه ولاح جلس الامام الامير مسعود بيك بن عثمان بين أهل دولته وقد استيقظ على من نومته وصلى فريضته وقرأ شيئاً من كتاب الله تعالى ثم أراد أن يخرج من المكان الذي هو فيه واذا به سمع شيئاً يدوى كالنحل على يمينه فتبع ذلك لاجل أمر يريد خالقه ومعينه ولم يزل سائر الى أن انتهى الى قاعة بأربع لواوين ودر قاعة وهي متسعة الجنايات وكل ليوان عليه الفراشات وبها مهالك كأنهن الافار فنظر الى اللوان الثانى فرأى به مهالك آخر وكلهم كالبدرد اذا بدر فى ليلة أربعة عشر كما قال فى حقهم الشاعر المفضل حيث يقول صلوا على طه الرسول

بدور قد أظهروا بطلوعهم	جميع النجوم الزواهر
وزادوا على بدر السما	واقفوا على نجم المشتر
كانهم ورد قد انتشا	فى رياض العبقـر
مجلين بذى الجمال مع البها	وملابس كالزعفران الاصفر
واخبرنى قباهم وكانهم	عيدان خضر فى رياض الانهر
بملابس علت الملابس كلها	وشيها مثل المقيق الاحمر
قد فاح جمع المسك من اطواقهم	وعلا على جميع أهل المحضر
يا حسنهم يا قدم وجاههم	قد زانهم اغناء تلك المنظر

يازينتهم مع وصفهم وصفاتهم حيرت كل الواصفون القهر
 ما حازهم أحد تحت السما الا الامير مسمود وليس بمنكر
 قال الراوي فلما نظر علي الى ذلك الممالك تعجب غاية المعجب وقد رأى
 يقرأون القرآن ويمرّفون الخط والاحسان ورآهم فرقتان فترك الفرقة الاولى
 وتبع الثانية وتقدم الى عند الممالك فرأى عليهم مملوكا قصير الطول كبير
 الدماغ واسع الصدر مفتول القوائم فلما أقبل علي بن الوراقه اليه سلم عليه
 فلم يرد عليه سلامه ولا التفت الى كلامه بل هو كما قال فيه الشاعر
 متكبر متغطرس في نفسه قد علاه الاصفرار مع العبر
 قصير الطول والرأس منه طويله حوت المكاره والخذاع مع المكر
 ذات مكر كربه في الوري قد أعجز بمكره جمع البشر
 يا لله الامان من الماكرين كلهم يا لله السلامة من الخداع مع الضرر
 ما المكر الا للكافرين صنيعه ولم يبالوا من جهنم مع سقر
 (قال الراوي) فلم نحقق علي منه ذلك علم انه كبير النفس وقد تناقرت
 أتباعه من حواليه وصاح ولد به فقال له علای الدين وقال له ارجع عنا لانك
 فلاح قليل الانصاح لأي شيء تأتي الى عندنا وتدخل مكاننا ثم نهضوا عليه وقد
 أرادوا أن يضربوه فعاد عنهم وطلب جهة اليمين فرأى الطائفة الاخرى ورأى
 كبيرهم وهو كانه قضيب البان زاهر الاعطاف مليح القوائم والاطراف يقال له
 أيدمر وتحت يده اربعين مملوكا فلما أقبل علي سلم فنهض له على الاقدام ورد عليه
 السلام وسلم عليه سلام الاحباب وصاح بالممالك وقال لاي شيء تفعلوا به
 هذه النعمال اما تملوا اننا كلنا عبيد الملك المتعال وكلنا خلقه واحدة ولا فرق بين
 الفلاح والجندي والمغربي والكردي والبربري والهندي وكلنا خلقه ربي قال
 فلما رأى علي ما فعل معه هذا الفلام من التلقي وحسن الاكرام وطيب المقال
 والكلام احبه جبا شديدا ما عليه من مزيد ومال اليه وجلس الي جانبه

جعل ثم علي بمدحه بهذه الايات صلوا على سيد السادات

يا كريم قد علاه الجمال وزانه الباري بوصف جميل
يا محبا للعالمين كالا قد كمالك ربي ولا لك مثيل
يا هلال قد تلالا في ردة بيضا شبيه النليل
يا شفاء لكل العلل كلامك شفى للعليل
يا بدرنا ليلة كماله يارحيقنا وماء السلسيل
يا خيلا جلا خبالا انت المشيق وانت الخليل
ما رأيت لصفوك مثالا يادوائي فحسي نجيل
جد لي بحسن المقالا عسى بقولك اشقى للليل

(قال الراوي) ثم ان علي بعد ان مدحه بمثل هذه الايات تبسم له ضاحكا الامير ايدير وزاد في الابتسام ثم قال له من انت ياسيدي وما تريد وما سبب اقدامك علينا وادخالك الينا فقال له ياسيدي انا ضيف عند الامير مسعود بيك بن عثمان وقد انتبعت من منامي فتبت عن طريقتي وسمعت القراءة فتبعتها حتى اتيت الى هذا المكان ومن انتم فأخبروني فقالوا له نحن عمالك الامير مسعود صاحب الكرم والجود أنا وهؤلاء الاربعة سركية والباقي اباضية وجرجية وهم كذلك مسلمون اولاد مسلمون وما منا الا من هو ابن ملك كبير او بطل شهير او سلطان أو أمير ولكن فهذا حكمت التقادير وكلنا نقرأ القرآن ونؤمن بالرحمن قال فلما سمع على ذلك قال في نفسه والله لا يصلح للملك الا هؤلاء الجميع الرفيع منهم والوضيع ثم ان عليا اخرج من مكتوبه عشرة ذهب وناولها الى ايدير وصاحبه وتركه ومضى راجعا (ياساده) وقد زادت الممالك قدحا في ايدير وقالوا ان هذا الرجل مفسود ويريد ان يأخذ هذا من دوننا ويرغبه بالمال والنقود وقد صاروا يقدحون في الاثني وايدمر يسمع هذا الكلام ولا يبدى لهم مرار هذا ما كان من امر هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من على قانه سار من عند المالك ودخل على الأمير
فترحله وأجلسه وطلب له الشراب والماء كل والقطورات والقهوات فلبس
تعباً الفراغ من ذلك وراق الديوان وصفي المكان قال على يا أمير المؤمنين رأيت
عجيباً عجيباً وأسأل الله أن يكون لي فيه نصيب فقال له وكيف ذلك قال له أعلم
أنى سألتك بالأمس عن المالك فأخبرتني بأن ذلك لم يوجد وقد رأيت عندك من
دون زيادة ولا نقص وأن هذه البضاعة وجدت في هذه القاعة فإذا أنت قائل
قال الراوى فلما سمع مسعود بك ذلك الكلام سار الضياء في وجهه ظلام
وقد صعب عليه وكبر لديه ثم زاد بعد الغضب فقال له يا قليل الأدب أنت رجل جئتني
فاكرمك وجاهلك مني غاية حظك فكيف أنك تقابلني بقييح فلك وتذكر
لي مثل ذلك بجهلك وكيف بتصور في عقلك أنك تأخذ مني ما رأيت ويكون تحت
يدك فلا كان ذلك أبداً ولو كان السلطان سعيد السعدا ولكن وعز الله أن ظلمت
عليك شمس غداً وأنت في برصة لاذيقك العذاب وكل غصة ثم أنه صاح فيه أن
أذهب عني وأخرج من بلدي فنهض على من عنده وصار يجرى ويتعثر في أذياله
وربما أنه بال في سرواله وما زال كذلك إلى أن أقبل إلى الخان الذي نزل فيه هو
ومن كان معه من الفلماني فلما وصل إلى مكانه قال هلموا بنا إلى مكان غير هذا
المكان وتأخذ راحتنا فيه بالأحسن لأنه قد وقع علينا أمر من صاحب هذا البلد
بعدم الإقامة فيها وذلك أني رأيت عنده مطلوب السلطان وسأله عليه باللسان
فأهانتني وأوردني النقصان ثم أنه أمر الرجال فحملوا البغال والجمال وطلبوا أبواب
برصة فأمس المساء الا وهم خارجين بر البلد فقال لهم على دعونا نكمل ليلتنا في
هذا المكان وعند الصباح نرحل بأذن الملك الفتح فقالوا له هذا هو الصواب والأمر
الذي لا يباب ثم أقاموا خارج البلد فهذا ما كان من أمر هؤلاء
قال الراوى وأما ما كان من أمر مسعود بك بن عثمان قانه أوصى جنده

والعسكر وقال لهم غداً اذ وجدتم على فاقتلوه ودعوه منتظر واذا ارتحل فانركوه
يسير كما يريد في الحجر والمهمة الاغبر فقالوا له ممماً وطاعة (ياسادة) ومن عجيب
هذه السيرة ما جرى في تلك الليلة من الكرامات والطاق الله الخفيات وذلك
ان الملك الصالح في اليوم الذي خرج فيه علي مطرود من برصة جلس الملك على
كرسي قلعة ودارت به أهل دولته وتكامل الديوان بكامل الاخوان قرأ القاري

وختم دعا الداعي وختم رقي الرائي فختم صاح جاويز الديوان وهو يقول

يا من يرى كل الامور جميعها ويعلم ما تخفى الانام وتظهر

ها أنت الباقي يا الهى وسيدى وأنت عون المستغيث ومنصر

لك الدوام مع التنا ثم البقا وجميع ما تراه يقنى ويقبر

قال الراوي قال الملك آنا من اين كنا حتى اتصلنا سبعان مالك المالك يا حجاج
شاهين قال له نعم يا أمير المؤمنين قال الملك الطير نظر الطيور قام اعلم الطير قام
الطير طرد الطير من القفص وقال اذا دخلت القفص نقرتك بمنقاري قام الطير
خاف من الطير فأت القفص للطير وطلع بعيد عن الطير ولكن لا بد يا حجاج شاهين
ان الطيور يأخذهم الطير ان كان برضا الطير او غصباً عن الطير وعزة الربوبية
الا يمشى كلام الطير فقال الاغا شاهين لاله الا انت يا مولاي خلقتني وورقتني
وبهؤلاء السادات ارفقتني فأسألك اللهم لا تحرمي من أسيادي يا سيدى اين الطير
واين الطير اخبرني فقال له يا رجل لا تؤاخذني في كلامي انا رجل مجنون
(ياسادة) ونقض الملك منديله نحوكت الرجال فلما أمسى المساء ونامت كل عين
يقظانة ودام الدجوم وازهرت النجوم واطلع الحي القيوم ونام الامير مسعود بك
واستغرق في منامه ولذيذ احلامه واذا بيد وقعت على صدره مثل جبل أحد
وكادت روحه ان تفر من الجسد وقد رأى القائل يقول له فتح عينيك واسمع
بأذنيك أنا الملك الصالح الفقير الى الله وعزة الربوبية ان لم تصطلي على الممالك
بالكلية والا تفقد هذه الحرية من ظهرك وصار يدي أخذ عمرك وجعلت

يومك كما مسك فانظر لنفسك ودبر أمرك أما ان تسلم الممالك وتسلم وأما تسلم
نفسك وتعدم وبأخذهم على من بعدك ثم صاح فيه فانتبه من نومه مرعوب وهو
على علي ملهوب فهذا ما كان منه وأما ما كان من على فانه نام وهو متفكر في
نفسه فما بشعرا لا ويد على صدره كأنها ريش النعام أو هبوب الريح العظام والقائل
يقول له يا علي اعلم اني أنا الرجل الفقير الملك الصالح يا ولدي غدا يأتي اليك مسعود
بك بن عثمان ويعطيك الممالك بالامان فاشترى منه بما يخلصك فوعزة ربي لم
يقدر على خلافك لو أعطيتهم فيهم كيسا من التراب فلم يقدر على غضبك بأي
سبب من الاسباب لانه لم يمكنه اقامتهم عنده ساعة واحدة خوفا مني على نفسه
ثم الصبر عنه فاستيقظ من نومه فهذا ما كان من كرامات الصالح وصلاحه وأمره
وأما ما كان من مسعود بك فانه لما اصبح الله بالصباح واضاء الكرم بنوره ولاح
وظلمت الشمس من الروابي والبطاح وسلمت على زين الملاح وانته مسعود بك
وهو مرعوب وقد وقع في قلبه الخوف الشديد من ما رأي من الصالح في منامه
من التهديد ثم انه أرسل خلف على بن الوراقه يدعونه اليه فذهب الفاضل والتقي
بعلي قبل أن يرحل من مكانه فقال له ياسيدي على أجب الامير مسعود بك بن
عثمان فقال له اعلم ياسيدي انه قد حلف على اني لم أدخل له مكان ولا اجلس له
في ديوان واني الآن قد عزمت على السير وتوكلت على اللطيف الخبير فسلم لي
عليه كثير وقل له انه توجه الى حال سبيله كما علم من الميون والارصاد وانه اذا
قام ناله غاية الانكاد وحين دخوله الى البلد يقتلوه والايثبوا عليه وينهبوه ثم قل
له انني لا بقيت اطلع الى برصة مادمت في قيد الحياة فلما سمع القاصد بذلك عاد
الى الامير وأخبره بما قاله على وذكره فاشتد عليه الخوف وأرسل اليه ثانيا فأبى
الرجوع وعزم على الرحيل والطلوع فلما علم مسعود بك بذلك علم ان على لم يعد
اليه ولم يقدر يصل اليه فقام هو بنفسه وأخذ معه اعيانا من جنسه وركب وساروا
الى ظاهر البلد والي نحو على قصدوا فلما رآه عجل وقد أقبل نهض اليه وسلم عليه

وقال له ياسيدي قد سمعت قولك وازنني لي ماقلت من وعظك وزجرك وها انا
 مرتحل من ساق هذه لما علمت من الايمان الوافقة والامور المتحققة وأن دخولي
 برصة يورثني كل نكبة وغصة فحلقت انما الآخر بان لم ادخلها خوفاً علي نفسي
 من وبالها ومقطعها والآن فاني مرتحل وفي أمري على عجل (قال الراوي) فلما
 سمع مسعود بك منه ذلك قال له بأخي قد أنزفك كلامي وما قلته لك الا على
 سبيل المزاح فقال له نعم وكيف لا يؤثر بي بعد ذلك الاقتضاح سيما وقد سمعت
 منك الاقسام وغليظ الكلام فقال له اعلم أن هذا مني على سبيل البساطة والمزاح
 وما هو على سبيل النضب والاتراح فعد معي الآن الى تلك السراية وأنظر الى
 تلك العناية واذا طلبت للمالك وأعجبوك نخذهم اليك وما تري أحداً ينمك في كل
 الامور وها أنا الآخر بين يديك فلو طلبتني معهم فما أمتنع وعن ما شرعت فيه فلا
 ارتجع فقال له بأخي جزاك الله كل الاحسان وبلغك غاية الامان غير اني أقول
 لك أن هؤلاء المالك لا يصلحوا للوزير ولا يصلحوا لسلطان الله تعالي يحفظك
 عليهم ويحفظهم عليك ويقيم سعدهم على يدك وأعلم بأنني كنت امزح معك بقولي
 لانظر ماذا تفعل بفعلك مع جهلي فقال له الامير دع عنك يا علي هذا الكلام واني
 قد أخطأت في حقك والسلام فسر معي حتى تأخذ المالك ولا ترجع بغيرهم
 أبداً ولا تطلع من عندي بغير فائدة فقال له ياسيدي اعلم أن هؤلاء ما فيهم فائدة
 بل انهم مثل الحشيش الاخضر اذا طلعت عليه الشمس دبل وتقهقر لا ينفعوا الا
 عندك أقام الله بهم سعدك (قال الراوي) فلما أبس منه مسعود بك بن عثمان الآن
 له المفال والكلام وقال له بالله عليك وحق رأس سيدك الملك الصالح ولي الله
 الناجح الا ما مضيت معي وأخذت حاجتك من عندي ولم تعد الا وحاجتك مقضية
 وأنت مجبور وخاطري مسرور ولم تفارقني وانت مقهور وأعلم بأنني قد لمت نفسي
 على ما فعلت معك في أمسي وقد اتيتك معتذرا فأقبل غنري وسامحني واصفح
 عني قال فلما سمع علي بن الوراقه من الامير مثل ذلك الكلام ساعه وصاحفه وعلم

أن هذا كله من بركات الصالح واسرارہ نفعنا الله به وبأمثاله ثم انه وسلمه الى
 السراية ودخل الامير مسعود بك بن عثمان ومعه علي بن الوراق والاخوان وقد
 ذهبوا الى قاعة الماليك وقال لهم يا ولاد اعلّموا انكم قد انتقلتم من خدمتي الى ذمة
 سيدكم وسيدي وهو هذا الخواجه ابن الوراق علي فلما سمعوا الماليك بكوا وقالوا
 ياسيدي ان هذا الرجل يشتتنا ويبيعنا في البلاد ويفرقنا على العباد في كل شعب
 وواد فقال علي يا ولادي وحق الملك الهادي الذي خلق الارض والسماء وعلم آدم
 الاسماء لم أبيع أحداً منكم منفرداً ولو شربت لاجله كأس الردي بل انكم مطلوبون
 الى السلطان ونصرة أهل الايمان وتكونوا كلّكم في مكان واحد وحق الرحيم
 الماجد فقال له علام الدين ان كلامك ويكونون من أعظم البدل فقال لهم السمع
 والطاعة وفهم أن هذه كرامات الصالح وانتفاعه وخرج مع مسعود بك وأمر
 بعض غلمانه بمحضور المال والبديل النوال فتاب وعاد بما طلبه سيده فقال علي
 ياسيدي هذه السرة فيها خمسة وسبعون الف دينار وهم ثمن الماليك

كل مملوك الف دينار فقال لهم وهما مني اليك هبة كريم لا يرد في عطاء ولا
 يرجع عن مثاله ولا ما أعطاه وهذا وصلا مني اليك باني قد أخذت ثمنهم منك
 (يا سادة) وقد عد البدل فوجدتهم خمسة وسبعون بدلة ويزيدون بعد ذلك
 بدلة ثم أمر علي برواح الماليك الى حمام برصة وقد اخلاه لهم وجعل ذلك النهار
 على رسمهم وأمرهم بالذهاب الى الحمام وأخذ البدلة الزائدة معه (قال الراوي)
 ففند دخول الماليك الى الحمام كرفوا رائحة كريهة قد اطبقت ذلك المسكان فتألموه
 النملان واذا به غلام مريض قد ألمه المرض الشديد ومضى عليه ثلاثة أيام وهو
 لا يأكل ولا يشرب ولا ينام من شدة المرض والاسقام وهو مرمي رمية الرخ
 ونحته ففخ وفوقه ففخ وهو كما قيل فيه الشاعر حيث يقول

ذهب الزمان بعزه وبلائي والدمر قد كادني ورماني
 وانطحن جسي وعاد رقيقاً روحي صبري وذاد جاني

وحكم على القضا بأمر ربي ولا دافعا لما قضا الرحاني

أيا دهر كن بي رحما أيا دهر رفقا بالكثير الغاني

أيا دهر قد أشتت الاعداء أيا دهر عذبني الواني

أيا دهر وياك فدهني ولا تظلني بذي المدواني

أيا دهر يجزيك ربي الا يا دهر ايه جنائي

وانت يا رب فاعف عني بجاه طه النبي المدفاني

(قال الراوي) فلما رأوه المالك سدوا اذانهم وسألوا الحممية عن ذلك فقال

انه ولد مملوك مريض وهو لرجل اعجمي من الرض يقال له محمود العجمي وصناعته

مسارع وقد أناه هذا المرض الشديد وهو داء القمصة والتهديد فارماه في هذا المكان

وتركه في دھليز هذا الحمام فلما سمعت المالك بذلك تنافروا عنه ومنهم من بصق

عليه ثم دنا منه ولد من المالك يقال له عساي الدين ورفضه برجله وشنع عليه

وقال له جال الموت العاجل والبلاء النازل يا كلب المالك (يا سادة) وقد فطر

الامير ايدمر ما فعلت المالك بهذا الفلام المريض فأقبل اليه وقبله بين عينيه وقال

له يزول عنك يا أخي ويأتي القبول وهذا لطف من الله والذي قدر به قادر على

ازالته فقال له المملوك بنفس هافت يا أخي ها نحن مسلمون ومسلمون الامر

لرب العالمين فأنه تعالى يجبر بخاطر كذا جبرني ويعزك كما عززني ثم انه قال يا أخي

خذ بيدي حتى ان اقمع فأخذ يده حتى اسنده وأخذ رأسه على صدره وسنده

فاعتدل المريض وتأمله وتأوه وجعل يبكي على نفسه ومرضه ويشكو لايدمر

بهذه الايات صلوا على سيد السادات

سأحمد رب العرش وخالق الوري هو القدير على كل الامور

واشكر الهى على ما أصابني واحمد حقا يرغم كل كفور

واسأله العفو من فضله وانه للشاكرين شكور

وقد رضيت منه بقسمي واسأله الصبر على المقدور

فيارب خذ بيد كل حبيب واخذل يارب جاء كل عقور
 واعطنا السلام منك فضلا ودبرنا يا مولاي في كل الامور
 فلقد وهى جسمى وانت عليم ومن سواك يرحم المكسور
 هب لنا لطفا ودبر امرنا واشني ما بقلبي والصدور
 واجبر بخاطري من حر ضعف جسمي واعطه في الجنان خير قصور
 وسامح يارب من اساءتي فانت السامح وانت الغفور
 وبعد ذا أصلي على خير الوري محمد المبعوث بكل الامور
 عليه صلاة مع سلام دائما باهب ريح على جميع زهور
 وما رنمت اطياف الفياقي وما تناكت في الوكور طيور
 وكذا الآل والاصحاب جمعا والتابعين لهم بطول الدهور
 (قال الراوى) فلما فرغ المريض من مقاله وما ابداه من شعره ونظامه

تعجب ايدمر من كلامه وعلم انه صاحب فصاحة وقد ورجاحة ثم أن ايدمر قال
 له شفاك الله وهداك وابراك مما انت فيه وطاقتك ونصر من والاك واخذل من
 عاداك ولا كان من يشاك وقد رق له قلبه وسكن في ضلوعه حبه فأجابه على عروض
 شعره بقول صلوا على طه الرسول

الاماقتك من جميع شرور وأعلا قدرك وعزك والاجور
 وأعطاك رب الانام شفاء وأيدك ربى بطول الدهور
 وأرضاك الكريم فضلا ومنة وجعلك أفة لاهل الكفور
 وأيدك ربى على جمع العدا وأعطاك الهداية والحبور
 وجعل قدرك بين الناس على ويدك حائزة لكل الخيور
 لانك طيب الاصل والفرع وفرعك غالى زكى مغفور
 وقد ظهر لى انك أهل فضل فزادك ربى هناء مع سرور
 وأزال عنك ما تنجده من ألم وازاح عنك تكدا أو شرور

لقد وقع حبك حقا بقلبي وزايت عليك مدايمي وبروي
وحنن عليك الاله قلبي فالله يحبر قلبك المكسور
(قال الراوي) ثم انه عدله على فراشه وقد زاد قلبه عليه بشاشته وتركه وطلب
الخواجة علي بن الوراقه وباس يده وبكى فقال ما الذي يبكيك يا ولدي والله ان
لك على جيل فقال له ياسيدي اني وجدت شيئا ألم قلبي واضعف بصري ولي
وقه أتيت اليك أشور بذلك الامر عليك فقال له قل يا ولدي ولا تخف فها أنا
مطاولك وفي كل الامور لا أخالفك فقال له رأيت غلاما مملوكا وانه من أولاد
الملوك لكنه مريض وفصاحته وترديده وجبه عن قلبي لا يجد فهل لك أن تأخذه
معنا وأنا أكون خادمه وتبيع قول المصطفى صلى الله عليه وسلم حيث يقول انما
تجبرون وتصررون بضعفائكم ولعل الله تعالى أن يشفيه ويزيل عنه ما هو فيه فلما
سمع علي من ايدمر ذلك تبسم ضاحكا وقال له وأين هذا المملوك قال له ما هو
في دهليز الحمام ثم أخذه بيده وسار الى أن أوقفه عنده فقال له السلام عليك
يا غلام فقال له عليك السلام والاکرام فقال له ما اسمك يا أخى فقال له اسمي
محمود فلما سمع بذلك قال في نفسه والله ان هذا يوجد بعض اوصاف الملك الصالح
ثم تقدم اليه وقال له هل تعرف شيئا من كتاب الله تعالى قال له نعم ياسيدي احفظ
القرآن وأدري معناه واقرأ كثيرا من العلوم وهذه تقادير الحكي القيوم فقال
علي في نفسه هذه صفات اخري وهذا هو المطلوب ثم أن علي قال له قد طال بك
المرض وكان موتك أولى فلما سمع منه ذلك محمود تغير كيانه وامتزج بالفضب وقال
له انت تعاند ربي وقدرته وهو الذي خلق الخلق وقهرهم بعظمته وان الامر مني
واليه واني أنا راضى بمرضى فلاي شوء تضرع علي وتمايرني ثم انه زاد به
الفضب فبكي وأن واشتكي وقد تأمله الخواجة علي واذا ظهر بين عينيه سبع
جدریات ملكته من الطارقة البني الى الطارقة اليسري شعره من الاسد بين
عينيه سبع من اللحم بين حاجبيه فقال في نفسه هذه علامة ثالثة اخري ثم أن

محمود جعل ينفي نفسه بهذه الايات صلوا على سيد السادات
 أليس يلومني بالكلام جهالة منه ولم يدر الحكم القدر
 فارجع الآن عن ذنوب جنيتها ونوب واستغفر رب البشر
 ولا تعاند لفعل الله السما فكل شيء بحكم الله المقدر
 اذا أراد الله بشيء لا يرى وكان ذا عقل وسمع وبصر
 اصم اذناه وأعمى قلبه وسئل منه عقله سل الشعر
 حتى اذا أخذ فيه حكمه ود عليه عقله ليعتبر
 فسلم الامر لخالق الوري فكل أمر بقضاء وقدر
 ودع التفسير رب الهدى واترك الهم ودع عنك الفكر
 وصم وصل واعبد رب السما عسي أن تفوز بالاجر
 وأكثر من الصلاة على خير الوري محمد المصطفى خير ربيعة مع مضر

(قال الرلوي) فلما فرغ محمود من هذا الشعر والنظام رق له قلب على ابن
 الوراقة وقال في نفسه هذه الامارات والاشارات ثم انه تقدم اليه وصاحفه وأخذنا
 بخاطره وسأله السماح فسمح ثم قال ياسيدي أنت تابع من فقال له أنا تابع رجل
 يقال له محمود المسارع وقد تركني في هذا المكان ولم يسأل عني بشيء فلما سمع على
 منه ذلك نهض على الاقدام الى خارج الحمام وقال للمعلم الحمامي ائتني بمحمود المسارع
 فقال له سمعاً وطاعة ثم غاب وعاد به اليه وأوقفه في عاجل الحال بين يديه فتأمله
 واذا هو رجل شنيع المنظر كرية المتعلقات له شغنان مثل النور أو اكبر وهو كما
 قال فيه الشاعر حيث يقول صلوا على طه الرسول

تقلت على كل الانام طيئته وصار على كل القلوب كالبحر
 اذا مر يقوم فرعوا عند رؤيته كما تفرع الابدان من ضرر
 قال الراوى فلما رآه قال له هذا غلامك قال نعم قال تبني اباه قال أبوك.

اياه ولو بسرة من التراب فقال في نفسه والله انها لكرامة عظيمة ثم قال له معنى
 سره مسرورة ولم أدري ما فيها وانها مجهولة فهل لك أن تبغى اياه بها فقال له
 بعثك ياسيدي فعند ذلك ناوله السرة وأشهد عليه كل من في الحضرة وكتب له حجة
 بذلك وأشهد على نفسه جميع ما كان هنالك وأخذ السرة وجعلها في أثائه يكون لها
 كلام عند موت هذا اللعين اذا اتصلنا اليه تتكلم عليه النبي فاز من صلي عليه
 قال الراوى وأما ما كان من أمر محمود المسارع فانه انصرف الى حال
 سبيله واما على فانه التفت الى ابد مر وقال له خذ أخيك حمه في الحمام
 والبسه هذه التبديله التي كانت معنى زائدة فقال له السمع والطاعة ثم أخذ
 التبديلة ايدهم وأخذ محمود المريض وسار به الى داخل الحمام وجرد ما كان
 عليه من الملابس وكانت من الجلد فأرماها ثم أراد أن يقلعه القميص فابى
 محمود وأخذ الوسواس وقال له يا أخي لعن الله الناظر والمنظور واني اخشى
 من هذه الامور فقال له وكيف الحال وأنت لم تقدر تنقي نفسك من الازساخ
 والفسل فبينما هم متحيرين واذا قد أخذ كل واحد منهما سنة من النوم وكل
 منهما رأي في منامه الملك الصالح ولى الله الناجح يقول لكل منهما أوثق عهد
 الله بينك وبين أخيك نزول الحرمة بينكما وتصيروا اخوة وأنا وربى شاهدين
 عليكما ثم أن الاثنين استيقظا من نومهما واوثق بعهد الله بينهما ووضعوا اليسرى
 واليمين وقال ايدهم يا اخي هذا عهد الله الطاعة فجمعنا والمعصية تفرقنا وتوب
 الله علينا منها والخائن قتله الله والله على ما نقول وكيل وهو علينا من الشاهدين
 فكان هذا أول العهود والمواثيق وسند كل شيء في محله بعون الملك
 الشفيق (ياسادة) ثم ان ايدهم جرده من لباسه وأزال عنه اوساخه وادناسه
 وقد غسله وجماه وازال ما عليه من ازاء واحتمله بين يديه الى أن اجلسه بعيداً
 عن المالك والبسه التبديلة وقد تحضن به ايدهم وترك الاربعين وهذه هداية

من رب العالمين (باسادة) ثم أن الخواجه علي أمر بحضور الجمال وشهد الجحفة بها
فصار يوضع كلا جحفتين على حمل ويحمل كل اثنين يحمل مقابلين بعضهما بعض
فبقضاء الله وقدره كان محمود في جحفة وكان في الثانية علاي الدين ثم أن علي
تودع بعد ذلك من مسمود بك بن عثمان وطلب البر والمصححان ثم ارتحل
بالماليك وباع تجارته وقد ربحت سفرته وصار ينفق على الماليك هذا كله يجري
ومحمود يتن من كبد اثنين وقلب حزين فتضايق منه علاي الدين فصبز الى أن
حن الليل وحلب سهيل نهض علاي الدين على الاقدام وقال للامير محمود
احرمتني لذيت المنام ثم دفعه الى الارض فارماه وظن انه قد مات وأدركته الوفاة
فهذا ما كان من امر علاي الدين واما ما كان من الخواجة على فانه سار يفتقد
الماليك ويأتي الى اول الركب وآخره ويخبط بمصاه على كل جحفة فيجاوبه
من فيها برفقة وخفة ولم يزل يفعل بواحدة بعد أخرى حتى اذا اتى الى هذه
الجحفة وخبط عليها نجاوبه علاي الدين فقال له اين رفيقك فقال لا ادري الا
ينفسي واطن انه وقع وانا نائم ولم اشعر به فلما سمع على ذلك الكلام قال
للغلمان اوقفوا الركب فوقفوه وارتمج الخواجة على يقفوا اثره واذا بمحمود
ملقى على الارض على وجهه كأنه سكران فظن انه مات وانقضت ايامه وفات
وقد وجد عند رأسه اسد عظيم فظن انه افترسه واورثه معطبه ثم تقارب اليه
وهو خائف من ذلك الاسد ان يهجم عليه فلما تقرب عنده ذهب الاسد عنه
من وقته فيقال والله اعلم ان هذا الاسد هو الملك الصالح ايوب ولى الله المجدوب
فقدم الخواجة على اليه وكره فأفاق من عشوته فأجتمه بهننه وجمله في
جحفة أخرى غير الذي كان فيها فارماه الذي كان قبالة منها قال ولم يزل يفعل
به كذلك وينقله من جحفة الى جحفة وهم يرمونه الى الارض حتى اعياء الامر
فقال ايديمر ياسيدي على اجمل الحبيب مع المحبوب ولا نحر من المحبوب

فأتى به الى عنده وقد فهم كلامه وقصده ثم أن ايدهم جعل يحاذيه ويسامره ويخدمه
وينيمه ويسقيه ويطعمه ومن أي شيء لا يحرمه فهذا ما كان منه وأما على فإنه لم
يزل سائر الى ان اقبل الي حلب فنزل لاجل الراحة من التعب هذا وقد بلغ نائب
حلب بأن على قد اقبل بالممالك فنزل اليه وسلم عليه وقال له هل رأيت مطلوبي
فقال لا فقال له وما معك قال جلبه للسلطان من غير زيادة ولا نقصان فقال له
دعني اخرج عليها وبعتي أنظرها فقال دونك وما تريد فتقدم نائب حلب وتخرج
وشكر السر كسبة واعاب الباقي بالكلية هذا وقد اغتاظوا منه باقى الممالك ثم ان
على قال له معنى مملوك ضعيف ولكن فطين ظريف فقال له ارني اياه فقال له
هاهو فلما رآه تبسم ضاحكا وقال وعزة ربي ان نجى هذا الفلام وزالت عنه
الاسقام ليكون احسن من هؤلاء الفلماني ويزيد قدره على كل انسان ويبقى
احسن من الجميع الرفيع منهم والوضيع لاني اراه كثير الافهام زايد الاحتشام
ولكن يا على هل لك ان تعطيني ذلك المملوك فقال له وكيف اعطيك اياه وهو
مملوك الصالح وخاصة لنفسه واني وحق رأسك لا ادري كم يكون ثمنه ثم اعاد
عليه حديث الصرة وما تقدم من الكلام والذكر فتعجب غاية العجب نه اقبل
علي محمود وقال له يا ولدي ما اسفك قال محمود قال يا محمود أنت والله مسعود
وضدك مكمود وسعدك اعلا السعود فهل لك ان تكون لي ولداً وانا اكون
لك والداً بمقام عهد الله بينك وبينى فقد رضيتك ابن صبي وحشاشة قلبي فقال
له يا سيدي افعل كل ما تراء فتعاهد معه وأوثق القبضة بينه وبينه ثم بعد
ذلك قبله بين عينيه وضبه الى صدره واخرج مائة من الذهب ودفعهم الى على
وقال له اصرف هذا عليه واذا عاش وانفقت عليه مثلها اضعاف اعطيهم لك انا
من غير خلاف واذا مات فأكرمه واحسن غسله ومدفنه واخبرني بخبره وحامد
اثره علي أي نحالة كانت من امره فقال له سمعاً وطاعة ثم انه تودع منهم وتودعوا منه

وعاد الى مكانه وبلاده فهذا ما كان منه

قال الرازي وأما ما كان من الخواجة علي فانه سلم المائة دينار الى الامير ايدير وأوصاه وقال له اطعمه واكرم منواه ومن كل شيء لا تحرمه ومن كل ما يراه فقال ايدير سمعاً وطاعة هذا وايدير سار يلاطفه ويشتري له كل الاشياء ويطعمه فصار تارة يأكل شيئاً يسيراً وتارة يمتنع عن الاكل ولم يزالوا على ذلك الى أن توسطوا بين حلب والشام لامور يعلمها الملك الملام قال فيينا الخواجة ساير واذا بالغبار قد علا وسد الافاق فانكشف بعد ما يتعلق بضان السماء وبان عن رجال وأبطال على خيول عالية غوال والجميع مقبلين من دؤوس الجبال ومقدمهم رجل كبير طويل الجسم فلما أن اقبلوا الى علي صاحوا اين النفر يا علي واين الجمالة القديمة والجديدة قال وكان هؤلاء القداوية أولاد اسماعيل نسل علي ابن ابي طالب والقدرية الاطايب وانهم مقيمون في الجبال لاخذ الفجر من التجار فقال لهم اعملوا أن هذه الجبلية للسلطان واذا كان في الدور الآخر اخلصكم بكل ما كان فلما سمعوا منه الرجال ذلك الكلام قالوا له نحن رجال ساكنين في الجبال ولا نعرف وزير ولا سلطان وها أنت خير بين أمرين خطيرين وبخيرين أخبرني اما أنك تعطينا الدراهم والفجر عشرة آلاف دينار ولما أنك تفوت الجبلية وتمضي عنها وحدك في القفار وهذا ما عندنا والسلام على نبي تظله الغمام فلما سمع علي ذلك الكلام قال لهم اصنموا معي الجبل وساحوني في مثل هذا الدور القليل قالوا لا كان ذلك أبداً ثم أنهم أمروا اتباعهم بفعل باب الدرب فاغلقوا جميع الجهات وحصنوا الطرقات بالرجال وقد انحصر على بمن معه بين الطرقات في المضيق فلما عيّن علي ذلك من الرجال أمر من معه بالتزول وعدم الانحلال وبات على تلك الليلة وهو في أعظم حيرة وقد علم أن لا بد للرجال من شيء وأخذ ما معه من المتاجر والجبلية ولم يزل على متفكراً تلك الليلة ولم يقر له فرار الى أن

طلع النهار فيينا على جالس في حيرته واذا قد أقبلت عليه الرجال من جميع الجهات الخوال فلما رأهم على ظن أنهم أتوا لنهب ماله وأخذ تجارتهم وأمواله فلما قربت منه الرجال جعلوا ينادونه لك الامان لك الامان فتعجب على من ذلك البرهان وقال لهم ما الخبر يا أشرف فقالوا له لانحزن ولا نخاف فقد جاءتنا عندك حاجة نريد منك قضاءها من غير حاجه فقال لهم وما حاجتكم التي تريدونها فقالوا له أرنا المملوك الضعيف الذي هو معك فلما سمع منهم ذلك تعجب وقال لهم من أعلمكم به وما السبب وأنا معي مملوك لكنه برسم الملك الصالح أيوب فقالوا رما اياه فقال وعزة الله لا أرىكم اياه حتى نخبروني بالخبر وتكشفوا لي عن جلية الامر فقالوا له نحن نعلمك وعلى كامل الامور نفهمك فاعلم اننا لم نكن أكرماك الا لاجله

قال الراوى وكان السبب في ذلك سبب عجيب وذلك ان المقادم لا أعاقوا على ومنعوه عن السير وتقرر الامر بينهما على نهب الكبير والصغير وقد هجم عليهم الليل بالمسا فأخذهم المنام فرأوا في منامهم الملك الصالح أيوب ولى الله المجدوب وهو يقول لهم يا أولاد اسماعيل وحق الملك الجليل ان لم تكرموا علي لاجل خاطري ولاجل هذا الضعيف لاشتكم في جميع البلاد بالتعنيف واتى اعلمكم ان هذا الفلام هو الذى قد شاع ذكره عندكم في حفظ الزمام وهو الذى يصير ملكا وسلطان على ممر الليالى والازمان وانكم تكونوا أهل دولته وأصحاب عزه ومملكته وحيايه ورفقته وبقي لكم الفخر الكامل بمدنه وتلبسون أغفر الملابس وتركبون اعظم الركائب وتتقلدون بالشواكر الذهبية والطلاسات السوكبية فاكرموا علي في مثل هذه المرة ولا تأخذوا منه دينار ولا عشرة وانظروا الي هذا المملوك وعاهدوه لاجل أن يكون لكم أخوار فيق وهو يدعوكم وأنتم تدعوه من غير تفريق وقد اعلمتكم بما في علمي ومن خالف منكم أمري

صار خصمي وشكيتني يوم القيامة لجدي والسلام علي نبي تظله النعام
قال الراوى فلما انتهت الرجال من نومهم وقد رأوا الجميع مثل بعضهم وقد
قصوا رؤياهم على امراهم فقالوا له الرواية واحدة وما منا الا من شاهد تلك
المشاهدة وانا ما رأيناه فهو حق وايقان وما هو أضفك ولا شيطان لان ذلك
الاشيه مذكورة عندنا في جفر الامام جدنا فتقوموا يا رجال بنا حتي نرى هذه
الامور باعيننا ثم ان الرجال تسلموا الجميع الرقيع منهم والوضيع وساروا طالين
على بن الوراق كما ذكرنا وهم ينادون الامان الامان كما وصفنا وقد سألوه عن
ذلك الاشارات فقال لهم عندي ذلك الصفات ولكن من اعلمكم فاطبروه بالخبر
وكشفوا له عن جلية الاثر فهذا ما كان الاصل والسبب وسنرجع الى سياقة الحديث.
باذن الملك المغيث

قال الراوى فلما سمع علي من المقادم هذا الكلام والدلائل أخذ ييدهم وساروا
الجميع الى عند محمود فلما رأوه اوقع الله الحب في قلوبهم وتمكنت المحبة بفؤادهم
فقالوا له اهلا ومرحبا يا اخينا وحبينا هل انت بطل الزمان وفارس العصر والوان
فقال لهم اهلا سهلا بالحبايب ومن يرؤياهم صار القلب طايب فقالوا له هل لك
ان تعاهدنا ويكون لك مالنا وعليك ما علينا فقال لهم انا لكم خدام وحق من
ارسي العلام ولكن ما السبب في ذلك فقالوا له ان اسمك عندنا مذكور
وصورتك في الكتاب مسطور وانت الذي دلت عليك الجفور وانت صاحب
الفتوح المنصور وقد راينا لتلك علام ونبتوه لنا الرجال المقادم واليوث الاكارم
فقال لهم افعلوا ما تريدونه وما طاب لكم من فعل الخير اصطنعوه (ياسادة)
فعد ذلك اوتقوا عهد الله بينهما وبينه وقالوا المي دعه عندنا حتى يريه الله من
السقام فقال لهم اني لست اقدر على هذا المرام فقالوا ياخو اجه اعلم اننا ما كرمناك
وفتنا الاموال وتركناك الا لاجل خاطر هذا الفلام ولا جله تركنا كل ما كان

لنا عليك من الاحكام ثم ان المقادم اخرجوا له خمسمائة دينار وقالوا له خذ هذه
 الدراهم برسم النفقة الى اخينا ومداوى امراضنا ومبرينائهم انهم اكرموا على
 وكل من كان معه غاية الاكرام مدة سبعة ايام فلما كان الند تودع علي من الرجال
 وكذلك محمود وارتحلوا وقد فتحوا لهم الدروب وساروا يمشون المسير في البر
 والهجير برهة من الايام وقد وصلوا الى ارض الشام فنزل الخوارجة على يطلب
 الراحة والمقام لما حل عليه وعلى من معه من تعب الاكام هذا وقد بلغ خبره الى
 عيسى الناصر باشت الشام شرف الدين فنزل بنفسه اليه وسلم عليه وقال له اين
 الملوك الذي اوصيتك عليه فقال له اني لا وجدت ما يناسبك من الممالك وما ممي
 الا جليلة السلطان الذي رسمه والسلام فقال له ارنى هذه الجليلة فقال له هاهي
 قد امك دونك واياها فاقبل عيني شرف الدين الى ايدس وجاعته من الشراكسة
 فقال هؤلاء مام رجال ولا يشبهوا الا النساء اصحاب الدلال لسكنهم وحشين ثم
 نظر الى الباقين وهم الاباطة والجرجيات فقال هؤلاء احسن حالات ولم يزل عيسى
 بحماية قلبه يذم ويشكر ويقول هذا طيب وهذا غير طيب الى ان اتى الى عند محمود
 الضيف فظن على انه يفعل معه مثل خلافه وبكرمه ويقم المافه فلما تقرب اليه
 تغير كيانه وازعج قلبه واحمرت اعيانه وقال يا على ان هذه الجليلة غير نافعة مادام
 فيها هذا المريض قليل المنفعة ثم انه دنى منه وشتمه وسبه وبصق عليه وضربه
 ووكزه برجله وفيها النعال وقال له يا نذل الاتدال ابن غايب عنك الموت والارتحال
 ومالك بهذه العيشة التي تورثك النكال والتفت الى الخوارجة على وقال له كنت
 ارمي هذا في وسط الجبال لتسترخ منه كامل الرجال فقال له على يا سيدي دعه
 بمخاطره فان عاش فبرزقه وان مات فبأجله ثم رجع عيسى شرف الدين الى مكانه
 وهو يذم محمود بعد ان اهانه فهذا ما كان من شأنه

(قال الراوي) واما ما كان من امر محمود فانه قد كانت زالت عنه
 التذكود لما راي من اكرام المقادم والجنود وعصبة الحلي المعبود

وقد زال بعض ما عنده من السقام وأتته العافية لطيب الهوى والكلام
ولا جل ما حصل له من الاكرام وفرح بذلك علي وأبدى الابتسام وكان أكثر
الناس فرحا الامير ابدمر الهمام حتي جري له من عيسى هذا الهوان وما أرى
من المذلة والنقصان فانكسر قلبه وتغيرت معاملته ولبى وبكى على نفسه بقلب
حزين فزاد عليه الردى والتغبين وجعل ينمى على نفسه بهذه الايات صلوا
على سيد السادات

أيا دهر أشوف منك نوايب	وكم تعاندنى بكل المصائب
وكم تبنى من أمور عجيبة	والله لقد أنظر منك عجايب
بليت بالفرقة مع بعد الوطن	وساردمى على الخلد ساكب
وبامر ردى تغيرت مصالحي	وبالافدار أتنى نكائب
فان فرحت زالت سقامى ولوعى	وان حزنت لهدت لهايب
قد سرفى قول الرجال وغنى	ما جرى من هذا النايب
فالتهر ليس بيدي راحة	والفرح ليس بخشي عواقب
فان زالت سقامى ومادت همى	ورجعت كالعادة سليما طايب
لاجازى كل من كان لى منصفاً	وأجازى بشارى من لثيم كاذب
وان أعانى رب الانام بفضله	لاكون للاصحاب نعم الصاحب
واجازى من جازانى بفعله	وأزیده أضعاف ذلك المكاسب
فيارب اشفينى وعافينى منه	بحق المصطفى المختار زين الاعارب
عليه صلاة الله ثم سلامه	ما ناح طير على غصن راطب

قال الراوى فلما تكلم بهذا الكلام ونطق بمثل هذا الشعر والنظام تأسف
بدمر الهمام وضرب بيد على يد وخطب على راحته وعض وبكى وأن واشتكى
وجعل يرضيه بهذه الايات صلوا على سيد السادات

منى يشتفى منك التفؤاد الممذب ونجم الثريا من وصالك أقرب
لقد لاح فكرى وبمدك حزني عجب عجيب ضاقت على المذاهب
بمد وهجران واشتياق وفرقة وصد وتغذيب به العمر يذهب
نصب الهوى شرك على فصادنى فاصبحت فى شرك الهوى اتقلب
كمصفورة فى يد طفل يهينها تقاسى حرار الموت والطفل يلعب
فلا الطفل ذو عقل يرق لحالها ولا الطير مطوق الجناحين يهرب
فلو كان لي قلبين عشت بواحد وزكت آخر فى هوائك يمذب
فنى السلام مذ جن الدجا سلام طيب بالمدامع يسكب
سألت الله أن يهب لك الشفا ويرحم ضعف الكاتب الممذب

قال الراوى ولما فرغ أبدمر من بكاء ومأثله من لغاه قبل الخواجة الى محمود
ونظر اليه واذا بالمرض قد زاد عليه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
وقد أخذه علي وسار به الى المرستان الذى بأرض الشام وكان ذلك المرستان فيه
الضعفاء النقطمين والعيانين المتفريين وكان به رجل يقال له دحروج المرستاني
وكان هذا دحروج فاسقافى صباه مطيعا لمرهواه وكان مؤذى خلق الله كثير الفساد
قليل الصلاح والرشاد وهو كما قيل فيه الشاعر حيث يقول صلوا على طه الرسول
قليل الصلاح كبير الفساد فساد قد عم كل العباد
كثير الشرور على أهل البرايا كانه من أهل العناد
مدمن الخمر والمسكره جمعا ما حاز الاكل بدعة وبعاد
كثير الشرور قليل الخيور يحب الفجور فى كل واد
لا يخشى عذاب يوم الحساب ولا يخاف وهاب رب العباد
يظلم الناس بالظلم والارجاس لا يخشى من اقباس كريم جواد
قال الراوى فدخل عليه علي بمحمود المرستان وقال له خذ هذا الغلام المريض
والتي بالك منه حتى انى أعود من المكان الذى أنا قاصد اليه وارجع أخذه من

عندك وخذ هذه المائة دينار أتقهم عليه ولا تحرمه من شيء يقول لك عليه
وان اتقت عليه مثلهم أعطيك اضعافهم فقال له دحروج السمع والطاعة ثم انه
أقام من تلك الساعة وأخذ محمود ووضعه على سرير ووضع فوقه غطاء وفرش له
شيئا من اللباد وترك فوق رأسه قلة من الماء وهذا ومحمود لا يعلم بشيء من
ذلك مما هو فيه من ذلك المهالك (ياسادة) وقد تركه علي في الشام وأخذ
المهالك وترك محمود هناك وطلب أرض مصر فهذا ما كان منه

قال الراوى وأما ما كان من أمر دحروج المرستاني وما يقع له من الكلام
المجيب والامر المطرب البديع الغريب الذي أحب أن ألقيه بين أيادي السادة
على الترتيب حتى ان كلامهم يلدو يطيب وينشرح الصدر بالصلاة على النبي الحبيب
وذلك انه كان متزوجا بامرأة من نسل الاشراف ممدودة من الناس الخيرين
أهل الانصاف يقال لها السيدة حسنة الدمشقية رضى الله عنها وأرضاها وجعل
الجنة قرارها ومثواها وكان هذا الرجل الغدار بعلمها وهو متزوج بها فانظر
يا أخي ما اتفق لها ولا ثلثها من خيانة زوجها مع طيب أصلها وفرعها وكان هذا
دحروج اكثر مبيته في القهاوى وغيرهم من السهارى مع الصبيان وأهل الفساد
والمصيان وكان مكان هذه السيدة فوق هذا المرستان وكانت من كثرة رقة قلبها
على الناس الميائين تفتقدهم بالاحسان بعد خروج هذا اللعين فليلة من ذات الليالي
طلعت السيدة الدمشقية تتفقد الضمفاء فرأت هذا الغلام الابن قد انتبه من نومه
وجعل يئن من قلب حزين فلما رآته بهذه الحالة حن قلبها عليه ورحمته وقالت في
نفسها ابعدى بعيدا عنه ولا تسأله عسى أن يأخذه المنام ويرتاح مما هو فيه
فجلست السيدة بعيدة عنه فهذا ما كان منها وأما ما كان من محمود فانه لأجل القدر
والبلا المحرر جانبه رجل أعجمى رفضى دمي بعبد النار دون الملك الجبار وهو
يصبح مما هو فيه من الألم ويصبح على رأسه بالنار ولم يزل على ذلك طول الليل
على ما طال حتى أن محمود تضايق منه غاية الضيق وزاد على قلبه هم وتفرق

فقال له يا هذا اطلب المغفر والنجاة من الله وقد يا رب ولا تذكر اسم النار
فقد أمتني وزودت علي الاضرار فقال له أنا أذكر الراية الكبرى وأطلب منها
الشفاء ولا أعبد من غيرها وأنت يا كلب اليزين تأمرني أن أترك عبادة النار
وهي ساطعة الانوار وصاحبة الاسرار الكبار

قاله الراوى فلما سمع محمود ذلك منه غضب من كلامه ونهض يجي على أقدامه
وسار يسير قليلا قليلا حتى أقبل على الأعجمي وتأمل الى جانب رأسه وإذا
بسريست عجمي له رأس مثل الاكرة المضلعة وطوله يزيد عن ذراع وهو كثير
المنفعة لانه من خشب الشوم قد محمود يده اليه وأخذه من مكانه وتأخر الى
وراءه ووضع رأس السريست في الارض ومسك الطرف الآخر بيده اليمنى
واستند به حتى وقف على قدميه واتصب في طوله ورفع السردست بيديه الاثنتين
وقد توكل على الله وجد الحسين وضرب الاعجمي فجاءت الضربة بأذن رب القدرة
على أذنه اليسرى ونصف رأسه الاخرى فمسخت رأسه وصاح بملو قلبه يا للنار
وفحق فهقة فارقت روحه بدنه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ثم أن
محمود بعد ذلك عاد الى مكانه وقعد وحده خالق الخلائق ومحصى العدد ثم انه
انجضع بعد ذلك فنام وتوكل على الملك العلام وركن السردست الى جانبه وقد
استغرق في نومه ومكاسبه فهذا ما كان منه وأما ما كان من السيدة حسنة الدمشقية
فانها ترى كل ذلك وتشاهده وقد شكرته على ذلك ومدحت فعالة ونزل حبه
في قلبها من غير محالة ولكنها تعجبت لذلك من قوة قلبه ولما نام تركته وألقت
بالها من قصته وقضيته الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح
أقبل دحروج وفتح الباب ودخل يتفقد الضعفاء وينظر من عاش ومن توفى
ثم دار عليهم واحد بعد واحد حتى أقبل الى الاعجمي فوجده قد عمى وهو
قتيل وفي دماه ملقي جزيل فتأمل ذات الشمال واليمين فرأى السريست العجمي
عند محمود عن يقين فعند ذلك صاح عليه بلغة الشوام وكلامهم الهذيان وقال له

والله والله لولا انك مملوك السلطان لأذقتك الموت والهوان يا أخا الفجبا
 يا ذليل يا مهان هذا ومحمود ساكت لا ير عليه جواب ولا يبدي له خطاب
 فتركه دحروج وخرج من عنده وأتى بالشياطين وحملوا ذلك اللعين وقال لهم
 اطلعوا به نحو الجبل وادفنوه وعن جباة المسلمين أبعده فقالوا له السمع والطاعة
 وذهبوا به من تلك الساعة (يا سادة) وقد أغلق دحروج المرساني وذهب
 الى حال سبيله فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر محمود فانه تنبه وأفاق على
 نفسه وتأمل الاعجبى فلم يره فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا
 محمد رسول الله اللهم كما ربحته من عدوي أن تبري سقمتى وتأخذ بيدي
 وتزيل عني مرضى والله اني الآن وجدت حافية في بدني ومرادي أني آكل
 كشك بصوصان وسار يذكر الكلام من أول النهار الى أن جاءت وقت الاصفرار
 وقد جاء دحروج المرساني فسمعه يقول كشك بصوصان فقال له يا قرنان يا بني الف
 قرنان هذا الذي تذكره يمرض الطيبين ويقتل المتمرضين فلا تذكره على لسانك
 ولا تجعله يخطر ببالك ثم تركه وانصرف وتركه في أحواله الى حاله وهو مصر
 على مقاله قاله وقد سمعت السيدة حسنة الدمشقية هذا الكلام وعلت ان مراده
 الكشك بالصوصان فرق قلبها اليه وحنّت جوارحها عليه وقالت والله لأطبخن
 له ما طلب عسى أن يكون شفاء له مما هو فيه من التعب وان ربي جعل لكل
 شيء سبب وربما انه يموت وهو طالبه ثم أن السيدة نهضت من وقتها وساعتها
 وذهبت الفراخ وكانوا ثلاثة فراخ وديك كبير وذلك من ديش دحروج المرساني
 ثم طبخت الكشك وأحسنته وجعلت عليه الفراخ وأتقنته وكان دحروج له
 عندها أربعون فرخة وسبعة ديوك وبهم يظن انه ملك من الملوك ثم ملأت
 صحنها كبيرا من الكشك ووضعت فوقه ديكاً عتيقاً واحتملت على يدها من غير
 تعويق ونزلت ليلاً من باب السر وسارت تمشي قليلاً قليلاً حتى وصلت عند
 رأس محمود ووضعت الكشك فوق رأسه وتركته وعادت الى مكانها وجلت

تنظره بعينها حتى يأكل وتأخذ الباقي من عنده لئلا يراه زوجها فيضربها
 لاجل ذلك ويسبها فهذا ما كان من أمرها
 (قال الراوى) وأما ما كان من محمود فانه كان في غالب أوقاته لا ينام من
 كثرة الألم وشدة ما هو فيه من السقم فلما كانت تلك الليلة أخذ المنام بأمر
 مدبر الاكران لما سبق في علم الملك الحنان المنان بينما هو في شدة اسقامه وقد
 استغرق في منامه والكشك عند رأسه والسيدة تنظره واذا قد ظهر في ذلك
 المكان نور عظيم يأخذ البصر السليم وفي عقب ذلك النور رجل عابد زاهد
 شكور فلما أقبل ذلك الرجل صاح بسم الله بسم الله المكان خالي يا عباد الله
 فعند ذلك النداء أقبلوا رجلين وقد صغفوا الكرامى في الجهتين ثم اتوا بكرسى
 كبير ووضعوه في صدر ذلك المجلس وصاح الرجل الاول وهو نقيب الرجال
 وهو يقول يا سادة الارض ذات الطول والعرض احضروا ذلك المحضر كما أمر
 فطب الاقطاب الاكبر سيدي احمد البدوي والشريف العلوي صاحب الامداد
 النبوى فعند ذلك أقبلت الرجال كأنهم الاقار وجلسوا ذات اليمين وذات اليسار
 ووقف النقيب بين ايديهم بمدح مرشدهم وهاديتهم حتى تكامل الديوان وحضرت
 كامل الاخوان ثم قالت الرجال أين السلطان وبطل الابطال وعين كل انسان فقال
 لهم النقيب تأنوا حتى يحضر باقى الاقطاب ثم ان النقيب سار بمدح الرسول
 الحبيب وهو يقول

أمدح نبي جاره عليه الغزاة والغزاة	ونطق له البعير والجمل
وشغفه ربنا بالذنبين	وخصه البارئ بحسن العمل
وارسله رحمة لكل العالمين	هادي ومهدي وكامل ومكتمل
من عليه صلى وسلم ربنا	وقربه ثم أدناه عزيز أجل
وخلق العباد لاجل النبي	ولولاه ما خلق ربنا ولا كان أمل
توسلت بالهادي نهار موقتي	عسى به يثبت الاقدام وينقى الزلل

ومن توسل بالنبي عن حقيق ينول في نهار الكرسي والمخلبل
كلنا على قدم أحمد نسير وهو المعقيدة يوم الرحيل والرحيل
وانا الاخر أصلي واسلم عليه واسأله الغفران قوم بالمحل
وانا مادحه تقيب الرجال عسى ان يمدني منهم بطل
اسمى الباري وما سميت الابجوه رمدح النبي أصل الاصل
قال الراوي ولما فرغ تقيب الرجال من مدحه وذلك المقال اقبلت الثلاثة
الاقطاب أقطاب الرجال وسلموا على بعض الابطال وقد وضعت لهم الكرسي
الموال وجلسوا بين الرجال وراق الحى وذهب الضلال ونامت الاعين باذن
الكريم ذو الجلال ولما استقر بهم القعد اقبل فخل الرجال الاجواد صاحب
العطايا والامداد كثير العدل والرشاد وخادم باب سيد المباد ويده قضيب
خير زان مافيه اعوجاج وبين يديه المنادى ينادى يا أبا فراج فلما سمعت الرجال
بذلك الاقوال نهضوا الجميع الرفيع منهم والوضيع ووقفوا عن كراسيهم وأجلسوه
وقبلوا يديه ووقفوا على اقدامهم حتى جلس على الكرسي أمامهم وبعد ذلك
أمرهم بالجلوس فجلسوا ولم يكن أحد منهم يتكلم بكلمة قبله والتقيب بين يديه
منتظر أمره ونهية قدر ساعة زمانية ثم ان الاستاذ الاكبر قرأ الفاتحة الي
سيد البشر وأمر التقيب بقراءتها بجهر فقرأ التقيب وقد كانت لسكل الامور
فاتحة وبها ناجحة وبعد ذلك قال السلطان كل من كان له كلام أذن له فيه
بشرط ان يظهر معانيه ومبانيه فقال أحد الاربعة يا سلطان الرجال وبطلي الاعيان
هذا ملك الزمان وفارس العصر والاوان وهو الذي ينصر الاسلام ويقيم
الاحكام وينذل جيوش الشام فقال الثاني هو هذا الذي يفتح السواحل والبلاد
وتطعيه أهل السواد وينصره النبي الهادي فقال الثالث سبق في علم الله ان كل
شيء بقضاء الله فاطلبوا له من الله ان يكشف ضره وبلاه فقال الآخر
اطلبوا من خالق البرايا واسألوا صاحب العطايا ان يريل عنه جميع المضرات فما

منكم الا وهو مجاب الدعوات وتكلم كل انسان منهم بمثل هذه الاشارات فقال السيد أحمد البدوي اعلوا ان هذا ولدي ولا بد ان يأخذ عهدي ويحفظ ودي وأنا سألت الله العظيم رب موسى وابراهيم وزمزم والحطيم أن الله ينصره على جميع اعدائه ويذل له العتاه فقال الدسوقي أسأل الله العظيم رب موسى الكليم أن الله يريه ليلة القدر عن قريب ويكون دعاه فيها محجوب فقال الجيلاني الله تعالى يعلى قدره ويدير امره ويهدي سره ويطيبل حكمه فقال صاحب الوقت اللهم اشفي كل من كان في هذا المكان لاجل خاطر هذا الانسان ثم بعد ذلك قرأوا الفاتحة وجلسوا فقال السيد للنقيب هات الذي عند رأس هذا الغلام فاتاه بالكشك وقدمه له وللأعيان وقال دستور ياسلطان أقدم لك هذه الهدية ولي الأمان فقال له والله انها لهدية عظيمة وعزومة مقبولة غير ذميمة اللهم اشف كل من أكل منه ثم ان السيد مد يده فيه ولحق لعقة واحدة وكذلك كل الرجال ثم بعد ذلك قال للنقيب أوضع هذا مكانه فالله يجود على من جاد علينا بإحسانه ثم نقض السلطان المنديل فسار كل منهم الى حاله والسبيل وأخذ النقيب الكراسي وانصرفوا الى حالهم فهذا ما كان من أمرهم قال واما ما كان من أمر محمود فانه بعد ذلك أفاق على نفسه وثأمل فوق رأسه فوجد مطلوبه وما اشتتهه نفسه عند رأسه موضوعا وهو طاجن معلق من الكشك وهو محتوم ثم أنه مال اليه فأكل أكثر من ثلثيه ورفع الماعون بعيداعنه وغسل بعد ذلك يده وجمد ربه ووضع رأسه فنام وأخذ النام باذن الملك العلامة فهذا ما كان منه وأما ما كان من السيدة حسنة فانها لما عاينت ذلك الفعل فرحت غاية الفرح واتسع صدرها وانشرح ونزلت من مكانها وأخذت باقي الكشك بيدها ودارت به على الضمفاء وصارت تطعم كل واحد منهم بيدها فبأمر الله الكريم محي عنهم ذلك السقم والالين ثم أنها نهضت بعد ذلك الى مكانها واصلحت شأنها وفرشت فراشها ونزلت الى محمود واخذته الى عندها واجلسته على فراشها

وقالت له يا ولدي اجلس على هذا الفراش فانك أعز على من جميع الناس فدها لها وشكرها واوثق عهد الله بينه وبينها وانها تكون امه وهو ولدها والله شاهد عليه وعليها ولم تزل السيدة الدمشقية تكرمه وتذبح له من ذلك الفراخ وتلبسه أنغر الملابس الفوال حتى تعدت جميع الفراخ وقد مضى عليه اربعون يوما تماما فاته الشفاء باذن خالق الارض والسماء فيوم من الايام بينما هما جالسين ومع بعضهم مقيمين واذا بدخروج قد أقبل عليهما وكان دخل الي المرستان فرأى كل من كان فيه كانه الحصان والجميع اتهم العاقبة في الابدان باذن الملك الديان فاصرف الجميع ولم يبق عنده في المرستان ولا انسان حتى أنه انتكر محمود واستفقدته فلم يره ففتش عليه مكانه فلم يري له أثرا ولا بيان فصعد الى منزله فوجده قاعدا مع زوجته السيدة حسنة فقال لها عشقتي يا فاجرة يا قبيحة ولكن أنت الآن بارزة من قمى انت كأمي واخواتي فلما سمعت منه ذلك فرحت واستبشرت وقالت له اخرج منى الى حال سيالك فقال لها اعطى متاعى وهانى لى فراخى فلم ترد عليه جواب ولم تبد له خطاب فأتى الى القفص فلم يرفيه الا الريش المقصص فنزل من عندها والفيظ كاد أن يخنقه واقسم بما أقسم أنه لا يعود اليها أبدا فهذا ما كان من أمر دخروج وأما ما كان من أمر محمود فانه انتعش من المرض وزال ما فيه من الممض وقد طافه الله من السقم ودفع عنه ذلك الالم فحمد الله وأثنى عليه وذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ولم يزل يتماق وتأتيه العاقبة الى ان استهل شهر ومضان ودارت الرؤيا بارض الشام ونادى نائب القاضى بالصيام والصيان فنهض محمود من عند أمه السيدة حسنة ونزل بتبديلة خفيفة نفية وهو يتوكأ على السر دست المعجى ولم يزل سائرا الى ان أقبل الى جامع سيدى عبد الله الاموى وكان ذلك وقت العصر فتوضأ وصلى العصر ثم قرأ آية الكرسي عقب الصلاة واعقبها بما تيسر من كلام الله القديم الذي تلاوته وسماعه يشفى المقيم وكان له صوت رخيم سيبا وقد كان رطبا لاجل

عياه والتأليم (يأساده) يأهل التنظيم فلما سمعته الناس ورأوا ما حازه من
 السعادة أحبته الناس واعطته الاحسان وقد تقربوا اليه بالمعطيات والامتنان
 وهو يأخذ منهم ما عطاء الله ويتصدق به على العباد لانه ما كان محتاجا لمثل ذلك
 الانقاذ وقد تداولت عليه الايام فيوم من بعض الايام صلى الامير محمود صلاة
 العصر وقد خرج من الجامع واراد الذهاب الى بيت امه اذ بنظر في طريقه رجل
 خياط بين يديه غلام يقرأ في كلام الله الملك الغلام غير أنه يكسر الحروف
 فاقبل اليه وقال له يا أخي أحسن قراءتك وانظر الى المصحف ببصيرتك فان الله
 يجزي المحسنين ولا يضيع أجر المتقين وهذه القراءة غير مقبولة لانها ملحونة
 ومبدلة فلما سمع الرجل الخياط ذلك منه نهض له وتلقاه واكرم منواه واجلسه
 الى جانبه وقبل حواجبه ثم قال له يا ولدي انا أخاويك بمهد الله بيني وبينك
 واكون والدك وانت ولدي وهذا أخوك لاجل أن تعلمه القرآن وكلام الملك
 الديان فأتقول في ذلك الامر والشأن فقال له يا ولدي لقد قلت الصواب ونظقت
 بأفصح خطاب ثم أن السيد حسن الخياط أوثق المهد بينه وبينه وكذلك ولده
 والله على ذلك من الشاهدين ثم أن محمود جمل يقرى الغلام الخياط وكان يسمى
 بعلي فيوم من الايام بينهما جالسين وعلى رب العباد متوكلين واذا برجال مقبلة
 وغبرة مستقبلة وعيال نجري ونساء تصبح وشبان هارين ورجال مقبلين يدل
 ذلك على كرشة أو نهبة فقال محمود ما الخبر فقالوا هذا سعيد الركبدار وهو رجل
 من الاشرار وهو صاحب عزم واستكبار مقصد لكل من يراه ومؤذي لكامل
 عباد الله فقال محمود نستعين بالله عليه ولكن ماذا فعل حي صارت الناس منه
 في وجل فقالوا له قم امت من مكانك وخذ أخيك لئلا يراكم هذا العنيد يأخذكم
 ويربكما التأكيد لانه ظالم غاشم فقال لهم محمود لله الامر ولا شيء أحسن من
 الصبر على الانسان وسبهون الله علينا كل عسير بحجاه المصطفى البشير النذير
 فبنام في الكلام اذ أقبل سعيد الركبدار صاحب الفوائر الكبار الي دكان الاسطفي

حسن الخياط وتأمل فرأى ولده جالس الى جانبه الامير محمود وهو يقرأ عليه
كلام الله الملك المعبود فقال له قم أيها الغلام وسر معي الى الدار فاني أريد ان
تبات عندي هذه الليلة فقال له والده وكان يعرف فسقه اكرمه لاجل كلام الله
تعالى فان هذا ولدي يقرأ القرآن وينسب لسيد ولد عدنان فقال له اخرس
ياقرنان يا ابن الف قرنان فلما سمع محمود ذلك الكلام الهزيان امتزج بالفضب
وفاض عليه النفيظ والكرب وتقدم الى سميد وقال له الي اين بمضى معك فقال
له الي دارى لاني قد أحببت انه يبات عندي فقال له دعه لاجل خاطري وانظر
لنفسك خلاقه فناداه يا ولد الزنا وتربية الخنا من مثلك ابراجمى وفيما أردت
بمنعنى وحق رأس سيدى عيسى شرف الدين اذالم ترجع عن ما أنت فيه لاخذك
معه أحمى فيك وأطفى فيك فقال له محمود هذا لا يكون أبدا ولو سقيت كأس
الردى ففضب سميد الركبدار وهجم على محمود واراد القبض عليه فاقبل محمود
من بين يديده كانه الثعلب بين اسراع ومديده بطول الباع الى السر دست المعجمي
وضرب سميد الركبدار ضربة أورثه البوار وقد وقع الى الارض بمحبط في
دماه وقد عدم الحياة هذا وقد نظر السيد حسن الخياط الى ذلك تخاف على
نفسه من شرب كأس المهالك واغتم غما شديدا ما عليه من مزيد وقال لمحمود
ياولدي لاى شئ فعلت هذا الفعالم وارثت هذا النكال افلا تعلم ان هذا سميد
الركبدار الذي لم يوجد أحد يقدر يقاومه من الكبار ولا من الصغار ولو كان
بطلامفورا وهو كلمة نايب الشام فقال له ياوالدي اعلم أن الحق ممنا فلا تخاف
وامض الآن الى نقيب الاشراف واخبره بما جري من غير خلاف فقال له
الخياط هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم أنه أخذ ولده في يده وسار
الى نقيب الاشراف فهذا ما كان منه

قال الراوي وأما ما كان من أمر الامير محمود فانه جلس على الدكان كأنه
الاسد أو النمر الحردان ولم يأخذه خوف ولا فزعان فهذا ما كان من الامر

والشان وأما سعيد الركبدار فان رفاقه حملوه في تابوت ورفعوه على الاكتاف وساروا به الى ديوان عيسى شرف الدين بالاتفاق فلما رآهم عيسى على مثل الحال سألم عن الاخبار فقالوا تميش رأس مولانا بأشت الشام وعظم الله أجرك في البطل الهام سعيد الركبدار المقدم فلما سمع ذلك الكلام بأشت الشام صار الضياء في وجهه ظلام وقال من فعل به هذه القمعال من الرجال فلا بد أن أسقيه كأس الوبال فقالوا له غلام بملوك وما هو من أولاد الملوك بل أنه صعلوك وهو ابن السيدة حسنة الدمشقية وهو جالس عند حسن الحياط في دكانه فلما سمع عيسى ذلك الكلام والاختباط قال لهم وما فعل معه سعيد من الاسباب حتى أنه أورنه العذاب وأذافه المصاب قالوا له يا مولانا ما فعل شيئاً يوجب القتل وانه أراد القبض عليه فلم يقدر عليه سباً وقد قتل هذا البطل المغوار ولم يأخذه خوف ولا اضرار فعند ذلك صاح بالوالي فحضر بين يديه فقال له خذ طائفتك وأتني بهذا الولد اللئيم الانكند فقال له ستمعا وطاعة وزل بطائفتك من تلك الساعة ولم يزل سائراً الى أن أقبل الى الدكان فوجد محمود جالس كأنه الاسد الغضبان فقال له أنت الذي قتلت الركبدار وأسقيته كأس البوار قال له نعم أنا الذي قتلته ويدي أهلكته وبهذا السر دست ضربته وأنا لا أروح معك أبداً وان لم تمض من قدامي فعلت بك أنت الآخر مثله وألحقك به قال له تخالف أمر نايب الارض والبلاد وتمصى عليه من دون العباد فقال له نعم لا أروح ولا أمضي فاذهب من عندي ثم جرر الدبوس وطلب الوالي وبعميلته لا يبالي فلما رأى منه عين الغضب خاف على نفسه من العطب فولى الادبار وركن الى الفرار ولم يزل في هزيمته حتى أتى الى عيسى شرف الدين وقص عليه قصته وقال له ان الغلام يقول لا يأتي الا برسول مرسل من طرف الشرع الشريف فيأتي معه من غير تعنيف فقال عيسى الناصر شرف الدين سمعتم يا علماء الاسلام ما قال وما فعل هذا الغلام وكيف فعل من الاضرار وقتل

الركبدار وعصى أمرى سرا واجهار فقال له العلماء ان الحق معه وأنه متبعه
فاعلم أن هذا قتيل وهو الذي قتله وأن هذا الامر لا يتم الا بنص الشرع
وقوله واننا نقول انه لا يمضى شرع الرسول وان عصى جازيناه فقال عيسى
ارسل اليه فأخذ سلخه من الورق وكتب فيها سطرا واحدا من غير زيادة ولا
نقصان وجعل الورقة في جريدة خضراء وأرسلها الى محمود صبعة اثنين من
طرفه فسار الاثنان الي أن أقبلوا الى الدكان فسلموا فرد عليهم السلام وقال
لهم ما الخبر قالوا له أنت قاتل الركبدار قال نعم وحق الملك الجبار قالوا له وأنت
الذي عصيت الوالى قال نعم وبامثاله فلا أبالى قالوا له أجب الشرع الشريف قال
لهم السمع والطاعة من غير تخليف لان القاتل ماله الشرع الا الشريف ولكن
سيروا قدامي وأنا على أثركم الى عند من أرسلكم فقالوا له بل أنت تسير
قدامنا فقال لهم دعونا نسير سوى مع بعضنا فساروا معه وسار معهم وما
زالوا كذلك الى الديوان فقدموه الي بين يدي القاضى وقالوا له هذا الذي قتل
الركبدار فاراد أن يقيم الدهوة بالانصاف حكم ما أمر مولانا جد الاشراف
واذا بعيسى صاح على أتباعه خذوا هذا الغلام الى نطمة الدم واستقوه كأس
المدم فقال له القاضى اصبر حتى تقيم الحدود عليه وتنظر ما يكون جزاؤه
وترى الحكومة بأمر الملك الوهاب ونحكم على قدر ما ترى من الاسباب فقال
لهم اعلموا أن من قتل يقتل ومن زنا يحصد ويرجم والسلام فقالوا له يقتل بغير
حق ومن غير أن يثبت عليه القتل قال ثبت عندى ولا بد من قتله بين يدي ثم
صاح على السياف أن اضرب رأسه فتقدم اليه السياف وتكاثروا عليه أهل القلق
فاوثقوه كثافا وقوا منه السواعد والاطراف وانتدب على رأسه السياف فلما
رأى ذلك وساهد بعينه تلك المهالك قطع الملايق من الخلائق وتوسل بالملك
الخائف ورفع وجهه الى السماء فبلى الدما وقال هذه الايات صلو على كثير المعجزات
يا رب خلصنى من العناد وشره واذهب يا رب لوهى وشقاقى

وامن على بالخلاص نكرماً
وردني ياسيدي كيد العدا
واكفينهم من شر كل عقابي
أنت العليم بما قد نالني من غدرهم
وأنت الكريم على صدم والباقي
سأطلب منك النجدة من شدتي
وأطلب الاسعاف والاشفاق
توسلت اليك بخير الوري
محمد سيد المرسلين بالاطلاق
عليه صلاة الله ثم سلامه
ما حن قلب وزادت الاشواق
وكذا الآكل والمصحب جمعاً
من ابتدا الدنيا ليوم التلاق
قال الراوي فما أتم محمود دعاءه وتضرعه الى مولاه وعالم سره ونجواه
حتى جاء الفرج القريب باذن الملك الحبيب وعلي ابن الوراقة داخل من باب
ديوان الشام وكنا ذكرنا أنه توجه الي مصر بالجلبه وذكرنا أنه عاد الى
الشام باذن صاحب القدره والهبه قال الراوي وكان لرجوعه سبب عجيب
وأمر مطرب بديع غريب وذلك أنه لما ترك محمود بالشام وعاد طالب ديار
مصر فرأى في منامه ولذيذ أحلامه الملك الصالح نصب علي قدامه وهو ينول
له وعزة الربوبية ان لم تأت الي بالملوك متاعى ونمود الي أرض الشام لاجله
وتنجه مما هو من وحله لم تدخل بلدى الا ادركته بعد ان الملك
الصالح صاح فيه فانتبه مرعوب من منامه وترك الممالك مع أتباعه وعاد
الى الشام وذهب الي المرستان فلم ير محمود فيه فسأل عنه فأخبروه بما
قد جري وانه في تلك الساعة ضرب رقبتة فصار على عجل وقد أخذ
الخوف والوجل ودخل من باب الديوان وسلم على كامل الرجال والاخوان
وقدم الي عيسى شرف الدين فهذا كان أصل السبب وسنرجع الى سياق
الكلام باذن الملك الملام
قال الراوي واما ما كان من علي فانه قال لعيسى ياسيدي هذا اللام
مملوك ابن عمك ولحمك ودمك الملك الصالح نجم الدين أيوب ولي الله المجذوب

فلا تقتله وإذا كان فعل شيئاً أرسل اليه عرفه لانه سيده والآن فاتركه فيقال له هذا اقتل ولا له دية وما يقول الصالح في الحق فقال على ابن الوراقه اعلم أن هذا الغلام في طرفي وفي تسليمي ولا أحد يأتي فيه بحركة من غير إذن سيده الملك الصالح وانت طالب قتله جبراً عني وأنا لا أمنعك عنه ولا احوشك عن قتله ولكن أعطى حجة شرعية بإختتام الطعام المسبية واسمك وختمك فيه بالكلية بانني ادركته في ديوانك وهو على قيد الصحة والعافية ومنمتني منه وقتلته ظلماً وعادية وأنا آخذ الحجة وانصرف واقابل بها ابن عمك الملك الصالح أيوب فقال له اما من خصوص الحجة فلا أكتبها ولا شيئاً مثل ذلك ولا بد من قتل هذا واشرايه المهلاك فقال له ما كان ذلك أبداً ولو سقيت لاجله كأس الردى هذا وقد تكلمت للعلماء الذين بالديوان واشتد عزمهم بتابع السلطان فيبنائهم في الكلام وإذا بنقيب الاشراف طالع من باب الديوان وصحبته أهل الاحسان ومن جعلهم السيد حسن الخياط وولده وهم ينادون عيسى بالويل والثبور وعظائم الامور ويقولون لا يحل من الله كيف تأخذ أولاد الاشراف الى الفساد والاتلاف ومثلنا موجود في الارض والبلاد ومن مثلك حتى يسلط الركبدار على الاشراف الاحرار والله لولا هذا الغلام الذي شرفنا والا كان هذا اللعين اتلفنا فمن هذا الذي نراه في نطعة الدم فقالت العلماء هذا الذي قتل الركبدار فقالوا هو الذي حمي عرضنا وقتل خصمنا قالت العلماء نعم ها هو الذي فصل ذلك وأن عيسى طالب قتله لاجل ذلك فقالوا جزاء الله كل الخير ولاي شيء يا عيسى تظلمه وفي هذا لا تكرمه فوعزة الله تنفيه من على الشام ونولي غيرك في الاحكام ولا يقدر أحد بمنعنا عما نريد ولو كان ابن عمك الصالح والمبيد ثم نهض نقيب الاشراف وقطع بالغنجر من محمود الكتاف وقال له قم يا ولدي الله يمزك ويملي قدرك ويهلك ضدك والله يا عيسى

ان لم تقعدنى أقل من أدبك والاعتراف بقتلك ثم نزلوا بمحمود من الديوان
 على حمية بقدره وامكان وساروا به الى منزل امه وقد زال همه وغمه فلما رأتهم
 السيدة سلمت عليهم واكرمتهم وفرحت بسلامة ولدها على يديهم وقد تبعه
 على بن الوراقه فعرفه وسلم عليه وقبل يديه وانى عليه وبعد ذلك انصرفت
 الاشراف الى حال سيولهم فهذا ما كان من امرهم واما ما كان من امر عيسى
 الناصر فانه زادت بلوته ونمت علته وقد كادت ان تنفطر مرارته وقد نمله على
 ذلك الحسد وتمني انه لم يوجد فأمر بدفن سعيد الركبدار وقد خاف العار
 فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر السيد حسن الخياط فانه
 اقام في مكانه وحمد الله على احسانه وسلامه محمود وولده فهذا ما كان منه
 قال الراوي واما ما كان من امر على بن الوراقه فانه بعد انصرف الاشراف
 اقبل على محمود وقال له الحمد لله الذى عافاك وأقر عينك وهداك ومن هذا
 الامر نجاك ولكن انى الآن ما أتيت الا بسبيك وانت مطلوب الى الرحيل
 معى الى مصر فقال له السمع والطاعة ثم انه بات معه تلك الليلة عند امه السيدة
 حسنة الدمشقية ولما جاء الصبح تودع من امه ومن رفقاه ومن اصحابه ومن
 السيدة حسنة ووالده وسار مع من دماه وقد خرج به عن ذلك المكان واراد
 ان يسلك به البر والوديان واذا قد أقبل عليه انسان له عليه اديان وهى مائة
 دينار وكان هذا الانسان يقال له على بن القواسى وكان هذا على فى كل الامور
 قاسى فلما رآه قال له الآن شيخ الوفا وصاحب الدين يلقتاك استغن ومن كثرة
 الصبر اكنفى فأعطينى مائة دينار قال وكان على لما عاد على مجمل ولم يكن معه
 شيء من الفضة ولا من الذهب فقال له يا أخى دعنى هذه المرة وانا أعطيك
 كل ما كان على مرة أخرى فاصنع معى المعروف فانه لا يضيع عن الملك الرؤف
 فقال له وحق من جعلنى على ابن الاقواسى وجعلك على بن الوراقه لا تنقل
 حتى تحط ما كان عليك من دينك فقال له والله ياسيدي مامى شىء من الحطام

ولا احتكم الآن على درهم واحد وحق رب الانام فقال له اعطني هذا الغلام
فقال له هذا مال السلطان ومالي فيه طريقة ولا امكان فقال له انا لا اعرف
السلطان ولا الوزير وانا آخذ هذا منك مثل الدين الذي عليك والسلام ثم هجم
عليه وأخذ محمود من بين يديه وقال له هذا عندي رهين على ما عليك من
الدين فلما اعياء الامر وزاد على حد القياس أخذه الوسواس وطلب الذهب
الى امه او الى تقيب الاشراف ويأتي من عند احدهما بالمبلغ ويأخذه ويرجع
فبينما هو عازم على ذلك اذ هتف به النوم فرأى الصالح قدماه يقول يا على دعها
على سبيل الرهن فان له عيشا يأكله وامر يفعله فاستيقظ على بن الوراثة وقد
تمجج غاية المعجب وترك محمود امثالا لامر السلطان وعاد طالب مصرفه هذا ما كان منه
قال الراوي وأما ما كان من أمر علي بن الاقواسي فانه أخذ محمود وسار به
الى مكانه بقدرة الله وسلطانه وكان له زوجة يقال لها عائشة وكانت أشقى أهل
الارض فلما أقبل ضرب الباب برجله فردت عليه زوجته من داخله من الباب
فقال لها افتحي يا خاطبة فقد أتيتك بغلام يحمل الشلبين على طول الزمان فقالت له
جزاك الله خيرا واحسان قال وكان هذا الشلبين له وصف عجيب وهو أن له
رأساً مثل الصومعة ورقبته من أسفلها رقيقة وله كرش كبير قدر كرشة البعير
وله رجلان مثل أبو فردان وله وجه شنيع بقورة مثل المعجل النجيع وكان
يسميه فخر الدين جبظم بظاظه وكان عليه لسان كأنه لسان أرقم أو نعبان
وكان كلب بن كلب والسلام كما قال فيه بعض واصفيه هذه الايات

له وجه كئيب وقورة كالمجمل الرضيع المزعج
وعينان مثل النار قد اشعلت ولسانه كمثل الارقم المتعجم
وكرش بعير يأكل لكل مارأى ولو كان سما تقيعا مصرج
مانجا من يده ولا من فمه سوى من سلم أموره للفرج

٤ - ثاني

خلقه الله الكريم بدبمة وقد خوف بهذا الكل اممجمع
 فاطلمة برسيلة بأمر ربها الى أهلها من طيب وبهرج
 ما مثله يوجد في الانام جميعها كلاولا في الجبال من الورش المدرج
 قال الراوي فلما دخل محمود عليه تأمله وقال له من أنت قال أنا مملوك
 يا سيدي فقال له سلامات يا متبوكين وكان يا اخواني بالاتفاق الذي يجب
 ان يكتب ويسطر في الاوراق هذا اليوم يوم السابع والعشرون من شهر رمضان
 وذلك لامر يريده الملك المنان هذا وقد قالت عائشة ام الثقلين يا غلام خذ
 حوائج سيدك واغسلهم على نهر قليط فقال لها سمما وطاعة وأخذ الحوائج
 بهم الى ذلك النهر وجعل يغسلهم شيئا بعد شيء وهو يزيل ما بهم من الاوساخ
 والقذرات وينشرهم الى جانب الفلوات فينما هو كذلك واذا ناولا دأسماعيل مروا
 عليه ورأوه وهو على مثل ذلك الاحوال وقد حققوه ولكن هو لا يشعر
 بهم ولا عرفهم ولا نظروهم فهذه يكون لها معايرة كبيرة في الكلام القابل اذا
 وصلنا اليه نحدثنا عليه النبي فآمن صلي عليه اللهم صلي عليه

قال الراوي وأما ما كان من محمود فانه غسل الخرق والثياب وعاد بهم طالب
 الديار فلما دخل أخذت منه الثياب وقالت له خذ دشش هذا البرغل في الرحا
 ودقه خارج الباب فكان لامرها مجاب وجعل يدق فيه ويصلح شأنه فرت عليه
 المقادم مرة أخرى فرأوه على هذه الحالة وعرفوه فأسروا ذلك في قلوبهم ليكون
 بها معايرة أخرى تذكرها في محلها اذا جاء وقتها ومكانها وآن اوانها فلما تهيأ
 الفراغ من ذلك قالت له خذ سيدك وممر به الى حجر الشيخ فقال السمع والطاعة
 وسار به وقد وضعه عند الحجر فقال له هات لي حلالة فأني اليه بما طلب
 فاكلها وكان كثير الدناوة فلما أكل ذلك طلب بندق فتركه محمود وذهب ليأتيه
 بما طلب منه وقد لعب مع الصيال وكسب منهم وعاد له بالبندق وجعله في حجره
 ويأكل فيه ولا يترك قشره قال فيها هو يلعب مع الصبيان وكل ما يكسب شيئا

يأتي به اليه فيا كله هذا العفريت الشيطان فيبناهو كذلك واذا بالمنادي ينادي ويقول يا أولاد الشام يا أهل الفنون والاحكام قد ظهر بارضنا مسارع يدرى حق السراع وانه في ذلك طويل الباع وقد لعب مع أهل الفنون فلم يجتأ اتخذاً قدر عليه باي أمر يكون وانه الآن يريد أن يلبس القفطان ويكون كبير اعلی أهل الفنون في هذا الزمان في كل فن كان فاذ انتم قائلون فقالوا أولاد الشام نحن كلنا له اتباع وشهدنا له بفن السراع وطول الباع وأمره علينا مطاع وانه يتساهل المشيخة وتربية الاتباع

قال الراوي فلما سمع محمود ذلك النداء في ذلك المكان فعلم أن هذا محمود المعجى القرنان فهاهنا عليه ذلك الامر والشأن فنهض من ساعته وأخرج مندبيل وربط أطرافه بهمته وجعل على كل طرف شيئاً بمعرفته وفصاحته ثم أنه كسب المندبيل وحذفه بين أيادي النقيب فلما رأى ذلك قال الحمد لله رب العالمين والعلاء والسلام على سيد المرسلين يا أولاد الشام وأهل الفصاحة والرجاحة والافهام قد ظهر لهذا الغلام خصيم من الاخصام وهو يريد الملاعبة معه في هذا المقام فماذا أنت قائل يا محمود فلما سمع محمود المسارع يمثل ذلك قال له ومن أعلمك بأن هذا الغلام الذى ظهر من الشام هو خصيمى من دون الانام قال له علمت بهذا المندبيل لاننى رأيت فيه علامات غير قليل فالعلامة الاولى انى فككت العقدة الاولى قرأيت شريفى ذهب احمر ملتهب فعلمت بفن المعرفة والادب لسان حال الخصم يقول هذا شريفى شرف الملاعب وهو يخصص النقيب ورأيت بالطرف الثانى نصف ديوانى فعلمت أن لسان حاله يقول هذا نصف من الفضة ولا بد أن اجعل امر وهذا القيم من فضة والثالث عليه جديد الاحمر شبيه الحديد فعلمت أن لسان حاله يقول هذا جديد الرهان وسيظهر كل ذلك وبيان والطرف الرابع فارغ فعلمت انه يقول انا له منازع وعن مطالبه مدافع وساجعل قلب الخصم منى فازع

قال الراوى فلما سمع محمود المصارع كلام النقيب صاح بملوصوته من كان
يستكثر على منجى وهو يقدر على ملهى فليبرز الي بين يدي وأنا أصدده وأرده
وأهزل مقامه واهده فقال له النقيب وقد ضرب الشريفى الذهب فى شدقه
اعلم انه جاءنا بموجب القانون ومعرفة أهل الفنون ولا بد ما يرد عليه كلام
أهل المعارف وندعيه الى مقام التصارع وننظر ان كان ثابت أم خائف فقال له
النقيب انده عليه فصاح النقيب يقول صلوا على طه الرسول

أيا فارس المصر والازمان	وفريد دهرك والاوان
قد طلبك الحصم يوما للفا	وقد دعاك الى حومة الميسدان
فاخرج اليه ولا تبالي	وسلم أمورك لعمى الديان
وابرزا اليه الان حقاً	ولا تجمل أحدا يعض لسان
وسلم أمورك للذى رفع السما	اله تعالى عظيم الشأن
وان كنت تعرف معنى كلامى	فأنت عندي كثير البيان
وتبقي غاب الاخصام جما	وتحوزدون الوري جوع فنان
وان كنت لا تدري فلف العناد	ولا تصاند بروحك للزمان
فكل ليبب يفهم مقالى	وكل بليد لا يعرف بيان
وقد صبح عندي أنك فيها	وانك فارس القرسان
فان كنت فى غنى فاقبل	والا فخرج من ذلك الاخوان
ودع هذا يصير رجيعا	ويلبس على رغم أثك القفطان

قال الراوى فلما سمع الامير محمود ذلك الكلام تقرب من مكان الى مكان
حتى رآوه بالاعيان ونظروهم بالاحداق جميع الاخوان وجلس ولا بدى كلام
فعرّف النقيب المعاني والافهام وقد صبح عنده انه من أهل العرقان فى ذلك
الازمان فتكلم النقيب بهذه الاوزان

ألا يا فارساً قد طلبت المعالي أظهر لخصمتك ولا تبالي

ولا تبدي كلام تقص يعدوه عليك جمع الرجال
فان رأيت نفسك قياس حرب فلا تخشى الملل ولا الدحال
وان كنت بليد ذهن فدع التقادم بالهزال
وقد صح عندي أنك ليبيبا ولا لك في كل الانام مثال
فان كان ظني حقا صحيحا فلقد بلغت المنا وكل السؤال
وكنت غالب على كل خصم وقد فهمت ذلك باللقال
وأسأل الهى النصر دوما هو الكريم ومولى الموال
بحق المصطفى زين القيامة هو الشفع عند الكل العيال

قال الراوي فلما فرغ النقيب من ذلك الكلام تقارب منه محمود ووقف
على جناحه وقال له دعنى من هذا الكلام وامدح لنا من ظلت عليه الفهام
فابتدأ النقيب يقول هذه الايات

سلام على من أتى بالمهدى فيارب اقرأه منى جزيل السلام
وقل له يارب بلغ المصطفى بانى مادحه بطول الدوام
وخبره بالنسيم بانى اليه ملتجى غدا نهار الزحام
عسى يسكون لى شفيح فى القيامة عند رب الانام
لانه شفيح جميع المذنبين ربه عطاه الرضا والمقام
من فضله ربنا واجتباه وارسله رحمة لكل الانام
كما يجير من حر نار الحجيم بحق مولاي العليم محي المظالم
وخذ بيدي فى جواز الصراط لاني أخاف من ذلة الاقدام
وفى القيامة تكون لى نصير يوم تستجير العالمين من الزحام
انت الذي اله السما على عليك وقد خصصك بنا بالسلام
وخصص لمن يصلي عليك قصور بدخلها وهي دار السلام

قال الراوي فلما فرغ النقيب من ذلك الكلام صاح وهو يقول هات لى عندي
يا صاحب العلامات ومعدن الاشارات فمئذها انزع محمود وخلع ما عليه من
اللباس حتى انه سار في السراويل وقد كثرت فيه الاقاويل فمن الناس من يقول
هذا مقتول ومنهم من يقول هذا بهول وقد ظهر من تحت الملابس جسمه وتقدم
الى عند خصمه وقد انطبقا على بعضهما البعض في وسيع تلك الارض قدر ساعتين
من الزمان وقد ظهر الفخر وبان وتأمل محمود المسارع فرأى نفسه مع الامير
محمود غير نافع فأقبل عليه وعجزه اليه وقال له يا هذا تريد انك تفضحي بين
هؤلاء الرجال فدفع عنا هذه الملايعب وتوعدهم انى غد واذا كان من الغد فلا
اسكن أرضاً أنت بها ابدا وان قت فيها الى غد فقد استوجبت شراب الردى
وقد ابحتك دمي فاصفح الان عني ودعني فقال له الامير محمود والان ما تحاربني
فقال له اعلم اننى لم أقدر أقوم بمك ولا أعد من أقرانك ثم افترق عنه الى
بعيد وقد رأى عجزه القريب والبعيد ثم أن محمود المسارع صاح على النقيب
بعد ان شاور الخصم في ذلك فان لم يرض فالامر اليه ثم مال النقيب الى محمود
وقال له ياسيدى تريد ان تدع الملعوب الى غد فقال له اعلم ان الخصم غلبان
وقد طلب متى الاقالة والامان وقد اجبته الى ذلك وان جاء غدا وحضر الخصم
سقيته شراب الردى ثم الصرف كل منهم الى حال سبيله فاما محمود رحل من
وقته وساعته طالب أرض مصر فهذا ما كان من قصته واما النقيب وارباب الفنون
توجهوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير محمود فانه عاد ذلك الى سيده نضر
الدين حبطلم بظافه فوجده قد ركب على حجر التاريج وجعل يلعب عليه فتقلت
دماغه فسقط على أم رأسه فانشجت وسأل دمه وعلت اصواته وزادت حسرانه
فأقبل الامير محمود وقد وجده على هذه الحالة يخاف على نفسه خوفاً شديداً
ما عليه من مزيد ثم أقبل اليه وجعل يلاطفه وجاله وكبس له رأسه بالعنكبوت

ومسح له الدماء وأنه بما طلب من الحلاوة ولم يزل به كذلك حتى سكنت من بكاء وقد قال له ياسيدي لا تخبر أمك بهذا وبذلك أوصاه فقال له انا ما أجيب لهم سيرة تم احتمله وسار به حتى أقبل الى المنزل فطرق الباب فأرقت الساقط فدخل الى وسط الدار هذا ولما تيقن الكلب أنه في وسط داره صاح بعوضوته يأمى هذا الولد بطحني واسال دمي وأرمانى على حجر التاريخ وتركنى وسار يلعب مع أولاد الشام ولم يسأل عنى فلما سمعت عائشة من ولدها ذلك حلت بها المهالك وصاحت عليه يا أخا القحبة سوف اورثك النكال والنكبة ثم انها وثبت اليه وارادت أن تقبض عليه فلما عاين ذلك منها القي الغلام عن كتفه وخرج طالب الحرب من خوفه وقد سار يجري في الخلوات فهذا ما كان منه (قال الراوى) وأما ما كان من عائشة فانها نزلت وأخذت ولدها وظلمت به الى اعلا مكانها وجعلت تدأويه وتلاطفه وتحلف في محمود اذا عاد اليها فعاقبه فهذا ما كان منها واما ما كان من محمود فانه سار طالب الخلوات الى أن خرج من الشام الى جبال الاسلام واذا قد رأى قبر جديد مفتوح وكان هذا سبب للفتوح فقال في نفسه اذا جن الظلام وأقبل على الليل وغلب على عيني المنام نزلت الى هذا المكان ونمت فيه ولا أحداً يرانى من الانام فبينما هو كذلك اذ اقبل عليه ثلاث رجال يطلبون الحرب والقتال الى أن اقبلوا الى محمود وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال لهم من تكونون من الانام فقال الاول انا الطيور الذي عند عيسى الناصر شرف الدين علقت الطيور فقر منى طائر عزيز عليه فمرفت انه يقتلنى ولاجل ذلك الطير لا يرحنى فهربت الى هاهنا قبل أن يعلم به احد أو يعلمه بذلك فقال الثاني وانا المهجاني هربت من المهجين الذى لعيسى شرف الدين فقال الآخر وانا السابس ذهب منى الحصان فهرب الى هذا المكان فقال الامير محمود وانا الآخر دعوتى كدموتكم وقضى تشابه قصتكم وكلنا مغاليب فأقيموا بنا هاهنا حتى يأتي الفرج القريب من الملك المجيب

فقالوا له هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انهم جلسوا يتحدثون مع بعضهم حتى ولي النهار واقبل الليل بالاعتكار وقد دام الذبحوم واظهرت النجوم وكانت ليلة سبعة وعشرون من شهر رمضان وقد نزلوا الثلاث رجال الى اسفل التربة وناموا ومحمود لا ينام ولا ورد عليه منام حتى مضى من الليل الثلاثين بينا محمود متفكر في أمره واذا بأبواب السماء قد فتحت بقدره الله وقدره وظهرت من السماء من قبله طاقة قدر القبة وهي صافية البياض وفي ديارها اختصار كهيئة الفجر عند ليأحه ورأي كل شيء على الارض ساجدا ولا أحدا منتبه من الانام لا وحش ولا غلام ولا رجل ولا صبيان ولا ديك يصيح ولا كلب ينبع الا الدنيا ساجدة واشجارها راقدة فقال محمود في نفسه هذه دلائل ليلة القدر التي هي خير من الف شهر ووالله أن هذه العلامات لها ولم تكن لغيرها ثم نهض على الاقدام وسأل الله الغفران ودعا رب الانام وقال (اللهم) بحرمة هذه الليلة عندك أن تجعلني ملكا وسلطانا على مصر والشام وسائر بلاد الاسلام وان ترزقي النصر على الاعداء اللثام بحق المصطفى المظلل بالتمام ان تجعل لي كلمة تسمع وحرمة ترفع اللهم اجعل لي من امري فرجا ومخرجا وان ترزقي من الشدائد النجا اللهم اجعلي بين اكتافي عزم أربعين وليا من الاولياء المعظام اللهم استجب دعوتي انك على كل شيء قدير وبدعائي خبير برحمتك يالهم المولي ونعم النصير ولما انتهى محمود من دعائه وتضرعه الى مولاه قال في نفسه لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه ثم انه نزل الى التربة وايقظ رفقاءه الثلاثة الهاربين وقال لهم قوموا واطلبوا النصر من رب العالمين فان ليلة القدر قد فتحت والدعاء فيها مستجاب فنهضوا الثلاثة وقال الطيور اسألك يا الله يا مسبب الاسباب أن تجعلني قطبا من الاقطاب ويكون مسكني في الركن الخراب من خلف جبل قاف فاستجاب الله دعاءه انه كريم خفي الالطاف وقال الهجان اللهم اجعلني لهذا وزيرا ومدبرا ومشييرا ولا تحرمني من رفقتي

فأستجاب دعواه من خلقه ورزقه وأما السائس فانه قال أسأل الله الكريم رب
العرش العظيم والآيات الكرام اني غدا أدخل بستان الشام ويأتي الى عندي
ابن تقيب الاشراف واقبض عليه واطلب منه اللواط والتلاف واكون سكران
فيحضر ابوه والاشراف معه يروه ومن يدي يخلصوه ويشتكوني لباشة الشام
فيأمر بقطع رقبتي عند حجر التاريخ والسلام قال فأستجاب الله دعاءه وعاد
كل واحد الى مأواه فلما أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بنوره ولاح توجه
المهجان والطيور الى حال سبيلهم في القفار وقد اعطاهم الله الولاية وكانوا من
أهل السعادة والعناية وازادهم الله سعادة وهداية فهذا ما كان من أمر هؤلاء
وأما السائس فانه ذهب الى بستان الشام فرأى ابن تقيب الاشراف هناك
فقبض عليه وهو سكران وقد بلغ مطلوبه من الرحمن واعطاه الله ما يطلب
ولكل شيء سبب ثم انه طلب اذاه وأخذه وعطاه وامتنع الغلام من ذلك
وسبه وشتمه وتكلم معه ولعنه وعن مامنه نهاه فلم يزداد الا طغيانا وتزايد
اذاه فبينما هم كذلك اذا أقبلت الاشراف ومحتهم وابوه ولما عاينوا ذلك منه
خلصوه فسبهم وشتمهم فقبضوه وفي حاجل الحال كتفوه والي عيسى باشت
الشام أو صلوه وأقاموا عليه الاثبات فأمر عيسى بضرب عنقه في اسرع الاوقات
فأخذوه الى عند حجر التاريخ واستوفى ما كتبه الله عليه وراح الى رحمة
الله تعالى فهذا ما كان منه

(قال الرلوي) وأما ما كان من أمر الامير محمود فانه لما أصبح الله بالصباح
سار طالب أرض الشام ولم يره الي أين يذهب من الاكام فسار الي منزل جيران
على بن الاقواسي وقبل يده وقال له انا في جيرتك تصالحني مع سيدي فأخذه
هذا الرجل وصار به الى عند على وقال له ياسيدي ان الملوك الذي هرب منك
فقد عاد اليك وهو سائقي عليك فلاجل خاطري تسامحه في هذه المرة فقال
له وأين هو قال له هاهو معي فهض على وقبضه وقال له سمرعي الى منزلي

فقال له المتشفع اكرمه لاجل خاطري قال له لك على ذلك ثم سار به علي بن الاقواسي
حتى أوصله الى البيت ثم صاح بزوجه خذي هذا الملوكة وعذيه عذاب
الصعلوك فهضت وأخذته وفي حاجل الحمال كتفته وفي مامود المكان صلبته
ثم انها اوقدت النيران وأرادت أن تسقيه كأس الهوان وقد أوقدت له زندا
من الخشب وتركته حتى التهب واخرجته من النار وارادت ان تضربه به جهار
وهو من ذلك يستغيث ويستجار وينشد الاشعار ويتضرع الى الملك الجبار
وهو يقول ضلوع على طه الرسول

يا كريم العفو يارب السما	واطلق سبيلي وهب لي نجاح
وردعني كيد كل ظلم	ولا ترني ياخالتي اقتضاح
قد طلبت نجاتي منك حقا	وانت مقصدي ومنقذي وفلاح
وانت يارباه كريم العطايا	وانت الرحيم لكل الجراح
نوسلت اليك بخير البرايا	من جاء رحمة روح البراح
وفي الدنيا هاديا وبشيرا	وفي الآخرة لولاه أطلننا نواحا
يجاه المصطفى كن لي مجيرا	وجايرا وسائرا فتاح
صلى عليه الله ما هب الصبا	وما هب ريح السامع الصفاح

(قال الراوي) فبينما هو يستغيث ويستجير واذا بالباب يذن فارفعت
الساقطة وتأملت حائشة فرأت السيدة الاقواسية اخت علي الاقواسي وكان
السبب في مجيئها سبب عجيب وذلك ان لها عادة في كل عام تجمع زكاة المال
وما تخرجه من الاموال وتأتي بهم الى عنداخيها فتفتقده بهم في كل عام فقامت
على حسب عادتها وأقبلت على بيت أخيها وقد أدخلت ما كان معها فلما توسطت
المكان وجدت هذا الغلام وهو يستغيث فلا يثاب فلما رآها محمود صاح بملو
صوته وانا في جيرتك يا سيدتي فقالت له يا ولدي لا تخاف وحق رب اللطاف
ثم اقبلت الى حائشة وقالت لها اكرمي هذا الغلام لاجل خاطري فقالت لها

لما تولد ولده مثل ولدي وتعمله عندك شلين وتشتري له مملوك مثل هذا المملوك ويعمل معه ذنبا وتريدى ضربه فاذا كان ذلك وحضرت أنا عندك فاشفعينى فيه بل قولى لى اذا كنت شقمتنى في مملوكك انا اشفعك في مملوكى وحق رأس الشلين لا اقبله ولو اجتمعت على الدنيا وأهلها فلما سمعت منها السيدة فاطمة ذلك اورث عندها الممالك وقالت لها يا فاجرة يا قعبة تقابلينى بمثل هذا الكلام خو عزة رب الانام المزة الابدية لاوريك مقامك بالكلية ثم أنها نهضت من ساعتها وهجمت عليها فضربتها وصاحت على الفلمان الذين معها ان اخرجوا ما معكم من هذا المكان وفرقوه على الفقراء والايام ولا احد يأتى منكم الى هذا المكان على طول المدى والزمان ثم هجمت على محمود وخلصته مما هو فيه واخذته في يدها وخرجت من عندها وسارت الى بيتها وهى غاضبة في نفسها فلما استقر بها الجلوس ارسلت الى القضاة والعلماء والاشراف فحضروا الجميع الى عندها من غير خلاف وقد اجلستهم الجميع الرفيع منهم والوضيع وقد أمرت لهم بالمأكل الطيبة والمشارب الهنيئة للغاية ثم أرسلت الى علي بن الاقواسى أخيها أحضرته فلما استقر به الجلوس قالت له يا علي هذا الفلام اليك وقد اشتريته بملك فقال لا ولكنه مرهين عندي على مائة من الذهب وهو لعلي بن الوراقه صاحب المحاسن والرياقة فقالت له اعلم انه عندي ولا أطلقه من يدي حتى يأتى صاحبه واسلمه له ويأخذه منى وهذا ما عليه من الدراهم ثم انها خرجت له المائة دينار وسلمتهم الى القاضي والعلماء الاخيار فأخذهم علي بن الاقواسى ثم أن السيدة قالت للعلماء يا علماء الاسلام اسألوا علي هل يكون له شيء عندي من متاع أمه أو أبيه وربما يكون له شيء فتركه او نساء فسألوه العلماء عن ذلك فأجابت بأنه لم يكن له عندها شيء فقالت اكتبوا بيننا حجة على ذلك فكتبوا الحجة وشهدت العلماء قالت السيدة فاطمة اختتموا لنا الحجة من على نختمتها وبعد أن أخذتها قالت للعلماء اكتبوا حجة شرعية

متممة بأن جميع مالي ونوالي وما تملكه يدي ملكا لهذا الغلام يفعل به ما أراد من المرام وإذا توفاني رب الانام واحرجني بمقطع خام فيكون ذلك فضلا منه واكرام لاننى قد استخرت الله العظيم والرسول الكريم واتخذته ولدى وجعلته قطعة من كبدي وانتم على ذلك من الشاهدين بين يدي احكم الحاكمين قالت وكانت السيدة فاطمة لها ولد يقال له بيبرس وكان عزيزا عليها وقد توفاه الله فانكسر لاجله خاطرها وحمدت ربها على ذلك فن الله عليها بهذا الغلام وجيرها وحض قلبها عليه ورحمها وكان هذا محمودا شه البرايا بولدها بيبرس وهذا الذي حملها على ما تقدم من فعلها ورحمتها ثم أن العلماء كتبوا لها ما قالت عليه من متاعها بعد أن قالوا له ما تقول يا محمود في ذلك فقال أنا خادم موافى اقدماها ثم انه قام وقبل يد السيدة ورأسها وقد ادخلته من طوقها وشهدت السادات بانه ولدها وعزيزها وسعته علي اسم ولدها من وقتها وساعتها فهذا ما كان من أمرها

(قال الراوي) ثم أن السيدة اخرجت للعلماء كل واحد مائة دينار ذهب والاشراف كذلك السبب وارضت خاطر الجميع ودعوا لها بالفتوح والنصر وزال عن بيبرس الحصر والقهر وانصرفوا بعد ذلك الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم وأما كان من أمر بيبرس فانه أقام عند السيدة وقد صار أمير بينها والامر والنهي بيده لا بيدها فهذا ما كان من أمره وأمرها وأما على فانه أخذ المائة دينار ومضي الي بيته وسأل زوجته عن ما جرى من الاضرار فقالت له قد جرى من الامر ما هو كذا وكذا واخبرته بالقصة من أولها الى آخرها وكشفت له عن باطنها وظاهرها فاغتم لذلك وأخبرها بما كان من أمر أخته وبما قالت وفعلته وكيف انها كتبت ما لها له فسلوا الاثنين في هم كبير وجعلوا يلومون بعضها على مثل هذا الامر الخطير وأما الامير بيبرس فانه مقيم على باب المكان في بعض الايام وهو في غاية من الحظ والامان اذ

قد اقبل رجل فداوى وصحبته رجل دلال ويده قوس ر يو يدل وينادى
 عليه فلما عين ذلك صاح على الاثنين فاقبل اليه فلما حضرا بين يديه قال لهم
 ما هذا قالوا قوس تريد بيعه وتأخذ ثمنه فقال لهم وكم يساوي قالوا له خمس
 مائة دينار فتأمله بيبرس فاعجبه فاجلس الاثنين الى جانبه وأخذ القوس وطلع
 به الى امه وقال لها يا أمي أريد أن اشترى هذا القوس قالت له هو لمن
 قال لرجل فداوى قالت وما يكون ثمنه قال لها خمس مائة دينار فلما سمعت
 السيدة ضحككت وقالت له يا ولدي هذا قيمته ألف دينار ذهب وما يبيعونه
 بثمن بخس مثل هذا الا لسبب وأى سبب وانى قد عرفت السبب اعلم ان الفداوية
 لهم مادات وهو اذا باع لك هذا القوس بخمس مائة دينار يأخذ به من المكان
 والدار فاذا جن الليل بالاعتكاف يأتى فيأخذ كل ما كان في الدار يأخذ قوسه
 ويرحل الى حيث أراد فيبيعه لمن نظره من العباد وهذه صناعتهم ومن الرأي
 انك تأخذ القوس وتأخذ معه الثمن وتدفعها الى صاحبه لتكون على مالك مؤتمن
 ويرى ان هذا جميل وتأمين من غائلته باذن الملك الجليل واعلم يا ولدي أن
 أن عندي أعظم من هذا القوس ثم انها نهضت قائمة وأخذت بيبرس الى قاعة
 وقد فتحت له الباب فرأى في ذلك القاع اتساعا فتأمل يراها مليانة قوس
 ونشاب من الباب للمحراب فلما عين ذلك تعجب غاية الاعجاب وقال لها يا أمي
 من أين لك هذا قالت له يا ولدي اما تعلم انى فاطمة الاقواسية وماسميت بذلك
 الا لان ابي كان يصطنع القيسان فسمينا بذلك الشان وسمى بيتنا بيت الاقواسي
 ثم قالت له يا ولدي هذه القاعة بين يديك وكل ما فيها وهبة امنى اليك نخذنها
 ما تزيد ولا تنظر لما تري مع الاحرار والمبيد فعند ذلك فرح بيبرس الفوج
 الشديد الذي ما عليه من مزيد وقبل يده أمه وعاد بالقوس والدرهم الى عند
 الفداوى فلما رآه الفداوى ترحل له مى مكانه وأجلسه الى جانبه وقال له
 هل اعجبتك القوس ام لا فقال له نعم ولكنى أريد أن أسألك فقال له سل

ما تريد قال له ما اسمك قال له اسمي المقدم عاصف بن بحر المرقب من قلعة
المرقب فقال له أهلاً وسهلاً ومرحباً بك فخذ ثمن القوس خمسمية ديناراً وخذه
إليك هدية كريم لا يرد في عطاء وهذه عشرة ذهب للدلال وبعد ذلك فني
عليك السلام فلما سمع منه ذلك المقدم عاصف بن بحر المرتقب قال له لقد
غمرتني بمجملتك ولا بد أن يكون لك مثله ثم أنه صافه وضمه إلى صدره
وأكل معه الزاد وساروا الاثنين أهل محبة ووداد وبعد ذلك ودعه وسار
إلى حال سبيله وهو شاكر لأفعاله وحسن جميله فهذا ما كان منه

قال الراوي وأما ما كان من بيرس فإنه بات تلك الليلة حتى جاء الصباح
وأضاء الكرم بكوكبه وطلعت الشمس من بطاح إلى بطاح وسلحت على زين
الملاح وأتبعه من رقادته ومنامه وصلى الله فرضه وقرأ شيئاً من كلامه وسار
يمشي وإذا به يرى شخصاً يبدى جبلاً من طاق من سطح ذلك المكان إلى الأسفل
فقال له ما هذا قال له أعلم أن هذا المكان فيه جواد من أرقى الخيول الجياد
وهو لابی السيدة فاطمة سيدي حسن الأقواسي وإن ذلك الجواد لا يقدر
أحد يركبه من عهد مانوفى صاحبه بل تركناه في ذلك المكان من شدة جبره
لأنه قتل خمسة من السياس ولم يقدر عليه أحد من جميع الناس ونحن في كل
يوم نزل له أكله وشربه من هذا الطاق وهذا السبب الموجب لذلك وحق
الملك الخلاق قال فلما سمع بيرس ذلك قال له وابن المفتاح الذي لذلك المكان
قال له هاهو يا صاحب الكرم والاحسان فأخذ بيرس المفتاح وزل وفتح
الباب افتتح وتامل في الجواد فوجده فتنة للعباد هذا وقد أحرقت عيناه وضرب
برجله ريداه وهمهم عليه وأراد أن يقطع الركابات والسلاسل والشاحات
ليقتضى عليه وقد علم منه بيرس ذلك فعلم أنه جواد صادق كريم الفرة عظيم
النظرة معلم بحافركأنه الدرهم مضر البدن مشتم في الثمن عزيز الفرة مليح
الخطرة كما قال فيه بعض واصفيه هذه الأبيات صلوا على سيد السادات

جواد مارأيت له مثال يلوح النور من اعلاه
الخير مدخبر في وسط رأسه والشر والله في قدماء
إذا طلب الخيول أصابها وإذا طلبوه ما دركوا مستراه
يقوق الرياح عند صراتها ويقلب الغبراء عند لقاءه
فيأله من جواد عزيز سبحانه من خلقه ومن أنشأه
يسوي من المال الف الف بدره ولو انصفوا ما اقتدر علي ثمنه
قال الراوي فلما عاينه الامير بيبرس ورأى منه ذلك الفعال تقرب اليه
وضربه بالسردست المجنى بين عينيه وقد كاد أن يقضى عليه ثم صاح بالسائس
أبن السرج فأناه به فشد عليه وحزمه بالحزام وسفقه اللجام وأخذه بيده بعد
أن فك قيده وخرج به على مكانه وقد خافت جميع أفرانه ثم نهض من لارض
ومهمة واحدة فسكن في ظهره وهو كأنه الاسد الفضبان وقال للسائس لا يتبعني
منكم أحد حتى أعود فقالوا السمع والطاعة وقد خافوا السائس فاقبته هذا الامر
فأخبروا السيدة فاطمة بما جرى من ولدها وما فعل مع الجواد وكيف أنه أخذه وركبه
ولم يبال به ولا يأخذه خوف ولا نصب فاشتغل قلبها لذلك وخافت لئلا يتم أمر على
ولدها وكذلك السائس أخذهم الخوف والوسواس فهذا ما كان من أمر هؤلاء
قال الراوي وأما ما كان من أمر بيبرس فانه ركب الجواد وسار وقد تبطن
به في القفار ولما هب الريح في آذان الحصان اتفرد في ذلك الوديان كأنه النمر
الحردان ولم يزل سائر الي أن انتهى الى مغارة في الخلوات فلما وصل الى هناك
وقف الجواد بأذن الملك الجواد فوكزه بيبرس بالركبات فلم يتحرك من مكانه
فتمعجب بيبرس في شأنه ثم انه نزل عنه ودخل الى ذلك المغارة فاعجبته قرب الجواد
على الباب ودخل الي صدر تلك المغارة فرأى في داخلها سراج يضيء بالنهار كما
يضيء في غيبهب الاعتسكار من غير أن يدخله دهن الا يزار فتمعجب غاية المعجب
ولم يدر لهذه الامور من سبب (يا سادة) ثم أن الامير بيبرس أقبل الي داخل

المفارة فوجد فيه باب من الحجر وفي وسطه حلقة من الحجر فقبض على تلك الحلقة بقصد الفرجة عليها فلما رفعها بيده وتأملها بنظره وقد تركها بعد ذلك فسقطت من يده وقد ضربت الباب فكان لها دوى مثل دوى البحر في الاذان فلم يشعر الامير بيبرس حتى تصاحبت الخدام من داخل المكان وقالوا من الضارب لهذا الباب من غير اذن الاصحاب شلت يداك وشمتت فيك أعداك فمن أنت يا ولد الزنا حتى طرقت كنوز الكهنا ارجع أيها الضارب لثلاث تحمل بك المصائب واعلم ان هذا المكان ما لاحد عليه سبيل من جميع الانام الا غلام يقال له محمود المعجى الخوارفي الدمشقي فهو الذي معدود له الدخول وحصول المأمول والقبول قال الراوي فلما سمع بيبرس ذلك صاح أنا صاحب هذا الحسب والنسب من دون الاعاجم والعرب فبادأه الخادم من داخل ذلك المكان ادخل لا بأس عليك (ياسادة) قد دخل الامير بيبرس وقد افتتح له الباب وفهم كل الخطاب فلما صار من داخله رأى شخصا راقد على كاهله وهو على سرير من الذهب الاخر يكاد أن يأخذ البصر ثم رأى من حواليه اربع خدام كل واحد منهم كانه الاسد الضرغام فلما رأى هؤلاء الاقوام أهداء الملك العلام فبسط يديه وقرأ الفاتحة وأهداها الى روح النبي صلى الله عليه وسلم ثم الى روح خادمين الكثر ان كانوا مؤمنين

(قال الراوي) فاتم القراءة حتى تحرك الخديم وقام على الاقدام وقال له انت بيبرس قال نعم قال له انت محمود المعجى الدمشقي ابن السيدة من ارض خوارزم المعجم قال له نعم فقال له أنت صاحب الامارة وقد دلت عليك الاشارة لانك موعود بنا ونحن موعودون بك في هذه الساعة وان لك عندنا حاجة وبضاعة ولنا عندك صناعة فها هذا الذي بيدك قال له هذا سر دست عجمي قد أخذته من رجل رفضي ذمي فحدثه بالقصة من أولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها فقال له أنت صاحب القدر العالى والكوكب المتعالى ولكن

ضع هذا الذي بيدك عند راسي ليكون علامة بينك وبينى ولا تنسى ذلك
ابدا مادمت فى دار الدنيا واحفظ هذه الوصية منى فقال له سمعا وطاعة ثم انه
وضع السر دست من تلك الساعة فقال له الخادم افتح هذا الدولاب ترى شيئا
من المعجائب وهولت دمشقى وزنه عشرة أرطال ما حازه قط بطل من الابطال
نخذه بدلا عن هذا ولا تأخذ شيئا غيره لان مالك عندنا الا هذا بعينه فلا
تطمع فى الاموال ولا تنظر الى الجواهر الفوالى ولا تأخذ الا ما أمرتك به
والسلام وان خالفت حل بك الاتتقام فذهب بيبرس الى الدولاب ومد يده
اليه فانفتح بين يديه وتأمل فرأى فيه ما يحير الناظرين

من ذلك الاموال والجواهر فترك المال والنوال وأخذت الدمشقى المشرة
ارطال وحاد وأغلق الباب ورد كل شئ الى ما كان عليه وخرج من المفارة
بعد تمام هذه العبارة وتأمل فرأى الجواد واقف كأنه مرسوم عليه فلما أقبل
الامير بيبرس ومد يده عليه لمعت فى حاجل الحال قوائمه ورجليه فركب وصار
فى البراري والاكام وهو طالب أرض الشام

قال الراوى فبينما هو سائر فى الطريق واذا قد طلع عليه غبار حتى سد
الاقطار فأقبل اليه الامير بيبرس وتأمله واذا هو فارس مقبل عليه فصبر حتى
تقرب اليه وناداه هات الفخر يا به لريحي فقال له بيبرس وقد تعجب غاية المعجب
يا هذا على أي شئ أعطيك الفخر وانا لأمى بضاعة ولا متعبر فقال له على قرعتك
وعلى حجرتك وعلى تبديلتك التى أنت لابسها فقال له والذى لا يعطى غفر
ماذا يجرى عليه فقال له احاربه وأخذ روحه من بين جنبيه أو أسره رهينة
على الفخر وما يتخذ من يدي الا ان كان قصور فيفوز لأجل شجاعته وتحميه
منى همته وفروسيته فقال بيبرس والله يا وجه العرب الكرام لقد نطقت بما فيه
المصلحة من الكلام وانى قد رضيت بتلك المرام فخذ حذرَكَ فى الهجوم واهتم

في كل الاهتمام فأتى لك خصم من الاخصام

قال الراوي ثم انطبق الاثنان كأنهما جبلين وافترقا كأنهما بحران وتناطحا كأنهما كبشان وخرج من ايديهما ضربتان وكان السابق بالطننة الخيال فزاغ عنه الامير بيرس في طاجل الحال واعتدل أي اعتدل وضرب هذا الخيال باللت العشرة أرطال فارماه الى الارض كالمجدال ونزل عن جواده وأوثقه كتاف وقوي منه السواعد والاطراف وقد وضع رجله بين كتفيه وغل بالحبال يديه واذا بثلاثة أقبلوا من كبدة البر عليه يريدون ان يحموه ومن يد خصمه بخلصوه وقالوا له حابد عن أخينا فهجم على الاول منهم فرماه والثاني الحقه باخاه والثالث كاد يعدمه الحياة ثم شد الجميع كتاف وقوي منهم السواعد والاطراف وركب جواده وقادها أسارى وبين يديه حيارى فقالوا له يا فتى أصنع المعروف والجليل فانه لا يضيع عندنا بطول الدهر الطويل فقال لهم اني أريد أن أدخل بكم الشام وأذيبكم العذاب والآلام وأفلق منكم الهام واري منكم العظام وأصليكم على الشجر ولا تأخذوا من أحد غفر مادام الشمس والقمر فقالوا له يادولتلى ان من فعال الكرام أطعموا الطعام ووفي الزمام والتعطف على الارامل والايتام فتمطف علينا وأعطنا زمامك فامنا الا من يكون خدامك فقال لهم من تكونون من العرب وأهل المنازل والحسب فقالوا له نحن يقال لنا القباياتيه ونحن بدنة كاملة من وادي قبا ونحن خفراء العرب وعدتنا أربعة وستون قرا أ كابر القبيلة والمخضر ونحت يد كل واحد منا المائة والمائتان ولنا على عيسى الناصر بالشام كل سنة أجرة الففر عشرة آلاف دينار فأخدمهم ونفقهم على الاطفال الصغار ونقسمهم بين الموالي الكبار ولم تؤذى أحدا في الطريق ولم يحصل منا تفريط ولا تمويق وهذه عادتنا في كل عام يازين المجالس ونجل الكرام فلما كان هذا العام توجهنا الى عيسى الناصر باهتمام وطلبنا مائتا عليه في كل عام فتكلم معنا بفيض الكلام وقال لا أدفع لكم شيئا من الطعام فقلنا له تدفع الففر والا

حل بك منا الضرر ونهيب في البركل من الينا أني حتى يصل الخبر الى الملك الا كبر فاما ان
يدفع الفقر واما ان ينظر له معنا ثم قال لنا افعلوا ما بداكم وخذوا كل ما طاب لكم
ولا تبغوا على من ترونه وكل ما طاب لكم خذوه فعند ذلك وقفنا في الطرقات المارحات
والمروحات وكل من رأى بناه سلبنا ماله وأخذنا منه نواله وذلك لان مالنا اكتساب غير
هذا الباب ولم نزل على هذه الاسباب حتي أتيت أنت البنا و حاربنا وسألتنا عن حالنا
بعد أن أسرتنا فاعلمناك بأمرنا وهذه قصتنا وحق من خلقنا وسوانا

قال الراوي فلما سمع الامير بيبرس من الاربعة هذا المقال قال لهم تريدون ان نتخذموا
عندي وتأخذوا امالك من الاموال من يدي قالوا نعم مارأيت واننا راضينا بماقدار تضيت
فعند ذلك حل كتافهم واعطاهم الامان والتمام فقبلوا يده وقدرضوا بالخدمة عنده وسار
واحد منهم وعاد بياقي رفقاتهم ثم أخذهم الامير بيبرس وسار طالب الشام وقد فرح بذلك
المرام ومن كثرة فرحه والاستبشار جعل يترنم بهذه الاشعار وهو يقول صوا على طه الرسول

لقد عطاني ذو الجلال مهابة	ولطفا واحسانا وجودا حميا
واوهبني رزقا حلالا طيبا	وارأسقاني وقد صبحت سليما
وخلصني ربي مما فيه من العيا	وأوهبني عزم أربمين كريما
وسيرلي في قلوب العالمين مودة	وازاد بينهما فخرا مقيا
واحبوني الرجال وكذا النساء	وزاد مجدي وأضحى قويا
وشرقي رب العباد بفضله	وعزي ساد بعد ان كان قديما
ونجاني ربي من يد ظالمي	حيث كنت لديه خديما
وما دعا لي ابدا زمام عهد	ووافقه انه دون العباد يتبا
ووقعت في يد ناس زاد قدرهم	وزادهم ربي اعزازا وتعظيما
وحزت أموالهم مسحوا بها	وأوهبوني مواهب التكريما
فسرت الي الجواد حقا وقدرته	روكبته خنح ليل بهيما
وسرت به الي ان تضاحا	النهار رأيت كنزا عظيما
تركت به السر دست عمدا	واخذت منه آلة نم عنيا

ولاقيت ذا الاشراف حفا وقد اخذتهم عندي ونعم خديما
 فيارب النصرني على باقي العدا واجعلني أيسد بسيفي كل لثما
 (قال الراوي) قلما فرغ الامير بيبرس من نظامه ومآقاله من كلامه شكروه
 السادات القبايبية ولم يزالوا سائرين معه بالكلية الى أن أقبل الى بيت أمه
 فطرق الباب بعزمه وكانت أمه مشغولة القلب حائرة البال من حين اخبرها
 الساييس بأنه أخذ الجواد كما ذكرنا فلما رأته اطمان قلبها وفرحت بمجيئه اليها
 ونزلت هي بنفسها وفتحت الباب بيدها ولما دخل أخذته بعمل احضانها وسألته
 عن قصته وما كان في نوبته فحدثها بما جرى من أول الامر الى آخره وكشف
 لها عن ظاهره وباطنه وكيف دخل الكنز وأخذ اللت الدمشقي وكيف استخدم
 الرجال من بعد الحروب والدحال فقالت له يا ولدي فتوح خير ان شاء الله
 تعالى اللهم افتح بخير واختم بخير ثم انها دعت له وصاحت بالساييس يأخذ
 الجواد فأبى وخاف منه فربطه الامير ييده وهيا مكانا الى القبايبية وأقاموا
 عنده بالكلية ورتب لهم المماطى الثنية واعد لهم الخيول العربية ووافقا لهم
 الزمام فعاشوا عيشة هنيئة فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من أمر بيبرس فانه تداولت عليه الايام وهو
 مقيم عند أمه السيدة فاطمة بنت الاقواسى مدة من الزمان فيوم من الايام
 فبينما هو جالس ضاحك ليس طابس اذ أقبل عليه أربعة فلاحين وهم نحوهم قاصدين
 فلما تقاربوا منه سلموا عليه فرد عليهم السلام وأكرمهم بكل الاكرام
 وأجلسهم الى جانبه وكلهم اعز حبايبه وسألهم عن حالهم وما جاعوا فيه من
 أمرهم فقالوا اعلم ايها السيد الهمام اننا فلاحين سرجويل المهري شريك السيدة
 فاطمة في الالتزام ولها شركة في غلال وقد أرسلنا اليها لاجل هذه
 الاحوال ثم اعطانا كتابا وقال لنا سلموه الى السيدة فاطمة وأنوفى يرد
 الجواب الذى ممك حتى أبظر ما فيه وأعرف كامل معانيه فسلموا الجواب

فخله وقراه وفهم رموزه ومعناه وقد رأى أوله صليب وآخره صليب وعنوانه
صليب ونحن وآتم نوحه الملك القريب الحبيب خطابا من عند سرجويل
المهرى الى بين أيادى السيدة فاطمة بنت الاقواسى الذى فعلك به اتنا نريد
ان نسرع في الافراح في مثل هذه الايام الملاح ونكلل اكليلى على
ابنتى واخذ القمح حصتك وحصتى في هذا العام لاجل المعاونة على
الافراح العظام فاذا جاء العام القابل خذى القمح الذى يطلع من الارض
كله ويكون عوضا عن الذى اخذناه وفي محله وهذا ما استقام عليه
الكلام وحق الصليب والاصنام

(قال الراوى) فلما سمع بيرس هذا الكلام وقرأ ما في الكتاب من
المرام قال لهم هذا شيء لا يكون وحق من لا تراه العيون ثم سطر لهم رد
الجواب يقول الذى نعلم به سرجويل ان هذا شيء مخادعة وتحويل ولا بد
من انقسام الفلال وكل من له شيء يأخذه على كل حال ولا يتم غير ما ذكرناه
وفي رد الجواب سطرناه ثم ختم الجواب وأعطاء للقصاد وأمرهم بالذهاب
وقال لهم ان شاء الله الملك المنان انا لاحقابكم غدا الى الاوطان وهذا ما عدى
من الامر والشان فاخذوا رد الجواب وساروا قاصدين الرحاب فهذا ما كان
من أمر هؤلاء وأما ما كان من بيرس فانه اعلم أمه بما جرى وبالذى تم له
وطرا فشكرته على فعله وما عمل من أعماله وقالت يا ولدى انت من المسعدين
وقد جعلك ربي من الفائزين فاذا كان من الغد تركب وتسير الى صفد
وتأتى بقسمنا وما يخلصنا من الارض فقال لها السمع والطاعة فهذا ما كان
من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الفلاحين فانهم لم يزالوا
سائرين والى صفد طالين حتى دخلوا على سرجويل وقد أعطوه رد الجواب
من غير تطويل فلما قراه وفهم ما فيه من معناه غضب وزجر وشجر
ونحر وسب الشمس والقمر فقال له وزير ميسنته لانتضبا ايها البطل الهام
فلامر أقرب من هذا الاجترام وكان هذا ابن اخت سرجويل وهو صاحب
مكر وتحويل لعين مكار عنيد جبار لا يصطلى له بنار ولا يمد له جار وكان

يقال له ظنيت اعلم انه اذا اقبل وكيل السيدة فاطمة ليأخذ الفلال اعلم
انا كيال وأدير عليه المكر والاحتيا ل فقال له سرجويل وقد اعجبه هذا
الكلام للنبيل وما الذى تصنع قال له سوف ترى مايسرك وترى بعينك
مايزيل همك وحزنك ثم صاح ظنيت على الفلاحين فاتوا اليه اجمعين فقال
لهم اتتوني بالحيش واجعلوه صنفين اسود وابيض فالاسود لنا والابيض
للمسلمين وانا اكيل الفلال بيدي واعطيهم بمرفقى وقصدي واكيل فى
الحيش الاسود ثلاث او اربع وأكيل لهم كيلة واحدة فى الحيش الابيض
وهذا ما صنع ليكون الذى يخصهم العشر وما ياخذون اكثر منه وقد انفصل
الامر وهذا مآذرة والسلام (قال الراوى) فلما سمع سرجويل من اين
اخذه ذلك قال له هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ولما تقرر الحال
بينهم على مثل هذا المثال جعلوا ينتظرون قدوم بيبرس فهذا ما كان من
أمرهم واما ما كان من امر بيبرس فانه لما أصبح الله بالمصباح واضاء الكرم
بنوره ولاح ركب والرجال القبا بآية بصحبته وسار معهم بهمة حتى الى
مقد وجاوز البلد وقصد الحرت ووقف هناك وارسل اعلم سرجويل
بمضوره فارسل ظنيت الكيال فصبح على الامير بيبرس بلفته فرد عليه
يده وقال له انت الكيال قال نعم ياسيد الرجال قال له اقسم ذلك الفلال
فصاح ظنيت فى تاجل الحال على الرجال فاتوا بالحيش الابيض والاسود
فى الحال فقال ظنيت ياسيدى الابيض لكم والاسود لنا فقال بيبرس حتى
ابصر واشاهد وارى مايسير فسار ظنيت يكيل ربع او اثنين فى الحيش
الابيض وعشرة فى الاسود كل هذا يجرى وبيبرس ينظر ويرى فلما فرغ
من الكيل وقسم الفلة قسمين فى الابيض والاسود عيان ثم قال له ياسيدى
خذ الحيش الابيض متاعك وسرى امان رب الانام المسيح يجرسك ويتعطف
عليك ويرحمك فقال له يا معلم خذ انت الابيض وانا آخذ الاسود فقال له
للمين هذا أمر منك ولا يصح ابدأ نأخذ الابيض فقال له بيبرس لا آخذ

الا الاسود فقال ظنيظ وقد أرمأ الخزية من على رأسه وانزعج حواسه وانحمق
لما علم أن الحيلة ما تمت ولا تقعت انا ما أعطيك الا الابيض فقال له بيرس ان
لم تطاوعنى تركتك ممدودا ولا أعطيك أبيض ولا أسود فعند ذلك زجر العيين
وشخر وسب الشمس والقمر وبربر بكلامه وعثر بلسانه فلما شاهد الامير بيرس
فعاله وما نطق به من مقاله صاح بعلو صوته يارجال فاقبلت اليه القبا باقية كأنهم
أسود الدحال وتبادروا اليه في عاجل الحال فقال لهم أحملوا الفلة على الجمال والبغال
ولا تتركوا في هذا الواد لهم عقاب فعندها مالت الرجال على الاحمال فحملوها
وعلى ظهور الجمال رفعوها وبالحبال أوثقوها وقال لهم سيروا بها الى ديارنا ولا
تخشوا سطوة هؤلاء اللعناء فاجابوه بالسمع والطاعة وصاروا كما أمرهم من تلك
الساعة فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى واماما كان من أمر ظنيظ فانه لما رأى هذا الفعل التبيح رجع
وهو يصيح ويقول واي واى أخذوا الفلة والجمال ولا تركوا عندنا ولا حبة
من التلال ولم يزل على هذا الحال حتى وصل الى سرجويل وشكى اليه هذه
الفعال فقال له سرجويل ما الخبر فآخبره بالقصة على الاثر وقد بالغ في الكلام
وقال له ان الرجل الذي آتى سبنا وشتمنا ولا بلغت منه مرام ولولا أنى تركته
يفعل هذه الفعال ويعمل ما يريد من الاعمال لكان أودنى شراب النكال
ولولا هروبي من بين يديه لكان قتلتى وأعدمتى روحى واهانتى

قال الراوى فلما سمع سرجويل المهري هذا الكلام سار الضياء في
وجهه ظلام والتفت الى أخيه عبد الصليب وقال له خذ لك بطرية
وسر به في الطريق على أثر هذا الفلام وأقتله وانهب ما معه قبل وصوله
الى الشام وأقطع رأسه بالحسام وخذ معك ظنيظ يعرفك هذا الولد ابن
اللاثام فقال عبد الصليب السمع والطاعة ثم أنه ركب من تلك الساعة وسار
بمن معه من الجماعة وهو على جهة ارض الشام يجد المسير في طلب الامير

بيرس المهام ولم يزل على هذا المرام حتي أدرك بيرس في وسط الاكام ولما
وقعت العين على العين نظروا الى بعضهم الطائفتين صاح عبد الصليب على رفقاه
دونكلم وأياه اين تتجوا بالهرب وانا خلقتك في الطلب فلما رأى ذلك بيرس
فهم المعنى وصاح عليهم وزجر وقال الله اكبر الله اكبر فتح الله ونصر وخذل
اللاثام الكفرة بدين محمد القمير ثم أنه تكبب وارتمى وقرأ آيات معظموا كحل
الكفار بمراود الما وقد أدركوه القباية وحاموا عليه أوفي حية ووضعوا
السيف البثار في أعناق الكفار وحى البروثار الغبار وعميت أعين النظار
وسطي غراب للين الغدار ونادى على المشركين بالبوار ولم تكن الساعة من
النهار وقد قتل مائتين وخمسين من الكفار الملاعين وما كان قصد بيرس الا
ظنيط اللعين ولم يزل يخرق الصفوف ويلوح الانوف حتى أدركه وضربه
بالحسام من غير ان يبدى كلام اطلاق رأسه عن الهام عند هذا تقهرت اللثام
وتأخروا عن الصدام وزعق عليهم غراب البين بالانزاهام وصاحوا بالويل وقد
عدموا القوي والحيل وقد نظر عبد الصليب الى تلك الاطجيب فاراد الهروب
واذا بالامير قد لحقه بضربة ساحقه فكانت لعمره ما حقه وبجسه خارقه وقد
خرقت ما عليه من زرد وطارقة قلما نظرت الكفار ماحل بظنيط من
الاضرار وشرابه كاس البوار وكذلك عبد الصليب الغدار ولوا الادبار وركنوا
الى القرار وتركوا ما معهم من الاسلاب والغنائم الكبار هذا وقد رزق النصر
وذهب عنه الباس الامير بيرس فامر رفقاه بلم الاسلاب والخيول من القلاة
ثم بعد ذلك سار بيرس طالب الشام وقد صنى وقته دون كل الانام ولم يزل
على ذلك الاهتمام حتى دخل الى أمه فسلم عليها وحكي لها على ما كان من
أمره فدعت له وشكرته وقالت له يا ولدى الله يرزقك النصر على جميع البشر
فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوى واما ما كان من أمر المنهزمين فانهم مازالوا في هزيمتهم

ألى ان وصلوا الى محل اقامتهم وهم يدعون بالويل والثبور وعظائم الامور
 وهم يصيحون بملأ أصواتهم ينادون بلغاتهم ويقولون يا خسارة يا ظنيطة
 يا نطاط الحيطه والباقيين ينادون بدمع صبيب يا خسارة عبد الصليب فلما رأى
 سرجويل ذلك اشتدت به المهالك وقامت عليه القيامة وعاد على نفسه بالتوبيخ
 والملامة وما جميع ما كان على رأسه وشق حوايجيه ولباسه لانه قد عدم أساسه
 وفارق أهله وجلسه وسار يلطم ويقول يا خسارة يا ظنيطات وعبد الصليب
 ثم بعد ذلك التفت الى المنهزمين وقال لهم من الذي فعل بكم هذه القمعال
 واسقامكم كؤوس الوبال فقالوا له غلام يسمى يبيرس وصحبته رجال رؤياهم
 تقرب الآجال غير انه أعد جميع الرجال الى الحمال والاغلال والنقانا وحده
 ومهمج علينا بغيره واسقانا الموت الاحمر من صارمه الهندى الا بتر فقال
 لهم انتم بشانين وما تعدوا عندي فلا يبين فالمسيح يقصف أعماركم ولا يرحم
 صغيركم ولا كبيرهم ثم أنه صاح على كامل رجاله وما عنده من ابطاله وقال في
 مقال الخيل يا غنادره فركبت الرجال وكانت عندهم مائة الف فارس كلهم ليوث
 عوابس من كل مدرع ولا بس ثم ركب الاعمين سرجويل على جواده التبسيل
 وقد ارتفع الشنيار على رأسه وسار في كامل أهله وناسه وهم هذه الكرة
 وقد عزموا الجميع على المضرة ولم يزلوا قاصدين ارض الشام حتى وصلوا اليها
 من البراري والاكام فلما نزلوا برجالهم وبلغ الخبر الى عيسى الناصر شرف
 الدين بركوبهم خاف على البلد ولم يدر ما السبب في هذا الامر العجيب ثم أنه أمر بفتح
 الابواب فأغلقتوها والمدافع فضربوها وحصنوا البلد خوفا على أهلها من موتها
 أو نهبها ولما رأى سرجويل الى هذا الامر النكيل كتب كتاب وأعطاه لسيار
 من جملة بطارقه وقال له سر الى باشت الشام واعطه الكتاب وهات لي منه رد
 الجواب وذاك بعد ان حط على حدرمى النار ومنع الخطار عن المسير والسفار
 بإساده وقد سار السيار بالكتاب حتى وصل الى الابواب فطرقها فصاحت

عليه رجالها وحراسها وقالوا له ما تريد ومن أنت من الرجال الاجاويد فقال
 لهم أنا سيار وحامل كتاب وأريد رد الجواب من باشت الشام فاستأذنوا عليه
 عيسى في الدخول فاذن فدخل حتى وقف بين يديه فقال له مامعك من الاخبار
 فاخرج كتاب وناول له بين الاصحاب فخله نائب الشام وقراه وقد وجد أوله
 صليب وآخره وأغلاه خطابا من سرجويل الي بين أيادي باشت الشام وحق
 المسيح الطيب النفيس والآلهة والاصنام اذ لم تخرج لي خصمى الذى قتل
 أخى وابن أخى الي عندي لارحل من أرض الشام حتى آخذ بشارى من
 الاخصام ولو أقت عليها عشرة اعوام وأنا ما لي عندك حاجة وما حاجتى الا
 بيرس فلا تكثرا للجباجة ولا أنا طالب غير ذلك فانظر في عاقبة أمرك تشكر المسيح
 قال الراوى فلما سمع عيسى شرف الدين بذلك الامر المبين قال وأنا ما لي
 بهذا السؤال وما لي الا أريح نفسى وأخرج لهم خصمهم على كل حال ثم انه
 أنعم على البطريق وأعطى له رد الجواب من غير تمويق قسار السيار ومعه رد
 الجواب الى أن وصل الى سرجويل وأداه الرسالة بلا تطويل فقرأها واذا فيها
 من نائب الشام الي بين ايادى سرجويل اعلم أنى ما لي ذنب ولا سبب ولا لي
 زراعة فى وسيع السبب ولكن سأخرج لك الخصم من الديار وأبعده عن
 الاوطان وزاه بعينك فى الخلا والرمال وهذا ما عندي والسلام فلما قرأ
 الكتاب فرح بما قاله نائب الشام وجعل ينتظر حضور الاخصام فهذا ما كان
 من أمر هؤلاء قال الراوى وأما ما كن من أمر الامير بيرس فانه جالس ولم
 يتفكر فى مثل ذلك اذا أرسل اليه أربعة من طرفه فسلموا عليه وقالوا له أجب
 نايب الشام لانه يريد أن يذكر لك كلام فقال بيرس السمع والطاعة وقام من
 تلك الساعة القباياتية الى أن وصل بهم الي الشام وتوجلا عن الخيول ودخلوا
 الى الديوان فلما رآه عيسى الناصر نهض قائما على الاقدام وتلقاه بالمخادعة والاکرام
 وألان له الكلام ثم أجلسه الي جانبه وانه من اعظم حبايبه ومن بعض أقاربه وبعد

طلب المقام جاد بالطعام فاكل معه الزاد واصفي معه الوداد ولم يعلم بيبرس بأنه
التيمن كباد من اهل البنى والعناد ثم انه باسطه في الكلام واخذ يحادثه بزخارف
الاقوال وقد قال له يا ولدى الذى اعلمك به ان هذا اللعين ما انى هاعنا الا
بسببك وماركب علينا الا لاجلك لما فعلت فيه من بعض فملك والحمد لله الذى
نصرك على عدوك وسوف ينصرنا الله على الجميع الرفيع منهم والوضيع ولكن
يا ولدى انى اريد ان التى الهيبة فى قلوبهم وأمكن الرعب فى قوادهم وارد
كيدهم فى نحرهم وقد نظرت فى امرهم ودبرت حيلتى بسببهم وانى اقول بالحيلة
نأخذ سلبهم وننهبهم ونحمدارواحهم فقال له بيبرس يا ابي وكيف ذلك أخبرنى
نحياك الله من المهالك فقال اعلم يا ولدى انى اريد ان تركب جوادك وتمتد
بعدة جلادك وتخرج من باب الشام فى عساكرك واجنادك وأنا ورجالى على
اثرك ولا ادعك لمثل هذا الامر وحدك غير انى اصبر بمسد خروجك الى ان
يصلوا اليك ويطبقوا بكليتهم عليك فاحتاط بهم انا والرجال ويصيروا فى
اوساطنا من غير محال فنفتنهم ونسقيهم شراب الوبال فاذا تقول فى هذا اللقال
فقال بيبرس وقد ظن أن ذلك حقا وما قاله فهو صدق وما يعلم انه وزر ومحال
ودهاء ووبال يا ابي على الرأس والعين فانت الآخر عندي مثل الروح التى بين
الجنين ثم نهض بيبرس فركب حواده واعتد فى جلاده ولم يعلم ما خبى له عند
صاحب الارادة ومدبر المشيئة والسعادة وكذلك رجاله ركبوا خيولهم وساروا
معه بامرهم ولم يزالوا سائرين الى ان وصلوا ابواب الشام وخرج بيبرس برجاله
وابعدوا عن الابواب ونظر الامير بيبرس الى خلفه فوجد ابواب الشام قد
اغلقت فى ظهره فاحس بالمصيبة قلبه وعلم أنها حيلة وقد افترى فى ذلك ساعة
طويلة قال الراوى وكان السبب فى ذلك ان عيسى شرف الدين اخبر البوايين
وامرهم بفتح الابواب بمسد خروجه والتسكين فاجابوه الى ذلك سامعين
مطيعين فلما خرج الامير بيبرس غلقوا دونه الابواب وبقي وحيد فيمن معه

من الاحساب وقد ذكرنا ان اللعين سرجويل معه مائة الف فارس نبيل فلما
ايس الامير يبيرس من نجدة شرف الدين سلم امره الى رب العالمين والتفت الى
من معه من الاصحاب وقال لهم يا اخواني قد تمت المكيدة وارماها هذا
الرجل بالجيلة والرأي عندي اننا نموت كرام ولا نعيش لثام فالجنة تحت ظل
السيوف فكونوا على الحلة عازمين ولا تفرطوا في انفسكم لاعداء الدين فقالوا
له ايها السيد الهام ما منا الا من رام هذا المرام وقد عزمنا على الثبات حتي
تفنى ارواحنا بالمرهفات فعندها ما دبت فيه النخوة ظن انه يلقي الكره وحده
ولا يبالي بالكفار ولو كانوا في عدد الامطار هذا وقد نظر اللعين سرجويل الى
يبيرس وقد خرج من الابواب صاح في الرجال دونكم وهذا الغلام الثمار
باخذ النار وجلى العار عندها نهض الرجال علي الخيول فدلبوها وطلبوا المنايا
واقتحموها واصطفت الصفوف والمئات والالوف هذا وقد قصد الامير يبيرس
رجالاه وصف ابطاله فلما رأى سرجويل اعماله فعل كفعاله وصاح على البطارقة
بالخروج فخرج الى بين الصفوف بطريق كأنه الفتيق بطل عابس وفي الحديد
غاطس وعلى رأسه بيضة عادية وردية داودية وهو راكب على جواد اصفر من
الخيل الفرر على مضر اذا طلب لحق واذا طلب لم يلحق ولما توسط الميدان
لعب بالسيف والسنان وبربر بلغة اللثام يعني دونكم والميدان فعندها اراد رجل
من القبايلية ان يخرج الى هذا اللعين وتذيقه المهنة فاقسم الامير يبيرس علي
الرجال ان لم يخرج غيره الى الرجال ولا احد يقول عنه حاس الا اذا انجملت
الوقعة وكثرت الناس ثم انه نزل الى الميدان ولعب بالرمح والسنان فلما رآه
هذا اللعين ابن الشيطان هجم عليه وصوب حربته اليه فسبقه الامير يبيرس
بالحسام اطاح رأسه عن الهام وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما رأت
اللثام تلك الضربة هابوه وتاخروا عنه وخشوه فصار يدل على نفسه ويطلب
الميدان وخروج الشجعان وسرجويل متحير في هذا الامر والشان

يريد أن يخرج اليه بنفسه ولكنه يخشى المعارة من أبناء جنسه هذا وقد
صاح في الميمنة وأمر بالخروج اليه فخرج اليه بطريق كأنه النخلة السحوق
فما خلاه أن يكر في الميدان ولا يلعب برمح ولا سنان دون أن ضربه ضربة
جبار أرمى رأسه على الاحجار وأسقاه شراب الدماء ولم يزل يقتل واحداً
بعد واحد حتى قتل اثني عشر فارس من الرجال القناص فلما نظر سرجويل
الى ذلك خاف من شرب كأس المهالك وصاح على الرجال بالهجرة وكان هو من
الجملة وقال احموا بكليتكم عليه واخرجوا روحه من بين جنبيه واهلكوا
رفقاء واعدموهم الحياة فعندها انهز السنيار وحمل سرجويل أول المشوار
وأقبلت الرجال القبا بانية الاخيار فسار سيدهم على الاشرار وأما الكفار فانهم
داروا بالجميع عشرة أصوار فلما رأى يبرس الى ذلك الاضرار وماحل به
وبمن معه من الاهوال الكبار تبسم وهو في شدة الكد وأخفى عن الرجال
للكمد وأظهر لهم الجلد وأنشد هذه الايات

اليوم يوم السهزاهز	فاصبروا الي يا عصابة الكفار
وانظروا عزمي وحزمي وهمتي	سألقيكم على الاحجار
اليوم أريكم ضرباً	وطماناً يقصر الاعمار
واطلب النصر من خالتي	الملك المهيمن الجبار
واني لا أبالي بمنلكم	لو كنتم في عدة الانظار
فدونكم حربى والتفوى	وفعلي فيكم كشمار النار
لاقطع الهامات منكم جهاراً	وأذيقكم شراب البوار
وفضل مواصلكم بيدي	حتى الزنود والاختصار
واني بعد ما أقتل حماكم	وافنى جميعكم على البتار
فلا أبالي بالموت بعد هذا	واني اكون قد أخذت بثار
وان عشت عشت سعيداً	وان أنات نم للدار

شهيـداً رشيداً مفازيـا على كلمة الاسلام والافرار
وانى أشهد أن الله ربى وحيـبه محمد المصطفى المختار
رماني عيسى مصمـم بجهله ولكن الحكم لله العلي الغفار
وقد سلت أمري لرب السما من ينقذ الفرقان من الابحار
نوسلت بالهادى الحبيب باهى الجمال بكثرة الانوار
صلى وسلم عليه ربنا دائماً ماتفاقت شمس الغروب صفار
كذلك الآل والصحاب الكرام جيمهم والتابعين لهم على الآثار

قال الراوي ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشتعل واللائم
تتجندل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل بالاعتسار وانسدل واتصلت
الطائفتان عن القتال والطعان وأوقدوا النيران وباتوا يتحادثون القريقان هذا
وقد افتقد الامير بيبرس رحاله راجعاً أبطاله واذا استشهد منهم ثلاثين وقتل
من الكفار ما لم يقع عليه احصاء بعدد الرمل والحصى ولكن لا بيان فيهم
لكثرتهم هذا وقد نزل الامير بيبرس خارج أبواب الشام ولا معه مضارب
ولا خيام وفى تلك الليلة لم يأخذه منام بل أمن من معه من الرجال على من قتل
منهم من أهل الايمان ويدفنهم في التراب فأجابوه الى ذلك وساروا في المعركة
يدورون على رفقاتهم وكانوا يستدلون على الشهيد بروائح الزكية التى تفوح من
بدنه كأنها المسك الاظفر ومنهم من يوجد انه قد نصب على رأسه هامود من النور
هذا وقد دفنوا الجميع وحادوا الى عند الامير وأعلموه بذلك فقال الحمد لله رب العالمين
على السلامة والاقامة والشهادة والسعادة فهذا ما كان من أمر هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من أمر سرجويل فانه سار يلطم وجهه بالنعال ويسب
اللائم وأهل الضلال ويقول هذا غندار وماعه الا قليل من الاتقار وقد أهلكوا
منكم الكبار والصغار فلا طرح المسيح فيكم بركة ولا خفتكم منه رحمة ولم يزالوا
على ذلك الاحوال حتى طلع النهار وأضاء بكوكبه للنظار وركبوا الكفار

يطلبون القتال والبدار فقاتل فيهم يبرس من أول النهار الى غروب الشمس وكذلك الرجال من حواليه يرون عليه وقد قتلوا من الكفار مقتلة عظيمة يكل عن حصرها المقول السليمة وقد ماتت الرجال القبا بانية عن بكرة أبيهم ولم يبق غير الامير يبرس وحيد وفي هذا الامم فريد وحده مولاك قبل أن تبقى وحيد هذا وقد أحى الميدان اليوم الثالث لكنه قد سار من نفسه أيس لانه بمفرده ومولاه يمينه ويساعده الى أن كان آخر النهار وقد فنى ثلثي الكفار فلما رأى سرجويل الى ذلك التطويل قال لمن حوله من البطارقة كل من أتى لي بيبرس أو برأسه أعطيته مثلها ذهب احمر يذهب فعند ذلك نهض طابق بلاه الله بالمصاب والبواثق وقال له أنا آتيك به في هذه الليلة وأدبر عليه البلية والحيلة وأخذ ما ذكرت من المعطية الجيلة ثم أن العايق خرج من عند سرجويل وطلب البر الاقمر وقور الوادي وطلب يبرس من جهة أخرى فهذا ما كان من أمر هؤلاء قال الراوي وأما ما كان من أمر يبرس فانه لما عاد من الميدان نزل من على الجواد وأكل شيئا كان معه من الزاد ولكنه اشتبهت نفسه الرقاد وطلبت عينه حفظها من المنام جعل الذي لا يغفل ولا ينام فعند ذلك خاف على نفسه من عدو أن يصطلي عليه أو جاسوس من عند الكفار يتجسس عليه فجعل يكابر نفسه ويمتنع من المنام ولكنه غلب عليه التعب والمنام لمسا حل عليه من كثرة الحرب مع اللثام وقد ذكرنا ان له معهم في ذلك المرام مدة ثلاثة أيام فلما غاب عليه العكرى وكاد أن يقع من طوله على أديم النرى فاقى الى خلف باب الشام وربط الجواد في يده ووضع رأسه فنام واستغرق في المنام فهذا ما كان منه وأما ما كان من اللعين العايق فانه أقبل وكان يقال له عكرتار فرأى يبرس راقد على الاحجار ففرح اللعين بذلك وأخذه الاستبشار ثم أخرج منديل مطبق بالبنج الطيار وألقاه على أفه وهذه ألقاه النوم على النوم ثم انه احتمله على ظهره ووضعه على جواده وهو غارق في رقادته وصغده وسار به الى أن

اتقبل الى مرجويل وقال له هاهو الذي قلت عليه فخذ روحه من بين جنبيه
 فعند ذلك فرح اللعين مرجويل وقد انشرح وكاد ان يضي عليه من شدة الفرح
 وقال نزلوه من علي جواده ونشقوه بالغل ليفيق من رقاده ففعلوا ذلك
 فأفاق الأمير بيبرس من هناك فلما أفاق عاهوفيه وتأمل وتبين أمره ومعانيه
 قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمد رسول الله أن أفاق له مرجويل
 أنت هندي يا ولد الزنا وتزيتة الامة الخنا فوحق المسيح لا بد أن أقطع رأسك
 وأخذ أنقاسك وأهدم أساسك وأخذ منك بالثار واجلى عن نفسى العار
 فقال له بيبرس اعلم يا العين ان الفرج قريب والله ينجيني من يدك عن قريب
 وهول دعائى عجيب ولكن اخبرني هذا الصيوان لمن قال له هذا صيواني وقد
 اتفقت عليه من مالي واصطنعته بهندسى واهتمامى فقال له ياسرجويل وحق
 الملك الجليل لا بد من أخذه منك واتركك بحسرتة وابعد عنك فلما سمع اللعين
 ذلك تعجب من قوة قلبه ومن فصاحة نطقه ولبه وقال له يا مرقوس يا كناس
 انت خلصت من يدي حتى انك تريد ان تأخذ صيواني فقال قدر الله تعالى اذا
 احسن فى خلاصى واوقفك فى قبضى ما يكون فذلك الا هذا الصيوان فقال له
 اذا الفرج قد اتى لك ونلت ما تروم من سؤالك ومقالك ووقعت انا فى يدك
 افعل كل ما بدالك من غير حرج ولا انزعاج ثم صاح اللعين ارموه الى نطعة
 الدم فارموه وهو مشدود اليد والقدم وقد انتدب السيف على رأسه ولا له
 من ينجده من أهله وحبابيه وجلاسه غير انه قال بقلب حزين تأخر عنى يا العين
 يا ابن اللعين حتى اطلب الفرج من رب العالمين فضحك اللعين من قوله وصار
 يهزأ به ويقول له تعالى له يا سيدي فرج ويكررها وقد قال له من أين يجب لك
 الفرج هذا وقد قطع بيبرس الملائق من الخلائق وتوكل على الملك الخلاق
 الحى القديم الرازق ورفع طرفه الى السماء وتوجه الى قبلة الدماء وتضرع الى مولاه
 ودعا وقال هذه الايات وجعل يستغيث بهذه الاغاثات يقول

يا من نحمد بذكره عقد النوائب والشدائد
يا من اليك المشتكى واليه أمر الخلائق عائدا
يا حي يا قيوم يا من تنزه عن مضاضد
أنت الرقيب على العباد وأنت في الملكوت واحد
أنت المعز لمن اطاعك والمذل لكل جاحد
أنت العليم بما ابتليت وأنت في الحالين شاهد
أنت الميسر والسبب والمسهل والمساعد
أنت الرحيم أنت الكريم أنت التقديم وأنت واحد
سهل لنا فرجا قريباً يا الهي لا تباعد
كن راحي فلقد آيست من الاقارب والاباعد
ولم يكن لي سواك رحيم ولا لي غيرك مساعد
فرج بلفظك كربى يا من له حسن العوید
نخفى لظفك استعين به على الرمن المعاند
ثم الصلاة على النبي ما خر للرحمن ساجد
ثم الصلاة على الرسول ما دعا للرحمن ساجد

والآل والصحب الكرام اولى المناقب والمشاهد
(قال الراوى) فلما فرغ بيبرس من دعائه وتضرعه الى مولاه الا والفرج
قد اثناء وأقبل من بين الرجال رجل يمد من الابطال وضرب السيف ضربة جبار
على عاتقه اطلع السيف يلمع من علايقه ثم هجم على الامير بيبرس فقطع اكتافه
وقال له قم أيها الخليل فهذا جيل قضاء جيل عندها نهض الامير بيبرس وقد جرد
حسامه وهذا الذي اغاثه قدامه يصيح وهو يقول يا كلاب الكفار من فيكم
يتعرض لضرب عنقه بالبتار فوحق خالق الليل والنهار كل من تقدم الى لاجلته

عبرة للنظار ولا آخذن رأسه جهار ولو حملتم على باجمكم ما بليت بئسكم
ولا يأخذني منكم فزع ولا فرار فلما عاينت الكفار هذه الاخبار
خافوا من البوار وشرب كاسات الدمار ولا أحد منهم التفت اليه
ولا قدم عليه ولا أبدى له خطاب ولا رد عليه جواب وكلهم أموات ولا
يقدرّون على السماع والاصوات هذا وقد سار الامير بيبرس مع هذا الفارس
الى أن تخلصوا من المهلكات وتبطنوا في الخلوّات وأمنوا على نفوسهم من
شراب المهلكات عندها التفت الامير بيبرس الى هذا المقدم وقال له لقد اكرمت
كل الاكرام وأحسنّت غاية الاحسان فمن نكون من الاصحاب والخللان
وانى ما عرفتك الى الآن فاخبرنى حتى يزول عني الشك ويظهر البرهان فقال
له لقد نسبتني وأنا ما لسيّتك وتركتني عن بالك وأنا شاكر جيلك ها أنا المقدم
عاصف بن بحر المرقب صاحب قلعة المرقب الذي بعتك القوس فاعطيتني ايام بعد
أن دفعت الى ثمنه ومثله معاه وقد اكلت زادك وحفظت ودادك فسألت ربى
أن يعينى حتى اكفك على جيلك وأصنع معك مثل ما فعلت معى من اكرامك
وتفضيلك فأجاب ربى دعائى وأجاب فدائى ورأيت هذا الخصم وهو ساير بك
فعرفت انه ما يسير الا لاجل مكسبه فتبعته وأردت أنكبه ولم أزل أرقبه الى أن
كان ما كان وخلصك الديان على يدي من الهوان فالحمد لله على السلامة والامتنان
فقال له الامير بيبرس جزاك الله كل خير ودفع عنك كل هم وضير والله ان هذا
الجميل بأثف جميل فلقد خلصتني من يد العدا وشرب الفليل وهذا الجميل عندي
لا بضيع ولا ينمى وحتى خالق البرايا وصاحب الجلاء الرفيع ومن هو فينا يوم
القيامة سميع لكن اخبرني اين كنت حتى نظرتني ومما نالني خلصتني فقال له
يا أخى لقد كنت مرتقبك وأنت راجع من حرب العدا وما آتيت الا آخر النهار
وقد رأيتك نمت من شدة ما قاسيت من الكفار فتعجبت كيف أنك وحيد ومالك
من أحد عنك يحلمى ولا يفيد فارقتك وأنت نائم ولم أزل من بعيد حتى هب هذا

الشيطان المريد وأخذك بالبنج الطيار فعزمت أن أسقيه كأس البوار ولكن ما
دعنى نفسى أن افعل به ذلك وهو فى البر وحيد غير أنى قلت والله لا تنظرت
ما بفعل فيه ولا اخلصه الا من وسط اعاديه واخل الجليل لا يضيع واخلصه من
من يد الرفيع والوضيع ثم سرت خلقه وهو ساير بك انت والجواد حتى دخل بكما
الى أهل ملة الكفر والفساد وقد رأيت ما فعل معك هذا اللعين نخلصك من يده
بذن رب العالمين والحمد لله على سلامتك والتأمين قال فشكره الامير بيبرس على
فعاله وما عمل من اعماله ومقاله وسار معه ولم يزالوا كذلك حتى اقبلوا الى باب
الشام فرأوه مغلق فوق الامير بيبرس وهو بالفيظ مخنوق ولاخفى حاله على
المقدام فسأله عن حاله فأخبره بما جرى وكيف احتال عليه باشت الشام
وكيف اخرجه الى الخصام فلما سمع الفداوى ذلك تعجب منه وقال يا أخى أن
طلبت أن آتيك ياشاة الشام الساعة فانا آتيك به على الاقدام أو آتيك برأسه
اذا جن الظلام فقال له يا أخى دعنا من ذلك وكل انسان يلقي بفعله الجزاء من
من الملك العلام ولكن اخبرنى كيف تأتيني به والابواب مغلقة ولا لاحد الى
دخولها وصول ولا ارتقى فقال له الفداوى قد تبسم اصبر سوف اريك العجب
ثم انة جرد مفردة وأرماء على أعلا الصورة وقد اشبك السكلايين قذف السكتين
واطنب الرياضين ولبس الكفين وتوسل بالامامين الامام حسن وأخيه الحسين وصعد
الى أعلا الصورة وبعد ان كان تحت الجدار سار فوق أعلا الاصوار والتفت الى
الامير بيبرس ليعلمه وعلى الصمود على المفرد يرشده ويفهمه واذا به رآه خلفه وتابع
اثره وكأنه كان تعلمه من الف عام فزاد عجبه واجبه قلبه وتعجب منه وقال له
انت تعرف هذه الصناعات وتسرى هذه الاشارات وهو المفردورية البنج وضده
والطلوع والتزول قال له لا والله يا ولدى ما رأيت الا الساعة ولكن ان الذى
له عقل ورأس وعيون وحواس يفعل كما يفعل الناس فقال له حيث كان
ذلك ولم تعلم المفرد الامين فمن الآن انت ولدى وأنا كبيرك ومعلمك ومديرك

واميرك فقال له هو كما ذكرت ثم انهم ساروا الاثني مائتين بيت السيدة فاطمة
 الاقواسية الى أن وصلوا الى المكان وكانت السيدة فاطمة جالسة وهي تبكي وتوح
 من كبد مضر مجروح على ولدها وقد انفطرت عليه مرارتها وعلى صبرها وهي
 تبكي وتطلب له السلامة من ربها واذا بالباب يدق عليها فنهضت على عجل
 وفنحت الباب ونظرت من الطارق من الاحباب واذا هو ابنها والقدام
 الذي معه ففرحت بسلامته والى صدرها ضمته وسلمت على اللقحام وسلمت
 عليهما سلام الاحباب وانت لهما بالزاد قاكلا وشربا ولذا وطربا وقد سالت
 ولدها محمود فأخبرها من أول الامر الى آخره وكشف لها عن باطنه وظاهره
 وبعد ذلك تودع الفداوي من بيرس فقال له والى أين تريد قال له انني أريد
 الحلوات فاعطاه ما يتين دينار فآخذهم وانصرف الى ما يريد فهذا ما كان منه
 (قال الراوي) وأما ما كان من أمر الامير بيرس فانه نام باقي ليلته وقد
 ارتاحت من الالم جنته الى أن أصبح الله بالصباح وضاء الكرم بنوره ولاح
 ركب بيرس وقد اعتد ولبس سلاحه وآلة حربه وكفاحه وسار طالب الابواب
 فقالت له امه يا ولدي الى أين تريد قال لها اريد أن اخلص من الاعداء جوادي
 ولا بأخذوه مني الاعداء فقالت له نصرك الله واعانك وبلغك منك وما اهانك
 وقطع دابر اخصامك هذا وقد نزل بيرس على باب الشام وصاح على البواب صيحة
 ادهشه وامره بفتح الباب ففتح له وقد اخذه الارتياح ولم يدرك كيف أتى
 الى الباب وتم سائر حتى انه قارب الشام وصاح ميدان فلما عابن سرجويل ذلك
 قال المسيح يقطع عمرك ابرزوا اليه يا عصابة الكرستيان فبرز اليه فارس فقتله والثاني
 جندله والثالث امهله والرابع جعله لرفقاء تابع والخامس اهواه والسادس الحقه
 يرفقاء ولم يزل على ذلك حتى قتل خمسة واربعين فارس من كل مدرع ولايس
 فعند انهم الشنار باذن سرجويل الهدار وهجمت الاعداء الاشرار واحتاطوا
 بالامير بيرس يريدون ان يسقوه شراب البوار فعندها ثكب وارغمي وكحلهم

بمراود العمى وقرا آيات معظما وذكر الله الأرض والسماء وسار برمي الرؤوس
 كالأكر والكفوف كأوراق الشجر فجرى الدماء وساح كالبحر الطلاح وبكت الأرواح
 على فراق الأشباح ونمى الجبان الرواح والشجاع حمل وطاح ويبرس بضرب بغيهم
 مثل الأسد الوقاح ولم يزل يقاتل ويطاعن ويشادد ويجهاد حتى كملت سواعده
 وثقلت يده عن حمل السلاح وسار يمانع عن نفسه وقد اعياء الأمر وظن أن هذا
 المكان له قبر إلى يوم العرض والحشر فلما رأى نفسه تضايق والاعداء حواليه
 كالبحر المتفافق رفع وجهه إلى السماء قبلة الدعاء وقال صلوا على باهى الجمال
 رجوت الأمان منك فاعطنى وانصرنى يا خالتي على الأعداء
 وهب لى لطفاً جيلاً مجلاً واعل كلمتي بين العباد
 وسهل لى فرجاً قريباً واحتمل بارازقي اهل العناد
 فانت الكريم ولم أقصد سواك وانت الحليم وانت الجواد
 اغنى بالهي بحق المصطفى الهشيم المبعوث زين العباد
 واعطنى النصر حقاً لاني اياست يا مولاي من رشاد
 وانت ادرى مني بحالتي وانت الكريم ورب العباد
 بحق المصطفى تأخذ بيدي وهب لي السراح مع السداد
 واخذل الكفار عنى بأسرم حتى يفرون في القلادة والسهاد
 سألت العفو يا رباه اني وحيد فريد غريب البلاد
 وصلى وسلم على خير مرسل احمد المبعوث للخلق هاد
 كذا الآل والاصحاب كامل جمعهم منازل غيث السماء على البلاد
 (قال الراوي) فيهما هو يطلب الفرج من صاحب الفرج واذ بالغباء
 طار وعلا وسد الاقطار وتمزق وما رأي باب اعين النظار عن خيال مقبل كانه
 البرج المشيد وهو ينادي من بعيد وهو يشير اليه بصوته ويديه ويقول شديك
 وقوي عزمك وعن خصمك لا تغفل فقد أتاك الفرج من صاحب الفرج هذا

وقد تأمله الأمير بيبرس وإذا به عاصف صاحب قلعة المرقب ولما رآه عاد له فواء
 وصاح بجانبه الله اكبر فتح الله ونصروا خذل بالثام من كفر هذا والقداوى نزل
 على الرجال نزلوا السيل اذا مال وسارت من حسامه القتلا كيما بمددين على الصبح صحتان
 وقد اوقع الله الرعب في قلوب الكفار فتأخروا الى ورائهم عن ضرب البتار
 وخافوا من الهلاك والبوار هذا ولم يكن لهذا الفارس اشتغالا الا سرجويل فانه
 قد قصد اليه ولم يزل حتى وصل اليه وصاح فيه ادهشه وعن الكلام شوشه وقبض
 على اطواقه وضيق على خنقه ورجله من على جواده فوقع الى الارض تحت
 الشنبار والفارس قد اوثقه كتاف وقوي سواعده والاطراف بعد ان قتل من
 الكفار آلاف وقتل صاحب العلم الكبير واقفى الكبير والصغير ولما رأت الكفار
 ما حل بصاحبهم والبوار ركنوا الى الفرار وولوا الادبار وتركوا ما بين ايديهم
 من الخيام والنعم السكار ولم يأخذوا ولا عقلا خوفا من شراب النية والا ذلال
 ومن جملة ما تركوه الصيوان الممدود الذي له ثلاث مائة عمود وكان مكلفه من
 ماله اكثر من ثلاثين خزنة لانه اذا اتصب كانه بلد أو مدينة ظهرت على وجه
 الارض والاعمدة من الخشب الابنوس مرصعة من أعلاها بالؤلؤ والفصوص وفيه
 ستة وثلاثين ساعة دقايق شغل السكين افلاطين صاحب بلاد الصين واقشة من
 الحرير الرومي العال العالي القدر والمنال فلما هربت الكفار وتركوا تلك الصيوان
 والاموال نزل الأمير بيبرس وجلس على كرسى سرجويل وقال للمقدام اجمع الاسلاب
 والانعام وسلمنى هذا العين بن الثام ففعل ذلك وبعد أن تهيأ الفراغ أمر الأمير
 بيبرس بسرجويل فاحضره القداوى بين يديه فلما رآه قال له اضرب عنقه ولا
 تبق عليه فعندها أرماء الى الارض فصاح العين وهو ينتفض وقال انا فى جيرتك
 يا أمير بيبرس أنا فى عرض هذا المقدام فعند ذلك قال له انا قلت لك فرج ربى
 قريب يا كلب فضحكت على وأسات الادب ولكنى قد علمت أن ليس بعد
 الكفر ذنب والآن ما بقى لك عندي اكرام الا أن تشتري نفسك بالمال والانعام

فقال له اطلقني وانا اعطيك عشرة خزن من المال ومائة راس من الجمال وخمسين جواداً اصل فقال له لا وعزة الله الملك المتعال ولكنك ان اردت السلامة من الهوان والمز من بعض النقصان فاعطني هذا الصيوان بما فيه من الاموال والاوزان وانا آمن عليك بروحك التي هي أحسن من الف صيوان ولا اعطني رأسك والسلام فقال له يا سيدي حذ الصيوان بما فيه ودعني برأسي ولا تأخذها مني فقال له عاصف ارجل انت بنفسك ثم اعطاء جوداً من غير عدة وهو من الخيول الشاردة وقال له امض الى حال سبيلك فضي اللعين مرجويل وهو في حزن طويل هذا وقد جمع يبيرس الاسلاب والاموال وشدة الجميع على ظهر الجمال وقال لعاصف اقتح لي باب الشام فقال له سمعاً وطاعة ونهض عاصف من تلك الساعة وارمي مفرده ونزل خلف الباب وفتحته على آخره واقبل يبيرس بما معه من مكاسبه ودخل من باب الشام وعاصف قدماه شاهر الحسام ولا يبالي لابشيع ولا غلام هذا واهل الشام قد راوه وبأعينهم زمقوه والجميع علي فعالة يشكروه ولم يزل سائر وعاصف يتنادى بين يديه العاشق في جمال النبي صلى عليه حتى صار الى منزل امه فتلقه وبالسلاطة هنته وجلس مع الفداوي على تسكة وقسم المال قسمان فاعطي القسم الاول الى الفداوي من غير نقصان والنصف الثاني بالخوان فرقة على فقراء الحال والارامل والايتام من الرجال والنسوان والشباب والمسيبان ولم يأخذ هو غير الصيوان وما شاء من الخيول لاجل الحرب والقتال وبعد ذلك تودع الفداوي منه وتركه عند امه وصار بالمال فهذا ما كان منه

(قال الراوي) وأما ما كان من أمر عيسى شرف الدين فيينا هو جالس وقد دخلت عليه الاخبار بما فعل يبيرس مع الكفار وبما أنعم الله عليه من الاموال وبما انفق على الاطفال والنساء فلما سمع ذلك الكلام عاد الضياء في وجهه ظلام وزادت به حسرته وقد كاد أن تنفطر مرارته وزادت بليته وعظمت رزيبته ثم انه عاد الى مكروه ودهاء وخداعه وبلاه وخفي الكمد وأظهر الصبر والجلد وصاح

على أربعة من أعيان رجاله وقال لهم اتقوني بولدي الأمير بيبرس فذهبوا اليه
وأثروا الى بيته وسلموا عليه وقالوا له أجب سيدنا عيسى شرف الدين فقال لهم
لاى شئ فقالوا له لا ندرى فقال لهم ممعاً وطاعة ثم سار من تلك الساعة وكان
صحبته عاصف بن بحر المرقب ولم يزالوا كذلك الى أن أثروا الى الديوان فلما رآه
عيسى وثب على الاقدام وقد هنأه بالسلامة والامان وقال له الحمد لله على سلامتك
يا ولدي وقد زاد فرحي وتكامل سعدي حيث نصرك الله على الاعداء حيث انك
حزت الاموال والاسلاب والبغال والاحمال الثقال وتكرمت على النساء والرجال
ولقد ارضيت الملك الجليل بهذا الفعل الجميل واشفيت القلب اللطيل
ولكنك تكرمت على الفقراء بالاموال واعطيت النساء والرجال والعلماء والاشراف
ونحن ما خطرنا لك علي بال فلاني شئ فعلت هذه الاعمال

(قال الراوى) فقال له يا سيدى انك والله عرضتني للاندال وتخليت عني
دون الرجال ووالله انك لم تستحق عندي عقاب ولا درهم واحد من المال والآن
فانا وانت في الديوان وعندنا العلماء أهل العرفان نقص عليهم هذا الامر والشان
وانظر كيف يكون الحال والمقال من الكلام فقال له عيسى وقد تبسم من كيد
الفيظ يا ولدي الله يحوسك وعلى اعداك بنصرك هذا منك احتقار وكاني لم يكن
لى عندك مقدار وهذا مما يحط بمقامى عند الكبار والصغار حيث انك تأتي من
غزو الكفار وتفرقه على جميع اهل الاقطار ولا تفتى اصحاب المقامات الكبار
فمندها قال بيبرس يا علماء الاسلام يا اهل المقول والاحترام ما قولكم دام فضلكم
في رجل اباح دمي للثام واخرجني اليهم بسوء مكره واغلق خلفي ابواب الشام ولم
يجاهد معي في سبيل الملك العلام وقد اغضب بفعاله الرحمن وارضى اهل الطغيان
ولقد نصرني الله الكريم المتعال واخذت الفنايم والاموال وقتلت اهل الكفر
والضلال ويريد الآن يأخذ مني ما جمعت من المال وما اختوت عليه يدي من
الاثقال فقالوا له هذا لا يجوز لاني شرع ولا سياسة ولا عند اهل الهندسة والفراسة

ولا يحمل في شرع المختار ولا يرضى به الملك الجبار ثم أن العلماء تكلموا مع عيسى
ولا موه وسبوه على فعاله وذموه فلزم السكات وضمير في نفسه الغدر والسكات
وزاد به الاسف والقهر وضمير الى الامير بيرس الغدر والمسكر وقال له يا ولدي
أنا ما تكلمت معك الا مزاح وأناي أطلب منك الهزل والانشراح فلا تأخذ على
خاطرك مني ثم جعل يضاحكه ويلاعبه ويتحدث معه بلين الكلام ولم يعلم بالقلوب
الا الملك السلام الي وقت الزوال انقض الدبوان فزلت العلماء والاخوان
ونزل هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من أمر عيسى فانه تفكر في أمره وكاد أن تنفطر
مرارته من قهره فأرسل الى عايق من عياق الشام من أهل الكباثر والاثام فلما
حضر اليه اجلسه وسلم عليه وقال له فيماذا أرسلت لي فقال له لي عندك حاجة
وأريد قضاها منك من غير لجة فان أنت قضيت حاجتي وليت دعوني أعطيتك
كل ما تريد وهذا الف دينار ذهب مني اليك ولك عندي مثلها اضعاف فقال له وما
تكون حاجتك وسوف ابلغك امينتك فقال له اريد أن تسرق لي بيرس الى
عندي وتكتم هذا السر عني فقال له سمعاً وطاعة وتركه ونزل بالالف دينار
من تلك الساعة قال وهذا المايق يقال له لييد وكان كافر غبيد ولا يخفى أمره
في تلك البلاد وشره قد عم العباد فزل الى بيت بيرس وجعل يرتقبه الى النلس
حتى نامت الميون وتجلي الحى القيوم ونزل العايق عليه فرآه نائم على قفا
مشاهد مولاه فاخرج منديلا من البنج الطيار والقاه على وجه الامير في الاعتكار
وهزه ثقلت دماغه فشده كتاف وقوى سواعده والاطراف وجعله في حضان وزرر
عليه ستة وثلاثين عروة وزرار وصعد به الى سطح الدار ودلاه الى الجدار ونزل
مفرده حتى نزل الارض وحصله واحتمله وصار ولم يزل كذلك حتى أتى الى عيسى
فوجهه له في الانتظار فقال له ها هو غريمك فاخذه من بين يديه واصرفه من
عنده بعد أن أنعم عليه وقال له امض الى حال سبيلك في البر ولا نظهر هذا الامر

وان ظهر كنت أنا خصيصة دون البشر فقال له السمع والطاعة وانصرف من عنده
من تلك الساعة فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر عيسى فانه أخذ يبرس وصار به الى
طائفة عنده من داخل سرايته وأنزله فيها وتركه بكتافه ونشقه بالغل في انفه
فأفاق من غشوته وصحي من رقده فلما أفاق على نفسه قال اشهد ولا اجحد
ان الله واحد أحد فرد صد ليس غيره يعبد وإن حبيبه ورسوله المصطفى محمد
أين أنا قال له عيسى أنت عندى يا أخس الرجال يا نمل الاندال انظر لنفسك وهذا
الحال لئني عواقب ما فعلت من الفعال وانظر ما صنعت معك من الاعمال وبعد
ذلك فهذا السكان قبرك حتى انك تلتقي بربك فقال له وقد تأسف تفعل معي
هذا الفعال وانت تزعم انك والدى بين الرجال ولكن فرج الله قريب وكل أمر
له سبب عجيب فقال له لا تعطيل الكلام يا ولد الزنا والحرام ثم انه تركه وعاد
واغلق عليه باب الطبقة وذهب الى سرايته وقد حدثت منه سريره وظن انه
يسقيه كاس منيته فهذا ما كان من قصته وأما ما كان من أمر يبرس فانه تأسف
على ما جرى منه وما كان من امره وأحواله وما فعل عيسى فيه من هذا الامر
دواحيه فجعل يسلى نفسه بالاشعار ويرثي نفسه بالاقوال ومن جملة ما قال هذه
بيات صلوا على صاحب المعجزات

صديقك من يعادى من تعادى	بطول الدهر ما هتف الحمام
يربك الصداقة منه صدفا	ولا يجرد اذا وقع الخصام
ولا يمدد اليك يد بنحو نصل	ولا يكون محاربا بنحو حمام
ويوفى الدين عنك بغير مطل	ويرد باللسان عنك الانام
لكنه يتنى لك الفدر سراً	ولا يفصح لاحد في الكلام
فلا تأمن قط مكيد الاعادي	ولا تأمنن له أبدا دواى
وأما من يصادق من الاعادى	ويضحك حين رشق الهامى

فذلك العدو من غير شك فتجنبه فعشرته حرام
وأما الصديق عند الشدائد شبه الدر زينه النظام
إذا صادق صديقك من تعادى فقد عاداك ولن فصل الكلام
فحش فريدا من غير خل فذلك الوقت مأثر من محام
وإن صفي لك خلا فخذ فهو خير من جميع الانام
سألت الله أن يفرج ما نحن فيه فانه الشفيق بكل الانام
وهو الرؤوف بكل العباد وهو الكريم والبر السلام
(قال الراوى) ولم يزل يبكي وينوح على ما أصابه وهو يشكي من كثرة
ما أنابه حتى ولى الاعتكار وطلع النهار وقد ارسل له كمين بقصمات وشربة ماء
من غير انبساط فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمه فاطمة بنت الاقواسي قلها
لما أصبح الله بالصباح واضاء الكريم بكوكبه ولاح انتبهت السيدة فاطمة من
منامها وأنت لتيقظ ولدها لأنها انتظرتة مثل عادته فلم يزل عليها فحس قلبها بالمصيبة
وصعدت الى المكان فيما ترى فيه انسان ولا وقعت له على خبر ولا جليلة اثر
فلما تيقنت ذلك بكى وانت واشتكت وجعلت فشد الاشعار وترخى الدموع
الغزار وأول نظمها هذه الايات صلوا على سيد السادات

كيف الفرار ودمع العين منسكب وفي الحشا نار والمقلد مسلوب
لفقد ولد كان بين الناس ذا كرم وقد كان فارساً في الحرب منسوب
لقد عدمته ولم ارقط طلعتيه وقت بعد المز بالنوح مكروب
لمن كان بين الناس ذا حسب غيث يردى الثرى كالماء مسكوب
قد كان حامياً اذا احاط العجاج بنا حصناً أميناً غالباً غير مغلوب
له حزم للمنايا فيه مسكنة من أصغر مع رماح الخط انبوب
وكان غالباً لكل الحراب معا كريم الايادي والفضل الموهوب
وقد بكيت على فقد عزى فياسنى فمن ذا الذي يحى ماسار مكتوب

ثم الصلاة على المبعوث من مضر خير الخلائق والله محبوب
(قال الراوي) ثم ان السيدة فاطمة بعد ان فرغت من بكائها نهضت على
اقدامها وصاحت علي خدامها فأجابوها بالطاعة فقالت لم على بدواة وقرطاس
فأتوها بما طلبت في عاجل الحال فجعلت تنظم وتقول في أوله هذه الايات
ونحکم في وجار واشتقى وعاداني بعد ان كان موالياً
ولكني أسلمت أمري للذي عالم بسرى وداري بحاليا
وقد كادني والله هذا والذي أصاب فؤادي وأصبح عامياً
نخلوا ايدي بالاسماعيل نجدة فأتى الاشراف أهل الماليا
الا فاجحدوني يا رجال بأسركم ولبوا دعائي وارثوا لحاليا
فأنكم ذوا شرف عظيم ونسبة واهل المكارم حقاً والامانيا
وانني لم اقصد سواكم لشدني فكونوا ياسادتي راحين لما بيا
وان أيتيم مادعيتكم اليه شكيتكم لمحمد المبعوث للناس راجيا

قال الراوي ثم انها سطرت الكتاب خطاباً من السيدة فاطمة بنت الاقواسي
الي بين أيدي اولاد اسماعيل الاشراف ذات الفضل الجليل نعلكم ان أخيكم ولدنا
الامير بيرس بات عندنا في مكانه وأصبحنا فلم نر له خبر ولا جلية اثر فضاقت بنا
الحيل وخفنا على ان يسطى عليه الاعداء واهل الحيل وارسلنا اعلمناكم وبما
اخبرناكم فانظروا هذا الامر وتدبروا فيه بمعرفتكم واكشفوا لنا عن خبر اخكم
قبل ان تتمكن منه الاعداء والسلام على نبي تظله الغمام ثم ختمت الكتاب بخطها
وصاحت على عبد من العبيد يقال له سعيد الدار فلما حضر بين يديها قال ليلىك
ياسيدتي قالت له خذ هذا الكتاب واركب على ظهر هذا الجواد وسر به من
ساعتك هذا الي القلاع والحصون فاذا وصلت الى هناك ترى المقيمين بتلك النواحي
فسلم على كل من تراه منهم واسأله علي طريق المعرة وسر ميل وسر الى هناك
واسأل علي للقدم سليمان الجلسوس أو أبوه اسد الدين المبوس أو جده أبو الروس

وتقدم الى بين ايديهم وسلم عليهم فاذا سألوك عن حالك فاجبرهم والزهم الادب في حقهم بكل ما قدرت عليه ثم بعد ذلك تعطيمهم الكتاب الذي ملك فاذا قروه امثل لهم آت في كل ما يقولون وهذه حاجتي عندك فان قضيتها فانت حر لوجه الله من بعدها والسلام

(قال الراوى) فلما سمع سعيد الدار منها ذلك الكلام أجابها بالزعم والاحتكام وكانت أمرت له بخمسة سنية ومائة دينار عديدة فاخذهم وركب على ظهر الجواد وسار يحد المسير وهو يقطع البراري والوهاد أيام وليالي الى أن وصل الى بلاد الووار التي للمعرة ثم أن العبد سأل الاتباع على تقيب الرجال فدلوه عليه في عاجل الحمال فسار له ولم يزل سائر حتى وصل القلعة وهو في عزم ورفعة فلما وصل الى هناك تحول من على ظهر الجواد وأقبل على الرجال باجتهاد تلتفوه الرجال وسلم على الابطال وسألهم على المتقدمين فقالوا له هم من داخل القلعة قال لهم خذوا لى اذن في الدخول وقولوا لهم أن عبد السيدة فاطمة الاقواسية قد أتى بجواب لكم من عندها ويريد قضاء حاجتها فعند ذلك ذهبت الاتباع المتوكلين بهذا الاصطناع ووقف العبد خارج القلاع فلما دخلوا الاتباع على المقادم سلموا عليهم وقالوا لهم أن بالباب عبد السيدة فاطمة الاقواسية يريد الاذن في الدخول والوصول الى بين ايديكم قال فلما سمعت الرجال السيدة فاطمة الاقواسية صاحوا في الاتباع ادخلوه الى عندنا أوصلوه ولا تتكلموا معه ولا تطردوه ولا تهينوه ولا تهروه فتراجعت الرجال وهم في غاية من الكمال وأخذوا العبد بين أيديهم وساروا به الى عند المقادم ولما وقعت العين على العين قامت الرجال للعبد وتلقوه وسلموا عليه واكرموه وفي اعلى الاماكن اجلسوه وذلك لاجل خاطر السيدة فاطمة ثم قالوا له ما معك من الاخبار يا عبد الله الجبار وكيف نخبرنا على اخينا ببيرس فقال لهم

العبد أما اخبار اخيكم فلا عندي منها شيء وأما سيدتي فهي على غاية من النعم وقد ارسلتني اليكم بجواب وأريد منكم رد الخطاب وما أنا قد أثبت اليكم من عند السيدة الاقواسية كفاها ثم كل بلية والذي أقوله ان كتابي فيه حير أخيكيم يبرس وحق من سلعت عليه الشمس فقالوا وأين الكتاب فاخرج الكتاب وناول له وكان أخذ الكتاب أسد الدين العبوس أبو سليمان الجاسوس فله وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا في اوله ما تقدم من الاشعار وما ذكرناه من الاخبار وعلى عنوانه هذين البيتين صلوا علي جد الحسين كتبتة وعندي من شريف جنابكم ما يزيد بكائي أو يقل حجوعي فرفقوا لي واحموني فاني سمحت لكم بقصتي وفيض دموعي

أما بعد فهذا خطابا من الحرمة الوهانة الكشيية القهرانة السهرانة السيدة بنت الاقواسي الى بين ايادي السادات الاشراف بضعة أهل مناف أولاد اسماعيل الفلك الافخر المنسوين الى فخر ربيعة ومضر ثم ذكرت لهم في الكتاب ما سطرناه في سابق الكتاب الى ان قالت لهم واني ما وجدت له خبر ولا وقفت له علي اثر وما أخبرتكم عنه الا لانكم اعلمتوني بان جميع ما جرى اطلعكم عليه وأنا قد اعلمتكم بفقد ولدي في الليل واني واقعة في عرضكم ثم تهنؤوا في طلب اخيكم وهذه أول حاجتي اليكم وانا في عرض جدكم الامام علي بن عم النبي صلى الله عليه وسلم ولا بد من ارسال رد الجواب لاجل الاطمئنان عليكم وعلى ولدي والسلام على نبي تظله الغمام

قال الراوي فلما سمعت الرجال ما في الكتاب من المقال ساءت بهم الاحوال وصار الضياء في وجههم ظلام وكثر بينهم العكلام وهاجوا مثل البحر الزوأم فتعجب العبد من ذلك المرام وما فهم العبد منهم الا انهم يقولون لبعضهم اخينا

وقد لعبت عليه الرجال وأخذوه بالتأصب والاحتبال وقد سرقوه من عنده ولا بد لنا أن ندور عليه ونأتي بالخبر ولو يكون تحت الأرض السابعة ثم انهم انعموا على العبد بخمسة سنية والـف دينار عديدة وقالوا له سر الى سيدتك واقرأها السلام منا وقل لها انتظري حضور المقادم اذا جن الظلام فاناً جن الظلام جضروا الى عندك مثل العبيد فقال العبد السمع والطاعة ثم خرج العبد من عند الرجال وقصد الارتمال بعد أن تودع من الابطال وسار طالب الشام ولم يزل يطوي الأرض طى وينهب البر انتهاب حتى اقبل الى ارض الشام فلما قارب المكان تحول عن ظهر الحصان ودخل الديار وسلم على سيدته واعاد عليها ما جرا من الاخبار فلما سمعت بتلك الاخبار انصمت عليه ومننت له بالاعتاق فهذا ما كان من هذا الاتفاق

(قال الراوي) واما ما كان من أمر السيدة فاتها صارت في انتظار الرجال فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر أولاد اسماعيل فاتهم لما طلع العبد من عندهم تقلدوا بسلاحهم وركبوا على ظهور خيولهم واخذوا اتباعهم من ورائهم وصاروا طالين ارضاً غير ارضهم وهي ارض الشام وقد جدوا المسير الى آخر النهار وقد وصلوا الى البساتين فترجلت الرجال عن الخيل وسلموها لاتباعهم وتركهم وساروا راجعين غير راكبين ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى البلد وقد اقبلوا الى السور وارموا مفاردهم وتسلقوا على الاسوار مثل شعل النار وتحولوا وزلوا من داخل البلد وهم متوكلون على الواحد الاحد ثم جمعوا المفارده وشالوها في حرمدهم وساروا وهم متوكلون على ربههم ولم يزالوا كذلك الى ان أنوا الى بيت السيدة فاطمة الاقواسية وكانت السيدة في انتظارهم بالكلية فلما رأتهم قد قرعوا الابواب أمرت الغلمان أن يفتحوا لهم هذا ولما دخلت الرجال تلقىهم السيدة فاطمة في الحال من غير مطال وقد صعدت بهم الى قاعة المجلس

وجلسوا على الفراشات المتمنة والخدات الملونة ثم أحضرت لهم المشروبات فشرّبوا
واغتنموا اللذات وأخذت الممالك من أيديهم الكاسات وبعد قليل أقبلت السيدة
فاطمة من غير تطويل فلما دخلت عليهم سلمت فقاموا الرجال اجلالا لقدرها ولما
حصل لهم من اكرامها فلما استقرت في الجالوس بكت بين ايديهم وشكت حالها
اليهم وجعلت تنعي على ولدها بين ايديهم وهي تنشد وتقول صلوا على طه
الرسول

خافني الدهر الخؤون بحمله وقص جناحي وأعمى نواظري
صكنت امنه على ولدي وانق في حظ عظيم ونجى زاهر
وقد اتيت اليوم ارجوا نصركم والنصر من عند الكريم القادر
مالى سواكم في الانام حما وانتم حمايا وزخري وتفاخري
ثم الصلاة على الحبيب محمد نبي الهادي النعوث بالحق ظاهر

« تم الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث »

وأوله خروج الملك يبرس من السجن واسر عيمى بشت الشام
بجيلة أولاد اسماعيل

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
نجم الدين الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيعة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاحوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء الثالث

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)

بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

مطبعة للنقا هـ بمقر قسم المطابع بمصر

لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي .



وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

(قال الراوي) فلما فرغت السيدة فاطمة من الشعر والنظام وقد لدوا وطربوا من مقامها السادات الكرام وهملت مدامهم سجام ونادوها ياسيدة لا تبكي فنحن له القدا وتقدبه بأرواحنا من الردي ولكن اخبرينا هل يكون له عدو من الاعداء أو حاسد من أهل الردي فقالت لهم نعم له عدو وهو من أكبر الاعداء اليه نصره الله عليه فقالوا لها ومن هو ذلك قالت لهم عيسى شرف الدين باشت الشام فانه والله أكبر أعداءه قال فلما سمعت الرجال من السيدة فاطمة تلك الاقوال نظر بعضهم الى بعض وقد تفاخروا بإشارات يرفونها بينهم ثم التفتوا اليها وقالوا والله قد عرفنا الغريم ولا يلزم الي تعريف أكثر من هذا الآن في ذلك كفاية فاذهي الآن الى محلك وما يمضي الليل الا وأخينا عندك وتأخذه بعلء حضنك ويحول همك وغمك بأذن الله ربنا وربك فلما سمعت السيدة كلامهم شكرتهم على فعالهم وأثنت عليهم ثم تركتهم وصعدت الى قصرها وهي تطلب رد ولدها من ربها فهذا ما كان من أمرها وأما ما كان من أمر الرجال فانهم قاموا من وقتهم وساعتهم ونزلوا من المكان بكليتهم ولم يزلوا سائرين الي أن أقبلوا الى سراية الشام فأرموا

مفاردهم وصعدوا الى الاسوار وانحدروا الى داخل المكان ولموا المفارد ثم
أقبلوا يدورون في الاماكن والقاعات والقصور والمحلات الى أن رأوا مكاناً
فيه عيسى وهو نائم على سرير عالي من خشب الصاج فأقبلوا اليه وأيقظوه
وقد أزعجوه وأزعجوه فلما أفاق من رقدته وبخلق مقلته تحقق فيمن أيقظه
وفوقه واذا بهم أولاد اسماييل والرجال الابطال فوقهم به الخوف والفرع
الويل ولكنه أظهر الجلد وأخفى الكمد وقوى قلبه وأخفى رعبه ورجع
الى خداعه ومكره وقال لهم أهلاً وسهلاً بأهل القلاع والاسود الكاسرة
والسباع والابطال الفداوية والاشراف الاسماعيلية فعند ذلك جرد المقدم
سليمان الجاسوس الشاكرية وهجم على عيسى بالكلمة وقال له ان كنت أنت
أهلاً للمكر والخداع فنحن جرثومة الحيل والانخداع فاعلم الآن انه ما بقي
لك خلاص من يد القناص وما بقي لك في الدنيا غير هذه الساعة وما عاد
ينفمك الا الشهادة فلما سمع عيسى ذلك الكلام أخذ الهيام ولحقه الاهتاك
والانهمام وبال في سراويله وانقطع ظهره ولحقه أكبر هنه وقال لهم ما الذي
فعلت معكم حتى تقتلونى وتبتلونى فقالوا له انت على كل حال تعرف ذنبك
وما أنت ناسيه بل أنت عارفه ودارك معانيه فقال لهم أنا ما علمت لى ذنب
أبدأ فاعلمونى ما السبب الذى أوجب لى شراب الردى فقالوا له وحق الاسم
الاعظم والرب المعظم ان لم تصدقنا فى ذلك والا أسقيناك المهالك فقال لهم
وقد زاد به الهم والاسف أصدقكم وحق من على العيون احتجب فقالوا له
أين الذى عندك ومقيم فى أرضك وبلدك وواخذه فى حضنك وجاعله ولدك
الذى يسمى ييرس قال فلما سمع عيسى ذلك تعجب غاية العجب وعلم انه ان
كذب عليهم سقوه المطب لاجل ما أقسموا من الايمان التى هى عندهم أقوى
من كل سبب فقال لهم لاي شيء تدورون على هذا الغلام وما هو لكم ولا
ينسب الى أهلكم ولا تعرفونه ولا يعرفكم فقال له المقدم سليمان الجاسوس

اعلم يا عيسى ان هذا الغلام عدو لسلطان القلاع والحصون وقد أمرنا بمجبيه
من أي محل يكون فقال لهم وقد انطلى عليه المقال وتزخرف له الضلال وما
الذي عمله مع سلطان القلاع وما السبب الموجب في المداوية بينه وبين أهل
البقاع فقالوا له ان عنده رجل مقدم وهو عاصي على السلطان وسلطاننا نادی
في القلاع ان كل من تاواه أو ادخله الى حماه أو عين يكون مهروق الدم واذيقه
كاس قتاه وقد اخبرتنا الجواسيس ان المقدم مقيم عنده هذا الغلام فطلبناه في
البلد فلم نجده عند أحد من الناس فطفقنا عليه الا ما كن فواجده فاعلمنا انك
أعز أحبنا فقصصنا اليك فدلنا عليه والا أخذناك ترد جواب للسلطان لا تنا
لا نطلبه الا منك وان لم تفعل أخذنا رأسك والسلام على من تظله الغمام
قال فلما سمع عيسى ذلك هدأ روعه واطمأن قلبه وزال عنه همه ورعبه ثم
انه اعتدل لنفسه وقال لهم يا رجال اعلموا انه ليس هذا ابني ولا أنا أبوه وإنما
هو غلام فاطمة الاقواسيه والصواب ان تطلبوه منها فقالوا له قولا واحداً
اما أن تقول لنا عليه أو تدلنا عليه حتى نقتلك وتخلص من أيدينا والا
قتلناك وصرنا برأسك الى حاكمنا فان هذا غريم الخوند الكبير وما نقدر
تغلف عن طلبه فيقتل منا الصغير قبل الكبير وأما انت فلا تخاف ولا تخشى
بأساً ولا اسراف لانه ان كان عندك كانت لك اليد البيضاء عند سلطان القلاع
والحاكم على أهل البقاع وان اردت اننا نكتم مراك ولا نظهر أمرك فاعلنا ذلك
وذكرنا للسلطان اننا وجدناه في الوديان فاخذنا راسه والسلام وبهذا الشأن
انت خال من الكربة ولا ينفعك بعد هذا المظل والممارغة في السؤال فان
لم تدلنا على خصمنا والا قتلناك ومن نسيم الدنيا أحرمنك وأرمينا عنقك في
وسط قصرك وأخذنا رأسك حتى تقابل بها سلطان القلاع وانت تعرف اننا
لانبالي بمسرك ولا بكل من في الشام ولا نخاف من أضعافهم ولا من
السلطان الذي يحكم عليك (ياساده) فلما تحقق الهلاك ونظر بعينه شراب

الارتباك قال لهم يا قوم اعملوا ان هذا غريمي واكبر أعدائي اذا دليتم عليكم عليه
تأخذوا روحه من بين جنبيه حتى يشفى غلبي منه فقالوا له هو كما ذكرت
وسوف ترى بعينك ما يسرك في خصمك فأبى هو قال لهم هو عندي في قبضة
يدي وبقتله آمن على نفسي قالوا له هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب
فقال لهم ان قتلتموه عندي فلكم على خمسة آلاف دينار وتعطوني جثته
وتأخذوا رأسه الى سلطانكم اجهار فقالوا له شأنك وما تريد ولما تقرر الامر
بينهما على ذلك نهض قائما على الاقدام وسار بالرجال وهو قدام وهو يهدير
مثل الجمل المهجم ويقول والله انه لقليل الادب وكثير الاشرار فكيف يعادي
سلطان الحصون ويقبل مثل هذا الغبون ولم يزل كذلك حتى اقبل الي
الطابقة الذي فيها بيبرس وهي تحت الارض لا يرى منها قرا ولا شمس هذا
ولم يعلم عيسى بما كتب له في الغيب ثم انه فكك الاقفال وصار وفتح باب
الطابق في الحال وقطع السلاسل النازلين الى ان اقبل الى هذا المكان الذي
فيه بيبرس فلما وقع العين على العين ورأى عيسى وهو مقبل ظن انه يريد عقوبته
او قتله سلم امره الى ربه (ياساده) فقال له عيسى يا قرنان يا ابن الف قرنان من
مثلك تعادي السلطان والرجال الاشراف فالآن لقد حل بك التلاف وما بغضي
من عمرك غير هذه الساعة من غير خلاف هذا وقد ارتعد الامير وخاف
خوفا شديدا ما عليه من مزيد وتأمل بنظره واذا قد رأى اخواته الغداويه
مقبلين خلفه فاطمأن قلبه وزال عنه همه وكربه وعلم ان الحيلة تمت على عيسى
لاجل الامير من الاسر هذا وقد صاح عيسى بالرجال هذا خصمكم ها هو
الساعة بين ايديكم في القيود والاغلال والباشات الثقالة فخذوه الآن واقتلوه
واقطعوا رأسه ولا ترحموه ودعوا أمه تندب عليه او انها تقتل نفسها وتذهب
اليه وانا اعطيكم عشرة آلاف دينار ولكم على الخلع الكبار ويكون بعد
قتل هذا الغلام لكم مالي وعليكم ماعلي والسلام (قال الراوي) فالحق عيسى

ان يتم الكلام حتي تقدم اليه الامير سليمان الجاسوس وضربه صفعاً بالشاكريه
الفاء الى الارض وقد انكب على وجهه كانه قتيل وقد غشي عليه من هذه
الضربة بذلك السلاح الثقيل ثم انقض عليه اوثقه كتافاً وقوي منه السواعد
والاطراف ساعة من الزمان وقد اقلق على نفسه ونمى ان الارض تبلعه وقال
لهم بصقاعة ذقنه يا قوم ما ذنبى عندكم وما الذي فعلت معكم بعد ان سلمتكم
خصمكم فقالوا له ما هو الا اعز احبابنا واغلا من ارواحنا التي بين اجنبنا فلم
يعسى ان الحيلة تمت عليه فسكت على مضض هذا وقد قال المقدم سليمان
الجاسوس له يا قرنان يا متعوس ما هي الا حيلة وقد تمت عليك وبها أخذنا
اخيـنا من بين يديك وعلمنا انك عدوه الاكبر والبلاء المحرر ثم ان المقدم
سليمان امر بمده في السرداب فمدوه الرجال الاحباب وضروه ضرب الكلاب
حتى انه اشرف على الذهاب وبعد ذلك خلصوا اخيهم من الاغلال وأخذوه
بالاحضان فقال لهم الامير جزاكم الله كل خير كثير هذا شأن الرجال وفعال
الابطال والله لقد فعلتم مع والدتي أعز جميل واشفيتم الفليل وارضيتهم بفعالكم
الرب الحيل ودبرتم الحيل وأخذتموني من يد هذا العدو الفشل فقالوا له والله
لو كنت في سد الاسكندر ذوالقرنين ما تركناك غمضة عين ولا بد اننا نسعى
معك ونخلصك من يد كل عدو كان ولو كان في ذلك ائتلاف مهجنتنا
ففسكرهم يبرس على فعالهم وجزائهم بكل جميل على مقالهم ثم انه التفت الى عيسى
وقال له اي ذنب كان لي عندك حتي جازيتني بالعقاب وارميتني في هذا السرداب
ولكن الآن هاتوا دماغه يا أعز الاحباب ومن عاش بمد عدوه يوماً فقد بلغ
المنـا والهنـا وعندها فرحت المقادم بقوله وتقدم سليمان الجاسوس اليه وجود
الشاكريه وانتدب على رأسه وقال دستور يادولتي اقطع رقبة هذا الفدار
وأريح منه الكبار والصغار وبعد ذلك نجعلك حاكماً على الشام ولا نبالي بكل
الانام فعند ذلك التفت عيسى ولاجت عينيه وأيقن انهم قضوا عليه ورقبته

ظن انها ضربت من بين كتفيه فصاح بملو صوته يا ولدي يا ييبرس اعذرني
في ذلك الامر فاني لم اقدر اكاقتك علي جميلك واعلم اني معذور وقد بلغني
عنك من الاعداء انك ضمرت على قتلي واهانتني والدليل على ذلك انك لا اعطيني
شيئا مما نالك من غزوة اخضامي واخصامك فاغواني الشيطان ان هذا عنك صحيح
ثم اغواني على ذلك الفعل الذي غير ملبح ففعلت يا ولدي ولكنني تندمت علي
ما كان مني وأنا قد عملت بأصلي فلا تأخذني بذنبي واصمل انت بأصلك
وسامحني وان عدت لمثلها فسيغفر خصمي وقد أبحث لك دمي وانا في عرضك
وحسبك ثم انه سكت بعد ذلك الكلام فقال له الامير ييبرس يا قليل الادب
انت بقيت لي عرض والاحسب فو حق من على العيون احتجب انك مستحق
لكل ما يصل اليك من النصب والتعب فقال له أنا في عرض أمك ومن الآن
تبت علي يدك وهذا الرجال الحاضرين الذين هم فخر أولاد اسماعيل علينا من
الشاهدين فقالوا له الاشراف يا أخينا اخبرنا بما تريد أن تفعل اما أن تقتله ولا نبالي
بما قال والا أن تتركه الى أن يقيم منه أمر آخر على كل حال فعند ذلك قال لهم
اصبروا ولا تعجلوا ثم التفت اليه وقال له هل تبت عن يقين والا أخلي اخوتي
يتركوك من الهالكين فقال يا ولدي دعني ولا تشمت العداة بقتلي فاني من
الآن تائب على يديك ولا لك مني الا ما تقر به عينك

قال الراوي فلما سمع الاشراف والامير ييبرس كلامه استحي منه ورق له
قلبه ودخل كلامه في لبه وقال لاخوانه يا اخواني يا أهل الكرام العفو من
شيم الناس العظام وقد معتم أقواله وعرفتم زوره ومحاله وشهدتم على توبته على
انني أقول مالي عدواً غيره وان كان مجري علي أمر من الامور فما يكون خصمي
غير هذا الغرور فلا تطلبوني من غيره فان نقض التوبة مرة أخرى اقتلوه واسقوه
كؤوساً مرة لانه قد تاب من الآن فان عاد فلا تقبلوا فيه شفاعة انسان والآن
فاكرموه لاجل خاطري ودعوه يفعل ما يريد فقالوا له والله يا دولتي ما مرادنا

أن نبقية ولا نرى لك عدواً على وجه الأرض ونخليه ولا بد لنا من قتل أعدائك
 وهلاك كل من يشناك فدعنا نقطع نحره ونريحك من شره وغدره ومكره فعندها
 قال لهم عيسى يا رجال طاعوه وفي مقاتله لا تسفوه واعلموا بأني تبث على
 يدكم لا سيما وقد وقعت في عرضكم ومن الآن ان كان يجري أمر من الامور
 قانا به مطلوب ومحصور وبعد ذلك فقد أبحث لكم دمي فاعف عني ولا تأخذوني
 بأول ذنب مني فقالوا له اذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت وتريد
 أننا نمفر عنك ولا نهرق دمك ترجع عن الفساد وظلم العباد والاحل بك هنا
 العناد واذا جرى على أختنا شيء من الآن فما نجاز به الا أنت دون كل انسان
 فهل رضيت بذلك فقال لهم رضيت والمقدم سليمان الجاسوس وكيلاني في ذلك
 قال الراوى فتكفل به المقدم سليمان الجاسوس وضمنه الى الرجال ثم انهم
 حلوه من ذلك التمس والنكس وأمروه أن يقبل يد الامير الدولتي بيبرس
 فتقدم اليه وقبل يديه ورأسه ورجليه وكان هذا على غير مراده ولكنه ما فعله
 باجتهاده الا خوفاً من الموت الذي ما كان له ذلك الوقت منه فوت ولكنه أخفى
 الكمد وأظهر الجلد وجعل يخفي ما بقلبه من الترح ويظهر للمقدام السرور
 والفرح ثم تصافت القلوب ثم انهم طلعو من الطابق وجلسوا بين المراتب والعتائق
 وطلب الامير عيسى الشرابات فشربوا وذكروا محمد صلى الله عليه وسلم ولدوا
 وطربوا ثم أن عيسى أخلع على المقادم الخلع الحسان واعطاهم عشرة آلاف دينار
 من غير نقصان وبعد أن غمرهم بالعطا تقدم اليهم ووقع في عرضهم وقال لهم
 اكتبوا عني هذه القضية ولا تذكروها لأحد بالكلية ولا تذكروا أن بيبرس
 كان عندي ولا في قبضة يدي فقالوا له نحن من القوم الاحرار الاشراف
 الاخيار الذين سيبتهم كتم الاسرار والمحامية عن الحرم والصغار ثم بعد ذلك
 ودعوه ونزلوا من عنده الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم
 قال الراوى وأما ما كان من أمر السيدة فاطمة بنت الاقواسي فانها تلك

الليلة باتت ساهرة وفي أمرها حائرة وهي الى المقادم منتظرة فبينما هي متفكرة
 ولم يقر لها قرار ولا يهوى عينها نوم ولا استقرار فبينما هي كذلك واذا بالرجال
 قد أقبلت والى نحو بيت السيدة فاطمة عولت فتأملتهم السيدة فاطمة فرأت الامير
 بينهم كأنه النجمة الزاهرة الدائمة فلما شاهدت ذلك فرخت فرحاً عظيماً وزال عنها
 الحزن الذي كان بها مقيم وخرت لله ساجدة وشاكرة وحامدة وقد صاحت على
 الخدام من فرحتها فانقبوه من المنام ونزلوا وفتحوا الباب كلح البصر قد دخلوا
 التداوية مع الامير المفتخر وهم فرحين بما نالهم من خلاص أخيهام شاكرين الله
 رب العالمين (يا سادة) يا كرام نعم ان الخدام أجلسوهم ورحبوا بهم وبالسلامة
 هنوم وقد قبلوا يد الامير وهو في وسطهم كأنه القمر المنير وقد أوقدت بينهم
 الشموع الموكيات والمسك بالروائح الزكيات وأقبلت المطابق بالحلوات والشرابات
 بالمناديل المزركشات وهم مغمورون بالاموال كل مندبل فيه ألف دينار ولما
 تناولهم الاشراف وضعوا الجميع بين يدي الامير من غير خلاف وأضافوا باقى
 المال الذي أخذوه من عيسى على الكمال وقالوا له يا أخينا هذا مالك ولا تأخذ
 شيئاً على خلاصك من يد قناصك قال فلما سمع الامير ذلك تعجب من حسن
 مروءتهم وقال لهم يا رجال لاي شيء ما أخذتم هذا المال فقالوا له يا أخينا
 أرواحنا فداك ولا شمت بك أعداك وبعد ذلك فكل أموالنا بين يديك
 ولا نبخل بكل ما نملكه عليك واتنا لم نأخذ منك أموالاً في هذا الآن الا
 اذ آن لك الاوان وأخذ بيدك الملك الديان وصرت ملكاً وسلطاناً فانتا بقى
 كلنا نغازى في سبيل الله وتقاتل بين يديك أعداء الله ونأخذ منك العطا
 والمواهب والخيول والجنائب لان مالك غيرنا حبايب وقد رأينا ذلك عندنا
 في الجفر والكتايب فشكروهم الامير على ذلك واثنى عليهم ورد عليهم الاموال
 فخلعوا أن لا يأخذوا منها ديناراً ثم اقبلت السيدة فاطمة وهي تقول كثر الله
 خيركم ولا عدمت بطول الدهر فضلكم لاني قد وصل الي جيلكم وغمرني

احسانكم جبر ربي خواطرکم کا جبرتم کسري وردنیم علي ولدی وحشاشة
 کبدی وقد خلصتموه من عدوه فالله تعالى يجازيه بقوله ويرسل له من يكون
 ضده فقالوا لها الرجال ياسيدتي هذا سيدنا ونحن كلنا عبده وخدامه وخيرنا
 كله من بعض احسانه فنسأل الله تعالى أن ينلغه مناه ولا يشمت به أعداءه وبعد
 ذلك أرواحنا فداء ولا كان من يشناه فشكرتهم السيدة على فعالهم ومدحتهم
 على ما كان منهم ثم تودعوا التداوية من أخيهام الامير بيرس وأيضاً من السيدة
 ونزلوا من البيت واقتلوا على الاسوار وارموا المفارد ونزلوا عليها مثل شعل
 النار وساروا طالين الديار والبراري والقفار وكل ذلك في غيب الاعتكار
 قال الروي هذا ما كان من أمر هؤلاء وما كان لهم من الاخبار وأما ما
 كان من السيدة فاطمة فلما أخذت ولدها بيرس وطلعت به الى القصر وقد زال
 عنها الهم والحصر فلما استقر بهما الجلوس قالت له يا ولدي أخبرني أين كنت
 وأين كانت غيبتك فقال لها يا أمي والله أنني قد كان في خاطري أنني أخبرك بكل
 ماجري ولكن الآن ما أقدر أن تلفظ بلفظ واحد لان أخواتي قد أخذوا على
 اليهود وأقسموا على بالملك الماجد على ان لم اذكر لاحد المكان الذي كنت فيه
 وبذلك اقسمت لهم وقد ما هدمتم ولكن سوف يظهر الكلام اذا مضت
 الايام فدعينا الساعة من هذه الاحكام قالت له يا ولدي الحمد لله على السلامة
 (ياسادة) ثم انه طلب المنام فانصرفت عنه السيدة ونام وتوكل على المليم العلام
 الذي لا يغفل ولا ينام وقد أذن الله انه لا يبيت تلك الليلة الا في مكانه لاجل
 سمادته وسلطانه (ياسادة) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح وطلعت
 الشمس من الروابي والبطح وسامت على زين الملاح وانتبه الامع وصلى صلاة
 الافتاح أتوا اليه بالشرابات والماء كل الفاخرات فأكل بحسب الكفاية وشرب
 وهد رب البراية ونزل الى قاعة الجلوس وهو ضاحك غير عبوس وأتته اولاد
 الشام وهنوه بالسلامة من الاخطار وكان قد بلغهم طرقا من الاخبار فأكرمهم

وحياهم واكرم منوهم واخذوا حظهم وانصرفوا الى حال سبيلهم هذا وقد
طالب العز والانس لدوتى الامير يبرس وزاد عليه الحظ والشأن وأقام بارض الشام
قال الراوي فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر السيدة فاطمة
فان عزمها زاد باذن رب العباد وكثر بها الوداد وحمدت على ذلك الملك الجواد
قال الراوي وسنرجع الى سيرة خادم الحرمين الشريفين وقائد الرايتين
المتكلم بالصدق لا بالتمين الزناد القادح والبحر المlatan الطافح والزناد القادح
الولى الناجح الملك الصالح نجم الدين أيوب ولى الله المجذوب وما يقع له من
الكلام المعجيب والامر المطرب البديع الغريب الذى يحب ان نسوقه على الترتيب
حتى أن المستمع يلد ويطيب بعد الف صلاة ترضى النبي الحبيب صاحب البرد
والقضيبي والناقة والنجيب الذى من صلى عليه قط لا يخيب وكيف يخيب وهو
يصلى على حبيب الحبيب شفيقنا يوم القيامة من القهيب انه كان فى بعض الايام
جالس على كرسي قلعة الجبل ومثلك يوحد التقدريم الازل وقد تكامل الديوان
وتكاملت الوزراء والحجاب والنياب والسادة والاخوان والاغا شاهين عن
يمينه وأبيك التركمانى عن شماله والايبويه والموصلية والزرسجية والخزورجية
والقاضي بين يديه والقاضي بن دقيق العيد والقاضي صلاح الدين بن الشيخ
جلال الدين القراني والملك قد جلس يتماطى الاحكام وقد راق الديوان فيما
الملك جالس والديوان حاك واذا بالوزير الاغا شاهين الاقرم قد نهض الى محل
الطلب وقال يامولانا السلطان المراد ان ترسل لى رجلا من أولاد حمك يجمع
لنا الخراج من البلدان ويأخذه من التواب ويسير به الى أرض الشام ويسلمه
الى عيسى الناصر فيرسلها مع خيل البريد لاجل أن يحضر لنا الاموال وليكن
في ذلك امهال لان أوان الحج قد اقرب وزيد أن تجهز لوازم أهل الحجاز والعرب
كما جرت به العادات في كل عام ياملك الاسلام فقال له الملك السمع والطاعة
انظر لنا من يروح في قضاء هذه الاشغال الساعة فقال الاغا شاهين من يسافر

الى تلك البلاد ويأتى لنا بالطراج من أهل المهاد (ياسدة) ياكراهم فعند ذلك
استدب رجل من الاكراد ووقف بين يدي الملك وقال أنا آتى بالمال وارجع
سريعا على كل حال فتبينه الملك واذا به نجم الدين البندقداري وكان هذا ابن م
الملك الصالح فقال له يا نجم الدين دع هذا الامر الى غيرك واننى لاجل المال
ما أتركك أن تسلك الاودية الخوال فقال له يا ابن العم اعلم أنى هناك حاجة
أخرى أريد أقضيها فى هذه المرة فقال له ما هي الحاجة يا ابن العم فقال له اعلم
يا أمير المؤمنين وخادم قبر سيد المرسلين ان زوجتى السيدة شهوة لها أخت
مقيمة بارض الشام يقال لها السيدة فاطمة بنت الاقوامى وهى من الناس
السكرام وكنت تزوجت بأختها من مس مدة ما أقبلت من أراضى بكر وان
هذه السيدة فاطمة لها غلام ولا رزقت غيره فى الانام وقد توفى الى رحمة الله
تعالى فتواصلت الى اختها الاخبار بما نالها من الاضرار وبلغها أنها لاجل ولدها
لا يقر لها فرار ولا تذوق النوم لا بالليل ولا بالنهار فأعادت على زوجتى هذه
الاخبار واطلمتني على ذلك الآثار فطبيت خاطرها وقلبا ولبها وقلت لها لا بد
ان أسير الى ارض الشام وازور ذلك المقام واطيب خاطر اختك من اجل
هذا الغلام وكنت يا أمير المؤمنين اريد منك الاذن فى المسير وسرعة الجدد
والتشمير فأتاني الامر كما أريد وحرت هذه الامور باذن الملك المجيد فاذا أنا
سرت اليها آخذنا بخاطرنا وأعزبنا فى ولدها لان اختها مشغولة القلب عليها
ومن اشتغالها بذلك الشأن طلبت منى فى ذلك الاستاذان بالمسير الى تلك البلدان
وعلى كل حال رواحى أنا خبر من رواح زوجتى لانها على كل حال من النسوان
فدعنى اسير فى حاجتك وحاجتى واقضى مراد زوجتى ويبقى رواحى بفائدة
وحجة وحاجة زائدة لاسيا واننى اريد اشرف بالخدمة لأمير المؤمنين وابن
عم سيد المرسلين

(قال الراوى) فلما سمع الملك الصالح من ابن عمه نجم الدين البندقداري

ذلك الكلام هدر وزجم وارغا وازبد وهاج كما يهيج الجمل وتكلم بكلام لا يفهم
 حتي تعجب الحاضرون من كلامه وما فهموا مراده لانه صاح يا ابن العم اذا وصلت
 الى ذلك العلم تحيب الطير وتدخله في القفص وتجبر كسر قلبي وتزيل عنه القفص
 وتتحايل عليه ونحط له العلف والماء والكلف ونكرمه ومن كل شيء لا تحرمه
 فقال نعم الدين اي طير يا ابن العم ومن تعني بذلك الكلام فقال الملك الله الله
 يا نجم الدين يا من هو على الحق المبين اذ الفائدة اذا أنت جئت بالطير تجمله لنفسك
 وتخفيه عني في بيتك ولكن يا اخي وعزة الربوبية لا بد أن يظهر ويبقى ظاهرا
 مثل الشمس والقمر ولا يفيدك من ضياء سيء فلا بد له أن يكمد حسوده
 ويقهر سمعه جعوده ويملأ أمره على الطيور ويبقى له أمر مشهور وعمل مشكور
 ولكن دعني من هذا الكلام المذكور فسوف يظهر كل ذلك بأذن الملك الغفور
 فقال له نجم الدين يا ابن العم أنا لست ادرى معنى هذا الكلام ولا افهم عن من
 تعني من الانام فقال الصالح أنا رجل على باب الله مسلوب العقل في حب الله
 فلا تؤاخذني في كلامي ولا تكثر في ملاحي فقال الاغاشاهين لا اله الا انت سبحانك
 ما اعظم شأنك واعز سلطانك ولا اله غيرك خلقتني ورزقتني وبعمرة الناس
 الكرام عرفتنى الهى اسألك بحرمة حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم لا تحرمني
 من اسيادي الدين حبهم ملك فؤادي وما اعرف لهم مقال ولا اعرف لهم جواب
 انك أنت الكريم المتعال ثم أن الملك التفت الى الاغا شاهين وقال له اخلع عليه
 ووليه هذا الامر واكتب له الكتب فاني قد أجبتني الى ذلك السبب ففعل الوزير
 ما امره الملك به وقد نزل الشيخ نجم الدين وقد انعقد له الموكب فركب الشبهة
 وسار بالخلع والهيبة ولم يزل سائرا الى أن وصل الى بيته وكان بالحسنية فتحول
 عن مركوبه بالكلية وصعد الى الحرم فتلقته زوجته وعن حالته سألته وقدراته
 لا بس الخلة فقالت لاي شيء لبست هذا القفطان فقال لها اني مسافر الى حلب
 والشام اجمع خراج الاقاليم حكم أمير المؤمنين فلما سمعت منه ذلك الكلام

قالت له يا ابن الاعمام اسألك بالملك السلام اذا انت وصلت الى أرض الشام
تقرى أختي جزيل السلام وتأخذ بخاطرهما عني في فقد الغلام وتمزيها في ولدها
وتقبل عني رأسها وتذكر لها اني مامنعي عنك الا المشقة والامور المحقة وبعد
الطريق وعدم الرفيق وتخبرها بأن قلبي عليها كثير وبعد ذلك فآلهيهون عليك
المسير ويميدك بالسلامة الى أرض مصر من غير ملالة

(قال الراوي) فلما سمع منها ذلك قال لها اعلمي اني ما طلبت السفر لهذا
المحجر وخاطرت كل الخطر الا لاجل هذه الحاجة ولهذا الامر اكثر من كل
أمر محرر (ياسادة) ثم انه بات تلك الليلة في ارقى رتب السيادة ولما أصبح
الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح جهاز نفسه الى السفر ولم يأخذ على ذلك مصطبر
الى أن تمت الاشغال وبرزت الخيام والخدام خارج البلد واجتمعت سائر رجاله
ولم يبق منهم أحد وزل نجم الدين البند قداري الى ظاهر البلد وركب وزار
الامام وسكان القرافة وأهل البقع المعظام ولم رجع من الزيارة طلع الديوان
وأخذ الاذن من السلطان وتودع منه ومن بني الاعمام وطلب السير في الاكام
ولم يزل سائرا بامكان وهو يقطع البراري والقفار حتى وصل إلى غزة وتلك
الاوطن فأمر بالنزول فنزلت المساكن والرجال في هذه البراري الخوال هذا
وقد وصلت الاخبار الى نائب غزة فنزل نائبها اليه وقبل الارض بين يديه وأمر
له بالعلقات والاقامات والهدايا وبعد أن أخذ الراحة اخرج الكتاب وقال
له خذ هذا الكتاب واجمع ما فيه جميعاً وارسله الى أرض الشام سرياً لاني في
أمري على عجل ثم انه أخذ منه الكتاب فرأى علامة السلطان فأجاب وقال
سمعا على الرأس لا على الاقدام فما نحن مطيعون لأمر السلطان ثم أن نجم الدين
تودع منه وسار طالبا أرض الشام حتى وصل اليها باهتمام وقد نصبت الوطاقات
فنزل وجلس في الصيوان ووصلت الاخبار الى باشت الشام بأن نجم الدين وصل
الى الشام وانه ماتى الا بسبب الخراج فأرسل اليه ولا تكثر اللجاج فلما سمع باشت

الشام ذلك الكلام توفاني في أمر مرسول السلطان وقال اذا كان غدا انزل اليه حتى اني اسم عليه ثم تركه ولم يعنى به فهذا ما كان من امره وأما ما كان من أمر نجم الدين البندقداري فانه جعل ينتظر من يأتي اليه من طرف باشت الشام مثل شيخ أو غلام فلم ير أجدا أتاه من الانام فتعجب من ذلك غاية العجب وقال والله ان هذا لا بد له من سبب وأي سبب ولكن سوف يظهر وبيان العاصي والطابع لأمر البطلان

قال الراوي فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فيينا هو جالس في بعض الايام في بيت أمه والماليك من حوله واذا بعلى الاقوامي أقبل الى ذلك المكان وأطلع الي أخته وغاب ساعة وزل وهو متغير الوجه منزعج فلما رآه الامير بيبرس على مثل ذلك الحالة صاح عليه فأجابه بالتلبية وأقبل عليه فأجلسه الي جانبه وثأني عليه حتى ذهب غيظه ونواكبه وقد أمر له بالشرابات وما يناسبه حتى أفاق ومما هو فيه راق ثم أقبل عليه وقال له مالي أراك دخلت الى الحرم وأنت في غاية من الانسراح وخرجت وأنت منزعج بالأتراح فأخبرني ما السبب في ذلك فقال له ياسيدي اعلم أن زوج خالتك قد أقبل من أرض مصر وهو يقال له نجم الدين البندقداري وقد بلغ الخبر بذلك الى باشت الشام فنادي له عيسى بالزينة في غد لاجل المقابلة واتنا نريد ان بقائه ندخل معه الى الشام وأنا على كل حال باش بك بشوية رجال اليمن وقد دخلت الى أختي وطلبت منها تبديلة تليق بمقامي اليها غدا بين أقراني وأقوامي فما بلغتني صرامي لاسيما وهو زوج أختي وأن التبديلة التي عندي لاتصلح الي مقابله ولا تليق أن أمشي بها بين رفقتي وأخاف أن تراني أهل الشام بعين النقص والهوان واني أوعدت أختي اني أعيد اليها التبديلة ولا آخذها ثاني مرة فلما سمعت مني ذلك الكلام قالت لي اعلم يا أختي اننا لم يكن لي تصرف في المال ولا في المكان واني لا أحكم من المال على جديد ولا أقدر على كسوة

لعبد من العبيد الا اذا كان ذلك باطلاع ولدى بيبرس وانه هو صاحب المال ولم يكن لى شيء عنده من النوال ولا أعطى درهما ولا دينارا الا اذا كان باطلاع ولدى بيبرس لانه هو الذى قد وضع يده على ٦٦ لى ونوالى ولم يكن لى عنده شيء فان كان مرادك شيئا فاذهب اليه وقم سؤلِكَ عليه فان أعطاك فبرأيه وان لم يعطك فبأمره فلما سمعت منها ذلك صعب على وكبر لدى ونزلت من عندها وأنا متغير فلما نظرت اليك وناديتنى اجبتك وسألتنى أخبرتك وهذه حكايى والسلام

قال الراوى فلما سمع الامير بيبرس كلامه تبسم ضاحكا وقال له ياسيدى لاتأخذ على خاطرك من أختك ابداً فها نحن وما ملكك ايدينا باسمك وبحكمك واعلم انهما قالت لك ذلك حتى انها علمت اننى لا أمنعك من كل ما تطلبه فاطلب ما شئت وسئل ماهويت فقال له وقد زال عنه بعض ما كان يجده سن الغيظ أطال الله بقاءك ولا كان من يشنك هذا وقد طيب خاطره الامير بيبرس وما زال معه فى حديث وموانسة الى أن أقبل الليل بالاعتكار وقد طلبت العين حظها من المنام وكانوا قد قضوا الفروض وصلوا على الرسول وأكلوا وشربوا ولدوا وطربوا واضطجعوا بعد ذلك فى فراش واحد الى أن ظهر الظلام وأيدا لا بتسام نهض الاثنان وصلوا فرضهم وما زالوا فى ذكر وتسبيح الى ان بزغت الشمس وأمر الامير باصلاح الحمام ففعلوا ذلك الجوار والغلمان ثم دخل الامير الى الغلمان وهومعه وأمر الجوار ان يقلموه بدلتة ويصلحوا شأنه فاجابوه بالسمع والطاعة هذا وقد دخل الامير بيبرس الى الصناديق وأخرج له بدلة مثمثة تليق به وهى من المعادن والفصوص على غاية قال وكانت هذه بدلة الامير حسن الاقواسى وهى التى قد أعدها للمواكب فاخذها بيبرس وسار بها الى قاعة الجلوس ووضعها على كرسى وسار ينتظره حتى يخرج من الحمام وما زال كذلك حتى خرج على قتلقيه الامير باحسن ملتقى وأجلسه الى جانبه وقدم له بدلة آبيه

وقال له ياسيدى البس فهذه مني اليك هبة كريم لايمود في عطاء
قال الراوى فاخذ على البدلة وافرغها عليه ثم تقلد بالسلاح والعدة واقبل
فيهما واخذ بيبرس ملء احضانه وقبله بين يديه وقال له اعلم ان اخي قد نظرت
نظرا وهو في محله ولقد أبصرت موضع النظر وأنها والله صاحبة رأي وتدير
ولقد صنعت المعروف مع أهله وأنتك أهل العطا والفخر والمقام العالي وما
كنت أظن أنك على مثل ذلك وقد بان لي منك الخير وانت صاحب الحسب
والنسب فقال له الامير بيبرس اعلم انى خادمك وغلارك والله تعالى يسعد ايامك
ويهلك اخصامك ثم ان الامير أمر الركبدار ان يحضر ركوبة مفتخرة ففعل
الركبدار ذلك وركب الامير بيبرس على جواده سرجويل وركب علي الى جانبه
وقد أخذ الامير بيبرس اللت العشرة ابطال الدمشقي في يده وسار الى جانب
علي حتى خرجوا من الابواب وكان الامير بيبرس صبيح الوجه حلو الشمايل
يحبه كل من رآه فلما نظرت أولاد الشام الى ذلك ورأوا زينة ماها من نظير
وموكب عظيم كبير وقد انقذ الموكب بالرجال وسار الامير علي وبيبرس في
أوساط الموكب فلما عاينوا ذلك أولاد الشام انقسموا فرقتين فرقة منهم وم
الفصحاء والعقلاء قالوا هذا من زكاة عقل الامير بيبرس وشكروه على فعاله
والباقون ساروا يتكلمون في حقهم ففهم من يقول هذا عشيقه ومنهم من يقول
كان بالامس بايت معه في الفراش ومنهم من يحلف بالطلاق وقد كثر القيل والقال
والكلام والحناق وقد عرف الامير بيبرس منهم ذلك لان البصير لا يخفى عليه
كل أمر خطير فعندها ترجل الامير عن جواده وسار الى جانب جواده علي وقد
أظهر اللت الذى معه وسار يلعب به قدام جواد الامير فهايته الناس (ياسادة)
ولما نظر علي الى ذلك الفعل لما هان عليه ان الامير يكون ماشيا وهو راكب
دون أن ترجل الآخر عن جواده ومشى الى جانب بيبرس فقال له لماذا يا أخى

ترجلت عن الجواد فقال له أنا لا أركب وأنت راجل فقال له أنت ما عليك منى
 فأركب ظهر جوادك لأنك قادم الى لقاء زوج أختك ولك رتبة وأنت طالع من
 أجلها وما أنا طالب غير الفرجة كاحد الناس وأعود الى حال سبيلي فلا بد من
 ركوبك فقال له الامير علي دعنا نسير سويا فقال له الامير بيبرس وحق رأسي
 الا نركب ولا تكون راجلا أبدا والا عدنا من ها هنا قال فاخذته منه الحياء
 وأراد الركوب واذا قد لتيهم مقدم يقال حسن منسك باش السيار وهو طالع
 الآخر الى المركب وولده ماشى الى جانبه عن يمينه فتأمل واذا به رأى علي بن
 الاقواسي وكان شريكه في رتبة الميمنة وبجانبه الامير بيبرس بن أخته وهو كانه
 البدر في تمامه فعندها تقدم حسن وصبح عليه وكان حسن هذا ابن رفيق بيبرس
 فناداه الى أين يا أخى فقال مرادي ان اتفرج على الطوابق فقال له يا أخى وانا
 معك والذى يسير مع المقدم علي الى لقاء الامير فقال بيبرس يا أخى لقد قلت
 الصواب ثم انه ترك جواده مع السائس وجعل يده في يده وساروا طالعين الفرجة
 وضمهم الامور منفردة وصاروا وقد تركوا رفقاهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء
 قال الراوى واما ما كان من أمر علي بن الاقواسي صاحب الميمنة فانه صار
 هو وحسن صاحب الميسرة الى ان اقبلوا الي اوئل المسكر فترجلوا عن خيولهم
 وعبروا بذلك الحشمة فقاموا لهم الرجال وتلقوهم أحسن استقبال ودخلوا الي
 عند الامير نجم الدين فترزع لهم وقد سلموا عليه وباس يده علي الاقواسي
 وانزل الى جهة اليمين وكذلك المقدم حسن منسك وعاد الى رتبته ذات اليسار
 هذا وقد ترحب بهم الامير وحيام وزاد في اكرامهم

(قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بياشت الشام قد اقبل في موكبه وكان
 موكب عظيم فيه قد اجتمعت رؤس الشام فلما اقبل ترجل فترجلت الرجال
 ودخل عيسى الناصر شرف الدين على نجم الدين البندقدارى وقبل يده فاجلسه
 الى جانبه فترحب به وأقبل من بعده نقيب الاشراف فهم اجلالا له وتلقاه

وأكرم مثواه ولما استقر به الجلوس أقبلت القضاة والشيخ النودي وعلماء
الشام بين يديه والجميع قد انحفل بهم المكان وتكامل بهم الصيوان وران الحلي
وصفت قلوب الاخوان

(قال الراوى) فتبادر عيسى الناصر الى الامير نجم الدين بالكلام وقال
له يا سيدى اعلم انك ما أتيت الى عندي الا وأنا محتاجا اليك ومقتلر الى
طلعتك وأنا واقع فى عرضك ونحت زمامك فقال نجم الدين وقد تعجب ولاي
شئ ذلك يا أخى قال له اعلم اننى قد أتى الى عندي ولد مكوس وطالعه
منحوس وهو يقتل القليل ويدع دمه يسيل ولا يبالي بكبير ولا بصغير ولقد
فعل فى هذه الارض فعلا خطيرا واسمه بيبرس ولكنه قاطع الطريق وخاين
الرفيق وفاسق زنديق وشارب الخمر العتيق وقاتل النفس من غير تحقيق وقاعل
الزنا وكل أمور عنا وأنا ما قدرت عليه ولا وصلت اليه فبالله عليك أن تقتله
وتريحنا من ظلمته لانك اذا امرت بقتله كانت لك من الله اللنة وربما دخلت
بسبب قتله الجنة اذا أنت كفيتنا شر هذه المحنة

(قال الدينارى) فقال نجم الدين يا عيسى انك الآن أنت المبدعى ولا بد
من المدعى أن يقيم الدليل حتى يثبت قوله مع أنى لم أتق بقولك ولا أصغ
لكلامك الا اذا شهدت الناس الطيبين وأهل الخيرات أو العلماء الثقات
يشهدون بين يدي بأن هذا بيبرس بن زنا وفعاله غير صالحه فاذا ثبتت عليه
هذه الاقوال وفيه كلما ذكرته من الكبائر فانا بعد ذلك اريحك من هذا
الكلب وأزيل ما عندك من السكر واريح اولاد الشام من شره وأرد كيده
فى نحره قال فلما نظر عيسى الى ذلك انقطرت مرارته ولم يجد له سؤال بعد
ذلك يزيد به كتفه غير انه قال يا وزير الزمان سوف ترى العجب وأنا أسأل
الله تعالى المحتجب يصدق شيبى عقدك وترى هذا السبب

(قال الراوى) واعجب ما فى هذه السيرة العجيبة من الامور المطربة

الغريبة أن عيسى لم يم دماه حتى أقبل خادمين فوزير نجم الدين البندقداري
وهما حاملين قتيل وما زالوا به حتى وضعوه الى بين يدي الامير نجم الدين وهم
يقولون ياوزير الزمان ما يحل من الله فقال لهم ما الخبر قالوا يا مولانا عوضك
الله خير في سايس باشا مقدم الركوبة المرند باس لاولاد الشيخ قال فلما سمع
الوزير نجم الدين ذلك اغتم غما شديدا ما عليه من مزيد وقال لهم ومن الذي
قتله وفي دماه جندله ومن الذي قد داس على طرفي وقتل صاحبي وانا موجود
لست بخفي قالوا له اعلم أن الذي قتله غلام صغير وهو دون أولاد الشام حقير
فقال لهم ومن اسمه قالوا له اسمه بيبرس من شبان الشام

قال الراوى فالتفت الامير نجم الدين وقال يا عيسى هكذا يصح قتل سايس
في بلدك فقال عيسى الحمد لله الذي لم يفضح شيتي عندك وانا من قبل ذلك
اعلمتك وقد اخبرتك ومحدث هذا الغلام أطلعتك ومن فعاله حفرتك
وأنت لم تصدقني حتى قتل سايسك وقد ظهر الحق وبان وذهب الباطل والبهتان
(قال الراوى) فمعد ذلك اشتد غضب الوزير نجم الدين وصاح فيمن
حواله من الرجال على بهذا الولد الزنا وتربية الام اغنا سوف اخذتمته بالثار
واجلى عن قمسي هذا العار فالآن ثبت عندي قول عيسى وسوف اجعل هذا
الغلام في تجارته خاسر فعند ذلك تجارت الخدام واقبلوا الى بيبرس وداروا
به من كل جانب ومكان غير انهم لم بقدروا ان يقتربوا اليه ولا لاحد منهم
جسارة ان يهجم عليه ومع ذلك لا يعنى بهم ولا يبالي باضعاف أمثالهم

(قال الراوى) وكان السبب في ذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع
غريب وهو ان الامير بيبرس لما اخذ على منسك وطلع به الى القرعة كما ذكرنا
وساروا يتفرجون على ارباب القنون كما وصفنا ولم يزالوا من مسكان الى مكان
حتى اقبلوا الى طوابق الحكم فلما طابت اولاد القنون الامير بيبرس استقبلوه
ومدحوه وشكروه وذلك لوجهين احدهما انهم يعلمونه انه قيم في الصراع

وبهلوان ومعالج كل انسان والثاني لانه صاحب كرم عليهم ويده مبسوطة
بالمعطيات اليهم هذا وقد فرشوا لهم واجلسوهم من داخل طابقيهم وجعلوا
يلعبون بين ايديهم فبينما هم كذلك اذ اقبل عليهم رجل فقال له المرند
بعشاد يده وكانوا هؤلاء يريدون الفرجه وهذا المرند باشة الركوبة الذي
لنجم الدين البندقدارى فلما وصلوا الى هذا المكان فتأمل المرند فرأى
بيبرس وعلى منسك وهما جالسين من داخل الطابق كأنهم البذور الطوالع فلما
عاب ذلك ذهب عقله وغاب لبه وتقدم الى الامير بيبرس وباس يده وكذلك
على وجلس الى جانبهم وجعل يحدثهم ويلاعبهم ثم انه قال لهم قوموا معي
الى مكاني حتى تصيروا اخواني واخذكم معي الى ارض مصر وان اقمتم عندي
كان لكم الفخر فقوموا معي الى الاصطبل حتى يشيع ذكركم بين اقوانكم
لاني انا كبير المتقدمين والعيناق بارض مصر عز اولار الشيخ سايس نجم
الدين البندقدارى فلما سمع منه بيبرس ذلك الكلام قال له يا ابي واى
شئ يفيدك منا اذا مضينا معك الى المسكان الذي تريده وما نحن سياسين ولا
خدام ولا غلمان فقال لهم المرند قم معي انت وزيفتك وانا اعلمك الكرام
ويبقى لكم عند الناس تذكار وأى تذكار وتكونون انتم الاثنين برسمي
ليلا ونهاراً ولا اخلي أحدا يدنو منكم لامن الكبار ولا من الصغار فقال
له بيبرس وقد عرف المعنى يا ابي امض هنا الى حال سبيلك فقال له المرند
اسمع قولي وطاوعني في فعلى وان لم تسر معي طوما اخذتك كرها فصاح عليه
بيبرس وقال له امض الى حال سبيلك بلا قلة ادب فلما سمع منه المرند ذلك
ضحك له وقال انا قليل الادب يا حبيبى ثم مديده اليه وقرصه في خده وأراد
أن يمسك لغده فغاب بيبرس عن الوجود وبقي حاضر في صفة مفقود ووجد
النت الدميتى وقال له انت ما ترجع عنى فقال له لست حايد ولا بد من
أخذك واجعلك اليلة في حضنى وأحظا بوصولك فعندها زاد عبه ورفع

بالت يده وضربه به على رأسه ضربة جبار عنيد أخرج مخه من اتقه فوقع
المبد على الارض قتيلا يخور في دمه ويضطرب في عنده وطلب بعد ذلك
اتباعه الذين كانوا خلفه ولوح اليهم بيده فتهاوت من بين يديه وقد جلس
بعد ذلك مكانه مكان الاسد الهدار ولم يأخذه من ذلك افتكار ولا اضرار
فهذا ما كان من امر بيبرس وما جرى من ثوبه

قال الراوى وأما ما كان من أمر على منسك فانه لما عين تلك الاحوال طلب
لنفسه الفرار والفلال وقد هرب في ساعته في الحال هذا وقد وصلت الاخبار
بما جرى للمرند من الاضرار فهربت الناس في الغبار وساروا لا يلون على أحد
وقد بالغوا في الاقوال وقالوا انه قد قتل بيبرس التما من الرجال فصار الرجل
يمجى ويتلف خلفه وما يصدق أن يصل الى الدار ويطلقها عليه بالاحجار
الكبار فهذا ما كان من أمر أهل الشام وأما ما كان من امر السياس فانهم اتوا
بتابوت ووضعوا المرند فيه وهو قتل وقد ساروا به الى نجم الدين وأخبروه بما
كان وكان قبل ذلك يتحدث معه عيسى في مثل هذا الشأن فثبت عنده الكلام
واخذ الغضب والحردان وقال على به فتراجعوا اليه الخدام كما ذكرنا وداروا
من حوله ولم يجسروا عليه كما وصفنا فهذا كان الاصل والسبب وسنرجع الى
كلامنا الاول باذن من لا يزول ولا يتحول

قال الراوى ولما اقبلت المسافر الى ذلك الطابق ورأوا الامير بيبرس جالس
كأنه الاسد وعلى ركبته اللت الدمشقي تراجعوا على اعقابهم الى بعيد ونادوه
يا امير عليك السمع والطاعة اجب الوزير نجم الدين البندقدارى فقال لهم
الامير بيبرس سيروا اتم قدامي وانا سائر على اثركم فقالوا له ولم لا تسير معنا
ايها الامير فقال لهم وقد وقعت له الهيبة في قلوبهم وحق رأسى ان لم تسيروا
قدامي والا ضربتكم بهذا اللت فلقت رؤوسكم ولا ابالى بكم ولا بامثالكم ولا
يسيدكم فعندما ساروا قدامه كأنه طاردهم محتسين منه وجدوا في سيرهم وهم

سائرین مسير الخوف والفرح ولم يصدقو بانهم وصلوا الى الصيوان فدخلوا على الامير نجم الدين فقالوا له ايها الامير هذا الغريم قد اقبل فقال لهم هل اتيتم به مكتف أم قبضتموه بغير كتاف فقالوا له لا والله ياسيدنا وانما دعيناك الى ذلك فاجاب رسرنا قدامه وسار هو خلفنا كأنه الراعي ونحن الاغنام وما زلنا كذلك حتى أتينا اليك وها هو الساعة بين يديك هذا وقد دخل الامير يبرس وأقبل على نجم الدين وسلم فرد عليه السلام فقال له هذا الذي قتل السابس وهو الآن بين يديك فاحكم فيه بما تريد فقال عيسى والله ياسيدي ما دواء الا القتل انك اذا قتلته رجحتنا منه ومن اذيته ومن شؤم طلعتة فعندنا قال الوزير البندقداري أنت الذي قتل السابس قال نعم قال له لماذا قال انه رجل قليل الادب وقد اساء الادب في حقّي وقد تكلم معي بما لا يليق وقد جرى منه كذا وكذا ثم اعاد عليه الحديث الذي جرى بينهما فعند ذلك قال له انك امرء مشهور بالقسوق والفساد والزنا والتمناد وأنت رجل ظالم وفي فمك غاشم ثم اذ الامير نجم الدين صاح فيمن حوله من الرجال دونكم وهذا القرنان فتبادروا اليه الرجال وتكاثرت عليه الشجعان واداروا اكتاف وقواسواعده والاطراف وقال بعد ذلك ارموه في نطقة الدم فرموه وعيسى يقول عجّلوا عليه والسياف ينتظر الاذن من الوزير نجم الدين البندقداري هذا وعيسى افرح الناس في قتل يبرس فيبينما السياف ينتظر الاذن من الامير وقد اذّن له أن يضرب رقبته فرفع السياف يده حتى بان سواد ابطه وعلا بالحسام الى الجو واراد ان ينزل به واذا بشخص اقبل من خلفه وقبض على الحسام فالتفت السياف اليه لينظر من فعل ذلك وقد بهتت الرجال وبهت عيسى الناصر وتأملوه واذا به علي بن الاقواسي فلما رآه السياف اهابه وتأخر عن الامير وقد اخذ على منه السياف وتقدم به الى الامير وقطع كتافه وفك العصاة من علي عينيّه وقبله وطيب خاطره وناول له وتقدم بعد ذلك الى زوج خالته وقد ازال الله بنفثة

الامير بيبرس من قلبه وسار بحبه من ساعة اعطاه التبديلة وكان بيبرس قبل ذلك بحبه ويحسن اليه ولما رآه على هذه الحالة أتى له بما بان عليه فتقدم الى زوج خالته وسلم عليه وقبل كتفه وباس يديه وقال علي في نفسه ازرع مع هذا جميل لعله يمحي البغضة من قلب امه وقد نظر نجم الدين الى الامير على وقال له ما تريد يا اخي فقال له يا وزير الزمان وسيد اهل مصر والشام اننى جئت اليك ناصحا وفي اموري لك ناجحا وذلك انك اذا قتلت هذا الغلام لم تقدر أن تطأ بقدمك أرض الشام ولا يهوى لك فيها طعامك ولا شراب ولا منام ويمود قتله عليك دون غيرك وبالا تام ولم تترك حبيباً فيها ولا في مصر ولا في سائر الانام فأى أرض تقلك وأى سماء تظلك بعد قتل هذا الغلام وأين تقصد من الاوطان فقال له نجم الدين وقد زاد غيظه عليه وبك تحذني بهذا الكلام وأنا لي في أرض الشام أهلاً واخواناً فاذا ضاقت علي الاقطار أقصد بيت أختي فاطمة الاقواسية صاحبة التذكار الذي أنا منزوج بأختها في تلك الامصار وما جئت ها هنا الا بسببها ومن أجلها فقال له انك لم تقدر تنظرها ولا تدخل عليها ولا تقابلها فقال له لاي شئ وأنا ما جئت الا لأعزيها في ولدها وأزبل عنها ما تجده من همها وغمها فقال له علي يا وزير الزمان اعلم انك الآن تريد أن تقتل ولدها بيدك وتمضى فيه بحكمك وبأمرك ونهيك وبعد ذلك تعزيها فيه فوالله لقد صدق المثل السائر حيث يقول ان من يقتل القتيل بمحربته ويمشى بعدها في جنازته ويمزى فيه أهله ورفقته ويبكى عليه ويرضى دمعته فقال له الوزير وما المعنى في هذا الكلام يا علي اطلمني على الحقيقة فلقد دخل قولك في قلبي وأخذ بمسامي ولي فقال له يا سيدي اعلم ان هذا هو الامير بيبرس بن أختي فاطمة الاقواسية بنت حسن الاقواسي قال له هذا ولد فاطمة قال نعم قال والله لقد أراد عيسى الناصر بذلك لوعى وطردى من مصر والشام ولكن الحمد لله على السلامة له واننى يطيب على قلبى أن أفديه بنفسى وبمالي وروحي ولكن

كيف العمل في باشت الشام وأولاد الشام وقد شهدوا عليه الجميع بكل فعل
شنيع وربما أرسل عيسى الى طائفة أولاد الشيخ واعلمهم بما جرى ويذكر لهم
ان ما أحداً أحياه غيري وعلى كل حال هم أولاد مصر وعياقبا ولا يقدر عليهم
أحد ولو قتلوني فيه فلا يبالون بمثل ذلك لا بالوزير ولا بالسلطان وبعد ذلك
فالامر اليك فقال علي الرأي عندي انك في ذلك اليوم تطلق الامير بيبرس
وتحمل هذه الحكومة الى غد والمنادي ينادي في سائر أولاد الشام ان الاجتماع
في المحل المنير والمكان الشهير والجامع الكبير جامع بني أمية غدا يوم الخميس
المبارك فاذا حضرت الناس عند صلاة الظهر توقفوا الاثنين وما بيبرس وعيسى
الناصر الى جانبه على يد الشرع العزيز وتشهد الناس على الاثنين وتقام الدعوة
على الفريقين فكل من ثبت عليه الحق الى صاحبه تنتقم منه على ما فعل في حق
الآخر بقدر ظلمته وأيضاً تستنطق أولاد الشام على ما فعل بيبرس مع المرند
وتأخذ المكاتبات بخطوط العلماء وما فعله الشرع لا أحداً يراجعه فلما سمع الامير
تجيم الدين ذلك قال لقد قلت الصواب والامر الذي لا يعاب ثم انه نهض قائماً
على الاقدام وأخذ بيبرس ملء الاحضان وأجلسه في أعز مكان وعيى قد ضاق
عليه المكان وكادت مرارته أن تذوب بما نزل عليه من البهتان وأمر الوزير
نجم الدين المنادي ينادي بما قدمنا ذكره فنادي النقيب وسمعه أولاد الشام
ثم أمر الوزير بدفن المرند فدفنوه وانقضت الاحكام

قال الراوي فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الوزير فانه
أقام في السراية الى ثاني الايام وركب في سائر أصحابه وسار طالب الجامع
وكان قد آن وقت الظهر فصلى به تقيب الاشراف وقد حضرت أهل العلوم
وأصحاب الانصاف وأيضاً حضر الامير بيبرس وعيسى ثم توافقوا الاثنين
علي يد قاضي الاسلام وقال القاضي ماذا تدعي يا عيسى فقال أدعي علي هذا
انه قد قتل خمسة وثلاثين من أولاد الشام وقتل كبيرهم سعيد الحبشي الركبدار

الذى هو من سلالة بلال مؤذن النبي المفضل وفعل فعل الاندال من شرب
الخمر ونكاح غير الحلال فقل شيخ الاسلام يا ساداتنا يا اشراف يا أهل
الجلود والانصاف هل ما يدعى به هذا عيسى من الاقوال صحيح أم غير صحيح
في الاقوال فعند ذلك تقدم نقيب الاشراف وقال ان هذا اسراف وهذا يبيس
ما علمنا عليه من سوء ولا فساد ولا تلاف وهو اشرف من عيسى عملاً وأوفى
ذكراً وأعظم قدراً وعملاً وما فعل ذلك عيسى معه الا من الغيرة والحسد
وحق الواحد الاحد الفرد الصمد ونحن لا نتحول عن الحق ولا نتكلم الا بالصدق
فلما شهد نقيب الاشراف صدقت عليه العلماء والتجار الكبار والعمد من أهل
ذلك الديار وعيسى قد صار قلبه على تقالي النار (يا سادة) فعند ذلك ظهرت
براهته وسأله الامير نجم الدين عن السيد وقصته فأعاد عليه كلما جرى من قصته
فقال عيسى ان بسببه ركب علينا العدو وكادنا ولولا وجودي أنا وهنا كري
لسكانت الاعداء نظشت بنا وأخذوا أرضنا وبلادنا وما منع العدو غيري أنا
فقالوا أولاد الشام هذا كلام ما خطر حق على لسانه ولا يسمعه عاقل فصيح
البيان ولقد ذكر عيسى زور وبهتان وما هو الا حجر أزرق في طريق المسلمين
وان يبيس هو الذى كسر العدو وأباده وأفنى جموعه وأجناده وردّه عن البلاد
ولولاه هلك عيسى ومملكة الشام وحروب الانام ولقد أخرجه الى خصمه
بمفرده وأعانه ربه على العدو وساعده وأخذ بيده وأهلك خصمه وضده وعاد
بالاموال واللفناهم والاتقال فعند ذلك خرص عيسى ولم يبد كلام ولا كان له
لسان بين هذه الجموع والاخوان

قال الراوى يا سادة يا أهل العرفان فلما سمع الامير نجم الدين ذلك البيان
وتحقق عزم الامير وما له من العز والشان وبأن له كذب عيسى والبهتان قال
لا اله الا الله الملك المنان ثم التفت الى عيسى وقال له يا خوان يا قرنان يا بن
الف قرنان تريد ان تقلدني بدم هذا الانسان وأخذ ذنبه في رقبتي يا أخس

الاقتران وتذكر فيه ما هو فيك من النقصان وتذمه بغير وجه البيان ثم صاح فيه فتأخر الى ورائه وقال شيأوه من على الشام وقد رضوا بذلك علماء الاسلام ثم أمر له بالحديد والاصفاد فخلوه وجعلوه عبدة للعباد وأمر أن يسجنوه في سجن ضيق ظلام ففعلوا به ما أمر الوزير الهمام وعاد ما دبره عليه وبال فسبحان من يظهر الحق ويخفي الضلال

قال الراوي فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الوزير نجم الدين فإنه خلق على الأمير بيبرس خلعة سنية وقبله بين عينيه بالكلية وركب وركبه معه وساروا قاصدين الى بيت السيدة فاطمة الاقواسية ولم يزالوا كذلك حتى وصلوا الى المكان وقد تسابقت الخدام وأعلموا السيدة بقدوم ولدها وزوج أختها نجم الدين فنزلت اليهما وسلت على زوج اختها وسلم هو أيضا عليها وعزاها في ولدها وجلس مع الأمير بيبرس وأعاد عليها ما جرى ثم باتوا في ارقى رتب العر والسعادة والمحبة ولا ارادة فهذا ما كان من أمر هؤلاء بإساده ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح وطلعت الشمس من الروابي والبطاح وسلت على زين النبيين وزين الملاح نهض نجم الدين وصلى ما عليه من القرض لب العالمين وكذلك الأمير بيبرس ونزلوا وساروا الى أن وصلوا الى ديوان الشام فجلس الوزير وتكامل الديوان بالرجال والاخوان والعلماء وأهل القرآن ولما تضاوى النهار أمر الوزير نجم الدين باحضار عيسى الناصر فاحضروه والى بين يدي الأمير قدموه وقد رد الله بفيه عليه وما أضمره من سربرته أقبل اليه هذا ولما وقعت عين الوزير عليه أمر به الى قطعة الدم فرموه وتقدموا اليه وعصبوه وانتدب السيف على راسه وقد انهدم اساسه ولا له حبيب مشفق من جلالة ولما شاهد ذلك زاد وسواسه وتصككت أسنانه واضراسه وصاح بملو صوته أنا في عرض ولدى الأمير بيبرس فعند ذلك نهض الأمير بيبرس وقبل يد الوزير وقال له ياسيدى أريد أن تقبل شفاعتى وتشفعنى

فيه والا اجعلني موضعه لا كون له القدا ولا تشمت به العدا وقد استجار بي
ووقع في عرضي وان من دون المرض أبدال المهج فلما سمع الوزير ذلك تبسم
ضاحكا وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم هذا يريد قتلك وهلاكك
وانت تريد سلامته واقالته من هلكته فقال له الامير بيبرس يا سيدي رحم
الله من قال هذه الايات

دعيتك اليبالي يا ابن آدم ظالما نفيروى من يعف عند اقتداره
يقول لك العقل الذي زين الفنى ان لم تكن تقدر عدوك داره
وخذه بارحاب وعز ورفعة وداه مادمت تحت اقتداره
ولا تأخذ البسائي بأول مرة فيبغيه ترديه في نكباته
وسلم أمورك للذي رفع السما وكون الا كوان في احكامه
ولا تمترض يوما على الورى فيسطر دك الرحمن عن ابوابه
قال الروى فلما سمع الملك نجم الدين ذلك علم أنه فصيح اللسان قوى الجنان
تبسم ضاحكا وقال يا ولدي قد شفعتك فيه وجعلته عتيق سيفك وطليق أمرك
وقد اجرتك لاجلك فمئنها نهض بيبرس واطلقه ومن غارات الموت أطلقه
وقال له اعرف هذا عندك يا عيسى فقال له عيسى انت سيدي وعزيزي وقد
ذهب غنى ذلك العناد وتبدل يا ولدي بالحب والوداد وقد جزاك الله عن ذلك
خير وكفاك شر كيدم والضير كما فعلت معي من الجليل ونجيتني من الموت
الويل هذا وقد حل كثافه وخلصه وقبل يده واخذه وقربه الى عند الوزير
نجم الدين وأخلع عليه وأمر له بالجلوس وقال له ادع لسيدي الامير بيبرس
لانه هو الذي خلصك وتشفع فيك فدعا له بالعرز والامان والقلب منه بخلاف
السان وتزعزع الامير نجم الدين واجلسه الى جانبه وطلب منه الخراج بعد
أن رضى عليه فأجاباه بالسمع والطاعة
قال الراوى فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من السيدة فاطمة فانها

دخلت عليها امرأة عجوز من النساء المترددين اليها لأجل الإحسان فلما قابلتها
قالت لها الحمد لله على سلامة ولدك الأمير بيبرس فقالت لها وقد تصبغت أنا
ولدي بحمد الله سالم فقالت القهرمانية أما بلغك يا سيدي ما جرى قالت قد
جرى من الوزير ما هو كذا وكذا وأخبرتها بالقصة من أولها إلى آخرها وكشفت
لها عن باطنها وظاهرها وكيف عملوا الحكومة بجامع بني أمية وكيف جرى
على عيسى وكأنها كانت حاضرة فعند ذلك خلعت عليها من ملابسها وأعطتها
ونزلت إلى الوزير وولدها وكانوا لم يخبروها بشيء من الضروريات ولاذكروا
لها هذه البليات غير أنهم قالوا لها قد تفرجنا على الموكب وأخبرها ولدها بكل
جميل ولم يذكر لها ما جرى عليه من الأمر الويل فلما ذكرت لها المعجزة ذلك
نزلت كما ذكرنا وحققت الأمر من زوج اختها كما وصفنا فأعاد عليها ذلك كله
فقالت وعزة الله لو جرا في ولدي شيء من ذلك لكنت شكوتك للملك
الصالح فقال لها الحمد لله على السلامة التامة وأملك أن عيسى صار عتيق سيف
ولذلك سمعت منه ذلك حدث الله تعالى وشكرته ثم تحدثت معها قدر ساعة
وصعدت إلى قصرها هذا وهم مقيمون في قاعة الجُلوس ينقشون الراس بالحظ
على صدورهم إلى أن تداولت عليها الأيام قليلة من بعض الليالي تقدم الأمير
بيبرس إلى الأمير نجم الدين وقال له يا سيدي هل ترى مصر مثل الشام أم هي
أحسن أم الشام أحسن فقال له يا ولدي اعلم أن مصر السعيدة ساكنها الامامين
وأولاد الامام الأكبر امام الثقلين وها الحسن ثم الحسين والسيدتين الكرمتين
وأهل بيت النبوة والسادات اهل المروءة وهي بلدة مسمودة ولم يكن مثلها
بلدة موجودة فنهيتا يا ولدي لمن سكنها وجعلها داره ويا سعد من قر فيها
قراره ولقد ترنمت فيها الفصحاء بالاشعار وعجزوا عن ذلك الفطناء وأهل
الآثار لا يسكنها الا كل لبيب ولا يقيم فيها الا ذو عقل وتأديب قد احتوت
أولادها الفصاحة والوجوه السامحة وبعثت عنهم الوقاحة ووالله يا ولدي ما

مثلها في البلاد ولم يكن كشكل أهلها في العباد ولقد قال بعضهم في مثل ذلك
المعنى هذه الايات

بلد حوت كل المصاني	وأهلها دائما في التهاني
وقد زادت دون البلاد فخاراً	وقدرا ورفعا واستكاني
وقد حوت المفاخر جما	وعن أوصافها بكل لساني
فيها رجال اشرفت انوارهم	كلام منسوب الى المعدناني
مثل الامام الشافعي امامنا	بحر المعلوم وكثر البياني
كذا الليث فيها حقيق	وكذا اتباعهم من الاخواني
وفيها سيدة النساء بجمعهم	وعنده الابطال والاقبال والشجواني
تزورهم الرجال حقا والنساء	والاطفال والعبيان والشباني
ينالون منهم كل ما املوا	ويعودوا بالعطايا مع الاحساني
زينب الست الكريمة حقا	ياسعد من وافقت له بالاماني
يسعد بالوفا دنيا وأخرى	ويفوز بالفوز والرضا والجناني
كذا تقيسة المعلوم فيا أماء	من مغيسة في العلم والقرآني
ثم أولاد بني عم نبيتنا	اهل الوفا والصفا والاماني
واولادهم واتباعهم وخدامهم	فلاتنس فضل المحبين بالامكاني
فيها رجال الله كامل جمعهم	فيها رجال الغيث بالانساني
لهم كرامات اعجزت كل الوري	لهم ايادي معدودة البرهاني
لهم الوفا لمن وافي لهم	لهم التضرع في رضا الاخواني
من لاذ والله باعتابهم	نجا من الاهداد والنيران
الهي سألتك تنفعا بهم	دنيا وأخرى يارحيم يارجن
بحق المصطفى سيد الوري	كريم العطا عظيم الشأن

(قال الراوي) فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام وما قاله من الشعر

والنظام وما أوصف لاهل مصر بالوفا والسباحة والمعرفة والملاحة تعلق قلبه بها وتغنى انه يطير اليها بأجنحة وزاد قلقه لاجل الاسياد وزاد جواه وهجر الرقاد وقبل يد الامير نجم الدين وقال يا سيدى سألتك بالله الامأأخذني معك الى هذه البلدة الموصوفة وأرى هذه المدينة المعروفة فان روى عليها صارت مليوفة فلا تتركني ياسيدى ها هنا وتسير وحدك وأنا من أجل ذلك فى اللهم. والعنا فقال له يا ولدى مرحبا بك وبحمل علينا أنسك وبركاتك ولعل أن يكون عبورك اليها خير من اقامتك ان شاء الله تعالى فان شئت ذلك فخير أمرك وأخلص من شغلك فاني متى جمعت الطراج توجهت الى السفر والابتهاج فقال له السمع والطاعة (ياسادة) ولما تقرر الحال بينهما على ذلك نهض الامير يبرس آخر النهار الى المنام وكذلك نجم الدين المهام هذا والامير لم يأخذه فرار ولا هدى له فى الاعتكار بل زاد قلقه وكثر جواه وما صدق بالصباح أن يصبح حتى صلى فرضه وقرأ ورده وطلع الى أمه وصبح عليها وشكى اليها همه وغمه وقال يا امي اعلمي أن لي عندك حاجة واروم منك قضاءها من غير لجة فقالت له يا ولدى وما تكون حاجتك بلغك الله امنيتك فقال لها مرادى أن أسافر مع روج خالتي نجم الدين البندقدارى الى أرض مصر واتفرح عليها وأفوز بزيارة السادات العظام وابلغ الرضى والامان وأعود بعد ذلك اليك فى مدة قليلة من الايام ان شاء الله تعالى الملك العلام وأقرأ لك الفوائج بكل مقام واذكر لك عند الستات والامام وهذه حاجتى والسلام فقالت له يا ولدى لا تذكر على لسانك هذا للكلام فما مضى الا بلدة مثل البلد ان فلا نحمل نفسك الاسى والهوان وأنت على كل حال غريب من هذا المكان فقال لها يا امي بحق المصطفى سيد انبيائه انى منذ سمعت بمحدث مصر زاد فى الحصر ونزل على القهر واعتراى الضرر وأذاب جسمى السهر واخذنى الفكر وما يقلبى عن ذلك جلد ولا صبر وانافى عرضك يا امي لا تمنعنى مما اتمناه فاني قد تعلقتم امالى وزاد وجدى وبلبالى

وقد اعطيتك محالي واخبرتكَ بسؤالى وانى اطلب منك بلوع امالى فذلك خير
مما ان لا اعلمك بارتحالى فيكون ذلك سبباً لتغير قلبك على ووبالى

(قال الراوي) فلما سمعت السيدة فاطمة ذلك زاد بها الغرام وقالت والله
يا ولدي انى عرفت من اغراك وفى الفراق أغواك وما شوقك الى ذلك الحال
واغراك على الاحمال الانجم الدين فلا كان الله له معين وانى ما كنت طالبة حضوره
الى عندي فا انى الا على غمى ونكدي فياليته ما وطأ ارض الشام وما اراد
الا اخذك وبمدك ويحرمنى طلمتك ويحرق قلبى بفرقتك ويتهى هو بك فى
الرواح وانا اقيم على البكاء والنواح فى المساء والصباح فلا تسمع هذا الكلام
ولا تعرض نفسك الى هذا المكان ولا تصدق ما قد ذكر لك من المقال الهذيان
فقال لها ياللى اعلمى انى متوجه من عندك ومنزلك الى اختك ومنزلك وما

اغيب عنك اكثر من ثلاثين يوماً فلا تكثري الملام ولا بد من ذلك والسلام
(قال الديناري) فلما تحققت السيدة فاطمة منه بكت بكاء شديداً ونهضت

قائمة من وقتها وساعتها وقد اقبلت الى الوزير نجم الدين وقالت له انت الذى
أغويت ابنى على السفر وطلبت بذلك لي الاذى والضرر فلا كانت ساعة جئتنى
فيها فلقد جئت فى طالع منحوس ولا بد أن تحصل بك البؤوس باذن الملك
القدوس فقال لها والله الذى لا اله غيره انه هو الذى قد سألتى عن مصير وحالها
فقلت له يا ولدي الله على زيارة الحسين ثم الامامين والاحسين ثم اطلعت على
جميع ما فيها من الامور والاحكام ثم قلت له بعد ذلك كله يا ولدى خليك
عند امك لثلاث تهر عليك ونحمل همك لان مالها ولا لها غيرك وهذه القصة
التي جرت بيننا

قال الراوى فلما سمعت السيدة فاطمة ذلك من كلامه ضربت بيد على يد
وقالت كلمة لا ينجل قائلها لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لكل أجل كتاب
ولكل شيء اسباب ووالله لقد تعلق امال ولدى بالسفر وما بقي بقبل فيه

وعظ من ذكر ثم انها بكت وانت واشتكت وجعلت تقول هذا لا يات صلاوا
على سيد السادات

آه يا ولدي لقد آبلقتني بحرقة الغرام ونكتة الابعاد
تريد تركني بلوعي وبلوني وتغني عظامي ثم تذيب فؤاد
وتهجرني من غير ذنت قد جنيتني وتعدمني سبيل القضل ولا ارشاد
فارجع يا ولدي عما رمته ودع يا ولدي عنك ذاك البلاد
ولا تسمع قول الوري وكلامهم فابريدون لك فضلا ولا أسعاد
فلا تركني أموت كميدة لاني أريد أن تكون داخلاني فؤاد
قال الراوي فلما فرغت السيدة فاطمة من كلامها ونظامها اجابها الامير
بيبرس على عروض شعرها يقول

ايا سيدة قد على شأنها وخصها ربي بكل الرشاد
وفاض عليك الاله فضلا وخصك في الدارين بالاسعاد
أنا خادم الاقدام حقا ومقبل الرأس بعد الاياد
وانسي واقع في العرض حقا متوسل اليك بزين العباد
طه رسول الله شفيع الوري زين العباد وسيد الاسياد
بحقه عليك ثم بفضله واتباعه والصحب والاجواد
انك لا تمنيني من رويحي ودعيني أنظر تلك البلاد
واتفرج ثم أعود اليك سريعا على رغم الاعداد
والنفس ذا لاثار حني وابلغ المفصود من أسيااد
فالله يبقني لي حياتك ويبدك بنيل المراد

قال الراوي فلما فرغ بيبرس من انشاده وما قاله من كلامه وشعره ونظامه
قالت له امه يا ولدي اذا كنت تريد الرواح فخذ جميع الملابس والسلاح وخذ

المال والنوال وما نحت يدي من الانتقال لعل أن ينفعك علي عمر الياالي والايام
 وكل ما تحصل عندي فانا أرسله اليك في كل عام على أقدر أصبر على غيابك
 يوما واحدا من الايام ولكن الامر في ذاك للملك العلام وأني أسأل رب الانام
 بحق النبي محمد عليه السلام والال والصحب الكرام كما أن نجم الدين أغراك
 علي الرواح وطلب بذلك ذلي وافتضاحي لا يرين الله وجهك الا وأنت بطل
 جججاج نمحكم على عساكر تملا البطاح وتكون أنت ساري المسكر الجميع
 الرفيغ منهم والوضيع فقال الله تعالى يتقبل دعاك ويردني عليك بخير تقر به
 عيناك هذا وقد التفتت الى نجم الدين وقالت له يا نجم الدين اعلم انك تريد
 أن تأخذ ولدي مني ومن نظري اليه تحرمني وبعمده لم تقر عيني ولكنه متوجه
 الى عندا ختك فاياك أن تنسه أو تقهره فأني أطلبه منك بين يدي خالقه فهو ساير
 بصحبتك وامواله معه مقرونة بخزنتك فتوصي به لاجل خاطري وتوصي عليه
 اخي غاية الوصيه وأوعى حرمة بالكلية ولا تقل قيمته ولا تعمل شيئا الا
 بمشورته فوعزة الله ان جاءني شاكي أو حصل له شيء يكون منه باكي
 فلا جازيك عليه أعظم الجزاء وقد سلمته اليك والوكيل في ذلك رب السماء
 فقال لها نجم الدين سوف يظهر لك ذلك وأنا أقول ان أختك اذا نظرتة فلم
 يبق عندها أحد مثله ولا بد أن تفرج به وتكرمه وتمززه وتعظمه ولا تهينه
 ولا تقهره وأنت فلا تخافي عليه ما دمت أنا في الحياة وماله على الاكل ما يمتناه
 ويرضاه فلا تفكري في ذلك أبدا فقالت أنا رضيت بسفرة والله يصبرني على
 بعمده ولا يجرمني طلعة وجهه ثم قالت لولدها يا ولدي لا تهين نفسك ولا تخاطر
 في الامور بروحك وان قصرت خالتك في خدمتها فتركها وسر الى عندي ولا
 تجوجني لاحد من بعدك واني أقول فمالك راحة من بعدى فقال لها الامير
 سمعا وطاعة ثم ان يبرس قبل يديها ورأسها وقال لها يا أمي أريد منك الدعاء
 والرضا فدعت له وتقبل الله دعاها ثم قالت يا ولدي لا تنساني من المكاتبات

فان الفراق منيب والاجتماع نصيب ثم انها بكت واشتكت وأُنشدت تقول
 متى الايام تسمح بالتلاق ونجمع شملنا بعد الفراق
 وتخبرنا الليال باجتماع ويزول الفراق والود باق
 اظن النيل لو يجرى كدمي لما خلا على الدنيا شراقي
 يروى الحجاز وأرض مصر ثم يسير الى نحو العراق
 ولو أن النابعات مثل عيوني ما احتاجت الناس لكثير السواني
 فيا ولدي لقد أضناني البعاد وأحرق مهجتي ألم الفراق
 فيا ولدي لقد أضناني فراقك يا ولدي وآلم قلبي ذا الشقاق
 وهذا كله لاجلك يا حبيبي لقد أبليتني بالاحترق
 سألت الله يجمعنا قريباً وأنظر الى طلعتك بالاحداق

قال الراوى ولما فرغت السيدة من انشادها نهضت قائمة على الاقدام وقد
 جمعت الاموال التي عندها والاسلحة وجمعتهم في الصناديق وجمعت سائر
 المفاتيح وجعلتهم في صندوق صغير وأعطته اياه بعد ان سكنت قفله وأعطته
 المفتاح ثم أخرجت له ما وافقه وقالت له يا ولدي هاهي الملابس والمال والسلاح
 والنوال وجميع ما تحتاج اليه وهذا مفتاح الصندوق ومن داخله المفاتيح قال
 فشكرها الامير بيبرس على فعالها

قال الراوى فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر عيسى شرف
 الدين فانه حضرت اليه الاموال من أرض حلب وغزه وقطية وحمص وحماه
 وجميع البلاد احضروا الخراج الى ما بين يديه وقد أظلموه الى الديوان ثم
 أخبروه بحضور المال فلما سمع عيسى بذلك أخرج الخراج الذي على الشام
 وأرسل الرسل أعلموا بذلك الامير نجم الدين البندقدارى فنهض من مساعته
 وركب شهبته وسار في غزوته ولم يزل سائرا الى ان وصل الى الديوان فتلقاه
 عيسى ونهض له على الاقدام ثم أجلسه مكانه وقبل الارض بين يديه ولما استقر

به الجلوس أحضر له الأموال وسلمها نجم الدين وأمر بحملها الى بيت السيدة
 فاطمة الأقواسية غسلت في عاجل الحال على الأكاديش والبقال وساروا بها
 وضموها الى مال الأمير بيبرس وقد وضع الأمير بيبرس يده عليها ثم أعطاهم
 وصلها فساروا به الى عيسى وأعلموه بذلك فكادت مرارته أن تنفطر لما نزل
 عليه من تسليم الأمير المال والنوال واعطاء لمبى شرف الدين وبعد أن أخذ
 مجلسه نزل في موكب عظيم وروث جسيم ولم يزل سائرا الى أن أقبل الى بيت
 السيدة فاطمة فسلم عليها وقال لها ان شاء الله يكون المسير غدا ان شاء الملك
 التقدير ثم التفت الى الأمير وقال له جهز نفسك واقض حوائجك ولا يمورك
 عائق عن سفرك فقال السمع والطاعة لله ولك واعلم أنني قد طببت خاطرأى
 وأنا متجهز الى هذا الامر من ساعتي ووقتي وانها قد فرحت لسفري ورواحي
 وقد عولت على المسير معك في غد ان شاء الله تعالى (ياسادة) ومن تلك الساعة
 أحضر الأمير بيبرس البقال والجسمال والاحمال ثم حمل كل ما في المكان من
 الأموال والامتعة والنوال ثم أخرج الصيوان الذي اكتسبه من سرجويل
 وأمر ان يطلعوه الى ظاهر البلد وقال لهم لا تنصبوه بل انصبوا خلفه فاجابوه
 بالسمع والطاعة ثم انه اخرج جميع ما كان عنده من الدخائر والأموال
 والصناديق التي عليها الأقفال ثم رتب الغلمان والخدام والسقاين وفرض لهم
 الجوامك والماهيمات وتسارعت اليه الخدام من الفراشين والسقاين فانعم عليهم
 وأكرمهم وأعطاهم وأوهبهم وقال لهم جهزوا احوالكم اني السفر فقالوا سمعنا
 وطاعة ثم انهم بعد ذلك أخذوا النواصيل والتخاليع وتسلموا الجسمال والبقال
 والأكاديش والصناديق وجعلوا يجهزون الحال الى ثلاثة ايام واربع ليال هذا
 ولم يبق لبيبرس شيء في ارض الشام وهو في كل يوم يودع امره ويطلب منها الدعاء
 قال الراوى فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من امر باشة الشام
 فانه اخبروه الجواسيس بان الأمير بيبرس سائر من ارض الشام وطالب مصر

وذلك الاكام وان اكابر الشام قد اغتمو لتلك الاحكام ونزلت عليهم لاجل
 رحلته الاسقام فلما سمع عيسى ذلك الكلام فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد
 وقال الحمد لله الذي عفا ولا اورانا وجهه ولا بد ان اعمل زينة بالشام تضرب
 بها الامثال في كل الاكام واصطنع مولد عظيم لميد الانام واجعله عشرة ايام
 ولا بد لي ان اعمل شئك ومهرجان (يا سادة) ولما كان يوم المسير تزفت البلد
 وركبت اصحاب الرتب والعقد الموكب وتودع الوزير من السيدة فاطمة ونهض
 الامير بيبرس وقبل رأسها ويديها وسألها الدعاء فعند ذلك قامت على اقدامها
 ودخلت الى قصرها وعادت بعلبة مريوطة مبرشة وقالت يا نجم الدين خذ هذه
 الامانة فهي هدية مني الى اخي فاذا وصلت الى هناك بالسلامة فافتح تلك العلبة
 بينك وبين اخي وولدي وتودعت بعد ذلك منه وقبلت ولدها بين عينيها
 وقالت له الله يحسن شأنك ويردك على بالغير والسلامة ثم انعقد الموكب وركب
 الامير بيبرس عن يمين الوزير نجم الدين وعيسى شرف الدين عن يساره هذا
 واولاد الشام قد انكبت على الامير بيبرس تودعه الى ان سار خارج الشام قدر
 فرسخين وزلوا في الخيام التي ضربت لهم واقاموا هناك مدة ثلاثة ايام وامر
 الوزير بالرجيل في اليوم الرابع وقد ركب الامير بيبرس وعاد الى بيت امه
 وودعها وقد تودعت ايضا هي منه وتودع من ابن الخياط وكذلك ابوه وعلى
 بن الاقواسى وزوجته بنت الحصاني واخذ بخاطر الشلبين فخر الدين حبظلم
 بظاظة ولم يتكبر على احد منهما ثم اوهب المطال الفقراء والمساكين وقبل الاتك
 الذي لتقيب الاشراف وطلب منه الدعاء واخذ بخاطر القاضي محمد العفيفي
 واهل الشام الخواص منهم والموام ولم يبق احد الا ودعاه بالرفعة وعلو المقام
 وسار بالاتفاق والناس يضجون له بالدعاء للملك الخلاق علي سائر الاطلاق
 وهو يؤمن علي دعائهم ويشكرهم على فعالهم وهو يمدحهم بالاشعار بهذه الايات
 يا سادتي زادكم رب السما شرفا فهو الكريم الباقي على الدوام

وأعطاكم الله ربي كل فضل واشفاكم من كل السقام
وسقاكم الاله كؤوس الهنا وابعد عنكم كيد الشمام
وانتم أهل السباح مع الوفا وانتم السادات ونسل الكرام
وانتم أهل الاماجد كلها على ممر الليالي والايام
سلامى عليكم في كل وقت ماغرد القمرى وناح الحمام
(قال الراوى) ثم انهم طلبوا المسير وتوكلوا على اللطيف الخبير ولم
يزالوا مجددين المسير والجد والتسمير مدة عشرة ايام ولما كانت الليلة الحادية
عشر نزلوا عند الغروب لاجل الراحة ونامت كل عين يقظانة وقد ازهرت
النجوم واطلع على عباده الحى القيوم وطلبت العين حظها من المنام فنام الامير
نجم الدين وتوكل على رب العالمين وقد دارت الغلمان حول المضارب وقبـ
دهور الليل وروح القمر واسود الخافقين هذا والامير يبرس لم يأخذه منام
ولا هوى جفنه رقاد ثم انه نهض على الاقدام وسار يمشى حول الخيام ويحرس
الرجال بنفسه فيينا هو سائر اذ سمع اثنين يقظانين وهما مع بعضهم جالسين
وهما يتحدثان مع بعضهم البعض ويتكلمون في الطرقات والارض وكانوا
هؤلاء الاثنين من القاطرجية فقال احدهما للآخر يا أخى انظر الى كلام الوزير
نجم الدين البندقدارى معنا وما قد اوصانا عليه من الاقوال والكلام
وانه والله على خاطرى عظيم من اجل ذلك الشأن فقال له الآخر اعلم يا أخى
ان كلامه هذا خوف على الامير يبرس لئلا يضجر من الطريق وربما ان
يعرفه معيق فلذلك طلب الطريق المسير وترك البر السالك اليسير ولولا
ذلك ما أمرنا بما امرنا به ولا خرج علينا أن نظهر امره على احد

(قال الراوى) وكان الوزير نجم الدين قد جمعهم اليه وقال لهم اتركوا
الطريق المستقيم وارجوا على طريق آخر ولو كان غير مستقيم فقالوا له ولما
ذلك يا سيدى قال لهم لان الامر حسيم والخطب عظيم وانتم لا تعرفون

ما قد خطر ببالى ولا أحد منكم يظهره الى الامير ييوس فقال سمعاً وطاعة
ثم انهم عادوا وهم متعجبون من ذلك ولم يطموا سببه حتى جاء الليل
وجملوا هؤلاء الاثنين يتحدثون في شأن ذلك كما ذكرنا وقد سمعهم الامير
كما وصفنا فقال احدمم للاخرياً أخى اعلم أن الطريق الذي أمر بالسفر عليها
بعيدة أربعة أيام لباليها وما ادري لاي شيء ذلك فقال له رفيقه يا أخى
لعل ان يكون حله على ذلك الخوف من الاعداء فدعنا نتحدث في غير هذا
الحديث فلربما أن احد يسمنا

(قال الدينارى) فما استتم كلامه الا والامير قدماه وهو يقول السلام
عليكم يا اخواني فلما رأوه قاموا اليه وتلقوه واجلسوه ووقفوا في خدمته
وحياه فلما استقر به الجلوس قال لهم يا وجوه العرب اعلوني بمحدثكم الذي
كنتم تتحدثون فيه (فقال) احدمم ياسيدنا اعلم أن اخى يقول لي اذا كان
الوزير يسير بنا في الليل حتى تقطع المراحل وتقيم النهار لكان أصوب لنا
من سير النهار وحر الجبال فقلت له يا اخى ومن يقدر يقول له مثل ذلك
الكلام فدعنا الساعة من ذلك وهذا حديثنا الذي كنا فيه فقال الامير وقد
تبسم لا تحافوا ولا تفزعوا واعلموا أنني لا أبدى ذلك على انى سمعت
ما انتم عليه وما قيل لكم وما أنتم معمولين عليه وقد ذكرتم ما هو كذلك
وكذا قال فلما سمعوا كلام الامير بهتوا ولم يتكلموا فقال لهم اخبروني عن
الطرقات لاني ما اعرفها وعلوني عليها وها انا اقسم بالله تعالى انى لا اذكر
للوزير شيئاً من ذلك أبداً ولكم اسوة بى ولا يجرى عليكم شيء ابداً مادمت
أنا في قيد الحياة فلما عاينوا مته ذلك قالوا له أيها الامير اعلم ان الطرقات
اثنتان فالطريقة القريبة الهينة المعجيبه هي التي ذات اليمن والمصرة ذات
اليسار قال فتمعجب الامير وقال لهم ولاى شيء خرج عليكم ومعكم الامير
نجم الدين عن المسير وعن ذلك الطريق الحميدة وامركم بالمسير في المسالك

الصعبة الشديدة فقال له أحدهم اعلم يا مولاي ان لذلك سبب عجيب وأمر مطرب بديع غريب واني أخاف أن أذكر لك طرفاً منه فيكبر عليك الامر فيعقبني منك الضرر فقال له لك مني الزمام فقال له اعلم أن بين أيدينا بلد يقال لها العريش وبها ملك نصراني يقال له فرنجيسل وهو فارس نبيل جبار عنيد ثقيل تضرب به الامايل وله قدر معلوم على كل من جاوز هذا الرسوم فيأخذ منه الغفر لكل من مر على قلعه من البدوان والحضر وان لم يسلم اليه الغفر فينهب كل ما معهم ويورثهم النكال والضرر واني اقول أن الوزير ما خاف من المسير الا لاجل ذلك الامر المنكر وقد امرنا بالابعاد والسفر على غير هذا الطريق والبلاد ولا يتعرض مثل هذا الكلب الفواد

قال الديناري فلما سمع الامير بيرس من المتكلم ذلك الكلام قال لهم اعملوا اني اجهل الطريق وانتم تعرفونها على التحقيق ولكن أوصيكم وصية فلا تنفلون عنها بالكلية وذلك أنكم أتيتم الى ذلك المضيق وزلتم بهذا المفرق الذي يوصل الى الطريق القريب فأخبروني به من غير تكذيب وسوف ينجيئنا الملك القريب المجيب وترون من فعلالي ان شاء الله كل فعل مجيب وان لم تفعلوا ذلك عاقبتكم وعلى المخالفة بليتكم فقالوا له ياسيدي اعلم أن الطريق التي على اليمين هي أحسن الطرقات وأطيبها وأجلبها وأقربها والمسيرة هي التي على جهة اليسار وقد عرفناك بما عندنا من الإخبار نغذ الآن لنفسك ودبر أمرك برأيك فقال لهم بقي من الامر شيء آخر وذلك انكم تقفون على رأس الطريقين وتشيرون الى بأي اشارة كانت فانا أعرف ذلك فقالوا له ممما وطاعة ثم انه أخلع عليهم وأعطاهم المال وقال لهم أريد شيئاً واحداً وذلك أنكم تجمعون من هذا الوادي شيئاً من الاحجار الصلبة والظلط الازرق والصوان الاصم لاني أريد ان اصنع منه شيئاً ينفعني في مصر فصدقوا قوله وساروا الى

ماندبهم اليه وجمعوا ذلك وأتوه في عاجل الحال بما طلب فمئنها أخذه وجعله في صندوق كبير وأغلقه وأقل عليه بالافقال الواقعة وتركه عنده وصرفهم الى أشغالهم

قال الراوى فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الوزير نجم الدين فإنه بعد أن اخذ الراحة امر بالمسير فساروا وسار الامير الى جانب الوزير ولم يزالوا يجدون في المسير الى ان وصلوا الى مفرق الطريق وقد التفتوا الى الامير باعينهم وأرادوا أن يرجوا الى جهة اليسار واذا بالامير صاح عليهم وهو كانه الصقر اذا كان ناظر الى الحمام وقال لهم ويلكم هذا الطريق مستقيم قد امكم فلائى شئ تركوها وتتبعوا غيرها وتسلكوها مع انها والله طيبة فقالوا له يا امير اعلم أن هذه الطريق الذي نحن عليها فانها ما توصلنا الى ما نريد وما الطريق الامن هاهنا فقال لهم بحق رأسى عليكم هذا القول صحيح أم لا فقالوا له والله ياسيدنا لقد اقسمت علينا وما نقدر اننا نكذب بعد ذلك ولكن ان الطريقين يوصلون الى أرض مصر والى نحن فيها أقرب من التى عرجنا اليها ولكن الوزير هو الذى أمرنا بذلك وقال لا تسيرا الا من هاهنا فقال لهم الامير سيرا على ما أنتم عليه من الطريق وانا آخذ لكم الاذن من الوزير من غير تعويق فقال له الوزير وقد احتار فى أمره أسمع يا ولدي ان هذه الطريق قريبة للسالك لكنها صعبة المسالك لان فى طريقنا ملك من ملوك الافرنج يقال له فرنجيل لكنه جبار عنيد وشیطان مريد يأخذ الفخر ويقتل كل من عبر بفخر الفخر وينهب أموال المسلمين ولا يبالي من أمير المؤمنين ولا يخشى سطوة رب العالمين فقال له الامير ياسيدي اذا كان لكم عادة بالفخر فلا مانع عن ذلك فقالوا له نحن ان جزنا عليه طلب الفخر وان لم نوصله اليه خرج علينا بمن عنده فى القلعة وينهب أموالنا ونحن لا لنا عادة بالفخر فقال له الامير يا ولدي لا تحملهم على قلبك ولا يضيق لذلك صدرك فانا لاجل الراحة

والطرق الصالحة أعطهم الغفر من مالى ونوالى وأدفع لهم كل ما يطلبون منكم
ولا ادعهم يقربون اليكم ولا يدنوا منكم وذلك فيه راحة لى ولكم فقال له
ياولدى اذا كان الامر على ما ذكرت والحال على ما وصفت فنحن نسير عليه
وأنت تدفع له من مالك ما يقول عليه على اننى يا ولدى ما يمكننى ان أدفع
ولادهم واحد وحق الملك الواحد لان الذى مئى أموال السلطنة ولا يكون
فيها تصرفات لا لغيرى ولا لى انا فقال له ما عليك من ذلك نجاك الله من شر
المهالك (ياساده) ولما تقرر الحال بينهما على ذلك ساروا على العريش والمطنين
وهو يش ولما تقربوا من قلعه الملك اقرنجيل التفت الامير الى الوزير وقال له
ياوزير انجو أنت بنفسك وعيلتك ومال السلطان ومالى ومالك والجميع يكون
معك وسر بالجميع قدامى وأنا خلقتك وسائر من بعدك على أثرك وانا مئى هذا
الصندوق المحمل على هذا البغل الكبير فاذا تعرضوا اليك فقل لهم ان صاحب
القلعه هو فى أعقابنا ومعه الاموال وقد اعتدلكم كل ما يلزم له الحال فحاسبوه
على الغفر ولا تلقوا بينكم كدر ولا ضرر . ثم سبروا انتم وانا أحسابهم وبالفقر
أخلصهم وأسير معكم قال فظن الوزير ان ذلك منه حقاً وما قاله من الاقوال
صدقا فسار كما أمره وقد أخذ الجميع ولم يعلم بما أضمره وما اقتضاه مكره
(ياساده) وتأخر الامير يبيرس الى وراء الركب وصحبته عشرة من الغلمان
والصندوق قدامه

قال الراوى فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من أمر العريش فانه
كان له ولد يسمى قطه وكان يحبه محبة عظيمة وكان هذا قطه كثير الفساد والزنا
واللواط والحبث والسكر وكان كل يوم يطلب الاموال من أبيه فقال له يا فليون
انا اعطيتك الغفر الذى يأتى الينا من المسافرين فهو يكفيك على ما تريد من
الامور الكبار فقال له ولده وقد فرح بذلك فرحا شديداً المسيح ينصرك
وعلى اعدائك يظفرك فقال له أبوه خذ بطارقتك وسر بهم الى المضيق وكل من

مر عليك في الطريق حاسبه وخذ كل ذلك اليك فقال قطه الآن مابقي عليك ملام ثم أخذ بطارقتك وأمرهم أن يلقوا على الطرقات فوققوا على الطرقات وجعلوا بها يفعلون تلك الامور المنكرات الى ان شاع ذكرهم في الافاق وقد بلغ الخبر الى الامير نجم الدين بذلك الاتفاق فلذلك السبب امر ان يعرجوا على الطريق فنعمه من ذلك الامير بيبرس كما ذكرنا فبينما هم كذلك اذا أقبل عليهم نجم الدين بمال السلطان وماله ومال الامير بيبرس معه فلما نظروا البطارقة نجم الدين بمال السلطان وماله ومال الامير بيبرس معه فلما نظروه البطارقة أوقفوه عن المسير واعلموا به كبيرهم قطه بمسير ذلك الامير فلما سمع كلامهم ضحكوا واستبشروا ونهض قائما على الاقدام وصاح على رجاله فانابوا الجواد فركب وسار وقد اندفع عليهم وصاح يا مسلمين حاسبونا على الفجر الذي عليكم وعلى تجارتكم وعلى مامعكم من الاموال فقال له نجم الدين السمع والطاعة ولكن اعلم ان هذا المال ما هو لنا ولا لنا فيه ولا درهم واحد ولا دينار وما نحن الا رجال صاحب الاموال وهذه الاثقال والاحمال وان صاحبه سيأتي من خلفنا وعلى اثرنا ومعه كل ما نحتاجون اليه من مال ونوال فاذا أقبل اليكم فحاسبوه فمعه الاموال نخذوا ما تريدونه منه وتركوه ونحن رجاله كلنا ولنا عليه الاجال والمأهيه في كل هلال

(قال الراوي) فلما سمع اللعين ذلك قال لهم سيروا تحت أمان المسيح وأماي فعندها ساروا كما أمرهم وأما الكفار فصاروا ينتظرون قدوم الأمير قدر ساعة زمانية واذا به قد أقبل ومعه الصندوق والمال اليك من حوله وهو سائر علي مهل فلما قارب الانام صاحوا عليه يا غندار هات الفجر الذي عليك فقال لهم هل مروا عليكم أتباعي بمالي ومتاعى فقالوا له قد ساروا علينا وعبروا علينا فقال لهم من الذي يأخذ الفجر مني وعليه يحاسبني فقال له ابن اليب أنا الذي أخذه فقال له من أنت فقال أنا قطه بن الملك فرنجيل ملك العرش فقال له

الامير مرحبا بك ياسيدي ولكن اسمع كلامي واعلم اني في أمري على سبيل المعجزة وليس عندي مهلة حتى اني أحاسبك وأكاتبك ولكن أنت عندي صاحب دين وعلم ويقين فخذ هذا الصندوق وادخل به الى بلدك فثلك يؤمن على أكثر منه فاذا فتحتة فخذ الغفر منه وابقى الباقي عندك على سبيل الوديعة حتى أمر عليك ثاني دور فاعطيك الغفر الثاني وآخذ منك الباقي وأحاسبك كما تحب وتريد فان فضل لي شيء أخذته وان جاء علي شيء دفعته ولكن وحق المسيح الطيب المليح انك لا تجونني في المال بحق دينك وما تعتقده في يقينك لا تخلي أحد يقربه غيرك ماسلمته له أبدا (قال الديناري) فعند ذلك قال له السمع والطاعة وفرح الغلام تلك الساعة وقد انطلا عليه لحال وما قال له الامير من الاقوال وقد تناول الصندوق وهو في جنان وجذبة فاجاءوا به لشدة ثقله فأمر باحضار الكديش وجعلوه عليه وأخذوه وساروا وقد قال في نفسه وحق المسيح لم أدفع لصاحبه ولا درهم واحد واذا رجع في الدور الثاني ولم يدفع الغفر لأمر البطارقة أن ينيبوا ماله ونواله وما معه هذا وقد ساروا به وهم فرحين بأخذ المال (ياساده) وأما الامير فانه قد تبطن في البراري والغفار فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر اللعين قطه فانه سار بالصندوق وهو فرحان حتى وصل الى البلاد وطلع الى الديوان فلما رآه أبوه فرح به وقال له مرحبا أنت جئت بالغفر قال له نعم وحق للمسيح أتيت بغفر مليح ولكن في طول عمرك ما جاءك غفر مثله لانه صندوق كامل ملثان من الاموال فقال له لا يا ولدي وحق المسيح ما رأيت مثل ذلك أبدا وما جاء هذا الا بسعادتك فمن ذا الذي أعطاك هذا الصندوق قال له غلام خواجه له قافلة سائر بها في القلا وقال لي خذ منه الغفر واجعل الباقي لي عندك على سبيل الامانة الي أن اعود اليك مرة اخرى وقد سألته عن المفتاح فقال هو في المركب الذي قد سار قدامي وقد نسيته ولكن انا مرادي أن اغالطه وأقول له اذا

أقبل ثأى مرة انه لافضل لك عندى دراهم وربعا يعطيني صندوق آخر ثم
أجعل هذه مثل ذلك فى كل مرة وان امتنع قتلته وأخذ ما معه فقال له
أبوه الملك افرنجيل يا ولدى لقد قلت الصواب ولكن مرادنا ان تفتحوا
الصندوق الآن وتروا ما فيه من الاموال لاني اخاف أن يكون فيه شيء
غير المال فقال له قمطة اعلم ان صاحبه اقسم على أن لا أحد يمس فيه يده
غيري وقد حلفنى بدينى وحلفت على ذلك فقال له أبوه وأين المفتاح قال
له اعلم يا أبى انى سألته عنه فذكر انه قد نساء وانا من فرحتى بكثرة المال
ما شددت عنه فقال الملك على بالتقال فتجارت اليه الرجال واتوا به من
مكانه واوقفوه بين يدى الملك افرنجيل فقال له الملك أريد ان تفتح لنا هذا
الصندوق بصناعتك ومعرفتك وفراستك من غير ان تكسر فيه لسان لاني
اريد ان اقله مثل ما كان فقال له البطريق سمعا وطاعة ثم لعب فيه بالعدد
حتى تزحزح لسانه من مكانه وارتفعت السقاقيط وانفتح القفل فنهض الملك
ورفع النطاء وتأمل واذا بالصندوق ملئان من وعر الواد والجبال من خلط
وصوان وحجر فلما عاين البب ذلك ضحك من شدة النيط وشجر ونخر
وكفر وتجبر وكادت مرارته ان تنفطر فقال له ولده قمطة لاي شيء تضحك
وما يكون النخر فقال له يا ولدى لقد سررتى هذا الذهب الاحمر لانه كنوز
ذهب مجوهر ولا رأيت مثله بطول العمر فتأمل يا ولدى فتأمل واذا به احجار
مجمعة من الاكام فقامت عليه القيامة وعاد على نفسه بالندامة والملامة وقد
احمرت عيناه وكادت روحه ان تخرج من جنبيه وقال وحق المسيح والدين
المسيح لا بد ان اركب خلفه واقطع رأسه وافنى جيشه واصرم عمره وأخذ
امواله ذخيرة ولا أعود الا برأسه مثل ما ضحك على ولعب بعقلى واعطانى
هذا الصندوق المنحوس فلا جعلن ايامه عليه يؤمن ثم ان الملعون قمطة ركب

من وقته وساعته في خمسمائة بطريق من جده وعشيرته خلف الامير بيبرس
مجدون في السير على اثره

(قال الراوي) فهذا ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من امر الامير
بيبرس فانه سار لما جاوز القلعة وقد قال لمن معه اني اظن ان القوم يتبعون
اثرنا ولا يخفى عليهم حالنا وانا كفؤ للجميع الرفيع منهم والوضيع وأريد
منكم الان ان تحملوا ظهري من العدا وتأخذوا من الان اهبتكم الي لقاء
اعاديكم فقالوا الغلمان وكانوا عشرة لكنهم فرسان السمع والطاعة ثم اخذوا
اهبتهم من تلك الساعة وساروا على مهل وكذلك الامير بيبرس تقلد بسيف
صقيل وركب جواده النبيل وقد حدثته نفسه ان يلتقى أهل الارض في طولها
والمرض فبينما هو كذلك واذا بالفبار قد نار وسد منافس الانفطار ساعة
من النهار وتمزق الفبار وبان للنظار عن خمسمائة فارس من السكفار الاشرار
وقد رفعوا على رؤوسهم الصليبان ونادوا حنة وصريم والصليب المضخم اين
تنجون منا بالحرب ونحن لكم في الطلب يا حمالين الجلد والحطب ثم تقدم
قمطة وهو يرتعد مثل الحية الرقطا وقال يا مسلم كيف تخامرنى وتخدعنني بمحالك
فلا بد ان اقطع اليوم منك أوصالك واقصر ايامك اما تدري اني انا ابن
البب فرنجيل الفارس النبيل دونك والقتال يا ندل الاندال (باسادة يا كرام)
فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام تغير لونه واضطرب كونه وكر عليهم
راجما وهو منهم غير فازما وقال لهم يا كلاب الروم كيف تأخذون أموال
عباد الحق القيوم فارجعوا الآن يا ويلكم الى ورائكم وفوزا بأعماركم
والا انزلت بكم الفنا وقتلتكم قتل الفجأة فقالوا له ان لم تسلمنا المال والا تأخذ
رأسك على وسط المجال فقال الامير والله لقد ساقنكم اعماركم الى مصرعكم
وقصر اجالكم ففوزوا بالحياة قبل ان يحل بكم الممات وما انا قد نصحتكم
ورجوعكم الي اوطانكم اصلح لاحوالكم وانجح لاموركم وما انا قد حذرتمكم

وانذرتكم وقد انصف من حذر واعذر من انذر والسلام على سيد البشر فلما سمعوا اللثام كلامه بربروا بلفاتهم وتصارخوا باصواتهم وقد طمعوا فيه لانهم ما يعرفوا قدره ولا دواميه ثم انهم طلبوه كل الطلب فقال الامير الآن طاب فيكم الجهاد ولا اترك منكم من يرجع الى الديار ولا من يوصل الاخبار ثم انه جرد الحسام واستقبل القوم اللثام وقد داروا به من كل جانب ومكان وقد غطس فيهم بالحسام وكل من تقرب منه اطلق رأسه على الهام واذا دارت عليه الخيول صاح فيها فتعود على اعقابها ثم انه صار يخرق الممعة ويحندل في الكفار مينة وميسرة وما زال على ذلك حتى أدرك اللعين قطه بن اللعين فرنجيل فلما رآه اللعين وصل اليه مال بكليته عليه وقد تماركا وفتحا في الارض ميدانا واجادا حربا وطمانا وقد خرجت من الاثنين ضربتين صائبين واصلتين الى الجسمين وكان السابق بالضربة الامير يبرس فلما ضربة الامير يبرس فكانت مثل القضاة النازل والبلاء الواصل لانها نزلت فقطعت البيضة والرافدة والعصابة ونزل السيف الى أم رأسه ونزل الى آخر أسامه واما ضربة اللعين فلما كانت قصيرة فتلقاها الامير على اللت الدمشقي هذا وقد مال اللعين عن سرجه ووقع الى الارض بخور في دمه ويضطرب في عنده فلما رأت الكفار ذلك حملوا حملة صادقة متوافقة وقد علموا انهم ان عادوا الى الملك فرنجيل من غير ولده يقتلهم وفي دمام يجندلهم فحملوا على الامير لعل ان يقتلوه او يأخذوه اسير فوجدوا ما املوه بعيد وقد رأوه من الفرسان الصناديد وقد كانوا غلمانا لما رأوا اهتمامه وعلو شأنه دبت فيهم الحمية والنخوة العربية فصاروا يحمون ظهره ويمنعون من قصده من خلفه ثم انه استقبل القوم وابلاهم باللوم ونزل عليهم نزول السيل وعمل فيهم كما تعمل النار في الخطب وقد ابلاهم بالمطب ونزل عليهم التعب والنصب ولم يزل السيف يعمل والدم يتر وتار الحرب تشعل من ابتداء ذلك النهار حتى لبست الشمس حلة الاصفرار وقد ضاق بالامير المجال وامتلأت بالقتلا

ذلك الاطلاع وقد قتل منهم ثلاثمائة وعشرين فارس والباقي بين مجروح وناكس
فعمد ذلك التي الله الرعب في قلوب الكفار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار
وتركوا الخيول والاسلحة والامثلة والغنائم فأمر الامير بلم الاسلاب فلبسوها
والخيول فجمعوها وصار الامير يبهرس كأنه مافعل شيء بل زاد قوة ونشاط
وشدة وانبساط لاجل ما من الله عليه من السلامة والنصر على الاعداء وسار
يقطع الارض والمهامة حتى أدرك الامير نجم الدين قال وكان نجم الدين ماذال
سائراً من الصباح حتى ادركه المسافر فأمر بالنزول لاجل الراحة ولجل أن
يكشف خبر الامير ببهرس فبينما هو كذلك واذا بالامير قد اقبل ومعه الغنائم
والاموال فلتقاء الوزير واجلسه الى جانبه وسأله عن غيبته بعد ان سأله عن
ذلك اللعين فاخبره بهلاكه هو ورجاله فقال له الامير يا ولدي اين كانت هذه
الغنية وما كنت اقول انك تغيب عني اكثر من ساعتين وما جيتني الا عند
المغيب فقال له يا مولاي اهل اني ما عافى عنك الا اشتغالي برضاء مولاي
ومولاي لاني كنت أجاهد في سبيل الله حتى بلغت المنى من اعداء الله واعلم
اني قتلت ابن ملك العريش ومعه خمسمائة فارس اساوس ولولا هروب الباقي
ما كانوا عادوا سالمين ثم انه كشف له عن باطن الامر وظاهره ولم يخف عليه
حرفاً واحدا فلما سمع الوزير نجم الدين اغتم غما شديدا ما عليه من مزبد وقال
في نفسه ليتني ما اتيت به من عند امه لانه والله ما هو الا داهية دهما ومصيبة
عظما واني اخاف ان يقتل احد من اهالي مصر وأكون انا السبب في
ذلك وما لي الا ان ادخل به في الليل واجعله عند خالته مقباً في
المنازل لا يبرح ابدا حتى اكنفي شره وأحرم عليه البوابين خوفا
ان يقتل احدا من اهل مصر فأكون انا السبب وان هو يشكي من
الاقامة في البيت ارسلته الى امه واكنفيت شره ثم ان الوزير اخفى الكمد
واظهر الجملد وأبدأ السرور وضحك في وجه الامير وقال له يا ولدي الحمد

الله الذي نصرك على الاعداء من شيء مهم واعانك على قتلهم وقتل ابن ملكهم (ياساده) ياكراهم ثم أن الامير جعل يتحدث مع زوج خالته الى ان طلبت العين حظها من المنام فقام يريد الرقاد ويعطى العين حظها من السهاد فهذا ما كان منه واما كان من الامير نجم الدين قال للقاطرجه اذا قربتم من ارض مصر فادخلوا بنا لئلا نهاراً فقالوا له سمعاً وطاعة ثم أن الوزير قد وقع في قلبه الرعب من الكفار وقد حسب الف حساب وخاف من هجوم الكفار وعودتهم فامر بالتعميل وسار يطلب مصر فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من الروم المنهزمين فانهم مازالوا في هزيمتهم الى ان اقبلوا الى العريش فدخلوا على الملك فرنجيل ومعه ولده قطه قتيل ودخلوا عليه وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فلما رأى الملك ذلك الحال اخذه الانذهال وساءت به الظنون والاهوال ونزلت عليه الامراض والاعراض ولطم وجهه حتى نزل الدم وقد قامت عيناه في ام رأسه ودي التاج من على رأسه وقال ياويلكم من فعل بكم هذه الفعالي ودبر على ولدى هذا الاحتيال وقد أوقع بولدى اعظم نكال فقالوا له يبيرس الاقواسى وهو الذي فعل ذلك وقد بلغنا انه هو الذى أخذ مال مرجويل المهري وصيوانه وبلغ منه لثاية الآمال ولولا ما هربنا من بين يديه لجلعنا طعاماً للوحوش الطائرات ولا كان من يرجع الى الايات

(قال الراوى) فلما سمع اللعين فرنجيل ذلك صعب عليه وكبر لديه وأظلمت الدنيا بين عينيه ثم التفت الى المنهزمين وقال لهم ياويلكم قدر ايش من الفرسان كنتم قالو كنا خمسة بطريق فقال والاعداء قالو له عشرة ابقار فقال لاجعل المسيح فيكم بركة ثم أمر بضرب رقابهم فقال له الوزير وأي شيء يكون ذنب هؤلاء
٤ - ثالث

فدعهم ولا تقتلهم لانهم قد بذلوا الجهود ولكن خصصهم عليهم حقود فقال له
 دبر لي في أخذ نار ولدي وحشاشة كبدي فقال له اعلم يا ملك الزمان ان قوتنا
 لا تلحقنا الى قتال بيرس ولا نحن أمثاله ولا نعد من ابطاله لانه شديد الباس
 قوى المراض فريد عصره ووحيد دهره اما تنظر كيف أنت لنا الاخبار عما فعل مع
 سر جويل من العار وكيف اذاقه الذل والاضرار وكيف أهلك عشأره وانني
 دساكره والراى عندي ان تصبر على ما أنت عليه وترسل في طلبه العيون
 والارصاد حتى تأتيك عليه الاخبار بأنه قد قرب من هذه الديار فاذا وصلت
 اليك الاخبار بذلك هنالك تخرج اليه وتأخذ منه النار وتجلى عن نفسك العار
 وأنت مقيم في هذا المكان فلما سمع فرنجيل ذلك الكلام استصوبه وقال الآن
 خذوا ولدي واحرقوه لتكفر النار سيئاته ففعلوا به مثل ما أمرهم وأطاع الوزير
 فيما أمره وجعل له أيضا عيوناً وارصاداً يراقبون الامير بيرس (قال الراوى) فهذا
 ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر الامير بيرس فإنه سار هو والوزير
 نجم الدين وهم يوصلون سير النهار بسير الليل ويقطعون المهمة والاوغار الى ان
 اشرقوا الى تلك الديار وقد أقبلوا الى باب النضر فصاحت بهم الحراس من
 الوشاقية والغفرا وقالوا من الطارق في هذا الليل الفاسق فقال لهم أنا نجم الدين
 ابن عم الملك الصالح فلما عرفوه فتحوا له الباب فدخل نجم الدين والامير بيرس
 الى جانبه والاموال محملة قدامه ولم يأخذهم ضجر ولا ملل الى أن أقبلوا الى
 حبيهم والاطلال (باساده يا كرام) وكانت السيدة شهوة زوجة نجم الدين قد
 افتركت في هذه الساعة بملها وهاج عليها شوقها وتألم لغيابه قلبها فقالت لا اله
 الا الله محمد رسول الله ما أصعب الفراق وما احلا التلاق والله ان نجم الدين قد
 غاب عني وبعده قد آلمني فآله تعالى يسهل قصده وعن قريب تروى ويهلك ضده
 ويقبم سعد ويقضى حاجته ويتم نوبته فلقد منعني عيابه عن الرقاد ولم اتلذذ
 بمتاع ولا بسهاد (قال ياساده يا اجياد) صلوا على زين العباد فاتمت السيدة شهوة

كلامها وما نطقت به من قولها حق ضرب الباب عليها فقالوا النلمان من الباب
 فقال عبد الله نجم الدين يا احباب فتجارت النلمان وفتحوا الباب فدخل نجم الدين
 ومعه ولد السيدة فاطمة ونزلت السيدة أخت فاطمة واستقبلته وسلمت عليه
 وقد نظرت الى الامير فتوارت منه فقال لها زوجها نجم الدين يا شهوة هذا القلام
 الامير بيبرس ولد اختك السيدة فاطمة فسلمى عليه ولا تفزعى منه فاقبلت اليه
 وسلمت عليه وفرجت به فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقال له الامير نجم الدين
 يا ولدى قد اقبلنا الى مصر بالسلامة وهذا مكاننا الذي لنا فيه الاقامة فاحفظ
 أموالك فيه واجعل بين يديك مفاتيحه ونواحيه وهذه الجواهر بين يديك
 والا ما كن أمرها اليك فعند ذلك امر الوزير بذكر الاموال والسيوان وجميع
 ماله من الانتقال في الجواهر وقفل بالاقفال الثقال هذا ونجم الدين قد اخذ
 الخراج وهو مال السلطان وجعله في المقعد وأغلق عليه الابواب وضع عليه
 المفاتيح وصعد الامير بيبرس والامير نجم الدين الى أعلا القصر وجلسوا واستراحوا
 وأخذ في الحديث الى ان كان نصف الليل فتذكر الامير نجم الدين للعبة التي
 قمنا ذكرها وانتكر الاقسام التي اقسمت السيدة فاطمة بها عليه فنهض من
 ساعته ونزل الى المقعد وأنى بالعبة وقد كان ترك الامير عند زوجته فاعتزلت عنه
 الى بعيد حتى أتى زوجها وقد رآها متباعدة فقال لها لاي شيء تمتنعين عنه وما هو
 الاولد اختك كما أخبرتك وانه هو الذي بلختك عنه الاخبار بانه مات وما هو الا
 ممن سلم من الآفات وقد أتيت به الى عندك لاجل ان يطمان قلبك وتعرفي
 مقامه وتزیدی في اكرامه فما هو الا كما ذكرت لك ومن دمك ولحمك
 (قال الراوى) وكانت هذه السيدة شهرة فائقة في الحسن والجمال والبها والكمال
 وقد كانوا بعض نساء الامراء يسمونها فوز فصارت لها اسمين مشهورة بهما فلما
 سمعت السيدة ذلك الكلام نهضت على الاقدام وأخذت بيبرس ملء الاحضان
 وقالت الحمد لله على سلامتكم يا ولدى وأجلسته الى جانبها وجلسوا الجميع يتحدثون

وهم على غاية من الفرح انزائدها وقد التفت الوزير نجم الدين الى زوجته وقال
 لها اعلمي ان اختك قد أرسلت اليك ممي امانة وهي هذه العلة وحلفتني وأقسمت
 على بالاقسام البالغة اني لأفتحها الا بيننا نحن الثلاثة وقد اجبتها الى ذلك ولم
 افتحها أبدا وها قد جمع الله بيننا فمضد ذلك أخذتها السيدة وازالت غطاءها
 وتأملتها واذا من داخلها ثقاب وشعيرية وفردة من خف وفردة بابوج فلما نظر
 الامير نجم الدين الى ذلك تعجب غاية العجب وقال لزوجته والله ان اختك
 مجنونة وليس لها عقل فقالت له ولاي شيء ذلك فقال لها هل عرفتك بانك عرجة
 برجل واحدة حتى انها ترسل لك خف غير كامل او بابوج كامل وكيف انها
 تحملني هذه الاشياء ثم تشدد على في الاقسام مع انها مثل عدوها لا تتفع بشيء
 فعند ذلك ضحكت السيدة شهوة وتبسمت في وجه الوزير وقالت له اعلم ان اختي
 ما أرسلت الى هذا علي سبيل الهدية وانما أرسلتهم الى علي سبيل الكلام فلما
 سمع منها ذلك مسك الخف وقلبه يمينا وشمالا وقال لها والله ما فيه كتابه ولا
 كلام فقالت له اعلم ان الكلام ما يبقى في الأحفار ولا يحسم وما هو الا معاني
 يعرفها كل من كان يفهم ومن لم يدر المعاني فهو لاشك ابكم فقال لها وقد تعجب
 من قولها وهل فهمتي المعني قالت لم وحق نعمتك علي ورأس سيدي الملك
 الصالح فقال لها فولي لي عليه حتى اسمعه وأعرف مضمونه فقالت له وقد كانت
 فصيحة تدري المعاني وتقيم المباني وتنظم الاشعار ياسيدي تريد ان اذكرك لك
 نظما او نثرا فقال لها نظما ونثرا فقالت له اعلم ان لسان حال اختي يقول لي اعلمي
 يا اختي ان هنا ولدي وقطعة من كبدي مثل هذا النقاب والشعيرية التي مرفوعين
 فوق رأسي وقد أرسلته اليك ليكون عندك أعز بمن عندي ولا تركيه وعن باب
 الكرم تحاذيه ولا على لسانك تذكره ويكون مثل هذه الفردة المداس المفردة
 التي لا قدر لها ولا قيمة حتى اذا تكامل ما تكون قيمته الى اسفل في الارض يتلافا
 كل ما عليه اعرض وهذا كلامنا فقال لها والله ان النساء يعرفون المعني واني اظن

ان هذا هو الضمير ولكن نحن نجهله لاجل خاطرها في ما بيننا وفوق رؤسنا من وقتنا هذا حتى يرجع ويعود الى امه ولا له منا الا الاكرام التام ونظمه وازالة همه وغمه ولكن أريد ان تذكر لي هذه الاخبار بالشعر والنظام لاني ركت اليها وعلمت ان اختك فصيحة وانت مثلها فعند ذلك انشدت تقول وانا وانتم نصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم

سلام على الاحباب في كل لحظة	سلام جزيل على عمر الهيد
يتم كل جيب لنا وجيوشه	من الاحباب والخلان العوال
وانني والله لا أسلوهاوا كم	واصبحت من البعاد مثل خيال
وقد أرسلت لكم قلبي ومهجتي	وجسمي وعيني والنوال
فاكرموا ولدا كان عندي عزيزا	ولا تجعلوه مهانا كالنعال
لقد كان عندي فوق رأسي	ومن داخل الاجفان والامقال
وكان عزيزا مكرما ومهابا	وكنت اري في وجهه وجه الملال
وكان سيد القوم حقا كلهم	وكان صائبا في القول والافعال
وكان مقدما على كل أمر	ومتوكلا على ذي الجلال
وما كان ذليلا ولا مهانا	ولا مجالسا لرفقة اندال
ولكنه جري عليه حكم الاله	ولامانع في قضاء التعال
وقد صار الآن غريب أرض	بييدا عن الاوطان والاطلال
فاكرموا ذلك الغريب الذي أتى	ولا تحرقوني برجمة الافعال
وهذه ودیمة بين أيديكم	والله يشهد ويعلم كل حال
وقد استودعته عند خالق الوری	رب العباد ومصطفى النوال

(قال الراوي) فلما فرغت السيدة شهوة من شعرها ونظامها قال لها نجم

الدين وقد تعجب من كثرة فهمها هاهو عندك والجوار يخدمونه ويأتون اليه بكل ما يحتاج ولا تدعيه يخرج من البيت فقالت له كيف توصيني على ولدي ثم التفت الى

الامير بيبرس وقال له اعلم يا بني ان هذه خالتك فاسمع كلامها ولا تخالفها في أقوالها
ثم قالت السيدة شهوة يارلدى اعلم انك الآن جئت من عند امك الى غدى
ومن حضنها الى حضنى فقال لها يا امي اجعل لى محلا يسمى لانى أحب أن اكون
منفرداً وعن الناس منزلاً فقالت له أمه سمعاً وطاعة ثم أمرت الجوار ان ينزلوا
له فرشاً من الفراشات الثمينة فى المقعد وينظموه له فاجابوها بالسمع والطاعة
وفرشوا له من تلك الساعة ثم انها انزلت الامير الى المقعد واجلسته وجلست الى
جانبه والجوار بين ايديهم واقفين فلما عاين ذلك قال يا أمى ان الوزير قد أتى من
السفر وهو ثعبان من شدة الضرر وأريد منك الساعة تطلعي الى عنده وتصلحي
شأته واننى اقول انه لا بد له من الطلوع غدا الى الديوان بخراج السلطان فقالت له
السمع والطاعة ثم انها نهضت اليه وزرعت الجوار عنده لاجل قضاء حاجته

(قال الراوى) فهذا ما كان منه واما ما كان من السيدة فاتها طلعت الى عند
الوزير وتحدثت معه وجلست الى جانبه وقد جعل يتسلا بها ويلاعبها وتلاعبه
حتى حاج به المذكر فقضى منها وطراً ثم اغتسلا واما لاجل الراحة فهذا ما كان
من امر هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من امر الامير بيبرس فانه امر الجوار
بفرش النوم فقرشوا له المسكان وانطلقت فيه الابخرة من الجاوي والعود والند
والعنبر والريحان ثم نام الامير وتوكل على الملك المليم وقد خفف ماعليه من الثياب
والسلاح وعلقهم عند رأسه وامر الجوار بالانصراف فانصرفوا الى أماكنهم فهذا
ما كان من امر هؤلاء (يلساده يا كرام) ولما اصبح الله بالصباح واضاء الكرم
بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤوس الروابي والبطاح وسلمت على كثر المداح
محمد تاج الملاح انتبه الامير بيبرس من المنام وازال ضرورته وتوضأ وصلى الصبح
وصلى على النبي الكريم واستقر فى الجلوس والتسييح واذا بالوزير قد أقبل عليه
فقام له وصبح عليه وأجلسه الى جانبه وقدم له مارق من الطعام فأكلوا وشربوا
وقد ارتفعت الاواني والزبادى وغسلت الافواه والايادى وذكروا سيد الانام

النبي الهادي وقد عزم الوزير على الركوب وقال يا ولدي اني أريد ان أسير الى الديوان
وأسلم المال الى السلطان وأعود اليك وأنت في هذا المكان فقال الامير سمعا
وطاعة (ياساده) وكان عند الوزير نجم الدين رجل بواب يقال له عبيد القادر
الامواحي فلما أراد الوزير الخروج من الدار صاح على ذلك البواب فحضر بين
يديه فقال له لا تترك الامير بيبرس يخرج من الباب لاني أخاف ان يقتل احدا من
الانام لانه لا يبالي بقتل كل الانام فقال له اعلم اني لا أتركه يخرج من المكان وأخذ
عليه المفتاح وان سعد منه كسرت رأسه وحق الملك الفتحا ثم ان الوزير صار
بعد ان أخذ المال وأوصى البواب وتوجه الى الديوان يريد أن يسلم مال السلطان
(قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من امر امير المؤمنين وخادم
حرم حجرة سيد المرسلين فانه بات وأصبح مثلك بصل على نبي له الورد فتح
دخلت الاغوات اعلموه ان الديوان قد تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ثم سار
الملك وبين يديه الاغوات الكتائب والمماليك الفرلانية فلما أقبل على العسكر
قاموا له اجلاله وحياء من السلطان فابداهم بالسلام السنة أجابوه بالفريضة الشرعية
كما قال خير البرية هذا وقد بسط يدها وقرأ الفاتحة أم الكتاب وأهدى ثوابها الى
النبي الاواب واصحابه وجميع الاحباب ثم الى ارواح من تقدم قبله من الملوك وما
يأتي بعده ثم قرأ المقرئ وختم ودعا الداعي وختم ورقى المرقى وختم وقد صاح
جاوبش الديوان وهو يقول

يا حاكما بين جميع الوري انصف الانام بالعدل والانصاف
وخذ الحق لكل مظلوم وانصفه على الظالم المنهاف
وان ظلمت فانت مطالب بين يدي الحاكم والموافق
يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا اولاف
الا من أتى ربه بقلب سليم فذا هو الذي يفوز بالرفراف
(قال الراوي) قال الملك امنامن ابن كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان

المتجى من الشدائد والمهالك ثم راق الديوان والنفت الملك ذات اليمين فاطرقت
 العساكر حياء من أمير المؤمنين وكذلك جهة اليسار ثم جعل الملك كلامه مع الافا
 شاهين الافرم وقال له يا حاج شاهين الطير دخل القفص وما بقي عليه غصص والصيد
 اصطاد وهذا حكم رب العباد فتعجب الافا شاهين من كلامه ولم يدري معني
 مراده فبينما الملك يندب ويتكلم بمثل ذلك واذا يباب الديوان اسند والستار اخرج
 وقد أقبل الوزير نجم الدين البندقداري وقبل الارض بين يدي الملك ثم خدم
 وترجم واحسن مابه تكلم ودعا بموام العز والبقاء وازالة البؤس والشقاء وتكلم
 الوزير نجم الدين بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات صلي الله عليه وسلم

عبيدكم قد أقبل يا سادتي	يرجوا من المنان لكم دواما
سلام عليكم بكامل جمعكم	والسلام مني بدا قبل الكلاما
فلا تردوا من اتى لحبيكم	فانتم أهل الكمال على الدواما
فما زلتم في الاماكن حتى	يقوم الناس في يوم القيامة
انتم السادات لكل الوري	وفضلكم على الوري انعاما
وسيفكم الماضى في رقاب العدا	وبكم يرغم المشركين ارغاما
قد جفكم من الله غيث هاطل	وزالت عنكم الاحزان والاسقاما
فاقبلوا من أتاكم مستنصرا	والله يقبل من عليه تراما
قد فازوا بالنصر من رب السماء	ومدحهم بلطف وعز واختتاما
وفزتم بخدمة سيد الوري	عليه مني صلاة وازكى سلاما

(قال الراوى) فلما فرغ الوزير نجم الدين من الدعاء والملح والخدمة لامير

المؤمنين تحرك الملك الصالح وقال يا حق يا دايهم يا حق يا معبود يا علام الغيوب
 يا ودود سلامات يا سيدى نجم الدين يا ابن العم جيت الخراج قال نعم يا أمير
 المؤمنين ثم أمر باحضار الخراج فاحضروه الفلمان بين يدي السلطان فلما رآه فرح
 فأمر برفعه الى خزانة بيت المال وأذن الوزير نجم الدين بالجلوس فى مرتبته

فجلس وراق الديوان وصمتت الحاضرين حياء من السلطان هذا وقد قال الملك
 يا حليج شاهين قال نعم يا أمير المؤمنين قال له لا بد ان المقطعي يان لان الطير
 دخل القفص وانغلق عليه الباب وانحبس وخرج عليه الرجل بدم الخروج وأنه
 قال انا ما جبسته الا خوفا أن ينقر الطيور بمنقاره لان منقاره حاد عليهم ولانه
 اذا نقر طير أصيب ولكن وعزة الله لا بد من ظهوره وافشاء أموره لانه هو
 الغالب على أعدائه وانه مخصوص بالنصر من مولاه فاذا الذي تقول في هذا
 الكلام صحيح أم لا فقال له الاغا شاهين الصحيح الذي تقوله يا أمير المؤمنين
 مع انه لم يدري معني قوله بل قال في نفسه والله ما أعرف لهذا معنى فقال الملك
 الصالح يا أخى أنا رجل عبيط فلا تأخذ علي كلامي في شيء ابدأ كلما ورد على
 بالي قلته لاني معبوط عبط الجمال الذين كانوا يشيلوا ويرجموا يأكلوا عاقول
 (قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء واما ما كان من أمر بييرس
 فانه بعد نزول الوزير نجم الدين من المكان ضاق صدره لاتقارده فنهض على
 الاقدام وفتح بعض رواجع المقعد وتأمل واذا ببعض الرواجع يتطلع على
 الطريق فجلس الى جهة الطريق وفتح المصحف وجعل يقرأ في كلام الله تعالى
 القديم وهو يترنم بتلك الصوت الحنين الرخيم حتى انه كان في سماعه بحجي السقيم
 فصار يقرأ وكل من مر على ذلك المكان رسمع النفمة والالخان يقف تحت
 الراجع لاجل السماع حتى صار تحت الراجع خلق كثير من الناس فيبيناهم كذلك
 واذا برجس قد اقبل عليهم وكان هذا الرجل يقال له الشيخ محمد طسبطق
 الجميدي وانه لما رأى ذلك اللمة والجمية اقبل وهو متعجب من الواقفين فلما
 اقبل سلم عليهم وسألهم عن وقوفهم فقالوا له اعلم اتنا نريد أن نسمع كلام الله تعالى
 بهذا الصوت الحنين فقال لهم ومن الذي يقرأ هنا هل هو ذكر أم اني فقالوا له لا ندري
 فهل تقدر وتظهر لنا أمره ان كان ذكر أم اني ولك علينا في نظير ذلك ثلاثين نصف فضة
 فتقدم من دونهم الى تحت الراجع وتنحنح وصفق على يديه وصاح يامقرى يامقرى

تفضل علينا وطل علينا من الراجع برأسك لاجل نصبح عليك ليكون نهارنا مبارك
ووقتنا أزهر ونحن أولاد الحسنية وكلنا أهل كمال في الكلية وانا نريد أن نري
هذا الوجه المنير فلما سمع يبرس هذا الكلام من ذلك الرجل تبسم ضاحكا وعرف
انه مزاح فطل من الراجع وقال له صباح الخير يا والدي فلما طل برأسه من الراجع
ورفعت اعينهم أولاد الحسنية فرأوا وجهه كأنه القمر اذا ابتدر ليلة أربعة عشر فلما
نظروا منه ذلك جارت منهم الافكار وما منهم من نطق بمقال الا الشيخ محمد فانه
قال ما شئ الله كان يخلق الله ما يشاء سبحانه من خلق وصور واثقن ياسيدي انزل الى
عندنا حتى تنأس معك فقال يبرس يا والدي سمعا وطاعة ولكن اصبر قدر ساعة
حتى آتي اليك ثم انه نهض من ساعته علي الاقدام وأخذ اللت بيده وخرج من
باب المقعد والجوار ينظرون اليه ولم يقدرُوا يمنعوه ولا منهم من يقدر يتعرض له
الي أن صار وسط الدار فقال في نفسه يا يبرس اليب من دار ولم يمازج الناس فاهو
الا كالحمار وانا لا بد لي أن أمازح أولاد مصر على قدر عقولهم واسابهم علي قدر
حالهم لانهم على كل حال أهل خلاعة وفكة ولكاعه ويكثرون الكلام مع بعضهم
وها انا كاحدهم ثم سار الى أن وصل الى باب البيت فلما آه البواب وهو مقبل عليه
قامت عيناه في أم رأسه ونهض على اقدامه وقد كشر على اضراسه وأغلق الباب
في وجهه الامير وقال له الى اين تريد تمضي فقال له أريد الفرجة علي ارض مصر
واخرج الى البلد وانظر اهلها فقال له البواب ارجع الى مقعدك ولا تخرج والا
أقوم افلق قرعتك بهذا المفتاح فلما سمع يبرس ذلك قال له اعلم يا بواب اني لم
يكن لي سيد الا مولاي الذي خلقتي ورزقني واعلمك اني لست بمملوك الا للمالكي
وهو رب العالمين وانا رجل حر مثل نجم الدين سوي بسوي وان زوجتة
هي خالتي وانا ان اقت في البيت فبرأيي وان خرجت فبرأيي فلا احد
يمنعني وانا ما اتيت الا بقصد الفرجة علي مصر وبناتها واحداها واولادها
واغصاتها وبساتينها ولجل زيارة الاولياء الذين بها واكثر قصدي زيارة

سلطان مصر سيد الانام محمد الشافعي لعل ان يحصل لى منه القبول واقرأ عنده القرآن فافتح ودعني امضى وأعود ولا تموجنى للجاجى والقمود فقال له البواب انا لا اقدر افتح لك الباب ابداً فأدخل حيث امرتك والا كسرت رأسك فاني ممن لا يسمع قولك ولا يركن لملك ثم أن البواب صاح فيه فسكت الامير وسار بلاطفه وهو لا يزداد الا متعاً فلما ايس منه الامير تقدم الى الباب وأراد أن يفتحه فنهض اليه البواب بالمفتاح وهو قاصد رأسه فلما رأى الامير ذلك تلقى المفتاح على التت وقال في نفسه هذا رجل نحس لا تثبت عنده الكرامة الا اذا عاينها ثم انه رفع التت وضربه بطرفه على رأسه لطشاً خفيفاً فوقع اللطش على ام رأسه فسأل دمه وغاب صوابه ووقع خلف الباب مغشياً عليه فمئنها تركه الامير بيرس وفتح الباب وخرج فتلغاه الجميدى واولاد الحارة الذين قدمنا ذكرهم فسلم عليهم وسلمو عليه وترحبوا به واجلسوه بينهم وجلسوا حواليه وقالوا له يا سيدى قل لنا ما اسمك قال اسمى بيرس وانا ابن اخت السيدة شهوه زوجة الوزير نجم الدين البندقداري صاحب هذا المكان فقالوا له معرفة طيبة وصحبة موافقة فسر معنا ولك اسوة بنا فقال لهم سمعاً وطاعة ثم سار الامير معهم وقد تقدم الجميدى اليهم وقال لهم انا بقيت كبيركم انتم الجميع فقالوا انت خيرنا يا شيخ محمد فقال له الامير يا والدى انت كبيرى انا وانا لك فقال له الله يريك اعلا المراتب كما جبرت بخاطرى ولم يزلوا كذلك حتى اقبلوا الى مكان وفيه دآن وعلى ذلك المكان شاب صغير كثير الحياء والوقار وكان هذا الشيخ تسطنع العرفوس وهو يسمى كريم الدين ابن الشيخ بحى الشماع رجلاً عالماً من علماء الاسلام له هبة ووقار غير انه فقير الحال ولا له اكنساب غير هذه الصناعة

(قال الراوى) فلما اقبلوا الى ذلك المكان وراهم ذلك الفلام نهض على الاقدام وترحب بهم واجلسهم وقد رأى الامير بيرس فى وسطهم وهو كأنه القمر بين النجوم فقبل يده فقبل الامير رأسه وجلس بعد ذلك الامير وراق المكان وقد

كان في ذلك المكان والزمان لا يصطنعون القهوة بل كانوا يصنعون المقل السخن وهو شمر وعرقوس وبصطنعون الحلاوات أيضاً وذلك لأن القهوة لم يكن لها بذلك الوقت قيمة ولا مزية لكثرة حبسها هذا ولما استقر بهم الجلوس تقدم اليهم كريم الدين ويده طبق كبير وفيه العسل المقل المعقود بالنار المتزج بالبهار وفي يده الاخرى قطعة من النحاس الاصفر يقال لها ملوق يأخذ بها الحلاوة فصار يعطي كل واحد منهم ملوق فلما فرغ من ذلك ناول كل واحد منهم طاسة من المقل السخن وكان في ذلك الوقت اللوق والطاسة بجديد واحد فلما استتم لهم ذلك قال بيبرس ياخي ما السمك فقال له عبدك كريم الدين فقال يا كريم الدين قال نعم قال له جميع ما أكلوه من الحلاوات والاشربة حسابه على انا فقال له كريم الدين يا سيدي ادام الله بقاءك والله هذا نهار سعيد مبارك برؤياك ثم أخذ كريم الدين يباسطهم ويحاذيهم الى أن اخذوا مجلسهم واستأذنوا الى الانصراف من الامير بيبرس فأذن لهم فانصرفوا الى حال سبيلهم وكذلك الجميدى انصرف بعد أن قال للامير الموعد بيننا وبينك كل يوم هاهنا ثم انصرف الى حال سبيله

(قال الراوى) وبقي الامير بيبرس مع كريم الدين وراق لهم المسكان فقال له الامير بيبرس انا ابن اخت زوجة الوزير نجم الدين البندقداري وهذا الحساب لك عندي وهذا منزلنا فاني الآن لا وجدت معي دراهم حتى اعطيك ولكن هذا أول برج وتركه ومضى الى حال سبيله ودخل البيت فرأى البواب قد فاق بمأهوه فيه فلما رآه البواب ارتعدت قرائنه منه وقال له ارجع عني يا سيدي وانني لا بقيت اقدر اقوم من هذا المسكان ابداً مادمت انت فيه حتى يأذن الامير نجم الدين اسلمه مكانه لاني ما انا مستغني عن نفسي ولا عن دوحى وان كنت سلمت هذه النبوة من يدك ما سلم الآخرة فمنذ ذلك اقبل اليه الامير بيبرس وطيب خاطره وبأس رأسه وقال له يا بني ابري ذمتي وسماحتي في زلتى ولك منى عشرة دنائير ذهب فقال له يا سيدي انت صاحب العطا واننى قد ساحتك ولكن ابن الذي ذكرته

لى من المال فقال له هاهو حاضر ثم انه صعد الى المقعد ورجع اليه واعطاه العشرة
دنانير ذهباً وقال له اذا سألك سبى نعيم الدين فلا تخبره بأننى خرجت من المكان
فقال له ياسبى وحق رأسك اننى لا يقبى اخرج عليك لابللا ولا نهراً وانا
خادمك وان طلبت احداً يؤانسك احضرته لك واحضرت لك كلما تريد فقال
له جزاك الله عنى كل خير ثم تركه بعد ان طيب خاطره وصعد الى المقعد وجلس
برهة واذا بالامير نعيم الدين قد اقبل وقد سأل البواب وقال له هل خرج الامير
بيبرس الى ظاهر المكان فقال له البواب لا وحق رأسك ما خرج ابداً ولم يمر على
غيرك انسان فتركه وصعد الى المقعد فتلقاء الامير بيبرس ونهض له من مكانه واجلسه
وجلس الى جانبه وجعل يحادثه ولم يسأله عن الخروج ولا عن الدخول ثقة
بكلام البواب فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر كريم الدين فانه بعد أن تركه الامير بيبرس
وقال له أول يرج جلس وهو متفكر فى أمره وقد زاد به فكراً وجعل يقول
فى نفسه الساعة بأتى أبى من الجامع الازهر ويسألنى عن غلة الدكان وهو يقول
لى أين الذى بعت به فان قلت أنا ما بعت شيئاً يقول لى وأين البضاعة وان
ذكرت له انها انكبى على الارض يقول لى وأين محلها وان قلت له بعتها شكك
فما هنا بصواب لان قوتنا منها وما لنا غيبرها فى كل يوم وان أنا قفلى الدكان
وهربت فما أدرى ما الذى يصنع أبى بأى من أجل او ربما يقول انه أخذ الدرهم
وهرب بهم ولكن الوقوع فى البلا أحسن من الاستنظار ومالى الا ان اجمى
بالحال والسلام فينما هو كذلك واذا بالشيخ بمجي الشماع مقبل عليه فلما رآه اقبل
قام له على الاقدام وبس يده فقال له السلام عليكم يا شيخ كريم الدين فقال له
وعليك السلام يا أبى فجلس على الدكان وقال له يا ولدى هات الغلة فناوله جديداً
واحداً من غير زيادة وكان هو أول استنتاجه فأخذ الشيخ الجديدنى يدمو وتمعجب
غاية المعجب وقال يا ولدى ما هذا وأين الدرهم الذى بعت بها البضاعة جتى انا

نشترى لوازم المحل الذى نحتاج اليها كل يوم فقال له يا أبى أذا كان الكذب حجة
 مستقيمة يكون الصدق انجا عند أهل العقول السليمة أنا اصدقك يا أبى اعلم
 اننى جاءنى ولد مملوك من بيت نجم الدين البندقدارى ومنه ثلاثين رجلا من
 أولاد الحسينية ودخل بهم الى الدكان وقال لى اعطيهم جبا على قاعطيت لهم ماكان
 عندى من البضاعة فلما فوضوا مجلسهم انصرفوا الى حال سبيهم وانصرف هو
 بعدهم وقد أشار على بدبوس فى يدي وقال لى أول برج لك عندي تخفت منه
 ودخلت الى داخل الدكان وتركنى وانصرف الى منزل سيده وهذا الذى جرى
 أخبرتك به والسلام فلما سمع الشيخ يحكى ذلك تغير لونه واضطرب كونه وقال
 له كيف تضيع مالنا ومن بضاعتنا وتركننا نقامى العذاب فى هذا اليوم واليلة
 القابلة بالجوع ونحرمانا ونطعم غيرنا ولكن انت الآن نحتاج الى الادب ومالى
 الا ان امضى الى القفاص وأتى من عنده بجريدة خضراء بهذا الجديد واضربك
 بها ثم انه تركه ومضى الى القفاص ليأتى بالجريدة فهذا ماكان منه وأما ما كان
 من الغلام كريم الدين فانه صبر على أبيه حتى غاب عن عينيه وقال فى نفسه وما
 انتظارى بهذا القعود ثم انه ترك الدكان ومضى الى عند البيت بعد ان اغلق الدكان
 ومضى الى عند امه وأخبرها بالخبر من اوله الى آخره فلما سمعت أمه بذلك
 فقالت له اقم يا ولدي وما الذى تقدر تفعل أن نصل اليه من الملوكة وهو من
 طرف مثل نجم الدين البندقدارى والحمد لله على سلامتك الذى انت تخلصت
 منه فاطمان قلب الغلام . وركن الى قول أمه وجلس الى جانبها فهذا ماكان منه
 وأما ما كان من الشيخ يحكى فانه سار الى القفاص وناوله الجديد وأخذ منه
 جريدة خضراء كبيرة ومضى بها الى الدكان ليضرب ولده فوجد الدكان مغلوقا
 ولم يجد الغلام فاحتار فى أمره وسأل الجيران فقالوا له يا سيدي غلق الدكان
 ومضى الى جهة الدار فسار الشيخ وهو فى غاية من القلق وقد اشتد به الغضب
 على ولده وذلك لاجل فاقتة وقره وما زال متفكرا فى أمره حتى وصل الى

مستقره وعبر الى البيت فوجد الغلام الى جانب أمه فزاد حقه فنهضت اليه أمه وقابلته وقالت له وقد صاحت في وجهه على أي شيء أتيت هكذا وأنت ماسك هذه الجريدة وما الذي تريد أن تصنع وما هذه للعمال وقد أرعبت قلب الغلام وأورثتني لأجله الوبال وإن هذه العمال ما هي فعمل اولاد الحلال ماذا بدل على الكسوة التي أتيت بها اليه وما أراك الامسيئاً عليه وملسك بيدك الجريدة انك تعلم ان عندي غيره او من يقوم مقامه وان قتلته أرى عندي خلافة اما تعلم انه واحد وعينى مطلعة اليه كيف يعمل هو في المملوك بضربه او يشتمه فوالله لو كنت أنت ما قدرت تكلمه حتى انك تهين ابني وتفعل هذه العمال وهو حيلتي ثم انها بكت ولفشتت تقول صلوا على طه الرسول

ابا ولدي مالي سواك حبيب	انبت قصدي وبقيتي ونصيب
ولم ارد غيرك يدخل داري	ولم يكن لي عليك رقيب
تجير عليك ابوك حتى كانه	يريد قتلك حقاً من قريب
بعد الجوع والعري الذي انت فيه	بعرضك لاهل البلايا رحيب
وبعضي ويأثني بأخذ كل ما	جمعه من فضة وذهب
كنل الخاك الذي لا يرجع لخصمه	ولا يعرف صديق ولا حبيب
فوالله يا ولدي لقد ضرتني الجوا	وزادني ما انت فيه هيب
وهذا الشيخ لا يرجع لضعفنا	ولا يدري صدقا ولا تكذيب
ومالي الا ارحل الى بلدة	تكون من هذا المكان غريب
وتقضى زماننا في غير ارضه	لله ارضا كان منها قريب

(قال الراوي) فلما فرغت زوجة الشيخ من البكاء والانتحاب جعلت تتكلم مع الشيخ بمجي كلام كثير حتى انه انتهى من قولها ولا عرف يرد عليها فقال لها اعلمي انه قد ضيع غلة الخانوت التي تأكل من جانبها كل يوم وانت تعرفي ذلك وتعرفي ان مالنا اكتساب غير هذا فقالت له وايش الذي يعمل في المملوك

حتى انه كان يضربه أو يقتله فقال لها وكيف نعمل نحن الآخرين فقالت افعدوا لنا
آتيك بخلاف الذي ضاع لك فقال لها ومن أين ذلك ثم قالت أصبر سوف
تري ثم غابت عنه وعادت معها كوز فخار أحمر وهو مسدود الفم ففتحت
سداده وأخرجت منه ستة انصاف فضة وكان النصف بستة جدد واعطتهم اياه
وقالت له ماتقول في ذلك فقال لها وقد تعجب ومن أين لك هذا المال فقالت
له اعلم ان هذا من خدمتي في أبوك وذلك اني كنت أوضيه يعطيني جديده فاخذه
وأجعله في ذلك الكوز وكلما كمل عندي ستة جدد صرفتهم بنصف فضه ولم
ازل على ذلك حتى توفي والدك رحمه الله تعالى وجمعت انا هذا المبلغ وجعلته عندي
الى الآن وقد نفموا في هذه الساعة ولا ترجع تهين ولدي ففرح الشيخ بذلك
ورمى الجريدة من يده واقبل علي ولده وقال له يا ولدي خذ هذا النصف هات
لنا به عسل اسود وعرق سوس الى الدكان وهذا النصف الآخر هات لنا به
قمح والثالث سمن وهات لنا بالرابع لحم وخضار ولا بقي من المبلغ الا نصفين
مع الشيخ هذا وقد مضى كريم الدين وقضا الحوايج الى البيت والدكان وعاد
الى والده واخبره بذلك فقال له يا ولدي اسمع كلامي واعلم انني غداً مقيم في
البيت ولا اروح الى الجامع وانت تفتح الدكان على عادتك فاذا اتاك هذا المملوك
هو وجاعته واخذ البضاعة منك ولم يعطيك شيئاً فشاغله بالكلام وارسل الى
اي غلام كان حتي ازل اليه واخذ حتي منه واخلى اذنيه واقلع عينيه واضربه
على راسه بهذه المعصا والعلم الشاهد الشريف فقال الغلام سمعاً وطاعة (قال
الراوي) ولما أصبح الله بالصباح واضاء الكرم بنوره ولاح نزل الشيخ كريم
الدين الى الجامع وصلى صلاة الافتتاح وعاد الى الدكان واخذ منها البضاعة
وسار الى الدكان وفتحها وغلا العرقسوس وعقد الحلاوه وجلس وهو
يقول يا فتاح يا علم الامم ا كفيينا شر هذا النهار يا اكرم من كل كريم فيينا
هو كذلك واذا بالامير يبرس قد اقبل هو وأصحابه ودخل الامير الى الدكان

وصبح على كريم الدين هو وباقي الاخوان فردا الصباح عليهم وهو منهم فزعان
فقال الامير أعطيهم جباً علي يا كريم الدين فعندها قال له يا أخي كل يوم جباً
عليك فقال نعم أعطيهم ولا تخاف فقال في نفسه لعل يعطيني البرج الاول والثاني
ففرق عليهم ما عنده من الحلوات وكذلك الشرابات فانبسطوا أولاد الحسنية
وأخذوا حظهم بالكلية الى أن تضح النهار وكل منهم قد عزم على الفرار
هذا وكريم الدين ينظر اليهم ويتمتع من فعاظهم وقلبه يرجف من الامير بيبرس
لا يفعل معه مثل أمس هذا والامير بيبرس جلس برهة يسيرة وقال يا كريم الدين
قال له نعم قال له انثني بهذه الطاسة الكبيرة التي على هذا الرف فقال له سماً وطاعة
ثم ناولة الطاسة وقال له وهو مرعوب هذه ورث عن جدي أبو أبي وقد ظن
أنه يريد أخذ الطاسة فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام ضحك وزاد في الابتسام
وقد فهم ما مهند الغلام ثم مديده الى جيبه أخرج كيساً حريراً ومسكه بيده
وفتح فيه وقلبه في تلك الطاسة فامتلات الطاسة وكان فيه خمسمائة دينار ذهب
فلما رأى ذلك كريم الدين انذهل عقله وانسلب وقد تعجب من فعل الامير
غاية العجب وأخذه الانهار ولعبت سواعده والركب عند رؤياه لذلك الذهب
وقد ظن ان هذا منام وأضغاث أحلام وصار باهت لا يدرى معنى الكلام
فقال له الامير هل يكفيك هذا يا كريم الدين في بضاعة اليومين والا أزيدك دنائير
فقال له وهو مذهش هذا والله شيء كثير وما هذا الا فعل سلاطين وما هي
فعل عماليك لمثل نجم الدين فقال له الامير بيبرس خذ الدراهم وأعطيها لأبيك
لأنني سمعت عنه انه من علماء الاسلام وأهل الديانة والاحكام وأيضاً سمعت
انه فقير الحال فدعه يدعي لي على كل حال لانه دماء مقبول عند الملك المتعال
فاذهب الآن اليه وأعطيه هذا المال وها أنا قاعد لك ها هنا على الدكان حتى

تأني أنت من عند أبيك فهض كريم الدين وأخذ الدنانير وسار طالب أبيه
وهو فرحان بما أعطاه الأمير

قال الراوي فهذا ما كان منه وأما ما كان من أمر الشيخ يحيى الشماع فانه
مقيم في المكان عند زوجته فأخذتهم سنة من النوم فناما الاثنين فرأى كل
واحد منهما منام فلما انتبهوا قال الشيخ يحيى لزوجته أنا رأيت منام فقالت له
زوجته خير وسلام وأنا أيضاً رأيت منام فهل رأيت أنت مثل ما رأيت أنا
فقال لها لا ولكن أخبريني على منامك حتى أفسره لك فقالت رأيت بيتي هذا
كله نور وقد ظهرت فيه روائح حسنة زكية فيبينا أنا بذلك منبهجة اذا أقبلت
على شريفة سمراء عليها حلة خضراء وهي كأنها الشمس المضيئة الزاهرة متنقبة
بإزار أخضر وماسكة بيدها الشمال ولدي ويدها اليمنى ولد آخر فتأملته
واذا به كأنه البدر ليلة تمامه ورأيت بجبهته سبعة نقط سود وبين حواجبه شعرة
من الاسد والى جانب الشعرة سبع من اللحم يظهر اذا غضب ويذول اذا لم يغضب
فقلت لها وقد غشاني نورها يا مولائي من تكون أنت فقالت أنا كريمة الدارين
ها أنا أم الايادي الطايلات أنا غفيرة مصر من جميع الجهات من الآفات أنا
عمة الحسن والحسين من نسل سيد الكونين وهذا نسبي وحسبي فقلت لها
وأنا خجلة نعم الحسب ونعم النسب ولكن من هذا الغلام الذي في يدك اليمنى
فقلت اعلمي يا أم كريم الدين ان هذا محمود المكنى ببيرس وهو الذي تفتح
على يديه بلاد الكفار ومدائن أهل الاشرار وهو صاحب الفن والوقار وتكون
مصر في حكمه في غاية من الافتخار ويكتب اسمه على السواحل والاقطار
هذا الأمير ببيرس أبو الفتوحات والنصر ويسمى الظاهر وسوف يكون ملكا
وسلطان وتذل له رقاب الانس والجان وهذا ولدك كريم الدين يكون له بمدة
شأن وتكون له كلمة عالية وشأن عظيم من كل شأن وهو أخيه على ممر الليالي
والايام ويبقى بمدة له ذكر يذكر مادامت الشمس تظهر والقمر يسرج ويبتدر

فلما سمعت منها هذا الكلام فرحت وأقبلت اليها وقبلت يديها وقلت لها ادعي لي ولولدي وزوجي فقالت لي رفع الله عنكما ألم الفقر والفاقة ثم انصرفت عني فاستيقظت من منامي وأنا فارحة مسرورة فهذا منامي وما رأيته في ليلتي أحلامي قال فلما سمع الشيخ كلامها تبسم في وجهها وقال لها وحق خالقنا وهما ومحيينا ومميتنا هذا المنام الذي رأيته أنا وهو يدل على كل خير وكل سرور وهنا وهذا منام صحيح لأن قول السيدة صادق ولم يكن مفارق ففرحت بذلك الفرح العظيم ونال الشيخ بذلك سروراً عظيماً فبينما هو كذلك واذا بالباب يدق دقاً خفيفاً فدنا الشيخ من الطافة ينظر ما بالخبر واذا هو بولده كريم الدين وقد أقبل فظن الشيخ أن المملوك قد أتى إليه فقال له يا كريم الدين إن كان جاءك المملوك الذي أتى إليك البارحة فأنا أحضر العصا وأنزل إليه مملك فقال له يا أبي افتح الباب حتى أقول لك ففتح له الباب فدخل كريم الدين وهو في حال وتقدم إلى أبيه بما معه من الذهب وقال لأبيه انظر يا أبي إلى هذا فاندھش الشيخ يحيى وارتعدت فرائسه وقال له من أين لك هذا الذهب الكثير الأحمر الملتهب هل رأيت كنز ظهر لك في الدكان فقال لا يا أبي ولكن أعلم أن هذا الذهب اعطاني إياه المملوك فلما سمع ذلك قال له يا ولدي أنا رجل طالب علم وأخاف من الله تعالى أن أنا أخذت هذا الذهب فهو حرام لأنني أعلم أن هذا المال مال الوزير نعيم الدين وأن هذا المملوك قد سرقه وما هذه عطية بمالك ولا عطية صمالك وإنما هي عطية ملوك وسلاطين فقال له يا أبي لو كان سارقه ما كان يضعه في الطاسة ويسكبه فيها من غير مخافة فقال له يا ولدي لا تطيل الكلام فلا بد أن الوزير يدور على ماله ويقرر عليه الممالك فيخبروه بذلك وربما أن الناس يقولوا أنه ما يقعد إلا في دكان كريم الدين فإذا علم الوزير بذلك فيطردونا من الدكان وربما يقطعوا رأسي على بابها ويصلبوك على أعلاها فاذهب يا ولدي إليه وسلمه المال ولا يأخذك في ذلك طمع قللة أدب فرجع كريم الدين

بالدنانير فهذا ما كان من الشيخ يحيى الشماع وأما ما كان من الامير بيرس فانه
 جلس على الدكان ينتظر كريم الدين فغاب عليه وما عاد فقلق قلقا شديدا ولما
 أخذه القلق وزاد به ترك الدكان وذهب الى البيت وصعد الى المقعد وأخذ كيساً
 آخر من الذهب وكان فيه الف دينار وعلق الصندوق ونزل الى الدكان وجلس
 عليها واذا بكريم الدين مقبل الى الدكان فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له ياسيدي
 خذ الدنانير التي أعطيتني اياها واكفي شرها وشرهمها واذاها فقال له الامير
 ولاى شيء ذلك فقال لان أبى ما ارتضى بذلك وقد أمرني أن أرددهم اليك
 وما هو مقبل خلفى وظن انك قد نسيتهم عندي فقال له الامير اعلم يا كريم الدين
 ان هذه منى اليك عطية كريم لا يرد في عطاه فسير بنا الى أبيك حتى اعلمه بذلك
 فقال سمعاً وطاعة فبينما هم كذلك واذا بالشيخ يحيى الشماع مقبل وهو يوحد
 الملك الاول ويكثر من الصلاة على النبي المفضل فلما أشرف على الدكان ابداهم
 بالسلام (قال) فنهض اليه وقبل الامير يده وكذلك ابنه ثم اجلساه الى جانبهم
 فلما استقر بهم الجلوس قال له ياسيدي الغلام اعطاك الامانة فقال له ياسيدي
 هذه عطية وصرا الاسم الاعظم ما انا سارقه ولا ناهبه ولا هو من مال احد
 من الناس ولا يخطر ببالك انه من مال نجم الدين وانما هو من مالى وصلب حالى
 لاني لست بمملوك الا لملك المملوك الحاكم على كل غنى وصعلوك واعلم اننى انا
 محمود بيرس بن السيدة فاطمة الافواسية فلا يخطر ببالك شيء آخر نخذ المال
 وتوكل على الملك المتعال وكل من سألك عن شيء اخبره بأنك اخذت منى المال
 والنوال قال فلما سمع الشيخ يحيى ذلك الكلام اطمأن قلبه وعلم ان هذا ماله
 ففرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد فقال له يا ولدي اجلس واستريح حتى أبشرك
 ببشارة مليحة وأنا أسأل الله العظيم ونبيه الكريم ان يبلغك ما أنت طالبه
 بحق النبي وأصحابه ويعطيك العز والشان على عمر الليالي والايام ولا بد أن
 تكون ملكاً وسلطاناً وسيد ملوك الزمان لاني أنا وزوجتى رأينا لك منا ما

ومثل ما رأيت أنا رأيت زوجتي ثم حدثه بالمنام من أوله الى آخره وقال له قد علمت انك صاحب هذه العلامة لان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وان الاشارات لا تخفى على بصير قال فلما سمع الامير يبهرس ذلك الكلام من الشيخ تبسم ضاحكا في وجهه وقبل يده ورأسه وقال له هذا يكون ان شاء الله تعالى ببركة دعائك يا والدي فقال له اعلم اني أريد أن تكون أنت اخوا ولدي بمقام عهد الله وأنا اكون والدكما فقال افعل ما تريد فنحن لك من جملة المبيد

قال الراوى ثم أن الجميع جددوا الوضوء وصلى كل واحد منهم ركعتين لله تعالى وأوثقوا المهد على ما يرضى الله تعالى ثم أن الشيخ غلق الدكان وأخذ الاثنين الى منزله فأقبلت أم الغلام وبشرت الامير بالمنام وتعاهدت معه وصارت أمه وأم كريم الدين فقال لها يا أمي تمنى على وعلى الله تعالى فقالت له تمنيت على الله وعليك وعلى جانبك السعيد أنه اذا أعطاك الله تعالى وصرت ملكا وسلطانا يكون ولدي كريم الدين أخوك هو القاضي بالديوان واذا توفيت تبني لي مسجدا عظيما وتدفعني فيه وتبقي تزورني في كل شهر أربعة مرات وهذه تمنيتي عليك فقال لها الامير سمعا وطاعة ثم انه مد يده الى جيبه وأخرج الكيس الذهب وناولها اياه وقال للشيخ خذ هذه الف محبوب وابني الدكان ووسمها واعمل فيها رفوف ودكك ثم اضربها بالبياض وزوقها بالحمرة والبيداج وافرشها بالفراشات الفاخرات المشتمة والحلاوات الفاخرة وما من أحد باس ولا خوف ما دمت أنا بقيد الحياة لان الوزير نجم الدين هو زوج خالتي وأنا قد أتيت معه من الشام ومعى الاموال الكثيرة والانعام الغزيرة وانني لا أحد يحكم على (قال الراوى) ثم عزم الامير يبهرس على القيام فقبل يد الشيخ وسأله أن يدعو له فقال له يا ولدي جعلك الله سعيد الدارين ويجعل في وجهك القبول بجاه الحسن والحسين فامن الامير يبهرس على دعائه وسار الى بيت الوزير نجم الدين البندقدارى

قال الراوى فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر الشيخ يحيى
الشماع فانه بات وأصبح وصلى وسلم على من له الورد فتح وسار الى البنائين
والمهندسين وأمرهم بهدم الدكان وعمارها ودفع اليهم ثمن ما يحتاجون اليه
من آلات الصنایع وأدوات الاشغال والعمارات فالتقعد وجه الدكان وانتقش
بالالوان وعملت فيه الدكك والرفوف من خشب الزان الملون بسائر الالوان
وقد أمرهم الامير أن يعملوا مقعدا على من داخل الدكان فتمت العمارة ونقل
اليها كل ما كانت تحتاج اليه من البضاعة وغير ذلك ثم فرشت وجعل فيها
المساند والوسائد وصارت كأنها العروس اذا انجلت وهرعت اليها الناس وأقبلت
وجلس فيها كريم الدين والشيخ يحيى الشماع وصارت الناس تقبل اليه بغیر
امتناع وأقبل الامير بيبرس وسلم فردوا عليه السلام وأجلسوه في محل
الاکرام وما استقر به الجلوس حتى أقبلت أولاد الحسينية وصبحوا عليه
بالكلية وصبح عليهم وترحب بهم وأشار الى كريم الدين وقال أعطيتهم جبا
علي يا خويا ففرق عليهم الحلوات والشرابات وانصرفوا الى حال سبيلهم
وجعل بيبرس يتأمل الى الدكان فاعجبه فخرج كيسا من الذهب وناول له الشيخ
وقال له خذ هذه الدنانير وابني بيتك وصلح شأنه فشكره الشيخ على ذلك
وشرع في عمارة البيت وتم له السرور والافراح وصار الامير بيبرس يتردد
على الدكان ويأتى اليه الرفاق والاخوان وقد صار له جيشا عظيما من أولاد
الحسينية وهم حوالیه في كل يوم بالكلية وقد مضت على ذلك الايام وهو
على ذلك المرام مدة من الزمان الى أن كان يوم من الايام والامير جالس في
الدكان واذا بضجة كبيرة مقبلة فقال الشيخ يحيى ما الخبر فقالوا له هذا اخوة
الوشاقية فقال الشيخ يحيى الشماع قم يا ولدي خذ أخاك كريم الدين وادخلوا
الى داخل الدكان واصعدوا الى المقعد وأغلقوه عليكم حتى يمضي هذا الرجل
لانه رجل فاسق من أهل الفساد وكل من اجتمع عليه فهو مثله يلوطون

بالاولاد ويفسدون بالبنات ولا يبالون من أحكام ولا محاكمات ولا يخافون
 من رب الارض والسموات فقال الامير بيبرس يا أبني وما لنا نحن به دعه
 يعضى الى حال سبيله ونحن في حالنا وما لنا به علاقة فقال له يا ولدي هو رجل
 سفیه وربما ينظر اليكم ويقبض على أحدكم فلا يمنعكم منه مانع ولا يدفعه عن
 أخذكم دافع فلا تصدع قلبي واسمع قولي فقال له اعلم اني لم انتقل من مكاني
 ولا اقوم ولا سبيل اليه وما له سبيل علي لان كل انسان في حاله تمامه اعتدل
 وخرج الى خارج الدكان والشيخ ينهاء عن ذلك وهو لا ينتهي فينهاه وكذلك
 واذا بالاغوات الوشاقية قد اقبلوا ومقدمهم اغا يقال له ورشقون الوشاقى
 قدامهم وهو كأنه البعير المسأج وهو قابض بيده على غلام صغير من أولاد
 الاشراف والغلام يصيح في يده وهو يقول يا أولاد مصر يا أهل الشجاعة
 والنخوة يا أهل المروءة والفتوة أنا شريف من نسل السادات الاشراف أنسب
 للحسين وطه صاحب الانصاف فاغيثوني من يد هذا الرجل حجب البقيرى
 والاسراف من قبل أن يسقيني كأس التلاف هذا والناس مجتمعون من حوله
 وهم يتفرجون عليه ولا فيهم من يمن عليه فاقبل اليه رجل كبير اختيار صاحب
 هبة ووقار وشق الناس ودنا من الغلام حتى صار قريبا منه وقد أخذته
 الرحمة والشفقة عليه لكنه لا يقدر أن يتكلم مع هذا الظالم الغاشم فلما دنا
 من الغلام قال له اذا انت حصلت دكان الشيخ يحبى الشماع فعيط بملو صوتك
 وقل انا في جيرتك يا امير بيبرس وانت ترى المعجب ثم انصرف الرجل الى
 حال سبيله (يا ساده) وقد اقبل الغلام مع هذه الاغوات اللثام حتى وصل
 الى دكان الشيخ يحبى الشماع وقد تألم مما هو فيه من الافتضاح والاجواع
 فنادى وقال يا اهل الاسلام يا اصحاب المروآت والاكرام انا رجل شريف
 من نسل سيد الانام وقد اخذني هذا المبد ابن اللثام يزيد ان يفعل بي فعال
 الاندال والاعدام فهل يكون لي منكم مجيرا ومحمى او نصيرا (يا ساده) فهو

يتكلم بهذا الكلام والعبد يلطمه على رأسه حتى كاد ان يسقيه شراب الحمام
فصاح الغلام انا في جيرتك يا امير بيبرس فعند ذلك نزل الامير بيبرس من
اعلا الدكان وتقدم الى تلك الغلمان وقال للوشاقي اكرم هذا الغلام كرامة لجده
سيد الانام فقال وما لك انت بهذه الاحكام يا قليل الادب والاحتشام فنحن
لا نعرف حرمة ولا ندعي زمام ولا نعرف سيد الانام وليس لنا حقيقة في
الاسلام فقال له الامير وقد تعجب من هذه الاقوال اكرموه لاجل سيدكم
الملك الصالح ملك الاسلام وسلطان الانام فقال له الوشاقي امض الى حال
سبيك الآن والا وحق لهبات النور والفلك الذي يدور اقرناك أنت الآخر
معه وجملناك مثله فلا كنت ولا كان ولا عمرت بمنلك أو طان يا نسل الحرام
فلما سمع الامير بيبرس ذلك امتزج بالفضب وقد قوى عليه الكلام ومنه قد
هام واستهام وظهر في وجهه سبع جذريات على جبهته من الطارقة اليمن الى
الطارقة الشمال وعبس وجهه وعلاه الاصفرار وأخذته الحمية والنخوة العربية
وظهر له سبع من اللحم بين عينيه وشعرة من الاسد بين حاجبيه ورقصت
شواربه وارتمدت فرائصه ومناكبه وقد جرد اللث الدمشقي وضرب به
رشقون على رأسه فتخلخلت أضراسه ومال الى الارض وقد اختلط طوله في
العرض وخلص الامير الغلام من يده وقد انطبقت الامم وشاع الخبر بما صنع
القضا وحكم هذا وقد تبادرت الرجال الوشاقية يريدون القبض على الامير بالكلية
فصال فيهم وجندل منهم أربعة ذات اليمن وأربعة ذات الشمال وقد تجارت
باقي الرجال فلحق منهم اثنين فسقاهم شراب النكال وما زال من خلفهم بالث
الدمشقي وهم قدامه يتجارون وكل من لحقه الحقه باصحابه الى ان اوصلهم
الى باب الخلا هذا وهو قابض على الغلام بيده الشمال والث بيده اليمن واوлад
الحسينية خلفه وهم يقلعون آثار الوشاقية وما منهم الا من له سكين أو
أو نبوت ومن لم يكن معه شيء من ذلك اصطنع رجم الطوب

(قال الراوى) ولما وصلوا باقى الوشاقية الى المخلوات وتعرفوا الى القلوات التفت الامير بيبرس الى القلام وقال له امضى الى أبوك واعلمه بهذه الاحكام ودعه يجمع الاشراف ويطلع بهم الى الديوان فقال له السمع والطاعة وقبل يد الامير بيبرس وسار من تلك الساعة

(قال الراوى) فهذا ما كان من أمره هؤلاء وأما ما كان من أولاء الحسينية فانهم قالوا للامير لا تخاف فارواحنا لك القدا ولا بك العدا ونحن كلنا شاهدون وان أنت انكرت القتل كنا معك على ذلك مساعدين فقال لهم يا اخواني الحق أولى أن يتبع فقالوا له سر بنا الآن الى القاضى الذى بالحسنية حتى تدبر على قدر ما نراه ونشهد بما رأيناه ثم أنهم ساروا الى أن وصلوا الى القاضى وقد اعرضوا عليه القصة من أولها الى آخرها وكشفوا له عن ظاهرها وباطنها وما فعل الاغا بالشريف وكيف تكلم بهذا الكلام المنيف فثبت عند القاضى فسقه وعدم اسلامه وحفته فكتب لهم بذلك حجة ونزل فيها الشهادة التى شهدوها والامور التى ذكروها فاخذها الامير ووضعها معه ورجع وجلس على الدكان وقد خاف الشيخ بجي الشماع عاقبة هذا الامر والشأن

(قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الوشاقية فانهم اخذوا قتلهم فى الاخشاب وساروا طالبين الديوان والملك الصالح نجم الدين أيوب ولى الله المجذوب ملك الاسلام فهذا ما كان منهم وأما ما كان من أمر الملك الصالح أيوب ولى الله المجذوب فانه بات وأصبح مثلك يعلى على ممن له الورد فتح ظهر جلس على التخت وأحدثت حوله أرباب الدلة وارباب الاحكام وقد قرأ المقرئ وختم رقى الراقى وختم دعا الداعي وختم وصاح جاويش الديوان وهو يقول

الله يرضى حين تسأله الرضا وابن آدم حين تسأله يفضب

فلا تسألن من ابن آدم حاجة واسئل الذي أبوابه لا تحجب
فكم من سائل يعطى بغير تكره خير الاله عطاء المتأهب
وكم بمحرم من بعد السلام تكره اذا سأل شخصا ابامتعجب
(قال الراوى) فقال الملك آمنا سبحانه مالك الممالك سبحانه النجى من
الشدائد والمهلك يا حاج شاهين الله الله قرب الاشياء يا قريب يا مجيب هذا
النهار طالعه سعيد فقال الوزير اللهم اكفينا شر هذا النهار يا عالم السرو والجهار
لان الوزير قد علم من السلطان ذلك وانه اذا قال هذه الالتفاظ يعلم الوزير
بانه طالع للديوان قاتل فبينما الملك على مثل ذلك واذا بالوشاقية طالعين عليه
وهم يقولون الله ينصر السلطان ويديم له العز والشأن فقال الملك ما الخبر فقالوا
تعيش رأس مولانا السلطان فى اغه الوشاقية ورجاله فقال الملك يا حى يا دايـم
يا معبود يا حق يا علام الغيوب ومن قتل هؤلاء القتلـى قالوا يا مولانا قتلهم
مملوك يقال له بيبرس من مماليك الوزير نعيم الدين البندقداري فقال الملك
ولاى شىء قتلهم فقالوا يا مولانا السلطان كان كبير الاغا قد قبض على ابن
نقيب الاشراف السيد على بن السيد محمد النقيب وقد استغاث بهذا المملوك
قاغاته وفعل بنا هذه الفعـال بعد ان قتله وخلص من يده الغلام الشريف فعند
ذلك صاح الملك الصالح يـاى يـاى هذا الغلام المقصوف العمر الا يا كل الهريسة
بالسمن البقرى لباس القفطان الاحمر المزوق يقتل اغات الوقاشيه ويفعل بـرجاله
هذه الفعـال الردية ويحرق ناموس الملك ويفعل فعـال أهل الشرك فلا كان
ولا استكان ولا عمرت بمثله أوطان (ياسادة) فعند ذلك تحرك القاضى من
مكانه وهز ديدبانه وقض اكمـامه وقعد وقام وتطور واستهام ونفض الاكـام
وجنح الطيلسان وأدام له العز والشأن وقال يا مولانا انكلم الكلمة الحسنة
التى لا فيها من شىء قط فقال الملك تكلم يا قاضى الله اعلم بحقيقة الحال وهو
الذى لا يخفى عليه حال من الاحوال فقال القاضى القاتل يقتل بوجه الشرع

يا مولانا السلطان هذا يقتل قتلة شنيعة وان كان قتله يعظم على مولانا السلطان
 أمير المؤمنين وامام الدين أنا امده من مالى وصلب حالى وزكاة عن قلبي
 وعبة في دين الاسلام والمسلمين بخمسين جواد وخمسين مملوك وخمسين كيس
 من المال وعليك يا وزير أيبك بمثلها فقال أيبك في نفسه انا مالى يا قاضى
 فقال له امضى فذلك لك القرار الحكيم وهذا شيء اعرفه انا من قديم فقال
 الملك مثلك يا قاضى من يحامى على الاسلام وينفق الدراهم حبا في اقامة
 الشريعة والاحكام ولكن احضروا لنا ما ذكرتموه وبين يدي اوضعه حتى
 ننظر ما يكون من أمر هذا الغلام وتقيم عليه الدلائل والبرهان قفى حاجل
 الحال احضروا ما ذكره بين يدي السلطان فقال الملك عشرة من الاكراد
 تنزل الى هذا الغلام ويأتوا به الى هذا المقام فنزلت الاكراد من الديوان الى
 الحسنة وقد رأوا يببرس جالسا على دكان الشيخ يحبى الشماع فسلموا عليه فرد
 عليهم السلام فقالوا له أنت الامير يببرس قال نعم قالوا عليك سمع وطاعة
 اجب السلطان فقد امرنا بحضورك الى بين يديه فقال لهم على العين والرأس
 ولكن أنا عارف بالمضمون ولا جرى من ذلك الامر المحتوم غير ان هذه
 الدعوي ما لها الا الشرع الشريف فارجعوا الآن الى من ارسلكم وقولوا له
 ارسل اليه نايبا من طرف الشرع فانه لم يحضر معنا فقالوا له سمعا وطاعة
 ورجعوا من قدامه خوفا من أن يبطش بهم لانهم رأوا الشجاعة لها دلائل
 ظاهرة عليه فرجعوا الى الديوان واعلموا السلطان بما جرى من الامر والشأن
 فقال الملك كيف يعصى هذا الغلام أمر السلطان ويتكلم بهذا الكلام فقال له
 الشيخ العزيز غقب السلام الحق له يا أمير المؤمنين واننا نقول انه متمسك من
 شريعة سيد المرسلين اويدرى الحق واليقين وقد امتثل أمر الشرع وطلبه
 بنفسه فلا لك عليه من سبيل لانه لو كان له عليك دعوة وطلبك الى الشرع
 بها فما لك أنت المخالفة وعلى ذلك انه ليس بعاصي فقال الملك اكتبوا له

تذكرة وأمره فيها بالحضور فكتب الشيخ العزيز عبد السلام تذكرة يقول فيها بسم الله الرحمن الرحيم خطابا من قاضي قضات الاسلام التي بين ايادي بيبرس الهمام المقصود حضورك صحبة نائب الشرع والاحكام حتى تقوم عليك الحقوق الشرعية وتنظر ما يكون من أمر هذه القضية والحذر من المخالفة ثم الحذر والسلام وختمه الشيخ بختمه وناولها لنائب من نوابه وقال له امض الى باب دكان الشيخ الشجاع نجم الغلام اعطيه التذكرة بعمل بما فيها فقال سمعا وطاعة ونزل من الديوان وسار الى ان اقبل على الامير بيبرس وتأمله فاخذته الرجفة والانزعاج فجعل التذكرة في رأسه ورجع الى اللجاج ودنى من الامير وقال السلام على هذا السيد الخطير فرد عليه السلام وقال له ما تريد يا هذا فقال له اريد ان تدلني على باب الخلا فقال له ها هونا فذه من جهتين فاذهب من أي مكان اردت الى حال سبيلك فتركة النائب ومضى قدور ساعة وعاد اليه وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال له الامير وعليك السلام ما الذي تريد فقال اريد سلامك فاني ذهبت الى بعض اشغال كنت أريدها وقضيت الحاجة ورجعت أريد الرواح فقال له سر على بركة الله تعالى فسار قليلا ورجع وسلم عليه فرد السلام عليه فقال له يا سيدي أنا رجل جاني ومضى هذا الوصل وقد نسيت اسم صاحبه فاقرأ لي اياه لاني لم أعرف الخط ولا القراءة فقال له سمعا وطاعة ثم اخذ التذكرة منه وحلها واذا بها من الشرع الشريف وفيها ما تقدم ذكره فلما قرأها الامير بيبرس صاح على النائب وكان لما ناوله التذكرة تأخر الى بعيد فقال له لا تخاف وعليك مني الامان فسير الآن امامي وأنا خلفك وعلى أترك فساروا الاثنين الى أن أقبلوا الى الديوان فتقدم الامير بيبرس وخدم وترجم وأحسن ما به تكلم ودعا السلطان بدوام المزوال بقاء وازالة البؤوس والشقاء وجعل يمدح بهذه الايات صلو على صاحب المعجزات

سلامى على هذا المقام وما حوى
 يطبق الارض بالعنبر الذى
 يعم أمير المؤمنين وجنده
 سلام محب قد أتى نحو أرضكم
 يدوم أمير المؤمنين وجنوده
 ووالله انى لا يذبنا بكم
 فكم لكم مكارم مع عطفا
 فانتم حما الاسلام من نسل أحمد
 فخذوا بيد مريد قد أتى لحماكم
 وطار عليكم ان يضام زيلكم
 سلام جزيل يفوق المسك المعطر
 تغلوا به الأمان سفرا وخضرا
 كذا أمة الاسلام سرا وجهرا
 يطلب الاحسان كما تطلب الفقرا
 مادامت الاقطار والقبه الخضرا
 وقد أتيت حماكم طالبا النصرا
 وكم لكم مجد وكم لكم ذكرا
 زادكم الله فخرا على فخرا
 وقد استغاث بكم من كل ذي شرا
 ويقصد من الذكر شاع واشتهرا

قال الراوى فلما فرغ الامير من انشاده وما قاله من مقاله ونظامه صاح
 الملك الصالح بسم الله ماشاء الله اظهر يا ظاهروا قصد حماكم وما عليك منهم ومن
 اسمائهم لا بد ان اليوم يخفض اسمائهم ويدثر ذكراهم تعالى يا ولدي يا محمود
 يا بيبرس يا عجمي يا دمشقي يا ابن القان شاه حمك يا ابن السيدة أنت اسمك
 ايش فقال له وقد تمجبت ياسيدي اسمي بيبرس فقال له اسمك الاصلى هذا
 أم لك غيره فقال له اسمي الاصلى محمود فتنهد القاضي وقد اغتاض منه وعرف
 انه هو صاحب الاشارة من أى البلاد انت فقال انا من أرض الشام فقال له
 هل كان مولودك بها أم لا فقال له لا وانما مولودى بارض المعجم فكبرت بلوة
 القاضي وقال له من أى بلاد في المعجم فقال له من خوارزم المعجم فقال له من
 أي مدينة فقال له من مدينة المشرق والديون فكاد القاضي أن تنعطر مرارته
 وقال له ما اسم أهلك فقال له القان شاه حمك وأمي السيدة ايقنم ذكر له باقى
 الحسب والنسب وقد زادت بلوة القاضي والكرب وقال في نفسه هذا وحق
 المسيح هو النسب الصحيح

قال الراوى فقال الملك يا حاج شاهين الناس عرفت بعضها والعجبين اجتمعت مع بعضهم ثم قال الملك لاي شيء قتلت هؤلاء الاغوات فقال يا امير المؤمنين نعم انا الذى قتلتهم بيدي ولكن هم الذين بنوا وتمسكوا على فقال القاضى ثبت عليك القتل لا فرارك بلسانك ولا عذر لمن أقر فقال الملك تأن يا قاضى الى أن يظهر الحق فقال القاضى الآن ظهر الحق وبان وشهد كل انسان وقد أقر على القتل فقال الملك اخرص يا قاضى قصف الله عمرك ولا بلغت أملك لانك رجل فضولى ثم أن الملك التفت الى الامير وقال له أخبرنى عن السبب فقالوا له يا امير المؤمنين اقرأ هذه الحجة فأخدمه الوزير الحجة وقرأها وعرف معناها وقد رأى فيها ما فعله الاغا الوشاقى بشهادة الناس فمرضها على العلماء فقالت العلماء يا امير المؤمنين لا يجب على الاغا القتل بقبضه على ذلك الغلام لانه ربما رآه مرتكباً كبيرة فأخذه بها ومن خوف الغلام استغاث بهذا الامير المهم فقال القاضى هذا يقتل قتلة شنيعة

قال الراوى فقال الملك يا قريب يا محيب قرب البعيد حتى يكون قريب ثم صاح ابن الرجال الوحيد به عوجة يملص أذان هذا الغلام فأراد السيف ان يثور من مكانه واذا بنقيب الاشراف طالماً الى الديوان وصحبته كامل الاشراف والاخوان ومعه اولاد الطرق بأثرها حتى احتفل بهم الديوان وعلى اكتافهم البيارق الاسلامية مكتوب عليها اسم رب البرية وصاحب الهمة الهاشمية فلما صاروا في الديوان قامت لهم كامل الرجال والوزراء والسلطان فقال لهم الملك الصالح ما الخبر يا ساداتنا الاشراف فقالوا له الآن نريد منك هذه السجادة لانها متاع جددنا المصطفى وليس تليق الى مثلك وانك لم تصلح لها لانك رجل على غير الطريق الحميد وتعمل برأىيك كلما تريد فانزل عن هذه الرتبة ونحن نولى ما نريد فقال الملك ولقد انزعج من فعاظم ولم يقدر يراجمهم فى افعاظم ياسادات الاشراف لاي شيء هذا الخلاف فقالوا له كيف تتخدم الرجال القواجر

الذين ليس لهم دين ولا يعرفون شيئاً من اليقين وتقرّبهم اليك وتلبسهم أغوات
وشاقيّه وتميّنهم على الفساد والتسلاف ونحن نكتبك فيك مكاتبة الى خليفة
بغداد فيرسل لنا غيرك من العباد والاجناد لانك قد فسدت الارض المصرية
التي ذكرها رب الانام في القرآن اربعة عشر مرة وما تريد الامور المضرة
فعند ذلك نهض الملك والوزراء واجلسوا الاشراف واخذوا بخاطرهم وقال
لهم خوذونا فالحق عندنا وما لنا الا رضاكم والذي تريده وما تعملوا شيئاً
بغير اختياركم ثم اجلسوهم وحضرت الشرابات ورافقت الاشراف من الاقوال
وقالوا والله العظيم ما حمانا وحى عرضنا الا هذا الغلام فقد زاده الله عزاءوا كراما
فهو الذي ستر خرقنا بين الانام فقال لهم الملك وانتم شهدتم فيه بالدين
والصلاح فقالوا وحق الملك الفتاح وقد جرى من الامر ما هو كذا وكذا وقصوا
عليه القصة من اولها الى آخرها والعلماء يسمعون ذلك فقال الملك ماذا انتم
قائلون فيما سمعتموه يا علماء الاسلام والمسلمين فقالوا له قد ثبتت براءة هذا
الغلام فان هؤلاء كانوا مؤذنين لكل الانام والمؤذى طبعاً يقتل شرعاً وما له
من دية فقال الملك من الآن الوشاقية معزولون وما يلبس آفة وشاقية الا هذا
الغلام الذي صار فيه حمية لدين الاسلام فالبسه يا حاج شاهين يكون آغه وشاقية
فالبسه الوزير القفطان وقال له اوليتك الاغويه ثم أمر الملك بالقتل ان يذفنوهم
وجميع مالهم للامير بيبرس فامتنلوا امر السلطان واحتوي الامير على مالهم
من الاموال ثم التفت الملك الى القاضي وقال له يا قاضي الاسلام هذا الاستفتاح
مبارك وحق الملك العلام ولكن انت عملت الخيول والغلمان والدنانير على
قتل بيبرس من غير اثبات أم على اظهار الحق من الباطن فقال يا مولاي على
اظهار الحق فقال الملك الآن الحق ظهر وبان وهذه الدراهم لمن بقوا
الآن فقال القاضي لمن هوفى رنته سلطان فقال الملك وهم هبة منى الى الامير
بيبرس عطاء كريم لا يرد في عطائه انزل يا سيدي بيبرس الله يهلك ضدك ويقيم

سمعك ويصرك على كل من عاداك قول امين يا قاضي فقال القاضي امين البس
يا بيبرس اغه وشافيه وعليك بتقوى الله في السر والعلانية فقال بيبرس سمعاً
وطاعة هذا وقد دعوا له الاشراف وأوصوه بالعدل والانصاف وبعد ذلك
نزل الامير بيبرس وقد انمقد له موكب ملكي عظيم وتسلم المال ونزل من
الديوان قاصد بيت الوشاقية

(قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الاشراف
فانهم تصافحوا مع السلطان ونزلوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم
وراق الديوان وكان القاضي قد التجم بلجام فقال الملك يا نجم الدين أنا سألتك
عن الطير فذكرت لي انك ما أتيت به والآن قد ظهر وبان الطير عندك فقال
الامير نجم الدين وحق رأسك ما أتيت بطيور يا امير المؤمنين أبداً فقال الملك
هذا الطير لا أحد له فيه شيء ولكن ياسيدي نجم الدين هذا الغلام مملوك
والا حر فقال له هو حر يا مولاي وهو ابن اخت زوجتي فقال الملك الله
تعالى يأخذ بيده ثم ان الملك نفض المنديل تحولت الرجال ونزل القاضي من
الديوان وصاح يا منصور ذهبت الدراهم والفلس ورجعت انا مكموس وفي
هذه القضية متموس فقال له منصور اشكر المسيح وانه قد سلط عليك هذا
الغلام وسوف يأخذ منك المال أول بأول حتى ما يبقى عندك شيء من الحطام
فقال له لا بشرك المسيح بخير ولا باحسان فهذا ما كان منهم

(قال الراوي) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه نزل كما ذكرنا وأقبل
الى بيت الوشاقية واذا فيه مائة نفر وعليهم اثنان أكابر اختيارية علام
الصلاح بين عينيهم بالكلية فلما تحقق انهم على صلاح فألبس أحدهم آغة
وشاقية ثم ألبس الآخر أيضاً باشا بالبوايبة وجعل لكل واحد منهم دولة
خمين اسانا وانهم عليهم واعطاهم الخيرات وأوصاهم بالعدل والانصاف
وبرك الجور والاسراف وبعد ذلك انصرف الى بيت الوزير نجم الدين

البندقدارى وجلس فيه واذا قد أقبل عليه الوزير نجم الدين وكان قدما من الديوان فقال له لاى شىء خرجت فى هذا النهار والبواب لم يملنى بخروجك فقال له خرجت وهو نائم ولم يعلم بخروجه وجلست على الدكان الذى بجانب البيت فجرى ماجرى وانا ما تلت غير احدى عشر من هؤلاء الطاعنين فقال له الوزير يا ولدى هل كان مرادك أن تقتل ناس كثير مثل مائة أو ألف فقال له نعم وحيات رأسك لولا هروبهم لقتلتهم عن آخرهم فان هؤلاء قوم ظالمون ولا يراقبون رب العالمين فقال له نجم الدين يا ولدى ارجع عن القتل من الآن فان قتل النفس لم يرضى به مولانا السلطان وأيضاً ان الله غيور على خلقه فلا أحد يعارضه فى حكمه بما أنه عالم بكل ما كان يا ولدى فاعقل وتب عن القتل من هذه الساعة فقال له بيبرس صمماً وطاعة ثم ان الوزير تركه وسار الى مكانه واستقام بيبرس من بعد ذلك فى أهنأ عيش الى أن كان يوم الجمعة والناس مجتمعة والنبي يتبسم فى وجه من يصلى عليه (ياساده) يا كرام فبينما بيبرس جالساً على دكان الشيخ يحبى الشماع واذا قد أقبل على الدكان جماعة من الرجال وهم حاملون بيارق فمعد اقبالهم على الدكان تقدم واحد منهم ووقف قدام الدكان وقرأ الفاتحة فاعطاهم الشيخ بحبي عشرة فضة فقال بيبرس للشيخ بحبي ما هؤلاء يا ولدى فقال له هؤلاء فقراء قاصدين زيارة الامام الشافعي فقال بيبرس والله انى أنا أريد زيارة الامام الشافعي لاجل عسى الله ان يقبل منى الزيارة ثم نهض من على الدكان وتبع الاشارة فتبعه الشيخ بحبي الشماع وولده كريم الدين والبعض من أولاد الحسنيه ولم يزوا سائرهم الى أن أقبلوا الى الرمي له فرأوا الطوايق منصوبة فتأمل بيبرس فرأى مصارعى يلعب ويقول انا أقت فى مصر والشام ولا احد يغلبنى ولا يلعب معى واستاهل القيامة أنا فقال الحاضرون تستاهل فمعد ذلك ترك بيبرس الاشارة واخرج

من جيبه منديل وربط على طرف المنديل محبوب ذهب وربط جديد على الثاني وربط على الطرف الثالث شوية تراب وربط على الطرف الرابع فارغ ثم حذف المنديل في وجه الباشوش فاخذ المنديل ثم صاح الحمد لله رب العالمين ظهر لك خصم يلعب معك يا قيم فقال مرحبا انده عليه ففك الطرف الاول واذا فيه محبوب فوضعه في فمه وقال هذا حق العيش ورزق العيال وفك الطرف الثاني فرأى جديد والثالث تراب والرابع فارغ فصاح وقال هذا خصم كريم صاحب عطا جسيم لكن صاحب حيلة وبأس صعب المراس فقال يحضر الي عندي فتقدم الامير يبيرس فتأمل ذلك القيم واذا به محمود المصارع الذي كان لاعبه في الشام

(قال الراوى) وكان السبب في محيى محمود المصارع الى مصر وهو انه لما كان لاعبه في الشام وهرب من بين يديه بعد ان غلبه في الشام كما قدمنا في الكلام فقال أنا ما بقت لى اقامة في الشام مادام فيها هذا الغلام وترك بلاد الشام وتوجه الى مصر لاجل أن يكون له الفخر والدكر الى القيامة مادام أن لا أحد قدر ان يقوم مقامه ولم يعلم ان الايام تدور ويحضر يبيرس ثانياً ويجرى ماهو على الجبين مقسود فلما تداولت الايام وحجى ماجرى وحضر الامير يبيرس وهو قاصد زيارة الامام الشافعى ونظر الى الملاعب ونزل اليه هذا كان السبب (قال الراوى) فلما رآه محمود قال له انا ما تركت لك الشام وجيت الى مصر فاتبعنى ولكن في هذا النهار يكون الانفصال فقال له يبيرس هو كما ذكرت ولكن كيف يكون الملعوب بينى وبينك فقال محمود بالرهان فقال يبيرس وأين الرهان حتى أراه فاخرج محمود المعجى دملج ذهب مقفوض وفيه سبعة جواهر فقال الرهان بيننا فان أنت غلبتني فهولك وان أنا غلبتك آخذ متاعى وأنت تشهد لى قدام الحاضرين انك عاجز حتى يبقى الفخر لى انا فقال له يبيرس رضيت بذلك لكن يا قيم اعلم ان باب الصراع من أبواب الحرب والقراع فربما

ان أحدنا يكون أحق على الآخر ان الحاقة لادواء لها كما قيل عنها

لكل داء دواء يستطب به الا الحاقة أعيت من يدارها

وأخاف اذا أحدنا أخذه الحق على الآخر فيفتاظ عليه خصمه هل ترى
القتل يكون بيننا ولم يحمل أحدنا سلاح فقال محمود اعلم يا غلام ان قتيل
الملاعيب لا يطالب به خصمه وبهذا تجري على كل قيم هذه الشروط فان هذا
الحكم من قديم الزمان مشروط ومربوط فقال بيبرس تريد قبل ذلك نكتب
على بعضنا حجج لاجل عدم المشاحة والمهرج فارسل محمود الباشوش وأحضر
له قاضي محكمة طيلون فلما حضر أعادوا عليه ماجرى وأمره الاثنين ان
يكتب لهم حجة على هذه الشروط كما ذكرنا بشهادة الحاضرين وكانوا ناس كثيرة
وقد سلموا الحجة الى الباشوش وكذلك جميع ملابسهم وما معهم وقالوا له كل
من قتل الآخر يأخذ منك جميع المتاع الذي للآخرين ولما خلع بيبرس لباسه
لبس الجلد والخلق ينظرونه ويدعون له بالنصر على خصمه هذا وقد لمب معه
سبعة ملاعب تمام وبيبرس يقاومه بعزم واهتمام

(قال الراوي) فلما رأى محمود فعال بيبرس اغتاظ عليه وقال ما بعد هذه
الاتقال وهذه الدوخة الا تلاعيب باب الخوخة فقال له بيبرس افعل كما تريد
وأنا عنك لأأحيد فعند ذلك فتح محمود المعجمي رجله قدر شبر بشبره وقال
لبيبرس توكلت على من نمحي يونس من بطن الحوت وهو الحي الذي لا يموت
وتأخر الى ورائه ثم انه انحدف كما تنحدف النبله من القوس فقات من بين
أنفاذ خصمه كالماء اذا اندفق أو الطير اذا انطلق فعند ذلك تمعجت الحاضرون
وبعده وقف بيبرس وفتح باب الخوخة حتى يفعل محمود كما فعل بيبرس فتأخر
محمود الى ورائه كما فعل بيبرس والحال ان بيبرس كان رقيق البدن وأما محمود
فانه كان غليظاً وقصده أن يرفع بيبرس على أكتافه ويرميه على رقبتة يقتله
وكان بيبرس حاسب هذا الحساب فلما ان دخل رأس محمود السارعي أطبق

بيبرس رجله وجعل رجله محكمين على وارديه وقرط عليه فأراد محمود
المسارعي ان يرفع بيبرس فوجده هو ولا رضى لا يتحرك هذا ولما رأى نفسه
تضايق على الخروج جاهد نفسه على الخروج ثانيا فافدر على ذلك ولما تمكنت
مسامير رجلين بيبرس في رقبته فما وجد له براح من زنته الا تسبب له مدافع
السلامة من ثقبته ودانت منيته فتركه بيبرس مرمي في مكانه وأخذ ما كان مع
الباشوش وهم المتاع والمفضض واقتتل حوائجه وفرحت جميع الناس الحاضرين
والمفرجين بذلك النصر المبين ولبس المفضض في ذراعه اليمين وقال هذا يكون
من نصيب المغسل الذي يفلسني وسار بعد ذلك الى الامام الشافعي وصلى
الجمعة وحمد الله تعالى ورجع الى مكان الوزير نجم الدين وجلس يأتي له كلام
اذا اتصلنا اليه نمحكي عليه العاشق في جمال النبي يكثر من الصلاة والسلام عليه
(قال الراوي) وأما الباشوش فانه احضر تابوت ووضع فيه المسارعي
وحمله الى الخاتونيه وسار طالب الديوان وكان الملك الصالح أصبح يقول
يا شاهين هذا نهار سعيد كل من له حق يأخذ حقه والظالم يقابل بما يستحقه
فهو كذلك واذا بالتابوت في باب الديوان فقال الملك من قتل هذا القتيل
فقال الباشوش قتله آفة الوشاقية فمئذ ذلك تنحج القاضي ونزحزح من مكانه
ونشر طيلسانه ومد لسانه وهز دبدبانه وقعد وقام وقال القاضي تحركوا
يا أجدادي يا عراقيون دستور اديم الله سعادة مولانا السلطان أأذن لي أن
أقول كلمة حسنة ليست بسيئة قط ام اصمط فقال الملك تكلم يا قاضي اعلم
يا مولانا ان هذا الفلام ما أتى من بلاد الاعجام الا لنفسه الاسلام ويستقل
بملكك والسلام وأنا قد أعلمتك فلا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وبعد ذلك يا أمير المؤمنين القاتل يقتل فاقتله جزاء بما فعل وان كان
يعظم على مولانا السلطان الحافظ الامام أنا أوضع من مالي وصلب حالي وزكاة
قلبي محبة في دين الاسلام خمسين كيس من الذهب كل كيس فيه ألف دينار

مسكوكا وعن خمسين مملوك فقال لاي شيء يا قاضي تدفع ذلك على قتل بيبرس
 أم على أي شيء فقال القاضي هذا على ثبوت الحق وأخفاء الباطل فقال السلطان
 اكتبوا عليه ما ذكر فكتبوه ثم قال السلطان يا نجم الدين احضري بيبرس حتى
 أجازيه بما يستحقه ويأخذ كل ذي حق حقه فنزل نجم الدين وقد رأى هذه
 دعوة قتل فتمعجب ولما وصل الى منزله فرأى بيبرس جالسا فلم عليه فرد عليه
 السلام فقال له انت عملت ايش في هذا النهار قال له قتلت واحدا من غير
 زيادة فقال له كنت اقتل خمسين والآن السلطان أرسلني بطلبك فأنا
 قمت ممي رحت انا الآخر معك وان مارضيت بالقيام عصيت أنا الآخر
 والسلام فقال بيبرس لاي شيء تسير معي وأنا طالع الى السلطان (ياساده)
 ثم انهم ساروا حتى اقبلوا الى الديوان فتقدم بيبرس وخدم وترجم وأفصح
 ما به تكلم ثم دعى للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والتقم فقال الملك
 الله الله يا حاج شاهين انظر الى هذا الولد من دون الاولاد اللهم عمره الارض
 والبلاد اللهم أهلك ضده اللهم أقم سمعه تعالى يا بيبرس انت قتلت هذا الرجل
 قال نعم يا أمير المؤمنين أنا قتلت فقال القاضي لا عذر لمن أقر القاتل يقتل ولا
 عذره فعند ذلك اخرج بيبرس الحجة المكتوبة له واعلم السلطان بما جرى
 من أول الامر الى آخره فقال الملك يا بيبرس هذا لا ينجيك أبدا كيف
 تكتب عليه حجة بالقتل وهو مؤمن فقال بيبرس هذا ليس مؤمنا وما هو
 الا كافر وأنا اعرفه سابقا يا أمير المؤمنين قال فلما سمع الملك ذلك الكلام
 قال يا قاضي اكشف لنا عليه وانظر ان كان صحيح كافر أو مؤمن فقال
 القاضي سمعا وطاعة ثم انه تقدم اليه وجسه بيده وقال أعوذ بالله من الشيطان
 الرجيم نصرانيا يا أمير المؤمنين وقيل مجوسيا والله ان بدني تقشع منه يا أمير
 المؤمنين فقال السلطان ما تقول في ذلك الامر يا قاضي انما هي نفس حرم
 الله قتلها الا بالحق ولا يحل قتل الكافر بغير ذنب فقال الملك أنا أعرف له

ذنب غير هذا فقم على حبلك وخذ الجزمة التي في رجل هذا اللعين ثم اخرج
 ما فيها فقام القاضي وأخرج الجزمة بعد أن قرضها بللقراض واذا فيها ورقة
 مكتوبة فيها اسماء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال القاضي اعوذ
 بالله من الشيطان الرجيم فقال السلطان ما رأيت يا قاضي قال يا أمير المؤمنين اسماء
 اصحاب رسول الله يكتب اسماءهم في الجزمة هذا اللعين فما جزاءه الا الحرق
 بالنار والتذرية في الهوى فقال له هذا جزاءه منك والذي ناله فعدنا منه وأرسل
 أحضر المال فقال سماع وطاعة يا أمير المؤمنين فقال له اسرع يا قاضي فقال كذلك تعالى
 يا حاج منصور قال له نعم قال له امضي الى حارة الروم واثبتني بالمال قال منصور لا بد
 لك أن تقدم المال والنوال ولاتنال نوال فقال السلطان تبع أستاذك يا منصور
 وامضي فاسر الا لمن قسم فاسر منصور وأحضر ما امره به استأذنه فلما
 حضر قال السلطان يا قاضي انت حضرت هذا المال لاجل قتل هذا الغلام
 والا لاظهار الحق ومنع الاثم فقال القاضي يا أمير المؤمنين هذا لاظهار الحق
 من الباطل فقال السلطان ان الحق قد ظهر وبان واشتهر واما الباطل قد
 خفي واندثر فقال القاضي هذا مقصودنا يا أمير المؤمنين فقال السلطان بقي
 هذا المال حق من فقال القاضي حق بيت مال المسلمين فقال السلطان ان بيت
 مال المسلمين في غناء عنه وموجود من يستحقه وهو أحق منه وهو يبرس
 وهو السبب في احضاره ولو ثبت عليه القتل كان قتل ومن حيث انه يرى
 عن الذنب ولا عليه جناية فأنا أوهبته ذلك المال يستعين به على الزمان لانه
 على كل حال مجتهد في اصلاح الاحوال لعله يكون على يده اذهب الضلال
 وهذا الامر لا يتم الا بأخذ هذه الاموال فخذ يا بريس هبة مني اليك جمل
 الله الخير على يديك والنصر مقرونا بين عينيك فتسلم بريس المال ونزل الى
 حاله ورمى في قلب القاضي حسرة من الهم الذي ناله فهذا ما كان منه (قال
 الراوي) وأما ما كان من الملك الصالح فانه التفت الى الوزير الاعظم الاغشاهين

الأقرم وقال يا شاهين أوضع يدك على جيب اللعين المقتول تحت حزامه وهات لي الصرة التي هي معه لأنها حقني من مال حلال فقام الاغاشاهين ووضع يده كما أمره السلطان وأخرج الصرة وقد تأملها وإذا هي الصرة التي كان أعطاها السلطان الى علي بن الوراق

(قال الراوي) فتمعجب الوزير غاية المعجب فقال له الملك الصالح لا تمنعجب هذه بضاعتنا ردت إلينا ثم أمر السلطان بحرق المقتول طبق كلام القاضي فقمعوا به كذلك قال وأما القاضي فإنه سكت حتى مضى النهار ونزل آخر النهار الى حارة الروم وهو مغتاط مماجري في ذلك النهار نخلع ما كان عليه من ملابس العلم وقلع الفرجية ولبس برئيطه ومسك التاسومه بيده وضرب بها الخدين وصاح وای وای يابرتش أروح فين من هذا مقصوف العمر فقال له البرتتش مور بنا الى بلاد الروم فإنها أحسن لنا من اقامتنا هنا ففري هذا الفعل المذموم فقال جوان وديني وما أعتقده من يقيني لا أسافر الا ان أخذت هذا المقصوف وأغربه في بلاد الكفار ولا أخليه يعمر بلاد المسلمين فقال له البرتتش افعل كما تقدر عليه من الحيل ولكن اتقن العمل

(قال الراوي) وأما ما كان من الوزير نجم الدين لما رأى بيبرس برياً من ذلك قال له يا ولدي انت ايش كان جمعك على هذا المعجمي فمره انه قاصد الامام فقال له لا أي شيء ماركبت فقال استكلفت أن أشد الحصان فعند ذلك احضر الوزير السياس الى بين يديه بحضرة بيبرس وهو جالس وسمع وقال لهم هذا بيبرس سيدكم فإنه ولدي وأعز ما عندي واذا كان يقصد الى أي محل يريد وطلب خيل يركب فلا تمنموه رأيي جواد طلبه اعطوه وكلما أمركم بشيء فلا تخالفوه فان شورته مثل شورتني وكلمته مثل كلمتي فقالوا الخدام جميعهم سمعاً وطاعة له ولك أدام الله عدلك (يا سادة) ولما مضى الوزير الى الديوان نزل بيبرس الى خوش المكان وصاح على السياس وكان الكبير عليهم اسمهم

عقيرب فأتى اليه وقال له نعم يا أمير قل ماتريد فقال له شد لي حصان أريد
أن أزور الأمام الشافعي وأصلي فيه هذا اليوم الجمعة فقال على الراس والمين
ولما مضى من عنده تذكر ان يببرس هذا قتل المرتد بالشام وان المرتد رأس
بيت السياس فقال عقيرب في نفسه لابد في هذا اليوم من أخذ الثار الجدي
المرتد منه الذي قتله هذا العلق بالشام ثم ان عقيرب أحضر السياس وأعلمهم
بما جرى وبما يريد وقال لهم مرادى أن آخذ بثار جدي فقالوا له افعل ماتريد
قال فعند ذلك أحضر الجواد الذي كان لسر جويل ووضعوا عليه العدة
وسقفوا اللجام وتقدم عقيرب الى السراعات وقد قطعها وخلهاها ماسكة على
شيء واهى لا ينفع ثم فتح الحلقات التي للركاب وحلق السرج ثم بعد ذلك قدم
الجواد الى يببرس هذا ويبرس لم يكن عنده علم بشيء من هذا قرب بعد
ما ذكر اسم الله تعالى وصار قاصد الامام من الخلا من برات البلد
(قال الراوى) فهذا ما كان منه وأما ما كان من عقيرب فانه أخبر مشايدده
بانه قتل يببرس ففرحوا واجتمعوا في الاسطبل وساروا يأكلون من الحنيش
والافيون وبرقصون وهم فارحين مسرورين بأخذهم تارهم من الامير يببرس
فهذا ما كان منهم

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع)

وأوله . ركوب يببرس الجواد وقفزه به وغيبه عن الوجود
وهو قابض على معرقة الجواد ومصادفة الوزير الاغا شاهين له

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيعة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاحوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء الرابع

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)

بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

مطبعة القايم بمرور قسم المطابع بمصر

لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الراوي وأما ما كان من الأمير بيبرس فانه لما ركب وخرج قاصدا لأمام الشافعي فأتى على الشيخ بمحي الشباع صبح عليه فرد عليه الصباح وقال له إلى أين يؤولدي فقال له أي أريد زيارة الإمام الشافعي ولكن قصدي أروح من الخلاف قال له الشيخ تروح من البلد لاجل أن أروح معك ثم نهض الاستاذ وركب معه وكل من كان جاضرا من أولاد الحسنية وساروا يتحدثون حتى وصلوا إلى باب القرافة وكان ذلك الجواد له زمانا وهو واقفا ولا أحد ركبه من حيث أتى به الأمير بيبرس من الشام هذا وقد هبت عليه نسائم الخلاء فلعب الجواد تحت بيبرس وأرادا الجريان فأراد بيبرس أن يأخذه مشوار فسه بالركاب فقفز به الجواد كأنه الريح العاصف فأراد بيبرس أن يقف في الركابات كما أن له بذلك عادات فوقعت الركابات من تحت الرجلين فتمطأ في السرج فانمط وكذلك اللجام من رأس الحصان فن مفهوميته قبض على معرفته فمع رج الجواد في الحزام ابطعت الشريحة وباقي القشاط وتزحلق السرج لعدم الرباط فتملق بيبرس باكتاف الجواد ودفع المده على ظهره برجليه إلى الأرض بقدر السراع (ياسادة) يا كرام ولما جري الجواد بيبرس أيس الأمير من

الحيات لان الجواد بقى عريان لاسرج له ولا لجام ووقعت حمامة يبرس فلم يلتفت اليها وكذلك الساعة والمنديل وكيس المصروف وهو لا يعقل على شيء من ذلك وقد عاب عن الوجود وماتت يده علي معرفة الجواد ورجليه في باطيه وهو طابق عليه ولم يزل يجري به الجواد الى ان دخل به بين البساتين قال الراوي ولاجل امر يريد الله من سلامة الامير يبرس ان ذلك المكان فيه بيت الوزير الاعظم وهو الاغا شاهين الافرم بن الدرويش عنان وبالتقاء والتقديران الوزير واقف على مسطبة لسبت ينظر الممالك وهم راكبون يتعلمون ابواب الحرب والذي يعلمهم الاغا حسن بن دغان والامير ايدمر البهلوان كان في تلك الساعة قدام حسن بن دغان يتعلم الجولان فلما عاين ذلك الاغا شاهين صاح عليهم حوشوا ذلك الجواد الفائر برا كبه فتجارت الممالك بالخيول وقد احتطوا به يمينا وشمالا ومانعوه من الجريان وكان الجواد من اصايل الخيل فوقف ولم يجفل فسكوه باليد وقدموه الى بين ايادي الوزير فتأمله وقال هذا اغا الوشاقية الامير يبرس فتقدموا الخدام وخلصوه من على الجواد فعند ذلك امر الوزير بدخوله الحمام وهو غائب عن الوجود كما ذكرنا فرشوا على وجهه الماء البارد فافاق على نفسه وكان الذي حمله وادخله الحمام ايدمر البهلوان وكان الحمام في بيت الوزير فلما افاق قال أشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم اين انا فقال له ايدمر انت هنا يا أخى فلما علم ان أخوه ايدمر أخذه بالحضن وسلم عليه سلام الاحباب فقال له يا أخى طيب نفساً وقر عيناً أنت من داخل حمام الوزير الاعظم الاغا شاهين فافرح والحمد لله على السلامة ثم انهم اخذوا حفظهم في الحمام فارسل الوزير الى يبرس بدلة من أنغر الملايس فلبس ذلك البدلة وخرج هو وايدمر الى بين ايادي الوزير فلما وصل الى عنده قام الوزير اليه وتلقاه واجلسه الى جانبته بعد ان سلم عليه فقبل الامير يبرس يده ووقف وأطرق برأسه الى الارض يمدح الوزير بهذه القصيدة

صلوا على ساكن طيبة صلى الله عليه وسلم

جزاك الله عنى كل خير كما انقذنى من سوء حال
وصرت على انعاما وفضلا ومعروف واحسان ومال
لان المهر غار ولست ادري مكايده العدا أهل الضلال
سكرت من الهوي سكر صحيح وانا طابق البنى والشمال
وعنف المهر في صدر حقيقا ولم اعلم بما هو قد جرال
ولولا انت كان المهر ساري وأرمانى على بعض الجبال
ادام الله عزك ومن وزير رقيع المجد محمود النعال
فمش في رفعة وعلو مجد وتؤمن من تعاريف الليال

قال الراوى فتبسم الوزير من الفاظ بيبرس وفصاحته وأمره بالجلوس
قامتنع وقال العفوى يا دولتى وزير فقال له اجلس باطول ما قبل انكك على
طول الزمان وهذا شئ محكمة العزيز العلام فقال العفوى يا وزير الزمان من
أين كنا حتى اتصلنا فقال له الوزير اجلس يا ولدى فانت صاحب المقال والله
تمالى قد سبب الاسباب وجمعنا ربنا من غير سبب ولا ميعاد ولكن اخبرنى
أنت كنت قاصد الى أى مكان حتى جرا لك من هذا الحصان ما جرى فقال له
كنت قاصد زيارة الامام الشافعى رضى الله عنه فقال له الوزير ان هذه
الالطاف التى حصلت لك من ركة الامام وقد نجييت من كيد اللثام ولكن
يا ولدى لك عندى بشارة قم ميمى حتى افرجك على ما يسر خاطرك

قال الراوى ثم ان الوزير أخذ الامير بيبرس وساروا بين ايديهم المماليك
والاغوات حتى أقبلوا الى قاعة فدخل الوزير وبيبرس وطرده المماليك والاغوات
وأغلق الباب ولم يعلم بيبرس بهذه الاسباب ولم يزل به حتى أقبل الى
حائط في صدر تلك القاعة فتأمل بيبرس في القاعة والحائط فرأى لوحا من
الرخام طوله أربعة أذرع وعرضه ثلاثة أشبار والى جانب هذا اللوح لولب

من النحاس الاصفر فسك الوزير اللولب وفركه فزحق اللوح الى الجهة الاخرى
وبان من داخله باب ثانى من خشب الساج الهندي وأقفاله من الذهب البندقى
ومفاتيحه معلقة بجانبه فتقدم الوزير وفتح الاقفال ودخل فافتتح واذا فيه
قاعة لماعة باربعة لواوين واذا بها قاعة مشيدة الاركان مليحة البنيان وفي
نظمتها ونقشها تحير الازهان وفي تلك القاعة فراشات مختلفة الالوان وكراسى
موضوعة وصف ديوان وعلى تلك الكراسى رجال ودول وأبطال وهم خمسة
وسبعون وهم جالسون وبالسلاح متقلدون ومنهم الخمسة والسبعون الاول
أمره ما بين منا حق وديلم وقفجق والخمسة والسبعون والثانية فهم فداوية
عراض الابدان طوال الاجسام ولكن لم هم متفرقون عن بعضهم بل تصفیف
كل اثنين أمير بينهم وأيضا الاثنين الفداوية بينهم أمير خلاف صناعق وامراء
كبارهم اكراد أيوية وموصلية وقفجق وفي صدر ذلك المسكان كرسى على
عن الجميع وعليه صورة الامير بيبرس بعينه وذلك الوزير يعنى الاغا شاهين
لى جانبه على كرسى من ذات اليمين وزير ووزير آخر عجمى ذات الشمال ورأى
ين وزير الميسرة وبينه رجل قصير القامة أسمر اللون محقق المينان افلج
الاسنان وهو يتحرك كأنه القدر على حجر النار كما قال فيه الشاعر فصيح اللسان
صلوا على ولد عدنان

أسمر اللون وقد حاز كل المعالي ووجهه كالبرق عند الكمال
قد خصه الله بالعناية والفضل وعلمه الله خير العلم الى
حاز عقلا زانه الله بفهم وعلا على جميع الرجال
ذو هيبة وسكينة ووقار واثدار ورتبة وجمال
جل من خصه بذاك الماني هو المهيمن ربنا ذو الجلال
قال الراوي فلما رأى الامير بيبرس ذلك تعجب وقال يا دولتى وزير
اعلمني ايش يكون هذا الديوان وما يكون هذه الصور على صفة الرجال وما

هذا الرجل الجالس يبي وبينك فقال له الوزير اعلم يا ولدي انك على طول الدوام بصير لك العز والاحكام وتتولى مملكة بلاد الاسلام وتجاهد في الاعداء الكفرة اللثام وأنت تحرس قبر النبي المظلل بالنمام وتذب بالسيف عن دين الاسلام ويخدموك خلق كثير لا يحصي عددهم الا الله العليم من مصر ومن الشام ومن جميع بلاد الاسلام ويكون لك ديوان مثل هذا الديوان ولا بد لك أن نجلس على كرسي مصر ويكون لك العز والنصر ويكون هذه صفة ديوانك وأما هذا الرجل فانه يكون سلطان على الفداوية ويكون حاكمه على أيامك ويكون شريكك في الجهاد في طاعة رب العباد ويسمى أبو الفتوحات والنصر فقال له يبرس يا أباي ولاي شي هذه المساكر لا يتكلموا فقال له الوزير اعلم يا ولدي انهم أشباح بلا أرواح فقال له اخبرني وما السبب الذي اوجب صناعة هذه الصور ووضعهم في هذا المكان فقال له ان هؤلاء لهم حكاية احكى لك عنها ولكن بعد أن تسكر من الصلاة علي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

(قال الراوي) وكان السبب في ذلك سبب عجيب وأمر مطرب غريب نريد ان نذكره على الترتيب حتى ان المستمع يلهو ويطيب بعد الف صلاة والف سلام على النبي الحبيب قال الوزير اعلم انه كان في قديم الزمان وسالف العصر والاولان بهذه المدينة رجل يقال له أحمد بن باديس السبكي وكان رجل حازقا لبيباً فطيناً وأديباً وكان يعرف أشكال الرمل ويصرف الامور بالليل والنهار وكان يعرف ما يأتي في كل ليل ونهار من الامور والاحكام الى يوم من الايام ضرب الرمل ودققة واستخرج أشكاله وتبينه فتبين له انه يظهر في آخر الزمان ملك وسلطان ويكون أصله من خوارزم العجم ويكون اسمه محمود يبرس الدمشقي وينصر الاسلام في مدته وتهلك جيوش الكفرة اللثام ويكون مجاهداً في سبيل الملك العلام فلما عرف ذلك نظم هذا الديوان وقد

اصطنع هذا الرجل على هيئة الدبوان وكتب على صورة كل شخص من هؤلاء
الصور اسمه وقد عرفت ذلك بالكتابة وعرفت انك أنت صاحب العلامة
فاقرأ يا ولدي حسبك ونسبك قال فقرأ الأمير بيبرس حسبه ونسبه واذا فيه
مكتوب ياتصل الى هذا المكان ومطلع على ما فيه من الاتقان ان كنت انت
محمود بيبرس الدمشقي المعجى الخوازمي بن القان شاه جك أحمد بن محمد بن
مصطفى بن مرتضى بن سعيد بن رشيد بن اسماعيل ابن ابراهيم بن ادم
فانت صاحب الامارة والاشارة واعلم انى بشرتك بهذه البشارة ولكن عندي
غيرها اذا حضر أو انها فلا تنساني من الرحمة والقواتم والقرآن والسلام على نبي
ظلمته الضمام (قال الراوي) فلما عرف الأمير بيبرس ذلك الامر على انه صاحب
الامارة قرى الفاتحه واهدي ثوبها الى النبي صلى الله عليه وسلم والى روح من
صنع هذه الحروف وهو المرحوم احمد بن باديس السبكي واموات المسلمين
ثم ان الوزير عاد بالامير بيبرس واعاد الابواب على ما كانت عليه واخذه وقال
له يا ولدي اصحى أن تتحدث بهذا الكلام ودعه سرا بيني وبينك حتى ان الله
تعالى يقضى ما هو قاض فان كل شيء له وقت وأوان واذا أراد الله بامر فلا
مرد له وهو الحنان المنان فقال له بيبرس يا ذولتلى وزير الامر لله اللطيف
الخبير (يا سادة يا كرام) وبعد ذلك صعدوا الى المقعد وحضر الطعام واكلوا
حتى اكثفوا وارتفعت الزبادي وفست الايادي وذكرت قامة النبي الهادي
هذا وقد تكلمت الممالك في حق الوزير وقالوا انه اختلى بهذا العلق وأغلق
عليه الابواب وآخر يقول شبيبة ضاله فقال الآخر اننا ما وجدناه أخذ أحد
منا أبدا فلاي شيء أعجبه هذا الولد الضعيف الذي كانت رائحته منتنة في
الجمام فكيف أنه يطردنا وينلق الابواب ويستخفى به فقال واحد منهم هذا
كله من رجل مقري بجامع طيلون كتب الى بيبرس على بيضة رخمة ورصدها
له على النجوم بالمحبة والقبول هذا ما كان من أمر هؤلاء الممالك

قال الراوي وأما ما كان من الأمير بيبرس فانه جلس مع الوزير يتحدثون فقال له الوزير يا أمير بيبرس انا قصدى أن أتخذك ولدى بمقام عهد الله تعالى واوثق بينى وبينك مقام المهود لعل بذلك أبلغ المقصود وان هذه بغيتى منك يا ولدى على تمنى وأشتهي منك لا رد كلنى فقال له الأمير بيبرس يا دولتى وزير أنا عبدك وخادمك فقال الوزير يا ولدى وأنا أعلم يا ولدى أنك لا بد لك على طول الايام من جلوسك على مصر وأنا أكون وزيرك كما انا عند الملك الصالح أبوب ولى الله المجذوب فاذا كان بينى وبينك هذا العهد تبغى يا ولدى تنظر لى بما يرضى الله تعالى كما قال الشاعر في هذا المعنى حيث يقول صلوا على طه الرسول

العهد لا ينقض أبداً ولا ينفك ولا ينداس

ومن يخونه في الدنيا يوم القيامة ينفضح بين الناس

قال الراوي فعند ذلك قاموا الاثنين أسبغوا الوضوء وصلى كل واحد منهم وكتبين وبعد ذلك وضع الوزير يده على يد بيبرس وقال له اتخذتك ولدى بمقام عهد الله ورسوله قبل لك أن تقبلنى أو لك على ذلك العهد والميثاق فقال له الأمير بيبرس وأنا استخرت الله العظيم وجعلتك أبى على هذا العهد والميثاق والشاهد بذلك ربنا الملك الخلاق وبعد ذلك قرأ الفاتحة بعد قراءة قول الله ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون وقال له الوزير اعلم يا ولدى ان كل من خان هذا العهد كان خصمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة فقال له الأمير بيبرس رضيت بذلك ثم قال الوزير يا أمير بيبرس أنا مرادى أن لا تقطع زيارتك وحضورك يومياً الى هندي حتى أنى أعلمك أبواب الحرب ومقام الطمن والضرب والجولان والنزال وممارسة الابطال فانك الى ذلك محتاج حتى تصير فارس هذا الزمان وليت الحرب والطمان فقال له بيبرس افعل يا أبى ما تريد فانى لا أخالف افعالك في كل ما تريد

قال الراوي ثم ان الوزير قال له اعطني يا بيارس أنت لما أتيت الى هذا المكان كنت مثل السكران والحصان الذي أنت راكمه كان هريان من غير سرج ولا لجام فما سبب ذلك فحكى له الامير بيارس علي ما وقع له لما تقطع المبرع والشرائح والركاب والالجام وبعده قبضت على صدره برجلي وقبضت على مفرقته يدي وماتت اعضائي كذلك وقد لعب الهوي في آذاني ولا فقت الا وأنا في الحمام ولولا حضرتك كنت شربت كأس الحمام فقال له الوزير ولولا ذلك لكان من الذي شد لك على هذا الحصان فقال له ما شدي على هذا الحصان الا باش سايس متاع الوزير نجم الدين وهو يقال له عقيرب فقال له الوزير هل بينك وبينه ثار قال لا بل احسن اليهم وأعطيتهم وأكرمهم فقال له الوزير لا بد لهم عليك ثار فقال له نعم يا وزير الزمان اني قتلت منهم سايس وهو رجل أكرم وأنا بأرض الشام وهو يقال له المرند فقال له الوزير ان هذا المرند كبيرهم وكلهم أولاده وأتباعه وما منهم الا من يقبل يده واعلم أن الجميع يطلبون ثاره منك ولو على طول الزمان ولكن الله يسلك من مكرهم وانما يا ولدي اقبل نصيحتي وخذ لك رجلا سايس يكون مخلصا بك فكل ما تطلب ركوب حصان يكون هو المذموم بركوبك فقط دون غيره ولا تمتد علي سايس زوج خالتك فلهم ما هم مخلصين الا بسيدهم واذا خدموك أنت تبقى مثل زيادة عليهم ولا ينفعك الا كما قلت لك خدمك سايس لنفسك مخلص بجمامكية وجراية وعلوفة لانك لا تستغني عن الركوب وأنت صاحب رتبة عظيمة في الديوان فقال له الامير بيارس صدقت يا وزير سمعا وطاعة فقال الوزير اياك ثم اياك أوصيك كل الوصية فاحفظ وصيتي ولا تنساها واعمل بها ولا تأبأها اصحى تخدم رجلا يقال له عثمان بن الحيلة لانه رجل جبار لا يصطلي له بنار في أرض مصر وقد اذل اهلها وقد بلاهم بالقهر وماذا به الا خطف العمام ولا يبالى من الاكابر ولا من الاصاغر وقد جاءني فيه شكايات

وعيب مرار عديدة وأنا أعين له الامراء والخدام وأطلب منهم أنهم يقبضو عليه ويحضروه الى هنا أحد قدر على ذلك وقتل من الامراء سبع ولات وكلنا لبس والى يقتله ولا يبالي وقد قطعت عليه سبعة فرمانات بختم السلطان محل ما يمكس يقتل فلم يتمكن من ذلك وبمدها ركبت أنا برجالى اليه فطر دنى الى الديوان وهو كأنه غفريت من غفارت السيد سليمان من عند البساتين ومن البساتين الى الديوان سبعة مرات والصواب يا ولدى أنك تجتنب خدمة هذا الرجل فانه من جبيرة هذا الزمان واحذره ولا تأخذ منه أمان فان الذى مثل هذا الرجل لا يؤمن بل يكون خوان وسيدنا على بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه قال شعر حيث قال صلوا على باهى الجمال صلى الله عليه وآله وسلم

بنوا الفلاحة لا تصنفوا لهم أبداً فانهم بقر ان أكرموا بطروا
اذا تقاضوا فكان الظلم شيمهم وان تولوا على حكم الغري كفروا
قال الراوى ثم ان الوزير قال لبيبرس يا ولدى ها أنا أعلمتك والنصيحة يقبلها المؤمن السليم القلب وهذا ما عندى والسلام قال فلما سمع الامير بيبرس منه ذلك الكلام قبل يديه وقال له سمعا وطاعة والله يا وزير الزمان لا أخدم أحدا الا بأذنك والذي يريد الله لى هو الذي يكون

قال الراوى ثم ان الامير بيبرس تودع من الوزير ونزل الى سلم الركوبا فقدموا له السياس الحصان فانهم عليهم بمائة دينار وركب وأراد المسير واذا بالشيخ محمد طقيطق والرجال واقفون ينتظرون عودة الامير بيبرس فنزل الامير بيبرس لما رأى الشيخ يحيى الشاع فسلم عليه وهناه بالسلامة وكذلك أولاد الحسينية وحدثوه بجميع ما وقع منه والسبب فى ذلك أنه لما خرج من باب القرافة وأراد أن يأخذ الحصان شوط رماحة كما ذكرنا فكانوا اولاد الحسينية معه وكذلك الشيخ يحيى الشاع ولما جرى له ما جرى تبموا أثره وكلما وقع منه شيء صاروا يأخذونه راوا ولما ان ممالك

الوزير حلقوا على الجواد وأخذوه وأوقفوه خدام الوزير ويبرس على ظهره فوققوا ينتظرون خروجه وقال الشيخ يحيى لا يمكن لنا المسير الا اذا طلع من هذا المكان لعل الله ينجيه ببركة الامام الشافعي الذي هو قاصد اليه وما داموا وهم واقفين حتى خرج الامير يبرس هذا كان الاسل والسبب وقد أعطوه جميع ما كان وقع منه وكذلك عدة الحصان وهو السرج واللبام وساروا معه على مهل الى أن وصلوا الى حضرة الامام الشافعي بن ادريس فصلوا فيه الجمعة وزاروا وعادوا الي أما كنهم (قال الراوى) وأما الامير يبرس فانه دخل الى بيت الوزير نجم الدين فلما دخل وجد السياس وهم يصفقون ويغنون وقد رأى عقيرب وهو فرحان بما فصل بالامير يبرس وهم يشربون الخمر ويغفلون فمال الفجور قال فلما دخل الامير يبرس صاح عليهم وقال يا عقيرب وكان عقيرب يعرف صوته فلما سمع ذلك النداء سكث مما كان فيه وسكت كل من كان معه من السياس الذين معه وكفوا عن شرب الخمر على مزلة الخيل وخرج ينظر ما الخبر واذا هو الامير يبرس فلما رآه قد أقبل ارتعب عقيرب وخاف وتجبل ولكنه أظهر الجلد وأخفى ما عنده من الكمد وتقدم الى ما بين يديه وقال له زيارة مقبولة يا أمير فقال له الامير اللهم تقبل ولكن ما علمت أنت بما جرى فقال عقيرب جرى ايه فقال له الامير انقطعتم الشريحة والحلق تفتحت كلها وانا كنت راجح أموت لولا ان الله نجاني لكان الحصان رماني فقال له عقيرب يا دولاتلى يبتلى الحلق قديمة والشريحة دايبة فقال له الامير يبرس صدقت يا عقيرب ثم نزل يبرس على السلم ورمى كيس من الدنانير الى الارض وقال ناولنى الكيس يا عقيرب وكان ذلك من يبرس مقصودة حتى يتمكن عليه فتقدم عقيرب يناوله الكيس فصر عليه حتى انحنى وكانت يد الامير على اللت فضرب عقيرب على ظهره رماه الى الارض وداس على رقبته وصار يضربه ويشتمه ويسبه ويقول له يا خائن هذه

الفعال الذي أنت تعملها قصدك بها هلاكي هل ترى من الذي يخلصك من
يدي بمنى من أذاك وأنا لا بدلي في هذا اليوم من تكسير عظامك وانمل
أملك وأباك (ياساده يا كرام) هذا والسياس قد هربوا واحدهم واحد ولا
واحد منهم قدر أن يتقدم اليه وأنزل الله الرعب في قلوبهم ولم يزل عليه
بالضرب حتى عبر الأمير نجم الدين الى بيته فلما رأى ذلك الحال وما جرى لعقير
سائس تقدم الى الأمير وقال له يا ولدي ما الخبر وما هذا الامر المنكر فآخبره
الأمير بما جرى وتدبر من أول القصة الى آخرها وكيف طلب الحصان وكيف
شده له وكيف تقطع الركاب والشرائح ولولا ما كانت ممالك الوزير الاعظم
والا كان الحصان هج بي في الجبال فلما سمع الوزير نجم الدين ذلك صعب
عليه وكبر لديه وتأسف على تلك الفعالة وبمدها قال له يا ولدي ربما يكون
بذلك معذور فان كان هذا تممدا منه فها هو قد لقاء الله ببغيه وعاقبة تممده
وان كان له عذر فلا يخفى على الله خافي فان العفو أليق في حقك جزاك الله
خيرا وأنا يا ولدي أنظر لك سائس لنفسك ويكون من غير هؤلاء السياس
يكون يراني فان هؤلاء كلهم بنو أقارب ولا لهم أمان فقال له على الراس والعين
يا سيدي ثم ان نجم الدين صعد الى السراية عند زوجته وترك الأمير بيبرس
على عقله وارادته فلما أفاق الأمير بيبرس من غيبته احضر عقير وقال له خذ
أجرة ضربك فد يده وأعطاه خمسين ديناراً وقال له سامحنى يا عقير فسامحه
وقال له الله يبري ذمتك يا أمير (قال الراوى) ثم أن الأمير بيبرس قال
يا عقير أريد ان أسألك عن شيء فقال له عقير ايش هو يا سيدي أسأل
كلما سألت فقال له انا مرادي واحد سايس يكون يخدمنى مخصوص حتى اذا
وكبت يكون دائماً معى وها أنا مرادي منك تعلمنى اين تباع السياس فقال
له نجب سائس خشب والا سمك والا قزاز والا طين فقال له يا راجل أحب
سايس مثلك بشكلم ويمشى فقال له عقير أنا من بنى آدم فقال له بيبرس انه

من بنى آدم فقال له عقيرب بنوا آدم يباعوا ياشلبي فتبسم يبرس من كلامه
وقال عقيرب ان بنو آدم خلقهم الله تعالى لا يباع منهم الا العبيد والماليك
وانما السياس احرار ياشلبي فضحك من كلامه ثم قال يا عقيرب أنا لما حضرت
من بلاد الشام الى مصر لم أعرف مصر ولا حالها فقال له عقيرب الدنيا كلها عليه
مغطية وأمامصر فانها ظاهرة ليس مخفية وأما المثل السائر يقال طريق أبو زيد
كلها مسالك ولكن انا اقول لك اعلم ان السياس خمسة بيوت أولهم بيت أولاد
ريحان وبيت خنفس وبيت هيضم وبيت وكمال دفنة وبيت أولاد الشيخ فقال له
يبرس يا عقيرب وابن محلاتهم فقال في باب النصر بيت أولاد هيضم
والازبكية فيها بيت اولاد وكمال دفنه والرفعة فيها بيت أولاد ريحان وباب اللوق
فيها بيت أولاد خنفس والرميلة فيها بيت أولاد الشيخ فاذا كان مرادك في
خدمة سايس فانا أدلك على ذلك فاذا توجهت الى جهة من الجهات الخمسة
فقل لهم انا طالب سايس يكون كاهن جوايكي حازم جداوي معدول القامة كامل
القامة جميل الصورة أبيض اللون قاعد ورا وقدام رشيق الشفة مكحل العينان
فاذا اتيت بهذه الصفة انتظمت خيلك وصاروا أعظم من خيول الوزير فقال له
يبرس لا بد ما أجيب سايس على هذه الصفة وقد ظن ان كلامه له حق فعند
ذلك نزل يبرس وشد جواده خوفاً من النوبة التي جرت وركب وسار وهو
لا يعرف أسماء الحارات التي كان ذكرها له عقيرب ولا يعرف الأخطاط
فسأل رجلا من الطريق وقال له يا أباي باب اللوق فين قبهت الرجل من كلامه
ولم يعلم ما معناه غير انه قال له أيها الأمير أنا مالي باب علوق فقال له يبرس
يا أباي المحل الذي يباع فيه السياس فقال له ياسيدي اناحر وما اعرف ذلك
السؤال ثم ان الرجل صاح على رجل آخر معرفته يقال له الشيخ حسن وقال له
يا شيخ حسن انظر ما الخبر فقال له سرمعي وانا ريك مطلوبك فسار معه الى باب اللوق
وقال له آدي مطلوبك وهذا مكان السياس فقال له يا أباي جزاك الله كل الخير ثم

أعطاه عشرة دنانير فأخذهم وانصرف الى حال سبيله وهو يدعوا الى الامير بيرس
 قال الراوى وأما بيرس فانه تقدم الى محل السياس وسأل عن كبيرهم
 فأرشدوه اليه فتقدم الى كبير السياس وسلم عليه فرد عليه السلام فأخبره بما قال
 عقيرب فلما سمعت السياس ذلك تصابحت عليه وأرادوا ان يضربوه فنصمهم
 كبيرهم وعلم ان هذا تسليط عدو من السياس فقال له أخبرني من أين انت فقال له
 أنا من بيت الوزير نجم الدين البندقدارى جيت وإياه من الشام فقال له لملك
 أنت الذى قتلت المرند بأرض الشام قال له نعم فقال له يا ولدي ان الذى
 أغراك على هذا الكلام ما كان يريد به الا قتلك لانه يريد ان يأخذ بثار
 المرند منك فسر الى الرميلا فأت هناك على اننى أقول لك ان هناك بيت أخى
 فاسأل عن أولاد الشيخ فانه لا يخدم بالجهة التى أنتم بها الا هم لانه يا ولدي
 كل محل له قانون فسار بيرس الى الرميلا لكن بعد ما لف جميع الاماكن
 التى ذكرناها وكلما عبر على بيت بهذه الكيفية يقولون له لا يخدم فى بيت
 الوزير نجم الدين الا أولاد الشيخ فلما عبر الى الرميلا رأى أربعة صواوين
 مضروبة وكل صيوان له جيش والسياس الذى دقنه سودا على جهة والامرء
 على جهة والاشياخ على جهة والخلينق كذلك والكبير عليهم جالس على مصطبة
 بين الاربعه صواوين بحيث انه يناظرهم جميعاً فلما رأى ذلك الامير بيرس
 أعجبه البيث وقال هذا أفخر البيوت ورأى على كل صيوان رجل تقيب
 هذا وبيرس سار الى الرميلا وتفرج على اولاد الفنون والملاعيب وهم يعرفوه
 ويمدحونه ويستقبلوه وهو يعطيهم من الاحسان ثم بعد ذلك عاد الى محل
 السياس ودخل على الشيخ الكبير فرآه رجل اختيار له شعبة ووقار وجميع
 السياس الذين تحت يده فى أدب وفرح بذلك واستبشر ثم تقدم وقرأ الفاتحة
 الى الشيخ وسلم على النقباء فقالوا له ما تريد فقال أريد سائساً يكون شاطرأ
 قوياً قالوا له سمعاً وطاعة ولكن أنت من اى بيت قال من بيت الوزير نجم الدين

البندقدارى فقال له الشيخ اعلم ان كل سائس له طلب وكل مخدوم له طلب
 وأنت ايض طلبك فوصف الصفة التى علمها له عقيرب فلما سمع الشيخ كلامه
 قال لهم هاتوا سيدى أحمد مناع كفر الشرفه فلما حضر قال له هذا الذى أنت
 طالبه فتأمله واذا به غلام جميل الصورة أبيض اللون يمدغ اللوبان وعليه
 من الملابس ألوان باللباس الدندكى والدكة الزركشة السائلة الى الارض وعلى
 رأسه شال أحمر وهو كأنه البدر ليلة كماله فلما رآه يبيرس تغيرت أحواله
 وقال له هذا ايضى يا أبى فقال له يبيرس هذا مطلوبك الذى طلبته فقال له
 يبيرس هذا ماهو الذى أنا طالبه ولا أعرف ذلك وهذا كله من سيئات
 عقيرب ولكن أنا طالب سائس شديد يكون يضرب الرجال وأما هذا ماهو
 طلبى فقدم له غيره وكان اسمه شعلان فلم يعجبه فقدم له نصار من كافر
 المهجين فلم يعجبه كذلك جعفر بن شنته وأم صالح فلم يعجبه فقدم له خامس
 يقال له منصور من مرس القته وكفر المشتة فلم يعجبه ومازال الشيخ يعرض
 عليه سائس بعد سائس حتى عرض عليه الجدمان الذى فى الصواوين الاربعة
 فلم يعجبه منهم ولا واحدا لصغير ولا كبير فتمعجب الشيخ وقال عجباً ثم التفت
 الى يبيرس وقال له روح الى بيتك وأنا أجيى لك سائس يريحك حىم
 مطلوبك يكون شاطراً فى خدمتك لاني عرفت مطلوبك فبينما الشيخ مع
 يبيرس فى الكلام واذا بضجة وقعت والناس تجارت ذات اليمين وذات
 الشمال وهربت جميع السياس من الصيوان وكذلك النقباء ولم يبق الا
 الشيخ بمفرده ويبيرس معه (يا ساده يا كرام) ولما عاين الشيخ ذلك قال له
 يا شلى فوز بعمرك فى هذه الساعة لان هذا الولد جبار عنيد وشيطان مربد
 فتأخر يبيرس وتأمل واذا به شاب أحمر حلو المنظر قالب سكر جل سبحةان
 من خلق وصور طويل فى القامة غليظ الهامة عليه ملابس فاخرة ويده رزه
 مكتوب عليها الاجر على الله وهو مقبل من بعيد ويفى ويقول هذا الموال

صلوا على ضمين الغزال

يا منية القلب يا الهى صرت ما تحتجش فادعوا علي والا قلت ما تحتجش
خايف أقول لك عليه لكن ما تحتجش أحبه حباً شديداً وهو في القلب متفرش
(قال الراوي) وكان هذا السائس يقال له عتمان بن الحبلبة الذي وصاه
الوزير عليه بأنه لا يخدمه ولم يزل عتمان سائر حتى أقبل الى الصيوان فلما رآه
الشيخ أقبل نهض له على الاقدام وبأس يده وقال له مرحباً بجدي فزاد بيبرس
المعجب كون ان هذا الاختيار يقول للولد الامرء جدي فقال عتمان يا ولدي
يا سليمان قال نعم يا جدي قال أين الجدعان قال له هم ينظرونك ويقعدوا
قال عتمان جاش لك اليوم حاجة من الدراهم قال له لا والله يا جدي وها هو
الكوز وفرغ الكوز فلم يجد فيه شيء فالتفت الى بيبرس وقال له يا شلبي
أتيت الى هنا لاي شيء قال له أريد رجلاً سائساً يخدمني فقال له سليمان
يا جدي هذا طالب سائس وأعرضت عليه السياسة فأعجبه ولا واحد فقال
له وأنت ما أعجبتك شيء ولا واحد من الجدعان كلمهم فقال له بيبرس لا والله
ما أعجبتني ولا واحد منهم فقال له هل تري انا أعجبتك يعني اخدم يا شلبي
عندك فقال له بيبرس أما انت فأعجبتني ولكن أنا أعجبتك أم لا فقال نعم
أعجبتني يا شلبي فقال بيبرس في نفسه هذا الذي وصاك عليه الوزير الاغا
شاهين الافرم ان لا اخدمه فقام كبير السياسة وقال يا أسطى انت تخدم هذا
الشلبي فقال عتمان اخدم فقال بيبرس وانا اخدمك واتوكل على الله وقال في سره
ان استطاع والا افتله واربح الناس من شره هذا كان ضمير الامير بيبرس وأما
ضمير عتمان فان مراده ان يخدم عنده ذلك اليوم ولما يدخل الليل يقتله ويأخذ
ما عنده ويروح الى حال سبيله (قال الراوي) وهذا ضمير الاسطى عتمان بن
الحبلبة وهذا له ضمير والله مشيئة وتديراته على كل شيء قدير فعند ذلك اخرج
بيبرس عشرة من الدنانير الذهب واعطاهم الى كبير السياسة فأخذهم وأراد ان

يضمهم في جيبه فنظر اليه عثمان فناولهم اليه من غير كلام ولا شتقة لسان
فأخذ عثمان الدنانير وقال للامير بيبرس سر يا شلبي فسار بيبرس وسار عثمان
وهو مغطى رأسه وسائر مع الامير فقال بيبرس ياسايس ما اسمك قال له اسمي
الاسطى قزاز وأنت يا جندي اسمك ايه فقال له أنا اسمي دقاق فقال له عثمان
يا جندي الدقاق يكسر القزاز وأنت مالك اسم غير هذا الاسم فقال بيبرس لا
(قال الراوي) فبينما الامير بيبرس يمشى وعثمان وراءه واذا قد أقبل
رجل سايس قبل يد عثمان وقال له يا جندي أنت خدمت عنده هذا المهر الفعيص
فسمع بيبرس كلامه وأخفاه وقال في نفسه هذه تنشال في القاق فتركه السايس
ومضى فأقبل عليه آخر وقبل يده وقال له أنت خدمت يا جندي قال نعم خدمت
عند هذا الملق وقد قال بيبرس في نفسه والآخرى تنشال عندي هذا وهم
لم يزلوا سائرين كذلك حتى وصلوا الى الحسنية فقال عثمان يا جندي أنت من
بيت من فقال له الامير بيبرس يا أسطى أنا من بيت الوزير نجم الدين البندقداري
فقال له عقيرب هناك قال له نعم وهو الذي علمني على وصفة الساس وقال لي
هات لي سايس طاجن خوانك وأخبره بما قاله عقيرب فقال له اذا أنت دخلت
من باب البيت فقول يا عقيرب أديني جيت لك طاجن خوانك فقال له الامير
بيبرس طيب يا أسطى ولما دخل الامير بيبرس الى باب البيت صاح يا عقيرب وكان
هذا مشدود الاسطى عثمان وأما الامير بيبرس نزل من على الحصان وطلع الى المقعد
وجعل ينظر ما يجري بين هذا الاسطى عثمان وعقيرب فبينما الامير ينظروا اذا
بعقيرب نادى على الساس وقال لهم يا جدعان هذه علفة جاء بها اليها بيبرس
وكان عثمان لا يبان منه غير الاعيان والا السيقان لانه لا تقف نفسه في برنوص
أبيض ودخل الى السرير الذي هو لمقيرب وجلس عليه فلما رآه عقيرب قال لمن
حواله من الساس دخلوا الحصان وأنا أريكم ما يكون هذا الساس ومن
أين يكون من البيوت ثم أن عقيرب دخل فوجد الاسطى عثمان جالسا وهو

منطى راسه بالبرنوص فقال له سلامات يا ولد فقال له عثمان تسلم يا عم قال له أنت من أولاد من ومن أي بيت فقال له يا عم أنا من أولاد هيفم فقال له مرحباً ولو أنكم أعداءنا أقعد يا جدع على كيفك تأكل وتشرب وتأخذ جامكية ولا تخدم ولا تهين نفسك أبداً ونحن نعمل لك كل ما كان يخدمك من خدمتك حتى تكون ثيابك نظيفة ولكن يا ولدي المعرفة تدل على الصلاحية فما اسمك فقال له يا عم اسمي عثمان بن الحيلة (قال الراوي) فلما سمع عقير بذلك الاسم غاب عن الوجود وبقي حاضر في صفة مفقود فما كان منه الا أن قال أنا في عرضك يا أسطى عثمان هذا وعثمان قد كشف عن وجهه وقال له أنت لك زمان في هذه الصنعة يا كلب أنا كبيرك ولكن عمري لم أستعمل الطواجين الخوانك ولا غيرهم ولا أعرف الفساد أنت يا عقير تقول للجندي هات لك طاجن خوانك لاجل أن أكون أنا معيرة بين الناس بك ويتكلموا في حقى بالادناس ولكن أنا أعرف يا كلب فقال له في عرضك يا أسطى فحذبه من خناقه ورماه وضربه بالرزة ثلاثة ضربات فقال له عقير تبت يا كبيرى فسيبه فخرج عقير يجرى قاله صاحب الكلام صلوا على البدر النمام يا سادة يا كرام ونرجع الى ما تقدم لنا من الكلام وهو أن الاسطى عثمان بن الحيلة لما ضرب عقير تلك الثلاثة ضربات وهرب عقير وهو يصيح ويقول أنا في عرضك يا أسطى عثمان فدارت به السياس فأعلمهم بما جرى فلما سمعت السياس ذلك الكلام نهضوا على الاقدام وأقبلوا الى عثمان وبأسنوا يده وما منهم الا من يقول سلامات يا جدي وجد جدي ثم وقفوا بين يديه (قال الراوي) وبعد ذلك قال عقير يا كبيرى أنت خدمت عند الشلبي قال عثمان يا ولد أنا أضحك عليه ثم التفت عثمان فرأى العدة معلقة فقال يا ولد هذه عدة من قال عدة حصان الشلبي قال له ناولني اياها فاني أريد أخذها أجرة مشواري قال عقير يا جدي واذا سألنا كيف نقولوا له عليها

قال عثمان اذا هو سألك عنها فقول له اخذها عثمان في أجرته من الرميّة الى هنا فاحمد ربنا الذي جاء في العدة ولا جاءت فيك لان هذا رجل قتال قتلا قال له عقيرب ممما وظاعة ثم ناولة العدة فوضعها في ملايته وحملها على ماتفه وخرج من الاصطبل فنظره الامير بيبرس فصاح عليه وقال له يا أسطى ما هذا الذي على كتفك قال له هذا غسيل الاسطوات لان هذا قانون في كل السياسة اذا خدم عندهم سايس جديد يفضل لهم حوايجهم فقال له يا أسطى هذا عيب كبير يكون انك تأخذ غسيل السياس وتطلع به من بيتنا وانما طلع الغسيل الى فوق عند الجوار وم يغسلوه لان هذا لا يصح انك خديمي وتغسل غسيل الناس فقال له عثمان ما هو غسيل وانما شرايح قدم وأنا أريد بيعهم وتأخذ منهم فقال له يا أسطى اذا كنت محتاج الي دنائير انا أعطيك كلّا تطلب فقال له أقول لك الحق هذه عدتك وأنا أخذتها في نظير ما مشيت من الرميّة الى ذلك المكان فاني أنا لم أخدم واسأل على يقول لك عثمان بن الحبلة وانما أسكت واحمد ربك الذي طلعت انا من بيتك وأنت سالم فقال له يا أبي جزاك الله كل خير نغذنا وخذ مني كلما تريد وتعالى خذ هذه الماية دينار مني اليك فاطلع وخذهم الى حال سبيلك

(قال الراوي) فلما سمع عثمان الماية دينار غره الطمع وطلع الى المقعد وقد كان الامير وقف له خلف الباب فلما عبر عثمان ضربه باللت بين اكتافه فوقع الى الارض وأراد ان يقوم فحط الامير رجله على رقبتة وفك بوشيته من على رأسه وكتفه بها كتفا شديدا وصلبه في العامود وتأمل بيبرس واذا على حزامه شربته فقال له هذه جاعلها لاذية خلق الله تعالى فأخذها منه الامير فقال له عثمان لاي شيء هذه الفعّال فقال له بيبرس انا مرادي اني أذوقك حرارتها حتى انك تعرفها وضربه بها ولم يزل يضربه حتى كاد ان ينشو عليه وأرمى بعد ذلك الشربة تحت رجله

وتركهم بوطا واخذ الملاية واخرج المدة منها وقال الى السياس وحيات رأسي
كل من حله لا يلوم الا نفسه ثم تركه وصعد الى النوم جل من لا ينام
قال الراوي هذا وقد فاق عثمان من غشوته مربوطا ولم يزل على هذا الحال
الى ان ذهب النهار بضياؤه وأقبل الليل بظلامه فلما طال الحال على عثمان صاح
على عقيرب وقال يا عقيرب تعالي يا ولدي فكنتى فسمع عقيرب نداءه ولكن لم
يرد عليه فقال له عثمان وحق المبرقة بالانوار لا بد ان أخدم الجندى بقلب
خالص ونية صادقة وأقتلك يا عقيرب يا ابن القحبه كيف هو يضربني وأنت
واقف تنظر ولا تحوش عني ولا تقول حاش عن كبيرى فقال له عقيرب يا كبيرى
هذا عقر ظلمة هذا قتال قتلا هذا الذي قتل كبيرك المرند بارض الشام
قال الراوي فلما سمع عثمان هذا الكلام قال هذا الذي قتل المرند قال
عقيرب هو بذاته وصفاته فقال عثمان هذا جندي جبار وأنا ما اقدر عليه
ولكن يا عقيرب حلنى حتى أقدم معك فاذا طلع النهار اربطنى فى مكانى فقال له عقيرب
أنت لم ترضى وربما ينزل هو يلقتاك مفكوكا فيعرف انى انا الذي حليتك فيقتلنى فقال له
وحيات ذقناك يا عقيرب لا بد ما أخليك تربطنى مثل ما كنت فعند ذلك تقدم عقيرب
وحله وفك كتاف عثمان فلما تخلص عثمان قبض على عقيرب وربطه مكانه وضربه علقه
كبيرة وتركهم بوطا أخذ المدة وجعلها فى الملاية ونزل بها على حايه ولما أتى الى الباب
وجده مقفولا وكان البواب نائما والمفتاح تحت رأسه فصرقه وفتح الباب وخرج منه
وأغلقه كما كان وترك عقيرب يصيح ويستجير فلا يرى مجر

(قال الراوي) وقد سار عثمان الى ان أقبلوا الى المراغة والقبر الطويل
وطرق الباب ففتحت له أمه الباب فدخل فتلقته أمه فعلق مامعه وهي
المدة وقال يا أمى أنا جيمان هل عندك شيء يؤكل فقالت له عندي وزه
محجرة والحبز فقال هاتى قدلمى فقدمت له ذلك فكسر أول لقمة من رغيف
وأخرج لسره من الوزه وملا رز وأراد أن يمضهم في فيه ففكر العلقه التى

ضربها له بيبرس فنزلت دمعته على وجنته وقال لأمه شيلي يا حبله فقالت له
يا ولدي لاى شيء لم تأكل وأنت قلت أنك جيعان وماهى مادتك وأنت أبو
عياق مصر أنت قتلت الولات وكشيت الوزير فما بكيت والآن فما الذي أبكاك
فقال عثمان اعلى يا أماه أنه أخذنى ولد جندي اشقر له سبعة تقر بين عينيه
وله نقطة سودة فى جبهته وشمرة وافقة بين حواجبه ومعه حديدة مكببة
باربعة وعشرين حرفا فلعل الله يخرج بيت الذى عملها له فضربنى بها فوقفت
الى الارض فأخذ البوشية من على رأسى وكنتفى بها وربطني فى صمود المقعد
ثم ان عثمان حكى لأمه كلما جري من المتدي الى المنتهى ولما خلصت وحيت
وكنت جيعان فتفكرت الملقاة انسدت نفسي وانا مرادي ان آخذ تارى واجلى
هي عاري ولربطه مثل ماربطني واجمع ثمانين مشايدى أولهم عقيرب وزعيرب
وشعلان ومهران ومدكور ومداع الشكل وصدغ المرض وأبو الثمامات
ومعاص الحكم وأبو الجلب وأبو المدب وأخذهم وأطلع مغاير الزغلية
فى ملعب احمد بن طالون بجمع العياق واذا اجتمعنا نحن الثمانين اخبر
الجدمان لاجل ان يأخذوا الى بالثار واكون غالبا ولم أكون مغلوب خائبا
فقالت له أمه افعل ما تريد الله يكون فى عونك ويقويك والمبرقة بالانوار
معك وتنجيك قال آمين ثم نزل من عندها وجمع الثمانين غلاما مشايدى
وسار بهم الى مغاير زغلية واخذهم وجعل يحكى لهم ماجرى له وهم يتمجبون
وكل منهم ضمن له ان يأخذ له بالثار ويمحى عن العار ويقتل ذلك الجندي
ولا يبقى له آثار فهذا ما كان من عثمان

قال الراوى واما ما كان من الامير بيبرس فانه لما قام من النوم وصلى صلاة
الصبح وأكل ما وجد من الطعام وأخذ اللت فى يده ونزل قاصدا عثمان ليضربه
فلما تقرب منه تأمله واذا به عقيرب وهو مربوط على العمود فقال بيبرس فى
نفسه الوكيل كالاصيل وانا مالي الا اضربه فتقدم اليه وصار يضربه من غير ان

يكلمه فلما أعياه الضرب صاح أنا في جبرتك ياسيدي يبيرس انا عقيرب
 حوش يدك انا عقيرب ما أنا عتمان فقال له واين عتمان باقيل الادب واين العدة
 فقال له العدة اخذها عتمان وراح الى حال سبيله ولكن ارجع عن ضربى وانا
 أجمع لك حق العدة متاعك من الاسطوات ونخدم لك على حصانك ولا تخاف
 من شىء وهذا راح بخاطره وقد أخذ العدة أجرة مشواره وكان مراده يقتلك
 فقال له يبيرس جزاك ما حل بك ولكن وحيات راسى ان لم تقول لى على
 بيت عتمان والا تقتلك ولا احد يطلبنى بك فقال له اسمع ياسيدي واعلم ان
 كل من قال على بيت عتمان يقتله وانا اذا قلت لك على بيته أحلفك بعين الله
 على انك ماتقربى ابدا خلف له برأسه وقال له انا اعرف ان الفتنة أشد من
 القتل ولقد أجاد الشاعر حيث قال

نام على التمام واحذره فإ يكن المكروه الا من تقل
 لا تقل أصلى وفصلى أبدا انما أصل الفتى ما قد حصل
 قد يسود المرء من غير أب وبحسن السبك قد ينقى الزغل
 وكذا اللورد من الشوك وما ينبت الزجس الا من يصل
 وارك الفادة لا تخفل بها تمسى في عز وترفع وتجل

(قال) فقال عقيرب ياسيدي حلى وأنا ادلك على بيت عتمان فحله الامير
 يبيرس فقال له اعلم ياسيدي ان بيت عتمان فى المراغة والقبر الطويل وهو الذى
 مشهور بيت غزبة الحبله وذلك الحارة اسمها حارة غزبه لأنها مسميه بام عتمان
 فاذا وصلت الى المراغة والقبر الطويل تسأل على الحارة والبيت فلا بد أن تستدل
 من احدا ذار آيت (قال الراوى) فلما سمع الامير يبيرس من عقيرب ذلك الكلام
 وقد اشتغل قلبه بخدمة عتمان ولا يقى له صبر على أى وصف كان وفى الحال شد على ظهر
 الحصان وركبه بعد أن شده واخذت يده وسار الى أن اقبل الى الرملة وبحر العالم
 وسأل من رجل كان سائرا فى الطريق وقال له يا أبى أين المراغة التى فيها القبر

الطويل فقال له الرجل يا شلبي القبر أنا ما لبثت قبر لاني على قيد الحياة ولاني
قبر طويل ولا قصير فقال له يا أبي هذا اسم حارة بتاع سايس فقال له ياسيدي
أنت لسانك تركي وأنا مالي معرفة بالتركي واذا برجل آخر اقبل وقال ايش
تقول فقل لي يا شلبي وانا اعلمك وادلك فان هذا لا يعرف شيء فقال له
بيبرمن أنا أحب مراغة وقبر طويل فقال له سر معي وأنا اريك محلها فصار
معه حتى أدخله الى الحارة وهي حارة القبر الطويل فقال له هذه الحارة فقال
له بيبرس جزاك الله خيرا واعطاء عشرة فضة فأخذهم منه ودعا له ومضى الى
حال سبيله وأما الامير بيبرمن فانه دخل الى تلك الحارة فرآها واسعة وفيها
دكاكين وأماكن وقهاوي ولكن مع أنه غريب لا يعرف احدا فبقي كأنه
الاطرش في الزفة فاقبل على دكان رجل عطار ونحول من على الحصان وأقبل
وجلس الى جانبه وقال له السلام عليك يا أبي فرد عليه السلام وقال له ياسيدي
هل لك منى حاجة حتى تريد قضاها فقال له بيبرمن نعم يا أبي أنت من أهل
هذه الحارة أم أنت عطار بالنهار وفي الليل تروح الى بيتك وتجهل أهل الحارة
لعدم سكنتك معهم فقال له العطار ولاي شيء تسألني عن هذا السؤال فقال
له لما انت رجل كامل والذي مثلك لا يقل الا الصدق وهذا سبب سؤالي اليك
فقال له ياسيدي هذه حارتي وتربيت فيها من صغري حتى اني صرت اختيار
كما تراني ولا رجل ولا امرأة فيها مقيا الا اعرفهم حق المعرفة فقال له بيبرس
اذا سالتك عن احد فيها تدلني عليه قال نعم قال اخبرني عن مكان عثمان بن الحبله
قال الراوي فلما سمع العطار ذلك الكلام كان له عقل وطار وغاب عن
دنياه وبقي عبرة لمن يراه وقد احتار كيف يرد عليه فقال له ياسيدي أنا ابيع
عطاري لكل من اراد وهي قرقرن وحببان وقلقل ومستكاو وعجب وكافور
وجميع العطارة توجد فقال له بيبرمن انا يا ابي ما اريد عطاره انا اريد ان
يدلني على بيت الاسطى عثمان بن الحبله قال له العطار يا شلبي هذا دكاني قد امك

خذ كلما يريد بيدك منها وأنا نزلت لك عنها ثم ان المطار أخذ مراكوبه ونزل من الدكان (قال الراوي) وقد كان قدام دكان المطار رجل خضري فنادي بيبرس وقال له هذا رجل مجنون وأنت لاى شى تكلمه وهو لا له عقل قال له بيبرس أنا سألته أولا فقال أنا قديما فى هذه الحارة وأعرف أهلها على التمام وكان عاقلا ولما أننى سألته ثانياً نجبن فقال عجب قال له الخضرى اسألنى وأنا أدلك على ما أنت طالبه قال له أنا الذى سألته عن بيت الاسطى عثمان بن الحيلة قال الخضرى يا شلبي هذا الاسم ليس هو فى هذه الحارة مطلقاً ولا أحد يدلك عليه أبداً ولو تسأل أينما سألت على طول المدة فاذا أردت أن ترجع نفسك فارجع من حيث أتيت والا ان كان أحد أعلمك بهذا الاسم أنه فى هذه الحارة فاطلبه وهو يدلك عليه فلا تظلم نفسك ولا تظلم الناس وراقب الله ياسيدي واخزي الشيطان وأنا قد نصحتك والسلام

قال الراوي فعند ذلك تفكر الامير فى نفسه وعلم أنه لم يدله أحد خوفاً من عثمان لان كل من دله يقتله كما عرف عقيرب بخرج من ذلك المكان وعلم أن ما أحد بدله على منزل عثمان لا من الرجال ولا من النساء ثم قال فى نفسه يا بيبرس الصواب أنك تدبر عن معرفة بيته من غير أن يعلم احد فنظر فى الطريق واذا هو يري قرن يعنى كوشه فى تلك الحارة ومن داخل القرن نسوان وكل منهم معه عجيين يريد خبزه فقال بيبرس فى نفسه ان الذى يعرف البيوت فردا فردا فى جميع البلاد ثلاثة وأما فى مصر اربعة البقال والقران ومسحر رمضان ورابعهم فى مصر وهو الننادى فى أيام النيل يا بيبرس الصواب أنك تعمل حيلة مع هذا القران عسى انك تستدل منه على بيت عثمان

قال الراوي ثم ان الامير بيبرس لما هتف له عقلة بهذا الهاتف نزل عن حصانه وأوقفه بباب القرن وتأمل واذا بالقران واقف قدام باب طاقة القرن وهو يحى وينهى فى هذا الموال صلوا على شفيع النزال صلى الله عليه وآله وسلم

يا بنت يا لى تبى العيش وتناكى يا بخت من فردك عالفراش وتناكى
قالت أنا بنت عذره لى نسب واصل بفرع عالى ولا أعرف أحد واصل
ان كان مرادك وما لى فى الحلال واصل فقلت عرضك سليم يا ست وتناكى

قال الراوي فلما سمع بيبر من ذلك الكلام من القران ضربه على وجهه
وقال له يا قليل الادب يا مهان لاي شيء اتلفت خبز سيدي الاسطى عثمان
وحرقت وجهه في بيت النار وخسرته يا خبيث يا مكار وهو ارسلني اليك حتى
اخلص منك حقه وأقابلك على مستحقه وارمى عليك كل داهية وعلة كما
خسرت خبز سيدي عثمان بن الحيلة فانك سرفت منه خمسة ارغفة كبار وحرقت
احدي عشر يا خبيث يا مهان فقال له القران أنا في اليوم وامس ما خبزوا
عندي بيت سيدي عثمان عيش ولا عمري سرفت له منه شيء ولا حرقت له
عيش وان كانت العادة بتاعه ارسلتها الى البيت من الصباح وهي عشرون
رغيف خاص وليس لى منه مناص فقال له بيبرس تكذب يا ملعون سيدي
امرني ان اكسر رأسك بهذا الدبوس واجعل يومك هذا صوم فقال القران
يا شلبي حوش يدك واذهب الى الحرم واسأل عن هذا الفعل الذم فان كان
هذا الامر بتأكيد فافعل ما تريد فقال له بيبرس خذ هذا فصار معه القران
بعد ان وقف اجيره عوضه بخبز للاولاد والنسوان ولم يزل القران سائر وبيبرس
تابع له الى ان اقبل الى بيت الاسطى عثمان ففرح بيبرس فرحاً شديداً ما عليه
من مزيد فلما اراد القران ان يطرق الباب منه بيبرس وقال له اصبر يا ابني
فقال القران لا بد لى حتى ادخل انا وانت واسمع كلام الحرم هل الذي قلته
لك صحيح ام لا فقال له بيبرس يا شيخ اعلم اني كنت تائها عن البيت ولا
احسد رضى يدلي عليه وضافت حيلتي فلبعت بعقلك حتى دلتني ومن نعمي
رحمتي ولكن خذ هذه العشرة دنانير ذهب وروح الى حال سييلك

قال الراوي فلما سمع القران هذا الكلام غاب صوابه وأيقن بموته وذهابه
وقال اعلم أن كل من دل احد على بيته يقتله ويمجّل للعقاب مرحلة وأنا ما بقي
لى معيشة في مصر أبدا ثم ان القران أخذ العشرة دنائير وأخذ عياله وسار
طالباً بلاده خوفاً من عثمان أن يعدمه حياته فهذا ما كان من القران

قال الراوي وأما ما كان من الامير بيبرس فانه طرق الباب فارتفعت من
الباب السقطة وافتتح الباب فاراد بيبرس أن يدخل بجواده واذا برغيف من
الرصاص خرج عليه من صدر المكان مثل حجر الصوان فحاده فراح في
الهوى وأراد الرامي أن يعيدها واذا بقائل يقول ارجع يا ولدي شئت أناملك
وفصلت مفاصلك كيف هذا يا ولد الوفا تضرب الذي دخل الى دارنا قال وكان
هذا الضارب فرج عبد عثمان والمتكلمة غزية الحيلة أم عثمان وبعد ذلك نزلت
وتأملت في وجه الامير بيبرس نجيده على رأي الذي قال هذه الايات أنا وانتم
فصل على زين الصفات

وتركي له على الخلد خال	كمسك فوق كافور تقى
تعجب ناظري لما رآه	فقال الخال صلي على النبي
فقلت له ملكك نصاب حسن	فزكي على ضياء الخلد المعني
فقال أبا خنيفة لي امام	فنى أن لا زكاة على العبي
فصدقنا فلا نمطى زكاة	كذلك الشافعي والمالكي
فقلت فتوتك من فقيه	أما نجب الزكاة على المالكي
ومالم تأتها طوعاً والّا	أخذناها بحكم الحنفي

قال الراوي فقالت له أهلاً وسهلاً ومرحباً عدد ما مشيت من محلك الى

هذا المكان لقد تشرفت بك الاوطان ثم قالت
لو تعلم الدارين زارها فرحت واستبشرت ثم باست موضع القدم
وانطقت بلسان الخال قائلة أهلاً وسهلاً بأهل الجود والكرم
هذه دارنا حلت بها البركة بقدمك الينا فانا جاريتك وعثمان خديمك والعبد

غلامك وما منا أحد الا يكون تحت أمانك وزمامك فقال لها بيبرس يا أمي هل انت ام الاسطى عثمان قالت له نعم يا صاحب الوقت والاوان فقال لها اين عثمان احضره الي حتى اراه بالسكية فقالت انا ادلك عليه فانه في مغائر الزغلية ولكن بعد ما تأكل حق زادنا وتشرب شرابنا حتى يكون لك ما لنا وعليك ما علينا ثم اخذت يده واطلمته الى اعلا المكان واجلسته في قاعة لماعة بأربعة لواوين ودرقاعة وهي ملائكة من عمام كبار ومقل وجيب ملونات وشيلان وجوخت وبرانص وطقوم وغير ذلك فقال بيبرس يا أمي غزية قالت له ليبيك يا ولدي قال لها اني اري بيتك من تحت فيه ذلك وكراسي وستارات مثل بيوت السادات والقادات ولما طلعت الى فوق اراه مثل بيوت دلاين الاسواق الذين يبيعون هدموم الناس بالدلالة فقالت له يا بيبرس هذه العمام والمهدوم فان ولدي عثمان يخطفهم من الناس والام وكل من منعه عن حاجة انزل به الموت والعدم ولو كان حاكما او اميرا محنتهم ولا يخشي من عتب ولا لوم وهذه عادته وهذه عدة جوادك التي آتى بها في هذا اليوم ثم انها كشفت له عن العدة التي آتى بها عثمان من عنده وقالت له هذا الذي يأخذه ولدي من عند الناس ولا يخشي من جزع ولا باس فتعجب بيبرس من ذلك وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

ظل الراوي ثم لها قدمت له الطعام الذي كانت قدمته الى ولدها عثمان فراه مخروج منه نسيرة والرغيف مكسور منه لقمة والشبالة ملائكة برز فقال لها يا أمي انا ما آكل فضلة الاكلين فقالت له يا ولدي وعزة الرحمن الرحيم ما كسر هذه اللقمة ونسر هذه النسيرة من الوزه وملأ الشبالة بالرز كما تري الا ولدي عثمان وكان جيعان واراد ان يأكل مثل عادته فتفكر ما فعلته معه فنزل دموعه على وجنته ثم انها حدثته بما كان من أمر ولدها عثمان وما حكى لها ومثلقاله من الامر والشان فلما سمع منها الامير ذلك تعجب وقال لها هو الا في مغائر الزغلية

وملاعب أحمد بن طالون فقالت له نعم يا نور العين فقال لها يبهرس انالا آكل
حتى أروح اليه واجتمع عليه اما أن يهديه الله الى خدمتي والا آتيك برأسه
واربح الخلق من شره وبأسه فقالت يا ولدي ترفق به فان هذا خدامك وأنا أسأل
الله العظيم ان يهديه الي سراط مستقيم فقال آمين وبعد ذلك أراد يبهرس أن
يقوم فقالت له غزية الحيلة هل لك يا ولدي أن تصبر حتى أقص عليك ما رأيته
في المنام بالامس ومافسرتة ولا لاحد حكيتة فقال يبهرس قولني يا أمي فقالت
رأيت في منامي الست أم القناع الطاهرة بنت النبي المختار المبرقعة بالانوار وهي
سيدة السيدات نفيسة رضي الله عنها وتقعنا بها وهي تقول لي يا حيلة طيبي نفساً
وقري عينا وافرحي فرحاً شديداً بخدمة ولدك عثمان عند هذا الملك السعيد
فان سعد ولدك أقبل وذهب عنه الشقاء ونحول وانت له الهداية والولاية والرعاية
من مولاه خالق البرايا ورأيتك أنت في يدها اليمين وولدي في يدها الشمال ونور
وجها أضوي من الهلال فقلت لها يا سيدتي من هذا الغلام الذي على يمينك
فقالت لي هذا يبهرس محمود المعجى وسوف يكون ملكاً وسلطاناً ويبقى له
كلمة تسمع وحرمة ترفع وهو صاحب العز والوقار والمجد والافتخار وينصر
دين النبي المختار وبهلك جيوش الكفار وأما هذا ولدك فانه يكون له على يده
شأن وأي شأن فاذا أقبل اليك في غداة غد فاكرميه غاية الاكرام واقري
له مني السلام واذا طلب ابنك بخدمة فدلبيه عليه فانه شغوق عليه وينال على
يده الهداية وتحصل له العناية من خالق البرايا فلما انتهت يا أمير من منامي وأنا
غارقة في افتكاري ما أشعر الا وانت في ديارى فلما رأيتك علمت أنك
أنت صاحب الصورة الصحيحة والعلامة الواضحة وهأنا يا أمير اخبرتك
بالقصة من أولها ألي آخرها وأعلمتك باطنها وظاهرها وبعد ذلك فانا وأوصيك
عليه لانه واحد من الدنيا فترفق به الى ان يزول مابه
قال الراوي فلما سمع يبهرس ذلك منها قال لها يا أمي اذا كان هذا الحال حاله ولعل الله

أن يرزقه الهداية ولكن نسألك الدماء فدعت له ولولدها ثم نزل بيبرس وفتح
الباب وركب جواده وصار ولكن متحير في أمره وقال في نفسه من الذي
يدلني عليه وعلى المغائر ثم أقبل على رجل يبيع البطيخ وقال له عندك بطيخ مبيع
قال نعم من بلدنا الذي يقال لها سواده الذي قال في حقها الشاعر هذه الايات
صلوا على صاحب المعجزات

بطيخ ببلدنا سوادي احمر وصفير وأصفر
عليه يناضه ولكن ممدوح اذا كان أحمر
شفت حبيبي تشابه لونه بمزوج بالسكر
خلى العواذل بموتوا بالذبح الله أكبر

قال الراوى فاشترى منه الامير عشرون بطيخة كبار ودفع فيهم دينار وسأل
عن الحمار واذا برجل مقبل عليه يقال له الشيخ على الاعرج وكان هذا على الاعرج
معموس يحب الصبيان فصاح عليه الرجل البطاطخي وقال له تشيل هذا البطيخ
وتوديه الى الشلبي لحد الامام فقال له على الاعيان ثم حمل البطيخ وسار به حتى
خرج من الحارة فقال الحمار يا جندي أنت من أي بيت قال من بيت الوزير نجم
الدين البندقداري والآخر يعبدها فقال بيبرس في نفسه حسبي الله ونعم الوكيل
ثم تبسم بيبرس في وجه الحمار فقال له أنا كان لي مملوكا رفيقي في بيت نجم الدين
وكنت أعطى له الدراهم وكل ما أكسبه اليه وهو يحذني الى أن صار عنده شيء
كثير من المال وأخذ صاحبه وأنت ان اردت علوا المراتب فصاحبني وطاوعني
حتى تصير مثله فتبسم الامير بيبرس وقال له أنا رضيت بذلك ومن الان أنا
رفيقك فاخرج له الاعرج ستين فضه وقال له يا شلبي خذهم حطهم في جيبك هذا
مكسبي البارحة فاخذهم بيبرس ووضعهم في جيبه فقال له الاعرج جميع ما اكتسبه
أعطيه اليك فقال له الامير بيبرس جزاك الله خيرا هذا وقد طمع الاعرج
فيه وقال له ياسيدي من أخذ الاجرة حاسبه الله بالعمل فقال له بيبرس

وما تريد قال له أنت تعرف طلبى فقال له وما هو قال اريد منك الوصال يا وجه الهلال
قال له بيبرس اصبر حتى نبعد عن الاموات ونحن الآن في الفراقة وحيث نخرج منها
وزور الامام ونعود الى مكان خالى وافعل ما تريد لاجل لا تشهد علينا الاموات
يوم القيامة فقال له لاي شيء وأنا كلما تأتيني صيدة أتيت بها الى التربة فقال
له هذا حرام عليك فقال له اعطيني بوسة قال له بعد أن تقضى حاجتك هذا ولم
يزالوا سائرين الى أن أقبلوا الى الامام فقال له هذا الامام قال له يا أبا الامام
الكبير قال له الامام الليث قال نعم فساروا الى أن أقبلوا الى الامام الليث
وقال له اين منائر الزغلية فطار صواب الحمار فقال له ياسيدي أنا لم أقدر روح
الى ذلك المكان واتما ياسيدي ساعحك الله في الستين فضة وأجرة البطيخ وخليتي
أمضى الى حالي فان منابر الزغلية عمل الهلاك وكل من وصل اليه لاله خلاص
منه ولا فكاك فقال له بيبرس والله يا شيخ ان لم تسير معي والآن قتلك واعجل
من الدنيا سر نحك فقال الحمار يا شلبي وانت أى شيء شغلك هناك فقال له وانت
أى شيء لك في هذا السؤال فيما لا يعنيك سر والا ضربتك بهذا اللت فسار
الحمار وهو على غير مراده وابقن بموته وتيم أولاده ولم يزل سائر حتى
وصل الى المنابر

قال الراوي فعند ذلك نزل بيبرس من على الحصان وضرب الحمار باللت
أرماه وقلع عمامته وكشفه بها وجعل رأسه عند رجلين حماره وكان في بيض الحمار
ذباب صار كلما يقرص الحمار يرفص برجليه ووجه صاحبه حتى عذبه والحمار يستغيث فلا
يغاث ويربط بيبرس الحصان مع الحمار في طرف حجرة بجانب مغارة تركهم وسار
قال الراوي ولم يزل بيبرس سائر الى أول مغارة قلم يجد أحداً بيض ولا أسود
وكذلك الثاني والثالث والرابع والخامس والسادس فوجدهم الجميع فارغين
فوصل الى السابع واذا فيه رجال وهم جالسين ونظر الى عثمان وهو بين الجميع
يتحدث وهم له سامعين وعثمان في تلك الساعة يضرب الشور مع الجماعة ويقول

لهم بإجتماع من يأخذني بالثار من الولد المملوك متاع ابن بندو الذي بيته في الحسنية فانه ضربني وتعلما على فنهض ولد من السياس وقال له لا تجعل حمة يا كبيرى فقد مات بيرس وأنا أقتله حالا وأجيب لك رأسه ثم انه نهض من وقته وهو ماشيا على أقدامه الى أن وصل الى باب المغارة واذا بالامير بيرس واقفا كانه الاسد الضبان واللت في يده فرجع الساييس وقد زاد به وجده فقال له عثمان مالك رجعت يا جدي فقال يا كبيرى رأيت عجبا فقال ايه العجب فقال ان الغلام الذي ذكرته لنا قد جاء الى عندنا فقال عثمان رأيت أنت أتى الى هنا قال نعم فقام عثمان على حيله وتبعوه مشايدته ووصلوا الى باب المغارة فرأى بيرس واقفا واللت في يده فقال له عثمان انت جيت الى هنا يا غلبى قال بيرس نعم يا حبيب قلبي ولا أفارقك اما ان تخدمنى والا أقتلك واربح الناس من شرك فقال له عثمان الخدمة بالفلس ما هي بالدبوس قال له بيرس أنا كنت لا اعرفك انت الذي كنت جاهل وسرت ممي على انك تخدمني وبعده سرقت عدتي وأردت الهروب فضربتك ولكن تستاهل وصبرت الى ان أتى الليل ولعبت بعقل الساييس حتى سبيك وهربت وانا أعلم انه ما بقى لك خلاص الا بالخدمة عندي والامونك يكون على يدي ويكون بهذا اللت الحديد لان طبعك بليد فقال له عثمان ابعدهني هذه الحديدة المكبية هلك الله من صنعها لك وجعلها في لحيتي فقال له بيرس وأي شيء قولك في الخدمة قال له عثمان روح فارقي والا انبطك واخلى مشايدتي دول يتماونون عليك ويقتلوك ولا ينفعك أحد من الوزراء ولا من الملوك فقال له بيرس اذا كنت شاطر اخرج الى عندي وها انا قدامك حتى أعرفك قدرك ومقامك انت وكل من معك ومشايدك واقوامك

(قال الراوي) فلما سمع عثمان كلامه خرج من المغار وهجم على الامير بيرس وضربه بالرزة فتلقى بيرس ضربه على اللت فانكسرت نصفين وبقي النصف في يد عثمان والنصف الآخر طار ووقع جانب الجدار ثم ان بيرس

هجم على عثمان وضربه بالثأر إلى الأرض ودار كتافه وقوي سواعده
واطرافه ونادي يا جدهان هذا كبيركم هل فيكم من له نخوة يأتي إلى عندي يطلب
خلاصه من يدي فقالوا له خذه يا جندي وروح لحالك ما أحد منا يريد قتالك
قال فاخذه بيبرس وسار به إلى عند الحمار فلما نظر الحمار ذلك صاح أنا في عرضك
يا سيدي بيبرس خلصني من هذا العذاب فقال له تتوب عن اللواط يا ابن السكب
فقال له تبت على يدك وإن رجعت ثانياً أقتلني فنظر عثمان إلى الحمار وقال له
يا شيخ علي أنت الذي جيت الجندي إلى عندي قال نعم أنا جيت به إلى هنا اليوم
ينقطع عمرك ويرج الناس من شرك بهذا اللت الذي ثراه معه فقال له عثمان لا بد
ما أقتلك قال له الحمار إن خلصت من بين يديه أفصل كلما قدرت عليه رد
بالك يا شلبي تطلق هذا فإنه أذية تخلق الله خطاف عمائم ظالم غاشم
قاتل النفس الذي حرم الله قتلها هذا ويبرس يضحك عليهم ثم أنه
أخرج عشرة ذهب وأعطاهم للحمار وقال لمشاديد عثمان حذوا هذا
البطيخ حلاوتكم لأنكم تركتم كبيركم وأخذ عثمان ودكب ظهر الحصان
وسار به وعثمان بين يديه مكتف من يديه ولم يزل بيبرس سائراً به
إلى أن أقبل إلى باب الخلا قدام السيدة تقيسه فقال عثمان يا بيبرس أطلق
كتفاني فإن دخولي معك في مصر وأنا مكتف يضحكوا على الهضبية
وأولاد مصر وإن لم تطلق كتفاني وحق هذه السيدة لا أخدمك
أبداً فإن النار ولا العار فقال له بيبرس أنت خائف من ضحك الناس
عليك وأنا خائف أن تمص على خدمتي فقال له عثمان إن أطلقتني من
الكتاف أخدمك ولم يكن لي خلاف فظن الأمير بيبرس أن كلامه
حقاً فاطلق كتافه وأعطاه عمامته لها على رأسه وقد تركه إلى جانبه
ولما علم عثمان أنه خلص جري قدام بيبرس إلى باب السيدة حتى وصل
إلى الباب ومد يده إلى الضربة فافتحت فدخل إلى الرحاب ومد يده أغلق

الضبة كما كانت ودخل تحت التابوت وهو يقول لها يا أم البيت انا في حماكي
قد اتيت قوى حيلك انا طول عمرى خديك وأجى كل يوم واكنس مقامك
واذا لم تقومي من مكانك وتنبلى هذا الولد والا ما أبقي من زوارك على أحد
حتى اتبعهم وأخذ عمايمهم ودقافهم وصار عثمان يهلس بمثل هذا الكلام ما يشعر
الا ويبرس دخل عليه في المقام قال وكان يبرس لما رأى عثمان دخل في رحاب
السيدة نزل عن حصانه وسلمه لرجل من الخدامين الواقفين وتبع عثمان الى
الرحاب فقامت في وجهه خدامين الاعتاب وقالوا له ارجع أنت لك أن تهجم
على مقام السيدة أما تخشى الله ولا تخاف من صاحبة هذا المقام فقال لم يبرس
اسمعوا يا أخوان أنا رجل داخل مع السائس لانه هرب مني فقالوا له السائس
ما اسمه قال اسمه عثمان بن الحبله فقالوا له اسمع يا جندي أن الذي ذكرته
لا يخدم أبداً ولا عمره خدم الا عند السيدة كريمة الدارين وانظر كيف انها
فتحت له الضبة بغير مفتاح وكيف دخل عليها وجلس عندها وهو يتحدث
معه وأنت تريد أن تهجم عليه فأرجع يا جندي أحسن لك والا اذا عارضتها
فانك تهلك فان هذا الرجل تابمها فان كان هي تأذن لك في الدخول
فتقدم أنت الى الضبة فان أذنت لك في فتحها فتكون بلغت المامول ولكن
يكون بادب واذا أرادت السيدة وصولك فلا مانع لكن أنت لا اعتبارها
خاضع فقال يبرس سمعاً وطاعة

(قال الراوي) ثم أن الامير يبرس تقدم الى فدام السيدة وقرأ الفاتحة
ووهب ثوابها الى حفرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم الى روح السيدة تقيسة
وبعد ذلك بسط أياديه تحت القبة ودعى الله سبحانه وتعالى وطلب قضاء حوائجه
وبعد ذلك توجه الى مقام السيدة ثانياً وقال لها يا سيدتي أنت تعلمي أن هذا
الرجل انهمك في المعاصي وفي أكل الحرام وضيع كل صباه وحريه في الضلال
وركوب الانام وأنا يا سيدتي أردت أن أجعله عندي خديم لعل الله سبحانه

وتعالي أن يوفقه وإياي إلى طريق الخير والصلاح ويكون بأذنك يا سيدتي وأطلب منك في ذلك السماح فأنت صاحبة الشورى ورأيك فيه الصلاح فإذا سمعني في فيه أخذه واتوبه عن المصاى وأخدمه علي يدك ونكون أنا وأياه أتباعك وها أنا واقف ملازم الاعتاب فإن رضيت يا سيدتي فافتحي لي الضبة حتى أجوز في الرحاب وأن تمنعني يا سيدتي عن الدخول أرجع مكسور الخاطر بلا فائدة ولا حصول ولكن يا سيدتي أن أهل البيت لا ينجبوا من قصدتهم فافتحي لي الضبة حتى أخذه بأجازة منك واجبري خاطري لعل يركنك أن يزول عني جميع الكبائر وأبقى أقول دخلت سيدتي بانكسار ورجعت بانجبار

(قال الراوي) ثم أن الأمير بيبرس بعد ذلك الكلام قرىء الفاتحة ثانيا ووضع يده في الضبة وقال بسم الله الرحمن الرحيم وجبرها فانفتحت قال فلما رأوا الخدام ذلك قالوا له يا شلبي ادخل فلا بأس عليك أن السيدة راضية عنك هذا وقد أخذ الأذن بيبرس ودخل وإذا بعثمان من داخل الستر وماسك في يده الحجر وهو يقول انبطيه بأمر البيت وبيبرس سامع كلامه فتبسم ضاحكا ثم أنه شال الستر ووضع يده على اكتاف عثمان فصار عثمان متحيرا منه وقال له أنت جيت ورائي إلى هنا فقال له أنا ورايك أينما كنت ولا أتركك أبداً إلا إذا كنت تخدمني غصبا دون الرضى والا اقتلك وأريح الناس منك فقال عثمان أنت لك عندي دين وتريد قبضه مني فقال له دع عنك هذا الكلام لا بد أن تتوب وتخدمني أو اقتلك والسلام فقال عثمان بأمر البيت انبطيه ها هو عندك فقال له بيبرس يا عثمان اعلم أنها سيدتك راضية أنك تخدمني وتريد أنك ترجع عن اذية الناس فقال عثمان يبقى بأمر البيت أنا دخلت تحت زمامك ومسكت سترك على مقامك وطول عمري خديمتك وتسلميني إلى هذا الجندي الجبار لاجل أنه يضربني بهذه الرزة الذي بيده ويحكم علي بتخدمني عنده هل أنت عشقتي لاجل حمارة خده وحيات قناعك الطاهر ما أخدمه إلا على طيبة

خاطري فقال له يبيرس قوم يا عثمان وعليك الامان فقال عثمان وهي الدواهي
لا تكون الا من الامان

(قال الراوى) فبينما يبيرس وعثمان كذلك واذا قد أخذتهم سنة الكري
وغشى عليهم فناموا فى الحضري فراي الامير يبيرس السيدة قدامة وهي تقول
له هذا تابى وخدمى وانالم افوته أبدأ ولكن رضىت أن يكون خديمك على طول
للدي ويكون لك سامعاً مطيعاً وكذلك انت الا خر تطيع امره فانه صحيح النظر وانا
ناظرة اليكما بالرعاية والعناية وعلى يدك زال نجسه وانمحي وعده واقبل عليه سعده
ويكون اخيك على مقامى وتوثق بينه وبينك عهد الله قدامى والله تعالى من الشاهدين
فقال لها يبيرس سمعاً وطاعة

(قال الراوى) ثم ان يبيرس انتبه من منامه ولقد اذ احلامه فوجد عثمان يبكى
ويتحسر ودموعه على خديه جارية فقال له يبيرس مالك يا عثمان فقال خدمتك بقلبي
ونيتى لاني سمعت كلام المبرقة معك وهي توصيني بخدمتك وتوصيك على وبالأمانة
قالت لك انمحي وعده واقبل سعده وانت تطيع كلامه لانه صحيح النظر واثقوا عهد
الله على يدي بينكما ويكون اخوك يا يبيرس فقال يبيرس صحيح يا اسطى أنت كنت
سامع قال عثمان نعم أنا معاً كما نم انه اخذه وخرج به من المقام والخدما واقفون
ينظرون وقد مضى الى المطهرة وقال له يا عثمان ادخل الى المرحا واستنقى واستبري
فقال له عثمان مامعنى هذا الكلام قال الاستنجاء بالماء بمدازالة الضرورة لان
الاستنجاء واجب لها شروط ومنها الاستنقاء فقال عثمان أنا ما افعل ذلك ابدا
ولا ابصص روجى وهذا يا جندي عند الساييس عيب ولا هي عادة عند اولاد
الشيخ فقال له يبيرس طاو عنى على ما اعلمك فقال عثمان انا ارضى ابصص روجى
نحن يا معى يطلع الرجل على التل او فى كنيف يشخ ويقوم واما قولك يغسل طيزه احد
منا استغفر فقال له الامير هو لا مجبال وزربو فى الضلال فطاو عنى يا عثمان كما سمعت من
السيدة فطاو عه عثمان بعد مشقة واستعظم هذه الدقة قال وكان فى ذلك اليوم رجل فقيه

يقال له الشيخ عمر وكان عتمان أخذ مقلته من مدة شهرين وضربه ضربتين وكان في تلك المدة مريض وما فاق على روحه الا ذلك النهار فنهض وزل يريد الزيارة الى السيدة رضى الله عنها ودخل الى المرحاض الاول وجلس ليقضي حاجته واذا بعتان أقبل وقال له اخرج يا رجل فلما سمع الشيخ عمر كلام عتمان عرفه جيداً فقام على حيله وأخذ مقلته من على رأسه وناولها الى عتمان من قطع الباب وقال له خذها يا أسطى وروح الى حال سبيلك فقال له عتمان اطلع يا شيخ أنا تبت فقال له خذ هذه المقلّة قبل التوبة وبعد ذلك تب فان باب التوبة محلول فقال له عتمان يا شيخ أنا تبت فالبس مقلتك وسر الى حال سبيلك فقال له لا أطلع أبداً من هنا فقال عتمان وانا الآخر وسرها في مقامها لا أقضى حاجتي الا في هذا المرتقى فلبس الشيخ مقلته وترس الباب بظهره وجعل رجليه جهة الحوض وجلس في صحن الميحاء هذا وقد أقبل بيبرس لما ان غاب عليه عتمان وقال له ماخير قال أنا مرادى أدخل الكنيف والرجل لا يرضى يخرج أبداً فقال له بيبرس ادخل غيره فقال عتمان لا يكون أبداً ولا ادخل الا لهذا المرحاض فقال بيبرس اطلع يا سيدنا ولا تخاف فقال الشيخ والله أضلعي الى هذا الوقت مطبقة من هذه الرزة الثقيلة فكيف اطلع فقال له بيبرس انا امسكه حتى تمضي الى حال سبيلك فقال له حتى تحلف لي بمين انك لا تطلقه الا بعد ربع ساعة حتى أكون انا نجيت من هذا الخط كله فحلف له بيبرس وقبض على عتمان واراد الرجل أن يخرج واذا بعتان نظر اليه ولعب شاربه تخاف الرجل ورجع دخل الميحاء وترس الباب على نفسه فقال له بيبرس لاي شيء رجعت يا سيدي قال انه يلعب شاربه وينظر بعينه فقال له يا عتمان اتق الله تعالى ثم انه أخره الى بريد وخرج الشيخ ومقلته تحت باطه وسار يجري ويلتفت الى ورائه حتى دخل الى منزله وأخبر أهله بما جرى وأنسم بالايامان أنه لا يخرج الا بعد ثلاثة أيام فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من عثمان فانه دخل وأزال الضرورة واستنجدى وخرج فقال له بيبرس اجلس على الميضة حتى أعلمك الوضوء فقال له والوضوء يبقى ايه فقال له انت صمرك ماصليت أبداً قال لا وحياتك يا جندي ثم جلس عثمان وقال له الامير قل بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله على هذا الماء الطاهر وتمضمض بالماء ثلاثة مرات هكذا وقل كذا واستنشق هكذا واغسل وجهك ثلاثة مرات هكذا وانوي فرض الوضوء عند غسل الوجه واغسل رجلك ثلاثة بعد يدبك وعلمه الوضوء من اوله الى آخره فقال له روح انت الى حال سبيك وأنا أنوضأ فتركه الامير بيبرس ودخل الى المسجد ووقف يستناه (قال الراوى) وأما عثمان فانه جلس على حجاب الميضة وكان الى جانبه اليمين رجل عجمي من الدراويش وكان يخاف شر عثمان فبالامر المقدركان جلوس عثمان الى جانبه فلما جاءت عينه في عين عثمان خاف خوفاً شديداً ما عليه من مزيد ونزل الى وسط الميضة بمحوائجه وعطس في القاق الذي على رأسه وكان شبیه الدلو صغير القمر كبير الدائر فأخذه عثمان وجعل يملأه ويفرغ به في بكرة الماء وأما العجمي فلما ضاقت نفسه خرج رأسه من الماء فوجد عثمان ناظر اليه فعاد ولم يزل على هذا المنوال وهو يقول الامان يا أوسطي عثمان وقد تجارت الناس الى داخل المقام فعاد بيبرس الى الميضة فرأى ما ذكرنا فقال يا عثمان قال نعم قال له لاي شيء تفعل ذلك ثم انه نظر العجمي فتبسم ضاحكاً وأخذ القاق وورده اليه ووضأ عثمان واخذه ودخل الى مقام السيدة تقيسه رضى الله عنها ثم قال لثمان انت تعرف الفاتحة قال عثمان اعرف منها قطعتين قال صححها علي قال عثمان الشيطان الرجيم ولا الضالين فقال بيبرس يا عثمان اعلم ان الفاتحة سبعة آيات وفيها اربعة عشرة شدة فاذا اعدمت واحدة منهن بطلت الصلاة ثم قرأ الفاتحة وعلمها له فلما حفظها قال له صلي وقل نويت اصلي ركعتين لله الله اكبر فقال عثمان نويت اصلي ركعتين مثل ما قال الاشقر الله اكبر فقال له بيبرس ما هو كذا

قل نويت أصلي ركعتين لله الله أكبر من غير زيادة فقال عثمان من غير زيادة
 ثم قال الله أكبر طريقتين فقال له يا عثمان طريق واحد قال عثمان طريق واحد
 هذا ولم يزل عثمان يتخالف مع يبيرس حتى كادت أن تنفطر مرارته وصلى
 ركعتين بجهد جهيد ثم أخذه وسار به الى أن أدخله الى النقيب وتوبه عن جميع
 المعاصي وعن الاذية التي كان يفعلها فقال عثمان ثبت على ما كان من المعاصي
 الا بيت الدقيق فظن يبيرس انه على الميش فقال في نفسه ومن يتوب عن
 الدقيق فقال يا عثمان ما تتوب عن ذلك وأنا أذنتك لبيت الدقيق وكان بيت
 الدقيق عند عثمان البوطة هذا يكون له كلام هذا وقد وثق عهد الله بينهما
 على المقام وفرق يبيرس وأعطى وفرح بعتان وعثمان فرح به وخرج فقدم له
 الجواد فركب وسار الى جانبه حتى وصلوا الى القبر الطويل ودخلوا على غزية
 الحيلة ووقف يبيرس بالجواد على باب البيت فقال عثمان يا أشقر من الذي
 عرفك طريق بيتي فقال له رجل من هذه الحارة فقال له عثمان خليك مكانك
 حتى أعرف هذا الرجل واقتله لاني حالف يمين كل من عرف أحد يتي
 لا بد من قتله فقال له أنت تريد أن تنقض العهد والميثاق والتوبة الذي تبها
 والاتفاق فقال له أنا حالف فقال له يبيرس أنت حلفت قبل التوبة والآن
 فأنت تبت عن المعاصي فقال عثمان وحلفت يمين آخر وهو اني ما ادخل بيتي
 الا برأسك في يدي فقال له الامير وأنا حلفت كذلك فقال له عثمان خليني
 أقطع رأسك وأنت اقطع رأسي وادخل أنا برأسك وادخل أنت برأسي
 لاجل ينفك اليمين فقال له يبيرس أنا أحلل لك اليمين من غير قطع رؤوس
 وهو أن أقبض على شوستك وأنت كذلك وأنا اضرب الباب برأسك وانت
 تضرب الباب برأسي وتدخل وأنت قابض على رأسي وأنا كذلك ينفك
 اليمين والسلام فقال له عثمان ومن الذي علمك هذا الكلام وأنت شاب
 صغير والله ان كلامك ذي جنبه المئات كلما ناحت خر عسلها هذا وقد

دخلوا البيت وهم في سرور وفرحت الحيلة وتلفت الاثنين وأخذتهم بلوا الاحضان
 وسلمت عليهم سلام الاحباب فقال عثمان يا حبله افرحى أنا بقيت شاب ثائبا
 خائفا نائبا لا لي ولا علي وخدمت الاشقر على مقام البرقة وبقيت اخوه هاني
 الغدا يا حبله هذا وقد أحضرت المائدة فأكلوا الاثنين وانشالت الاواني
 وغسلت الايادي وذكرت قامة النبي الهادي (يا سادة يا كرام) فقال عثمان
 قوم وروح الى بيت نجم الدين البندقداري فقال له لأي شيء أنت لا روح
 معي فقال له حتى اجمع مشايدى وأقول لهم اني بقيت رجل نائبا ولا بقيت
 اخطف شيء والذي يخطف شيء فهو له واقضى شغلي فقال له بييرس وما هو
 شغلك قال بس اقول لهم اخطفوا وكلوا واشربوا على قدر حالكم واجمع المشايد
 واعلمهم بما جرى علي من هذا الامر الشديد واقول لهم كلوا واشربوا واخطفوا
 على قدر حالكم واحكى لهم قصتي واكشف لهم نوبتي وافوض امرهم الى انفسهم
 واقول لهم كلما خطفتموه فهو لكم ولا احد فيه يشارككم لاني الآن بقيت
 رجل خائف نائبا نائبا دائب فاذا انا فعلت ذلك اعود اليك قال فلما سمع
 الامير بييرس كلامه تعجب وزاد به الالبسام وقال له يا عثمان من شروط
 التوبة النصح للملك العلام فان كنت يا عثمان تسمع من قولي وتوكل الى حملي
 وفعلى فاحفظ توبتك وارفع الى الله تعالى قصتك وقصيتك عسى الله ان يتوب
 عليك ويقبلك وان رجعت عن المتاب فاعلم ان الله شديد العقاب وانه يصيب
 عليك العذاب كما اخبر الله تعالى في القرآن المجيد على لسان سيد بني عدنان
 صاحب الفخر والارشاد قوله تعالى (ان ربك لبلرصاد) ثم ان بييرس لم يزل
 يحذر عثمان ويوعظه بشيء من القرآن ويشير له من احاديث سيد الانام ويوعظه
 ويظهر له البيان ويذره بكل ما قدر عليه من الكلام ويخوفه من عتاب
 الملك المنان الذي لا يشفه شان عن شان حتى لان ثم ان بييرس جعل يقول
 له هذه الايات صلوا على صاحب المعجزات

الا يا اخي فاسمع كلامي	وكف تمسك عن الحرام
وثق الله في كل وقت	واحفظ لسانك لا تنام
فان خفت ربك نلت مجدا	وعزا ورفعة واعلى مقام
واعطاك ربك دار خلا	واسكنك ربك دار السلام
ويرحمك الله مع كل عب	ويحشرك مع زمرة الاسلام
وان لم ترجع عن ذي المعاصي	وتترك الحرام والآثام
والا غرقت في وسط بحر	من النيران زائدة الاضطرام
تقع الامعاء منك حقا	وتقطع الاكباد مع العظام
فالدينا دار لكل فاني	والآخرة خير لكل الانام
وهو مرغوبي وغايه مرادي	فنعم الدار خير المقام
وكل من على وجه الارض ينفى	ويزول الصباح مع الظلام
فارجع يا اخي عن ظلم النفس	وكن يا اخي راجيا مستهام
فطوبى لمن تاب لله حقا	وياشقاوة من عاد الى الخصاص
فما الدوام قط لتغير ربي	هو الكفيل بكل الانام
رازق العباد كريم العطايا	صاحب الاحسان والانعام

(قال الراوي) فلما فرغ الامير بيبرس من شعره وما قاله من نظمه وتره تعجب عثمان منه ومن فصاحة لفظه ودخل عقله فقال له عثمان لقد سمعت كلامك واعجبني ثرك ونظامك فانزل الى حالك واتركني حتى اقصى ماقلت لك فقال له ياعثمان انا متوكل على رب العالمين وسائر الى بيت الوزير نجم الدين وانت الى اين قاصد وعلى انت وارد فقال له الي مغاير الرغلية وتلك الرسوم الخالية واجمع مشايدى وأقول لهم بما جرى لي بالكلية واطلمهم على تلك القضية فقال له ياعثمان تب الى الملك الرحمن وتؤبهم عن الاذية ولا تدعهم يأذوا أحد من البرية فقال له

عثمان بعد أن ضحك عليه أنو بهم لاجل أن يموتوا من الجوع ويصير أشجع ما فيهم مفجوع وهذه الصناعة يأكلون منها ولا لهم سواها فقال لهم سر بهم الى عندي ودعهم يخدموني ويخدموك وأنا أكفيهم من المال الذي أعطاني ربي فقال له عثمان وانت عندك خير كثير حتى أقدم اليك بهذا العشرة فقال لا ولكن يا عثمان كل انسان برزقه ويوجد له من خلقه ولعل الله أن يوجد الخير على قدمهم ويزيد ربنا في رزقي ورزقهم فقال له عثمان والله يا أشقر لقد صدقت فيما به نطقك ولكن سر أنت الى بيتك وانتظرني حتى اذهب اليهم وأتوهم وأعود اليك بهم فعند ذلك سلم عليه بيبرس ونزل من المسكن وركب جواده وسار طالب الاوطان فهذا ما كان من الامير بيبرس (قال الراوي) وأما ما كان من أمر عثمان فانه بعد نزول الامير من عنده قوي حيله وأظهر جلده ونزل من عنده أمة غذية وسار طالب مغارة الغلية ولم يزل سائر والخلق تحشاه ويهربون من قدمه كل من رآه حتى أنه أشرف على المغائر وهو يسبح الله الملك القادر القاهر هذا وقد نظروه غلمانا ومشاديد قتلوه وقبلوا يديه وبالسلاسة هنوه وعن أحواله سأله فأخبرهم بما جرى له والامر الذي ناله وقص عليهم القصة من أولها الى آخرها وكشف لهم عن ظاهرها وباطنها ثم انه قال لهم الآن أريد منكم انكم تكونون مثلي وتفعلون كفعلي وتتوبوا الى الله وترجعوا عن أذية الخلق وتخدموا عند الاشقر الذي أعطاه الله القوة والمنظر وأنا أسأل الله أن يتوب عليكم كما علي قد تاب لانه كريم حلیم تواب فقالوا له انت سيدنا وأميرنا ونحن في طوعك وأنت كبيرنا فلو أمرتنا أن نخوض البحار غلضناها ولو وقدت لنا النار لدخلناها فأفعل بنا كما تشتهي ونريد ونحن لك أطوع من العبيد فنك الامر ومنا الاجابة وعن قولك قط لا نحييد فلما سمع عثمان منهم ذلك الكلام انسر به وهام وقد فتح الله على قلوبهم وعليهم قد تاب وغفر لهم فعند ذلك أحذم

الاسطى عتمان وسار بهم الى رحاب السيدة صاحبة المقام البرقعة بالانوار
 وأمرهم بالوضوء فتوضؤوا وعلّمهم كيف انهم يصلوا وقد فعل بهم كما فعل به
 الامير بيبرس وزال عنهم التمس والنكس وخرج بهم بمد ذلك من المقام
 وسار بهم الى نحو بيت الامير الهام فلما صاروا في وسط الطريق أذن عليهم
 الظهر بالتحقيق فقال لهم الاسطى عتمان اننا نريد أن نصلي الظهر مع الاخوان
 وهو حاضر قبل أن يموتنا وقتته ويفيب فنحن نصليه من قريب فقالوا له
 أقبل ما تريد فتقدم عتمان الى رجل نغار وقال له يا شيخ اعطني واحد وثمانين
 ابريقا يكونون قد بعضهم ولا تزيد واحد منهم على أمثاله فقال له ممعاً وطاعة
 يا أسطى عتمان وناوله الابريق وهو خائف فزعان فأعطى لكل رجل من
 رجاله ابريق فأخذهم في الحال من غير تمويق هذا والرجل الفخار قد لعبت
 ركبته وتفصلت منه بداء ورجلاه وقد لاحت من وجهه عيناه وعتمان يعلم
 منه ذلك ولا يعني عليه حتى كاد الرجل من شدة خوفه من عتمان أن يغشى
 عليه فقال له عتمان كم يكون حق هؤلاء الابريق فقال له الرجل سر فقد سلك
 الله لك الطريق وكفأك شر المضيق واعلم أن عنهم وصل من قبل أن تأتي وتمر
 علي فقال له اعلم يا شيخ اني ثبت عن ذلك القفال التي كنت أفعلا ولا بقيت
 أقبل مثل الامور التي كنت وغيرك تمهدا مني ثم أن عتمان بمد ذلك أخرج
 دينار من الذهب وناوله اياه فأخذه لما سمع كلامه وفهم معناه ثم ان عتمان
 انتقل الى رجل آخر عطار عنده السلب فأخذ منه لكل ابريق حبلا من الليف
 الاحمر قدر ذراعين أو اكثر وأمرهم أن يربطوا ذلك الابريق بالحبال ففعلوا
 ذلك في الحال ثم دنا من السهرج فأمرهم أن يملؤا الابريق فملؤوها وقال اذا
 وجب علينا الوقت نصليه حاضر في الاسطبل ولا تتعب ارواحنا في كل محل
 فقالوا له لقد قلت الصواب وأتيت بأمر لا يعاب ثم انهم حملوا الابريق تحت
 أباطهم وعلقوا حبالهم في أعناقهم فصاروا كأنهم فقراء من أرباب الطريق

وأهل التحقيق هذا والناس قد نظروهم وচারوا من أمورهم وتعجبوا من
 حالهم وهم يشيرون اليهم ولم أحد يقدر على التكلم بل انهم يسررون بعضهم
 ويقولون هذا عثم بن الحبله الذي أنزل على الناس البلا والحنة وحق من
 خلق الخلق وبسط الرزق ورزق اليسير وهو الكريم المقتدر ماهذه الابريق
 الا ملايين خمرأ حقيق وهذا قد جملة على سبيل الهزل بأهل الطريق وماهو
 الا زنديق ولا يعلموا بأنه قد تاب ورجع عن اللوم والعتاب وكذلك كل من
 له من الجند والاحباب والغلمان والاصحاب ولم يعلموا بأنهم خدموا الامير
 والسيد الخطير (يا سادة) وقد اطلع الله الاسطى عثمان على أسرارهم وعلم بما في
 قلوبهم وما ظنوه من ظنهم فأقبل عثمان الى الرجل المتكلم الذي هو بالله قد أقسم
 وسلم عليه فرد عليه السلام وقد صارت الدنيا في وجهه ظلام وأخرج العمامة
 من فوق رأسه وناولها الى عثمان وهو متزعج الخواس فقال له عثمان اعلم يا هذا
 ان ربي كريم يغفر كل ذنب عظيم ولكن أنا تبت عن هذا الامر القديم وفعلت
 فعل رجل كريم فالبس عمامتك واصنع الى قولي بكليتك فلبس الرجل العمامة
 على رأسه وقد ظن أن عثمان يهد منه أساسه فقال له امسك هذا الابريق فضحك
 الرجل من غير تمويق فقال له عثمان اشرب منه على قدر الاطافه فقال ولماذا ذلك
 يا أسطى فقال له بعد أن تشرب أخبرك والا ضربت بالرزه رأسك وأسكنك
 رمسك فمئنها أخذ الرجل الابريق وشرب منه على قدر ما يطيق وأنزله من
 على فنه وناوله اليه فأخذه وقال له هذا ماء عذب صافي التدوين أم هو خمر
 عتيق فقال له بل هو ماء وحق من خلق السماء فقال له اعلم اني ما فعلت
 معك هذا الفعالم الا لاجل أن ترجع عن الايمان والاقسام الباطلة بالملك العلام
 فقال له لك علي ذلك ثم أن عثمان تركه بعد أن أشرف على التلف من شدة
 خوفه على مهلكه وسار عثمان هو ومشاديده حتى انهم دخلوا الى بيت
 الوزير نجم الدين البندقداري قرآهم بيبرس من المقصد وهم بذلك الابريق

فتعجب غاية العجب ولم يعلم ما لهذا الامر من سبب ثم انه نادى بعثمان فأجابه
 بالتلبية فقال له احضر الى عندي أنت ومن معك من مشاديدك فأحذهم عثمان
 وطلع بهم الى عنده في الايوان وقال لهم يوسوا يد الامير فتقدموا وسلموا
 ودعوا وخدموا وباسوا يده فقال الامير يا عثمان ما هذه الاشياء والاباريق
 التي أنتم تحملونها وما فيها فقال قد جعلناهم لاجل الوضوء وقد مليناهم من
 السهر مج حتى اذا جاء وقت من اوقات الصلاة يكون عندنا الماء حاضر فلما سمع
 الامير يبهرس من عثمان ذلك الكلام تعجب وقال له يا عثمان اعلم ان هذا الماء
 مكروه في الوضوء لانه مسبل للشرب وقد جعله صاحبه سيلا لمن كان عطشان
 ولا يجوز الوضوء به الا باذن من صاحبه والا فالوضوء جائز مع الكراهة وان
 الماء بعد ذلك كثير فقال له عثمان واذا وجبت الصلاة في أي مكان يتوضؤوا
 فقال له الامير يبهرس اتركوا هؤلاء الاباريق في الاسطبل واستريحوا من حملهم
 بذلك الحبال واذا جاء وقت الصلاة فمندكم الحنفية وهو الخوض الكبير الذي
 بجانب البئر وعليه خمسة عشر بزبور فتوضؤوا منه والسلام فقال الاسطي عثمان
 ممعاً وطاعة ونحن نفعل ذلك من تلك الساعة فقال الامير يبهرس الذي اعلمكم
 به اني رجل لا أريد اذية احد من الناس وانتم كنتم قبل هذا الآن تفعلوا
 فعل الارجاس والآن رجعتم على ما كنتم عليه فلا تظلموا احد من البياعين ولا
 من المتسبين وعليكم بالحق والانصاف واركوا الجور والاسراف وانا اعطيكم كلما
 تطلبوه من الاموال ورزقي ورزقكم على ذى الجلال ثم انه اعطى لكل واحد
 منهم خمسين دينار واعطى لكل واحد ثمن بدلة يلبسها كما يختار وقال لهم
 اعلموا ان هذه الدراهم لاجل المصروف الخارج عن المصالح اللزومات من
 مأكل ومشروب ومحليات وانما هي لكم تنفقوها في الاسواق في قاكهة ومثل
 هذا الاتفاق واما الآخرين فكل واحد يشتري بدلة يلبسها واذا تقدت
 هذه الدراهم بأجمعها اطلبوا غيرها من الاسطي عثمان وعثمان يأخذ مني

ما يشاء ويختار لاني أعلم أن الحياء يمنكم مني فافهموا ما ذكرته لكم ولا تركوه واحتفظوا عليه في عقولكم ولا تنسوه لانكم تعرفوا عزمي وهمتي ولا تتفكروا شيئاً من براعتي ولا تظنوا أن كبيركم يحميكم فان بلغني خبر بأنكم ظلمتم أحد من الناس اذقت كل من فعل ذلك العذاب وأورثته الوسواس لاني تكلفت لكم بكل ما يحبون من مودة وكسوة وغير ذلك فلا تعرضوا أرواحكم الى الهلاك فقالوا له بعد قبلوا يده يأمرنا رضينا بهذه الشروط نعم أنهم نزلوا الى الاصطبل فتلقاهم عقيرب وفرح فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وقبل يدي الاسطي عثمان فقال له اصلح شأن الاصطبل فاجابه بالسمع والطاعة وقد نهضوا وأصلحوا شأنه وكنسوا ووضعوا الاسرة والفراش من فوقها في صدر الاصطبل فجلس عثمان وقد وقفت في خدمته الثمانين جماعة والثمانين الاخرى الذي لعقيرب وما زال على ذلك الحال الى أن جاء وقت العصر فسمع عثمان الاذان فقال الصلاة يا جدعان فمندها تجاروا الجميع وتوضوا وفي أولهم عثمان من الخفريات فقال عثمان يا عقيرب انت اعمل مبلغ وانا اعمل لكم أمام فقال عقيرب هذا هو الصواب وقد صفهم عثمان صفوف وجعل كل صف منهم عشرة ووقف عقيرب وراءهم وتقدم هو أمامهم هذا كله يجري والامير يبيرس يسمع ويرى فلما رآهم على ذلك الحال أخذ المماليك الذين له ونزل اليهم وقد قصد الفرجة عليهم فتقدم عثمان وقل نويت أصلي فرض صلاة العصر أربعة ركعات أنا وهؤلاء السياس الثمانين متاعى والثمانين متاع عقيرب الله اكبر فعند ذلك نوا الجميع وراه في الحال وقد قالوا مثل ما قال ثم أن عثمان قرأ نصف الفاتحة والتفت الى الجدعان وقال لهم خلوا كتابكم جنب بعض لا يتأخر أحد منكم عن صاحبه وعاد يكمل النصف الاخر من الفاتحة هذا والامير يبيرس لم يقدر أن يشكلم بما به من الضحك على عثمان وجماعته ثم انه قال يا عثمان بطلت صلاتكم لأن الكلام يبطل الصلاة وان الصلاة لها اركان معدوده

قال بطل ركن واحد بطلت الصلاة فقال عثمان الكلام حرام قال له نعم يحرم
 الكلام في الصلاة ويبطلها فانوي ثاني مرة فقال عثمان الصلاة الاولى ما تمتعت
 قال نعم فقال عثمان نويت اصلي المصرا أربع ركعات وانا الامام وعقير البلغ
 يدور طريقين الله اكبر قضحك الامير بيبرس عليه ومد يده اليه يعي ارجع للنية
 فرجع عثمان ثالث مره وقال نويب الصلاة بالسياس الله اكبر فاشار الامير اليه
 فمند ذلك اغتاض عثمان وقال له خض يدق في بيضك ولا يرخيك حتى تطلع
 روحك ان هذه صلاتنا وعلى قدر ما نعرف نقرأ وما نصلي الا كما نعرف
 ثم قرأ شيئا من الفاتحة وقال الله اكبر وحني القوس وأخرج رأسه من بين
 رجليه وقال يا عقير اجعل رجلك جنب رجل رفيقك فقال بيبرس
 هذه عوض التسبيح ثم انه قال يا عثمان ان هذه الصلاة باطلة فقال عثمان
 ولاي شيء قال لانك خرجت من الصلاة وتكلمت بكلام اهل الدنيا فقال عثمان
 انا تكلمت من تحت والتحريج من فوق قال له بيبرس يا اخي الكلام مبطل ان
 كان من تحت أو من فوق فقال عثمان اعلم اننا من أولاد أبو شافع وانت
 من أولاد أبو حنيفة فانت بنية ونحن بنية والبيوت ما هي مثل بعضها فقال
 له الامير افعل ما تريد فصلي عثمان على هذا الترتيب وصلت وراه اتباعه
 واتباع عقير ولما فرغ من هذا الصلاة اخرج السبحة وقد أخذها من
 يد سيده وجلس على سريره وجعل يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم
 بهذه الصلوات والرجال يسمعون منه ويقولون مثله وهو يقول اللهم صل
 على سيدنا محمد وآله وصحبه عدد الخيول الشهب اللهم صل على سيدنا محمد
 وعلى آله وصحبه عدد الخيول البلق اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله
 وصحبه عدد الخيول الدمع اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد
 الخيول الحمر اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول الشقر
 اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد الخيول المرجع اللهم صل

على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد الخيول العمى اللهم صل على سيدنا
 محمد وعلى آله وصحبه عدد الركبات وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى
 آله وصحبه عدد الحمامات وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الشكلات
 وصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد السحبيات
 اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد عدد الاوتاد اللهم صل وسلم وبارك على
 سيدنا محمد عدد الاكاديش اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله
 وصحبه وسلم عدد الجذمان وصل وسلم وبارك عليه وعلى آله عدد الحمير والجمال
 والخيول كلها والبغال والبقر والاغنام والطيور والوحش والموام وما فيهم من
 الشعور والاوزار وعدد ما يخطوا بها أرجلهم من ابتداء الدنيا الى يوم الميعاد
 وعلى آله وصحبه وسلم قال الراوي ولما فرغ عثمان من الصلاة على سيد ولده عثمان
 قال له الامير بيبرس يا عثمان نعم الصلاة على سيدنا محمد بأي صفة مقبولة ليست
 مردودة وتسبح الصلاة عليه بكل ما كنت تقدر عليه ولكن تعظيما لقدرة عليه
 الصلاة والسلام فينبني ان يقال عدد الاشجار والامطار والبحار والبرار ولا
 تقول الخيول الدم والزرق وغير ذلك مما قلته من المقال فقال له عثمان نحن صلاتنا
 هذا وليس لك بنا حاجة قال ثم ان عثمان جلس في مكانه وطلع بيبرس الى
 ديوانه وصلى وراء الامام الذي الوزير نجم الدين البندقداري (ياساده)
 ياكرام ولما فرغ الامير من الصلات وجلس أمر باحضار الطباخ فلما
 حضر قال له مرادي انك توسع المطبخ بالغشن والفضان ولم تجعل لي مطبخا
 بفردى وعلى رأسي وتممل فيه برسمي لاجل رجالي وكل ما كان تحت
 يدي وكل ما كنت تحتاج اليه من اللوازم انا اعطيك اياها ولا تسئل أحد
 غيري في معناه فقال له ياسيدي على الرأس والعين وجميع ما فعلته فهو
 حسن لاشين وأنا أسأل الله تعالى ان يعلى قدرك والى أعلا المناصب

يرفعك ففرح الامير بدماه وأخرج شيء من المال واعطاه وشكر فعلاه ونزل
 بعد ذلك الى حاله وجعل يشتغل بما به أمره وقد باعوا تلك الليلة على أتم حظ
 وأكل راحة وقد آمنوا على انفسهم من التعب والراحة ولما أصبح الله بالصباح
 وأضاء السكريم ينوره ولاح نزل الامير بيبرس وصلى صلاة الافتتاح واكل
 ما راج من الطعام وصاح بعمتان فاقبل اليه وخلفه الغلمان وهما الطائفتان وقبلوا
 يد الامير ووقفوا ينتظرون ما يأمرهم به من الامور فقال يا عتمان أنا قاصد دكان
 أخي كريم الدين فقال عتمل أنت تعرفه يا أمير فقال له هو أخي في عهد الله
 تعالى وأبوه أبي وأمه أمي على ما يرضى رب العالمين وانت يا عتمان تعرفه قال
 أنا أعرفه من قبلك بمدة أيام لأنني نبطنه وأخذت منه الثلاثة عمائم الكبار فقال
 بيبرس وقد تبسم لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا عتمان اني لم أرى
 احدا سلم من شرك وجزاك على مولاك ولكن من الآن يا مشقي ان فعلت شيء
 ما يكون خصمك الا هذا التلث الدمشقي فقال عتمان خيب الله من دمشق ثم
 بعد ذلك خرج بيبرس من البيت وركب وسار الى الدكان والواسطي عتمان خلفه
 والغلمان وكان البرنس على رأسه وقد سار يقرط على أضراسه فلما أقبل الامير
 الي دكان كريم الدين نهض له وتلقاه وقبل يده وأجلسه وأكرم مثواه وكذلك
 أولاد الحارة قد أتوا وسلموا وجلسوا وبعد أن استقر بهم الجلوس التفتوا الى
 الامير بيبرس وقالوا له انت احرمتنا من أنسك أيها الامير لانك من مدة
 ما لبست المصبغات وشقيت وأنت قد امتنعت عنا بالكلية وقد غيبتك عنا
 خدمة مولانا السلطان وهذا يا أخي ما هو من شروط محبة الاخوان ولا
 مرافقة الخلان لانه قد قال الشاعر

مالا أخ الامن واثاك حرجا ورما عهد ودك في الرخاء
 وأمانك في كل صعب وأنذل المجهود حقا والعتاء
 وأعطاك من ماله كل ما رومه وان وقعت كان لك القداء

فهو الاخ الصديق حقا فلا تكف عنه في الاشياء
وما دون ذلك فاجتنبه فانه والله ليس له وفاء
فكن صديقاً لكل محب وكن بعيداً عن صحبة الاشقياء

(قال الراوي) فلما فرغ المتكلم من هذه الايات قال له الامير بيبرس اعلم يا أخي انني كنت مشغول في أمر من الامور وقد تيسر لي بأذن الملك الغفور وحصلت في ذلك امداد السيدة نفيسة العلم صاحبة العطا والجود والحلم فبكرتها بلغت المقصود وقد نلت غاية المطلوب من الرب المعبود فقال له الشيخ يحيى الشماع يا ولدي من مدة ثلاثة أيام مارأيتك اعيانا يا صاحب الاحترام فأين كنت يا ولدي وما سبب هذه الغيبة فقال يا أبي كنت ادور لي على خدام حتى يكون لي راحة من شدة الوحدة والايام ويساعدني على ركوب الخيل وخدمة الحصان فقال له الشيخ يحيى يا ولدي جملك الله في الامان وهل رأيت لك خدام قال نعم قد استخدمت رجلا ابن حلال فقال له الشيخ يحيى من يكون هذا الرجل وما اسمه بين الرجال اخبرني بحقيقة الحال حتى اني اوصيه عليك واخليه يحفظ مقامك ويرعى زمامك ويقبل يدك فقال له ياسيدي هو رجل اتيت به الي عندي يقال له ابن الحبله عثمان وحق صاحب الامتنان ثم انه حدثه بالقصة التي جرت له مع الاسطى عثمان من اولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها (قال الديناري) ولما سمع الشيخ يحيى بذكر عثمان غاب عن الدنيا ونسى الاوطان واسودت الدنيا بين عينيه ولابقى يعرف ما بين يديه ثم ان الشيخ من شدة خوفه من عثمان لم يفهم من الامير ما ذكره له من البرهان بل انه اخذ العمامة من على رأسه وارماها داخل الدكان وقد بهت الامير من فعله وما نزل عليه من الهوان وقد جلس الشيخ وهو منزوع الرأس منزع الحواس وقد سكت عن الكلام وزاد به الوسواس والانذهال من شدة ما سمع من الاقوال فزاد بالامير المعجب من ذلك الحال وقال له

ياسيدي لاي شئ فعلت هذه الفعـال ورميت العمامة الى داخل الدكان فقال له
 يا ولدي لاتسألني عن فـمالي التي فـملتها فـوق رأسك ما عندى عمامة غير ها وان هوأتى
 وأخذها بتكدر عيشى من اجلها لاني يا ولدي من المـلوم ومالي في دار الدنيا سوى
 ما على بدني من الهدوم وهذا يا ولدي رجل فيـصيح لا يهدى عن الاذية ولا يستريح لانه
 اخذ مني مثـلها ثلاثة عـمام كـبار قبلها وان هو منى طلبها لا اقدر منعها واقعد بعد ذلك
 بمـصرتها فقال له يا بني لاتخاف ولا ياخذك لاجل ذلك ارتجاف فـوق صاحب الالطاف
 ان عثمان قد تـاب عن الجور والاسراف وقد توبته عن الافعال الذميمة على مقام
 السيدة نفيسة الجليلة الكريمة فالبس عمامتك على رأسك وهدى روعك ومرك
 وياأتيك بكل ما آخذ منك لاجل انك تصاغـه وبما فعل في حقك تسامحه ويصالحك
 وتصلـحه ثم ان الامير قص عليه القصة ثانيا بعد ان هدى روعه وقل عنه هو له
 وقد قال الشيخ يا ولدي اذا كان الامر كما ذكرت والحال على ما وصفت فخـليك
 الى جنبي مقيم لاني أخاف من رؤيته خوفا شديدا عليه من مزيد فقال له الامير
 يا ولدي لاتخاف أبدا فـروحي لك الفدا من كل سوء وردى فلما سمع الشيخ يحيى
 لبس عمامته واعتدل في قعدته وهذا روعه وسريـرته وجلس يتحدث مع الامير
 بـيرس فهذا ما كان من نوبته واما ما كان من اولاد الحسينية فانهم حاروا مما
 سمعوا وقد هالهم ذلك وقد علموا ان ما بقى لهم مقام مع الامير بـيرس مادام انه خـدم
 عثمان فظهروا الجلد واخفوا الكمد واصطبـجوا على حسب العادة وسلموا على
 الامير بـيرس وراحوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان منهم (قال الراوى) واما كان
 من عثمان فانه سار خلف الامير بـيرس وعلى رأسه الملاية وقد وقف
 بميد من الدكان وجعل ينتظر خروج أولاد الحسينية ومعه الجـدعان
 وقد اوقف عقيرب الى الجهة الاخرى وذلك خوفا ان ينفلت منهم انسان
 فبينما هو كذلك واذا برجل مقبل عليه وقد صـكان معهم في الدكان فلما

وصل الى عتمان كشف الملاية عن رأسه ورقص له شواربه واحدق نحوه بالاعيان
 فانزعج الرجل وأخذه الانذهال من ذاك الحال فاشار اليه عتمان بيده فأقبل
 اليه وقد قلع عمامته من علي رأسه بيده واثى بها اليه فقال له عتمان أنا تبت
 فقال له الرجل خذ هذه وبمدها تب وانركنى امضي الى حالى فقال له عتمان
 امض من هاهنا الى الدكان وقل للشيخ كرم الدين ان رجلا واقف خلف الدكان
 يريد ان يكلمك لاجل شيء عرض له من الاحكام فلا تتوانى عنه بل اجبه في
 عاجل الحال فقال له سمعا وطاعة فقال عتمان سر اليه ولا تذكر اليه أنا هنا ولا
 تعمل عليه فسار الرجل وهو يتمتر في اذياله ولا تسأل على ما حري له لاني
 خراه نزل في سرواله لما اصابه من الخوف من عتمان واقامه ففكر كبر بطنه
 عليه وقد انفرطت عروق مخرجه فاذا سأل عن روجه مما يجري عليه ثم ان
 الرجل عاد الى الدكان وهو علي ما ذكرنا من الامر والشان وقال يا كرم الدين
 اجب رجل يدعوك اليه في شيء قد عرض له وهو يريد يسألك عليه ولا تتوانى
 لانه في انتظارك يريد ان يأخذ خطابك وجوابك فقال سمعا مطاعة ثم انه
 خرج معه الى ان اقبل به الى عتمان فلما تحققه زاد به الهيمان ونزل عليه
 الخذلان وارتعب منه القلب واليدان فقال أنا في عرضك يا اسطى عتمان فقال
 له عتمان لا تخاف فاني تبت عن الاذى والبهتان وقد خدمت عند الامير يبرس
 من أمس فقال له يا سيدي قد بلغنا ذلك والله تعالى يجعله عليكم عاما مباركا
 لانك بقيت أخينا فالله يعطيك كل ما تتمناه فقال له عتمان اني اريد أن أسألك
 عن شيء واحد فاصدقني فيه بحق الملك الماجد وسرها في مقامها أن تخبرني على
 ما أسألك عنه والا أنبئك بهذه الرزة فقال له قل ما شئت وأنا أخبرك عن
 كل ما رمت فقال له أولاد الحارة يأكلون من عندك حلاوة ويشربون عرقسوس
 ولم ار واحد منهم يعطيك شيء من الفلوس هل ترى لك عليهم ماهية أم يعطوك
 حقك بالشهيرة فقل لي على الصحيح من قبل أن نجعلك طريح فقال له اعلم يا

اسطى عثمان ان لم أربعة أشهر تمام وهم يأتوا الى الدكان ويأكلوا ويشربون
على سيدك الامير بيبرس وحق الملك النان قال فلما سمع عثمان ذلك الكلام
قال له امض أنت الى دكانك ولا تبدي شيء للامير في سؤالك فاجاب بالسمع
والطاعة وعاد الى مكانه من تلك الساعة ولا يبدي لاحد خطاب ولا يتكلم
بشيء من الاسباب فهذا ما كان منه

قال الراوى وأما ما كان من عثمان فانه وقف في مفارق الطريق وارصد
أولاد الحسينية في المضيق فبينما هو واقفا لم واذابهم هدا قبلوا عليه ولا
يعلمون بذلك فلما رأهم رفع الفضا وأقبل عليهم مثل القضا وطرق رزقه وزاد
في جبرته وقال هذا الموال

البن قال لي ايش اسمك قلت له غالب والنفس مالت لعمرك والحب غالب
والجيل قال لي ايش مرادك قلت له طالب وصالك أسوق عليك على بن ابي طالب
قال ولما فرغ عثمان من مواله وشاهدوه أولاد الحسينية وقد رأوا ما
صنع من أعماله حارت منهم الافكار وزاغت منهم الابصار ونمنوا ان الارض
تبلمهم وبهم تفار ولا يقفوا بين أيادي هذا الجبار وكانت أرجلهم في الارض
قد تسمرت وقلوبهم من الخوف ارتجفت ومفاصلهم قد تخلخلت ولا بقوا
يدرون من أين أتوا ولا من أين يذهبوا فقال لهم عثمان اسمعوا مقالي وأنتم
تعرفون فعالي هل عندكم خبر خدمت أنا عند من قالوا له لا نصلم بشيء من
ذلك يا اسطى قال عند الامير بيبرس أغاة الوشاقية وقد بلغني أنكم في عشرته
من مدة أربعة أشهر وأنتم تأكلون حلاوة وتشربون عرقسوس ولا تحاسبوا
على أثمان البضاعة ولا تدفموا فلوس وان الرجل قد جعلني وكيلا حتي أخلص
له عن البضاعة ولا ينكسر فيها بالابضاعة فقالوا له يا اسطى انه كان يعطينا
كلنا وحقه على سيدك وهو يوضيه علينا فقال عثمان هل كان قريبكم أو
ابن عمكم حتي يطعمكم ويسقيكم ولا يأخذ منكم بل يعطيكم ولكن

حاسبوني والا انبطم بالرزة وتفقدكم الاحبة والاعزة فقالوا له الحساب ظاهر كل واحد منا عليه مائة وعشرين جديد قال وأنا رضيت بهذا الكلام السديد فقالوا له ان الذي معنا نعطوه اليك والذي يبقى علينا نصبر علينا ونحن ندفعه لك فقال عثمان أنا مرادى أعجل ولا اصبر على أحد منكم ولا أمهل هذا وقد أخرجوا ما معهم من الجدد وسلموه لعثمان فاخذها وقال لهم وأين الباقي فقالوا له ما معنا خلاف ما أعطيناك فقال عثمان مما عنكم تسد في الذي عليكم وحوائجكم فقالوا له خذ هذا الطربوش قال عثمان بقرش وهذا الشال قال بقرش وهذه الصمامة قال بقرش وهذا اللباس قال بقرش والبلغة بقرش وكان عثمان عنده القرش والجديد حسابهم واحد لا يزيد ولا ينقص ولم يزل يفعل بهم تلك الفعال حتى تركهم مثل ما نزلوا من بطون امهاتهم فوققوا الجميع الى جانب بعضهم وحاروا مما عاينوا وضافت عليهم الارض وحلف كل واحد منهم ان لا بقي يقرب ذلك الدكان ولا يماشر بيبرس لا ليلا ولا نهارا مادام عثمان على ذلك الشأن هذا وقد صاروا يسترون عورتهم بأيديهم فهذا ما كان منهم وأما ما كان من عثمان فانه جمع الحوائج وجعلهم عقدة كبيرة واقبل الى جانب الدكان ووضعهم في الارض وجلس عليهم وترك اصعابهم فهذا ما كان منه واما ما كان من أولاد الحسينية فانهم ما هان عليهم تلك الفعال وخافوا ان يسبوا الى اماكنهم على تلك الحالة وقد أخذهم الانذهال فقالوا العقلاء منهم نمضي ونعلم بيبرس لعل أن يزول عنا ما نزل بنا من الشمس والنكس فقالوا لهم الآخري ان عثمان هناك وان رأنا يورثنا الهلاك فقالوا لهم لا بد لنا من ذلك ولا تشمت فينا العدا اذا رأونا على تلك الحالة ثم انهم ساروا باجمعهم حتى انهم وقفوا قدام الدكان وكان الامير بيبرس لا يعلم بشيء من ذلك الايقاع لانه كان ملتهى مع كريم الدين والشيخ يحيى الشماع فلما وقفوا قدام الدكان وقد نظرهم الامير بيبرس على ذلك الشأن تنير لونه واضطرب كونه وقال لهم ما حالكم

وما الذي جرى عليكم ومن اخذ متاعكم وجعلكم عبدة لمن يراكم فقال
واحد منهم يا مولاي اني ارسلت عمامي الى البيت لاجل ان يفسلوا لانها
قد نزل عليها نجاسة وقال الآخر وأنا ارسلت الخضرة واللحم في الهدوم
والعمامة وقال الآخر أنا جيتي فيها مواضع وقد اعطيتها لرجل لصانع بخيط
ما فيها من الفتوق والقواطع فقال الآخر اما أنا فكانت ملابسي كلها حرة
فاخذتهم الحداية وطارت بهم ولا أدري في أي مكان تركتهم فقال الامير
وأين شالك الذي كان على اكتافك فقال اكله الفار وهو على تلك الصفة
فأخذته وسلته الى رجل رفا حتى انه يرفيه ويصلح العيوب التي ظهرت فيه
وصار الامير كلما سأل واحد منهم على متاعه ولباسه يحدته بهذا الكلام
المهذبان خوفا وفزعا من عتمان لانه كان يسمع قولهم وينظر اليهم وهو يضعك
عليهم ولا يبدي كلام ولا ينطق بشقة ولا بلسان (يا سادة) فلما سمع الامير
بيبرس ذلك الكلام قال لهم يا ناس هذا كله ما دخل عقلي ولا تصور في
فكري فمليكم بالصدق والمصحيح فلا تخافوا ولا تفرعوا فقال واحد منهم يا
مولاي أنت لبيب وتقيم المعاني من قريب وانا أقول لك عن تلك الاشارة
فكن فاهما لما باحسن عبارة فالذي جري علينا من بعض اتباعك ويا ليتنا ما
عرفناك ولا اجتمعنا بك فما نابنا من المعرفة الا ما رأيته أنت مما نحن فيه من
الصفة فقال لهم الامير ومن هو الذي فعل بكم هذا الفعل واورثكم هذا الوبال
فقال رجل منهم وهو يشير باصبعه الى عتمان ولا يقدر ان يتكلم بكلمة واحدة
بلسان لا اله الا الله واحد احد فرد صمد لا له شريك ولا رفيق
ولا ولد فلما سمع الامير بيبرس ذلك الكلام صار الضياء في وجهه
ظلام وخرج الى خارج الدكان فرأى الاسطى عتمان وهو جالس على
الحوائج كأنه سلطان فتقدم الي عنده وقد قال له وقام على الاقدام
ونظر الامير الى ما معه من الحوائج والامتنعة فقال له ما هذا الشأن وما الذي

معك يا عتمان فقال له ما معى الاهدوم هؤلاء العرصات الذين يأتون اليك في
 كل الاوقات فقال له وقد تعجب انت تقضت التوبة يا عتمان قال لا وحق الملك
 الديان ولكن أنا أخذتهم بيع وشري من غير ظلم ولا افتري واسألهم بما جري
 بخبروك عنه فالتفت الامير اليهم وعن ذلك سألم وقد آمنهم على انفسهم فأخبروه
 بالقصة من أولها الى آخرها وكشفوا له عن باطنها وظاهرها فقال لعتمان وبلك
 ولاى شىء فعلت هذا الفحال القباح فقال عتمان اقعد وحده يا مشكاح أما تعلم
 ان هؤلاء أولاد مصر مامنهم الا له صناعة يعمل فيها بقوته وقوت عياله فلما
 رؤوك تركوها وبصحبتك بدلوها وقد صار لهم اربعة أشهر يطالين ومعك لاهيين
 ولا عين فان أنت آقت على هذا الحال أخذوك وأكلوا مامعك من المال واذا
 فقد ما عندك من المتاع وتركوك ومامنهم من يعرف لك ارتفاع وربما ان الناس
 يقولون قد حل قدم عتمان عليه ثم انه تفذ كل ما كان من الامتعة والاموال
 الذى كانت بين يديه فعند ذلك عرف الامير ان عتمان خائف عليه
 فقال له يا أخى أعطيتهم متاعهم لاجل خاطري ولا تقهرني ولا تمنعنى أمري
 فقال لهم عتمان خذوا حوائجكم والبسوها واذا كان من النقد اجمعوا
 انفسكم الى هذا المكان وبادروا اليه حكم ما كان لكم من الزمان فقال
 واحد منهم ان انت نظرتى بعد هذا اضرب رقبتى وحلف آخر تسمين
 عينا انهم فى الحسنية باجمعهم لا يقيموا ثم انصرفوا بعد ان أخذوا
 أمتعتهم وذهبوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من حديثهم (قال الدينارى)
 واما ما كان من امر الامير بيبرس فانه أخذ عتمان واقبل به الى الدكان
 وأمره ان يصفح الشيخ يحيى وولده وان يقبل يدها وقد اطمان قلب
 الشيخ من جهته وأراد الامير بيبرس ان ينزل من الدكان واذا بالافا الذى
 البسه آغة وشاقية مقبل عليه وقد قبل يده فقال الامير الى اين ماضى
 فقال أريد أن اشق أرض مصر فأوصاه الامير بالعدل والانصاف وعدم

الظلم والاسراف وأمره بالمسير الى شغله فهذا ما كان من امره وبعد ذلك سار
الامير الى بيت الوزير نجم الدين وبات تلك الليلة الى الصباح ولبس بدلته
وتقلد بآلته ونمشته وتوضي وقضى فريضته ونزل على سلم ركوبته فقدم له
عثمان مركوبه فركب وسار وعثمان الى جانبه ولم يزل سائر حتى انه خرج
من باب القرافة وسار طالب الخلوات فبينما يبرس سائر على هذه الحالات
واذا بعثمان تعلق بلجام الجواد واما عن المسير فقال له يبرس ما هذا الفعل
الخطير فقال له الى اين انت سائر من الجهات وما الذي تريد بطولعك الى
الخلوات فقال له الامير وقد تعجب ولاي شيء تسأل عن ذلك يا عثمان فقال
له لا بد ان تخبرني عن هذا الامر والشأن والا لرجع عن خدمتك واعود الي
ما كنت عليه لان الاقدمين قالوا في الامثال سايس من غير جامكيه فأنجته
معه وأنا أقول سبوح قدوس الخدمة ماهي بالدبوس لاني فهمت الضمير وعلمت
انك انت تريد ان تعمل على حيلة وتصطادني الى الوزير ابو فرمه يقتلي وهو
الذي سلطك على ودبر لك في ذلك حتى بمكرك تحايلت على لانك مثل العقارب
خاين اليهود وفعالك مثل فعل الثرود قال فلما سمع الامير يبرس ذلك تعجب
منه وقال له من هو ابو فرمه الذي تذكره وتخشى بأسه وتنكره وقال له
رفيق ابو قوطه فقال له الوزير والسلطان فقال انا ماضى يا عثمان الى بيت أبي
وزير الزمان قال عثمان اما تدري انه عدوي وانا عدوه لاني قد فعلت معه
فعال تعجز عنها خول الرجال وقتلت له في هذه البلدة سبعة ولات ولو وقع
في يدي لسقيته كأس فناء وقد قطع على سبعة فرامات في سبع الجهات محل
ما يمكنني ويقدر واعي ويحرقوني ولا احد يطالب من فعل ذلك بدمي وبعد
ذلك فانا ما امضى مملك ابدا ولو سفيت كأس الردي

قال الراوي فلما سمع الامير ذلك الكلام علم ان الحق بيد عثمان
وانه فعل ما فعله قط انسان فقال له وقد تعجب منه يا عثمان

لا تخاف ولا تكون فزعان وعليك الامان واعلم اننى ما فرط فيك أبداً ما دمت
تشم نسيم الهوي وروحى دونك القدا من كل الأهوال والردى وما لك الا ما يسر
خاطرک ومع الوزير أريد أن اصالحك فقال عثمان أنا ادبر لك تدبير فان صملت
به طاوعتك وفى مسيرك تبعتك وان كنت فيه تخالفنى خالفتك وتركت الخدمة
وبعدت عنك فقال بيبرس قل ما تريد فقال اذا وصلت أنت الى هناك وطلعت الى
الى الوزير واخبرته بالخبر والتدبير وذكرت له أنك خدمت عثمان فان رأيت منه
الفرح والسرور والرضى والحبور فطل برأسك من المقعد أو من الشباك وقل
لى وارميش فاذا سمعتك قلت ذلك علمت أنه على راضى غير غضبان وان رأيت
عند سماع ذلك الاقوال زاد به الغيظ والاندهال طل لى من المقعد وقل لى شفا
فأعرف أنا انه غضبان واحط يدى على رزقى واقطع بها دابر كل من كان عنده
من الرجال حتى أدخل منهم الديار والاطلال وأنت أيضاً تحط بك فى اللت وتقتل
الوزير ومن كان عندك فى أعلى المكان من كبير وصغير وتملكوا البستان وبيوت
الوزير بما فيها من الاموال والخير الكثير ولا تخاف من أحد من الانام وان
عارضك ابو قوطه أقتله أنا والسلام ولا أحد يقدر علينا من الانام

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيبرس من عثمان هذا المقال تعجب من
قوة قلبه وظهر له عند ذلك منه عدم خوف والاندهال وقال فى نفسه الراى
عندى أن اطاعه على قدر عقله حتى اننى آخذه واوصله ومع الوزير اصالحه
ثم انه التفت اليه وقال له يا عثمان قد سمعت كلامك ورضيت بما ذكرت
لى من مقالک فقال عثمان أنا لا اصدقك فى المقال ولا تسمع نفسى بالمسير
الى ذلك الديار حتى انك تحلف لى بمقام السيدة المبرقة بالانوار فقال
له الامير وسر مقام السيدة المبرقة بالانوار صاحبة الندهة والتذكار
اننى اخبرك يا عثمان بكل ما دار بيننا من الكلام ولا أكنم عنك منه شئ فى

الاذعان فقال له عثمان سير يا أمير ولا تخشاف من سلطان ولا من وزير قال ولم يزلوا سائرين الى أن اقبلوا الى البساتين وقد دخلوا الى مكان الاغاشيين فنزل بيرس من على جواده وطلع الى المقعد فقام له الوزير وتلقاه واجلسه الى جانبه واكرم مشواه وجعل يتحدث هو واياه فهذا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الراوي) وأما عثمان فانه بعد أن صعد سيده الى المقعد التفت الى كبير السياس الذي هال للاغا شاهين وهو جالس على جهة اليمين وبين يديه النملان سامعين ولامره مطيعين فصاح عليه عثمان وقال له باغلام وأشار بيده اليه وقد زاد تعجبه حيث أنه أشار اليه من دون الحاضرين ولم يراعى قدره فقال في نفسه ما هذا التكبر في هذا السائس ومالي الا أن أقوم واسير الى عنده وانظر ما يريد واجازبه على فعله ثم نهض السائس وسار ومن خلفه غلمان الصغار والكبار حتى وصل الى عثمان وتأمله فمرقه ولم ينكره فارتعب قلبه وتفصلت ركبته وصلبه وتقدم الى عثمان وباسن يده وقال له سلامات يا جدي ومن هو أحب عندي من أهلي ومالي وولدي ولما رأوه غلمان فعل تلك القمعال قبلوا يد عثمان كلهم في طاجل الحمال فقال عثمان خذوا الجواد وسبسوه وسيروه فقالوا له سمعاً وطاعة ثم أن كبيرهم أخذ الجواد وجعل يسيه بيده واقبلت جميع السياس فأمرهم بخدمة الاوسطى فوقفوا عنده وبين يديه وما منهم الا من هابه وخاف منه وهو يحكم ويأمر وقد تعجب من ذلك كل الحاضرين فهنا ما كان من أمر هؤلاء

(قال الديناري) وأما ما كان من الأمير بيرس فانه قال له الوزير يا ولدي أن لك أربعة ايام وانت هاجرنا فلأى شيء هذا الهجران فقال له يا ابني اعلم انني سمعت قولك واسكنته في آذاني وبين اعياني وقد عملت به ومضيت اخذتم لي رجل سائس حتي يساعدني على الجواد لانك نظرت ما تدرى لي من الضاد فقال له الوزير هل رأيت لك خادماً فقال نعم رأيت لي رجلاً ابن حلال عظيم الخصال

قليل المثال والله ياأبي انه رجل مليح وقدره رجيح ولسانه فصيح فقال له الوزير
عسى الله يكون ابن حلال وليس هو من الرجال الاتدال فقال له ييرس نعم وحق
رأسك ياوزير الزمان انه رجل ممان فقال له الوزير والله ياولدي انك حبيبتني
فيه وشوقتنى ان انظر اليه وأعرف معانيه وأن كلامك اوقع حبه في قلبي واسكنه
ما بين اضالمتي ولبي لانك كلما رأيته حسناً كان حسن فما اسمه ياولدي حتى انادمه
وأراه واعطيه شيئاً من الحطام لاجل أن يفتح لك عيناه واوصيه عليك بكل
ما اقدر عليه فقال ياوزير الزمان اتى اخاف ان اقول لك على اسمه واذكر لك
حسبه ونسبه وشكله ورسمة تتغير متى تسمع ذكره لانه اخبرني بأمر قد حصل
له واعلمنى بكلمة جري عليه وله واوصانى اننى لااخبر أحداً باسمه فقال له الوزير
اعلمنى لاني اخاف أن يكون هذا الذى خطر ببالى فقال له وحق الملك الديان
اسمه الاوسطى عثمان

(قال الراوى) فلما سمع الوزير من ييرس ذلك الكلام صار الضياء في
وجهه ظلام وقال يا ييرس هذا آخر المهد ينبتا ولم يكن بعد ذلك اجتماع من
بعد ما حصل هذا الايقاع لان هذا الرجل جبار غنيده وشيطان مرید يقتل
النفس المحرمة ويهين الحرمه ويشرب الخمر ويؤذي الناس بالمكر وانه ليس له
دين ولا اعتقاد في يقين وقد قتل لى سبعة اولاد في مصر وطردنى ثلاث مرات
ولو وقعت في يده لقتلنى ثم أن الوزير أخبر الامير بييرس بالقصة من أولها الى
آخرها وكشف له ظاهرها وباطنها فقال له ياوزير الزمان كان المهد به أول الاوان
واما هو لآن فقد تاب ورجع عن الامر المعاب وقد عاهدنى على مقام أم الاسياد
وأعاد عليه القصة التى جرت وكيف انه سأل عن بيته وكيف سار خلقه الى مفاتر
الزغلية وكيف انه علمه الصلاة وما جرى من يوم ظاب الى هذا اليوم وصار لا يريتكلم
والوزير بتعجب وقد قال له اعلم ياولدي أن الله سلك منه لسما دتك والا كان قتلك ولكن
ياولدي ان كان الامر كما ذكرت والحال كما وصفت فادعه الآن بأني الى عندنا

حتى تنظر كيف الحال فقال له يا وزير الزمان انني اتفقت معه على السؤال والجواب وذلك انني اذا اثبت البك وأخبرت بك بمجيئه فان انت رضيت اطل له من المقعد واقول له أرميش يعلم انك راضى عليه فيصطحب معك وان لم يرضى اقول له شفا فاذا سمع ذلك يقتل الذي عنده في الحوش وانا اقتل الذي عندي فوق وملك البيت بما فيه ولا أحد يتعرض لنا ان تكلم الملك الصالح يقتله برزته لانه ضمن لي ذلك فانت قابل

(قال الراوى) فلما سمع الوزير تبسم ضاحكا وقال له يا ولدي ان كان عثمان تاب قال الله كريم تواب وانا قد سألته فاطلبه الى عندك حتى انظر اليه واحده فقال سمعوا وطاعة ثم طل بيبرس برأسه وضاح يا عثمان فقال عثمان شغلوا الارميش فقال له بيبرس رميش فقال عثمان اياك شفا قال له يا عثمان ارميش قال عثمان خير يا جديع قال بيبرس اطلع يا عثمان كلم الوزير قال عثمان وسرها في مقامها ما اطلع الا اذا ارسل الى اربعة عماليك من عنده يستدوني الى فوق حتى يطلعوني فقال الوزير سمعوا وطاعة ثم أمر له الوزير بأربعة عماليك يستدونه فترلوا اليه وقبلوا يده فقال لهم الوزير ارسلكم جبا والا يأخذكم ثاني فسمع الوزير ذلك فقال له جبا وحيات رأسي يا عثمان هبة كريم لا يرد في عطاء فعند ذلك التفت الى المملوك الاول وقال له ما اسمك قال له اسمي رشوان قال له انا اريد ان اغير اسمك بشرط ان احد ناداك باسمك واجبته طيرت راسك من على يديك بهذه الرزة وقد سميتك حنيش فقال سمعوا وطاعة وانت اسمك منيش وانت ابو حيه وانت ابو الدوح فعندما عرف كل واحد اسمه وساروا بثمان الى الاغاشيين فلما رآه الوزير قد اقبل عليه اخذته منه هبة عظيمة فقام له على الاقدام وترحب به ومد له يده فطرقها بيده حتى كاد ان يخرج زنده وقال له مرحبا يا جديع فاشار اليه بيبرس بعينه ولم يقدر ان يتكلم ومعنى ذلك يعنى الزم الآداب فقال هاهو الذي قال لي ارجب وسلم علينا سلام السيس

ثم ان الوزير قال له اجلس يا عثمان فجلس عثمان الي جانب الوزير هذا ويبرس
بغمزه يتأخر فقال عثمان الارض ارض الله وانت تغمزني لاي شيء غمزك حنض
يدق في ييضمك ولا يرخيك حتى تطلع روحك انت وكل من كان يشدد لك
علي ظهر الدنيا

(يا ساه) فتبسم الوزير وقال للامير دعه يا ولدي يفعل مثل ما يريد من
مراه فقال عثمان يا ابو قرمه قال نعم قال له قبل كل حساب قطع لنا الامانات
السبعة ودع ما كنا فيه من العناد والفجعة فعند ذلك أمر الوزير باحضارهم
فاحضروهم الحمد لله فسلمهم الوزير الى عثمان فاخذهم عثمان والصقهم في دابر
المسكان وقال للوزير اعلم اني ما عملت هذه الاعمال الا انك اذا رايتهم ترحم على
احلبهم وتخشى سطوة من قتلهم فتبسم الوزير من قول عثمان ومد يده اليه واعطاه
ألف دينار فاخذهم منه عثمان ثم ان الوزير صاح على الاربعة نماليك وقال لاحد
يا رضىوان فارد عليه جواب فظن الوزير انه ما سمعه فصاح بالثاني وقال
يا رضىوان فارد عليه فتعجب من ذلك الشان فتركه وصاح يا صالح فارد عليه
جواب فتعجب الوزير وقال يا عثمان ولاي شيء ما يردون على باللسان ولا يفتنون
الي قولي ولا بكلمة من الكلام فقال عثمان يا وزير الزمان سبحان من يغير من
حال الي حال فاني قد غيرت اسمائهم وبذلك قد أمرتهم فقال له عيط عليهم انت
يا عثمان فعندما صاح عثمان وقلل يا حنيش واذا بواحد منهم قال نعم يا اسطى
عثمان فصاح بالثاني يا منيش فرد عليه في حاجل الحال وكذلك الآخرين صاح
عليهم باسمائهم فردوا عليه وتبادروا اليه فتعجب الوزير غاية التعجب وضحك
وزاد به الطرب ثم انه صافح عثمان وسامحه وقبلوا بعضهم وجلسوا وقد احضر
الطعام فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا فقلل الوزير يا ببرز بلزم انك كل يوم
تاتي الى عندي حتى اتى اعلمك الحرب والقتال والظعن والنزال فقال له سمعا وطاعة
يا وزير الزمان وقد نودع من الوزير واخذ عثمان وسار الي ان اتى الى الديار وصار

في كل يوم يركب ويأتي الى الوزير الاغا شاهين ويتعلم أبواب الحرب والتمكين
 وكلما تلموه المالك في طول السنين تعلمه هو في أقل من شهرين حتى انه بلغ في الحرب طول
 الباع وقوة القراع وصار جبار لا يصطلي له نار فعند ذلك التفت اليه الوزير وقال له
 يا ولدي وحق الملك الماجد اني لا بقيت اعرف من الحرب الا باب واحد وذلك الباب
 يقال له حرب الانهرسيات ولكن صاحبه الذي علمني اياه أمرني اني لأعلمه لاحد
 غيبي من الانام لاشيخ ولا غلام ولو كان ابني من صلي ومن دمي ولحي وقد
 عاهدت صاحبه على ذلك فقال بيبرس لوزير الزمان الله اكبر واكرم وأقوي
 بهان فقال عثمان الله اكرم منك يا أبو فرسه وسيظهر لك العزم والهمة ثم أن
 الوزير نظر الى بيبرس فرآه تغير منه المزاج وصعب عليه ماسمه من الوزير من
 اللجاج فطيب خاطره وجعل بالكلام يسامره وقد أخذه وصده به الى أعلى مكان
 وجعل يسليه بالكلام هذا وعثمان يقول له قوم يا أمير من قبل أن يطردك الوزير
 فقال له دع عنك هذا الهذيان يا عثمان فقال له قد أخبرك بالحال والسلام ثم أن
 الوزير جعل يتحدث مع الامير الى أن أقبل الليل وظهرت الكواكب ونجم سهيل
 وقال للامير يا ولدي أمرتك الآن أن تسير الى مكانك وتأتي عند الصباح فقال
 له سمعاً وطاعة ثم انه نزل الى عثمان وقال اثنيني بالجواد فقال له عثمان انت لاتصدقني
 ولا تسمع قولي وقد ظهر لك الحال وصدق المقال فقال له اسكت يا عثمان ثم أن
 الامير ركب وصار في تلك البراري والقفار وهم منفردون في جنح الاعتكار
 فيبينهم كذلك واذا بخيال مقبل عليهم من الاودية الخوال فتبينوا واذا به فارس
 راكب على جواد أصفر وعليه ثوب أبيض ويده سيف ابتر وهو ممتقل برمح
 اسمر راخي اللثام على وجهه فلما رآه عثمان تبادر في الكلام وأخبر مولاه وقال
 يا أمير هذا الرجل قد أقبل يا أشقر فقال له أي رجل يا عثمان قال له أنت عنه
 غشيم هو هذا البطل الكريم والسيد العظيم الذي اعطاه الله الخير العميم الامير
 عقيرب مشدودي ابن سليم فتعجب الامير بيبرس من ذلك الكلام ولم يعرف له

معنى ولا فهم له كلام فقال له يا عتمان من تمنى بذلك فقال له ما قلت لك هذا عقيرب ولكن سوف تعرفه ويظهر لك شخصه والسلام

(قال الراوى) وكان هذا الخيال صاحب العز والاقبال الذي أمدده الله بالعمر الطويل وجعله مساعدا على أهل ملة الملك الجليل صاحب الكرامات الظاهرات والاشارات الباهرات والجاه العظيم والمقام وهو المسمى بالخضر عليه الصلاة والسلام (باسادة يا كرام) وقد اقبل الاستاذ ودنى من الامير بيبرس وسلم عليه سلام الاحباب فرد عليه الامير بأفصح خطاب فقال له الاستاذ اذن منى ولا تخاف فانه قد امرنى بذلك خفى اللطاف فدنى منه الامير هبة عظيمة أعظم من هبة ملك كبير فضمه الاستاذ ملى. حضنه فصاح عتمان يا رجل حل عنه فلما سمع الاستاذ قول عتمان أشار يده اليه فوقع عتمان على الارض مغشيا عليه وصار على الارض ممدود كأنه الجذع الباسل المحرود هذا وقد أعطى الله بيبرس قوة ألف بطل فى تلك الضمة وقوي له الزم والهمة وقد قال له الامير من أنت يا سيدى فقال له أنا الفقير الى الله الراجي عفو الله الخضر ولى الله واننى أقول أن لله تبارك وتعالى رجال يقومون لحروب الابخرسيات أن نخرجي عن قلب هذا الامير بيبرس فاجراها الله على قلب الامير بيبرس وصار كأنه طارقها من مدة عشرين سنة (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الاستاذ فانه غطس فى البر فلا أحسراه ولا يعلم به الا مولاه هذا وعتمان قد أفاق من غشوته فرأى بيبرس فى انتظاره وكان قد اتمس من الخضر عليه الصلاة والسلام نهضة عظيمة فقال له بيبرس يا عتمان سربنا الى المكان تعلمت باقى الحروب من هذا الرجل المحبوب وأنا الآخر أخذت منه ماأراد به علام الفيوب ثم ساروا الى المكان ولما كان ثانى يوم من الايام ركب بيبرس الى الوزير واعلمه بأن الله يلفه المأمول وتعلم حرب الابخرسيات من أهل المعطا والقبول وقال له انى قابلت الذى علمك وانه يسلم عليك ويشكرك وقد علمنى أنا الآخر مثلك ثم أعاد عليه ماجرى ففرح الوزير بذلك وجلس يتحدث مع الامير

بيرس وترك كل الماليك ولا سأل عن أحد خلافه فاعتناظوا لذلك ونزل عليهم
البلا والمهاك وتكلموا في حق الوزير بكل قول خطير وقالوا أن هذا ولد الزنا
قد فضله الوزير بكل قول خطير عنا وأكرمه دوتنا وما لنا إلا أن نعمل عملاً نفرق
به بين الاثنين ونقتل هذا ولد الزنا فاتفق الرأي بينهم على أنهم يلبسون مثل العرب
ويقفون له في الطريق والحلأ وإذا أقبل بيرس ينزلون به المطب وينهبوا ماله
وما معه من السلب ولما تقرر الحال بينهم على ذلك جعلوا يدبرون أن تقسمهم ويخرجون
إلى الأودية الخوال وقد تم لهم ما يريدون واجتمعوا وخرجوا له في وسط الطريق
واكتوا له (قال الراوى) فهذا ما كان من أمر هؤلاء أما ما كان من أمر الأمير
بيرس فإنه مازال يتحدث مع الوزير إلى أن أمسى المساء وأراد الرواح فقال
له الوزير يا ولدي دعنا الساعة في الإشراف حتى يأتي ميعادك بالامس وتسير وما
عليك خوف ولا تنكير فاستحي بيرس من كلام الوزير وصار يتحدث معه حتى
تنصف الليل وطلبت العين حفظها من المنام فقال الوزير يا ولدي قم الآن إلى
منزلك واكمل فيه ليلتك وكان قصد الوزير بذلك كله أن يقوى قلبه ويموده
على السير بالليل والنهار ويعلمه أمور الرجال الكبار فقال له الأمير سمعاً وطاعة
ثم صاح بثمان فقدم له الحصان وقال له يادولتلي خذ حذرك الآن من غدرات
الزمان فقال الأمير بيرس يا عثمان فما نحن متوكلون على الملك الثمان هذا وقد
ساروا الاثنين وخرجوا من البساتين وتوسطوا الطريق المستقيم وإذا قد خرجت
عليهم طائفة من العربان فنادوا عليهم بأصوات مثل أصوات التيران وهم
يقولون في نداءهم إلى ابن نذهبون وإلى ابن تقصدون ونحن لكم منتظرون
ولقائكم متحضرون فلما رآهم الأمير على ذلك الحال وعرف ما قصدهم من
السؤال صاح بثمان دونك انت وإياهم الآن ولا تبقى منهم علي وجه الأرض
إنسان وها أنا معك أحملك وبهذا اللت أراعيك وسوف تنظر ما فعل فيهم بعينك فقال له
عثمان سمعاً وطاعة رجعهم عليهم الأمير باللت الدمشقي من ذلك الساعة وقد طلب كبير هؤلاء

العرب ونزل عليه ومطلبه اشد الطلب ولما وصل اليه لعبت مفاصله واربتك وصاح بأعلى صوته يا امير لاتضربني فانا اسلم اليك روحي فعند ذلك قبض عليه الامير وجذبه من بحر مرجه والى الارض رماء وقد اراد ان يعدمه الحياه فانقض عليه عثمان كانه فرخ من فروخ الجان وضربه بالرزة وهي الثبوت على رأسه كاد ان يعدمه مهجته وقال يا امير ما عليك من هذا بل كن الى غيره فتبادر فقال له الامير سمعا وطاعة ثم انه صاح انا الامير يبسر مجلب السرور ومزيل العكس فلما سموا الممالك نداه خافوا منه ومن شدة قواه فعند ذلك ترجلوا عن الخيول وصاحوا وباسرارهم أباحوا وقد قالوا له يا اخينا لا تؤاخذنا فاتنا ما عرفناك ولو أننا عرفناك ما طلبناك فلما سمع الأمير قولهم عرفهم وقال لهم من اتم ومن أبين أقبلتم والى اين كان قصدكم وما السبب الموجب لخروجكم الى هذا المكان وقالوا له اعلم ايها الامير اننا قد توارت علينا الاخبار بان هنا رجال اولاد زنا يقتلون المسافرين بالليل والنهار فلما سمعنا بذلك اتفقنا على ان نكن لهم ونعاقبهم على سوء فعالهم بعد ان تدور ايدينا عليهم فقالوا لنا اصحابنا اذا كان ذلك يكون بالليل حتى اذا أقبل الظلام نخرج عليهم في حالة العربان ونكن لهم هؤلاء القوم حتى نأخذهم ونذيقهم العذاب والهوان ولما تقرر الامر بيننا على ذلك التذكار خرجنا في جنح الاعتكار وواقنا ها هنا الى هذا الوقت فما وجدنا احد فاردنا الرواح الى المكان فرأينا شخصا ظهر لنا وبان فظننا انه من اولاد الحرام فخرجنا عليه ونحن طالين الاذي اليه ومرادنا القبض عليه فرأيناه انت ولكن الحمد لله على سلامتكم فلا تؤاخذنا في ذلك لاتا وحق الملك المنان ما عرفنا انه انت الا الآن فلما سمع يبسر ذلك تركهم وتأخر عنهم وكان قلبه سليم فظن ان كل ما قالوه صحيح فقال لهم امضوا الآن الى حال سبيلكم ولا تعودوا تعترضوا الى مثل ذلك قريبا نحصل بكم الممالك فقالوا جزاك الله كل الخير ووقاك كل هم وضير وقد التفت الامير الى عثمان وقال له سر بنا واتركهم يمضون بسلام

فقال له عثمان يا دولاتلى ما هذا بصواب لاني ان تركتهم الآن بمضون الى
الاطوان فرما يقومون في مضرة أو تنالهم شدة في مثل هذه الكره واذا كان
ذلك يعتب علينا الوزير ويقول لنا كنتم أوصلتموهم الى عندي ولا تتركهم في وسط
البر الاقفر والرأي عندي أني أوصلهم الى البيت وما اتركهم الا في محل الامان
ولا يبقى علينا عتب ولا ملام فشكره الامير على ما قاله وهو لا يدري ما يروم
من افعاله ثم تركه الامير وسار قاصد الديار ولا يعلم ما يفعل عثمان مع الممالك
من الاضرار ولما سار بيبرس الى مكانه وترك عثمان مع الممالك فصر عثمان الي ان
غاب الامير ودقف وقال للممالك اسمعوا ما اقول والا انزلت بكم البلاء المهول
وحق السيده نفيه العلم اهل الخود والكرم والحلم ان لم تنزلوا عن خيولكم
وتخلعوا كلكا كان عليكم من ثيابكم والاقبضت عليكم وكتفكم بعد ان اضر بكم بهذه
الرزة وآخذكم معي الى السبيل يتبدلون عليكم ثم بعد ذلك أقطع خيركم وأعشى
أثركم فعندها نزلوا عن الخيول وخلعوا ملابسهم فأخذهم عثمان وأخذ الخيول
وتركهم عراة في تلك البراري والقفار ثم سار عثمان قاصد سيده فهذا ما كان منه
(قال الراوى) اما ما كان من امر الوزير الاغا شاهين فانه بعد ان ذهب الامير
بيبرس من عنده طلب بعض الممالك ليعطيه حاجة فآه فصاح بالآخر فواجده
له خبر فجعل يصيح بهم واحد بعد واحد فلم يجد احد فتغير الوزير من هذا الامر
المكدر فنزل الى حوش الديوان وجلس على سلم الركوب وصاح بالبواب فأقبل
اليه وقبل يديه فقال له الوزير وقد زاد غيظه وحمقه ابن الممالك فقال له وقد ارتعب
من هذا الامر والسبب يا وزير الزمان قد خرجوا مع بعضهم بطلبون زيارة الامام
فقال له الوزير كذبت يا ملعون ولاي شيء في النهار ما يدورون ثم انه صاح على
السياف وقال وحق راسي ان لم تقل على الكلام الصحيح والصدق المليح والا
جعلتك طريح فقال له يا وزير الزمان اعطيتي الامان فقال له لك الامان مني ومن كل
السان فقال له اعلم ايها الوزير المهاسب انهم اخذهم العيظ الشديد مني

موافقة هذا البطل الوثاب معك وهو يبصر وقد زعموا انه لك من الاصحاب
وتكلموا في حقك أنت وإياه بكل معاب وقد تقرر الحال بينهم أن يقفوا له في
الطريق ويفدوموه السعادة والتوفيق وقد اوصوني على اني افتح لم الباب وهذا
الكلام هو الصواب الذي لا يعتريه زوراً ولا تكذاب وحق مسبب الاسباب فلما
سمع الوزير ذلك تعجب غاية العجب وقال له وحق الذي عن الميون قد احتجب
انه كفؤ لم بكل سبب ولو كان معهم أمثالهم من الترك والعرب ولكن انا اجازهم
على افعالهم اذا هم اقبلوا منكسرين من يد خصمهم لاني اعلم انه أقوى وأشد منهم
بأساً وأعظم مراساً لاسبابهم هذه الشيطان الذي لا يفرج من السرو ولا من جان
الواسطي عثمان وان فاني حذري ولم يخطيء فكري فلا بد ان يبصر يقبض
عليهم والى عثمان يسلمهم وعلى كل حال لا بد أن الامير يسلم الجميع الى عثمان
ولا بد أن يأخذ خيولهم وما معهم من ملابسهم واسلحتهم ويتركهم عريانين
يقاسوا العذاب الميون وانا الآخر لا بد أن أثر فيهم ثم انه امر باحضار الفراشين
والسقاين فأثوا اليه في عاجل الحال اجمعين فأمرهم أن يكتسوا الحوش ويرشوه
وبالماء يفرقوه فأجابوه بالسمع والطاعة وقد شرعوا فيما فيه مأمورين ثم صاح
أيضاً بالفراشين فأثوا اليه فأمرهم بالتأليف وان يعلقوا اربعة نجفات وكل واحدة
فيها خمسمائة فتيلة عشرة شمعات فأجابوه أيضاً وقد فعلوا هذه الصفات ثم امر
الصوية ان يسرجوا في وسط الحوش المفاد فصار كل منهم لما امره به فاعل
وبعد ذلك جلس الوزير وقد صار الحوش مشل النهار في اقل من لمح البصر ثم
بعد ذلك احضر البواب وقال له اغلق الابواب واذا آتى واحد من خلف الباب
فلا تفتح له الا بعد ساعة بالمتكاتب فقال له سمعاً وطاعة (قال الراوي) وكان
ذلك وقت الشتاء القاطع والبرد المتصارع ثم امر الوزير باحضار اربعة من الخدام
بالفلقة والكراييج فحضرهم الى بين يديه ووقفوا فيبتاهم كذلك واذا قد
اقبلت المالك وهم كما ذكرنا عريانين وعلى مافلوهم نادمين وقد خافوا عاقبة

الامر وخافوا أن يشيع الخبر أيضاً وأن يعلم الوزير بهذا الامر المنكر فيصير عليهم
اعظم ضرر وضرر ففسارعوا الى الرواح وما زالوا كذلك حتى دخلوا البساتين
واقبلوا الى البيت متسارعين والبرد قد آبلهم حتى وصلوا الى الباب وطرقوه طرقة
خفيفة وقد اضعفوا اصواتهم ولانوا في كلامهم وجعلوا يقرعون الباب والبواب
لا يرد عليهم جواب ولا يبدي لهم خطاب حتى مضت الساعة وقد اثر معهم البرد
كل الاثر وكاد أن يقصف منهم الرقبة والظهر ولما مضت الساعة فتح لهم الباب
ودخلوا بين الابواب وهم على مثل ذلك الحال فلما نظر اليهم ورأى حالهم صار
يضحك ويهزأ بهم وهم يقولون افتح لنا البرد قد المنا وقتلنا وتلقى خصمانا في
حلقنا ففتح الباب وعبروا واذا بهم قد نظروا في وسط الحوض اشجار ورأوا
ما فعل الوزير وقد زاد بهم الاذى والدمار وحاروا في أمورهم ولم يدروا ما يقولونه
من جوابهم وقد وقعوا بين يدي الوزير وقد صبر عليهم قدر ساعة وهم على
مثل ذلك الامر الخطير ثم قال لهم بعد أن عرف منهم أنهم ايسوا من الحياة
وحل بهم التدمير اين كنتم الى الآن غايبين ومن أخذ ملابسكم واتم بالشجاعة
موسوفين فقالوا له اعلم يا وزير انما كنا قاصدين زيارة الامام وخرجنا
نلتمس الاثار من اعتاب الكرام فبالقضاء والقدر خرجت علينا العرب وفعلوا
بنا هذه الفعلة وهذا هو السبب وقد كادوا أن يورثونا العطش ولولا اننا تركنا
الخيول والاسلحة ما عاد منا من يرد جواب ولا يعود الى الرجا فبما سمع ذلك
منهم ضحك عليهم ضحكا عاليا ثم أمر الخدام أن يمدوا واحداً بعد واحد
ففعلوا ما أمرهم به الوزير وضربوا كل واحد علقه بمائتين كرايج وهم على مثل
هذا اللجاج وكانوا يرمون الواحد منهم على الارض من غير فراش حتى يصير
عبرة بين الناس وبعد ذلك امرهم بالكساوي فأخذوها وقد كادوا أن يقتلوا
انفسهم فتركوهم وسار كل واحد منهم الى مكان هذا ما كان من أمر هؤلاء
(قال الراوى) وأما ما كان من الوزير فانه ارسل الى الامير في الليل اربعة

من الخدام وما زالوا سائرين الى أن وصلوا اليه وقبلوا الارض بين يديه وقالوا
اجب مولانا الوزير في هذه الساعة من غير تأخير فقال سمعاً وطاعة ثم انه سار
حتى أقبل علي الوزير وسلم عليه فتلقاء وأجلسه الى جانبه وقص عليه ذلك الامر
وما جرى من عثمان فأخبره بأنه ما عنده خبر بذلك ولا أخبره عثمان بما فعل
فقال الوزير وحق الملك ذي الجلال أن القفال التي فعلها عثمان ما هي الافعال
الرجال التي لا يخافون الا بطل

(قال الراوى) ثم أن الوزير أمر باحضار الطعام فحضر في الحال فأكلوا
وشربوا ولتوا وطربوا وجلسوا يتحدثون الى أن مضى الليل بالاعتكار وأقبل
النهار بالانوار فصلوا صلاة الافتتاح في وقت ما أصبح الصباح وضربوا علي هذا
المنوال الي أن أقبل وقت الزوال وهم يتحدثون مع بعضهم ولما صلوا الظهر تودعوا
من بعضهم وسار الامير الى بيته ومعه الاربعة عماليك وعثمان ولما ركب بيرس
جواده انعم علي الخسامين وسار الى بيت نجم الدين وبات تلك الليلة وهي ليلة
الجمعة ولما أصبح الله بالصباح واضاء الكرم بنورة ولاح صلي الامير صلاة الافتتاح
وجلس الي ان تضاحي النهار وسار الى مقام الحسين وصلى صلاة الجمعة وعاد الي
منزله وبات تلك الليلة ولما أصبح الله بالصباح وكان هذا يوم السبت فركب الامير بيرس
وأخذ معه عثمان وقال له سربنا الى بولاق لاني اريد التزعة في هذا اليوم فقال له عثمان سر
علي بركة الله الملك الوهاب وسبحان مسبب الاسباب هذا نهار سعيد مبارك لان
هذا النهار انا عارفه لا بد أن تنفي فيه الاعمار من أهل النفاق والاشرار (قال
الراوى) واعجب ما جرى في هذه السيرة والامور المطربة الفرية كما تقل الديناري
وابن الدويدارى وناظر الجيش وكاتب السرايه كان بمصر حارة تسمى درب مصطفي
بلك وفيه حارة وفيها عشرة انوال ولعشرة صنايعيه يصنعون فيها القماش وكان لهم في كل
يوم سبت غداء يأكلوه في بولاق وكانوا يجمعون من بعضهم ثمن الغدا وقد تقرر
الامر بينهم الى ان كان يوم جمعة فجعلوا فيه طريق لكل واحد منهم وصاروا

على ذلك مدة من الايام وكان فيهم رجل مكار صاحب خداع وحبل واصطناع
يسرح وبروح معهم على هذا المنهاج واذا جاء عليه الدور يطلع لهم بكل الاحتجاج
وكل مرة وهو يفعل لهم فعلة بديعة ونكتة غريبة ويأتى اليهم ويشكو حالة
هو وحريره بين ابيهم ويقول لهم أن زوجتي هذه القيلة وضعت وما عندي
ما يفعل الغدا ولكن اعذروني في هذا الدور واذا جاء الدور الآخر فيكون على
وأعوضه لكم لان الذي معي على قدر كفاية أم المولود فيقولون له يا أخى معلوم
ان زوجتك أحق منا بذلك الامر ونحن عذرناك في مثل ذلك الدور الثاني
يقولون له غدا السبت عليك الدور فيكى ويقول لهم قد دفعت هذا الدور
ما كان معي الى الداية وانتم تعلموا حالها واذا اتى الدور الثالث ويقولون له
عليك الغدا بكره فيقول لهم قد وقعت منى الدرام وعلى ما وقع عليه
الدور يعتذر بمثل ذلك الاعتذارات وما زال معهم على ذلك الحال حتى كادت
مرايرهم أن تنفطر وتضايقوا منه وانفقوا على انهم ينعموه عنهم بالكلية فلما
جاء الدور عليه كان اليوم الذي ركب فيه الامير بيرس ولما قالوا له اصحابه
على الدور فقال لهم يا اخواني أن الفلوس وقعت منى ولا اكسب ولا
درهما واحدا فقالوا له يا أخينا الى متى هذه المحاولة وأنت كل جمعة تعمل
معنا هكذا ولكن اعلم انك لابقينا نخلوك تدخل علينا فاذا جاء غدا
بغير سر أنت وحدك ونحن وحدنا ولا تتبعنا ونحن لابقينا نصحبوك ولا
تصحبنا فقال لهم يا اخواني اعلموا ان هذا ما هو كلام الاصحاب مع بعضهم فاذا
كنت فقيراً من دونكم خذوني معكم لا خدمكم وانا اقضى لكم كلما تحتاجون
اليه واتقضى معكم ويكون لكم الفضل على فقالوا له لا كان ذلك ابدا
ولو شربنا كؤوس الردا فقال لهم وانا ما يمكننى ان أقاركم ولا خطوة واحدة
ولو ضربتموني بنعالكم وما زالوا معه في المشاجرة والكلام وهو لا يفتري عنهم
الى أن أمسى المساء فانفقوا في غيته مع بعضهم انهم يسروا في غيابه وينبروا المحل

الذي كانوا يجلسوا فيه كل جمعه وصرفوه نيهتهم وقالوا له اذا كان لك غرض في
نزاهة نفسك فسر انت وحدك ونحن لاجل خاطر لك لانهمضوا ولا تروحوا وبطلنا
هذه النزاهة التي اوجبت لنا الخصومة والمفارقة ثم عادوا عنه وانصرفوا الى حال
سبيلهم وبنوا الى ان أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح أخذوا بعضهم
حكم اتفاقهم وتركوه وما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى رجل زيات وبمضهم
سار وأنهم يخبر حار ولما وصل به الى الزيات أمره ان يرفسه لهم ويجعله مثل
الهريسة ففعل الزيات مثل ما أمره وأخذوا القصعة من عنده ووضعوا عنها
وهنا فقال لهم الزيات هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم ساروا مع بعضهم
وقد قصدوا نزاهة انفسهم بعد ما حضروا الفطور وتوكلوا على الملك النفور وما
زالوا في سيرهم مجدين الى نحو البحر طالين الى ان أتوا محل الخضرة في اماكن
فسيحة وكان جلوسهم الى جانب ساقية دايرة والماء منها جاري الى تلك المضارب
والبراري فجلسوا هناك وحدوا ماله الممالك وقالوا الحمد لله الذي اراحنا من
ذلك الرجل الثقيل وابتعدنا عن ذلك الرجل الرزيل ثم انهم وضعوا تلك القصعة
بينهم وظنوا أنهم صفي لهم عيشتهم وبلغوا مأولهم وأرادوا ان يسموا ويأكلوا
واذا برقيقهم قد أقبل وتقدم اليهم وقال لهم السلام عليكم فلا احد رد عليه سلام
ولا أبدا له كلام بل كلهم الجحوا بلججهم فقال لهم ما بالكم معرضون
ومعي لا تتكلمون فقالوا له من اين جئتنا ومن أين لك معرفتنا ومن الذي
عرفك بمكاننا فقال لهم دلني عليكم النصيب لأني خائف عليكم ان احد
يؤذيكم وينهركم فسألت الله ان يرشدني اليكم وقد أجاب الله دعائي ورأيتمكم
فقالوا له يا هذا اعلم أننا قد طال شقانا وزاد بلانا ومللنا بما نحن فيه من
الشقا واستقر الحال بيننا أننا نعمل هذا الطعام ونمزجوه بالسم الحارق
لاجل ان يكون كل منا للدنيا مقارق ولاجل ذلك هربنا منك وهانحن
أعلنك وخفنا عليك ان تشرب كأس فناك لانك ما انت مثلنا لا نحل ما

على قلبك مثل همتنا قدعنا على حالنا وما نحن فيه من أمورنا فلما سمع كلامهم
فهم بمكره مقصودهم فقال يا أخواني اعلّموا انه ما بقالى طمع في الحياة بعدكم
وعلى كل حال لي اسوه بكم ولو كنتم فعلتم ذلك في غيبتي لقتلت نفسي من أجلكم
فما يأكل احد منكم حتى أكون قد بدأت بنفسي فقالوا له انا لا نريدك ان تأكل
معنا ولا تشاركنا فيما دبرنا فقال لهم وحق خالق النمل لا أمكنكم أن تفعلوا
بأنفسكم هذه الفعّال ولو ضربت بجلد الجمل فعند ذلك تصاحبوا عليه وقد تسيبوا
في قوله عليهم وبربر كل منهم في وجهه وارادوا ان يقوموا اليه ويضربوه فرأى
عين القدر بانه منهم بعد وتأخر عنهم ولكنه كادت مرارته ان تنفطر فينسا
هم على ذلك الحال واذا بالغبّار قد علا رثار وسد منافس الاقطار واقبل الامير
بيبرس ولاسطي عثمان وهو مغطى رأسه بالملابيه والامير راكب كأنه البدر ليلة
كماله فلما رأوه افتتنوا لحسنه وجماله وقالوا من يقوم منكم ويدعو لنا هذا
الشلبي حتى نغطى بكماله لانه مليح القوام اذا أتى البناكل حظنا فقال واحد
منهم اعلّموا ان ما يدعوه البنا لا الرجل عوف الذي طردناه لانه مربى في القوادة
وله بذلك عادة فقالوا له اذا كان ولا بد سر أنت اليه وقص القصه عليه ودعه
بأثينا به فسار اليه المتكلم فرآه واقفا على اعلا الجسر فقال له اجب الجماعة فقال
أنا مالي بهم حاجة فقال له دع عنك ذلك الكلام ومسر اليهم باهتمام لانهم حبيبهم
الله اليك وارسلونى أدور عليك وأعاد عليه الامر الذى جرى واخبره بما قالوا في
غيته فسار اليهم وسلم عليهم فقاموا اليه وردوا عليه السلام وقالوا له يا شيخ عوف ان
أردت ان تأكل وتكون موافقنا فادعوا البنا هذا العلام الشلبي وخادمه حتى يأتى البنا
وينادى مناو يأكل من طعامنا ويصفوا لنا برؤيته زماننا وبعد ذلك فانت معنا على ما أنت عليه
ولا تكفوك شيئا لا تنذر عليه فلما سمع كلامهم قال لهم يا أخواني هذا امر هين وما هو على
بيميد ثم انه سار الى البر وقاطع الطريق على الامير بيبرس وعارضه ووقف في صدر الحصان
وقبل يده وقال يا سيدى اعلم اننى رجب معلم قزازه ولى عشرة رجال صانبيه وآتى

بهم هنا كل سبت واصنع لهم غدوة مليحة وقد أتيت بهم اليوم على حسب
 المادة وأجلستهم في وسط هذه الخضرة وتلك الاراضي الخضرة ولما أتيت أنت
 ونظروك فتمنوا على أن تجلس معهم وتؤانسهم لاجل ما يكمل حظهم وتأكل
 معهم من طعامهم لانهم اليوم قد اشنهوا على البسيطة فعملت لهم كلما طلبوه
 فأبوا عن الاكل الى أن تأتي أنت معهم واني أريد منك أن نجبر خاطري
 وتجلس وتشرفني أنت وغادمك فقال الامير ولذلك يا أباي فقال له عوف لاني
 عرفت انك أهل الاكرام وما أظنك أن تمنع نفسك عن الفقراء ولا تأكل لهم
 طعام فأشار بيبرس الى عثمان وأراد أن يستفهم منه أيأذن له في الرواح لم
 أم لا فأذن له فسار وإياه الى أن أقبل عليهم فأبداهم بالسلام فردوا عليه بالتحية
 والاكرام وقاموا السكل واقفين له على الاقدام وفرشوا له بعض دقائهم ولا
 تمدوا على حيلهم الا لما جلس الامير والى جانبه الاسطى عثمان والشيخ عوف
 وجلسوا الآخريين وقالوا له آتستنا وحلت بركتك علينا وحصل لنا بكم الشرف
 الجليل ثم قدموا القصعة البسيطة التي كانوا عملوها غداهم فتقدم الشيخ عوف
 وقال بسم الله يا مولاي فتقدم بيبرس وعثمان ولا أحد يملئه أيضاً فتقدم
 الشيخ عوف وجماعة القزازين وصموا بسم الله الرحمن الرحيم وقبض كل منهم
 قبضة على لقمة من القصعة ووضعها في فمه وأرادوا أن يأخذوا الثانية وإذا
 بعثمان كشف رأسه فبان وجهه ولحيته فمرفوه معرفة كاملة فوقت اللقمة
 في أزوارهم لانهم أنكروا ذلك ورفعوا أيديهم من القصعة وتأخروا الى ورائهم
 وما زلت اللقمة الى جوفهم الا بمد جهد جهيد ولمبت أسنانهم وارتمدت
 فرائصهم وانكسرت ظهورهم واحتاروا في أمورهم وحمدوا الله على قلة
 طعامهم وقالوا في أنفسهم هذا والله ذنب الشيخ عوف الذي منعنا من مرافقتنا
 فأرسل الله لنا من أكل غدوتنا وفي هذا الوقت يأخذ عمامتنا لانتا حفنا عليه

كل الحيف فأنا لله الذل والخوف فقال لهم يبرس لما رأيتم امتنعوا من الطعام كلوا يا أسيادي قالوا نحن أكلنا كثير قبل قدومك كل أنت ورفيقك هذا وعثمان ينظر ويرمقهم شذراً ويلعب شواربه لهم ويظهر لهم بغيه وعجائبه وسيده لم يعلم بذلك أبداً وما زال على ذلك الحال حتى أكل الأمير يبرس وعثمان وشبعوا وغسلوا أيديهم وأراد الشيخ عوف أن يتأخر وإذا بعثمان نظر إليه وقال له وحق الكرمية أم الاسياد ان أبقيت شيئاً من هذا الزاد لأكسرن رأسك بهذه الرزء فقال له سمعاً وطاعة ولم يزل يأكل حتى لعقها بلسانه وقام الآخر غسل يديه هذا كله يجري والرجال الفزازين كادت مرايرهم أن تنفطر مما جرى من ذلك الامر لانهم قد انحرموا من هذه الغدوة ثم أن الأمير ركب جواده وقال سر يا عثمان فسار عثمان معه وكان علق القصعة في الرزء ووضعها على كتفه وغطاها بملايته وكانوا كلهم ينظرون اليه ولا قدروا أن يتكلموا معه وما ردت أرواحهم الا بعد ما بعد عثمان عنهم وكانوا قد يتسوا من أنفسهم وقالوا لعوف يا أخينا عوف ساعنا فيما جرى منا في حقتك ولا تؤاخذنا ونحن في عرضك أن تسير خلف عثمان وتأتينا بالقصعة منه لاننا واضمين عليها رهن سنين فضة عند الرجل الزيات فقال لهم الآن علمتم انكم ما تستغنون عني ولا بد لكم من الاحتياج الي فقالوا له صدقت فيما به نطق ومن أجل ذلك سألناك وفي أم حوايجنا بمثناك فقال لهم لانخافوا وأنا أسير خلفه وآتيكم بها ثم انه سار حتى وصل الى الأمير وعارضه في الطريق وقال له في عرضك يا سيدي إنا عمامتي مرهونة عند الرجل الزيات في مقام القصعة التي كانت فيها البسيصة فقال له وأين هي الآن قال هي الآن مع خادمك عثمان يا سيدي فالتفت الأمير الى عثمان وقال له لأي شيء فعلت هذا الامر هو أنت فعلت مثل اللث السابر بين الناس الذي يقولونه انهم يأكلوا الهدية ويسرقون الزبديفة فقال له يا أشقر لا تقول هذا الكلام لان هؤلاء يستاهلوا

ذلك واكثر منه لانهم ما عزموك الا ليمسخروا عليك ويسهروا بك ولولا
اني كنت معك ما كانوا الا يخونوك وأنا ما أكرمتهم الا لاجلك ولولا انك
كنت معي ما كنت الا قتلتهم فلما سمع الامير بيبرس منه ذلك الكلام
ضحك ضحكا عاليا وقال له اعطيه القصعة وسر بنا الى حال سبيلنا فأعطاها
للشيخ عوف ورجع بها اليهم هذا ما كان من هؤلاء

قال الراوي وأما ما كان من عثمان والامير بيبرس فانهم ساروا وشقوا
أرض بولاق الى أن أتوا الى سوق السبت فاذ هم نظروا الى زاوية مليحة عظيمة
وعلى بابها رجل فقيه جالس يبكي مما نابه وأصابه فوقف بيبرس بالجواد وقال
يا عثمان اصبر حتى أنظر الى بكاء هذا الشيخ وما أصابه فقال له عثمان وأنت
ما الذي حملك على ذلك هو أنت تخلص حقوق الناس فقال له خليك من هذا
الكلام وسر اليه وانظر ماذا جرى له واخبرني بأحواله فقال عثمان أنا ما لي
شغل في ذلك سر أنت اليه صدغك ملكك فعند ذلك نزل الامير من على
جواده وسار الى أن قرب من الشيخ فرآه واضع يده على خده وجالس يبكي
وينوح من قلب مضى مجروح لانه في هموم وأسا وجالس يمدد كما تعدد
النساء فقال له الامير بيبرس السلام عليكم يا سيدي فثار رد عليه السلام بل صار
ينشد ويقول صلوا على الرسول

صبراً لاحتكامك يا ألهي	فاني راضى بحكمك والقضاء
انا صابر لك في كل أمر	لك فيه ياسيدي رضا
جاروا علينا نم اعتدوا	وتجبروا وما راعوا جزاء
نغذي يامولاي الحق منهم	وخلص يا كريم الاعتداء
لقد عاد الاسلام كما بدا	وسطوا علينا الاشقياء
وتجاروا علينا وأهانوتنا	وانت العليم بزول القضاء
فلعل يامولاي تسكن جابرآ	ونورث اعدائي كاس الفناء

فانت حقا رب الخير كله وانت الحكيم كثير العطاء
حاشاك ان تفعل مما حل بي فوسيلنى المصطفى المرتضاء .
صلى عليه فى كل وقت مادامت الارض والسماء

(قال الراوي) فلما سمع الامير من الرجل الفقيه هذا الكلام وذلك
الشعر والنظام تأسف وعلم انه مظلوم وقد سمعه ايضا يشكى من الملك الصالح
ويدعوا عليه فتقرب منه الامير وقال له ما حالك وما الذى جرى لك وايش
الذى أبكاك ومن بهذا النغم أبلاك اخبرني به لعل الله يدفع عنك ما يضرك
ويجلب لك كل امر يسرك فقال له دعنى يا ولدى ها انا الكشيبي الوهاني الذى
عاداني الزمان ورماني بطوارق الحداثان وابلائي بالذل والحرمان لان قصتي
تخير العقول وتجلب كل امر مهول فقال له الامير وما هي قصتك فقال له اعلم
انى خادم بهذه الزاوية من مدة أربعة سنين ولى فيها أربعة وظائف وهوانى
وقاد وكناس وملا وأقوم بالناس للصلاة ولى على ذلك فى كل شهر أربعة
قروش آخذهم من مطبخة العسل لانه وقف لهذا المسجد وفيه رجل عنيد ملتزم
يهودي يقال له عزار ولى عندي أجرة اربعة أشهر بستة عشر قرشا فيينا انا
جالس فى صباح هذا اليوم واذا بابنتى أقبلت على وقالت لى يا ابي لك البشارة
فقلت لها بماذا تبشرنى فقالت أمى وضعت ولدا وسيناه محمد قم وأنضى لها
لزوجها واعطى للداية حق بشارتها فقامت مهرولا الى مطبخة العمل ودخلت
الى اللعين عزار وصبحت عليه وقلت له اصنع معروفا مسمى فى هذا اليوم
واعطينى شيئا اتفصح فيه لاني محتاج وزوجنى وضعت فقال لى ايش وضعت
فقلت له ولد قال وما اسمه فقلت له محمد فوالله ما سمع مني هذه الكلمة حتى
لطننى بكفى على وجهي رماني الى الارض فحسيت ان عيوني خرج مني
شرار النار وقال لى انت ضاقت عليك الدنيا حتى سميت ولدك بهذا الاسم قم
من وجهي فى هذه الساعة واذهب الى بيتك وسمي ولدك بغير هذا الاسم

أما موسى أو عيسى أو إبراهيم واني الى عندي أعطيك دراهمك وازيدك
عليهم مائة دينار ذهب الا وحق موسى الكلم اذا ما غيرت اسم ولدك ما تأخذ
منى درهما ولا دينار واحد فضة كان او ذهب فرحت من عنده مكسور الخطا
وعلمت أنه من قبل الملك الصالح فسيته وشتته وتكلمت بما سمعته وهذه
قصتي وما جري لي فان كان فيك مروءة لكشف ظلامي فافصل ذلك ولك
الاجر من الله تعالى في هذا ثم انه تضرع وبكى وان واشتكى وأنفذ يقول
هذه الايات صلوا على صاحب المعجزات

قد أسلمت أمري لمن رفع السما بجملة منه واقتدار
وفوضت أمري اليه فانه هو العليم بسري واجهار
بليت بقوم لثام فاسرعوا ونجاورا على ظلمي وحق البارئ
ومالي مفيت الا الاله فهو العالم بسري واجهار
لانه خير بحالي كله وهو الخليم العليم القهار
نعم ان هذا قضاؤه وانا مسلم للاقدار
فان كان ربي به راضيا فلا اعتراض ولا اعتذار
وكنت أطلب منه النجا فلقد اصابني اضرار
ظلمني عدو الدين جهرا ولطمني لكمة جبار
وكنت أطلب منه حقى فابي وغارضني بفعل جبار
وأنا أبكي على ما حل بي من أهل الكفر والاشرار
وحاد الاسلام حقا غريبا في تلك الديار

(قال الراوي) ثم ان الشيخ بعد ما فرغ من أشعاره التفت الى الامير
بيبرس وقال له يا ولدي اتر كنى أبكي على حالي وأرفع دهنوني الى من يعلم
سؤالي فقال له الامير بيبرس قم بنا وسرفدائي واريني مطبخة المسن وأنا
أخلص لك حقك وأقتص من ظلمك فقال له الاسطى عثمان دع عنك هذا

الحال ودعنى أنا أسير اليه واقتص منه بما جرى فقال له الامير يا عثمان دعنى فلا بد لى من المسير معه وأنظر بنفسى لهذا اليهودى وأجازيه على ما قدمت يداه فقال له عثمان ان كان الامر كما ذكرت سر بنا حتى ننظر من يخلص لهذا الرجل حقه ان كان أنا والا أنت فركب الامير وسار عثمان في ركابه وشيخ القضية على أثرهما ولا زالوا سائرين حتى وصلوا الي باب مطبخة العسل فنزل الامير عن جواده وقال لعثمان امسك هذا الجواد وقف به حتى اعود اليك فقال له عثمان الاول أن تقف به انت وأنا الذى أخلص حق هذا المظلوم فتبسم الامير بيرس وقال له هذا لا يصح يا عثمان فقال عثمان وحق الاسم الاعظم لا بد من دخولي الى هذا المكان فيبتئهم في هذه المشاجرة وإذا برجل مقبل في صفة سائل فعرفه عثمان فكشف راسه له فعرفه أيضا ذلك الرجل وناداه عثمان ولدي يا سمعان فقال له نعم يا جدى وجد جدى ودنا منه وقبل يده فتمجب الامير بيرس وقال له من هذا يا عثمان قال له هذا رجل مراوحى قال انى لم أنظر معه مراوح فقال عثمان ما يبيع مراوح ولكنه حرامى سارق المراكيب من المساجد لانه يصير على الرجل حتى ينوي الصلاة ويقول نويت أنا الآخر وأخذ مركوبه ويدعه على حاله في صلاته فتمجب الامير بيرس من ذلك وقال لعثمان ما مرادك قال مرادى أن امسك هذا الجواد حتى أرجع اليه فقال بيرس أخاف أن يأخذه ويروح الي حال سبيله فقال عثمان لا تقول هذا الكلام واعلم أن هذا الرجل لا يخاف من الله مثل ما يخاف من عثمان وأنت وغيرك تعرف ذلك ثم ان الاثنين دخلا مطبخة العسل ودخلا الى أن انتهوا الى صدر المطبخ فوجدوا فيه مصطبة عظيمة مثل الابوان وفي وسطها سرير من خشب الساج عظيم وقوفه مرتبة ومساند ومن فوقها زربية من حرير مزركشة بالذهب والعمير عزار ملتزم مطبخة العسل جالس من فوق ذلك القرش وقدامه صينية من النحاس وعليها

صحن عسل وصحن جبن وخبز وهيش خاص وهو جالس يا كل فلما نظر الامير
 مقبل عليه قام له على الاقدام وتلقاه بالتحية والاكرام وقال له اهل وسهلا
 بوجه البدر ليلة تمامه فصبح عليه الامير بيبرس فرد عليه الصباح واخذه
 بيده وأجلسه الى جانبه فرآه مليح الوجه حسن المنظر عظيم الرائحة والمسك
 والكافور لائحة أعطافه والمود فأنح منه والهيبه نازلة عليه والشجاعة
 لائحة ما بين عينيه وقال يا مرحبا باهل الجبال والكهال وصار الكلب يمازح
 الامير بعد أن عرض عليه ان يأكل معه فأبى الامير ذلك فصار يلاعبه
 ويضاحكه وظن بما قلبه أنه يواصله ويبلغ منه أربه فقال له الامير يا معلم
 عزار جاءني عندك حاجة وأريد قضاءها فقال وما هي يا سيدي ولو كان
 لك الف حاجة تقضى في الوقت والحال على العين والرأس فقل لي الآن على
 ما تريد فنهار صباحك سعيد فقال له مرادي منك حاجة ان تعطى هذا الرجل
 أجرته الى هي له عندك لانه فقير ومحتاج وزوجته وضعت ولا معه شيء
 ينفقه عليها فقال اليهودي على العين والرأس نعم أنا عندي له ستة عشر قرشا
 خذهم يا سيدي الشيخ وهذا من عندي زيادة كرامة لهذا الاسير ثم أعطاه
 تسعة قروش فأخذهم الشيخ وأراد الانصراف الى عمله فنأوله الامير بيبرس
 قرطاس فيه مائة دينار ذهب وقال له سر الى حال سبيلك كان الله في عونك
 ونسألك الدعاء في الاماكن الطاهرة فأخذ الشيخ الدرهم وصار يدعو للامير
 بعلو صوتة بكل خير ورفعته هذا ما كان منه (قال الراوي) وأما ما كان من
 عدو الله اللعين عزار فانه التفت الى الامير وقال له يا شلبي أنا الآخر عرضت
 لي عندك حاجة أريد قضاءها لانه في الامثال قيل في معنى ذلك حوله بطوله
 يا غلام ولك نظيرها فقال له الامير وما هي الحاجة اخبرني بها حتى أقضيها لك
 قال هو أن تسير معي الى المقعد الذي أنا ساكن فيه وتنادمني وانا دمك
 وتسقيني الخمر العتيق وتسمح لي بقبله من فلك وان تميمت الجليل ناوتى وصالك

حتى أشكرك عند كل الامراء لاجل ما يملو شأنك ويعظم مقامك وكلما احتاج
اليه أنا أعطيك اياه ولا نحتاج بعدها الى شيء أبدا
(قال الراوي) فلما سمع الامير هذا الكلام من العيين امتزج بالفضب
وظهرت في وجهه سبعة جذريات ملكة من الطارقة اليمن الى الطارقة
الشمال وشيع من اللحم بين حاجبيه ونهض في عاجل الحال واقفا على قدميه
وضرب اليهودي بالثب الدمشقي على رأسه انزل اضراسه وهوى رأسه ووقع
على الارض قتيل وفي دماغه جديل وارادوا الذين في المطبخة يخرجون الى
الامير يقتلونه واذا بالسدار أقبل وسيغه في يمينه مشهر واراد أن يهجم على
الامير واذا بصيحة وقمت في رأسه من خلفه وضربه نزلت عليه أرمته الى
الارض قتيل فتأمل الامير من فعل به هذه القمعة واذا به عثمان فقال يبرس
ويلك يا عثمان ولماذا فعلت هذه القمعة وقلت هذا الانسان وهو من أهل
الايمن فقال عثمان اعلم أيها الامير مثل ما قتلت أنت رجل انا قتلت رجل
وكأنت أخى أنا أخوك فكيف يا أخى يهون على ان تتعب وانا ارتاح وكيف
اذا ثبت عليك القتل تقتل وانا اميش بمعدك لا كان هذا ابدا واذا متنا نموت
جميعا واذا عشنا نميش جميعا فقال له الامير ان هذا الرجل الذي قتلت انا رجل
يهودي وأما الرجل الذي قتلت أنت مسلم وانا قتلت بوجه الحق فقال عثمان
وانا ايضا قتلت بوجه الحق كما قال الله تعالى (فن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه
بمثل ما اعتدي عليكم) كأنه اراد قتلك قتلت انا قاتلك وخصمك تعذرني أما
أنت ما يظهر فيك معرف ابدا بعد ذلك الحال فقال له الامير لا تقول هذا المقال
أبدا وانا كنت اردته بالاتي هي أحسن ولو كان قاتلي لانه رجل دين صالح وأيضا
اسمه صالح فقال عثمان وحق الملك المتعال الذي ارسمي الجبال ويعلم كم وزنها
من ذرة ومثقال ما هو الا كمثلته وشكله وما هو الابن عمه ولما رأيتك فعلت
هذا القمل بأخيه عجلت أنا الآخر دماره لاجل أن يلحقه ويوافيه لاتنا اخوة

سوى وجئنا سوى وهذا ما عندي والسلام هذا والامير يبرس قد خاف من طاعة هذا الامر وقال يا عتمان كيف يكون التدبير فقال عتمان الراي اليك ايها الامير اعلم اني علمت ان هذا الرجل يهودي ماله دين واما الذي قتلته انت مظلوم وتقتل فيه نحن الاثنين فقال عتمان ومن يقتلنا فيه قال الملك الصالح قال عتمان انا اُكفيك شره واكسر بهذه الرزة ظهره فقال يبرس انا مالى ذنب فيه اما انت دبر نفسك كما ترى فيما هم كذلك واذا بالرجال الصنائع الذين في المطبخ طالعين عليهم ويقولون اراحكم الله كما ارحمونا من هؤلاء الاثنين لان الذي قتله عتمان افسق من الذي قتله هذا الامير لانهما متعصبان على الضلال والمكوسات ومفسدين بالبنين والبنات ومركبين المحرمات فلما سمع الامير منهم هذا الكلام قال لهم تشهدوا بذلك يا رجال قدام الملك الصالح قالوا نعم نشهد بين يدي الملك القديم الفاتح فقال لهم الامير جزاكم الله عنا كل خير ولكن يا عتمان سر من هاهنا الى محكمة بولاق واُتينا بواحد كاتب منها يكتب لنا شهادة هؤلاء الناس وها انا هنالك في الانتظار فقال السمع والطاعة هذا ماجرى هاهنا واما ما كان من القاضي الذي كان جالس بمحكمة بولاق وكان عتمان ضربه ثلاثة مرات وأخذ منه ثلاثة مرات الزمالة وتركه مريض من شدة الضرب في منزله وقد ضعف وما حصلت له العافية الا ذلك النهار وكان عتمان مرتب عليه كل شهر قرشين يأخذهم منه فلما تعافى ونزل الى محكمته طلب من الله أن يسهل له رزقه ولما جلس في مكانه أرسل النيا ب والفلمان والاصحاب والقضاء فحضروا وكنسوا وفرشوا ووضعوا الدكك وهندسوا المكان وجمعوا الجريد وملوا الثبر من الماء الجاري من البحر الكبير ووضع القاضي الصندوق بين يديه وجلس الى أن تضحى النهار فما اتى اليه أحد من النساء ولا من الرجال فقال للرسل اما تعلموا يا رجال ان علينا قرشين للاسطي عتمان وقرشين اجرة هذا

المكان وأن الرجل منكم يحتاج الي مصروف بيته وكل ما كان فما تقولوا اذا طلبوا عيالكم منكم تفقاهم فقالوا وما تفعل لقد ضاقت بنا الحيل فقال لهم سيروا في حارة بولاق وشوارعها وكل منكم يقول يا طالبة الرسول عسى انكم تأتون بدعوة تنتفع بها فقالوا له هذا لا يجوز فقال الضرورات تبيح المحظورات تفرق في الحارات وقولوا يا طالبة الرسول نخرجوا وفعلوا ما أمرهم فبينما أحدهم سائر جهة حارة تسمى الجوابر وهو ينادي يا طالبة الرسول فنادته امرأة وقالت له اصبر يا بيع الناسول فقال لها وقد وقف قبج الله ذلك ولا رحم احيائك ولا امواتك هو أنا بيع غاسول انا قاصد من بيت القاضي واسمى رسول فان كنت تشاجرتي مع زوجك ان كان طلقك ان كان ضربك أو أهانك سيري قدامي ودلني عليه أو عرفني دكانه حتى اقبض عليه وأقدمه أمام القاضي يقتص منه ويرحك من ذاته ويجازيه على فعله ولا يمنعك من الخروج والدخول فقالت له يا معرض لا صبحك الله بخير ولا اوراك طول عمرك خير تشير على بطلب زوجي الى بيت القاضي لا كنت ولا اسكنت أنت والقاضي كذلك فبحك الله وما رحك وما رضي عنك ثم انها صاحت وولولت ولت نسوان الحارة وضربوا ذلك الرسول علقة مليحة حتي روضوا عظامه فشق حارة بولاق تماما والناس تسبه ولم يلقى دعوة ينتفع بها أبدا والناس كلهم يضحكون عليه ويتمسخرون به وهو لا يقدر ان يرد لهم خطاب ولا جواب ثم عاد الى القاضي من غير فائدة قال له كانك ما أتيت بدعوه فقال الناس في هنا وسرور هذا وقد اقبلت رفقاء وكل منهم غير مجبور فلما رأهم قال لهم لا تخافوا ولا تحزنوا انما الرزق بيد الخالق ثم ان القاضي نظر الى خارج المحكمة فرأى اثنين واقفين مع بعضهم يتعاسبون فصاح على الرسل أئتوني بهؤلاء فتسارعت اليهم الرسل وأحضروهم بين يديه فقال لهم ما بالكم واقفين بأراء المحكمة ما وقفنا بأرائها كفانا الله شرها فقال لهم ما علمتم بأنها محكمة فقالوا

ما علمنا ثم قال لهم قولوا والله العظيم ما علمنا انها محكمة بازائها فقالوا ذلك قال لهم بقی علیکم محصول اليمين كل واحد قرشين قالوا ما معنا قال ملزومين بضرب الجريد والحاصل فقال واحد منهم انا معي قرش واحد قال الآخر وانا كذلك خذهم على قدر حالنا وان وقمنا في يدك ثانيا افضل ماتشاء فاخذ القرشين منهما وخرجوا يدعون عليه ويقولون اللهم كما ظلمنا ان نخلص حقنا منه في هذا النهار انك على كل شيء قدير وبعبادك لطيف خبير فبينما هم كذلك واذا بعتان واقف بباب المحكمة يعني ويقول

ظنوا العدا اننا متنا ولا متنا وتباشروا بالفرح في طول عيبتنا
ان اذن الله وعدنا مثل عادتنا في نعمة الدم نجعلهم عيبتنا
قال الراوي فلما رآه القاضي قال أهلا وسهلا بالاسطي عثمان وقد انتقض وضوءه وقلع مقلته من على رأسه وناولها له وقال خذ المقلة يا اسطي عثمان واتركني من الاذية واعلم ان لي شهر مريض ما زلت الا هذا اليوم وأنا عارف ان لك على اربعة قروش نخذه المقلة هذا الوقت بعد يومين اقوم لك بدفع المبلغ من الدراهم فقال له عثمان لا تقول في حقى هذا الكلام واعلم أي ثبت فقال له القاضي خذها وارجع وتب ثانيا واعلم ان باب التوبة مفتوح فقال البسها ولا تخاف واعلم اني جاءني عندي عندك حاجة شرعية قلل على العين والرأس قدسها عندي وانا اجعل الحق باطلا والباطل حق قال لا تقول هذا الكلام واعلم اني ما أنا طالب الا المصدق في الكلام واقامة الدعوي شرعية كما أمر سيد الانام فقال سيما وطاعة يا عثمان فقال عثمان عزل المحكمة انت ورجالك وخذ كلما فيه من حصر وسحاجيد والفلة والجريد والصندوق والذواية والورق والمحافظة وهذا الزير ثم تقدم عثمان وعقد الجريد والفلة والحصر وجعلهم عقدة وحملهم رجل من القضاة والتكك جعل كل اثنين لواحد والبساط والراوي فلما رأي القاضي ذلك ظن ان عثمان اكرمه لانه ما احوجه

الى شيء يحمله فقال له عثمان يا مولانا وانت تحمل هذا الزير الكبير بما فيه من الماء الكثير فقال له يا اسطى دعني أفرغه لان الماء كثير فقال لا يمكن ذلك وماهي الاشيتك ومن قسمك ثم ربطه عثمان بالحبال وحمله عليه وسار عثمان خلف الجميع

قال الراوى وقد نظرة الناس الى ذلك فصاروا يتفرجون ويتضحكون ويتكلمون ويقول الآخر انظر يا اخي الى القاضي وما فعلوا فيه لانه شهد شهادة زور فيقول الآخر هذا رجل ظالم أخذ مني الشهر الذي فرغ ستين فضة فقال الآخر حبسنى عشرة ايام بغير حق فقال الآخر انه طلق زوجتي مني وقد تكلم العالم والقاضى سائر الرسل قدمه كما ذكرنا الى ان وصلوا الي مطبخة العسل وتأمل ييسرس فرأى ما ذكرنا فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فقال يا عثمان أنا قلت لك اثنتا برجل واحد نائب من طرف القاضي يكتب لنا حجة بشهادة الناس والاهات لنا المحكمة بما فيها فقال عثمان لا يصح الا هكذا ولاى شيء جئت الزير فقال لان فيه ماء بارد فلربما ان أحد منا يشرب لان هذا الماء الذي في هذا المكان نجس فقال له وهذا الفراش والتكك فقال لاجل الجالس قال والجريد قال عثمان لربما يكون أحد عليه ذنب فيضربوه ولاجل أن يبقي لا يحتاج الى شيء فتبسم الامير من قوله وقال له الله يجازيك بفعلك ثم انه التفت الى الشيخ وسلم عليه وقبل رأسه ويديه وطلب منه السماح في ذلك بعد أن كانت الرسل قد أنزلوا الزير من على ظهر القاضي ثم انه اجلسه الامير وصير عليه الى أن هدأ روعه وقال له يا مولانا لا تؤاخذنا بأفعال عثمان ولا تتغير منه فقال له يا سيدي اعلم ان فعاله على قلبي أخف من الماء البارد على كبد العطشان وهل يكون موجود من يتغير من الاسطى عثمان وهو جيله على كل انسان فضحك الامير وفهم المعنى وقال له يا سيدي أسأل أهل هذه المطبخة

عن هذين الرجلين فسألهما الشيخ فشهدوا باجمعهم على أنهم من أهل الضلال
وكتب الشيخ الحجة بذلك وذكر فيها جميع ما قدمنا ذكره وختم عليها
القاضي وسلمها الى الامير فأخذها منه وأرضى خاطره بحطام الدنيا وصرفه
الى حال سبيله وارسل معه من يوصل له الفراش والتكك وهو الرجل الذي
كان ماسك الجواد وثلاثة من أهل مطبخة العسل وترك القتل واخذ عثمان
وسار راكباً وكان الفقيه الذي هو أصل ذلك كله حاضراً فقال له يا شيخ
اعلم ان الله اخذ لك بالثار واذاق خصمك الهلاك والدمار ولكن اريد منك
ان نمضي الى شيخ الاسلام وتعلمه بهذه الامور والاحكام وتدعه يطلع الى
الديوان فقال له سمعاً وطاعة فهذا ما كان من هؤلاء (قال) وأما كان من
الامير يبرس فانه التفت الى عثمان وقال له اعلم ان الرجل الذي قتلته أنت
مسلم وان العين بالعين والسن بالسن والحر بالحر والمبد بالمبد واذا ثبت عليك
القتل يقتلوك قال وما الذي افعل فقال له اريد منك ان تنكر القتل وتقول
أنا ما قتلت احداً وأنا اعلم انه ليس احد يشهد عليك لان الناس كلهم يخافون
منك فاذا وصلت الدعوة الى يد الملك الصالح فقل له لا قتلت ولا رأيت ولا
نظرت فاذا انت فعلت ذلك فلا عليك جناح فقال عثمان هذا هو الصواب
والامر الذي لا يعاب ثم انهم ساروا الى بيت الوزير نجم الدين فهذا ما كان من امر هؤلاء
(قال الراوي) واما ما كان من امر الملك الصالح والناد القادح والبحر المليان
الساجد الصالح ايوب ولى الله المجذوب بن الفاضل بن الكاسل بن سعيد السعدا
ابن شهيد الشهدا ينسب الى حبيب التجار وحبيب التجار ينسب الى سيدنا
نوح عليه السلام فانه بات واصبح يعلى ويسلم على من له الورد فتح صلى
فرضه وقرأ ورده فدخل عليه الاغا جوهر الصالحى واعلمه بان الديوان
تكامل قال الملك الكمال لله تعالى ولرسوله ثم ان الملك قام الى الديوان وهو
يتوكأ على قضيب من الخيزران حتى اقبل الى التخت وبسط يديه وقرأ

الفاتحة واهدى ثوابها الى روح سيدنا محمد والاولياء والاصحاب ثم الى ارواح
الملوك المتقدمين من قبله ومن يجلس مكانه من بعده ثم ختم القراءة وجلس
على سريره ملكه وبدأ أهل دولته بالسنة فردوا عليه بالفريضة الشرعية وكل
منهم لازم مكانه وجالس في موضعه لانه كان ما يريد القيام له من احد منهم
وذلك من كثرة تواضعه ثم سلم ذات اليمين وذات الشمال امنت المساكر الاخيار
وراق الديوان وقرأ القاريء وختم ورقى الراقي وختم ودعا الداعي وختم
وصاح جاويز المديوان وهو يقول صلوا على طه الرسول

الملك لله الواحد الاحد الذي تكفل بالورى حراً وعبد
ورزق العباد منه تكراً سبحانه جل عن ند وضد
تعالى ربنا - عن كل شيء جعلت عليه اعتمادى وسند

تقال الملك آمننا من ابن كنا حتى اتصلنا سبحان من عنده كل ملك كملوك
وكل غني كصملوك يا حاج شاهين الحق بيد الطير والطير الآخر شاطر قوي
ومسعود قوي لما نظر الطير قد نقر الطير كان الطير اخذته الفير فتغير الطير
الآخر والله يا حاج شاهين الحق بيده فقال الاغا شاهين من هؤلاء يا مولانا
السلطان فقال الملك أنت يا رجل لا تؤاخذنى على كلامى انا رجل عبيط اتكلم
بكل ما خطر على بالى فلا تؤاخذنى فى مقالى هذا النهار طالعه سميد فقال
الوزير اللهم اكفنا شر هذا النهار فيينا هم فى الكلام والملك الصالح يدندن
واذا بالجمالين طالعين الى الديوان باليهودى والصدار فقال الملك حق يادايى يا حق
يامعبود يا اعلام الغيوب يانا هو طريق الترب من هاهنا قالوا له تعيش رأس مولانا
السلطان قال فى من قالوا فى امين مطبخة المل هو والصدار فقال الملك من هو الذي
قتلهم قالوا له قد قتلهم الامير بيبرس آغە الوشاقية رخادمه عثمان وقد احضروهم الى بين
يدي السلطان ليظهر الحق وبيان فقال الملك الله الله يا حاج شاهين تبقى الدنيا قسابت
لهؤلاء الاثنين ودور الحق على غطاء حتى اراهم يقتلوا وينهبوا وأنا موجود

لا كان ذلك أبداً (يا سادة) فلما رأى القاضى الملك وقد امتزج بالغضب
 تحرك من مكانه ونفض اكمامه وجنح طيلسانه وهز دبدبانه وقال لا حول ولا
 قوة الا بالله بدا الاسلام غريب وسيمود كما بدا تحركوا يا أجدادى باعراقيون
 يا مولانا السلطان أتكم كلمة ما فيها من السيئات قط أم اصنط فقال الملك
 تكلم يا قاضى فقال القاضى أنا كم اقول لك القول مراراً وأعيده لك تذكراً
 واجهاراً وأقول لك ان هذا الغلام ما أتى من بلاد الاعجم الا يريد أن يفسد
 ملكك وأنت تكذبنى ولا تصدقنى ولا حول ولا قوة ان بالله يا مولانا
 السلطان هذا الغلام يقتل قتلة بعد قتلة وخادمه معه لأن بوجه الشرع يا مولانا
 لا يقتل اليهودي الا اذا كان عاصياً عن اداء الجزية وهذا رجل يدفع الجزية
 ولا يحمل قتله والثانى رجل ناجح فالح واسمه صالح سنى سنوى وأنا أعرفه
 لانه رجل من اهل الخير فأقتلها يا مولانا السلطان قتلة لا حياة بعدها أبداً
 وان كان يغظم قتلها على مولانا امير المؤمنين فأساعده من مالي وصلب حالي
 وزكاة نعمتى ومحبتى فى دين الاسلام والمسلمين بمائة جواد ومائة مملوك ومائة
 كبس من الذهب عليك يا وزير ايبك بمثلها فقال ايبك وأنا مالي يا قاضى
 فقال له ارسل وامض واحضر ما ذكر واعلم انه عندي فى المسود مسطره
 ومذكور لك فى دفتر وهو فى قرار مكين وانا مبشر بك بهذا فقال الملك تحط
 يا سيدي ايبك والا لا فقال له احط يا مولانا السلطان فقال السلطان حضروا
 لنا ما ذكرتموه حتى نرسل الى هذا الولد المقصوف العزم المفرور بالبهتان وفعل
 الفجور فقال الناضى امضى يا منصور وأتى بالمال والخيول وانت يا ايبك
 ارسل وأتى بالمال المذكور فأرسل ايبك وفى عاجل الحال أرسلوا جميع ما ذكره
 وأحضروه بين يدي السلطان من المال والخيول فى حوش الديوان فقال الملك
 انزل يا نجم الدين واحضر لنا هذا الغلام حتى ننظر ما يكون من الامر والشان
 فأجاب نجم الدين بالسمع والطاعة ونزل فى عاجل الحل من تلك الساعة ولم يزل

سائر حتى وصل الى بيته ودخل على الامير يبرس وسلم عليه فنهض الامير ورد عليه السلام فقال له يا يبرس اعلم ان عليك دعوة في الديوان وقد أمرني الملك ان أحضرك الى هناك والسبب في ذلك انه قد قيل عنك انك قتلت رجلاً في بولاق أنت وعثمان وقد أمرني بحضورك السلطان فان مضيت معي سرت أنا وإياك وإن أقت ها هنا أقت أنا وإياك فقال له الامير يا ابني لا بد ان أسير انا وإياك الى الديوان وما يجري علي الا ما قدره الملك الديان ثم انه أخذ الامير معه وسار حتى وصل الى الديوان وتحول عن الجواد وسلمه الى عثمان وصعد مع نجم الدين الى أعلا الديوان ولما وقعت عينيه على عين السلطان وصاح وهو يقول نعم أمسك الله بالعمر والبقاء كما أمد نوحاً بعمر نال فيه شفاء فقال الملك بسم الله الرحمن الرحيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن اللهم عمر بك الارض والبلاد اللهم أهلك ضدك اللهم أقم سعدك قل آمين يا قاضي قال القاضي آمين اثنين ثم قال الملك يا سيدي يبرس عليك بالحق ولا تبالي فانه يا ولدي سفينة النجاة فاخبرني انت قتلت هؤلاء الاثنين فقال لا وحق جد الحسين وانما انا قتلت هذا الرجل اليهودي لاجل ما قد جرى منه

تم الجزء الرابع وبطية الجزء الخامس وأوله محادثة يبرس مع الملك الصالح والحكم بمحرق جثة اليهودي وزميله بالنار وذرها في الهواء

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيعة جبال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى
لهم من الاحوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء الخامس

﴿الطبعة الثانية﴾

سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)

بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الراوي ثم أن الأمير بيبرس حدث الملك الصالح بقصة الفقيه وكيف أمره الملعون بتغيير اسم محمد وكيف ضربه على وجهه وقص عليه القصة من أولها إلى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وأخرج الحجة وأعطاهها إلى الملك وقال له اقرأ هذه الحجة يا مولانا السلطان فقرأها الملك وعرف معناها وقال للقاضي اقرأها وسمعنا معناها فقرأها وإذا فيها خطاباً من الشرع الشريف إلى كل من عارض حاملها نعم أنه قتل اليهودي لكن بعد أن شهدت الناس أنه طلب منه الفاحشة وسبه وتكلم معه إلى كل ما يؤدي إلى تلقه وما الذي يجري من الأول إلى الآخر فقال القاضي هذه الحجة باطلة ومن يقدر أن يخالف بيبرس فقال الملك تأني يا قاضي لأنه قد أقر بالقتل فدعنا الآن من اليهودي ومن قتل هذا الرجل المسلم الذي هو معرفة القاضي قالوا له قد قتل خادمه عثمان قال الملك احضر لنا عثمان يا بيبرس ثم نزل إلى عثمان فقرأه جالساً على رأي من قال هذا المثال صلوا على سيد ولد عدنان

ما عندي خبر يا خل من عمري ولا السليم بحالات السقيم يدري
ولا الذي واصل أحبابه إلى القبر مثل الذي انقطع قلبه وهو يجري

قال الراوي فأقبل اليه ييبرس وقال له يا عتمان كلم الملك قال عتمان أبو جوطه
قال نعم قال عتمان هذا رجل مافيش وايش الذي يخرج من يده قال له قم يا عتمان
بلا قلة أدب وان سألك انكر القتل وقتل لا قتلت ولا رأيت فقال سمعاً وطاعة
ثم أخذه وسار الى باب الديوان واذا بعتمان صاح يا ليل موال
أجيكم كلها نهق حمار نصار وكلها هبت جروة على أعلا دار
يا من على صحن خده سرجة زيت حار قتلتني غدرأ يا أبي قول حار
قال ثم صاح عتمان الخير عليكم من الطاقة الى العلاقة ومن الدفة للشابورة
صباح الخير عليك يا بوجوطه الفاتحة منا في صحايفك وصحايف الاسطبل
الذي ربي صنرك وعلمك ضرب الكفه والمديد فقال القاضي هو سايس
يا عمقوت قال الملك اسكت يا قاضي أنت والسايس ماله رضى الله عن القنبر
على ساعى ركاب النبي قال عتمان صباح الخير عليك يا بوفرمه صباح الخير عليك
يا ايبك يا عين القط اللقيط السلام عليك أنت يا رجل يا ابن عبد السلام خزاك
الله يا قاضي يا عدو الجدود يا منقوش ياللي من الحارة الضيقة الظلمة التي
يمرفها أبو قوطه قال الملك يا قاضي ان عتمان يقول لك يا منقوش يعني ايش
قال القاضي اعلمك انه قد رأيوني وأنا ولد صغير مريض بالجذري فمن مدة ذلك
يقول لي يا منقوش فقال عتمان انكلم يا بوقوطه قال الملك لا يا شيخ عتمان
نحن ناس من الاحرار كاتمين الاسرار يا قاضي اسكت لان عتمان ظلامه مافيه
نور أبدا فاحترس لنفسك منه لئلا يكشف الغطا ولا يبالي بأحد أبداً فقال
القاضي هو رجل عظيم قال الملك يا عتمان أنت قتلت هذا الرجل لأى شىء
قال عتمان عز الله جل الله ما فى الكون غير الله قل معى أنت يا بوقوطه
لا اله الا الله محمد رسول الله قال الوزير فى نفسه الآن يذكر كما جري وأما
عثمان قال يا ملك نحن رحنا الى بولاق فوجدنا رجلا فقى ييكى ويدعى عليك
وهو يقول الله يقصف عمرك يا صالح ربنا يقلب تحتك يا صالح فقدمنا اليه

وسالناه عن حاله فأخبرنا بما جرى له ثم أن عثمان حدث الملك بالقصة من أولها إلى آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها ولما رحننا إلى مطبخة المسمل وقتل ييبرس اليهودي وأنا نبطت رفيقه وقد علمت مثل ما تعلم أنت أنه صديقه فقال لي ييبرس هذا مسلم واليمين باليمين قلت له ابن عمه وما يتخبر عنه قال لي انكر وقل لا رأينا ولا سمعنا ولا معنا خبر فلما أتينا إلى عندك أخبرناك وخبر خبرين ثلاثة لا شغنا ولا رأينا ولا معنا خبر مما ذكر فقال القاضي اقرارك من لسانك لا عذر لمن أقر وما هذا المظلوم الا رجلا غنياً شريفاً فقال الملك يا قاضي اصبر ثم أن الملك صاح يا دائم يا حق اظهر الحق واعلي كلمته واخفض الباطل وقل قيمته وأشار الملك بيده واذا بالرجل الفقيه طالع ومعه شيخ الاسلام وأهل مطبخة المسمل بالتام فقال الملك ما الخبر فقالوا يا مولانا السلطان نحن الصناع الذي في مطبخة المسمل وقد أتينا تؤدى الشهادة بين يديك احتساباً لأن هذين الرجلين أفسد من في الكونين وأحدهما قد عرفنا أنه يهودي والثاني لا نعرف له دين وحاشا أن يكون من المسلمين وما يقول انه لا يمتد في ملة أو يقين فقال الملك حق يا دائم يا حق يا اعلام الفيوب ولكن يا قاضي من شهدت فيه الناس بالتسقي وقلة الدين يكون على غير استقامة ولكن من الرأي أن تقوم وتكشف لنا عليه فقال القاضي أنا أعرفه رجلاً شريفاً غنياً قال الملك قم بلا كثرة غلبة فقام القاضي ومد يده إلى التابوت وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اقشعر بدني يا أمير المؤمنين قال الملك ما رأيت يا قاضي قال نصرانياً يا أمير المؤمنين والعلم الشريف قال الملك ما جزاها عندك يا قاضي قال القاضي يحرقوهما بالنار ويدرونها في الهواء قال الملك افعلا ما قال القاضي وعزة الله ما نالهما الا الحرق بعد الموت ثم قال الملك للقاضي لأي شيء بذلت هذه الدراهم والماليك والخيول على قتل هذا الغلام غنية بالبغني والامراف أو على اظهار الحق من الباطل فقال القاضي حفظ الله

مولانا الامام لاظهار الحق من الباطل كانه الشمس الضاحية في السماء الصافية
فقول هؤلاء حق قال القاضي هذا المال حق الى بيت مال المسلمين قال الملك
اعلم يا قاضي ان بيت مال المسلمين غني عنه وهو من عندي هبة كريم لا يرد
في عطائه الى بيبرس فلما سمع ابيك ذلك قرأ الفاتحة ثم ان الملك التفت الى
الوزير وقال له ليس بيبرس ملتزم مطبخة العسل واخراج القصب بأرض بنها
واكتب له حجة بأنها له من غير مال فنزل بيبرس من الديوان بعد أن ألبسه
الوزير الكرك بأنه ملتزم بنها وكتب له الحجة قال وكانت بنها العسل في قسم
نجم الدين البندقداري فلما وصل الامير بيبرس الى البيت وعبر الى المقعد
وقد التقى بزوجه خالته فلم عليه وجعل يتحدث معه وقد هناء بأخذ بنها
وانشرح خاطره من ذلك فبينما هم كذلك واذا قد دخلوا عليه عشرة رجال
فلاحين بنها العسل فقال لهم الامير ما معكم من الاخبار قالوا له معنا كتاب
من عند شيخ العرب سرحان ونحن من رجاله من عهد سيدنا نجم الدين البندقداري
فقال لهم نجم الدين اعلموا ان التزام بنها صار الآن لولدي ثم قال له خذ منهم
الكتاب وانظر ما فيه من الخطاب فأخذه بيبرس وحله وقرأه واذا فيه
خطاب من المعلم سرحان الى بين أيادي الوزير نجم الدين ان الواصل لكم
صحبة حاملين الكتاب رجل يقال له شرف الدين وهو المعلم بينها القديم
وان هذا الرجل من أهل الجور والفسق وقلة الدين ولا عرفنا له ملة
ولا يقين وقد قتل بيده من الاشراف عشرة ويتم اطفالهم وأذاقهم الحسرة
وقد قبضنا عليه وهو يفعل حتى شهدت الرجال كلهم عليه وهؤلاء العشرة
من بعض الشهود وعندنا غيرهم كثير من العباد مثل فلان وفلان وقد أرسلناه
اليك وهو مكتوف اليدين ومقيد الرجلين فالمطلوب منك أن تجازيه على
فعاله وأن تعجل عليه في القتل من بعد عذابه وارتحاله وتمحي آثاره وتعجل
بدماره وترجمنا منه ولا ترجع عنه حتى تسقيه كأس حقه ومع هؤلاء العشرة

ماية دينار ذهب فخذكم اليك واذق بهذا الرجل المطب وهذه أول حاجتنا
عندك وربنا يتمم سعدك والسلام على نبي تظله النعام قال الراوي فلما سمع
يبرس هذا الكلام التفت الى الرجال وقال لهم وأنتم ياناس شهدتم على هذا
الرجل بأنه شرير ونحس من الانحاس قالوا نعم ياسيدنا هو رجل كذاب كثير
الفسق والذهاب فقال لهم وأين هو الآن فأتوا به وأحضروه في عاجل الحال
اليه وتأمله الامير ونظر اليه وكان صاحبه بصير فبانت له في وجهه علامة الصلاح
والخير وأخذته عليه الرحمة لكنه ما يدري كيف يصنع في هذه المحنة وقد نظر
المعلم شرف الدين الى حاله وما نزل عليه من عذابه فجعل يتنهد كدأً ويتصعد
مدداً وجعل ينشد ويقول هذه الايات صلوا على صاحب المعجزات

قد سلمت أمري للطفيف العالم	وارحت نفسي من جميع العالم
وفوضت أمري الى نحو خالتي	ميرى العظام من أليم الآلم
فربي عليم بحالي كله	وهو عليم بما تكن الحمايم
فربي قدير علي ان يغيثني	وهو الكريم وهو أرحم راحم
وهو المليم بما قد حل بي	من أهل أشرار وأهل جرايم
مددوا علي بجورهم وتجهروا	وشهدوا علي بما ليس يعلم
وذكروا عني فعلا كريهة	وهي لهم شأنا وربى أعلم
فان كان لي قدرا ربيت به	وان كانت الاخرى فلم أنجيم
فلا بد لنا يوم القيامة موقفا	ينجوا به المظلوم ممن يظلم
ولا بد لنا من ميزان تؤدي بها	وصحائف كتب بكل مأثم
بيض وسود تراها في كل موقف	وما من يأخذ كريم وما يكرم
ولا بد من نار تخاف سمرها	ولا بد من جنات تزود تنعم
فهنالك الناجي يبان حقيقه	وهنا لك الطاغى يحمر ويقدم
ورب العرش جل جلاله	هو القاضي بين العباد وحاكم

قال الراوي ولما فرغ الرجل من انشاده التفت اليه الامير بيرس وقال له ياشيخ أنت قتلت عشرة من الرجال فقال لا وحق الملك المتعال الذي أُرسي الجبال وعلم كم وزنها حبة ومثقال لا عمري قتلت ولا نهبت وأنا المجازي هو الله فقال له بيرس الآن ترى ماقبة فعلك وسوف تظهر أعمالك ثم انه نادى ياعثمان خذ هذا الرجل وادخله الى السجن والتفت الى تلك الرجال وقال لهم خنوا رد الجواب وسيروا الي صاحبكم وقولوا له لا بد مما ذكرت ان يحصل وان الامير لم يخالفك أبدا وأقروه عني جزيل السلام وقولوا له قد فعل الملتزم كلما به قد أثرت فقالوا سمعا وطاعة وساروا الى حالهم وأما ما كان من الامير بيرس فانه صاح بصيوان ولما حضر اعاد عليه ما جري من أول الامر الى آخره وكشف له عن باطنه وظاهره فقال عثمان يا دولتي وحق مالك الممالك الذي كل شيء دونه هالك هذا الرجل مظلوم وحق الحى القيوم ولا جرت منه هذه الفعال وحق الملك المتعال والذي أقوله انه هو الذي ينعمك في أرض بنها المسمل ويظهر لك الاصل الاصيل والزلزل وأنا قد عرفته اكثر منك فتأني في أمرك وفعلك ولا تكن عجولا وما قال هذا عنه الا من هو أفسق خلق الله تعالى فقال له بيرس سمعا وطاعة وقد علم ان قوله صواب ماهو هزيان ثم أنه أمره ان تمضى الى السيد شريف الدين ومجمله من وثاقه ويفرج عنه مابه من ضيق خناقه فأجابه عثمان الى ذلك الشأن ونزل الى السيد شريف الدين وهو يبكي وينوح من كبد مضني مجروح واولاده عليك يا شرف الدين والله انه رجل صالح يا خساره يا شرف الدين ولم يزل كذلك حتى أقبل عليه فلما رآه شرف الدين ارتعدت فرائصه وخفق فؤاده وتكدر وارتمبب أكباده وقال له مالذي جري يا اخي فقال له اعلم ان الملتزم في هذه الساعة يريد ان يضرب عنقك فلما سمع ذلك السيد شرف الدين قال كلمة لا ينجل قائلها

لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون كل نفس ذائقة الموت ثم انه جعل يندب نفسه ويبكي وينشد ويقول

رمتني الايام ظلما بجهلها	وكم من أمثالي رمت الايام
فعلت الجليل مع غير أهله	فخانوا الجليل وتبعوا الملام
وقد بليت بقوم ما يعرفون لي	جيلا ولا يرعوا لي زمام
وقد زرعت طيبا في ارض خبيثة	فلما تناها حده طرح لي سقام
وقد ظلموني من غير ذنب بدا	وانبتوا على كل فعل حرام
وقولوني بزور لم أقول به	وأنتبوا علي كلام في كلام
وذكروا عني اني قتلت نفسا	زكية حرم الله قتلها حرام
ولكنني ان مت مت شهيدا	وربي عالم بكل مرام
ويكفيني اني مت على الهدي	وارثا لدين أهل الاسلام
أشهدك يا ربّي اني مسلم	ومسلم لك في كل الاحتكام
اموت علي دين خير الوري	فهو الشفيع غدا في الزحام
ربي على ملة الاسلام امتني	وتبني يا مولاي للاسلام
وأنت وكيلى في جميع اموري	تأخذني حتى عن جميع الاخصام

قال الراوي ولما فرغ من اشعاره وماقاله من نظامه قال له قم الآن واجب الامر فلا شك انك رجل ظالم قاتل النفس شرير شارب الخمر العصير ثم ان عثمان أخذه الى الامير فتأمله واذا به ذا عقل رزين كثير العقل فقال له الامير يا أبي مالي أراك علي هذه الحالة الشنيعة وقد نزلت بك هذه الامور الوضيعة فقال له يا ولدي كل شيء بقضاء الله وقدرته وما يقدر أحد ان يخالف حكم الله وامره وما يقع في ملك الله الا ما يريد فقال له وما مني هذا الكلام قال له ان خادمك ذكر لي انك تريد ان تضرب عنقي وتورثني كاس حنفي وتجعل يومي كأمسي فلما سمع الامير ذلك التفت الى عثمان فقال عثمان وأنا ما لي انا قلت له الجندي يريد ان يضرب

عنقك ويعدمك مهجنتك ويريحك من نفسك وما ذكرت له غير ذلك وحق
السيد المالك فقال بيبرس لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الامير
هجم على السيد شرف الدين وحمل كتابه والوثائق وأطلقه عما هو فيه من ضيق
الخناق وفك أيديه من الاخشاب وقال يا أبا عبدك مني الامان من التلاف
والعذاب فلا يأخذك فزع ولا جزع ولا تسمع كلام هذا الرجل الخرفان الذي
هو عثمان فترك كلما كان يقوله من الكلام ثم انه أخذ بخاطر الرجل وأجلسه
الى جانبه وأمر بالطعام وأكل معه وقد صنى لهم الوقت وطاب وأمن الشيخ
على نفسه من الاتهاب ومما كان فيه من العذاب وبعد أن استقر به المقام
وفرغوا من أكل الطعام التفت الامير الى الشيخ شرف الدين وقال له يا أبا
حدثني بقصتك وأطلعني على قضيتك فقد صبح عندي أنك صادق اللسان
مظلوم من كل انسان فعليك بالصدق ولا تبالي واذكر ما جري من أول
القصة فقال له والله العظيم لا أقول لك الا حقا ولا أنكلم بين يديك الا صدقا
فروق ذهنك وأكثر من الصلاة على نبيك

قال الراوي وكان لهذا الرجل سبب عجيب وأمر مطرب غريب اسمع يا أمير
أني قد كنت معلما بارض بنها العسل وسائل سكر الحرمين وقصبة وسكر
السلطنة وكل منهم له عندي جزء معلوم الى أن كان يوم من الايام ركب
فرسي وسرت بالسكر قاصدا أرض مصر فررت على عرب يقال لهم عرب الرملة
فتأملت فرأيت رجلا حراث وهو قابض على غلام عريان وهو يضربه ضربا
شديدا ما عليه من مزيد وذلك الولد يستغيث فلا يفاث فلما رأي ذلك الغلام
قد قاربت منه جعل يستغيث بي فتقدمت اليه وقلت له يا شيخ اتق الله واخشى
عذابه كيف تعذب هذا الغلام بهذا العذاب أما بلغك قول النبي عليه وآله الصلاة
والسلام الراحون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء فلما
سمع مني ذلك الرجل هذا المقال فلم يلتفت الي بل انه ازداد في ضرب الغلام

فآخذتني عليه الشفقة فتحولت من على ظهر جوادي ودنوت منه في الحال وقلت
 له أخبرني من ذنبه وما الذي فعله من العمل فقال لي اعلم يا شيخ أنني أنا رجل
 حراث أنا وهذا الغلام عند شيخ البلد علام ولنا عليه في كل يوم ثلاثين بتاوه
 وقرصتين خبز وغنلين بصل نأكلهم أنا وهذا الولد ونحن نحرث له الأرض كل
 يوم فلما كان هذا اليوم غاب علينا الغدا فأرسلت هذا الولد إلى دار الشيخ ليأتيننا
 بما نأكله فغاب عني وحاد وما معه شيء من الزاد فسألته عن ذلك فأخبرني أنه
 توجه إلى الدار فوجدهم يخبزون فقال لهم أنظروا لنا عندكم قدر عشرة بتاوات
 وأعطوه ذلك فأكلهم وعاد إلى عندي ومعه شيء وأخبرني بما فعل فلما سمعت
 منه ذلك وكان قرط عليّ الجوع فالتهب فؤادي والضلوع فنهضت إليه من شدة
 جوعي وأتيت بأربعين عودا من الرمان والبرقوق وربطته كما ترى وحلفت أنني
 لا أتركه إلا ممدوم وجملت أضربه وأستريح وكلما قرط على الجوع أعيد عليه
 العذاب وقد كسرت عليه خمسة وعشرين عودا وصار كما ترى يخرج دمه ظاهر
 الجلود وقد أقبلت أنت إلى وسألته عن ذلك أخبرتك فسر إلى حال
 سبيلك ودعني أكره عليه ما بقي من العبدان ولا أتركه حتى يشرب كأس
 المصان فقلت له أكرمه لأجل خاطري لأنه قد وقع في عرضي فقال لي
 أنا رجل لا أعرف ذلك الأكرام ولا أعرف العرض ولا الزمام فجعلت
 أتحايل عليه بأي حيلة كانت فلم أصل إليه فلما أعياني الأمر وقد مني على
 ذلك الغلام الصبر قلت له تعطيني هذا الغلام وأنا أريه لوجه الملك العلام
 وتأخذ هذا الكيس فيه خمسمائة شريفى ثممه فلما سمع الفلاح مني ذلك
 طاش عقله وضاع صبره وقال لي بعثك إياه فقلت له خذ ما ذكرت لك
 وتناولته الكيس وأخذت الغلام والبسته عباءتي وأرسلته مع رجل من
 الفلاحين إلى البلد والغلام يدعى لي ويطلب لي السعد من الأزل إلى الأبد ثم
 أتني بعد ذلك توجهت إلى مصر ووجهت السكر ووفيت كل ما كان عليّ من

الطلب لبيوت الوزراء وبعد ذلك رجعت الى بنها العسل وانا في كل اموري على عجل لاجل هذا الغلام الذي الى وصل فلما وصلت البلد أرسلته خلف الفقيه وفعلت له فدية وعلمته القرآن وذكرت له بعض معانيه وهو شهيد عليه والله تعالى لم يصل ثوابه اليه ولما فرغ من ذلك اتيت له برجل نصراني وقلت علمه القلم الديواني فاطاعني وما عصاني الى ان صار كاتب مناسب قارئ ناجب فطين لبيب وصار يحسن الخط والتضريب وصاروا أهل البلد ينادونه يا ابن المعلم فلما نشأ وقرأ وفهم قلت له يا ولدي انا الآن صرت رجل كبير ومالي قدرة على التحصيل والتطبيع والعصير. واريد ان اعيد الله في المسجد بطول النهار واقم فيه الى عند الاعتكاف وأنت يا ولدي أولى من غيرك وأحق بالتقريب واريد منك يا ولدي اكل وشربي وخذ أنت كلما كان تحت يدي واحكم على كل ما كان في حكي ثم اتى سلمت له المطبخة والارض والدار وصرت مقيا في المسجد آناء الليل وأطراف النهار وأنا أحد الملك الفقار فلما كان هذا العام الماضي أرسل الينا الوزير نجم الدين من طرفه من يتسلم السكر وكان صحبة الرسول رجل كاتب يقال له قدوير والملوك الرسول يقال له صالح فلما وصلوا الى هناك تلقاهم ولدى سرحان وقد اكرمهم غاية الاكرام وقد جعل لهم محلا برسمهم ولما اقبل الليل اجتمعوا بيمضهم وشربوا الخمر واعضبوا بافعالهم الملك الغفور وصارت الكاسات عليهم تدور وارسل سرحان أتاها بثلاثة من النسوان الفواجر فجعلوا يرقصون بين ايديهن ويفعلوا المحرمات وداموا على هذه الصفات حتى رأوهم الناس فيبينا أنا جالس في المسجد واذا قد اقبلوا على أربعة من الرجال الفقراء فسلموا علي وجلسوا الي جانبي وسارروني وقالوا لي في اذن قد جرى من الامر كذا وكذا وأعادوا علي فعال ولدى وقالوا هم الآن في المكان الثماني ومضوا عني بعد ذلك فنهضت من وقفي وساعتي وذهبت الى ذلك المكان

ودخلت اليه من غير ان يراى انسان واذا قد وجدت الثلاثة على الفساد من السكر
 والنساء والاولاد قاقت خلف الباب ونظرت ذلك الحال والمصاب فيما أنا أنظر
 واذا بامرأة منهم أقبلت بعد أن رقصت ودنت من سرحان وعلى حبره قعدت
 وجلست ومد يديه الاثنين من تحت ابطها وشبك على نهودها وقرط عليها وهى
 تتاوهله وتهايل عليه وتقبله وهو كذلك يضحك ويقبلها فلما نظرت الى ذلك
 تغيرت وقد التهب قلبي بالنيران وانيت الى عنده وقلت له يا ويلك يا قرنان كيف
 انك تقرأ القرآن الذي نزل على قلب ولدعدنان وتفسد بالنسوان وتفضب بفمك
 الملك الرحمان ثم انى ضربته على وجهه بيدي من شدة غيظى عليه وتركته وزلت
 وانا منزعج الراس كثير الفكر والوسواس وقد اقبلت الى منزلى وانا لا أنكلم ولا
 ادري عاقبة هذا الامر المحكم ولما ضربته الكف بين أصحابه صعب
 عليه وكبر لديه وكذلك على صاحبيه واتفقوا على هذا الرأي الذى اوقعوني
 فيه وقد صبروا الى الليل وآتوا بهؤلاء العشرة القتلا وانزلوهم فى دارى
 من غير علمى وقد اصكمنوا الى الصباح فلما جاء الصباح أردت النزول الى
 الجامع مثل عادتي حتى اصلى فريضتي وما أدري ما قد جرى من مصيبتى
 فلما توسطت الدار وجدت القتلا مطووحين على الجدار فقلت لاحول ولا
 قوة الا بالله ومن أين لى هذه القتلا ومن الذى أنى بهم الى دارى ولكن
 رأى الصواب أن أدفنهم ولا أظهر أمرهم خوفا ان الناس يقولون عني
 اننى قتلتهم ثم انى صرت أحفر الارض واذا بشيوخ البلاد والمشددين والملوك
 والكتاب وولدي سرحان على هاجين والى نحو دارى طالين ثم انهم
 دخلوا الى الدار فرأوني أحفر الارض والقتلا بين يدي وقد نظر وهم كل
 النظار ورأوني انا أحفر الارض واريدان ادفنهم فهجموا على ولطموني
 حتى اصموني وقالوا لى انت الذى فعلت هذه الفعاع وقتلت هؤلاء القوم
 ياندل الاندال ثم انهم اوثقوني كتاف وقووامى السواعد والاطراف وجعلوا

في يدي الخشب وكادوا ان يورثوني المطب بعد ان لففوني دائر البلد وانا لا ابدي كلام ولا أذكر لاحد مرام ثم انهم غطوا رأسي بالغطا وأرسلوني مع هؤلاء العشرة الى مصر القاهرة وقد أرسلوا معهم جواب الى الوزير نجم الدين يأمره بقتلى وصلبي فانت اليك وقصصت القصة عليك فلما نظرتني أمرت بجبسى ثم ان عثمان اقبل على وقال لي سيدي يريد أن يضرب عنقك لانه رأي القتل ثابت عليك ثم أخذني واحضرني الى بين يديك فسألتني وأخبرتني وهذه قصتي والسبب وحق من عن العيون قد احتجب وهذا ما جري من أول الامر الي آخره والله على ما اقول وكيل خبير

قال الراوى فلما سمع الامير ذلك تعجب غاية العجب وقال والله انه يحق لهذه الاعاجيب ان تكتب بالذهب ثم قال يا ابي شرف الدين اني قد اعطيتك الامان والزمام وما عليك خوف ولا ملام وحق الملك العلام غير انك لا تعارضني فيما أفعل من الاحكام حتى أدبر واكشف هذا الابرام ومن فعله ولا تلوم على فيما عمله ولا تصدق عثمان ولا يأخذك من جانبي خوف ولا فزعان لانى اريد احقق هذا الامر بمعرفتي فقال له افعل يا ولدي ما بدا لك نبح الله أعمالك فقال يا عثمان امض بسيدي شرف الدين الى السجن فسار به عثمان وتركه في السجن مثل ما كان فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من الرجال الفلاحين فانهم ساروا الى بنها العسل ودخلوا على سرحان وأعطوه رد الجواب وقالوا له انه يقرئك السلام ويفعل كل ما أمرته به من الاحكام فلما سمع منهم ذلك فرح غاية الفرح واتسع صدره وانشرح وأيقن بهلاك شرف الدين ونهب ماله على يقين ثم أقام على ما هو عليه من سكره وفساده فهذا ما كان من امره وأما ما كان من أمر الامير يبرس فانه التفت الى عثمان وقال له يا اخي اريد منك ان تمضى الى بولاق وتنظر لنا مركب صغير تسمع أربعة من الاتصار حتى اتنا ننزل فيها ونقصد بنها العسل وتلك

الدبار ونصل على قدر ما نرى من الاعمال فأجابه عثمان الى ذلك الشأن وأخذ
 رزته وسار ولم يزل سائر بالاتفاق حتى وصل الى بحر بولاق فتأمل واذ بالريس
 فرحات جالس مقدم الذهبية التي للسلطان وبين يديه اتباعه والعلما فقال
 عثمان والله ما يصح لنا الا هذه الذهبية حتى نساfer وافيها ونفوسنا هنية مطمئنة
 مرضية ثم ان عثمان اقبل خلف الرئيس وضربه بالرزة حتى ظن انه قد مات
 فلما فاق التفت الى الضارب فوجده عثمان وكذلك عرفوه ساير العلما فنهض
 سريعا على الاقدام خوفا من الاسطي عثمان وقال له اهلا وسهلا ما الذي تريد
 يا عثمان فقال عثمان الفأخه فقال له حلت بركاتها ولكن يا عثمان الفأخه من خلف
 او من قدام قال عثمان ان هذه الطرقات كلها مسالك قدعنا من هذا كله واعلم
 اني اريد هذه المركب اسافر فيها الي بنها العسل وتعود انت سريعا على عجل
 فقال له يا عثمان هي ذهبية السلطان لم ينزل فيها غيره انسان فقال عثمان ومن
 هو السلطان قال له الملك الصالح جليل الشأن فقال عثمان قطعت منك ومنه
 الاذن واليدان والرجلان فوعزة الملك للناس لا أسافر الا فيها ولم انزل
 في غيرها فقال له الرئيس فرحات يا عثمان اسمع كلامي ولا تكن عنيد
 فان اردت أن تسير في هذه المركب فأتيني بأذن من عند السلطان الملك
 الصالح حتى لا يعتب على بعتاب أو من الوزير الاغا شاهين والا عزة الله
 الملك المبين الذي تكفل برزق الصالحين وخالق الاولين والآخرين ان لم
 تأتيني بأذن من الملك لم اتقل بها لو كنت من الهالكين فقال عثمان اعلم
 اني اخاف منك ان تركني وتهرب بعد أن امضى فقال له ولاي شيء ذلك
 والله لا فعلت ذلك ابدا ولو سقيت كأس الردى فقال عثمان أما من خصوص
 الاذن فانا اتيك به ولكن وحق من لم يطلع أجدا على غيبه وقد تكفل
 بارزاق خلقه ان تركني وهربت لا بد اني اجد ورائك في الطلب واذيقك
 يسدي كأس العطب واذبحك من قفالك ذبح التيوس واصلبك على مقدمتها

وحق الملك القدوس ولا ابالي من العلم صالح ولا من كل روح وسار فاصالح
 أنت شأنها وصر مقادفها واجعل فيها النمل والتمايلق وافرد هذه القلوع
 والزوايق حتي امضى الى الملك المهاب وآتاك بالحواب ثم تركه وسار وهو لا
 يقر له قرار ولا يأخذه اصطبار حتي دخل الى الوزير ودخل الى الديوان فوجد
 الوزير جالس وبين يديه الحصان فقال عثمان صباح الخير يا وزير الزمان فقال
 الوزير اهلا وسهلا ومرحبا بك يا اسطي عثمان ما الذي تريد من الامر والشأن
 فقال سيدي يريد النزول الى بنها العسل وقد سرت الى الرئيس فرحات في
 بولاق وقلت له خذ لك منى قرش كامل واوصل سيدي الي بنها العسل فاني
 عن ذلك فطلبت ان اضربه بالرزة فقال لي انا لا افعل ذلك حتى تأتيني بمطاب
 من ابو فرمة أو من السلطان صاحب الهمة فقلت له قد عظمت شأنها وهما
 عندي مثل الهوى ثم اني تركته وأتيت اليك وأريد أن تكتب لي قوله بيده
 ويخطك وختمك فاني حلفت أن لا أسافر الا فيها فقال له الوزير ممما وطاعة
 ثم كتب له الوزير تذكرة الى الرئيس فرحات يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم
 أما بعد فهذا خطابي واصل اليك أيها الرئيس فرحات بقضاء حوائج الاسطي
 عثمان وتوجه الى كل ما يريد في الذهبية الملكية وما عليك في ذلك ضرر
 ولا خوف وخطنا وختمنا حجة علينا بعدم المعارضة لو اقمتم مع عثمان سنة
 كاملة والسلام على من تظله النعام ثم انه ناوله التذكرة وعلم عليها وختمها
 واعطاها لعتمان فأخذها وقال له بقي عليها يا وزير الزمان حاجة أخرى
 فقال له وما هي يا عثمان قال أريد من يسافر مع الاشقر من الخدام لانه
 فقير ولا عنده زاد ولا عبيد ولا حشم فقال الوزير سمما وطاعة
 ثم رسم له بمائة مملوك وامرهم بمائة خلعة ومائة ركوبة وزربية ثم
 رتب له طبخين وفراشين وكل ما كان يحتاج اليه من فرش وعقدات
 وضيافات وعلوفات وقال يا عثمان ان كنت تريد شيئا غير هذا فقل

لى عليه فقال عثمان جزاك الله كل خير وكفاك كل هم وضير وسوف يصل اليك
اكثر من هذا ولكن المالك وهبة ولا يمودون والا يمودون اليك بعد ان
يوصلونا فقال له كل هذا هبة كريم لا يرد فى عطاء يا عثمان فأخذهم الاسطى
عثمان وسار بهم الى أن وصل الجميع الى بولاق وسلم التذكرة الى الرئيس فرحات
فأجاب بالسمع والطاعة ورتب الذهبية بكل ماكانت تحتاج اليه وانزل المالك
والخيرات وسلم الجميع الى الرئيس فرحات وقال له اسبغني بالذهبية الى شبرا
فأجابه لذلك وعاد عثمان الى بيت الوزير نجم الدين وقابل عقيرب
وقال له ركب الاشقر وسر بنا الى بولاق تاخذ انت الجواد ونحن
نسير الى بنها العسل ومعنا الخيول الى للمالك والسياس ولا يعلم
أحد بهذا العمل فقال سمعا وطاعة ثم صعد الى بيبرس وسلم فرد عليه
السلام فقال له أتيت بما أمرتك به قال نعم اكرمت مراكبنا صغيرة قوية
فعند ذلك نهض بيبرس وركب جواده ولبس سلاحه وعدة جلاده وسار
طالب بولاق وامر عثمان ان يركب شرف الدين ويسير به الى هناك ففعل عثمان
ذلك ولما وصلوا الى هناك قال الامير بيبرس أين القارب قال عثمان كان هنا وراح
كان الرجل اخذه وهرب فقال له الامير انظر لنا غيره فقال عثمان هذا لا يصح
ان بني آدم يربطوه من لسانه ولكن سير الآن خلفى حتى انظره ثم سار
عثمان وتبعه بيبرس على الاقدام ولم يزل كذلك حتى أقبلوا الى شبرا وتأمل
عثمان فرأى مركب السلطان وهى كأنها العروس اذا انجلت والدينا اذا اقبلت
فقال عثمان هذه مركب من يا اشقر قال نعم هذه مركب السلطان صاحب
المسدل والامان فقال عثمان انى أرى القلوع من حرير فقال نعم يا عثمان
قال عثمان لو كان يأخذ الملك الصالح قلما منهم يلبسه على بدنه أحسن
من الدلق الذي نسل جلده وارق لحمه وابرأ عظمه واكثر سقمه وكان
يبيع قلما منهم ويشترى به لحمه يأكلها لاني ما أراه يأكل الا قراقيش

ناشفة فقال الامير لا تتكلم فيما لا تعلم لانه هو بحاله اخبره وما هو الا من اولياء الله العظام فقال عثمان أريد ان اتفرج عليها وانزل انا وانت اليها حتى ننظرها ونأملها فقال له بيبرس سمعا وطاعة ثم ان الامير نزل هو وعثمان وشرف الدين وكانوا تركوا الخيول مع الخدامين فاخذهم فقرب وسار الى ما امره به عثمان هذا والامير قد سار هو وعثمان وشرف الدين الى ان وصلوا الى الذهبية واذا بالسقالات موضوعة والآلات مرتبة مصنوعة فلما توسط الامير الذهبية واذا بالمدافع قد خرجت من جوانبها والقلمان قد قامت ونهض الرئيس فرحات وقد تبادرت الممالك من سائر الجهات واممنهم الامن قبل يد الامير بيبرس وتأمل الامير صدر الذهبية واذا قد وضع له كرسي من الساج الهندي بأربعة عساكر من الذهب الاحمر مرصع بالدرو والجوهر وأخذ الرئيس فرحات من تحت ابطيه واجلسه على ذلك الكرسي وهو يمدحه ويثني عليه وقد وقعت الممالك في الخدمة بين يديه فلما رأى بيبرس ذلك الحال كاد ان يأخذه الدهش والانذهال وقال والله ما هذا الا أمر غريب ما خطر لي على بال ثم قال في نفسه لابد ان الرئيس ما فعل هذه الفعاليات الا لاجل ان يريد العطايا والمال ولكن ما الذي اعطيه الان وهو ريس السلطان ثم انه جعل يتفكر في مثل ذلك الشأن واذا به يري المركب قد سارت على كف الرحمن والقليوب قد خرجت مثل اجنحة الطيور والنسور والعقبان والجميع ساروا بالرياح ملانين وفي عاجل الحال اوقدوا النيران وذبحوا الاغنام واشتغل الطباخ ودقت الطبول في الذهبية وغنت الملاحين والنواتية ولما رأى الامير ذلك تعجب وكاد عقله ان ينسلب ولم يعلم باطن الامر فالتفت الى عثمان وقال له يا عثمان ما الخبر وما هذه الافعال التي قد جرت فقال له عثمان اسمع يا اشقر واختار لك خيرة من الاثنين اما نجلس في مكانك ولا نسأل علي ما جرى

لك راما أن أرميك في البحر فتشرب كأس وبالك فلما سمع الأمير من عثمان ذلك تبسم ضاحكا وقال له أخبرني يا عثمان عن هذا الامر والشان فقال عثمان انه قد جرى كذا وكذا ثم أن عثمان حدثه بالقصة من أولها الى آخرها وكشف له عن باطنها وظاهرها وكيف انه قابل الرئيس فرحات وكيف مضى الى بيت الوزير فقال بيبرس وبأى شيء أجازى أنا هذا الوزير وما أنا على مكافئته بقدير فقال عثمان والله ما أنت مجازيه الا بالشجرات والامور الموبقات فقال له يا عثمان لا تذكر هذا الكلام فقد قرأنا في القرآن المنزل على سيد ولد عدنان (هل جزاء الاحسان الا الاحسان) قال عثمان اعلم انك رجل مثل العقرب خائن العهد والمذهب وكل من فعل معك جميل لا تجازيه الا بالشر والويل ولكن دعنا الساعة من الملاججة والكلام واعلم ان الرجل الذي أنت ذاهب اليه أديب بن أديب وعن المحرمات لا يحيد ولا يفيد ولا يمدك في عينيه الا هذا الملك العظيم اذا رآه وما من الله به عليك من العطا والتكريم وما فعلت ذلك الا حتى أوقع في قلوب الاعداء الهيبة والرعب فعلم الأمير بيبرس ان قوله صواب وهذا الامر لا يعاب فشكره على ذلك وساروا ولو كانت لهم أجنحة لطاروا ولم يزالوا يجدون السير الى أن كان وقت العصر وقد نظر الأمير بالنظر فرآى مركباً مليانة سكر مقبلة من ناحية بنها العسل ومتوجهة الى مصر فلما نظر شرف الدين الى ذلك ألتفت الى بيبرس وقال له انظر يا سيدي الى هذه المركب وكيف انها مليانة سكر وان جميع ما فيها من مالي ومال أمير المؤمنين وما هم الا يريدوا أن يرسلوها هدية الى بعض رفقائهم فلما سمع الأمير ذلك قال للرجال والغلمان الذين حوله صيحوا على الرئيس الذي بهذه المركب حتى يأتى إلينا وننظر ما في مركبه ويمرضه علينا فصاحوا عند ذلك الملاحين والماليك وكل من في الذهبية وهم يسمعون ذلك ولا يلتفت أحد منهم فقال عثمان صيغ عليه لانك أنت المنقش الكبير

ولا بد أن يصنى لك الكبير والصغير فهض بيرس ووقف على مقدم الذهبية وصاح يا ريس يا ريس فلم يلتفت اليه ولا عباً به بل هو سائر على ماهو عليه وهو يدير مركبه ويقول الى ملاحينه افعلوا كذا وكذا ولم يجب المنادى ولم يجاوبه فقال له عثمان كان الريس لا يسمع كلامك ولارد عليك خطابك ارجع أنت الى مكانك وأنا آتيك به وبكل ما في المركب ثم ان عثمان تقدم الى مقدمة المركب وكشف رأسه ومسك الرزة في يده وصاح يا رجال يا ريس أنا عثمان بن الحبله في المراغة بيتي والقبر الطويل ولي عبد اسمه فرج وعلى باب بيتي قنديل معلق بجبل طويل وسرها في مقامها اذا لم تأتي الى عندي لا تط وراك واذهبك من قفاك على مقدم مركبك وانجز بخنجرى باقى غلمانك وأقرانك وانهب كل ما كان معك وأرميك في البحر حتى يأكل السمك

قال الراوى فلما سمع الريس صوت عثمان وما قاله من الاقسام الذي يعرفها كل انسان حتى صاح بأعلا صوته ميل عليه يا ابن كشاف اطوى القلاع يا شعوتي أرخ الطرف يا هجلان حول القارب يا شعلان ولم تكن الا طرفه عين حتى طالوا وصارا الى جانب بعضهم المركبين فلما نظر بيرس الى ذلك تعجب وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ولما أقبل الريس على الامير قال له يا هذا كيف أصبح عليك خمسة مرات وأنت لم تجبني قال يا مولاي كان الريح قاعد في آذاني وانني لم اسمع من ناداني قال له ولما صاح عليك عثمان كيف سمعت نداء فقال له اعلم ان صوته دخل في آذاني كأنه الرعد اذا رعد والبحر اذا أزيد فقال عثمان وحيات رأسك هذا يسمع ظراط النمل وما جاء اليك الا من خوفه مني والالم يقبل ثم ان الامير سأله عن وسقه الذي معه في مركبه وكان السائل له عثمان فقال له وقد خاف منه الخوف الشديد اعلم ان هذا الوسط غسل وسكر ساقه أبو الشيخ سرهان وأعطاني هذا الكتاب وأمرني أن أسير به الى رجل خمار يقال له ناصر وأمرني أن أسلم اليه جميع ما في المركب وأخذ بدله من عنده شيئاً آخر

لا أعرفه انما هو مذكور في الكتاب فمند ذلك حل الامير الكتاب وقرأه
واذا فيه خطابا من المعلم سرجان الى بين ايادي ناصر الحمار الذي نملك به
اننا قد صنى لنا الوقت وطاب لنا الحظ وأهلكنا الاخصام وذلك اننا عملنا
ملموع علي شرف الدين ونهمناه بمشرة ارواح وقد أشهدنا عليه جماعة من
الفلاحين وارسلناه الى نجم الدين يقطع أثره ويصرم صمره وقد جاءني رد
الجواب من الملتزم الجديد بأنه يفعل كلما اشتهى وأريد وحمدنا ربنا على
ازالته ونظافة البلد من طلعت ولا بد ان اتعب داره وأسبى زوجته لاننى
أنا الآن صرت المعلم الجديد الكبير والرئيس الجديد الشير وقد ارسلت
اليك هذا السكر والسمل التطار وتستعوض لنا حقه خمر عقار ونمضر الي عندنا
ليتم بك السرور والاستبشار وقيم مع بعضنا على ما نحن فيه من الفرح
والاستبشار والازهار اثناء الليل واطراف النهار والسلام

(قال الراوى) فلما فرغ الامير من قراءة ذلك الكتاب ورأى ما فيه
من الخطاب قطعه قطعاً وجعله بضعا ورماه الى البحر وقال يا عثمان حول هذا
السكر الي عندنا الآن فقال له عثمان سمعا وطاعة ثم أمر الرجال بتلك البضاعة
وقال لهم حولوا يا جدعان والا ارميكم في البحر وأستقيم الهوان فلما تهيأ
الفراغ من ذلك قال لهم سيروا الآن الي حال سبيلكم فانكم ما لكم عندي ذنب
ولا دعوي ولا طلب فساروا وهم لا يصدقون بالنجاة قال ولم يزل الامير سائر
في الذهبية الى ان اقبل الي بنها العمل وقد طلع عثمان قبله ومعه الدولة والغلمان
وقد علموا بذلك الشأن اهل البلد والاطوان ففتحوا دار الملتزم وكسوها
وهياؤها وفرشوها وطلع الامير يبرس وبصحبته شرف الدين ولم يعلم به احد
من الفلاحين لانه كان قد جعله بين عشرة من الغلمان وألبسه مثلهم وصار كانه
منهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من سرجان فانه
لما بلغه مجيء الملتزم نهض على الاقدام وسار الى عنده فلما رآه الامير

بيبرس نهض له وسلم عليه وصاحفه واجلسه في موضعه وأظهر له غاية الاكرام
وكان ذلك حبثاً من بيبرس وخديعة وفي مثل هذا قال الشاعر
ولي صاحباً لما رأي مقبلاً من مكروه تزحزح لي من مكانه
وسايرني ما دمت صندة جالساً ولما تركته عضني بلسانه
(قال الراوي) فلما لظر سرجان الى هذا الاكرام ورأى ما هو فيه من
العز والاحترام كبرت نفسه عنده وظن أن مافي الدنيا كلها مثله وقد خاف الامير
من صورته وشكله والا فما كان رجب به ولا ظم له ثم انه جلس مكان الامير
كما ذكرنا وتركه ولم يعتنى به ولم يجلسه ولم يسأل عنه قدر ساعة من الزمان
ونفض بعد ذلك على الاقدام وسار الى محل اقامته ليتزود ولا أبدى عند خروجه
سلام ولا كلام ولم يدري بأنه قد ولت عنه دولته ورماه الزمان بالنكال والخذلان
هذا ولما خرج من عند الامير تعجب من فعله وأخذته التحير وقال الامير ان
الرجل قد أعجبتته نفسه وتكبر على أبناء جنسه ولا بد لي أن أسكنه رمبه
واجعل يوم حياته كأمره واني أسلبه نعمته ويصير هذا القرنان مثل طادته
لانه ظلم وبغى وتعمدي وطفى وخان العيش الذي زباه فلعن الله أمه وأباه ثم أن
الامير اضمر له في سره كل أمر يهينه فهذا ما كان منه (ياسادة) ولما استقر
بالامير المقام نحو شهر كامل من الزمان أرسل اليه سرجان يقول له غداً يكون
قص القصب فقال الامير على بركة الله الكريم المحتجب ثم انه بعد أن جاء
الاعتكار أحضر السيد شرف الدين الى بين يديه في الدار وسأله عن مثل هذه
الاخبار وقال له يا أبي غداً قص القصب فقال له السيد شرف الدين والله
يا أمير لقد سألتني عن أمر كبير هذا تركب أنت وسرجان يكون الى جانبك
وتطوف على الغيطان معك فاذا رأي القصب الذي يكون طاب يتركه لاجل
الذهاب وبعضى الى القصب التي القصير ويأمر الرجال بالقطع والتكسير
وذلك لاجل انه اذا قطع الاخضر الناقص للتطبيب فلم يخرج منه شيء لعدم

الاستواء واذا فرغ من ذلك اعاد الى القصب المستوي وأمر بقطعه ويكون
 قد أكله السوس فما يخرج منه غسل ولا يتدبر منه فلوس واذا أنت نظرت
 ما خرج في ذلك العام فيحاسبك العام الغافل مثل هذا الفرض وهذا لأجل
 ان يكون الوفرك له والمال يكون له وبأى اليه وهذه حالته والسلام
 (قال الراوي) فلما سمع الامير ذلك الكلام اعجبه وقال والله ما احلا
 قولك وما اطيبه ولكن غدا يكون ما يكون باذن من لا تراه الميون ثم ان
 الامير جلس يتحدث مع السيد شرف الدين الى أن انتصف الليل وجلب نجم
 سهيل قال له يا أبا امضى الى المكان الذى برسمك حتى تأخذ من النوم حظك
 فقال سمعا وطاعة وقام من عند الامير ونزل عند عثمان ونام وتوكل على الملك
 العلام ولم يدري ما خطر بقلب الامير من التدبير في مثل هذا الامر الخطير
 ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس
 الرادى والبطح اقبل سرجان وصحبته الكسارين وجنابة من الفلاحين
 وطلب الامير نزل اليه وسلم عليه فقال له من غير: رد السلام سربنا حتى تقطع
 القصب من قبل ان يحل به المطب من السوس فسار معه الامير حتى اتوا
 الى غيظ كبير فرأى الامير قصبه قد طاب واستوى فتركه سرجان
 ومضى الى مكان غيره فرأى الامير القصب هناك كله تقوا قصير
 قال سرجان أقطعوا من أوائل هذا المكان قال الامير لاي شيء يا أبا ترك القصب
 المليح وتتبع هذا المكان الذي ما فيه منفعة ولا آذ له وان قال له سرجان اعلم انك حاهل
 بالارض لانعرف لذلك طول ولا عرض وأناخبر بحالى عليم بكما لاشغالى فدع عنك
 اللجاجة فالك في ذلك من حاجة فقال له الامير اسمع يا هذا وحق الطيف الخبير ما
 اعمل الا بفعل ولا بفعل الا بعقل والرأى عندي ان تركوا هذا القصب القصير حتى
 يطيب وتقطعون من الذى طاب من قريب فما تصلون الى ها هنا حتى يكون
 هذا بدأ اصلاحه وان اوانه ونجاحه ثم صاح في الرجال اقطعوا من ها هنا

واسمعوا قولى انا فئند ذلك نظرت الرجال الى سرجان فقال لهم أطيعوه في هذه النوبة فاهى الاسنة مظلمة سودا فتقدمت الرجال وقطعت القصب في عاجل الحال وكان كما أمرهم الامير الريال وما قطعوا الذى طاب حتى يكون الآخر آخذ فيه الطياب وقد زادت بسرجان البليات وكثرت منه الشكوات وعاد الامير بعد أن قص القصب وعثمان يراقبه مراقبة الاسد ولا بقيت منه ولا كعبة ومن هذا الامر العجيب سرجان قد تمخروا التهب ولما نهي الفراغ من ذلك ارسل سرجان الى الامير يقول له غدا شيل القصب الى العصارات قال الامير الامر لله مدير الكائنات ثم بعد ان ذهب النهار وأقبل الليل باعشكار جلس الامير في الدار وارسل احضر السيد شرف الدين ذا الفخر والافتخار ولما استقر به القرار قال له يا أبى غدا شيل القصب قال له نعم اعلم ان الجمالة لهم عادات على اولاد البلد يأتون اليهم بشيء من الزاد فيعطونهم من القصب كما اشتهي الواحد منهم فلما سمع الامير ذلك الايراد علم انه يذهب اكثر من نصف القصب في الطريق ولا يجتمعون على بعضه بالتحقيق فقال الامير ومن يحرس الجمال والجمالين ويمنعهم من ذلك الامر المهيّن قال عثمان جئني نوبتي وغدا القصب في غفارتى وسلحوه لى ولا يذهب منه شيء بعيداً عنى فقال الامير هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم نهض السيد شرف الدين الى مكانه وجلس الامير الى الصباح فحضر سرجان ونزل الامير على حسب العادة ثم ساروا الى المخازن والاسواق وجلسوا يشاهدون التحميل بالاعيان وحملوا القصب على الجمال وساروا به بين الطرقات والاطلال وقد مشى خلف الجمال عثمان وعينه تراقب أول الاحمال توسط الطرقات وسار المقدم بالجمال واذا بينت صغيرة قد خرجت من دار وقد اقبلت على المقدم وصبحت عليه وعلى اصحابه وقالت له أمى تسلّم عليك وتقيل يديك وتقول لك يا حاج سليمان كل عام وأنت في امان وكل قصب وأنت بخير واحسان وقد ارسلت اليك

خمسة فطائر كبار وخمسة قطع جبن من الابقار فقال لها هاتي مامعك وخذي
 ما أعطيه لك ثم انه أخذ منها ما قدمنا ذكره وأقبل الى الجبل الاول وبركه وانزل
 من عليه لبشت قصب كبير وقال لها خذي هذا وسلمي لي على أمك كثير وبعد
 ذلك أراد الجمال أن يسير ويترك القصب الى البنت التي سامت عليه واعطته الفطير
 واذ ابرزة عثمان تعمق بين اكتافه كأنها الازمير اذا وقع على الحجر الكبير فصاح
 الجمال آخ فقال عثمان ما هذا الانمياط فقال له هذا قد اتفك الرباط وأنا أصلحه
 واربطه أشد رباط قال عثمان افعل ذلك وسير والا استقيك برزقي شراب المهالك
 والتدمير قال فأخذ الجمال القصب وأعاده الى مكانه ورد الفطير والجبن الى البنت
 وقال لها سلمي على أمك وقولي لها هذا العام ما هو أوانه فرجعت البنت الى أمها
 وأعطتها ما أخذته منها واخبرتها بالحال وأعادت عليها السؤال (ياساده) وسارت
 الجمال على هذا الحال الى أن دخل القصب المعاصر بالتمام والكمال ولم ينقص منه
 شيء ثم بعد ذلك أغلق عليه الاماكن واستلم عثمان المفاتيح وعادوا الى
 عند سيدهم فوجدوه مستريح والى جانبه هذا الرجل الكشيح قال له
 الامير القصب راح الى المصاره قال له نعم روح والسلامه من الخسارة
 ثم بعد ذلك عاد الامير الى دياره وسار سرجان الى دياره وقد كان قال
 للامير غدا يكون التقشير فلما توجه احضر الامير شرف الدين وقدرآه
 بكل الامور خبير ولما استقر به الجالس قال له يا أبي غدا تقشير القصب
 فأخبرني ايضا بهذا السبب فقال له اعلم انه اذا كان اول سنة نزول الملتزم
 تأتي الفعاليين الى تقشير القصب وكل رجل منهم له دفتر الملتزم ثلاثة فضه
 يحاسب عليها سرجان في كل عام كان ويأخذها لنفسه ولا يعطى واحدا من
 الشنالة درهم واحد بل أنهم يعرفون منه ذلك الشأن فكل منهم يأخذ
 شقة قصب من الديوان والملتزم لا يعلم. بذلك ولو كان حاضر مشاهد قال
 له الامير وقد تعجب وكيف يكون ذلك قال اذا جاء آخر النهار تنظر الى الرجل

مروح الي الدار فتجد علي رأسه عقدة عظيمة كبيرة جسيمة على قدر مايشيل
واذا سأله احد عنها يقول هذه قشور نريد نحرقه في القرن وكل واحد منهم على
هذا الشأن وذلك يكون في نظير الاجرة وسرجان يحاسبه عليها بالدفتر المرة بعد
المرة فقال عثمان وهذه الاخرى على ومالها غيرى بالسكينة ثم انصرفوا الى
اماكنهم وناموا الى الصباح فركب الامير وعثمان وساروا الى تلك الاماكن
والادطان وجلس الامير واشتغلت الرجال الى أن عزمت الشمس على الارتحال
وجعل كل واحد منهم له فقرة وخرج الاول وكان سرجان حاضر ذلك الوقت
لم يتحول ولما خرج الرجل الاول قال عثمان ما هذا الذي على رأسك يا رجل قال
هذا من قشور القصب نحى بها القرن فقال له عثمان اربني اياه ثم جذبه عثمان
من اطرافه فانقرط القصب ووقع من على أكتافه فقال عثمان هذا قشور ام قصب
ياقرنان فقال له قصب ياسيد وما هو قشور ولكن هذا في نظير اجرتي وكذلك جميع
رفقي لان المعلم سرجان لا يمطينا اجرة بل يحاسب عليها وبأخذها لنفسه ونحن
نأخذ هذا القصب في نظيرها فقال له عثمان رد هذا الي مكانه واذا كان لك
حاجة اطلبها وان لم يعطيك فاخبرني وانا أخلصها لك فماد الرجل وادخل
مامعه وأخبر أصحابه فرما كل واحد منهم ما كان معه في مكانه وخرجوا جميع
الرفيع منهم والوضيع وقالوا أيها الامير اعطينا اجرة التكسير والتقشير فقال
لهم وكيف ذلك ومن الذي كان يعطيكم اولا فقالوا له اننا كنا لانأخذ
شيء ثم أعادوا عليه القصة من أولها الى آخرها وكشفوا له عن باطنها
وظاهرها فقال الامير ياعثمان أين سرجان فقال له ها هو جالس على باب
المصارة وهو ينظر ذلك ويرى فقال اثني به فذهب عثمان اليه وقال له
أجب الاشقر وأسرع ولا تتأخر فقال له السمع والطاعة ثم سار اليه في تلك الساعة
فقال له الامير اعطى الي هؤلاء حقهم قدامى فاعطى لكل واحد منهم حقه
وقد ذاب كبده ونزل عرقه ثم انصرفوا الى حال سبيلهم وقد اشتد بسرجان

قلقه وزاد حنقه ولم يعلم من أين هذه المصيبة قد أتته ثم أنه التفت الى الامير وقد زاد به التمس والنكس وقال له غدا عصير القصب فقال الامير سبعان من عن العيون قد احتجب ثم سار الامير الى بيته وأحضر شرفه الدين وسأله عن عصير القصب وصناعته وما يفعل سرحان معه من مكروه وخيائته فقال له يا أمير الذي فعلته ما يسوى عقل بعير كله وما يكون التدبير الا في غدا لانك ترى الرجل وهو خارج آخر النهار وله قليطة بين رجله لا يكاد منها أن يشد عضويه وذلك يكون جرة كبيرة أو قدرة مليانة من العسل فيخرج بها على مثل هذا العمل فاذا توانيت عن ذلك يذهب نصفه أو أكثر من ذلك وذلك كله لاجل عدم التحصيل واذا كان العام القابل يحاسبك على مثل هذا العام الذي يخرج فيه فقال عتبان والاخرى على انا هذا ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح حضرت الشغالين وحضر الامير وسرحان المعلم الكبير واشتغلت الرجال ودارت المصارات بالبهائم ولم يزالوا على مثل ذلك الحال الى أن كان آخر النهار وخرج الاول فاستقبله عتبان وقد رآه كما ذكرنا فقال عتبان ما هذا فقال له اعلم يا سيدي أي رجل مريض وقد بليت بهذه الداهية التي تراها بين رجله فقال عتبان أنا أزيلها عنك بالسكية ثم ان عتبان ضربها بالرزة فسال العسل وانكسرت الشربة فقال عتبان أحمد رب البرية الذي أزال عنك مثل هذه القضية فقد خفف الله ظهرك من ثقلها بسر هذه الرزة قد أزالها فاذهب الآن الى مكانك وأنت سليم مما كان قد اعتراك وأهانك فسا كانت الا داهية عظيمة فاشكر رب القدرة الذي أزال عنك هذه النعمة فقال له الرجل وقد ازهجت حواسه واحتطفت أضراسه وأنهدم أساسه وزال صبره وعظم ضره وأباح بما في سره يا سيدي عتبان ما هذه الفعالة والهوان والله ان هذه ما كانت مصيبة ولا داهية وانما هذه في اجرتي موافية فقال عتبان حاسب على أجرنا أنت وكامل رفقناك ولا تقربوا شيئا من هذا العسل ودعوا ما أنتم عليه من العمل

فها هذا العام مثل العام الاول فلما رأوا الشغالة ذلك زادت بهم الحساسة وزكروا
 ما كان معهم وخرجوا وحاسبوا على أجرتهم مثل ما كان من أمسهم وذهبوا
 الى حال سبيلهم (يا سادة يا كرام) وقد زادت بلية سرجان وزلت عليه
 المذلات والخوان وبقي حيران ولم يدرك كيف يجري هذا الحال ولما نهي الفراغ
 من ذلك قال سرجان غدا طبخ العسل ونعمام ذلك العمل فقال الامير على بركة
 التقدير القديم الازل ثم سار الى بيته وأحضر السيد شرف الدين وأخبره بهذا
 الامر المسكين فقال له اعلم أن العمال التي فعلتها ما تسوي شيء في جنب التي
 تراها غدا وتشاهد فعالها فقال الامير وكيف ذلك قال له غدا توقد النار وتنصب
 الحلل ويسكب فيها العسل ويصير سرجان الى أن يتم العمل ويدخل السوي
 ذلك العسل فيوضع الحطب الاخضر في السكوانين فيصمد الدخان على جميع
 الحاضرين والناظرين فلا يقدر أحد أن يرى كفه ولا يقدر أن يكفه فيفور
 العسل وينزل الى الارض بالعجل فيلتبس بالتراب وما يبقى الا شيء قليل
 ويصير كله الى الذهاب وذلك أنه الذي يقع لا يكون لك عليه حساب ولا
 يحاسبك الا على الذي يبقى من غير الحساب وبعد ذلك اذا صغى له الوقت
 وطاب او اتحمي بينه وبينك الحساب وطلبت أنت الرواح يجمع ذلك العسل
 الذي نزل منه في التراب ويرسله الى مصر المحمية يشتروه منه الرجال الحلوانية
 بنصف الثمن لان كل ما جاء منه فائدة ويحاسبك ثانی سنة على هذه العادة فلما
 سمع الامير ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله يا أبي اني
 نظرت ذلك في بولاق ورأيت هذا لامر بالاتفاق والرجال يشترونه مسواق
 ولكن يا أبي أريد منك أن تكون أنت الذي تحمى على السكوانين حتي أرى
 الشك من اليقين فلما سمع السيد شرف الدين ذلك تنبرلونه واضطرب كونه
 وقال يادولتي والله عندي موتى أحسن من أن أكون أوقد النار تحت القدور
 وما هذه الا غاية النذل والمار ويراني هذا ولد الزنا وتربية الخنا بهذه الحالة

فاقتلني ولا تشمت بي أهل العناد والضلال ثم ان السيد شرف الدين بكى وأنى واشتكى وانشد يقول صلوا على طه الرسول

الا يا زماني طالما اتبعتني	ورميتني منك بالموبقات
وسلطت علي يا دهر قوم لثام	وأذقتني الحنرات والنكبات
خانوني والله من غير ذنب بدا	وربي عليم بكل الصفات
وشهدوا علي زور مع اتفاق	وقالوا قاتل النفوس المحرمات
ووجهوني الي رجل كريم	أباحني الامان والعطيات
وأكرمني والله وأعلي منزلي	وما أهانني يوم بالسيئات
وقد قلت ان هذه فعال كرام	وكشفت له كامل الخبيات
والآن يريد من أمري هو انا	وتشمت بي اللثام الطاغيات
والموت عندي أعلى مقام	ولا أرى نفسي في الحسرات
ولكن سلحت امري لرب السما	فهو القدر بكل الحادثات

قال الراوي ولما فرغ السيد شرف الدين من أشعاره وما قد ناله من اضراره بكى وقال للامير يا ولدي لا تفعل ذلك الامر المنكر فاني أريد ان أموت واقبر ولا اري بمعنى هذا الضرر فقال له الامير اعلم اني اعطيك الزمام والامان من كل شيء كان وان لي في ذلك اوفر حظ ومأرب فلا تحمل علي نفسك ثم فباذن الله تعالى زال عنك الكرب والسقم والبلا والنم ووالله يا بني اني قد بان لي منك النجاح والفلاح والصلاح واعلم ان روعي لك القدا ولا تشمت بك الاعداء الا اذا شربت انا قبلك شراب الردي فلما سمع السيد شرف الدين ذلك اطمأن قلبه وهدأ روعه وأجاب الامير الي ما طلبه وقد علم انه يريد بذلك بلوغ ما ربه (قال الراوي) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح نزل الامير بيبرس الي المطبخ وقد أتى عثمان بالمعلم شرف الدين وهو على ذلك الحال المبهين والامير يهز رأسه ويقول له سوف تري ما يحل بك يا كثير الفساد فأنت الا رجل اشر العباد (يا ساده) ولم يزل على ذلك

حتى أقبل المعلم سرجان الى ذلك المكان وتأمل فرأى شرف الدين وهو
 مسلسل فلما رآه امتزج بالغضب وزاد عليه الامر والتهب والتفت الى الامير
 وقال له وأنت الى الآن ما قتلته ولا أرحتنا من طلعته فقال له يا سيدي أعلم
 ان هذا رجل لثيم وما أردت ان اقتله حتى اعذبه العذاب الاليم واعلم اني
 كنت اشفي قلبي منه في المساء والصبح وهو كامل ليله ونهاره في البكاء والنواح
 وما اتيت به في هذا النهار الا حتى يحس الكوانين وينظر بعد الغر العذاب
 المهين فقال سرجان والله لقد اصببت فيما فعلت وبعد ذلك تفتله قبل ان تسير
 من هنا فقال هو كذلك ثم ان سرجان التفت الى شرف الدين وقال له ادخل
 يا شعبة الضلال ويا رأس الكفر والحال احس تحت الكوانين وهذا جزاء
 فعالك التي فعلتها في الناس احمين فدخل السيد شرف الدين عند الكوانين وهو يقول
 لك الحمد يا مولاي في كل ساعة علي كل النعماء مع كل انقضا
 فاني قد سلمت امرى كله اليك كي أفوز منك بالرضا
 واني لاحتكامك صابر اذا ما كنت في الضيق أو في القضا
 عسى بلطفك يا رباه لي تلتطف اذا ما قد عم القضا
 واني قد توسلت اليك يا خالتي بمحمد الرسول شفيماً من لظا
 عليه صلاة الله ثم سلامه ما جاء حادث امر ثم انقضا
 قال الراوى ثم انه جلس وصار يحس الى ان دخل العسل الى قريب السوى وسرجان
 يضحك عليه فلما رأى سرجان العسل قد دخل السوى قال يا رجل اوضع عود نار زايد
 ثم رقصه برجله فعند ذلك اخذ حزمة من الخطب الاخضر ووضعها واذا بالدخنة قد
 انعدت وزاد الدخان حتى الدنيا اظلمت وخرج سرجان ويبرس الى خارج المطبخة
 حتى هدى الدخان ورجع يبرس الى المطبخة ونظر الى الحبل واذا بهم خالين من
 العسل فلما عين ذلك اسودت الدنيا في عينه وما بقي يعرف ما بين يديه
 وقال يا سرحان اين العسل وما هذا الذي فعلته فقال له اعلم انه دخل

السوى وانمقد وصار بعد سيلانه مجمد فقال له الامير وأين هو الذي مجمد
واين الذي قعد وانمقد ثم أنه صاح عليه وضربه بالكت على صدره ارماء الى
الارض وامر الامير باطلاق المعلم شرف الدين من الحديد فخلوه وأمر بسرجان
فخلوه وسلسلوه وكثفوه وأهانوه وقال الامير يا عتمان قد أوليتك عذابه فأمر
عثمان بالاسواط فاحصروها وجعل يضربه بالاسواط حتى غشى عليه وكادت
روحه ان تخرج من بين جنبه من شدة ما قد نزل عليه ثم أمر الامير بسجنه
ومضى عثمان الى السكاتب فزير فوجده في البيت فقبض عليه وضربه وبرزته
أسقاء كاس منيته وأرسل الملوك الذي كان في صحبته الى نجم الدين مع
سائس من رفقته ونهب عثمان جميع ما دارت عليه يد سرجان واحضر أكابر
البلد ومشايخها واقسم بالله العظيم ان لم يخبروه بالخبر اليقين والا يعذبهم العذاب
الاليم فمعد ذلك قالوا له اعلم ان هذا الغلام سرجان ولد غير حلال وهو الذي
دبر هذه التعمال وقتل هؤلاء العشرة وهم كفار من أهل النفاق والفسال
وتهموها في هذا الرجل الفاضل وقد شهدنا على ذلك زورا ومحال وأعادوا
عليه القصة التي جرت فأخذ الامير عليهم المكاتيب بما ذكره من الافوال
الحادثات وكتب الشهادات وأعاد المعلم شرف الدين الى ما كان عليه من الامر
الاول وجعل يعذب سرجان في الليل والنهار فهذا ما كان من أمر هؤلاء
قال الراوي وأقام الامير في أرغد عيش وأهناء وقد رجع شرف الدين الى
ما كان فيه من مبتداه وجمع السكر المبس بالتراب واعاده الى الخل وصفاه وسمى
منه ما نزل عليه من التراب وانمقد السكر الى منتهاه ودخل الامير وقبل
يداه وقال لة قد قضى الامر وعقد السكر وبلغ منتهاه فقال الامير يا عتمان أريد
ان تأخذ هدية من السكر الى ابي الوزير فقال عثمان والله لقد نظرت موضع
النظر ثم انه أوسق مركبا وركب عثمان وسار وتوك سبده في ذلك الديار
وما زال كذلك الى ان وصل الى بولاق فنهض عثمان وقال يارس رد بالك

من السكر وانظر اليه كل النظر فوحق من خلق البشر ان ذهب منه رأس ما يكون عوضه الا رأسك ورفقاك من بعدك فقال الرئيس لاصحابه سمعتم يا أولاد الزواني سنمت يا أبو طيرين وانت يا أبو المهائم اوعوا لاتقسم من هذا الظالم الفاشم وقد تركهم عثمان على مثل ذلك الشأن وسار حتى أقبل الى مكان يقال له الواجه فرأى رجلا عطار قد فتح هناك دكان وكان جديد وزوقها وكل ما كان معه جملة فيها وجلس على بابها وقال توكلت على الله الذي من توكل عليه كفاه بافتاح يارزاق تبمث لي الارزاق فيبنا هو يقول ذلك واذا بعثمان مقبل عليه والرزة نزلت بين كتفيه فارتعب العطار وطار وأخذ الفرع والانبهار وقال له أنا في جيرتك يا أسطى عثمان فقال له لاتخاف ولا يأخذك فزع ولا ارتعاب فقال له ماتريد فقال له أريد منك الفين فرخ ورق وميتين شاة خيط فقال له على المين والرأس وفي عاجل الحال أحضر له ما طلب فقال له عثمان اديهم الى ساحل البحر وانا سائر خلفك بهذه الرزة فقال له بالله عليك يا أسطى عثمان تسير قدامي أنت فقال عثمان سير وانا أسير بجانبك ثم ساروا الى ان وصلوا الى المركب ووضعوا فيها ذلك الورق والحبال وقال عثمان وصل الثمن يا شيخ والأتأخذه فقال له اخذت الثمن من قبل ان يأتي من بلاده قال وانصرف العطار الى حال سبيله هذا وعثمان أقبل على الرئيس وغلمانه وقال لهم اجعلوا كل رأس في فرخين من الورق وتشدوا عليه بالغيط شدا موثقا فقالوا له سمعوا وطاعة وصاروا يشتغلون في ذلك وقد تركهم بعد ذلك وانصرف واقبل على رجل قفاص وقال له وهو مغطي رأسه عندك اقفاص للماورد فقال له نعم عندي جميع ما تطلب قال له اريد الف قفص فقال له سمعنا وطاعة انه قام في عاجل الحال وفتح حاجب كبير فتأمل عثمان واذا به ملئان من ذلك الشأن فعند ذلك قال له أئتنى بالشيئين فأحضر له ما طلب في عاجل الحال فامرهم الاسطى عثمان ان يشيلوا ذلك الاقفاص ويسيروا

بها الى جهة البحر فقال له القفاص وأبن الثمن يا شيخ العرب فقال عثمان ها هو
 حاضر ممي ثم انه كشف رأسه فظهر له وجهه وشخصه قال القفاص على نفسه
 وخمد في ذلك الوقت حسه ونفى أن الارض تبلمه وقد رأى الرزه بعينه فأيقن
 بوباله فقال له عثمان وكم يكون ثمنهم فقال له يا سيدى توجه أنت الآن
 وأنا أحاسبك ساعة أخرى من الزمان فقال له عثمان اعطى أجرة الشياطين
 وخلى حسابنا حساباً واحداً فاعطى الى الشياطة الاجرة وساروا الى أن وصلوا
 الى البحر والركب وتأمل عثمان واذا بالسكر ملفوف فى الاوراق ومشدود
 بالحبال فأمر بأن يضعوا فى كل قفص راس فاشتغلت الناس وفعلوا ذلك الفعالم
 وقال عثمان صفوا الجميع على جهة البحر سطرأ فأجابوه الى ذلك وأخذ الرزه
 وسار الى الحسينية وسأل عن شيخ الجمالة فأرشدوه اليه فأقبل عثمان فى عاجل
 الحال وضربه بالرزه بين كتفيه فصاح اخ اخ فقال له عثمان الفاتحة قال له
 الرجل حصلت فضائلها ما تريد قال عثمان أريد خمسمائة جبل وخمسمائة حمار
 معالي كبار فقال له ممعاً وطاعة وأمر الرجال فاحضر واماطبه فى تلك الساعة
 فقال عثمان بقى عليك شيء آخر وهو ان كل جبل يكون خلفه جماله وكل
 حمار يكون خلفه حمارة فقال ممعاً وطاعة وسير الحمارين والجمالين صحبته فقال عثمان
 سرأنت الآخر معهم بالجملة حتى تنظر الجمول وتراهم بالكلية فأجابه الى ذلك
 وساروا الجميع حتى وصلوا الى البحر ونظر شيخ الجمالين الى ذلك الحال
 فتمعجب ولكنه لم يقدر يتكلم بل قال فى نفسه ما هذا الا شيلة خمس حمير
 من غير زيادة ثم أقبل على عثمان وقال له ما الذى تأمرنا به الآن فقال أريد
 كل قفص تجملوه على جبل وتوسقوا عليه بالسلب وكذلك كل حمار يكون
 عليه قفص والحمار خلفه لثلا يقع من ثقل الحمل الذى عليه وكل قفص تدوروا
 عليه بأجمعكم وتشيلوه بين أيديكم أنتم الجميع وتصيحوا وتقولوا يا مهون
 كل عسير حتى تشيلوا الجميع فقالوا سمعاً وطاعة وصاروا الجمالين عند مشيل

كل قفص يجعلون له وثوق عظيم ويجتمعون عليه أكثر من أربعين ويتعاونون عليه من الشمال واليمين وهم يصيحون يا ضمين الماحزين هون هذا الحمل الثقيل يا أكرم الأكرمين ثم يرفعونه والناس ينظرون اليهم ويضحكون عليهم ويقولون لم الله يعطيكم القوة ويشد عضدكم بالعافية والمروءة ولم يزالوا كذلك حتى حملوا ألف رأس من الخمر والجمال وقال بعد ذلك عتبان اجعلوا الجمال قطرات وهم حسائة والخمر بينهم عشرات عشرات وأنتم تجعلون انفسكم عشرة جماعة كل جماعة مائة ثم انكم تجعلون عشرة بالزمار ومثلهم بالدربكة والباقي يصقفون ويفنون والى بيت الوزير يطلبون فاجابوه بالسمع والطاعة وساروا من تلك الساعة ولم يزالوا على ذلك الجدد والتشهير الى ان وصلوا الى البساتين بيت الوزير (قال الراوي) فبينما الوزير جالس فى بيته واذا قد جمع الضجة والمياط فطل من الطاقه فرأى تلك الرجال والجمال والخمر وهم يصقفون ويرقصون ويزمرون ويطلبون فتمعجب الوزير من ذلك والحاضرين وقال ما الخمر فقالوا له ان الاسطى عتبان قد أقبل بألف جبل وحمار محملين من عند سيدى بىبرس يهدية وهى سكر من بنها قد أقبل فقال الوزير جزاء الله كل الخير وقد ظن انه سكر كثير فقال للفلمان أدخلوا الخواصل فقال له الخزندار ياوزير الزمان جعلك الله فى عز وامان واعلم ان الرجال المقبلين ألف رجل ومعه عتبان وصحبته ألف جبل وحمار وكل واحد معه رأس واحد من السكر ومحملة على ذلك الجبل والجمال فضحك الوزير وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ولاى شىء يفعل ذلك عتبان ولكن اصبروا حتى ننظر ما يكون فى جوابه هذا وقد أقبل عتبان الى عند الوزير وقال له السلام عليك يا ابو فرمه احفظ قدمي واصل اليك من النعمة بقاخير نا عليك قناطير ونواطير احفظ سكر بنها العسل قال الوزير وما قدر ذلك السكر قال له ألف رأس محملين على ألف جبل وبهم

والفرجل جمالين وحمارين فقال له الوزير ولاي شيء أتيت بهذا السكر الكثير وهو يضعك فقال عثمان اما سمعت يا وزير الزمان من الرجال العمد قالوا كبر الحزن ولا شامة الاعداء فضحك الوزير وقال يا عثمان والجميل قدر ان يسيل الرأس قال عثمان الاعانة من الله الذي يعلم عددا لا تقاس قال الوزير مقبول يا عثمان ولو كان أقل من هذا الشأن فقال عليك أجرة الخمالين والشياطين الذين قرش فقال له الوزير اعلم ان السكر كله لم يساوي خمسين قرش يا عثمان فدعهم يأخذون السكر وبعضون به حيث أرادوا من غير ضرر فقال عثمان تظلم انت خلق الله وتأكل أجركم وتعرض الى نهبهم ولا تخاف من ربهم فوعزة الله لا بد ان تدفع اليهم الفين قرش أما تعلم ان الله خلق الناس درج يرزقون من بعضهم البعض فقال الوزير لاحول ولا قوة الا بالله المولى العظيم والله ان الهدية لم تجبى ربع الاجرة ثم ان الوزير اعطاهم الدراهم فأخذوهم وانصرفوا الى حال سبيلهم وهم يدعون له ويشنون عليه فهذا ما كان من أمرهم قال الراوي وأما ما كان من عثمان فانه قد أراد الانصراف الى سيده فاعطاه الوزير كتاب وقال له خذ هذا الكتاب فهو بالسلامة عليه وقبل غنى يديه ورجليه فأخذه وسار طالبا سيده حتى وصل اليه ودخل عليه من غير سلام ولا كلام فقال له الامير اهلا بالاسطي عثمان أوصلت الى بيت الوزير قال نعم قال له هل رأيت أحدا من الدولة أو أحد رآك فقال عثمان أنا مضيت في السرو لا أظهرت امرى الى أحد خوفا ان يشتبوا عليك ويقولون لك أنك هاديت الوزير وما هاديتنا من الهداية بشيء ففعلت ذلك لاجل ان احد لم يعلم بالقصة فقال له جزاك الله كل الخير يا عثمان الله لم يجرمني منك لانى لم أرى مثلك ولكن هل أعطاك الوزير كتاب قال نعم ثم ناو له الكتاب فحله وقرأه واذا في أوله هذه الايات

كتبت كتاب الشوق من اليكم وفي أملى انى اعود اليكم
وتجسنا الدنيا التي فرقت بيننا لان قلبى لا يروم سواكم

واحظي بكم حتى لو كان ساعة
أمر على الأبواب من غير حاجة
سقاني الهوي كأس حب مروق
شكوت لقاضي الحب بحكم بيننا
ولعل الدهر المفرق بيننا
ان طال حكم الله بيني وبينكم
ولو كنت في القبر ناديت باسمكم
وان خيروني في الديار وغيرها .
لأن فؤادي معلق بهواكم
لعل أراكم أو أري من براكم
فيا ليتني لما سقاني سقاكم
بشرع الله بيني وبينكم
يسمع لنا بالاجتماع معاكم
أموت غريبا والسلام عليكم
فتحي عظامي حين اذكر اسمكم
جملت أنا روحي فداء اليكم

قال الراوى ولما فرغ من نظامه قال خطابا من الوزير الاكبر والمحبة المكرم .
الوزير الافا شاهين الافرم الى بين أيادي ولدي الامير والسيد الشطير اعلم اننا
ما نريد الا بقاءكم وطول عمركم والنصر على أعدائكم وبعد فقد وصلت الينا
الهدية المرسلة من عند جنابكم بالتام والسكهاى وقد دفعنا أجره الجاهلين والجارين
العين قرش لأن الرجل المرسل بالهدية رجل أهل كرم ما يريد الظلم وقد أحضر
لنا الهدية على ألف جل وحمار وكل جل عليه رأس واحد في قمص بمد أن
لقها في الورق والخيوط وهذا شيء لم يؤثر عندنا أبداً لأن روحنا وجسمنا لا حبابنا
والسلام على من تظله الغمام قال فلما فرغ الامير من قراءة الكتاب رفع رأسه
الى عثمان وقال له هذا يصح يا عثمان قال عثمان وكلنا نظم خلق الله هاهو الرجل
بقرش والجمار بقرش والجمال بقرش فقال له وما منكم أن تجعلهم على جملين أو
ثلاثة قال عثمان هذا لا يصح أبداً ربنا جعل ناس توزق من ناس والكون
عاصر فتركه الامير وماد الى الدار وهو يشتغل بعذاب سرجان ليلا ونهارا
ولا تسأل عما كان يفعله فيه عثمان من العذاب والمهوان

(قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من سرجان فانه طال عليه
المسدي وشتمت به الاعداء وجعل يستغيث فلا يثا فينا هو كذلك واذا

قد أقبل عليه رجل من الفلاحين أتاه الى السجن وسلم عليه وقد رآه يبكي
 وينوح من كبد مجروح فقال له يزول يا سيدي فقال له يا ولدي لي عندك
 حاجة قال وما هي قال روح الي عكرمه وتسأل عن شيخ العرب عجوه وأخيه
 أبو ناب وتقص عليهم حالي وما قد جري لي وتذكر لهم اني وقعت في عرضهم
 ومحتاجهم أن يأتوا الي ويطلقوني وبما انا فيه يخلصوني ويقتلوا شرف الدين
 ويبيروا ويجعلون ايامهم مثل امسهم وينهبوا ما لهم ويأخذوا ما كان تحت ايديهم
 وبعد ذلك لهم عندي كل ما يطلبونه فقال سمعاً وطاعة وتركه وسار طالبا
 شيخ العرب ابو ناب واخيه عجوه ولم يزل سائراً الي ان وصل الي عكرمه
 وسأل العرب عن المشايخ فارشدوه الي بيت كبير من الشعر فدخل فرأى الاثنين
 وهما جالسان فقبل الارض بين ايديهم وادي الرسالة اليهم فقالوا له سر أنت
 الي حال سبيلك ونحن لا بد لنا من الرواح الي بنها العسل ونهب ما كان فيها
 وسببه من حمار وجل وشيخ و غلام وبطل وامرأه رولد ولا بد من قتل
 بيرس وشرف الدين ونجعلهم عبيرة للناظرين اجمعين فلما سمع الرجل ذلك
 الكلام سار وقد طوي الارض والآكام الي ان وصل الي سرجان واعد
 عليه ما جري من الشأن ففرح بذلك فرحاً شديداً ما عليه من مزيد وظن ان
 الدنيا تقبل اليه وهؤلاء المربان يفعلوا ما قد قالوا عليه (قال الراوي) فهذا
 ما كان من امر هؤلاء واما ما كان من الامر ببيرس فانه جالس ذات يوم في
 الدار اذا قد اقبل عليه رجل من مشايخ العرب الكبار وسلم على الامير سلام
 الاحباب فتلقيه الامير تلقية الاعزة والاصحاب واجلسه الي جانبه ولما استقر
 به الجلوس قال له يا ابي من تكون أنت وما اسمك وفي ما ذا قد اتيت فقال
 له اعلم يا ولدي انني قد اتيت اليك ناصحاً ومحذراً من الاعداء فخذ حذرك
 من اهل البعي والاعتداء فقال له الامير وكيف ذلك قال له اعلم اني رجل
 يقال لي ابراهيم شيخ عرب الفريية ولي بنت جميلة قد رزقني الله اياها وفي طول

عمري لم أرزق سواها وهي تسلينى على حالي وتصرف عني غمومي وأحوالي
وقد ممينها بديرية وكان قد أتقن صنعها صاحب القدرة فسمع بها هذا الرجل
الذي قد أتيتك من أجله وهو يقال له أبو ناب وأخوه يقال له صجوه وكل واحد
منهما سفيه وأي سفيه رزقهم الله بألف داهية وبلوة فلما سمع بأخبارها أرسل إلى
طلبها فقلت والله لا كان ذلك أبداً ولا أزوج ابنتي لأحد من الاعداء لأن هؤلاء
عربان ما لهم زمان ولا أمان ولا يعرفون الملك الديان ولا يصلون الفرض ولا
يعرفون سنة محمد صلى الله عليه وسلم ثم اتيت من ذلك وأرسلت إليه
أقول له ما عندي بنات فلما سمع اللعين أبو ناب ذلك الكلام والخطاب شخر ونخر
وتجبر على الملك الوهاب وصار يموي كمي الكلاب وقال وحق الشعاب والخصاب
وكل من كان خراب أنا كنت أطلبها لنفسى دون الاصحاب والآل فما بقيت
أجعلها الا ضجيجة لعبيدي سعيد الذي يأكل لحم الكلاب وقال وكان هذا سعيد
عبد اسود لثيم أنكذ ابن زنا لا يطاق ولا يبالي بضيق الخناق ولا يعرف ربه
الواحد الخلاق ثم أن الملعون صير إلى الليل والاعتكار وهجم على بالرجال
الاشرار فنهب مالي وأخذ بنتي إلى داره وأراد منها أن يقضى أوطاره سبته
وشتمته ولعن أجداده وأنصاره فأمر بحبسها وقد تشفع فيها حسناتها وجمالها
والا كان قتلها ووكل عليها هذا العبد ولد الزنى فلما رأيت ذلك أنا انقطعت
من هذا النكال وحررت في كل الاعمال وأرسلت أربعة من العربان جواسيس
يأخذون لي الاخبار ويطلعون على كل الاسرار وما فعلت ذلك الا حتى
أجد له الفرصة وافعل به مثل ما فعل معي وأزيل عني الفصة فبينما أنا جالس
ذلك النهار واذا قد أقبلت على العربان وأخبروني بأن سرجان أرسل يستنجد
على هلاكك بصجوه وأبو ناب وأعادوا على ما دار بينهم من الخطاب وبعد
ذلك فاعلم انهم اليك هذه الليلة قادمين وعلى مكانك هذا نازلين وقد حذرتك
منهم والسلام

قال الراوي فلما سمع الامير هذا الكلام أنعم عليه وأعطاه خلعة سنية وخمسة دينار وقال له أبشر بالنصر على الاعداء وقال له أيضاً قد وهبت لك ما لهم أنت ورجالك ولا بد من خلاص ابتك ولكن اذا قبل الليل تمكن أنت بمربانك ورجالك في البر ويكون كل واحد منهم واخذ حذره حتى اذا أقبل أبو ناب فأنا أطلع أنيابه وأعجل له كأس مصابه وأسقيه كأس عذابه وكذلك اللعين عجوه أعجل له كأس فناه ولا عاد يعود الى نجمة وبراء مع ذلك فأنت تكون أنت ورجالك عليكم الملابس البيض لاجل أن تكونوا من العرب القابليين فقال فمما وطاعة ثم انصرف شيخ العرب ابراهيم من تلك الساعة وشرع في تدبير أمره وأعلم عربيه بما كان في سره فهذا ما كان من أمر هؤلاء قال وأما ما كان من الامير يبرس فانه التفت الى عثمان وقال له تكون حاضراً أنت ورجالك الثمانين ورجال عقيب والماليك كامين خارج البلد لاجل اذا أقبلت العرب تكوثوا أنتم منهم أقرب ولكن لا تصيحوا الا اذا سمعتم التكبير وسمعتم في العرب النفير والتذمير فقال عثمان سمعاً وطاعة ومضى الى ذلك من تلك الساعة ثم أن الامير لبس السلاح وتحضر الى المربان حتى مضى النهار وأقبل الليل بالاعتكار وقد ترك الدوار من غير مصباح وفتح الباب على آخر افتتاح وطلع الى المقعد وهو متحضر لمن يصعد فلما مضى ثلث الليل الاول واذا بثلاثة أشباح بانث له وقد رأهم بعينه مقبلين نحو الدار وكانوا هؤلاء العبد سعيد وأبو ناب وعجوه مشايخ المربان والجميع يموون مثل عي الكلاب ولما تقاربوا من الدار واذا به مظلم زايد الاعتكار فصاح يا جندي أين المال أحضره الينا في الحال ولا أصعد اليك وأخذ روحك من بين جنبيك فلما سمعه يبرس أخذ النبله والقوس وأوثق النبله وحررها والى أبو ناب أرسلها فوقعت في فمه خرجت من ثغره فقاء فوقعت على الارض قتيل وقد صاح بأعلا صوته قبل خموذ نفسه لارحم الله أباك ادركني يا عجوه فقد زلت في البلوه فتقدم عجوه لينظر ما الخبر واذا بالهسام من خلفه

قد أقبل والى وسطه نزل فوقه الى الارض كأنه جل وكان الذي ضربه بهذا
 الحسام شيخ العرب ابراهيم البطل الهمام فعند ذلك أواد العبد أن يهرب واذا
 بلطش وقع على رأسه نزل اضراسه ووقع الى الارض واختلط طوله بالعرض
 وكان هذا اللطش من عثمان هذا وقد أقبلت العربان الى ذلك المكان وهم يريدون
 نهب الاموال وسبي النسوان واذا قد خرجت عليهم المالك والسياس ودارت بهم
 العربان التي مع الشيخ ابراهيم من كل جانب ومكان وطلبوا العرب أشد الطلب
 وفعلوا معهم مثل ما تفعل النار في الحطب ولم يكن الا أن تناصف الليل وخذت
 الضججات ولطردت الاصوات وزعق غراب البين على العربان بالشتات ولا
 أبقوا منهم ديار ولا نافخ نار ولما فرغوا من هذه القضايات أمر الامير باحضار
 سرجان فأحضره عثمان فقال له أنظر بمينيك يا ذليل يا مهان ما فعل الزمان
 بتلك العربان الذين طلبت أنت منهم النصر عليّ والمجوع اليّ والبحث لهم مالي
 ونوالى ثم أمر بضربه فضربه عثمان ألف وأعادته الى السجن فقال الامير وحق
 رأسي لا به من ركوبى الساعة الى عكرمة وأخلص لهذا الرجل ابنته واهجم
 على الحلي وهو مقفول وانهب ما فيه ولا أدع منهم أحداً من الرجال ولا أبقيه
 ثم ركب الامير في ساعة الخات وسار وبصحبته الشيخ ابراهيم وهو يشكره على
 هذه الفعّال ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى ذلك المكان ونزلوا عليه مثل
 القضاء فنهبوا وسبوا وقتلوا وفتكوا وما تضاخى النهار حتى ملكوا الحلي بما فيه
 من الانعام والسبابا والاموال فأباح الامير كل ذلك الى الشيخ ابراهيم ورد
 له ابنته رداً جيلاً وقد تغذ كفته وارتفعت حرمة وصار يهادى بيبرس ويكرمه
 وقد أمر الامير بالرجوع عن الحرم فتراجعوا عن النساء فقد جموا الاسلاب
 وعادوا الى أمّاكنهم وقد نصرهم الله على أعدائهم فهذا ما كان من أمرهم
 (قال الراوي) ولما كان ثاني الايام أمر الامير بيبرس برمي القتلا
 الى الثغلات فرمواهم ان الامير قال يا عثمان احضر لي سرجان فأحضره

بين يديه وأعاد العقوبة عليه وقال له أنظر كيف نصرني الله على الاعداء الذين أرسلتهم أنت الى ثم اعاده الى السجن فضايق صدر سرجان وعيل صبره وعدم مصطبره فقال أنا مالى الا أن أرسل الى أبي دياب في مصر حتى يرى هذا الامر بنفسه ويدبره بفعله

قال الراوى وكان هذا أبو دياب هو الرجل الحراث الذي قدمنا ذكره في كلام شرف الدين وانه لما صار سرجان في هذه الرتبة انى اليه ليزوره فأكرمه غاية الاكرام وقال له اعلم اني ما كنت افعل ممك ذلك الفعالم الا لاحتل ان تنال مرتبة العز فقال له يا ابي خذ هذه المركب سكر وسير الى مصر وافتح لك دكان وبيع واشترى كل ما تحتاج اليه من السكر ارسل لي عليه وكذلك اذا طلبت منك شيئا فتقتضيه وترسله الى عندي فقال له يا ولدي على عيني ورأسى ثم انه توجه بالسكر الى مصر وأقام في السكرية وجعل يبيع ويشترى فهذا ما كان من أصل مجيئه الى مصر ولما تداولت الايام واحتسكت هذه الامور والاحكام وضاق صدر سرجان كما ذكرنا وأرسل الى أبيه كتاب مع رجل من أتباعه فصار به حتى أقبل الى السكرية وأرشدوه على من سأل عنه بالكلية فلما رأى دياب سلم عليه وقبل يديه وقال له خذ هذا الكتاب فأخذه وقرأه وفهم ما فيه من المعنى واذا فيه خطابا من سرجان الى بين أيادي أبي دياب اعلم انه نزل عندنا رجل ملتزم يقا له بيبس وقد فعل مغنا كذا وكذا وشرح له جميع ماجرى من أول الامر الى آخره وكيف فعل هو مع شرف الدين وكيف فعل الامير معه وكيف أعاد المعلم شرف الدين الى مكانه وكيف انه قتل العرب والقصة التي جرت فلما قرأ الكتاب امتزج بالغضب وقال لا بد من خلاصه من يد قناصه فسلم لي عليه وقل له ان أباك دياب يسمي لك في هذا الامر والسلام بكل سبب من الاسباب فتدركه الفلاح وعاد طالبا المعلم سرجان فهذا ما كان من الامر والشان وأما ما كان من الشيخ دياب وما يفعل من الافعال والاعجاب وذلك انه بعد أن سافر من

عنده الرسول صبر الى الليل ودياجى الاعتكار وطلب بيت الشيخ صلاح الدين قاضي الاسلام ولم يزل سائراً الى ان وصل الى خارة الروم وطرق الباب فقال الشيخ من بالباب فقال له ها أنا الشيخ دياب ففتح له منصور الباب فدخل وسلم سلام الاحباب وجلس الى جانبه وأعاد عليه الامر من أوله الى آخره فقال له الامر أقرب من هذا ولكن أنت تسير من ها هنا الى الرملة تري هناك مكانا وتجد هناك رجالا جشاشين وهم على مثل ذلك مقيمين فادخل اليهم وسلم عليهم وورغهم بالمال ووفى لك منهم أربعة يشهدون بطيبة ابنك وفسق الأمير بيبرس وشرق الدين وأكتب اعلام الى الديوان وأنا أساعدك في هذه القضية بكل ما أقدر عليه فقبل يده وانصرف من عنده وسار الى الرملة فرأى المحششة التي فيها الحشاشين فدخل عليهم وجلس بينهم واذا بهم غائبين وفي حالهم منهمكين فسلم عليهم فاتتبعوا وقالوا له نهارك سعيد فقال لهم اريد منكم أربعة أنقار يشهدون في الديوان قدام ملك الاسلام بأن سرجان رجل مصلى الفرض طيب نظيف العرض وبيبرس وشرف الدين الاثنين خائنين المهدولين قاطعين الطريق خائنين الرفيق فقالوا له سمعنا وطاعة ولكن هات لنا أجرة الشهادة فقال لهم وما الذي تريدون فقالوا هات لنا أربعة أرطال معجون وهات لنا العشا وكل ما نحتاج اليه من الدراهم والكيف ونحن نطلع معك الى الديوان ونشهد لك بما تقول لنا عليه بالزور والبهتان فقال لهم الشيخ دياب اذا سألكم الملك وقال لكم من أين أنتم تقولون له فلاحين من أرض بنها المسلى فقالوا له على المين والرأس ثم انه أعطي كل واحد منهم مائة دينار ذهب وأعطانهم كل ما كانوا محتاجين اليه وبات عندهم تلك الليلة وهو يقربهم ويعرفهم وعلى الشهادة يواضبههم الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح صلى الملك الصالح صلاة الافتتاح وجلس على كرسى مملكته وقد أحدثت به كبار دولته وتكامل الديوان وقرأ الفاتحة لسيد الانام وطلع القاضي والوزار وأهل المراتب

والامراء وأمنت العساكر وقرأ القاري وختم ورقى الرافى وختم ودعا الداعى
وختم وصاح جاويز الديوان يقول أنا وأنتم نصلى على طه الرسول
الملك لله الذى خلق الوري وكل ماسواه فهو قاتى
واعبد الهك يا من تتمظ من ان تدرك الاكفان
سلم امورك للاله فمن سلم له الامر كان في امان
وقل يا الهى كن راحما فانت الذى هودتنا بالامتنان

قال الراوى فقال الملك الصالح آمنا من أين كنا حتى اتصلنا يا حاج شاهين
الحق بيده الرجل دبر الرجل والرجل حمال يوصيه الرجل ولكن يا حاج شاهين
أسأل الله العظيم رب موسى وإبراهيم أن الله لا ينطقهم الا بالحق ولا يسلكهم
الا طريق الصدق وأن الله تعالى يتوب على كل حاصى ويلبسهم الولاية وينظر
اليهم بالكفاية والرعاية قولوا آمين يا رجال فأمنت على دعائه الرجال وقال
الاغا شاهين من هؤلاء الرجال يا مولانا السلطان قال له أنا رجل عبيط ماعليك
من كلامى قال فبينما الملك يدندن ويتكلم بمثل هذه الاقوال واذا بدياب يقبل
الارض بين يديه وهو يقول انعام يا مولانا السلطان قال الملك مرحبا بالرجل
الحراث الذى اسمه دياب بن عمرات بن ابي طيلة ابن رشوان أنت اسمك ايش
قال يا مولانا السلطان اسمى دياب وانا رجل مظلوم وقد اتيت اليك لا كشف
ظلمتى وأتدبر قصتى فقال له القاضي وما قصتك أيها الرجل هل هي مسطرة
في كتاب أم تخبر بها أنت من غير جواب فقال الملك اسكت يا قاضى حتى اسمع
أنا كلامه وأنظر من ظلمه ولا أريد كتاب ولا جواب فقال له يا مولانا اعلم
ان لي ولد يقال له سرجان وهو يصلى فرضه ويقرأ القرآن وكان معلما بينها
المسل الى أن كان هذا العام نزل بهما الامير يبيرس واجتمع برجل يقال
له شرف الدين وم هناك الاثنين على الفسق والفساد مقيمين وقد قتلوا
ونهبوا وسبوا وغضبوا فلما رأي ولدى فطلمهم نهبا عن امورهم فاغتاط

عليه بيبرس غيظا شديدا ما عليه من مزبد وقبض عليه وسجنه وجعل يمزبه ويهتته ويماقبه وهو على ذلك الشان من مدة سافر بيبرس الى ذلك المكان فلما بلغني ذلك من ولدي اتيت الى جانبك السعيد ورأيتك المفيد وعزمتك الشديد والسلام (قال الراوى) ولما فرغ الشيخ دياب من كلامه تحرك القاضي من مكانه وهز ديدانه وجنح طيلسانه وقعد وقال وقوس الممام ونقض الاكام وأطلق لسانه وقال ايض ايض ايض تحركوا يا اجدادي يا عراقيون أنا كم أقول لك القول مرارا واعيده عليك سراً واجهاراً وأقول لك ان هذا الغلام ما أتى من بلاد الاحجام الا يريد أن يفسد ملكك فلا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا امير المؤمنين اريد ان اتكلم الكلمة الحسنة التي مافيها من السيئات شيء قط أم أنصت فقال الملك تكلم يا قاضي قال القاضي هذا الرجل رجل مظلوم وقد ظهرت عليه الظلومة وكل الناس تشهد فيه بالصلاح الخيرات وكذلك ولده من اهل الاحسان والطيبات وهذا الغلام قد اتفق مع شرف الدين هلي اذية المسلمين وفساد اهل التقوي واليقين ولا سيما عثمان بن الحيلة يا امير المؤمنين وهذا الولد يقتل قتلة عظيمة وان كان يصعب على مولانا السلطان الحافظ الامين انا اوضع من مالى وصلب حالي وزكاة عن قلبي ومحبة في دين الاسلام والمسلمين خمسين جوادا وخمسين مملوكا وخمسين كيسا من المال وعليك يا وزير ايبك مثلها فقال وانا مالى يا قاضي فقال له القاضي لا تتكلم واحضر ما تقرر عليك في الحال فانه هذا كله لك والعلم الشريف ولا يكون بريئا منى يوم القيامة هذا وقد احضروا جميع ما ذكر من المال والماليك ووقفت السياس في حوش الديوان بالخليل الحسان فقال الملك يا شيخ دياب هل عندك بينة يشهدون لك بهذه الاسباب قال نعم يا امير المؤمنين قال له اثني بهم ما تقول يا قاضي الاسلام في هذه الاحكام فقال القاضي لا اقول شيئا قط قاطبه هذا وقد نزل دياب الى باب الديوان وكانوا الاربعة هناك واقفين

وقد كانوا تأخروا في القطور فمطروا وجلسوا في الشمس وقد طلع المعجون في رؤسهم فبقوا لا يعرفون يومهم من امسهم ولا يعقلون ما بين ايديهم فبينما هم كذلك واذا يدياب قد اقبل عليهم وقال لهم سيروا معي الآن فقالوا له الى فين نروح يا عم الشيخ فقال لهم قد طلبكم الملك للشهادة فقالوا له على أي شيء نشهد وما معنا خبر فقال لهم على الدعوة التي حدثتكم بها الليلة الماضية قالوا له يا ابي ما معنا خبر اخبرنا بها الساعة فأعاد عليهم الشهادة التي يريدونها منهم فقالوا له نبقى نطلع نشهد انك رجل فاسق وابنك مثلك وشرف الدين صالح وبيبرس مثله فقال لهم اقبلوا هذه الشهادة وقولوا اني صالح وولدي مثلي وشرف الدين فاسق وبيبرس مثله فقالوا عد لنا الماضي من اوله ولم يزل يكرر عليهم الشهادة ويعلمهم عليها تمام سبعة مرات حتى ضاقت منه الانفاس وأيقن بالهلاك والانكاس ثم انهم ساروا بعد ذلك الى الديوان وقالوا نعم يا بيه قال الملك اهلا وسهلا انتم ايضاً قالوا نحن جماعة اصحاب كتب وكيف يا بك فقال الملك من اي البلاد قالوا من قصر المائدة يا بيه قال الملك قصر المائدة هو ايش يا قاضي قال القاضي ان الفلاحين يسمون بنها العسل بقصر المائدة فقال الملك كلامك مصدق يا قاضي وانتم تشهدون على اي شيء قالوا نشهد على ان هذا الرجل فاسق وابنه انجس منه وبيبرس صالح وشرف الدين اصلح منه وهذا الرجل اتى الينا البارحة واعطي لكل واحد منا شدين ذهب وقال لنا شهدوا قدام السلطان بالباطل فأتينا اليك وقد انطقنا ربنا بين يديك بالحق فقال لهم الملك انزلوا الله يرزقكم الولاية انتم الاربعة فتقبل الله دعاءهم وقد نزلوا هؤلاء الاربعة وقد البسهم الله الولاية فيسكنون الا ما كن الخراب فهذا ما كان من هؤلاء قال وأما ما كان من امر الملك الصالح فانه قال للاغاشاهين ارسلوا حضر لنا بيبرس وشرف الدين ومرجان حتى ننظر ما يكون من امرهم فقال له الوزير السمع والطاعة ثم ارسل له اغايقال له الاغابلال الصالحى من تلك الساعة فركب الاغا

وطلب منها العسل وسار السائس الذي يرصمه يدل به الطريق فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من دياب فان الملك أمر بسجنه الى ان تستقيم الدعوة ففعلوا ذلك وسجنوه فهذا ما كان من أمره وأما ما كان من الاغا بلال الصالحى فانه لم يزل سائرا الى أن وصل الى بنها العسل وأقبل الى الدوار فتحول عن دابته وسلمها الى سايسه وتركه واقفا خلف الدوار وسار حتى وصل الى الامير بيبرس وسلم عليه فرد عليه السلام وقال له ما حالك قال له أجب الملك الصالح فانه طالبك فقال له ممما وطاعة ثم أجلسه وجعل يتحدث معه قدر ساعة من الزمان فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من عثمان وما جرى له مع السائس من الكلام المجيب والامر المطرب الغريب الذي زيد ان نسوقه على الترتيب حتى ان يطيب بعد ألف صلاة ترضى الحبيب وذلك ان عثمان لما نظر الى ذلك السائس واذا به من أولاد هيضم وما هو من أولاد الشيخ مثل عثمان فقال له من آتي بك حارتنا يا وجه حارتنا يا هيضمي يا ابن القعبة قال له السائس وانت ملك يا ولد يا عثمان يا كثير الزور والبهتان ثم ان السائس اخرج الخنجر من حزامه وأومأ به الى عثمان ورجع الى مكانه فقال له عثمان عذبه فقال يا عثمان أنت تقدر ان تصدبه قال نعم وسرها في مقامها ما أخرجتها أبدا ورجعتها مكسورة الخاطر ثم أن عثمان ضربه بها في قلبه فأخرج مبعشه من قلبه فوق قتيلا وفي دملاه جديلا وكان هناك ساقية مهجورة فالتفاه فيها واذا به غاطس وكان عثمان قد جرده من ملابسه ونزل خلفه وربطه وأمر الرجال فشدوه الى فوق الساقية وطرحه عثمان فنزل الى الساقية مرة أخرى فقال له عثمان هرب يا هيضمي ثم انه نزل أيضا خلفه وربطه وأخرجه وجعل يصب عليه وهو يتحلق وينزل الى الساقية هذا والاغا يتحدث مع الامير بيبرس وقد لاح منه التفاه فرأى الجواد سائب في الخلا يرعى ونظر الى عثمان فرآه يفعل بالسائب هذه الفعاع فلما رأى ذلك امتزج

بالغضب وعلم ان سائسه قد شرب شراب المطب وقال للامير انظر يا امير الى
فما لعثمان وما فعله من الامر والشأن فقال اصبر حتى انظر ما يكون من هذا
الامر والشأن ثم نزل بيبرس الى عند عثمان وقال له ما هذه الفعلة قال له هذا
رجل هيضمي قال له ما هو مسلم قال هو مسلم ولكن من أولاد هيضم قال
هيضم هو ايض هل هو مذهب خامس وما أنا ممن يعرف تلك الفعلة ثم انه
هجم على عثمان وقبض عليه في عاجل الحال وأمر بوضعه في القيود والأغلال فقال
له عثمان انت رجل خائن اليهود وعن فعالك اللعينة لا تحمود فقال له انت قتلت
النفس المحرمة ونقضت التوبة وعدت الى التجرمة فقال له عثمان سوف ترى
ما يكون هذا وقد أمر الامير بيبرس على بنها المشعل مملوكا من اتباعه وأوصاه
بالمعدل وأخذ سرحان والاغا وشرف الدين ونزلوا جميعا في الذهبية وطلبوا
مصر المحمية الى ان وصلوا الى بولاق فهذا ما كان من امر هؤلاء وما جري لهم
من الاتفاق (قال الراوي) وأما ما كان من أمر الملك الصالح فانه بات وأصبح وهو
يصلى على من له الورد ففتح وقد ظهر وجلس على الكرسي وجعل يدندن ويقول بأعاج
شاهين الحق أحق أن يتبع الحق بيد الطير لانه يند الطير والله يتولى السرائر
ولم يعلم بباطن الامر لان الرجل كان قتل امرأة بغير ذنب فسلط عليه الله من
يقنع منه ولكن الامر ما أحد يعرف حقيقة الا صاحب الامر

(قال الديناري) وكان هذا الرجل السائس الذي قد قتله عثمان يقال
له عويس قد أرسله سيده الى بلد يقال لها المنصورة ليأتيه منها بحاجة من
عند صديق له هناك فلما سافر وجد امرأة في طريقه فأخذ مامعها وقتلها لانه
لما سبها طلب منها الزنا وراودها عن نفسها فابت تقاتلها وتركها وسار
في قضاء حاجته وعاد ولا أحد يعلم بذلك الا رب العباد فلما كان هذه الايام
وأقبل مع سيده وظفر به عثمان أخذ منه بالنار وجلى هذا العار لانه كان
من أهل الاسرار ولهذا تكلم الملك الصالح بمثل هذه الاخبار وعدنا الى

سياق الحديث باذن الملك المنيف ثم ان الملك الصالح صاح ابن كاتب الفرمه قال نعم يا مولاي قال له اكتب عندك الفرمه سايس يقتل سائس لاله دية فقال الكاتب لسمع والطاعة ثم انه كتب في الحال ما أمر به الملك الصالح لانه على رأى الذي قال جالس السلطان واخذر بطلشه لاتماند من اذا قال فعل ثم بعد ذلك راق الديوان وتكامل بالرجال والاخوان واذا قد طلع الاغانى باب الديوان وصحبته عثمان وهو فى القيود على مثل ذلك الشأن وقد قرئوة بسرجان وتقدم بيبرس الى الديوان وقال نعم يا أمير المؤمنين قال الملك سبحانه الفتح العليم تعالى يا بيبرس ما الذى فعلت فى بنها العسل من الامور ثم ان الامير بيبرس تقدم وخدم ودعى وأنشد يقول صلوا على الرسول

سلامى على ملك الملوك سلام جزيل كثير زائد
يخض أمير المؤمنين وجيشه وفضل رب العباد تزايد
عبدكم ومحكم أقبل نحوكم برجواحبكم ياسادى ريشاهد
فاسمحوا له من فضلكم حزيل المطايا قائم الامجاد

(قال الراوى : فقال الملك تعالى يا بيبرس ما الذى فعلت فى بنها العسل من الامور والفساد فقد بلغنا انك فعلت فعل نكيرة وامور كبيرة وشهدوا عليك الناس وهذا الرجل الذى أغرهم على ذلك وهو دياب فعند ذلك قال ياملك الاسلام ارسل احضرا المملوك الذى لنجم الدين واسأله يخبرك بالخبر اليقين لانه كان هناك مع الكاتب قراوين قال وكان ذلك المملوك لما ارسله عثمان الى سيده نجم الدين سلمه الرسول اليه واخبره بما كان من خبره وامره فاستخبره بذلك نجم الدين بالكلام الطيب واللين وما زال به حتى اخبره بما جرى وما فعل عثمان وبيبرس مع سرجان والقصة المتقدمة فقال نجم الدين فى نفسه لا بد ان هذه الامور ان تتصل الى الملك الصالح ولا بد من ان الامير بيبرس يحتاج الى بعض البينة فهذا الغلام يكون من جملة الشاهدين ثم انه وضعه فى السجن الى ذلك الوقت فلما تكلم الملك

مع ان الامير بيرس انطقه الله بذلك وتذكر الملوكة الذي لنجم الدين فأمر الملك باحضاره فلما حضر بين يديه سأله فأخبره بالحال ولم يخفى عنه شيئا من المقال فقال الملك والله العظيم هذا الكلام هو الصحيح لاني أراه مليح ثم دعي للملوكة وأمر له بخمسة سنية والفق دينار وقال له عليك بالمبادأة في المساجد فزل الملوكة من ساعته ولم يرجع الى بيت سيده بل الى المسجد وقد زهد الدنيا والبسه الله الولاية فهذا ما كان منه وأما ما كان من الامير بيرس فانه أخرج الحجة الذي كتبها بالشهادة على أكابر بنها الفصل وقد ناو لها للملك فأخذها وناو لها للقاضي فخلها وقرأها واذا فيها ما قد ورد وتقدم أسماء الشهود وختم للقاضي التي بتلك الناحية فلم يتكلم القاضي ولا بحرف واحد وكأنه قد التحم بلجلم لانه رأى الملك الصالح وقد أقسم ان هذا القول هو الحق فسكت القاضي على مضض منه وقد تقدم الاغا الى بيت أبيادى الملك الصالح وقال يا مولانا السلطان انا أرسلنى الوزير الى بيرس فاخذت خدامي وسرت اليه فأكرمنى وما قصر في المسير معي ولكن عثمان قتل السائس بتاعى من غير ذنب قال الملك ايش وأين عثمان يا بيرس قال هاهو مع سرجان في الحديد قال الملك ائتوني بهما فاحضروهما فتأمل الملك الى عثمان فرآه منكس الرأس فقال له مالك هكذا يا عثمان قال له كما ترى يا ابو جوطه غدوك قال الملك وعزة الله تعالى ما تعمل عليه دعوي الا وهو منطلق من الحديد مطلق اليدين ولم يحله الا الاغا شاهين بنفسه فعند ذلك نهض الوزير وحل وثاقه فصالح عثمان تكنك يا ليل

يا منية القلب يا ليلي تعجن النكنك ان هون الله علينا وجينا حيك
يا فرحة العلق لما ينظر النيك يقول لصرمه انبسط حبيبيك جاك

قال الملك يا عثمان دعنا من هذا الكلام الهزيان واخبرني بما يجري من الامرو الشأن قال عثمان عز الله جل الله ما في الكون غير الله يا ابو جوطه لا الا الله عليك يا قاضي يا منقرش يا ابن القبحه غضب الله عليك في الدنيا ويوم العرض قال الوزير في

نفسه هذا الوقت يذكر ماجري قال عثمان ياملك نحن رحنا الى بنها العسل وهذا
 الاغا أقبل الينا بالرجل السابس الذي تعرفه أنت يا أبوا جوطه قال الملك ياعثمان
 ربك سريع العقاب سريع العطب طيب ييسيدي عثمان قال عثمان ولما نظرت اليه
 رأيته من أولاد هيضم قلت له وانت من جاء بك هنا قال لي وانت ممالك يارلد
 عثمان وحط يده على الخيية وأوما بها الى فقلت له غديها قال أنت تقدر تقديها
 ونبطته بها مثل ما أنا رايح أبطك هذا الوقت قال الملك لا ياعثمان خذ بالك منته
 باحاج شاهين لانه رجل عيط منلي قال عثمان ولما نزل الاشقر فقال لي ما هذا
 ياعثمان قلت له قتيل قال لي من الذي قتله قلت له أنا الذي قتله قال لي لا شيء
 قتله قلت له لانه من أولاد هيضم قال لي ما هو مسلم قلت له مسلم ولكن من أولاد
 هيضم قال لي مذهب خامس قلت له طائفة عكرة عندنا في كار السابس قال لي أنا
 ما أعرف ذلك ومن قتل يقتل قلت له روح الى أبوا جوطه وقال له اترك هذه الدعوى
 فسكني وفعل معي هذه النعال وأنى في اليك سألتني أخبرتك وهذه حكايتي والسلام
 قال الملك ياناس خذوا هذا الرجل وادفنوه في مقابر المسلمين فان شاء الله يرجه
 وان شاء يعذبه وانت ياعثمان لا بقيت تعمل مثل هذا العمل لانا كتبنا في العرمة
 سابس يقتل سابس ماله دية قال عثمان حياك الله قواك الله لا بد أن أقطع أولاد
 هيضم ولا بقيت منهم بقية قال الملك لا ياعثمان لا تتبع القتل أبدا وأترك فعال
 الردى ثم أنه نزل من الديوان من غير أن يحسه ضرر ولا هوان وبمد ذلك التفت
 للملك الى شرف الدين وسرجان ودياب وقال لهم اللهم تب عليهم من جميع المعاصي
 اللهم حببهم في بعضهم اللهم وفق بينهم انزلوا الى حال سبيلكم وعودوا الى
 محكم وعليكم بتقوي الله ربي وربكم فقلوا من الديوان وقد أنزل الله الحجة في
 قلوب بعضهم وقد زالت البهضة من بينهم وطادوا الى بنها العسل والله للدهاء
 قد قبل وقد أوقع الله حب الجميع في قلب الامير بيرس وحبه في قلوبهم

وصاروا يكاثروه ويهادوه وهو يهاديهم ويرسل اليهم السلامات (قال الراوى) فهذا
 ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من الملك الصالح فإنه التفت الى القاضي وقال له
 يا قاضى عملت الفلوس والممالك تقتل يبرس غية والا لاظهار الحق من الباطل
 قال الملك الحق بان وظهر واشهر تقول المال لمن يا قاضى قال القاضي لبيت مال
 المسلمين قال الملك هي مستغنية عنه قال القاضي هو اليك قال الملك هو هبة الى
 يبرس هبة كرم لا يرد فى عطائه انزل ياسيدي يبرس فرغت السنة وولى على
 بنها أحدا من طرفك والزم أنت محلك حتى يبان لك منصب غير هذا فنزل
 يبرس وفرق السكر على الاغوات والامراء والممالك وعمل حسابه فرآه زايد
 على الاصل الطاق عشرة فاهب واعطى وتصدق وقد اغتاض القاضي وازم يبرس
 بيت الوزير نجم الدين وقد تداولت الايام الى أن كان يوم من الايام بات واصبح
 وصلى صلاة الصبح ودخل الى زوج خالته يريد أن يصبح عليه فرآه قد غرق
 فى معجزة من الطين وهو يمعنه مثل المعجن قتمعج الأمير غاية العجب وقال
 فى نفسه لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وما الذى يجري اذا أتى برجل فاعل
 يفعل ذلك بالاجرة فوالله ما الاكراد الا بيت الشح والبخل (ياسادة) يا كرام
 فبينما هو يقول فى نفسه ذلك الكلام واذا بالاستاذ نجم الدين قد كشف عليه فقال
 له يا مولاي أنا اسمى ايش فقال له يبرس اسمك الامير نجم الدين قال
 وكنتى قال له اعلم انى ما كنتى بذلك الا لاجل هذا السبب وذلك اننى فى كل عام
 اذ أقبل هذا الوقت أصنع هذه المعجزة من الطين الحلو واشغلها بسحيق الزعفران
 وقشر العنبر واجعلها حبوا مثل البندق المقشر واجففها واحدي بها الامراء
 وأهل الدولة والملك والوزير بالجملة فاذا أرسلت الصينية وهى مليانة من
 هذا الحب العجيب يأخذوها ويرسلوا عوضها ذهباً أحمر بمده فلهذا
 كنتى بالبندق دارى ومنها يكون أكلى وشربى وقضاء سائر احوالى ولا

تظن يا ولدي اني رجل بخيل أعجن الطين لاجل شيء آخر مثل بليان وما هذا
الا لاجل ذلك الشأن فقال له الامير ولاي شيء ذلك الطين الذي تمجته فقال له
علم أن الملك الصالح له عادة من العام الى العام وذلك انه يفسد الى الجيزة في
هذا الآوان وهو فصل الربيع وصحبته أهل الدولة ويكون ذلك في يوم خميس
مع ليلة الجمعة وهناك رجل من اصحاب الرسول يقال له ابو هريرة قد امتلأت
به الجيزة ببركات شهيرة ونفحات غزيرة وهو من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا حصل الملك هناك يجتمعون الاكراد عليه ويأكلون ما طاب لهم
من الزاد وبعد ذلك يجتمعون ويذكرون رب العباد فاذا فرغوا من ذلك الايراد
يشير الملك بيده الى الحلي الاعلى ويقول يا دايم يا كريم يا جواد فتأتي الطيور
جميع الفلوات والبلاد ويحومون على رؤوسهم باذن رب العباد فاذا أتمت الطيور
باذن الملك النغفور يقول الملك لارباب الدولة وهم في صحبته أي طير ارميه والي
الارض اهويه فيصفون له أي طير كان فيشير اليه فيقع سرباً الى بين يديه فينهض
اليه ويقبضه ويخرج الدولة عليه وبعد ذلك يطلقه الى حالسيه فيعودون الطيور
الى حال سيبلهم ويعدون له ذلك من جملة الكرامات ويعلمون أن الملك باقى
اليه من دون البريات ولا يقدر أحد يرمى طائر قبله وهذه عادته وشغله وبعد
ذلك كل من أراد الرمي يرمي ما يشتهي ويريد بذلك البندق (قال الراوى) فلما
سمع بيرس ذلك أخذه الاشتياق الى الرواح الى ذلك المكان فينجا الامير على مثل
ذلك اذ أقبل عثمان اليه وقال له الآن يجب عليك أن تساعد الامير على مثل
ذلك وكان عثمان قد سمع كلامهم مع بعضهم الاثنى فقال له نعم الدين تقدم
يا عثمان فتقدم عثمان والامير وصاروا بمجنون الطين هذا وعثمان يكعب واحدة
ويسرق خمسة وهو لا يحول عن ذلك ولا ينسى والامير لم يعلم شيء من ذلك الى أن
استم البندق ونزل الامير وعثمان من ذلك المكان وجعل عثمان يحقق البندق الذي
أخذه الى أن انصلح شأنه وجمعه واحترس عليه الى ان كان يوم الرمي وكان الوزير نعم الدين

قد فرق البندق على بيوت الامراء والوزراء وأرباب الدولة وأخذ منهم عادته
مثل كل سنة وخرج الفرمان وعمل عليه السلطان ونزل به المنادى يعلم الناس
وينادى في الشوارع والأزقات وهو يقول مولد أبي هريرة رضى الله تعالى عنه
ليلة الجمعة القابلة (قال الراوى) وكانت تلك الليلة عند الناس لها شأن عظيم وهرع
اليها الثقى والفقير وكانت لهم مسرات من العام الى العام فلما نزلت الناداة ازدحمت
المواكب ونزل كل انسان الى وصلة طالب وكذلك الامراء أمرت الفراشين أن
ينصبوا لهم الوطقات ويسبقونهم بالخيام والسرادات فهدأ ما كان من هؤلاء (قال
الراوى) وأما ما كان من الأمير بيبرس وعتمان وما يقع لهم من الامر العجيب
والذكر الملهذ الغريب الذى هو أعجب من كل عجب ويجب أن يكتت ويسطر
في ورق ولو كان بماء الذهب وذلك أن بيبرس قال لعتمان أريد منك تسبقنى الى
الجزيرة وتنظر لنا مكانا بعيداً عن الناس وتنصب لنا خيمة على قدر ما تسعنا
نحن الاثنين حتى نسير مع جملة الناس وتنظر ما يكون من هذا الشأن فقال له
عتمان سمعاً وطاعة ثم ترك سيده ونزل من عنده وصاح بخلده رأسه وتطويل
نفسه يا عقير يا ابني قال عقير نعم يا اسطى قال له ابن الفراشين الذين هم للوزير
نجم الدين البندقداري فعند ذلك نادى عقير على الفراشين فلما حضروا أقام الاسطى
عتمان قال لكبيرهم أن الجندي لما اتى من أرض الشام ليس عنده خيام
أو سرادات فقال كبير الفراشين يا سيدى أن عنده خيام وسرادات فقال له
عتمان ابن موضوعين الآن فقال له يا اسطى أن الجميع فى الحواصل فقال افتح
فستد ذلك فتح الحاصل الاول فوجد قبة خيام كثيرة وأيضاً فتح الحاصل الثانى
فوجد سوى ربيع الدنيا إيوان سرجويل المهري وكان موضوعاً هناك فى الايام
التي أتى فيها سرجويل بل بيبرس من الشام وكان هذا الصيوان من اعجوبة
الزمان لانه بquam على ثلاثمائة وستين عموداً من الذهب وفي رأس كل عمود ومائة
من الذهب الاحمر الواح وكان فيه ثلاثمائة وستون ساعة وكان اذا ارتمي على وجهه

الارض كأنه المدينة المبنية فقال عثمان الى كبير الفراشين ما هذا فقال له يا اسطى
هذا ربيع الدنيا صيوان سرجويل المهري فقال الاسطى عثمان هذا الذي يصلح
بنا نرموه في الجزيرة فقال له كبير الفراشين هذا الصيوان تريد له الجمال والرجال
لاجل حمله الى الجزيرة فقال الاسطى عثمان ابقى هنا حتى آتى لك بالرجال ثم
انه رجع الى الاصطبل وأخذ رزته وحملها على اكتافه وسار الى قرب باب زويلة
ووقف قدر ساعة واذا بمشرة جمال ومعهم سبعة من الرجال وهم حاملين التين
فصاح عليهم الاسطى عثمان واشار لهم بالرزة وقال لهم لمن هؤلاء الجمال فقالوا له
للووزير الاغا شاهين الاكرم فقال لهم سيروا على دار الوزير نجم الدين البندقداري
تخافوا الجمالة وساروا كما أمرهم الاسطى عثمان ثم بعد ذلك جلس قدر نصف
ساعة واذا بسبعة جمال قادمين حاملين الحطب وأشار عليهم الاسطى عثمان وقال
لهم يا رجال لمن هؤلاء الجمال فقالوا له للوزير ابيك التركاني فقال لهم سيروا الى
دار نجم الدين البندقداري فساروا من حينهم ثم انه جلس قدر ساعة زمانية
واذا بمشرة جمال أيضاً رافعين شعير فتعرض لهم الاسطى عثمان وسألهم لمن
تلك الجمال فقالوا له الى الشيع صلاح الدين المعجمي قاضي الحضرة فقال لهم
سيروا على دار نجم الدين الوزير ولا زال كذلك الى أن جمع قدر مائة جمال
وسار خلفهم الى دار الوزير نجم الدين ونزل تلك الاحمال من فوق الجمال
وأمرهم برفع الصيوان سوي ربيع الدنيا على بولاق فرفعته الرجال على الجمال
وقد سبقهم الاسطى عثمان الى بولاق وكشف رأسه ونادى على الرئيس
بعل رأسه وقال يا رجال أما تعرفوني انا الاسطى عثمان أنا بن غزبه الحيلة
ويبتنا في المراغة والقبر الطويل وعندنا عبد اسمه فرج وعلى باب دارنا قنديل
فلما سمعت الرؤساء صوته اتت مسرعين وقبلوا يديه وقالوا له السلام عليك
يا جدى وجد جدى ويا أعز من عندى فقال لهم الاسطى عثمان مرادى
منكم يا جدعان أن تودولى خيمة الجندى الى الجيزة بالشط فقالوا له على

الراس والعين فهم في الكلام واذا بالجمال قد أقبلت وعليهم الصيوان فنقلهم
الى الزوارق ثم رجعوا الجمالة الى حال سيلهم هذا ما كان منهم
قال الراوي واما ما كان من الاسطى عثمان فانه ملا وصل الى الجزيرة نزل ونزل
الصيوان وكان معه عقرب فقال له يا جدى ان هذا الصيوان يريد له الرجال نصبه
فقال له عثمان اجلس هنا ورد بالك حتى تأتى لك بالفراشين والرجال ثم رجع الى
ساحل الجزيرة واذا بفراشين السلطان قد اقبلت ومعهم ايوان السلطان والخيام
والسراقات فعند ذلك صاح عثمان على كبير الفراشين وضربه بالرزة بين اكتافه
وقال له ألفاتحة فقال له يا جدى الفاتحة من تالى او من قدام فقال له عثمان كلها
طرق مقبولة ثم قال يا جدع اعلم ان لنا خيمة سفيرة نريد منك نصيها انت ورجالك
فقال له السمع والطاعة ثم ترك خيام السلطان ونادي على رجاله وذهب مع الاسطى
عثمان فوجد الصيوان موضوع قطع على وجه الارض فقال له هذه الخيمة يا اسطى
عثمان فقال له نعم يا معرص فقال له يا جدى ان هذا الصيوان يريد لنصبه خمسمائة
من الرجال فقال له عثمان اجلس هنا الى ان تأتىك الرجال ثم رجع الى ساحل
الجزيرة واذا بفراشين الوزير الاعظم الاغا شاهين الافرم ففعل معهم مثل ما فعل
مع فراشين السلطان وكذلك فراشين الوزير ابيك والقاضى وجميع امراء الديوان ولما
اجتمعت الفراشين أمرهم برفع الصيوان فبادرت الرجال فرفعوه وضربوا أطنا به
ومدوا حباله فظهر كانه المدينة المبنية على وجه الارض وكانت حباله من الابريسم
وأطنا به من أنياب الفيل فاوهج البر من لمانه وضرب قدومه الصواري والتعليقات
واتصبت فيه الساقات فقالوا الفراشين يا اسطى عثمان ان هذا الصيوان يريد له خمسمائة
قنديل وعشرين مترزيت فقال عثمان اذهبوا الى حال سيلكم فذهبوا الفراشين الى
حالم هذا ما كان منهم (قال الراوى) واما ما كان من الاسطى عثمان فانه قد وضع
الملاية على رأسه وصل الى أن وصل الى رجل عطار ووقف عليه وقال له هل
عندك قناديل قزاز فقال له نعم يا سيدي وكان ذلك العطسار معد لبيع القناديل

وعنده منهم كثير فلما وقف عليه الاسطى عتبان وساله عن القناديل فقال له كم تريد منهم ياسيدي فقال اريد خمسمائة قنديل فعند ذلك فرح العطار ونزل من دكانه وفتح حاصل بجانب الدكان وكان ذلك الحاصل ملان بالقناديل فمد لهم منهم خمسمائة قنديل وقال له ياسيدي لابد تاتي لهم بالاقفاص لتوضع فيهم فقال له عتبان رد بالك منهم حتى تاتي لك الاقفاص ثم تركه وذهب الى رجل قفاص وأخذ منه قدر خمسين قفص ونادي على الحماله رفعوهم وذهب الاسطى عتبان امامهم فقال له القفاص أين حقهم ياسيدي فقال له عتبان اذهب معي الى دكان العطار تأخذ مالك ولكن اعطى اجرة الحماله وتأخذ جله فدفع القفاص الى الحماله أجروهم وساروا جميعا الى دكان العطار ووضوا القناديل في الاقفاص فمئذ ذلك قال العطار والقفاص لعتبان هات الدراهم يا رجل فكشف عتبان رأسه ونادي وقال انا عتبان بن غزبة الحبسه ورفع الرزة وانقلبت عيناه وصار عبرة لمن يراه فارتعب العطار الرعب الشديد وكذلك القفاص وقالوا له ساعنا يا حدى عتبان ونحن قبلنا حقهم من قبل أن يأتوا من بلادهم فردهم عتبان وضار الى الصيوان ووضعهم هناك في وسط الديوان بل الصيوان فقال له عقيرب بقى عليك الزيت يا أسطى عتبان فسار الى رجل زيات وكان دكانه أمام العطار وكان العطار لما نظر عتبان نادى عليه وقال له ياسيدي أن اردت ان تشتري الزيت فان الزيات الذى أمامى عنده زيت طيب وكان السبب في ذلك ان العطار والزيات كانت بينهما عداوة سابقة ولذلك سلط عليه الاسطى عتبان فلما سمع عتبان منه ذلك الكلام قصد من حينه الى ذلك الزيات وأخذ منه عشرين متر زيت وفعل به مثل ما فعل بالعطار ورجع بالزيت الى الصيوان وعلقوا القناديل وعروهم فقال له عقيرب يا حدى بقى عليك فرش الصيوان فقال له عتبان يا عقيرب كلما يخلصك بالصيوان من القروش والاقامة آيتك بفي هذا الساعة ثم تركه بعد ما أوصاه برد البال ورفع رزته وسار الى ساحل الجيزة وصبر حتى أتى فرش السلطان فتعرض الى الفلسان والممالك وسألهم عن ذلك الفرش

فقالوا له فرش السلطان فقال لهم يا جندعان وسرها في مقامها اني خالفتموني فيما
أقول لكم عليه لضربكم بهذه الرزة فعند ذلك أخذهم الخوف والفرح فقالوا له
ياسيدي عثمان قل ما تريد فنحن لقولك سامعين ولا مراك مطيعين فقال لهم أبوا
جوطه معزوم عند الجندي الى الصيوان فسيروا بالفروشات الى هناك فقالوا له
سمعا وطاعة وقد ساروا من حينهم الى الصيوان كما أمرهم الاسطى عثمان ثم صبر
ساعة من الزمان حتى أتى فرش الوزير الاغا شاهين ومعه الماليك والفلمان ففعل
بهم الاسطى عثمان كما فعل بفراشين السلطان وأيضاً فراشين الوزير ايك والقاضي
صلاح الدين وجميع الامراء وبعد ذلك رجع الى الصيوان وفرشه وربته حتى صار
على أحسن حال ورب كل شيء في مكانه وكان ذلك اليوم يوم الاربع وفي صبحية
الخميس يقدم السلطان وجميع الدولة (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء
الكريم بنوره ولاح وقد أقبل الامير بيبرس الى الجيزة فنظر عن بعد واذا
بصيوان مرجويل مضروب كأنه مدينة ظهرت على وجه الارض فتعجب من
ذلك الحال وغضب غضباً شديداً ونادى باعتمان فقال له لييك يا جندي فقال له من
أمرك أن تفعل هذه الفعلة وان هذا الصيوان لما ينظره السلطان يأخذه منا
ثم ان الامير نادى على الفراشين وأمرهم بقلع الصيوان فاجابوه لذلك وكان عثمان
تركهم مع الامير بيبرس وسبق الى الصيوان وجلس هناك واذا بالفراشين أقبلوا يريدون
قلع الصيوان فصاح عليهم الاسطى عثمان وقال لهم وحق البرقة بالانوار ان وضع
أحد منكم يده على وتدمن الاوتاد لضربته بهذه الرزة أعدمته الحياة فعند ذلك رجعت
الفراشين الى الامير بيبرس وأعلموه بالحال فغضب وسار الى عثمان وهجم عليه باللت وراى
هلاكه فهرب منه عثمان وصار يجري والامير خلفه وفي ذلك الوقت أقبل السلطان ومعه
أرباب دولته فارغمي عثمان قدام الشبهة ونادى أنا في عرضك يا أبوا جوطه فكفى من هذا
الجندي لانه اراد هلاكى وقال لي ما بقيت تخدم عندي الا اذا عزمت أبوا جوطه فقال له
السلطان هذا أمر قريب يا عتمان سير وها نحن مملك فسار الملك والدولة

قاصدين الصيوان وكان الساطان مكاشف على ذلك الحال له في صباح ذلك اليوم
الذي قدم فيه الى الجيزة لما تكامل الديوان وراق بالرجال وقرأ القارىء وختم ودعا
الداعى وختم وصاح جاويز الديوان وقال

الله ربي مالك الممالك كلها واخلق جميعا وجمع العالم

يرضى الجميع منه بفضله ويعم الوري بخير النعماء

قال الراوي قال الملك آمنة سبحانه مالك الممالك سبحانه المنجى من المهالك
الله الله يا حاج شاهين لم يخلق الله شيئا احسن من جبر الخواطر اعز مواهبنا يا رجال
الى الجيزة ثم قام السلطان وكامل الرجال ونزلوا وقدم أبوا الخير الشبهة الى الملك
وكان لابس الدلق وطيخة الزعف ومتقلد بالسيف الخشب وسار بين أرباب دولته
والنوبة السلطانية تدق على رأسه الى أن وصل الى بولاق وركب في الذهبية وسار
حتى وصل الى ساحل الجيزة وعارضه عثمان وتكلم بما ذكرنا وسارقاصد الصيوان
كما وصفنا فلما دخل الملك الى الصيوان أخذ على اليمين ومعه الاغا شاهين وايدمر
البهلوان والقاضى العز بن عبد السلام وجماعة الاكراد وأما الوزير أبيك
والقاضى صلاح الدين وعلالى الدين وقلون الالمى وجماعة المبغضين الى
محمود بيبرس أخذوا على الشمال فقال عثمان هذه قسمة مباركة اهل اليمين
فى اليمين وأهل الشمال فى الشمال ثم أمر الأمير لما جلس الملك خرج
من الصيوان ونادى يا عثمان فقال له ليبيك يا جندي فقال له من أمرك
تعمز السلطان وارباب دولته ومن ابن لنا اقامتهم فى هذه الليلة فقال له
عثمان الامر ساحل ها أنذا ارجع الى أبوا جوطه واقول له ان الجندي يقول
لك روح الى حال سبيلك فنحن ما عندنا اقامة لك ولرجالك فغضب الأمير
من قول عثمان حتى كادت مرارته ان تنفطر وقال له يا عثمان كيف يكون
الحال فن نحن حتى نطرد السلطان ولكن دبر رأيك يا عثمان كيف يكون
الحال فقال له عثمان ان اردت تستعرضك فى هذه الليلة تقف قدامى

ولرقص وتقبل يدي وتقول لي بأسطني عثمان ياساكن المراغة والقبر الطويل
وعندك عبد اسمه فرج وعلى باب دارك قنديل مربوط بحبل طويل أنا في عرضك
أن تسترني في هذه الليلة فعند ذلك فعل محمود مثل ما أمره الاسطي عثمان فتركه
عثمان وسار الي طباخين السلطان وقال لهم يا جسدان ابوا جوطه معزوم عند
الجندي ونريد منكم الطعام تأتوا به الى الصيوان فاجابوه بالسمع والطاعة وسار
الي طباخ الوزير الاغا شاهين وفصل به مثل طباخين السلطان وكذلك بقيه
طباخين الامراء جميعا ولما اشتغلوا بطبخهم أقبل الاسطي عثمان على كبير
الطباخين وضربه بالرزة على أكتافه وقال له الفاتحة من تالي أو من قدام فقال له
طرق الله كلها مقبولة فقال له ما تريد يا أسطي عثمان ها أنا أليبك الطعام فقال
له عثمان وسرها في مقامها ان لم تطاوعني فيما أمرك به لضربتك بهذه الرزة
فقال له ما الذي تريد قال له اريد الوزير ايبك والقاضي وجماعته لا يأكلون من
طعامنا فقال له هذا أمر حين ياسيدي ثم أن الطباخ نادى على غلامه وقال له
اائق لنا بجانب ملح قاتى له الغلام بشكارة ملح فوضع نصفها في الطعام الذي أراد
به المقصود ولما تهيأ به الفراغ من ذلك وحضر الطعام وانبسط السماط قدام
السلطان وايضا سماط ايبك التركمانى فوضعوا الطعام قدام السلطان فدبده وقال
بسم الله فاكلت الرجال حتى أكتفوا فهذا ما كان منهم (قلل الراوي) وأما
الوزير ايبك والقاضي ومن معهم فأنهم بعد ساعة قدموا لهم الطعام فد القاضى يده
وجاعته وأرادوا ان يأكلوا من الطعام فلما وضع اللقمة في فيه وجدده ملح عجرم
وكذلك الوزير ايبك ومن معه فقال لهم القاضى اعزموا بنا لنخلط على سماط
السلطان فقاموا جميعا مصرعين وساروا الى موضع السلطان فوجدوه نقض يده
من الطعام وقال ارفعوا السماط اللهم اجعل البركة في أهلها واجعلهم منصورين على
اعدائهم ثم قرأ فاتحة الكتاب وانقضى الحال فجلس القاضى وجماعته ولم يبدوا كلام
وسار القاضى يظهر الجلد ويخفى الكمد ثم قال يا امير المؤمنين اني اردت ان اكلتم كلمة حسنة

ان ولدك المحفوظ المنصور بيبرس ما يظهر هذا الايوان الا طالب به فتنة بين الروم
والاسلام وان الله لا يرضى بهذا والذي ظهر لسان حاله يقول ان أمير المؤمنين ليس
له صيوان مثل هذا وان اصل هذا الصيوان غنيمة وان الغنائم مرجوعها الى
بيت مال المسلمين فعند ذلك تكلم الوزير الاغا شاهين الافرم وقال يا أمير المؤمنين
ان بيبرس كان قد قال لي ان هذا الصيوان لا يصلح الا للسلطان وأنا أريد اعرضه
عليه فقلت له ابقه الى لية مولد ابوا هريرة رضى الله عنه انصبه في الجيزة فان
عجب أمير المؤمنين يأخذه وأنا الذي اذنته بذلك فان اردت اخذه فخذ فقال له
السلطان مثلك من يكون وزير و بأمور الدهر خبير والان يا قاضي الايوان قد
صار حقى ورزقى وانا واهبته هبة كريم لا يرد في عطاء الى ولدي بيبرس وأسأل
الله العظيم ونبيه الكريم ان هذا الصيوان لا ينتصب على راسه الا وهو ملك وسلطان
وابشأ نأل الله ان هذا الصيوان لا ينتصب في وجه كفار الا وينهزمون وينكسرون
ثم ان السلطان قام على اقدامه وقامت الاكراد ونصبوا الورد بذكر الله حتى
اصبح الصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح غفرج من الصيوان وخرجت معه الاكراد
وكانت الى السلطان من كراماته أن يقف في ذلك اليوم ويتنادى ياداي ياداي فتأنيه
الطيور من سائر الاجناس ويأخذ من ذلك البندق ويؤتى في القوس ويقول الى
الاكراد أي طير نضربه فيقولون له الطير الفلاني فيضربه السلطان ويسقط على
وجه الارض فيأخذوه الاكراد ويتأملوا فيه ثم يطلقوه الى حال سبيله ولما كان
ذلك اليوم وخرج السلطان ونادى على الطيور وداروا به مثل المادة
فقال للاكراد أي طير تريدون ان اضربه فقالوا له اضرب لنا الطير الفلاني
الاخضر فد السلطان القوس واراد ان يضربه فسقط الطير على وجه
الارض فهاج السلطان وغضب غضبا شديدا وقال من الذي اخذ طيري
ومن الذي اراد ان يأخذ ملسكى ثم انه تبدل من حال الى خلل فتقدم له
الوزير الاغا شاهين الافرم وقال له وحده الله يا أمير المؤمنين وان هذه

أمر مقدرة ولكن اضرب لنا غيره ولا زال الوزير بالسلطان الى أن زال غضبه وراق بدنه وقال أي طير أردتم ضربه يارجال فقالوا له اضرب لنا الطير الاحمر فقد السلطان القوس ليضرب الطير واذا بالطير سقط فعند ذلك تبدل السلطان وصار عبرة لمن يراه وزاد به الغضب وخرج الزبد على اشداده فتقدم له الوزير ثانيا وصار يقول وحده الله يا أمير المؤمنين اعزك الله بالنصر المبين ولا زال به حتى زال غضبه وقال أي طير أردتم يارجال فقالوا له اضرب لنا الطير الابيض فقد السلطان القوس ليضربه واذا بالطير سقط مثل الطيور الاولى فهاج السلطان وقال ائتوني بالذي أراد زوال ملكي فتجارت الفلماني والمماليك في ذلك العالم واذا بهم وجدوا الامير بيبرس وعثمان فداروا بهم وتمكنوا على بيبرس وقدموه الى السلطان (قال الراوي) وكان السبب في ذلك أن عثمان لما سرق البنادق من عند نجم الدين وخباها الى أن كان ذلك اليوم وجلس هو وبيبرس الى أن وقع ما وقع ونادى السلطان ياداي وحضرت الطيور فقال عثمان يا جندي اضرب لنا الطير الاخضر فضربه وأيضاً الثاني والثالث وتجار الفلماني كما ذكرنا وتمكنوا عليه وقدموه الى السلطان كما وصفنا وهذا كان السبب ولما قدموا الفلماني محمود قدام السلطان ومعه القوس والبنادق فقال السلطان ارموه في قطعة الدم فشاوه الى قطعة الدم وعصبوا عينيه وانتدب السياف على رأسه فنادي السلطان ياداي واذا برجل اقبل من البر وهو يركض الى أن وصل فأمله السلطان ونادى هاتوا صاحبي الذي أخذ مالي فتمكنوا به الفلماني وقدموه قدام السلطان فقال له السلطان ابن الصرة التي اعطيتها لك لتشتري لي بها مملوك والي الآن لم رأيت ذلك المملوك فقال له يا سيدي أن المملوك هو الذي عندك الآن في قطعة الدم فقال السلطان ياداي ان كان هذا هو مملوكي قانا سامحته لوجه الله تعالى فعند ذلك اطلقوه من الوثاق وقدموه قدام السلطان فقبل الارض بين يديه فقال السلطان يا حاج شاهين ان المملوك حر لوجه الله وكذا جلبة المماليك الذين

اشترؤا معه ولكن لابد تحكى لنا على قدومك هذه الساعة فقال يا أمير المؤمنين
أنا في هذه الساعة كنت على شط بولاق فأخذتني سنة من غير سنتي فافتحت
عيني الا وانا هنا وهذه حكايي والسلام

(قال الراوى) ثم أن السلطان أمر بقلع الخيام والمرادقات ورجوع كل
أحد الى مكانه فارتفعت الخيام ورجعت الناس الى اماكنهم وانفض الموكب
ورجع السلطان بأرباب دولته الى مصر والتوبه تدق على رأسه الى أن وصل
ديوان قلعة الجبل ورجع بيبرس الى دار الوزير نجم الدين البندقداري ورجعوا
الصيوان الى الحواصل وباتوا تلك الليلة

(قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح صلوا على
محمد زين الملاح تكامل الديوان ودخل الاغا الصالحى على الملك وقال له الديوان
تكامل بالرجال فقال الملك وعلى الله الكمال ثم قام وهو يتوكأ على قضيب خيزران
حتى وصل الى الديوان فقامت له الرجال على الاقدام وسلم فردوا عليه السلام والتحية
والاكرام وجلس على تخت قلعة الجبل وهو يوحى التقديم الازل فعند ذلك قرأ القارى
وختم ودعا الداعى وختم ونادى جاويز الديوان وأنشد وقال صلوا على النبي المفضل
الملك الله الذى خلق الورى وكل ما سواه فهو قاتى

فاهب الهك يا من تتعظ من قبل أن تدرك الاكفاني

قال الملك آمنا من ابن كنا حتى اتصلنا سبحانه مالك الممالك سبحانه المنجى
من الشدائد والمهالك سم راق الديوان ومن كان عادته الجلوس جلس ومن كان
عادته الوقوف وقف واذا بالامير بيبرس طالع الى الديوان وهو يقول هذه الايات

سلامي على هذا المقام وذا الحما سلامي على أمير المؤمنين قدما

عظيم أمير المؤمنين وجيشه لقد حفلت فيه ملائكة السما

(قال الراوى) فقال الملك انظر يا وزير الزمان الى هذا الولد المبارك المسعو

الذي سعاده في كل يوم تزيد ولكن لبسه سلاح دار ليكون دائما حاضرا في

الديوان فقام الوزير وخلع على بيبرس خلعاً والبسه سلاح دار وقال الملك يا وزير الزمان لا بد أن تعطيه خلعاً في ديوان قلعة الجبل فأجاب الوزير بالسمع والطاعة واعطاء قاعة عظيمة في قلعة الجبل وقال له الوزير لا بد أن تنتقل الى هذه القاعة التي اعطاها لك الملك فأجاب بيبرس بالسمع والطاعة ودخل الى تلك القاعة ومعه الاسطى عثمان وداروا فيها فقال عثمان يا جندي هذه القاعة مظلمة فلا بد أن تفتح فيها شباك والنور أحسن من الظلام وما أحد يكرهه من الانام فدعنا نفتح هنا شباك حتى يدخل علينا النور ويزول عنا الارتباك فقال له الامير افعل ما بدا لك ودبر ما حضر ببالك فعند ذلك نهض عثمان ومسك الرزة بيده وضرب بها الحائط فنسقط البياض فبان من تحته لوح من الرخام الاسود والى جانب اللوح عقرب من النحاس ففكره عثمان واذا اللوح الرخام انفتح وظهر من خلفه باب مغلق وهو بالاقفال موثوق ففعل عثمان من بين اللوح فرأى قاعة كبيرة لها ثلاثة شبابيك من النحاس مقترنين وهم على أماكهم محتكمين وعلى كل شباك صندوق كبير قدر ثلاثة أذرع في الطول ونصف ذلك القدر في العرض وعليهم الاقفال بالمفاتيح ومكتوب على وجه ذلك المسكان ثلاثة أسطر تمام فعند ذلك أشار عثمان الى الامير بيبرس قائي اليه فقال له انظر ما تكون هذه الكتابة واقرأها واخبرني عن معناها فقرأها الامير واذا هي مكتوبة بامتصلا الى هذا المسكان ومطلعا على هذا البيان هذا الرجل من الاخوان المجاهدين في سبيل الملك الديان وقد خرج من ذمتي الى ذمة هذا الرجل دون كل انسان وهو على غيره حرام وما هو الا بيبرس العجبي الخوارزمي السمرقندي الدمشقي بن القان شاه جيك ابن الست ايق بن القان شاه طلعه ابن القان شاه لمعه بن احمد بن محمد ابن مصطفى بن مرقط بن ابراهيم بن آدم ولي الله المظلم يستعين به على الجهاد في طاعة رب العباد (قال الديناري) وكان السبب في ذلك سبب عجيب وأمر مطرب غريب يجب أن نسوقه على الترتيب حتي أن المستمع يلهو ويطيب بعده

الف صلاة والف سلام ترضى النبي الحبيب وذلك أن احمد بن أباديس المبكي كان
عنده رجل زمال وكان عنده مال ونوال وكان خير بسائر الاحوال وما يتجدد
من ذلك في العالم من الامور والاشتغال ففى يوم من بعض الايام
قال له ياوردان اعلم انى أريد منك أن تبين لى من الملوك صاحب فضل وبرهان
وتذل له الشجعان والاقرباء ويعلمك سائر البلدان وتطيعه الانس والجان والاطنان
ويظهر دولة الايمان ويبطل شرائع أهل البهتان حتى اننى اذا علمت ذلك أهبطه
مالى ونوالى وما كان لى من عقارى وذلك كله لاجل نصرة الاسلام ومحبة
منى فى دين الاسلام فقال له وردان السمع والطاعة ثم انه ضرب الرمل وحقق
الاشكال وأزال الانكيس والحجرة واعتمد على مشل النظره فظهر له شكل آخر
غريب الصفات بعد أن ولده من الامهات والبنات واقتربت الجماعة بالجماعات
وظهر الاجليد فى بيت الميزان وأخبره بذلك الانسان الذي قدسنا ذكره من
الكلام فأعلمه بما بان له من الاحكام فقال له والرأى فى ذلك قال له تجعل المال
فى هذا المكان لانه لا بد له من العبور اليه والدخول عليه وصحبته انسان يقال
له عثمان وهو صاحبه ورفيقه وخادمه وخليفه وصديقه فلما علم ذلك وضع المال
وكتب على باب ذلك المكان ما قدمنا من الامر والثأن فهذا كان السبب فى ذلك
الثأن وزجع الى حديثنا الاول وانا وانتم فصلى على النبي المفضل ولما قرأ الامير
بيرس الكتابة فتحت ذلك المكان ودخل هو وعثمان وحمداوا الى الصندوق الاول
واذا بالفتح فيه ففتحه وتأمل واذا به من الذهب الاحمر الابريزي وفتح الثانى
واذا به من الجواهر الكاملة المعانى وفتح الثالث واذا به من الفصوص والمعادن
الكبار فعدوهم واذا بهم خمسة وسبعون طيراً فلما رأى الامير ذلك فرح واتسع صدره
وانشرح وقد زال عنه الهم والطرح ثم أن الامير بيرس التفت الى عثمان وقال له
اعلم أن اللقايا كلها للسلطان وانى هو علم بما رأينا أخذه منا لمانى القصة الا اننا كنتم هه
الامر عن سائر البشر وما تذكر عن ذلك بخبر لاحد فقال عثمان ان هذا هو الصواب

والامر الذي لا يعاب فعند ذلك اطمأن الامير بكلام عثمان وظن انه صاحب اسرار
 وكتمان فهذا ما كان من هذا الامر والشأن (قال الراوى) وأما ما كان من أمر
 عثمان فانه بعد أن فرش القاعة واجلس الامير يبرس فيها تركه ومضى وكان
 أخذ شيئاً من المعادن ونزل الى الاصطبل وبات تلك الليلة الى أن أصبح الصباح
 وأضاء السكريم بنوره ولاح انطلق عثمان ووقف قريباً من باب الديوان فبينما
 هو كذلك واذا قد أقبل عليه القاضى وركابه في ركاب ايبك التركمانى فعارضهم
 عثمان وصبح عليهم وقال لم السلام على أهل السلام فقال القاضى ما تريد
 ياعثمان قال له انظر بعينك يا قاضى الاسلام ما قد أعطانا الله من الخيرات والالعام
 ثم أخرج له عثمان قرطاس من الذهب لاجر الابريزى وقال له هذا رأيتاه في
 صندوق محرم مثله وصندوق من الجواهر ورأيت صندوق آخر من جناح العقاب
 مثل الطير ثم ان عثمان اعاد عليه القصة من اولها الى آخرها وكشف له عن
 باطنها وظهرها حتى كانه حاضرا مناظرها قال ولما سمع القاضى ذلك انقضت
 مرارته وزادت عليه بليته وكذلك انبك تمت حسرته ها وقد تركهما عثمان
 وهما على ذلك الشأن فهذا ما كان عثمان

(قال الراوى) وأما ما كان من القاضى فانه صار متفكر في ذلك الشأن هو
 وعلمانه وايبك التركمانى وساروا طالين الديوان فهذا ما كان منهم (قال الراوى)
 واما ما كان من السلطان فانه بات واصبح مثلك يصلي على من له الورد فتح صلى
 القرينة وقرأ وردة وقد طلع النهار وانضحت الانوار ودخل الاغاجوهر الصالحى
 اعلم السلطان بأن الديوان تكامل ثم نهض على الاقدام وسار الى الديوان وابدى
 الحاضرين بسنة السلام وردوا عليه على طريقة سيد الانام عليه الصلاة والسلام
 وبسط اياديه وقرأ الفاتحه أم الكتاب وأهدى ذلك الثواب الى النبي الاواب
 والتابعين والاصحاب ثم الى ارواح الملوك المتقدمين قبله والمتأخرين من بعده ثم أنه جلس
 على كرسي قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل وقد تكامل الديوان وجلس الوزير

والامراء والخدام وسائر الاقران ثم قرأ الغاريء وختم ردعى الداعي وختم
ورقى الراقى وختم ثم صاح شاويش الديوان يقول

الله الملك والملوك جميعا وجميع العالمين فوانيا
وكل المخلوقين تقني ووجه ربك باقيا
فلا تغتر بالمال وطول الحياة وكثرة الجيش العانيا
فهذا كله هالك ويبقى الاله الباقي

(قال الراوي) فقال الملك الصالح امنا من اين كنا حتى اتصلنا سبحان مالك الممالك سبحان
المنجي من الشدائد والممالك سبحان من عنده كل ملك كملوك وكل غني كصملوك فقال
الملك يا حاج شاهين من اعطاه خالقه من بخاتقة سبحان المعطى المانع صاحب الفضل
الواسع ربنا اعطاء وهو يريد ان يكتم ما اناه فرزه مولاه بمن يظهر ما أخفاه ولما ان
الرجل اعطاه ربه وقد نظره الرجل فأباح الرجل للرجل والرجل كاد ان يقتل نفسه مما
نزل به من البلاء النازل فتمعجب الاغاشين من الملك الصالح وقال يا أمير المؤمنين وما معنى
هذا الكلام فقال له أنا رجل عييطو الرجل الخواص كل مرة اوصيه بجيب لي الخوص من
النخلة المدلة يا بني به من النخلة العوجة فقال الاغاشين لا اله الا انت سبحانك ما أعظم
شأنك وما أقوى برهانك خلقتني ورزقتني وبهذه الرجال العظام ابلينني وفي زمرتهم
قد حشرتني ومع ذلك فاني لم أعلم قولهم وما يذكره من خطابهم اللهم اني اسألك بجمرة
النبي الهادي ان لا تحرمني من اسيادي (قال الراوي) وبعد ذلك تحرك القاضي من مكانه
وتحرك مسرعا على اقدامه ووقف في محل الطلب وكان بيبرس قد اقبل الى وظيفته ووقف
في مكان خدمته هذا وقد قال القاضي ولذلك يا أمير المؤمنين المحفوظ المنصور الذي
سعادته على رأسه مثل المصباح الامير بيبرس قد رأي في المكان الذي انت اوهبته له
ثلاثة صناديق من الذهب والجواهر جناح العقاب بالذهب الوهاج والذي ا قوله ان
هذا كله حق الي بيت مال المسلمين فهو احق بالتقاي من دون كل البرايا فقال
الملك احق يا بيبرس ما يقول القاضي من المقالات فقال لا ادري بشيء من

تلك الاشياء بل ان عثمان هو الذي فتح المكان ونظر فيه بإمكان فقال الملك انزل يا سيدي
 بيبرس وأتينا بعتان فقال سمعاً وطاعة يا مولانا السلطان ثم نزل بيبرس وهو لا يدري
 ما يقول وذلك لما اعتراه من النعم والتول ولم يزل سائر الى ان وصل الى عثمان فراه جالساً
 وبين يديه السياس وهو جالس فقال له السلام عليكم فقال له عثمان عليك السلام عودني
 فقال الامير يا عتبان السلام لم يبق بالمود قال عتبان سلام السياس هكذا اقاعدته فقال
 الامير يا عتبان اذن مني اني اسأرك في اذنك فقال عتبان اذا كان معك حاجة وانت
 ملخوم نزعاً عن اكتافك فقال له الامير اعلم ان مامى الاسرار يدان اطلعك عليه فقال
 عثمان انت نحكي وأنا اسمع فقال له أنت أخبرت القاضي بما راينا بامس فقال له عثمان ادى
 عيسى وعينه هو وورقيه ابيك واورنيهم عينه اللقية واخبرتهم عما جري بالحرف الواحد
 فقال له الامير جزاك الله خيراً هذه الشروط التي جرت بيني وبينك بامس فقال له والذي
 جري ما هو قال له اطلع الى الديوان واخبر بذلك السلطان وقدامى بحضورك الى بين
 يديه في هذه الساعة فقال عثمان يا أشقر سر من هاهنا اليه وسلم لي عليه وقل له الاسطى
 عثمان يفرئك السلام ويقول لك اترك هذه الدعوة وتلك القضية لانها دعوى فارغة
 بالسكية وان لم تفعل ذلك يطعم بالرزة اليك وبأخذروحك من بين جنبك قال فلما سمع
 الامير بيبرس ذلك الكلام من عثمان اغتاض غيظاً شديداً عليه من مزيد وصاح فيه وقال
 له يا كلب يا قليل الادب بقی أنا رجع للملك وأقول له اترك هذه الدعوة لانها فارغة كما
 قال الاسطى عثمان قال عثمان ويعني ماذا يجري فقال له قم على حيلك واجب
 السلطان والا ضربتك بهذا اللت على رأسك اخذت به انفاسك فقال له
 عثمان انا اعرف الناس بك لانيك مثل العقارب خاين المهود ولكن سروانا
 اسير معك ثم سار معه وقد جعل الامير بيبرس يلاطفه بالكلام ويقول
 له اعلم يا اسطى عثمان اني قد نكرت اللقية من السلطان وقلت له انا مارأينا
 شيء واسأل الاسطى عثمان فاذا هو سالك ما الذي تخبره به من الامر
 والقان قال له عثمان اقول له مثل ما تعلمني فقال له اعلم كيف تقول

كلامنا من غير زيادة ولا نقصان أحسن ونقول له ما سمعنا ولا رأينا ولا لقينا ولا
 نظرنا فقال له عتمان ممعاً ومطاعة ثم ساروا الاثنين إلى أن وصلوا إلى الديوان وقد صاح
 عتمان وهو غير فرعان يغني ويقول هذا الموال
 جئتكم كلما نهق حمار في غيط وكلما نبحت جروه على أعلا حيط
 يا من على صحن خده مسرجة زيت قتلتني غدر يا بو مخطمه مخيد
 صباح الخير عليك يا أبو جوطه الفاتحة مني في صحابك وصحائف الاسطبل الذي
 علمك ضرب الكفة والحديدة فقال القاضي هو سايس يا ممقوت فبح الله انك قال له
 عتمان مرض في خناقك فقال الملك والسايس ماله يا حاج شاهين ما هو مسلم من المسلمين
 رضى الله عن السيد على ساهى ركاب النبي قال عتمان صباح الخير عليك يا ابو فرمه خيرنا
 عليك فناطرونا طرا حفظ سكرنا قال الوزير أخذت مني قدر حقه مائتين مرة قال
 عتمان صباح الخير يا ابيك يا عين القط المقيط قال ابيك مرض بلقط عقلتك فلاح خطاف
 صائم قال عتمان صباح الخير عليك يا قاضى يا منقرش يا ابن القعبه يا لى من المعطقة
 الظلمة الضيقة الى يعرفها أبو جوطه بعد الفاتحة تسمع خير يا أبو جوطه قال الملك
 الصالح خير ان شاء الله قال عتمان هز الله جل الله ما في الكون الا الله قل معنى يا أبو جوطه
 لا اله الا الله عليك يا قاضى غضب الله قال الاغشاهين ها هو يلقي العبارة بحمد الله قال
 عتمان نحن لما دخلنا القاعة التي أوهبتها أنت لنا وفتحناها فوجدنا فيها صندوق من
 الذهب البندقى ومثله من الجوهر والثالث من التبر جناح العقاب فلما وآهم الدولتي
 ببيرس قال لى يا عتمان ان اللقايا لا أبو جوطه يأخذها منا ويحرمنا منها قلت له أبو جوطه
 رجل تيس فصاح في فقال الملك الله تعالى يساعذك يا عتمان في كل ما قلت في حقى يا عتمان
 احكى ما جرى بعد ذلك قال عتمان ثم انه قال لى اذا أحد سألك عن هذه فقل له نحن
 لا شغفنا ولا رأينا وما معنا خبر ولا لنا علم بذلك قلت له هذا هو الصواب
 والامر الذي لا يعاب ثم أخذت بعض الذهب والجوهر والتبر وأعلنت
 القاضي وايبك بما جرى وأوريتهم الذهب فلما طلبوا الى عندك أخبروك

وسألت انت الامير نكرو وشهد القاضي وايبك على بذلك فارسلته الي احضرتني بين يديك وقد سألتني أخبرتك بالذي جري ونحق من يعلم ويرى وبعد ذلك لا شغنا ولا رأينا ولا معنى خبر ولا لنا بذلك علم قال القاضي فرارك من لسانك ولا عذر لمن اقر قال الملك اسكت يا قاضي دم على قلبك ثم ان الملك التفت الى الاغشاهين وقال له اللقايا لمن قال للسلطان أمير المؤمنين قال الملك وحق من تعالى في علاه هذه اللقية هدية من عندي الى ولدي الامير بيبرس هبة كريم لا يرد في عطاء يا حاج شاهين هذه اللقية كانت هرام والآن حلت لانها بقيت باذن صاحبها وقد اذن الله انه لا يأكلها الا حلالا وبعد ذلك دع الذي يتكاد في كيدده ولكن يا سيدي بيبرس اعلم أن لكل شيء سبب من الاسباب انزل يا سيدي احضر لك رجل فقيه يصل بك ويعلم عتمان الخط والقرآن فقال ممعا وطاعة يا ملك الاسلام ثم ان بيبرس نزل هو وعتمان وقد فرحوا بما الوامن الامتنان والاحمان وما نزل على الاعداء من الغيظ والهوان قال وقد وقع على القاضي من ذلك ما لم ينزل على احد من الرجال وجعل يدبر المكايده هو وايبك فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) واماما كان من الامير بيبرس فانه نزل من الديوان وقال يا عتمان اثنا برجل فقيه فقال ممعا وطاعة ثم تركه ومضى الى باب القلعة واذا هو برجل فقيه يقال له الشيخ اسماعيل الملوي مقبل وكان هذا الشيخ اسماعيل يخاف من عتمان خوفا شديدا عليه من مزيد لان عتمان كان ضربه بالرزة وأخذ عمامته مرتين وكان من تلك المدة وهو مريض فلما سمع ان عتمان تاب ورجع مما هو فيه فرح قلبه ونداته العافية ونزل ذلك النهار لاجل ان يطوف علي رواتبه ومحلاته التي كان يرتزق منها فصادفه عتمان في هذا المكان فلما رآه الشيخ انتقض وضوءه ولعبت مفاصله وقال له اعذرني يا اسطي عتمان لاني كنت عيان وخذ مقلي وارجع عن اذيتي فقال له عتمان انا تبت عن أمور النقصان فقال له خذها مني وارجع توب فقال له عتمان انا تبت وتاب على سلام الغيوب فسر

معي وكلم الاشقر لاجل ان يعود عليك النفع منه ويزيل عنك الضرر فقال له
 الشيخ سمعا وطاعة ثم ان الشيخ سار معه الى ان وصل الى سيده بيرس فلما رآه
 نهض له قائما على الاقدام وترحب به وأجلسه في اعز مكان وقد اطمان قلب الشيخ بن
 عثمان ولما استقر به الجلوس قال له الامير يا مولانا اعلم اني ما اتيت بك الا لاجل
 القراءة عندي والضلاة جماعة فقال له الشيخ وقد ظن انه يريد ان يقرأ القرآن مرحبا
 يا ولدي فقال له اعلم اني اقرأ القرآن واريد ان تقرى عثمان القرآن فقال له انا اخاف
 من عثمان ان يسقيني شراب الهوان لانه فعل معي كذا وكذا وحدث الامير بما فعل
 معه عثمان من اول الامر الى آخره فقال له عليك الامان من عثمان ومن كل انسان وعلى
 انا الضمان فقال الشيخ سمعا وطاعة ثم ان الامير أخرج قمرطاسا من الذهب وناوله الى
 الشيخ اسمعيل الملووي وقال له خذ هذا وجعل نفسك بالثياب واخزن بيتك حتي انك
 لا تكون مهمتهم القلب من جهة الاكتساب وتأتي الى عندي هاهنا لاجل الصلاة وتعلم
 عثمان القراءة فقال له سمعا وطاعة ودعاه له وقد امر الامير بيرس عثمان ان يقبل رأسه
 ويده ففعل عثمان ما امر به مولاه وطيب خاطر الاستاذ ونهض الاستاذ الى مكانه وقد
 علا قدره وشأنه وذبحت احزانه وبعد أن قضا اشغاله عاد الي المكان واحضر عثمان
 وكتب له أول الهجاء وهي الاحرف الهجائية وقال لعثمان ما هذه قال عثمان الطويلة قال
 نعم قال عثمان هذه شبيهة الرزة قال له الشيخ هذه يقال لها الف قال عثمان يكومك قال
 الشيخ ما معنى ذلك قال له تقول مالف يعني ثعبان قال له الف يا عثمان قال عثمان
 الفاروخ فين قال له الشيخ الف قال عثمان الف وهذه باه قال عثمان انا خوفتك
 حتي انك تقول لي باه قال له هذا اسمها فقول مثل ما اقول لك فقال عثمان وما
 قرأت حرقا الا بمجهود جهيد وقد فتح الله علي عثمان حتي قرأ الهجاية وفك الخط
 وكتب وتعلم وقد اجتهد معه الاستاذ غاية الاجتهاد (قال الديناري) فهذا اما كان من
 امر هؤلاء واما اما كان من أمر المماليك التي للسلطان وما كان منهم من الحديث العجيب

والامر المطلوب البديع الغريب الذي يزيدان نذكره على الترتيب حتى ان المستمع يطيب بعد الف صلاة والف سلام ترضى النبي الحبيب وذلك ان يببرس لما سكن في القلعة امر له الملك بالترتيب الملكي من القطور والغدا والعشا فامثل الطباخ الامر وأرسل له اول يوم الصفرة كاملة وثاني يوم الغدا والعشا على العادة فلما كان ثالث يوم طلعت الصفرة وقد وضعها الخدام بين يدي الامير يببرس فتأملها واذ فيها أربعة صحون من غير زيادة وكلهم خضار فقال يببرس في نفسه لعل ان يكون الطباخ نسي العادة جل من لا ينسى ثم انه عزم على عثمان فابى وقال انما لي فيه لا آكل الطعام فاكل الامير يببرس وارتفعت الصفرة الى وقت العشاء فوجدها الامير مثل ما انت اليه في الظاهر فتعجب الامير من ذلك وعزم على عثمان فابى وذكر له انه هيان فلما جن الليل جلس الامير وفتح الختمة وجعل يقرأ في كتاب الله عز وجل الى ان اتى الى قول الله تعالى «فن اعتدي عليكم» فنهض عثمان الى عند الامير وقال له يا سيدي اعلم انني مريض ولما سمعت هذه الآية الشريفة طابت نفسي عليها فاكتبها لي حتى اجعلها في راسي حجاب فقال له الامير يا عثمان كلام الله كله شفاء ومعاني ومعرفة ولكن أخاف ان تكون قاصديها شيئاً آخر فقال له لا وحق رأسك وذقنك فكتب له الامير هذه الآية وهو سليم القلب لا بدري ما يريد بفعل عثمان فلما أخذها عثمان نهض بالزهر وسار الى الطباخ وقد ضربه بالزهر بين كتفيه فصاح أخ فقال عثمان الفاتحة فقال الطباخ انه فاتحة من وراو الامن قدام فقال عثمان الطرق كلها سالكة فقال الطباخ حلت فضائلها ما تريد فقال له أريد أن تعلمني على الترتيب الذي أمرك به أبو جوطه لنا في الغدا والعشا فقال له يا سيدي عثمان لكم كذا وكذا وذكر له أشياء كثيرة فقال له ولاي شيء انت لم ترسل لنا حكم ما امرت فقال له اعلم اني أرسل لكم ذلك كله في كل وقت ولكن اعلمني ما الذي يجري فأخبره عثمان بأمر الصفرة فلما سمع الطباخ ذلك من عثمان صاح على غلامه وكان اسمه سليمان فأتى اليه فقال له اعلمني على الصفرة الذي تحملها الي الامير يببرس كيف تصل له ناقصة واصدق في

المقال فقال له يا مولاي انك انت بعد ان ترتب لي الصفرة وانا اسير بها فقيضوا علي
 المماليك فيأكلوا مطايبها وما يتركوا خلاف الاربعة اشكال الخضر فلما سمع عتبان
 ذلك قال له اسمع انا لا أفعل شيئاً حتي أري بعيني فاغرف الصفرة وأرسلها مع الغلام
 خلفي ثم ان عتبان ترك الطباخ ومضى الي السلام وتواري في ركن هناك ولم يزل كذلك
 الى أن أقبل الغلام بالطعام وكانت هذه الساعة حصاة الغذاء وقد خرجت المماليك وهم
 أربعة الذين اتفقوا علي ذلك الحال مع بعضهم وهم سنقر وشتك وعلاء الدين وقلوون
 فلما وقفوا وعبر عليهم الغدا فصاروا يسألون الطباخ لمن هذه الصفرة فيقول لهم الي فلان
 يقولون امضي بها اليه والثانية لمن فيقول الي فلان فيتركوها ولم يزلوا كذلك على هذا
 الحال الى ان أتى الغلام بسفرة الامير بيبرس وعتبان ينظر ويري وهو واقف فقالوا
 لمن هذه الصفرة فقالوا للامير بيبرس فقالوا له زلها ما هنا وكانت هذه ما دهم وقد نزلها
 الغلام فتقدموا اليها واكلوا مطايبها وقام علاء الدين الي الانجر الازرق وهدم بناءه
 وقبض على اكثره بيده فقال عتبان وقد زاد بلاه هدمت قبة الاسلام ولكن وهزة الله
 الآن جاء شاهد هذه الآية التي أخذتها من بيبرس وانتم اتعديتم علينا بجوع الكبد
 وأنا اتعدي عليكم بعري الجسد ثم انه تركهم ومضى الي حال سبيله ورجع الي سيده ولم
 يبدي كلام هذا وقد اقبلت السفرة ووضع بين يدي الامير فقال لعتبان تقدم فقال
 مالي نية الي الطعام ثم انه صبر الي الليل بعد أن نامت المماليك وأخذ الرزة وسار طالبا
 مكانهم ولم يزل حتى دخل المكان وتأمل فرأى التيجان ملقيين الي جانب المكان فأخذ
 الجميع وكانت عدتهم خمسة وسبعين فأخذهم وخرج الي الخلاء وجلس
 عتبان يتربص الصباح الي أن انفجر الفجر فسار طالبا جهة الطريق قال
 فبينما هو كذلك واذا بالدلال مقبل عليه وكان هذا الدلال دلال عتبان
 وكان يقال له الشيخ عمران الفلسي وكان متعود على عتبان كل ما نهيه يأخذه
 منه ويبيعه حراج الي أن صاحب الحاجة يشتريها منه بالثمن ولم يقدر ان يذكر
 انها حاجته خوفا من عتبان وسطوته فلما تاب عتبان انقطع الدلال في بيته

عند النساء وضاعت مصالحه وصار لا يقدر على شيء من العمل وبطلت أسبابه وعظمت مصائبه فجعلت زوجته تواجعه بالكلام الغليظ وهي تقول له وبمد فمادك هاهنا مثل الوليه وما بقيت فاقصا الا الرقداً وانك تجيب لك دولاب فقال لها وكيف أفعل بعد أن تاب عثمان بن الحبله وتركى بهذه المصيبة والعلة والله ما كان لي غرض في توبته لاني كنت سعيداً في مدته فقالت له زوجته ان رزقك ما هو مفيد بعثمان ولا متعلق بانسان بل رزقك على الكريم الديان فقوم الآن صلى صلاة الافتتاح ونوكل على الكريم الفتح واقصداً حد الاسواق والله لك رازق فقال لها السمع والطاعة لله يسهل لنا الرزاق ثم انه خرج من عند زوجته على مثل ذلك الاتفاق وصلى صلاة الافتتاح وعبد الملك الخلاق الرزاق وقصد الى جهة السوق كما امرته زوجته وهو لا يدري ما يكون العمل في قصته فبينما هو كذلك واذا بعثمان مقبل اليه ولما دنا منه سلم عليه فلما رآه فرح برؤيته وسلم عليه وقبل يديه وقال له اسطي عثمان لاى شيء ثبت هذه التوبة وان الوقت بدري عليك وباب التوبة مفتوح فارجع الى ما كنت عليه ولا تتوب حتى يقرب ظهورياً جوج ومأجوج فقال له عثمان دعنا الساعة من هذا الكلام وخذ ما معي واعطيني ثمنه في عاجل الحال فقال له ما هذا قال خمسة وسبعون تاجاً وسبعون قرشاً فقال له الدلال وقد فرح بكلامه اصبر حتى آتي اليك بالدرهم وعادني عاجل الحال الى الزوجه وأخبرها بان عثمان نقض التوبة وأتى اليه ببئمة قيمتها خمسة وسبعون قرشاً فقرحت الاخرى بذلك ونهضت واقترضت له الدرهم من الجيران فأخذهم وسار الى هند عثمان وناولها اياهم فأخذهم عثمان وأعطاهم التيجان ومضى كل واحد منهم الى حال سبيله

تم الجزء الخامس ويليه الجزء السادس وأوله أخذ عثمان تيجان الماليك ويصحبهم للدلال وشراؤه فطير بشنهم وأكله الفطير مع الامير بيبرس

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
نحمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيعة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاهوال والحيل وهو
يحتوي على خمسين جزء

—١١٥٤٣٤٣١—

الجزء السادس

—١١٥٤٣٤٣١—

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)

بشارع الخلوحي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

مطبعة المقاهي بمركز قسم الجبال بمصر

لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي



وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

(قال الراوى) فاما الدلال فانه حاد الى الدار وأعرض على زوجته هذا الحال فقالت له اعلم أن هؤلاء مام من الناس وما خطفهم عتمان بل انهم تيجان الممالك الذين للسلطان ولا بد انهم في غدا يدورون عليهم فلم يجدوهم فيخبروا بذلك سيدم الملك الصالح فيقرر الخدام ومن جملتهم عتمان وأما عتمان كما تعلم انه قريب الاقرباب ولا يعرف انكار فاذا هو أقر عليك فيأخذوهم من بين يديك وتموت الدرام على الناس وربما ان الملك يأمر بضرب رقبتك فيضربوها في الحال ويمارونى بك أهل الحاره ويقولون لي ياريتنه يا زوجة المضيع قال فلما سمع القلني من زوجته ذلك الكلام خفق قلبه وانفك صلبه وقال لها وكيف أصنع بذلك بصد القوت لا بشرك الله بخير ورمالك في الممالك فقالت له اذا كنت أنا أعلمك بأمر تطاوعنى فيه قال نعم أطاوعك ولا أعصى لك أمرا ابدا فقالت له تمضى من هاهنا الى بيت الوزير الاغا شاهين الافرم وتعلمه بماجرى وكيف فعل عتمان والقصة من أولها الى آخرها فيسر بقوئك ويأخذهم من عندك وينعم عليك بشنهم ويضعفهم لك بالئن ولا يظلمك لانه رجل ذو احسان ولا يبقى عليك ملام فقال لها والله لقد قلت الصواب والامر الذى

لا يعاب ثم انه تركها وأخذ التيجان وذهب الى بيت الوزير الاغا شاهين
الافرم واستأذن عليه في الدخول فتسارعت اليه الخدام وقالوا يا مولانا بالباب
رجل يريد الدخول اليك فقال لهم على به فأدخلوه فلما قارب مكان الوزير
سلم وخدم ودعا وترجم فقال له الوزير ما الخبر فقال قد جرى من الامر يا مولاي
ما هو كذا وكذا وأعاد عليه القصة من أولها الى آخرها وكيف ان عثمان
باع له التيجان وكيف أخذ الدراهم فقال له الوزير وقد علم المعنى وعلم بالاشياء
كانه حاضرها وما خفى عليه ان هؤلاء تيجان الممالك لانه رحمة الله عليه كان
عافلاً فطيناً لم يسمح الزمان في وقته بمثله الا ان يكون مارني الذي للب
رومان ورشيد الدولة الذي للقان فلاون لانهم الثلاثة كانوا ميزان واحد
غير ان الوزير الاغا شاهين أعظمهم قدراً وأوفاهم ذكراً لانه على كل حال في
بلاد الاسلام ومتعاطى الامور والاحكام وهما في بلاد الشام ولم يرد عليهما
مثل ما ورد عليه فلما عرف المعنى قال للرجل الدلال اسمع ما أقول لك يا شيخ
فان قبلت كلامي فلا بأس عليك وان لم تقبله فلا أغضبك أبداً ولا كأني
رأيتك ولا نظرتك وبيع عند غيري اذا لم يعجبك قولي فقال له يا وزير الزمان
قل ما عندك من المقال فقال له أنت قد دفعت خمسة وسبعين قرشاً وأنا أتجاوز
عن مثلهم لوجه الله من مالي وأعيد هذه التيجان لاربابها فان كان لك مرام
تأخذ فيها مائة وخمسين قرشاً والا امض بها من حيث أتيت فقال الدلال اعلم
يا وزير الزمان اني لا أقدر أبيعها لاحد غيرك ولولا ذلك ما أتيت بها اليك
لاني أعرف منك الكرم والاحسان ولكن أريد أن تعطيني زيادة على ذلك
الشان فقال له الوزير لا وحق رأسي والمملك الديان فقال له اعطيني الدراهم وخذ
اياهم فناوله الوزير الدراهم وأعطاه التيجان وسار الدلال الى حال سبيله وقطع
الطريق ووصل الى بيته وأعطى أرباب الديون ما كان عليه وكسى زوجته
وقضى مصالحه وجعل يدعو للوزير هو وزوجته فهذا ما جرى في نوبته

قال الراوى وأما ما كان من الوزير الاغا شاهين فانه أخذ التيجان وركب من ساعته وسار الى قلعة الجبل ودخل على المالك وكانوا اتقوا من مناسهم وجعلوا يفتقدون ملابسهم فأرأوا التيجان قد عدت فجعلوا يدورون عليهم وينظروا بعضهم بعض فبينما هم حائرين واذا بالوزير قد دخل عليهم فنهضوا له على الاقدام وقبلوا يده وردوا عليه السلام فقال لهم يا أولادى اعلوا اني دخلت عليكم وأنتم نيام وقد رأيت الباب وهو مفتوح فأخذت هؤلاء التيجان وأنتم نيام وما دري بي انسان منكم فلو كان أحد غيري ما أعادهم اليكم فاتقوا واحرسوا ملابسكم فقالوا له سمعاً وطاعة ثم ناولهم التيجان فأخذوها ولبسوها وطلع الوزير بعد ذلك الى الديوان وجلس في مكانه فهذا ما كان من الوزير الاغا شاهين

قال الراوى وأما ما كان من عثمان فانه لما باع التيجان أخذ الدراهم كذا كرنا وسار الى دكان رجل فطاطري وكان صاحب عثمان من قديم الزمان لان عثمان كان نبيه أربعة مرات وهو يحسب حسابه ويتمنى انه يموت ولا يرى شخصه فبينما هو كذلك واذا بعثمان مقبل عليه فانزعج وحر في أمره وتغنى أن الارض تبلى فقال له عثمان لا تخاف واعلم اني تبت لخفي اللطاف ثم ناوله الخمسة وسبعين قرش وقال له اصنع لى قصعة فطير بالسمن البقري والعسل النحل فترسلها مع غلامك هذا الى القلعة واذا سأله أحد عن ذلك يقول له انها من عند غزبه الجبله أمي وهكذا في كل يوم ولا يحتاج اني أوصيك فقال له سمعاً وطاعة وفرح الرجل بالدراهم وتغنى أن عثمان يأتيه في كل يوم عشرة مرات بعد أن كان لا يقدر أن يرى هذه الصفات هذا وقد سار عثمان الى سيده وجلس عنده وقد استيقظ من نومه وصلى فرضه وقرأ رده فبينما هو على مثل ذلك واذا بالغلام مقبل عليهم وقد وضع الطعام بين أيديهم فلما رآه الامير ورأسه ذلك الطعام المفترأ أعجبه وقال للغلام من أين هذا قال له يا مولاي من عند

سيدتي غزبه الجبله أم سيدي الاسطى عثمان فقال الامير جزاها الله كل خير
ثم انه تقدم وجعل يأكل وعثمان معه وقال والله يا عثمان هذا شيء عظيم
فقال له عثمان لما نعى رأسه تعقله والله انها أكلة حلوة ولكن آخرها مثل
الصبر فقال له الامير ولاي شيء ذلك يا عثمان قال عثمان هذا في المثال فقال
له الامير دعنا من هذه الامثلة المتعبة قال له كل وأنت ساكت أولها حلوة
وآخرها مرة قال له أنا بعد ذلك لم آكل شيئاً منها فقال له كل ولا تخاف من
شيء هذا الكلام سائر بين كل الناس ولم يزالوا على مثل ذلك حتى أكلوا
واكتفوا وأخذوا الفلام القصعة وعاد الى معلمه فهذا ما كان منه

(قال الراوي) واما ما كان من الملك الصالح ايوب ولى الله المجذوب فإنه
جلس على كرسى قلعة الجبل مثلك يوحد القديم الازل ولما تكامل الديوان
وجلست المساكر والرجال قرأ القارئ وختم ودعي الداعي وختم ودعي الراقي
وختم صاح شاويش الديوان يقول

لله الاوامر والنوامي وما كان في الدنيا سيذهب
فافعال الكرام تمد بنعمة باقية ليس تذهب
فرب المطا جزيل العطا وهو الكريم الغني الموهب

(قال الراوي) قال الملك الصالح آمنا من ابن كذا حتى اتصلنا يا حاج شاهين
ما من ظالم الا سبيل بظالم ناس مسلطة على ناس ومجازي الناس رب الناس وابدان
مسلطها ربنا على ابدان والكون طامر فقال الاغا شاهين في نفسه هل ترى
ما يكون معنى هذا الكلام لا اله الا أنت يا مولاي أنت الذي خلقتني
ورزقتني وبعثتني هؤلاء السلاطين ومجبههم أبليتني ومع ذلك فاني لا أعرف
ما يقولونه ولا معنى ما يذكرونه فأسألك اللهم بحرمة النبي الهادي لا تحرمني
من أسيادي فبينما الملك يدندن والوزير يتعجب واذا بالامير يبرس يقبل
الارض من باب الديوان وهو يقول شعر

سلامي على ذا المقام والحا سلامي على أمير المؤمنين تقدما
أمير المؤمنين وجيشه قد حفت بهم ملائكة السما
قال الراوي فلما فرغ الأمير بيبرس من شعره قال له أهلا وسهلا ومرحباً
بسيدي بيبرس والله يا حاج شاهين انه رجل سعيد ثم أن بيبرس أقام في خدمته
وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

نصحبك السعادة كل وقت وهناك الاله بما أعطاك
واخذل أعداء الكل جماعاً وأبقى حبك وأهلك أعداك
وأيدك الله بالنصر حتى تبلغ مآرومه من مولاك
وتفوز بالظفر والنفوز حتى يؤيدك الباري ويبسط يداك
عبدك قد أتاك يريد نغراً من بعض ما اكتسب يداك

قال الراوي ولما فرغ الأمير بيبرس من تلك الانشاد أخذ الطير جناح
العقاب ووقف على رأس السلطان والسلطان يتأمله ويشاهد ثقله وقد استقل
بالنظر اليه عن سائر المعسكر وكل منهم قد تكلم واكثر وهو يتأمل اليه ويقول
سبحان الخالق الاكبر هذا وقد دار بين أرباب الدولة القيل والقال واكثروا
من المهرج وذلك المقال هذا وقد علم الملك الحال الى أن كان آخر النهار وتفض
الملك المنديل تحولت الرجال ونزل كل من كان حاضرا هناك وكذلك نزل الأمير
بيبرس والقاضي وأهل الدولة ولما أقبل الليل نزل عثمان على المالك وأخذ منهم
الحياصات وأعطاهم الى الدلال وكان قد أوعده انه يلاقيه في ذلك المكان فجعل
الدلال ينظره حتى جاء اليه وأعطاه الحياصات فأخذهم الدلال وذهب الى بيت
الوزير وباعهم له مثل النوبة الاولى وكان عثمان قد مر على الرجل الفطاطري
وقال له اصمط لنا رفيعة ففعل الرجل وأرسلها مع غلامه وجعل
الامير يأكل وعثمان يقول له الاولى مثل الصبر والاخرى مثل الطين وثالث
يوم سرق الساعات ورابع يوم سرق الخناجر وخامس يوم سرق السيوف

وسادس يوم سرق المزود والبواييج وكان الوزير كلما جاءه الدلال يشيء من ذلك يعطيه الطاق مثله فلما كانت الليلة السادسة وسرق عتمان فيها المزود والبواييج وقابل الدلال فقال له مامعك يا اسطى عتمان فقال له هات الخسة وسبعين قرش لتقديم فناولوه الدلال الدراهم وأفرغ له ما في حجره فقال له يا عتمان هذه البيعة كلها ما تسواشي قرش واحد فقال له عتمان قيم هذا على ما سبق حتى يبنى شيء على شيء فاخذهم الدلال وسار بهم طالب بيت الوزير واستأذن في الدخول عليه فاذن له في الدخول فدخل ووقف في باب المكان وسلم على الوزير فقال له الوزير ادن مني يا شيخ فقال له يا وزير الزمان اني أصابني بهمذر بليغ وهو الذي منعني من الدخول من ذلك الباب وذلك اني صليت الصبح في جامع طيلون وجئت عند الخروج فسرقتوا لي مركوبي وما رأيت مني دراهم حتى كنت اشترى غيره وأنا في أمري على عجل فقلت في نفسي بعد أن أقابل الوزير وأسير من عنده وأقضى حاجتي وأتيت الي عند الوزير لأخذ الدراهم واحذفهم الي عنده لان هذا شيء كثير فاعطاه الدراهم والقاهم اليه والدلال نفق حجره في قاعة الدار وخرج يهرول فقال له الوزير وقد أعجبه ذلك الحال يا دلال ان خذ البيعة وهات الدراهم لانهم لم يسوا قرشا واحدا وأنا لست بشاري فقال له يا وزير الزمان قيم شيء على شيء فضحك الوزير وكان يقول للدلال هذا الكلام على سبيل المزاح هذا وقد قال الوزير لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم ان الوزير ركب وقد ترك المزود والبواييج ولم يأخذهم وسار الي عند الماليك ووبخهم بعد أن سأهم على ما ضاع لهم من تلك الليلة فاخبروه فآكثر عليهم الملام وأغاظهم بقبيح الكلام وتركهم وسار طالب الدينوان (قال الراوى) صلوا علي ولد عدنان فلما نظر الماليك الي ذلك الشان قلوا لبعضهم والله ما نظن الوزير يأتي الي هنا كل ليلة ويأخذ متاعنا ويمود بعد ذلك يتكلم معنا وما هذه فعال الوزير أبدا ولكن من

الرأى أتا تكون هذه الليلة نائمين مستيقظين وعن الكلام مع بعضنا ساكتين
وينام بعضنا بخلاف البعض فيكون هذا رجلاه على رأس الآخر وهذا رأسه
عند رجلين الآخر حتى تنظروا من الذي يأتي ان كان هو الوزير أم خلافه
فقالوا هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب فهذا ما كان لهم من الاسباب
قال الديناري يا أحباب صلوا على سيد الاسياد محمد خير العباد صلى الله
عليه وآله وسلم وأما ما كان من عتمان فانه في كل يوم لما يبيع الهدوم يعطى
الدرهم للقطاطري على المادة ويصنع له ما اراد من الاطعمة الى ان كانت الليلة
السابعة التي قد اعتدوا فيها الممالك فحصر عتمان الى أن نام الامير بيبرس
ونزل الى عندهم وتأمل عتمان في المكان واذا بالممالك منقسمين قسمين ذات
اليمن وذات الشمال وهم بخلاف بعضهم كما ذكرنا فتأمل عتمان في المكان فلم ير
شيئا يأخذه الا الاكر الكالسور فتقدم ولبس الكرك الاول والثاني من فوق
الاول وكذلك الثالث فصار كأنه الضرف المنفوخ واراد أن يلبس الرابع فما
قدر بل ضاق عليه فتقمط فيه وقد اخرج فيبينما هو كذلك واذا بالممالك
نهضوا على الاقدام متسارعين الى عتمان وقد أخذ الصياح من كل جانب
ومكان ونزلوا عايه بالعيدان والقطع الخيزران وهو يصيح من قلب ملآن
الحقنى يا بيبرس يا اشقر فقد ظفروا بى هؤلاء المرصين فوقعت الصيحة في
اذن الامير بيبرس فافاق من احلام نومه ولم يدرك الخبر وهو يسمع حس
الصوت فصار يهرول الى ان دخل قاعة الممالك فرآهم قائمين على عتمان وقد
ارادوا أن يستقوه شراب الهوان وقد ضيقوا عليه من كل مكان فلما عين
ذلك ما هان عليه عتمان فصاح عليهم وشرع بالث فتراجموا الى ورائهم فحصر
الامير حتى هدأ روعهم وسألهم عن حالهم فاجابوه بماتم عليهم وما فعل
عتمان معهم فالتفت الى عتمان وقال له لاي شئ يا عتمان فملت هذه القمعال فقال
له عتمان لاجل السم الهاري الذي بذوب قلبك أما تدري اني كل يوم آتي اليك بالفطير

ولخلوات والكنافة والمدموجة والهريسة فقال له ومن الذي أمرك بذلك فقال
عتمان ومن الذي أمر بذلك وما أمرني أحد غيرك فقال الامير حسبي الله ونعم
الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم تظلمني يا عتمان قال عتمان أنا
ماقلت لك أولها حلوه وآخرها مرة وكل من أكل لقمة يلطم لطمه فقال الامير
والله الذي تمالت قدرته وجلت نعمته وتنزه في عظمته أنا لا أعلم بشيء من ذلك
ولا أدري ولا لي من ذلك علم ولكن مضى الذي مضى وسامعوا عتمان في ذلك
لاجل خاطري فقالوا له هذا أمر لا يكون أبدا وما بيننا وبينك الا السلطان
فجعل الامير يطيب خاطرهم ويسألهم العفو عن ماجرى فلم يرضوا بذلك وقالوا
لا بد ان نشكو الى السلطان فتركهم على حال سبيلهم ومضى خلف عتمان وقد اخذه
من ذلك الغضب وكان عتمان قد سبقه وكن في مكان آخر حتي طلع الامير وطلبه فما
وجده فطلع الي فرشه ونام باقى ليلته على غيظه وكذلك المماليك جعلوا يدبرون امرهم
وهم لا يصدقون بالنهار ان يطلع فهذا ما كان من امرهم وأما ما كان من الملك الصالح
فانه بات واصبح ظهر وجلس على التخت تكامل الديوان بالعساكر والرجال قرأ القاري
وختم دعا الداعي وختم صاح شاو يش الديوان وهو يقول صلو اعل طه الرسول

يا خائفا من دهره كن آمنا	وانظر لا ييات أنت للشعرا
كم من سقيم عاش بملته	كم من صحيح بات وسط المقبرا
كم من غني بات فارح بماله	اصبح الصباح وهو في زمام الفقرا
كم من فقير بات شاكي بمذره	اصبح الصباح واحواله ميسره
كم من سلطان بات ظالم في حكمه	وعنده رجل في الاسجان مسيرا
أصبح السلطان مسجون يا فقي	واصبح المسجون يتعاطى حكم الامرا
هذه دلائل ربنا في حكمه	وارفع بذاك للذي بسط اثره

قال الملك آمنا بالله ممعنا خيرا ورد العاقبة الى الخير يا ربنا خاتمة خير

قبل منتهى الاجل وصار الملك يتعاطى القصص ويزيل القصص بالجسد
 والانصاف حكم ما امر مولانا جد الاشراف واذا بالماليك نهضوا من
 علي كراسيهم ومراتبهم ووقفوا في محل الطلب عن آخرهم قال الملك ما اغبر
 قالوا يا امير المؤمنين امدك الله بالنصر والتحكين اعلم ان بيبرس اوصي علينا
 عثمان سرق حوائجنا ولم يزل كذلك حتى قبضناه بايدينا فنزل الينا بيبرس
 وخلصه من ايدينا ثم اعادوا عليه القصة من اولها الى آخرها وقد
 كشفوا له عن باطنها وظاهرها فلما فرغوا من الكلام واذا بالقاضي تحرك
 من مكانه وقد جنح طيلسانه وهزديدانه ونقض اكمامه وقبر الصمامه وأبدأ
 في كلامه وقال يا مولانا السلطان انا كم أقول لك هذا القول مرارا وأعيده
 لك أسرارا واجهارا واقول لك ان هذا الغلام قد اتانا دسيسة من بلاد
 الاعجم يريد أن يفسد ملكك ويزيل سعدك وما هو الا ضدك وانت كذبتني
 ولا تصدقني ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا مولانا السلطان قد
 دور الحق على اعطاه حتى رآه وهذا الاخر عثمان مؤذي لكل الانام
 وقد جرت له العوائد بذلك الشأن وهذا أمر مضر يا مولانا السلطان ينبغي
 ازالة الضرر في كل الاديان فقال الملك اسكت يا قاضي حتي يظهر الحق وبيان
 ثم التفت الملك الى الامير بيبرس وقال له احق ما يقولون في حق عثمان فقال الامير
 وحق رأس السلطان لم يكن لي علم بذلك الشأن فقال الملك اثنتا بالاسطى عثمان حتي
 نسمع مقالته وما الذي قد جرى له فاجاب الامير ونزل الي عثمان وقال له قد اتقمت القضية
 على يد السلطان فقال له عثمان وما الذي يجرني وسوف تنظروني فقال له اخاف عليك
 ان يثبت عليك القاضي الدعوى امام السلطان بالسرقة فيقطع يدك فقال عثمان
 وكيف العمل أيها الامير قال له اذا انت وقفت قدام السلطان وسالك عن
 هذا الشأن تقول له انا لم أعلم بذلك ولا معي خبر ولا لي علم ابدا بما قد
 جري وان كلامهم حقا وما قالوه صدقا فيأتون علي بينة يشهدون فقال

عتمان هذا هو الصواب ثم طلع الى الديوان وصاح بالبل موال
ظنو العدا أننا متنا وما متنا وتباشروا بالفرح في طول غيبتنا
ان اذن الله وعدنا مثل عادتنا جملنا الاعادي بالسيف غنيمتنا
قال الديناري فقال الملك أهلا وسهلا يا شيخ عتمان انت قد حصن منلا، كذا
وكذا قال نعم ولكن كل شيء له سبب من الاسباب قال الملك سبعاً سبب
الاسباب وما الاصل في ذلك يا عتمان قال عتمان خذ اقرأ هذه الورقة فاخذها
الملك وقرأها واذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من اعتدى عليكم الآية قال الملك
آمنت بالله العظيم وبالنبي الكريم صدق ربي ومن يكذب بشي من القرآن يكفر
والعياذ بالله تعالى هذه آية عظيمة يا شيخ عتمان من كلام الله تعالى قال من ابطلها
أبطل الله رجاء قال الملك نعم قال عتمان يا ابو جوطه انك لما أمرتنا بالانتقال
الى هذا المكان وربت لنا الاطعمة في الغداء وفي العشاء وربت لنا قدر ايش
قال الملك ربت لكم ما هو كذا وكذا من طعام وشراب وحلوى قال عتمان أول
يوم طلعت لنا الصفرة كاملة فاكلنا وشربنا وحمدنا الله تعالى وثاني يوم كذلك
واليوم الثالث طلعت لنا الصفرة فيها أربعة أصحن أول صحن منهم شاربك الذي
اتقطع والثاني رجلك التي انجزعت والثالث يدك التي اتملخت والرابع غرعتك
التي وقعت يعني شربه وملوخي وقرع ورجله فلما رأى ذلك الاشقر قال لعل
ان يكون حصل للطباخ عذر ذلك اليوم قدم الى الطعام فقدمت له الطعام
فقال لي افطر يا عتمان فقلت له انا شبعان فأكل كل هو فلما كان العشاء كذلك
وثاني يوم كذلك فلما تناولت على ذلك خمسة أيام قلت انا لا بد ان اكشف
هذا الامر ونزلت الى الطباخ وسألته عن ذلك فأخبرني بانه يخرج الصفرة
كاملة كل مرة ثم انه أحضر الفلام السفرجي فقال له الفلام بعد أن سأله
عن ذلك يا صبي اعلم ان المالك يبقون لي على رأس السلام يأخذون صفرة
الطبردار من دون الطعام وبأكلونها وما يبقون فيها سوى الاربعة اصحن

فقلت أنا لا بد ان أشاهد ذلك بعيني ثم أمرت الطباخ فأحضر الطعام واحتمله
الغلام وسار به في وقت الغدا وسرت انا قبله وكنت في السلام وجعلت انظر
بعيني فلما أقبلت الغلمان بالطعام خرجت المماليك وهم أربعة بشتك وسنقر
وعلاء الدين والخطير وصاروا يسألون الغلمان لمن هذه الصفرة فيقولون الي
السلحدار فيتركوه والاخري الى الشيطان فيتركوه وما زالوا على مثل ذلك حتى
اقبل الغلام بصفرة الاشقر فقالوا لمن هذه فقال الغلام الى الطيردار قالوا له
نزلها هنا فنزلها فاكلوا ما طاب لهم منها وقد مد يده علاء الدين الى قبة الاسلام
فهدمها مرة واحدة وقال للغلام ارفعها الآن وأديها الى أصحابها فلما عاينت
ذلك يا أمير المؤمنين قلت والله لا بد أن اجازيهم على فعلهم ولما انهم اعتدوا
علينا بمجوع الكبد فانا لا اتمدى عليهم الا بعزي الجسد ثم تركتهم وطلعت
عند الاشقر وانا كاتم هذا الامر في نفسي الى ان جاء وقت العشاء فصليتنا
وجلس الاشقر يقرأ في القرآن فسمعتة يقول هذه الآية فقلت له اكتبها لي
لاني كنت عيان ومعمتها فشفاني الذي انزلها فقال لي صدقت يا شيخ عثمان
لان القرآن كله شفاء وموعظة وهدي ولكن أخاف ان تكون قاصدا بها
أمرها من الامور خلاف ما ذكرت فقلت لا وحق رأسك وذقن ابو جموطة
فلما خلعت له بذلك صدقي ولم يعلم بأني خلعت بذقنك باطلا قال الملك ساعحك
الله يا عثمان قال يعني ايش ان هي الاشوية شعر ولو كان الشعر فيه خير ما
كان يطلع بقرب الاير قال الملك قول ياسيدي عثمان وما الذي جري بعد
ذلك قال عثمان ثم ان الاشقر كتب لي هذه الآية فأخذتها وصبرت الى ان
نام ونزلت الي المماليك وسرقت أول ليلة التيجان وثاني ليلة الحياصات
ولم أزل اسرق منهم كل ليلة حاجة وامصى بها الى الدلال وايمها بخمسة
وسمين قرش واجيب بها الفطورات العظام والمدموجات والحلاوات وأقول
للاشقر كل فيسألني عن ذلك فأقول له من عند أي غزية الحبلة فما فيه شيء

مضر فلما كانت الليلة الثامنة نزلت اخذت الاكراك وجعلت البس واحد بعد واحد حتى ضاق القوقاي وانجزع فنهضوا على الممالك وقبضوني وجعلوا يضربوني الى ان استغثت بالاشقر فاتي لي وخلصني منهم وسألني عن الخبر فحكيت له القصة فصار يتمطف بخاطر الممالك ويسألهم السماح فلم يرضوا بذلك وقالوا غدا نقيم الدعوي على يد الملك الصالح نخاف الاشقر منك وقال لي انكر هذا الامر لانه ان ثبت عليك الحرام يقطعون يدك لاسيما القاضي وهو ضدك فقلت له دعني انا وأبوجوطه ولا لك بنا دعوة فقال لي يا عتمان اخاف عليك منه قلت له هذا تيس ثم اتفق الحال على انني انكر ذلك وقد اتوا الممالك وشكوا اليك حالهم عن ذلك فقال لك انا لا ادري فارسلت احضرتني فاخبرتك بما قد جري وحق مكون الاكوان هذا ماجري من ذلك الامر والشأن ونحن لاشغنا ولا رأينا ولا عندنا علم بذلك (قال الديناري) فلما سمع الملك ذلك التفت الي القاضي والممالك وقال له ماتقول يا قاضي في هذه الآية فقال القاضي يا ملك الاسلام لا أقول شيئا أبدا في ذلك فقال الملك للممالك وانتم لاي شيء فعلتم هذه الفعالم اما لكم تراتيب مثلهم والله يا حاج شاهين الحق بيدعتان فيما فعله والعيب بدأ من هؤلاء الكلاب ثم انه اغتاض وقال ابن الرجل ابو حديدة عوجه قال نعم قال الملك امرتك ان تعلم هؤلاء الاربعة آذانهم لانهم فعلوا ذلك الفعالم فعند ذلك قال له الوزير الاغا شاهين رحمة الله عليه وعلى جميع المؤمنين يا ملك الاسلام وحق رأسك ان عتمان كان يبيع هذه الحاجات الى الدلال والدلال يأتي بهم الى عندي ويأخذ مني قدر الذي اعطاه الى عتمان مرتين في كل يوم وانا آتي اليهم بجوانجهم واعطيهم لهم وكل ذلك حبا فيك يا أمير المؤمنين ولا انكلم بكلمة واحدة ابدا والآن فمن الرأي السديد حيث ان عتمان جزاهم على فعالهم فيصكفيهم ما جرى عليهم واتركهم وامر الامير بيبرس ان ينتقل من عندهم ولا يجاورهم فقال الملك اطلقوهم ثم

قال ياج شاهين ناس ترزق من ناس والسكون عامر ولكن ياسيدي بيبرس انتقل من جوارم الى داخل القلعة واسكن بالمكان الذي بجوار مكاني ولا تقرب مكان هؤلاء المهاليك فقال بيبرس سمعا وطاعة ثم امر عتمان بالانتقال اليها فبهر عتمان فرآها توهج الابصار وتتحير فيها النظر وقد رآها مفروشة كأنها عروسه تتجلى ولم يحتاج الى شيء من عند الامير فانتقل اليها الامير بيبرس ذلك اليوم وقد زال عنه التعب والهم فلما جن الليل وانسدل بالظلام وانهزم النهار بالارتحال نهض الملك الصالح ودخل الى سرايته واعلم السيدة فاطمة بما جري من قصته فقالت له والله ياملك الاسلام ان قلبي قد أحب هذا الغلام من دون كل الآنام فقال لها الملك وكذلك انا الآخر احبه قلبي من دون البشر فقالت له ياملك الاسلام اعلم اني انا من غير ذرية وانت وان كان لك ذرية فما هي الا بين يديك وانا اريد ان تجعل هذا الغلام ولدنا فهو أحق بما ملكت ايدينا لانه والله بطل همام وفارس ضرغام والمعباده لها عليه شهود وأعلام فقال لها الملك هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب فقالت له ان اردت ذلك يا أمير المؤمنين فانهض اليه وآتي به الى عندنا عن يقين فقال لها على الرأس والعين ثم ان الملك نهض في مابل الحال وطرق الباب فأجابه عتمان وقال من الطارق في ليل الغاسق فقال له افتح يا شيخ عتمان انا الفقير الى الملك المنان الملك الصالح فقال عتمان امضي الى حال سبيلك يا قرنان انت لك النهار والا لك الليل في الظلام فقال له يا شيخ عتمان افتح الباب لأنني قد عرض لي سبب من الاسباب فقلل له امضي الى حال سبيلك والا أقوم لك بالرزة وأسقيك كأس المذاب لأنني عرفت منك انك ما اتيت في الليل الا وانت تريد ان تقسد بالاشقر على كل منكر لانك رجل كثير اللجاج والخطر .

قال الراوي وكان الامير بيبرس مشغول بالصلاة والقراءة والمعبادة فتم ما هو فيه على غاية العجلة وقال من هذا يا عتمان الذي طرق الباب وأنت

تجاونه بأصعب خطاب قال عثمان هذا أبوجوطة فلما سمع بيرس ذلك الكلام من عثمان نهض مسرعا على الاقدام وتقدم الى الباب وفتحه للسلطان فدخل عند ذلك السلطان وقد قبل يده الامير بيرس وأجلسه ووقف بين يديه في الخدمة فلما استقر به الجلوس قال له الامير ادام الله بقاء مولانا السلطان وأعزه على كامل الاقران ما السبب الذي أوجب دخولك الى ذلك المكان فقال له الملك اعلم يا ولدي ان لهذا سبب وأي سبب وحق من على عرشه استوي وعن الابصار احتجب وما أتيت في هذا الوقت يا ولدي الا لا وثق عهد الله بيني وبينك فقال عثمان ماتلف ووقع به الخسران ولا بقاينفع فيه شيء من ذلك الشان فعند ذلك غمزه بيرس بطرفه فقال له عثمان غمزك حنش بكومك انت وباه سوي كلمة الحق تقف في الزور فضحك الملك الصالح من كلامه وقال دعنا الساعه من الهذيان ثم ان الملك وضع القبضة بينه وبين بيرس وقال له يا ولدي هذا عهد الله شهد الله علينا انك ولدي وانا والدك في مقام عهد الله على ما يرضى الله والله وملائكيه ورسله علينا من الشاهدين وحسي الله ونعم الوكيل والله على ما اقول وكيل (قال الراوى) ولما انقضى العهد بينهما أمر الملك بأحضار الطعام وأحضر الدقة والقرايش وقال باسم الله كلوا مما قسم الله فهذا زاد الفقراء فقال عثمان بلا لهجة حنش يدق في بيضك هذا وقد تقدم الامير بيرس وأكل لقمة والملك الصالح كذلك وأما عثمان فانه تقدم اليهم وأكل لقمة وسرق ثلثه ووضعهم في جيبه فقال الملك الصالح وقد كشف عليه الله الله يا شيخ عثمان لكل شيء سبب وبيان ولا شيء يا سيدي يا شيخ عثمان لما ينفع حتى القمح في البيت فقال عثمان انت مالك يا اغا جتك داهيه من دون الملوك انت لسانك فيه حته زائدة فقال له الملك انت لسانك اطول مني ولكن الحق لك على يا شيخ عثمان هذا وقد جلسوا يتحدثون مع بعضهم الى ان تناصف الليل فقال عثمان للملك الصالح قم الى بيتك خلدنا ننام

فنهض الملك على الاقدام وتركهم وسار من عندهم الى سرايته ودخل
فراي السيدة فاطمه مثل الجمل الهائج الولهان وهي تهرجم كلها ذكر النعام
وهي تقول لاي شيء انت تجعله ابنك من دون الانام وتحرمني انا من ذلك
الامر والشان فلا كان ذلك أبدا ولو سقيت كأس الردي ولا اسلط عليك الحارية
حرير فلما سمع ذلك الملك من السيدة فاطمه تركها وعاد راجعا الى القاعة وكان
عثمان بعد ان خرج الملك قفلهما وجعل يبهرس يعاتب عثمان ويقول له انت
تقول للملك كذا وكذا من السكلا وتتكلم في حق السلطان وعثمان لا يعني
به ولا يرد عليه سؤال فبينما هم على ذلك الشان واذا بالباب قد طرق عليهم
فقال عثمان ارجع بقا بلا غلبه وكثرة الكلام فارجوعك اليه بعد ان افسدته
والا اقوم لك بالرزة واسقيك كأس التلاف فقال يبهرس من الباب فقال له
عثمان ها هو الرجل الذي كان عندنا فقام ونهض يبهرس وفتح الباب وقبل
يد الملك فقال له يا ولدي سر معي الى السيدة فاطمه زوجتي شجرة الدر
فقال الامير ممما وطاعة للملك في النهي والامر قال عثمان جائكم داهية انتم
وهي سوي هذا والملك لا يؤاخذ عثمان على ما يقول ويبهرس يغمزه
ويسكته عن هذا القول وهو لا يعني به (ياسادة) (يا كرام) ثم ان الامير
يبهرس سار مع الملك الى السراية وقد وضع بينه وبين زوجته القبضة وكان
ذلك لاتمام سعادته وكمال براعته وتذكاره قصته وقد اراد الله ذلك لما في علم
محيثته ثم بعد ذلك عاد الامير الى قاعته وترك السلطان عند زوجته فلما
راه عثمان قال له اخذك ابوجوطه خمر ك في الظلام فقال له الامير يا عثمان لا تتكلم
بمثل هذا الكلام فقال له غدا تسمع هذه الاحكام من سائر الانام (ياسادة) ولم يزل
يبهرس يسكت عثمان وهو يزيد في الهذيان الى ان لاح الفجر وبان وعلا
النهار للاعيان وترتب الديوان وحضر اليه سائر الاعوان وقد وقع لكلام
عثمان شاهد عظيم وبرهان وشاع الامر بعد اليكتمان واتضح الحال لكل انسان

وذلك ان الممالك البخضين جعلوا يتكلمون في حق أمير المؤمنين وقد ثبت عندهم عن يقين ان الملك الصالح ولايته مثل الطين وقد قال بعضهم لبعض ألم يكفيه النهار الطويل وهو يتأمل فيه حتى كاد غنقه أن يميل حتى يأخذه ليلاً إلى قاعة جلوسه ويعضه ويبوسه ويحمله مثل الحريم فقال واحد منهم لابد أن يعمل خضض وما هو إلا أدهى منه وانحس فقال الآخر والله ان هذه ولاية سوداء وقال الثالث يخلطه وما زالوا في قيل وقال وضرب أمثال وأقبح مقال حتى ظهر الملك الصالح وجلس على تخته بين الرجال وأحدثت به سائر العمال وقد قرأ القاري وختم ودعى الداعي وختم ورقى الراعى وختم صاح شاوليش الديوان وهو يقول

انا غيرت دي الدنيا وأحوال الملوك تتغير
قد جل الذي في ملكه يغير ولا يتغير

قال الملك أمنا سبحانه مالك الممالك سبحانه المنجي من الشدائد والمهاالك سبحانه من عنده كل ملك كملوك وكل غنى كملوك يا حاج شاهين قال نعم يا أمير المؤمنين قال له أما سمعت قول رسول رب العالمين وهو سيد الاولين والآخرين حيث يقول هذا الحديث رحم الله امرأ ذب النبية عن نفسه قال نعم يا أمير المؤمنين ولاي شيء ذلك الكلام قد حدث منك في هذا المقام قال له قد خطر ببالي ذلك والله يعلم ما في قلبي ولكن يا حاج شاهين أريد أن تنظر لولدي بيبرس خدمة غير هذه الطير جناح العقاب لان الناس لهم ألسن كالمبارد وأنا أخاف من كثرة الكلام البارد فقال له تلبسه سلحدار السلطنة قال الملك لبسه سلحدار وهو يلبس بمعرفته من بعض أتباعه طير دار فعند ذلك لبسه الوزير بمعرفته ذلك المنصب العظيم وأتي بملوك خاص والبسه طير دار وذلك لاجل أن يكون الفايز كله اليه ولا يخرج من بين يديه (ياساده) وقد أقام بيبرس في السلحدار مدة عشر أيام فقلق الملك عليه فقال وقد حاج باوزير الزمان انا

قلت لك لبس بيرس سلحدار لاجل ان يكون بعيدا عني وما أريده الا ان يكون دائما قدامى حتي اني أبلغ ما أروم من مرامى ولا أشتهي منك الا ان تلبسه منصب يكون في ديواني فان بعهه يؤلم قلبي وجناني فقال الوزير يا مولانا أزال الله عنك النقص تلبسه الآن أمير قصص يعني معناه كل من كان له دعوى أو قصه معروضة للديوان يأخذها منه ويقدمها الى السلطان فقال الملك لبسه الآن قلبسه الوزير ووقف في باب الديوان وقد زادت علة القاضي ونزلت عليه الاحزان وتلاوون وعلاي الدين ومن معهم من الغلمان المبغضين لهذا الانسان قال الراوي فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان من أمر القاضي فانه قد كبرت علة وكادت تنفطر مرارته وحلت به حسرته وقلت نهضته وذلك لانه لم يبلغ من بيرس منيته ثم انه رجع الى مكروه وخداعه وكيدته ولعننته وحيلته فجعل يدبر هذه التوبة بكل ما يقدر عليه من مكروه وقد صبر على بليته حتي انقض الديوان ونزلت الرجال الى حال سبيلهم ونزل القاضي وغلامه الى حارته ولما وصل الى حارته وهي حارة الروم زادت عليه الهموم وتوارت عليه سائر الغموم فالتفت الى غلامه وقال له استاذك كاد أن يموت ويقضي نحبه فقال له ولاي شيء ذلك فقال له لاجل هذا الغلام المقتول الذي كل مادرت له مهلك يعملوا به منصب ومنه يسلك ولم يهلك ولكن خذ يا ولدي هذا الكتاب وسر به الى قلعة بورش واعطيه الى عزقول البوارشي وأمره أن يعمل بما فيه ثم انه ناوله الكتاب فأخذ وسار به الى ما أمره به ولم يزل سائر الى أن وصل الى قلعة بوارش ودخل على عزقول وكان هذا عزقول فداوي نصراني ثقيل الدماغ ينقب تحتاني لمعلق فوقاني يقتل القتيل ويمشي في جنازته فلما دخل عليه البرتقش ابن سيف الروم عرفه فسلم عليه وقال له ما معك من الاخبار فناوله الكتاب فخله اللعين وقرأه وفهم رموزه ومعناه واذا أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحدهم القريب المحيب خطابا من شيخ الراجيس

ومن هو في الارض خليفة ابليس التemis النحيس الكاهن جوان بن عصفوظ
الغيلوطي الى بين أبادي قليوني عزقول اعلم يا ولدي ان السيد المسيح اعلمني
ان قتل هذا الغلام على يديك خال وقوفك على هذا الكتاب تكون رجلك
في الركاب وتسير من ساعتك حتى تأتي الى ديوان مصر وأنت لابس ملابس
الخوارج التجار واذا دخلت تجد غلاما هناك واقف على باب الديون فاذا
عابنك يسألك عن حالك لانه يتلقى القصص فاذا سألك وقال لك ما معك
فاعلم انه هو المطلوب فقل له معي قصة أريد أقدمها الى مولاي أمير المؤمنين
ثم اعطيه القصة وهي ورقة بيضاء مملوءة فاذا هو أخذها وانصرف عنك
وأعطاك ظهره فاضربه بحسامك على عاتقه يخرجك من علايقه فاذا فعلت ذلك
تقول سيمون يا سيمون يخطفك حواري طيار من الحواريين الكبار يأتي
بك الى عندي ولم يكن لاحد عليك من سبيل واتى قد وهبت لك مائة سنة
زيادة لك في صررك وعشرة فدادين في سقر قول يا بركة عالم الملة جوان شكر
يا مسيح والسلام

قال الراوي فلما قرأ الملعون الكتاب فرح وطاب وقال يا فرحتي وباتتيجي
الذي عالم الملة كاتبه ثم ركب من وقته وشارط طالب أرض مصر ولم يزل سائرو هو
لم يأخذه قرار حتى وصل الى الديوان وكان البرتقش أخذ منه ردالجواب وحادبه
الى أستاذه جوان يعلمه فيه بأنه قادم على أثر البرتقش فلما قرأ الجواب فرح الفرح
الشديد الذي ما عليه من مزبد ثم انه جعل ينتظره فهذا ما كان منه وأما ما كان
من اللعين عزقول فانه ركب من وقته وساعته وقلع ملابسه ولبس ملابس الاسلام
وسار حتى وصل الى مصر وطلع الى الديوان كما ذكرنا وزعق مظلوم وقدم
قصته فأخذها منه الامير بيبرس وحاد راجما وأعطى بظهره للمقدم زعقول
غلاء الملعون حتى التفت وحط يده على الشاكرية وأراد أن يضرب الامير بيبرس
واذا بشاكرية لمت ونطعت أخذت دماغ الملعون فسقط الى الارض قتيل

وفي دماء جديد فمعد ذلك قال القاضي ما يحل من الله رجل مظلوم يقتله بيبرس في الديوان فمثل ماقتل يقتل وعلى قتله مائة جواد ومائة مملوك ومائة ألف دينار ذهب من مالي وصلب حالي ابتغاه لمرضاة الله تعالى وزكاة عن قلبي وأنت يا إيبك عليك مثلهم فقال الملك ارسل احضر لنا المال حتي ننظر ما يكون من هذا الحال. فلما حضر المال قال الملك الصالح يا بيبرس انت قتلت هذا البشر قال له لا وحيات رأسك يا مولانا السلطان ماقتلته فقال القاضي انت قتلته فبيناهم كذلك واذا باثنين فداويه اخوات من اولاد اسماعيل واحدا سمه صقر اللوالي والثاني اسمه صقر الهجان وقد تقدما وباسايد السلطان وقال يا بيبرس ماله ذنب ولا قتلة الا نحن وهذا تصرافي اسمه عز قول البوارشي لا نتا تبعنا أثره من حين عبر الطريق الي ان وصل الى هذا المكان فرأيناه نحامل على بيبرس و اراد أن يقتله فقتلناه فقال الملك الصالح اكشف لنا عليه يا قاضي فهض اليه القاضي وتأمله فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال الملك ما الخبر يا قاضي قال هو نصراني يا أمير المؤمنين قال ماجراؤه يا قاضي قال يحرق ويذرا رماده في الهوي فقال الملك افعلوا ما قال القاضي فأخذوه وفعلوا به ذلك ثم قال الملك الصالح ياسيدي خذ هؤلاء الاثنين واعزمهم عندك واكرمهم غاية الاكرام ثم قال يا قاضي الآن ظهر الحق فقال القاضي ان الحق ظاهر مثل الشمس فقال الملك وأنت يا قاضي المال الذي دفعته انت وايبك على قتل بيبرس أو على اظهار الحق فقال القاضي علي اظهار الحق فقال الملك ولما بان الحق قال له يرجع المال الي بيت المسلمين فقال الملك بيت مال المسلمين مستغنيا عن ذلك قال يرجع لمولانا الملك قال الملك أنا أهبه هبة كريم لا يرد في عطاه الي ولدي بيبرس ثم ان الامير بيبرس أخذ تلك الاموال وأخذ معه الاصقار ونزل بهم من الديوان وسار الي دار نجم الدين البندقداري وقد اكرمهم غاية الاكرام ولما انبسط معهم بالليل وكثر بينهم الكلام قالوا

ليبيرس ياسيدنا انت اليو صاحب مرتبة في الديوان ومقصود ونايتك الناس
 للضيافات وغير ذلك فلا بأس ان تشري لك دارا خصوصية لنفسك فقال لهم
 يبيرس يا اخواني انا مملوك وان المملوك لا يملك فقالوا له الاصغار انت لست
 بمملوك بل انت ابن ملك من الملوك الاكابر وقد ثبت ذلك عندنا في جفر
 جندنا الامام علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه وكان هذا بتقدير اللطيف الخبير فقال
 لهم يبيرس هذا شيء لا يكون الا بعد المتق فان عتقني الملك فعلت تلك الفعالة
 (قال الراوي) فلما سموا الاصغار منه ذلك المفال قالوا له وكيف يكون ذلك
 الامر وانت ثابت عندنا في الجفر بأنك لست بمملوك وما انت الامن اولاد
 الملوك وكل هذه تقادير من الله تعالى فهو اللطيف الخبير ولكن نحن في غداة
 غد نطلع الي الملك الصالح ونسأله في تلك المصالح فقال لهم افعلوا ما بداكم
 ولا يكون الا ما اراد ربي وربكم ثم اتهم اقاموا الى ان اصبح الله الصباح وأضاء
 الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رذوس الروابي والبطاح وصلت على
 سيدنا محمد سيد الملائح صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ذوي الاقوال
 الصالح ركبوا مع بعضهم وساروا قاصدين الديوان فهذا ما كان منهم (قال
 الراوي) واما ما كان من الملك الصالح ايوب ولى الله المجدوب فان الاغوات
 دخلوا عليه واعلموه بان الديوان تكامل فقال الملك وعلى الله الكمال
 ثم نهض على الاقدام وهو يتوكأ على قضيب خيزران وقد سارت بين يديه
 الفلمان حتى وصلوا الى باب الديوان وسلموا على الاخوان فاجابوا وقرأ الفاتحة
 وأهداها الي روح النبي صلى الله عليه وسلم ثم الي ارواح أحبائه وأولاده
 وذريته وما تناسل وتواصل بينهم ثم الي ارواح الملوك السابقين قبله والمتأخرين
 بعده وجلس السلطان وجلست بعده الرجال وقرأ القاريء وختم ودعى
 الداعي وختم ورق الراني وختم صاح شاوليش الديوان بقول صلى على الرسول

الدوام لله باقى سمرمدا قبل كل الوجود وبعد الزوال

وكل ما نظرت هناك زائل ويبقى وجه ربك ذو الجلال

قال الراوى قال الملك آمننا سبحانه مالك الممالك سبحانه المنجى من
الشدائد والمهلك سبحانه من عنده كل ملك كملوك وكل غنى كصعولك ثم
ان الملك أراد ان يتعاطى القصص ويزيل الفصص واذاب الاثنين الفداوية يقبلون
الارض بين يديه فلما رآهم الملك ترحب بهم وأمرهم بالجلوس فجلسوا وقد
وقف الامير بيبرس في مكانه وراق الديوان فقال الملك يا حاج شاهين اعلم ان
الناس تكلموا بالحق ونطقوا بالصدق والله يا حاج شاهين ان الحق معهم ولكن
يا سيدي بيبرس قال نعم يا أمير المؤمنين قال له أنا يوم كنا في ارض الجزيرة
ما قلت لك أنت حر لوجه الله تعالى والمؤمن يا ولدي عند قوله اذا قال صدق
واذا وعد وفي واذا اذعن لا يخن أما كفالك هذا واني أشهدكم على يا معاشر
الحاضرين من اخواننا المسلمين ان هذا بيبرس حر لوجه الله الكريم ولاجل
خاطره جميع الممالك الذين أتوا معه احرار لوجه الله الكريم اكتبوا لكل
واحد حجة معه بذلك ليذهب الشك باليقين فاجابوه بالسمع والطاعة وكتبوا
لهم الجميع وأعطوا لكل واحد منهم حجة (يا سادة) ولما سمعوا الاثنين
المقادم من الملك تلك الاشاي والمعالم اثبتوا له الولاية والمكارم وقالوا لبعضهم
هذا هو سؤالنا الذي كنا نريده فقد اجابنا عليه من قبل ان نذكره بين يديه ثم
انهم قالوا له والله يا أمير المؤمنين ان هذا الدولتلى مكتوب عندنا ومنتبوت في
جفر امامنا الاكبر أنه ليس بملوك وما هو الا من بعض اولاد الملوك قال لهم
صدقتم فيما نطقتم وليكننى اشتهى منكم اننى اسمع تأصيلته في هذا الوقت
والساعة حيث أنه ورد عليكم في جفر ابن صمك صاحب الشفاعة لاجل ان يظهر
الحال وبذهب الحال وتفرح المحبين وتنكد المبغضين فقالوا سمعنا وطاعة يا
امير المؤمنين قال الراوى وكان لذلك سبب عجيب وامر مطرب غريب وذلك ان

أبو شاه جمعك كان له أخوين الأول يقال له شاه طلعه والآخر يقال له شاه لمعه
 وكان أبوهما كبير السن وقد أراد أن يمتحن أولاده حتى إذا رأى منهم ما يكون
 يصلح من بعده للسلطنة يجلسه بها في حياته فاجلس الأول في بعض الأيام
 وهو شاه طلعه وقد أمره أن يحكم بين الرجال حكم فيهم إلى آخر النهار فاني
 ليلا إلى عنده وأجلسه إلى جانبه وقال له كيف رأيت نفسك قال رأيت نفسي
 مثل السبع الكاسر والدولة حولي مثل الغنم فقال له والله يا أخي مثل ما رأيتهم
 وأوك ثم أجلس أخاه الآخر ثاني يوم حكم إلى آخر النهار وقد سأله أيضا
 وقال له كيف رأيت نفسك قال مثل العصفور الجارح والدولة حولي مثل
 الطيور الضعاف فقال له قد رأوك مثل ما رأيتهم فلما كان اليوم الثالث أجلس
 ولده الصغير وهو شاه جمعك وسأله آخر النهار وقال له كيف رأيت نفسك قال
 رأيت نفسي ككأني عصفور ضعيف ما بين صقور شواهين وقد نهياً لي إذا
 نظرت إليهم يأكلوني فقال له والله وهم كذلك ومثل ما رأيتهم وأوك وما يصلح
 للملكة إلا أنت ثم انه أولاد الملكة وتحول له عنها ورمى بها دون أولاده
 فلما رأوا ذلك هذين الاثنين امتلأت قلوبهم عليه غيظا وحقا وقالوا لبعضهم
 كيف يكون هذا أصغرنا ويوليه أبوه الملكة دوننا ولا بد لنا من هلاكه
 وسوء ارتبأك ثم انهم أظهروا له الفرص والاستبشار وفي قلوبهم منه النار
 وجعلوا يدبرون له المكائد ويتمنون له النوائب والشدائد ولم يزالوا على
 ذلك مدة من الأيام وهو يحكم بينهم بالامان ويخرج من القصر اعلا مكان
 وعليه الحرس خوفا من الخوان إلى أن توفي أبوه ودفنوه وعلوا له ما يحتاج
 إليه من اللوازم وقد تهيأ الفراغ من ذلك وجلس شاه جمعك على تخت أبيه
 وقد أطاعوه سائر أجناده وقد أجلس أخواته وجعلهم وزراءه عن يمينه
 وشماله وقال لهم ها انتم وزرائي وأنا وأنتم بالسوي وأنا مطيعا لأمركم
 ثم انه أنعم عليهما وساواهما بنفسه وقد ظن بذلك تصفي له قلوبهما فلما

كان في يوم من الايام دخل عليه بعض أحبابه وسارره في اذنه وقال له اني
جئتك ناصحاً فلا تكن لقولي تاركاً واني اعلمك أن أخواتك قد اتفقوا على
قتلك مع بعضهما وقد أضرموا لك الشر والعناد وأبدلوا ما لهم على بعض الرجال
الشداد الذين يتعصبون لهم ولاجل سلامتك أنا كنت حاضراً في ذلك المجلس
وقد اتفق الحال على أنهم يورثوك كاس النكال ومالك اليهم قلوب جميع الرجال
والرأي عندي أنه لا بقی لك ها هنا مقام في هذه الديار والاطلال ما داموا
قاصدين ذلك الحال قال فلما سمع شاه جك ذلك المقال من ذلك الرجل المنفضال
وكان يثق بقوله دون كل الرجال صبر الى الليل حتي أقبل بالانسداد ورحل
من خراسان وترك الاهل والاوطان وسار مجداً في البراري والفقر وهو
حزين القلب ولهان لا يقر له قرار في بلد ولا في مكان وقد تأسف على ما حل
به من أقاربه وكيف طلبوا هلاكه ومصايبه وهوينشد ويقول صلوا على الرسول

يا دهر كم ذا تعاندي	وترميني في كل المصايب
يا دهر جاروا علي رفقستي	وصار عدوي أعز حبايب
يا دهر قد طاهدني	بانك توفي جميع المطالب
خنت غمدي وقد أبدلته	بعد الصفا بالنكاي
ولكن هذا فمالك بالوري	وكم قبلي ضاقت عليه المذاهب
فلا عتب عليك ولا	ملام ولا أمان لكاذب
ولكنني أصبر على بلوتي	وبالصبر أبلغ جميع مكاسب
فان كان لي سعداً موقفاً	نلت به بامر رب غالب
وان كان هذا من قسمي	فلا اعتراض على الكريم الوهاب
واني أسألت أمري لمن	أنشأ الوري من الماء الساكب

قال الراوي ولم يزل القسان شاه جك سائراً الى ان وصل الى أرض
توازي المعجم بأذن باري النعم ومنها الى خوارزم سار قاصداً فيينا هو

سائر في بعض الطرقات وإذا قد وجد في طريقه سباعا غصنفر قدر الثور الكبير
وقد هجم على رجل كبير طاعن في السن وهو راكب على جواد وقد أحاطه
الأسد وكاد أن يكسره وهو يستغيث فلا يثا ولا يستجير فلا ينجار ولا له قوة
على مدافعة الأسد بل أنه سلم أمره إلى الفرد الصمد وقطع أياسه من سائر
البشر ورفع طرفه إلى صاحب الأمر والقدر وأنشد يقول هذه الأبيات صلوا
وسلموا علي صاحب المعجزات صلى الله عليه وآله وسلم

يارب يا رباه يا خالق الوري يا من تعالي عن شريك واصحاب
اغثنى يا خالقى مما حل بي بحق محمد سيد الاحباب
وارسلني مجيراً مجاه المصطفى واطلقني يا خالقى من مصاب
توسلت اليك بخير الوري طه الشفيع لنا يوم العذاب
لا تكني لنفسى طرفه فلقد ضاق صدري ودنا ذهاب
وأنت العليم بما حل بي وأنت المنيع مسبب الاسباب

قال الراوي فبينما الرجل يستغيث ويستجير ويتوسل بطله البشير النذير
وإذا قد أقبل عليه القان شاه جك ونظر إلى ما هو به من الأمر الخطير فعرف
أن ذلك الأسد قد ضايقه وسد عليه طرائقه وقال في نفسه فرج عن هذا
الرجل كربه فعمل الله أن يفرج عنه كرك ثم أنه نزل عن جواده إلى الأرض
وشد منطقتة طولاً وعرضاً وصاح إلى ابن ياكب البر فلما رآه الرجل فرح به
وأيقن بالخلاص وأما الأسد فإنه ترك مطلوبه والتفت إلى القان شاه جك وصرخ
عليه وضرب الأرض بيديه ورجليه وأراد أن يهجم عليه وإذا بالقان شاه جك
استقبله بين عينيه بالحسام فنزل السيف وبسط جبهته وقد هوي بحمته وقد
سطا الشجاع بشجاعته والأسد بقوته فلم يزل السيف بين عينيه حتى خرج من بين
نخذه فوقع إلى الأرض قتيل وفي دماه جديل ثم أن القان شاه جك مسح
الحسام في شعر الأسد ور كمو أقبل على ذلك الإنسان وقال له لا بأس عليك يا والدي

فقال له لا شئت بذاك ولا شئت فيك أعداك ولا كان من يشاك ثم انه اخذه
وسار به وقد ركب الي جانبه وصار ذلك الانسان يمدحه ويقول هذه الايات
أجارك الله من النار والبلا كما جرتني من شدتي وهواني
ووفقك الاله لكل فضيلة وفضلك ربي على سائر الاخوان
ولولاك اني كنت هالكا في وسيع البر والوديان
أرسلك لي خالق السما الله تعالى واحد منان
سقطت علي الاسد بهمة ما نالها ملك ولا سلطان
ولم أقدر أجازيك بكل مالي ولا بملكي ولا أعياني

قال الراوي ولم يزل سائرا به الى أن أقبل الي أرض خوارزم المعجم ودخل
الي مكانه واذا قد أنت اليه سائر أعوانه وانعقد له موكب عظيم وسار القان
شاه جلك الي جانبه وقد عظم في عينه فقال يا سيدي ومن أين جاء اليك
هذا الاسد ولم لا خرجت في بعض الغلمان والخدام فقال له يا ولدي أعزك
الله وأبقاك اعلم أنني خرجت في بعض الايام الي الصيد والقتل واغتنام اللذة
مع القرم وكان معي من الرجال نسمون بطلا فلما وقفنا في حلقة الصيد وقع
لنا غزاله فقلت لمن معي ضيقوا عليها وكل من تقذت منه يكون خصمي اذا لم
يأتي بها فلما سمعوا مني أجابوا بالسبح والطاعة وضيقوا الحلقة على الغزاله واذا بها
هجمت على قريوس سرحي فركبت اللجام وأردت أغنصها فهجمت من فوق
رأسي الي الخلف فلما رأوا أصحابي ذلك تبسموا ونظروا الي بعضهم بعضا فقهمت
انهم يتغازون علي فقلت لهم اذهبوا أنتم الي حال سييلكم وها أنا لها كفاية
ثم اني تركتهم ومضيت خلفها الي أن اقبلت الي ذلك المكان الذي اتيتني أنت
اليه وعبرت فأردت الدخول خلفها واذا بالاسد قد خرج علي فتركت الغزاله
ووقفت مع الاسد وجعلت أستغيث الي أن أغاثني بك ربي وهذه قصتي والسلام
فقال له يا سيدي الحمد لله رب العالمين علي السلامة ثم انهما لم يزلوا سائرين الي ان وصلوا

الى الديوان فجلس الملك وجلس القان شاه جك الى جانبه وأولاه وزيره بالمينة وبالغ في مكرمه وكان اسمه القان عبد الله ثم انه زوجه بابنته وقربه الى مرتبته وشرع له في الافراح والليالي الملاح وادخله على ابنته وكان اسمها ايق فلما كان بعد الصباحية أجلسه الى جانبه وسأله عن حاله ومن اين هو والى اين كان يريد ولم يسأله قبل ذلك ابدا وهذه عادة أهل الفضل والناس الكرام ولما سأله عن حاله قال انا رجل من خلق الله تعالى وكنت سائر في ملك الله تعالى فلما سمع ذلك منه علم بالقراسه انه من أعيان الناس الكرام أهل الحساب والنسب والاحتشام وايضا انه قد شاهد ذلك من فعالة واحكامه فقال له بالله عليك الا ما اعلمتني بقصتك واطلعتني عن سبب غربتك فلقد ظهرت لي إشارة الطيبة والامور الغريبة فلما سمع منه ذلك اعاد عليه قصته وما قدمنا ذكره من نوبته فتعجب من ذلك وكتب له حجة بالسلطنة من بعده وختمها بختمه ولم يزل متقيا عنده الي ان اتته الوفاة ودنى أجله فأوصى عليه دوته وسائر أهله وقد أوصاه على ابنته ثم قضى نحبه فواروه التراب وطمسوا له ما يحتاج اليه ولما نهيا الفراغ من ذلك جلس على كرسي ملكه وهو يحكم بين الرجال ويفضل الابطال بالمال فأحبوه سائر الرجال وأطاعوه في الاقوال والافعال وقد صار بينهم له كلمة تسمع وحرمة ترفع وقد رزقه الله من الاولاد بخمسة ذكور فسمي أحدهم تتمر والثاني سم الموت والثالث وابدغدي والرابع وايد غمش وهذا الصغير محمود وكان هذا محمود احبهم عند والده وكان ابوه لا يصبر عليه فلما كان يوم من الايام خرج الى صلاة الجمعة وأخذ أولاده من يمينه وعن شماله ولما قضت الصلاة تأمل القان شاه جك فرأى اخواته الذين قدمنا ذكرهم في ذلك الجامع وقد بلوا من الفقر مما لا يطاق فلما عرفهم تركها ولم يسأل عنها بل قال لبعض خدامه خذ هذين الرجلين وامض بهما الى الحمام ولبسهما اقخر اللباس واثنوني بهما ففعلوا ما أمر به الملك وأتوا اليه بهما

وهو جالس على تخت خوارزم المعجم فلما وقعت عينه عليهما نهض لهما قائما على الاقدام وأخذهما بملء الاحضان واجلسهما الى جانبه وقد سألهما عن حالهما وقال لهما ما سبب قدومكما وهذه الحالة حالتكما ولم يبدي لهما شيئا من الامور التي سبقت منهم فقالوا له والله يا اخانا ان سبب قدومنا وغربتنا في البلاد انه عز علينا قراقك وتركنا أرضنا لاجلك ومن شأنك وسرنا ندور عليك في سائر الارض في الطول والعرض وقد ذهب مالنا وتكدر عيشنا والحمد لله على سلامتك فلما جمع منهما ذلك الكلام ترحب بهم واجلسهم وزراهه وقد زاد حسدهم وكثر حقدهم ولم يراعوا له جيل واضمروا له الشر وقالوا لا بد ان نحسره على ولده هذا ونحرق كبده

قال الراوي وكان سبب قدمهم الى ذلك المكان وفقدهم وما صاروا فيه من الهوان كلام عجيب وامر مطرب غريب وذلك ان القان شاه جك لما ارتحل من عندهم وطلب بلادا غير بلادهم جلسوا على التخت بارض خراسان وصار هذا يحكم يوم واخوه يوم وقد طغوا وبغوا على من عندهم وكان البخل طباعهم فضاقت قلوب الدولة منهم وقالوا لا بد لنا من قتلهم كما اجمعونا في اخيهم وابلونا بما لا نطبق من قلة المال والرفيق فلما اتفقوا على ذلك الشأن سائر الرجال همضوا اليهم وقبضوهم باليد وقد أوثقوهم كثاف وقبضوا منهم السواعد والاطراف وهموا بقتلهم فقالوا لهم يا قوم لاي شيء فعلتم ذلك فقالوا لهم اعملوا اننا لم نريد كما علينا ابد ونحن نولوا على انفسنا من نريد ونختار فقالوا ما هذا صواب فاطلقونا سمنا نحن فيه ونحن نبذل لكم الاموال فقالوا لا والله لو اعطينونا مال الدنيا ما فعلنا ذلك ابدا لانكما أفعجتمونا في ملكنا واستوليتم عليه وهو اخيكم ما فيكم خير لبعضكم في اخيكم فكيف نأمن نحن منكم فقالوا يا قوم اذا لم تقبلوا ذلك فتركونا نمضي الى حال سبيلنا واطلبوا لكما ملكا غيرنا ولا تقتلونا فقالوا لهما رضيينا بذلك

ثم انهم ضربوا كل واحد منهم ثلاثمائة سوط وطردوها وولوا وديرا قد
اختاروه لاقسمهم وحكموه على رقابهم فخرجوا هذين الاثنين هاجين على
وجوههما (قال الراوي) وساروا في البراري الى ان اتوا الى ذلك المكان
واجتمعوا بأخيهم وسألهم على حالهما فانكروا ذلك وذكروا انهما تركا الملك
لأجله ومن شغقتهما عليه فشك في قولهما وقال في نفسه لعل ان يكون ذلك
حقا ومضت الاحقاد (يأساده) وجري ما جري وقد اجلسها وزراء عنده
كما ذكرنا واضرروا المناد كما قدمنا الى ان كان يوم من الايام ذكروا له انهم
يريدون الصيد والنقص وقالوا له يا أخينا نريد ان نأخذ محمود معنا فقال لهم
سمما وطاعة وقد صباهم عليه ثم انه ركب محمود بينهما وسار معهما خمسون
فارسا وقال لهم لاتغيبوا عني ولدي فقالوا له أكثر ما نغيب سبعة أيام أو عشرة
أيام فقال لهم دونكم وما تريدون ثم انهم ساروا حتى تبطنوا في ذلك الوادي
فنصبوا خيامهم وقاموا حتى امسى المساء وناموا سائر الرجال وكانوا قد اتبعوهم
يشدة المسير فلما ما ينوا ذلك اغتنموا الفرصة على محمود واوثقوه كتاف وقفوا
سواعده والاطراف وجعلوا في فمه الأكره وشدوه على جواد من الخيل الجياد
وركبوا وساروا في تلك البراري والتغفار

(قال الراوي) ولم يزلوا الحسین فارس نائمين الى الصباح فأنافوا على
نقوسهم وطلبوا ابن ملكهم ووزرائهم فلم يجدوا لهم خبر ولا وقعوا
لهم اثر فظنوا انهم اتبهبوا من النوم قبلهم وساروا يتصيدون الى آخر
النهار فلا جاء اليهم من يخبرهم فطلبوا البراري وتفرقوا في وسيع البطاح
فلم يروا لهما اثر فرجعوا خائبين وطلبوا الملك شاه جك واعلموه بما
جرى وكان فلما سمع ذلك قامت عليه القيامة وعاد على نفسه بالملامة
وبكى وان واشتكى وحس قلبه بالفراق فانشد وجعل يقول هذه الايات
صلوا على صاحب المعجزات

فديتك رفع الصبر بمدك أم حلا
وما حال حب غاب عنه حبيب
ولما رأيت القلب مال مع الهوي
حبيبي لقد أودعت في القلب حسرة
واوحشت طرفا طال ما بات ساهراً
تنقلت من عيني الى وسط مهجتي
وقالوا متى امسى فؤادك بالمنا
فقالوا اترضي ان تموت صبا
اقول لاجفاني وقد صار ميتي
فن بعده ماذا طيب مسرة
ولم انس اياما تقضت بقربه
يمر به الساقى فيختال وجهه
ومحبوبنا يجنوا علينا جماله
يميل دلالات وهو في نشوة الصبا
غزالا ينسار الطير من لسانه
عشت اهيقا حلوا الشمايل
ثنياء ريحان وثغره جوهر
قضا الدهر بالتفريق آها لفقدته
فان صرت الايام دون وصله
قال الروي وقد محمت أمه بذلك فلبست ثياب الاحزان وتنفس الصعد
من قلب ولهان وجعلت تندبه بهذه الايات

وحقكم ان قلبي لم يطلق تجلدا
يقول لي طيفكم ان الوصال غدا
وحقكم ياساداتي من بعد فرقكم
على الفراق ولو كان الوصال غدا
وهل أعيش علي رغم العدا وغدا
ماله لي طيب عيش بعدكم ابدا

وان قضى الله نحيبي في محبتكم اموت في حبكم من اعظم الشهدا
آهجب في زوايا القلب مرتعه ومن اجلكم جزاؤمي لقد شردا
ان كان في حبكم ترضوا بسفك دمي فانه فرق خدي لقد شهدا
(قال الراوي) ثم انهما جملا يندبانه بالاشعار ويرخوا عليه الدموع وقد انقطع
منهما الايس ولوما البيت من دون الناس فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأما ما كان
من أمر محمود فانهم لما أخذوه وساروا به حتى آمنوا علي أرواحهم من كان
خلفهما الى أن عبروا تلك الارض ودخلوا به الى مغار على حافته عين ماء وأراد
أحدهم قتله فقال له الآخر يا أخى لا تفعل لاتنا على كل حال في الغربه وما
نفدى مايجرى علينا فقال له وكيف نعمل في هذا ولد الزنا فقال له نخر له
حفرة هاهنا ونلقوه فيها بالحياة وهو بذلك الكتاف ونضع على قلبه حجرة
ونتركه حتى انه ان عاش فبرزه وان مات فبأجله على انى أقول انه لم يعيش
بعد ذلك أبدا وان عاش أكلوه الوحوش على انه لم يقدر يمنع نفسه وهو بهذا
الكتاف فقال له هذا هو الصواب ثم انهم فعلوا به تلك الفعل وأدخلوه في
ذلك المكان وحفروا له الحفرة ووضعوا الحجر على صدره بعد ان ألقوه على
ظهره وقالوا له هذا قبرك حتى تلاقى ربك فقال لهم وقد تفرغزت عيناه
بالدموع وما الذى فعلت معكم من الفعل حتى ترموني بهذا المثال فقالوا له هذا
جزاءك وجزاء أبوك يأنسل الحرام فلما سمع منهم ذلك رمق بطرفه الى
السما وقال أسأل الله العظيم رب موسى وإبراهيم ان يخلصنى مما أنا فيه من
الهوان وأرى دم أعماي يجرى في ذلك المكان وهو يختلط بهذا الماء
والتراب وأراهم بالاعيان وأنا على الحياة وأرى ذلك وأشاهده عيان قال
فتقبل الله دعاه وسوف يكون ذلك ان شاء الله (قال الراوي) وقد تركوه
اصمامه وذهبوا الى حال سيئهم فهذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من
أمر محمود فانه أقام علي هذه الحاله باقى ذلك اليوم والليلة وهو يبكي وينوح

من قلب مظلي مجروح وجعل ينشد ويقول

يادهر بليتني بالبعاد وبمدالديار وطول التماذي
واوفعتني في يد قوم لثام لا يحفظون ولا يرمون ازديادي
وقد قضى على الله باني أصير أسيرا كثير السهادي
ملقي علي ظهري طريحا مغلل الرجلين مكتوف الايدي
ولكن سألت ربي خلاصى فهو الرحيم لكل العباد
نوسلت في أسري اليه بمن يشفع لنا في يوم المعاد

(قال الراوي) وما زال يبكي وينوح على حاله ويستغيث الى ربه بكل ماخطر
بباله الى ثاني الايام فبينما هو كذلك واذا به قدم من عليه رجل من دراويش الاعجام
يظهر للناس الاسلام وهو رفضي يعبد الشيطان وكان يسمى محمود المجنى
والارفاض يقولون له عبد الشيطان فلما رأي محمود قال في نفسه خذ هذا الغلام
واوصله الى الشام ويصه هناك وخذ ثمنه فهو أحسن منه ثم انه ذفي منه وأخذه
وسار به حتى وصل الى الشام فرض محمود لاجل أمر يريده الملك فرماه في
الحمام حتى تناولت عليه الايام وكان ذلك الرفضي يتفقد من الميعاد الى الميعاد
ويقول ان حاش بمتي وان مات دفنته وكل من يسأله عنه يقول انه مملوكه حتى
آن الاوان وأرسلت انت يا أمير المؤمنين على ابن الوراقى من مصر بأمرك
فاشترى هذا بالصرة المجهولة وجري من الامر ما قد تقدم ذكره وشاع بين
الناس أمره وهذا تأصيله والسبب وحق من عن العميق احتجب (قال الراوي)
فلما سمع الملك الصالح ذكر هذا التأصيل من المقادم وانهم رأوها مرسومة
بالجفر الاكبر وهى مؤرخه بكل حرف محمور فرح الملك فرحا شديدا ما عليه
من مزيد وكذلك الاغا شاهين الافرم وكان الامير بيبرس ذكر له هذه الصائبة
عند أول مقابلته معه كما قد ورد في كتابنا فالشرح خاطره وتمت أفراحه
وهدت سرائره لانه عند ما يثبت ويقيد وقد اطلع الامير عليه حتى يعينه

شاهدنا (ياسادة) وقد زاد غيظ القاضي وكادت مرارته ان تنفطر وكذلك الماليك المبغضين هذا وقد كتب الملك للماليك حجج العتق وقال الملك يا ولدي بيبرس قال نعم يا أمير المؤمنين قال له انزل من ها هنا واشتري لك بيتا بشرط انك تصلي غدا صلاة الجمعة في جامع طولون فقال سمعا وطاعة ثم نزلوا معه الاثنين المقادم وباتوا تلك الليلة وهم يتذكرون كلام الملك الصالح ويثبتون له الولاية والكرامة حتى صلوا صلاة الصبح وتودعوا من الأمير وركبوا خيولهم وساروا طالين قلاعهم فهذا ما كان منهم (قال الراوى) وأما ما كان من الأمير بيبرس فانه ركب جواده وصار طالب جامع طيلون وكان قد دخل وقت الجمعة وعتان قد سار معه الى ان قربوا للجامع فنزل الأمير بيبرس عن جواده وقال امسك الجواد يا عتبان حتى اصلى خلف الامام فقال له عتبان وأنا ما أصليش فقال له أنت شافعي وأنا حنفي والاولي أنك تصليها أنت بعدى ظهرا ودعى أصلى انا خلف الامام فقال عتبان انا حمل حنفي وانت خليك من اولاد ابو شافع في ذلك النهار فقال له هذا لا يصح يا عتبان فقال له اعلم ان الامر أقرب من ذلك وهو اننا ندخل الاثنين وتترك الحصان وحده ها هنا فان بقي حتى نعود اليه اخذناه وان هرب قبل خروجنا في داهية انت وياه وان طلبت غيره أنا اسرق لك حصان غيره فقال له هذه الصدقة التي تصليها بعد الصلاة ولكن يا عتمان انظر من يمسك لنا الحصان فقال عتمان سمعا وطاعة ثم تأمل ذات اليمين وذات الشمال واذا بعالم قد أقبل يريد الجامع وعليه الملابس الفاخرة يريد الجامع والمحفظة بين يديه ظاهرة والمقلاة على رأسه كأنها حمامة ظاهرة فلما قارب عتبان وعرفه وتأمله أقبل اليه وقبل يده وقال له سلامه يا جدي وجدى فقال له عتمان امسك هذا الحصان حتى أصلى وأطلع فقال له سمعا وطاعة فلما نظر بيبرس الى ذلك قال له يا عتمان اتق الله تعالى كيف انك تفعل هذه الفعال مع رجل مثل هذا الشيخ المفضل فقال له اعلم ان هذا

الرجل من جملة الطائفة التي كانت تحت يدي قبل التوبة ولما أتى تبت فضل هذا الرجل على حاله وأنه بالنهار عالم وبالليل حرامي ظالم واسمه عندي مراوحي فلما سمع الأمير ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم إن الأمير دخل إلى الجامع وجلس في المحراب وجلس عثمان قدام المنبر وجعل الرزة قدامه وكشف رأسه وقد صعد الخطيب إلى أعلا المنبر وقد رأى عثمان والرزة قدامه فلبت مفاصله ونسي الخطبة ولم يعرف منها ولا كلمة واحدة وقد صار مثل السفة وذلك لأن عثمان كان ضربه قبل توبته وأخذ منه حمامته وأقام في بيته مريض ولا شفاه الله تعالى الا في ذلك اليوم وكانت هذه أول خطبته بعد مرضه ولما رأى عثمان ذهب عقله وزادت بليته وغابت عنه فكرته وقد أن أوان الخطبة والرجال مستعدون لاجلها فقال الخطيب أيها الناس انتم ها هنا قاعدون وعثمان ها هنا حاضر معكم وكان ضربني ضربا وجيعا وأخذ حمامتي وتركني بحالة شنيعة فانا انما كم عن الصلاة في هذا الجامع والجوامع كثيرة فالعاقل من يكون لقولي سامعا ولكلامي طائعا من قبل أن يحل بكم المنون وينهب ارواحكم مثل المجنون قال فلما سمع المؤذنون الذين فوق الدكة ردوا عليه وقالوا ها نحن هارين والى السطوح طالعين

قال الراوي وكانت هذه الالفاظ بأعلا اصواتهم فهاجت الناس وحارت في امورهم ونزل الامام وصلى بالناس على حسب الامكان وتعجب بيبرس من ذلك الشأن (يا سادة) وما فرغت الناس من ذلك الفرض حتى اسرع عثمان إلى الابواب واغلقهم ووقف على الباب الكبير وتركه مفتوح فلما خرج احد المصلين وهو يستغفر الله ويسبحه قال له عثمان تقبل الله قال له الله يتقبل مني ومنك قال له عثمان انت صليت كم ركعة قال الرجل في نفسه كثر له لاجل ان يقول هذا رجل دين ثم قال له صليت عشر ركعات قال عثمان احسبهم

لي قال له اثنان تحية المسجد واثنان فريضة الجمعة واثنان سنتها وأربعة فرض
الظهر هذه المشره فقال له عثمان يبقى عليك عشرة قروش صاغاً لي على المسلم
كل ركعة بقرش فلما سمع الرجل ذلك طار عقله وذهب ليه وقال والله أنا
مامعى ولا قرش كامل فقال له عثمان اخلع ملابسك فناوله الهامة فقال عثمان
بقرش وكذلك العربي قال عثمان بقرش ولم يزل حتى عراه من جميع ملابسه
ثم أقبل على الثاني وقال له صليت كم ركعة قال صليت اثنين قال عثمان بقرشين
فناوله الهامة والصارمة وخرج ووقف الى جانب رفيقه ولم يزل عثمان على ذلك
الحال حتى خرجت اغلب الناس والذين تبقوا في الجامع أعلموا الامير بما فعل
عثمان فلما سمع الامير منهم ذلك الكلام هض على الاقدام وسار حتى شاهد
الامر بالاعيان فصاح فيه وطلبه أشد الطلب فلما رآه عثمان على ذلك السبب
تركه وهرب فصاح عليه بأعلا صوته لا تخاف يا عثمان فقال عثمان لا أعود
حتى تحلف لي أنك لم تؤذيني خلف له الامير على ذلك وأقبل اليه وقال له
ولاى شيء فعلت هذه الفمال فقال عثمان لاجل أجرة الصلاة لاني جعلت
كل ركعة بقرش ولها والله كل ركعة تسوى مال أهل الدنيا لما فيها من
الثواب فقال له الامير اعلم يا عثمان ان الله قد سهل دين الاسلام وجعله سهلاً
على كل من له فيه مرام فان وجد الماء والا يتيمم بالتراب وان لم يقدر
يصلى قائماً صلى جالساً وان لم يقدر صلى راقد ويدخل أي مكان أراد من
المساجد فلا أحد يمنعه من ذلك ومع هذا كله فانهم لا يصلون ولا
يعبدون فما أدراك اذا كانت الركعة بقرش فلا احد يدخل المساجد أبداً ثم
أنه أمرهم أن يأخذوا ملابسهم فأخذوها ودعوا له وانصرفوا وقد خرج باقي
الناس من المسجد وأراد الامير أن يركب ويسير واذا به يسمع مناداة ينادون
فقال يا عثمان ما الخبر فقال عثمان هؤلاء دالين يدلون على الاماكن والبيوت
فسار الامير نحوهم فسمع الدلال ينادى ويقول معاشر الاخوان معنا بيت

في المكان الفلاني وبيت في المكان الفلاني وهذا بيت فلان وهذا بيت فلان وفيهم كذا وكذا وما زال يذكر بيت بعد بيت حتى قال معنا بيت الامير أحمد بن أباديس السبكي أوله خضرة الحنة وآخره سواقه السباغين وله أربعة أبواب بأربعة حيشان الباب الاول بخضرة الحنة والباب الثاني بجوار السيدة زينب والثالث عند باب الميضة والرابع بجوار زين العابدين من داخله ثلاثمائة أودة عدد السنة وأيضاً من داخله أربعة وعشرون بستاناً وفيه أربعة وعشرون ساقية وفيه أربعة وعشرون مقعداً وكل مقعد فيه قاعة ومجلس وأودة لا تشابه الاخرى بل بخلاف بعضها أشغال الصناعات المطار ولو أننا رفمنا كل محل وما فيه من المعادن الكبار مثل الياقوت الاحمر والكهرمان والمقيق والمرجان وكل شيء يأخذ بالابصار من اللعنان

(قال الراوي) وكان الامير أحمد بن أباديس السبكي يصطنع الكيمياء ويدرك علم جابر وكان يضرب الرمل ويعرف معانيه وقد رسم جميع ما في ذلك المكان من ماله ونواله وكذلك كلما وجده الامير بيبرس خارج ذلك المكان مثل اللقية التي وجدها الامير في بيت الوزير الاغاشاهين ولقية القلعة فهي من ماله أيضاً وكذلك ما عثر به في دكان الشيخ بجي الشماع وكل ذلك من مال الامير أحمد بن أباديس السبكي وقد رسمها وطلسمها بمعرفته وحسن خبرته على اسم الامير بيبرس لما تبين له في رمله انه من أهل الجهاد في طاعة رب العباد وقد رجعنا الى ما كنا فيه من الايراد فلما رجع الدلال وسمع الامير بيبرس وهو ينادي علي ذلك المكان صاح بملوصوته على الدلال ونادى يا دلال أكثر من ثلاثة مرات والدلال ينظر اليه ولم يعن به فصاح به عثمان بعد أن كشف رأسه وقال يا رجل يا دلال وسرها في مقامها ان لم تأتي والا ضربتك بهذه الرزة ضربة افلق بها رأسك فمئذ ذلك رجع الدلال مسرعاً الى الاسطى عثمان وقبل يده ووقف يرتعد فلما رأي الامير ذلك قال لا حول ولا قوة الا

بأله العلي العظيم يا شيخ انا ناديت عليك اربع مرات فلم ترد على جواب ولم تلتفت الى والتفت الى عثمان من مرة واحدة فلاني شيء ذلك فقال له الدلال أما أنت فلا سمعتك ولا رأيك وأنت تنادي أبدا وأما عثمان فاني نداه ازل في آذاني مثل الرعد القاصف فضحك الامير من قوله وقال له من هو صاحب هذا البيب فقال له ياسيدي ان صاحب هذا البيب له اربعة سنات وهو الامير عنقا بن اباديس السبكي وأنا دلال وابي من قبلي وجدي كذلك وطلعنا ندلل على ذلك البيت وكل من اتى وتفرج عليه فلم يبيعوا له هؤلاء الستات وهم البنات المذكورين وكل جمعة لا بد اني ادلل عليه فلما كانت هذه الجمعة دلت عليه وقد احضرني لك الاسطى عثمان فسألني عن ذلك أحبرتك والسلام (قال الراوي) فلما سمع الامير ييبرس ذلك قال لا بد أن أمشي معك واتفرج على ذلك البيت ثم سار عثمان والامير ييبرس والدلال واقبلوا الى باب من الاربعة أبواب وكان في وسط الباب حلقة صغيرة فتقدم الدلال وفتح باب الخوخة وقال للامير ادخلوا من هاهنا فقال الامير افتح لنا بابه الكبير فقال له ياسيدي ان هذا الباب له مدة ما افتتح ولا قدر أحد على فتحه ابدا وان الستات قد اوصوني بذلك وقالوا لي اذا رأيت شخصا قد فتح الباب بيده فاحضره الى عندنا فقال له الامير اين المفتاح فاعطاه فوضعه الامير في الضبة وعشق الاسنان في بيوتها بقوة واذا بالضبة قد فتحت باذن الله تعالى من غير مشقة فلما رأي الدال ذلك تعجب غاية العجب ودخل بعد ذلك البيت واذا به في غاية ما يكون من الاوصاف الحميدة وقد اعجب الامير فقال للدلال سر بنا الى أصحابنا فأخذه الدلال وسار به الى الستات وكانوا هؤلاء الستات عنقا الامير احمد بن اباديس وكانوا مقيمين بمنزل اعده لهم غير هذا المكان فلما اقبلوا هؤلاء استأذنوا على السيدات فلذنوا لهم وقد اقبل الدلال اليهم فقالوا له ولاي شيء اتيت فقال لهم اتيت لكم بمن يشتري البيت فقالوا لعل أن يكون آن الاوان

فأين هو الشاري فصاح الدلال بالأمير فطلع الأمير وخلقه عثمان فلما عاينوهم
قالوا من يريد البيت من هذين الاثنين هذا الرجل الذي يخطف المئات من الناس
أم هذا الرجل المملوك فقال لهم هذا الغلام فالتفتوا إليه وقالوا له أحق ما يقول
الدلال قال نعم قالوا له ما اسمك يا فتى قال لهم اسمي يبرس فلما سمعوا ذلك
التفت بعضهم إلى بعض ثم قالوا له هذا هو اسمك الأصلي أو حدث عليك فقال لهم
لا بل هو حادث واسمي الأصلي محمود فلما سمعوا ذلك نظروا إلى بعضهم وأمرؤ
بالجلوس فجلس فقالوا له عسى أن يكون لك في البيت نصيب فقال لهم هذا شيء عفي
علم الله القريب العجيب فقالوا من أي البلاد أنت فقال لهم من أرض الشام وأرض
دمشق فقالوا له مولود بها أم نزيل قال لهم نزيل وأما مولدي في أرض خوارزم
العجم فقالوا له نريد منك شيئاً واحداً وهو أننا نحكي لنا على حسبك ونسبك
فأعاد عليهم التأميلة من أولها إلى آخرها كما ورد وتقدم وسمعتهم أذناكم الرائقة
ومعاني عقولكم الفائقة والاعادة ما فيها افادة سوى الذكروا التوحيد (قال الراوي)
فلما سمعوا الستات ذلك الكلام من الأمير يبرس تكلموا مع بعضهم بلغة
يعرفونها مع بعضهم ومعني كلامهم أنهم يقولون لبعضهم أن العلامات قد
ظهرت منها البعض وبقي البعض فمن منكن يظهر لنا باقي العلامات فقالت
واحدة أنا أسأله في ذلك ثم تقدمت إليه وقالت له وانت عندك ثمن هذا
البيب قال لهم نعم أنا قادر على ثمن عشرون بيت مثله فقالت له انت تذكر
تسك بالنفى والمقدرة ولاي شيء حالك هكذا وما عليك كسوة تسوي
درهم واحد وهذا دليل على انك غير صادق في قولك وما ذكرته من
محالك وقلة مقلك

(قال الراوي) فلما سمع الأمير ذلك قال لهم وقد اسودت الدنيا في
أعيانه وظهرت له سبعة نقط جذريات سود ملكته من الطارقة اليمين إلى
الطارقة الشمال وشجرة اسدين عينيه وسبع من اللحم بين حاجبيه اذا نظرت

المرأة الحاملة تضع حملها لوقتها وساعتها فلما نظروا الستات الى ذلك العلامات
عرفوها وقالوا لا تأخذ على خاطرك فأننا ما ذكرنا لك ذلك الا على سبيل المبسطة
والزحاح ومع ذلك اننا بئناك البيت وعرفنا انك صاحب العلامات والاشارات
ولقد كنا لك في الانتظار وهذه المفاتيح وهذه الحجج وهذه الاوراق التي
لاحمدن ابليس السبكي جميعا من نصيبك وان هذا كله بغير مقابلة شيء وما هو
بدرهم وأما هو بحاجتين أول حاجة انك تلعب لنا بهذه القنطارية التي لاحمد
ابن أبليس السبكي فهي تمام المعرفة والامارات وان خرج من يدك تلعب
بها نخذها اليك قال وكانت هذه القنطارية وزنها مائة رطل سبكي فهي تمام
المعرفة وهي مطلسمه ولا أحد يقدر يلعب بها أبداً لأنها مطلسمه على اسم
بيبرس فلما سمع ذلك نهض قائماً على الاقدام وسار الى أن وصل الى القنطارية
وجذبها بيده فافتلمها من مكانها مثل العصا الخفيفة ولعب بها عشرة أبواب
من الحرب وأيضاً لعب بها أنداب فلما رأوا ذلك منه قالوا له وقد فرحوا
فاية الفرح هناك الله بما أعطاك أنت صاحب الاشارات المرسومة والعلامات
المرقومه وما بقى عليك من نحن هذا البيت الا حركة واحدة فقال لهم ما هي
الحركة الثانية قالوا له نريدك ان تبني لكل واحدة منا بيت بحجارة مجامع
وتسمى الحارة باسم صاحبها فاذا ماتت تدفن بها ولا ينقطع ذكرها منها
فقال لهم سمعاً وطاعة فقال لهم وما أعماركم قالوا له السيدة عمرته والسيدة
مسكه والسيدة لاله والسيدة الخويدرية فقال لهم سمعاً وطاعة (قال الراوي)
ثم انهم أعطوه الحجج وسلموها اليه وأخذ القنطارية وكان فرحه بها أكثر
من فرحه بالبيت ثم ان الامير أرسل الاسطى عثمان في طاهر الحال فأنااه
بالتقاضي الذي يطيلون وقد فعل به عثمان مثل ما فعل بقاضي بولاق وقد قدمنا
ذلك من أفعال عثمان فلما حضر كتب له حجة جديدة وأشهد فيها على
السيدات المصونات بأنهم باعوا البيت الى الامير بيبرس ولما انفصل الحال من

ذلك أمر الأمير باحضار المهندسين وقال يا عتيان اثبتني بجاعة المهندسين فلما
 حضروا عنده ترحب بهم وأجلسهم وحياتهم واكرمهم وجعل يسألهم عن ذلك المكان
 وأنه وجد فيه أربعة قوائم مثل الدعام الكبار فتوهم من ذلك وسألهم عنها فهم من قال
 هؤلاء ركاز البيت والبيت مركزه عليهما فقال لهم وهؤلاء ليس لهم منافع غير أنهم
 يحملون العلو فقال بعضهم ربما جعلوهم زينة قال ولم يكن لها تقع سوى ما ذكر فقالوا نعم
 نعم ان الأمير أراد أن يترك ذلك واذا به يرى رجلاً فقيراً عليه ثياب رثة وهو جالس
 منفرد بنفسه عن المهندسين وكان الأمير يبصر حليماً فأقبل بنفسه اليه
 فوجده جالساً كما رآه لكنه على رأي الذي قال هذه الايات

أرى الفقر يذهب أنوار الفقى مثل اصفرار الشمس عند المغيب
 واذا كان المرء بين أهله وقد بلى بالفقر قالوا غريب

(قال الراوي) فلما نظره الأمير يبصر قال للمهندسين هذا الرجل معكم
 قالوا لا وإنما لشدة فقره يسير معنا لاجل الاحسان وما هو الا سائل فقال له
 وقد جلس الى جانبه يا أبي أنت مالك صنعه فقال له مهندس وما انا سائل
 وان هؤلاء المهندسين كلهم أتباعي وأتباع أتباعي ومشاديدي ومشاديدي
 مشاديدي وما منهم الا من يكرمني ويعرفني في أول زمني فلما عاقتي الزمان
 وركبتي نوائب الحرمان أهانوني وغنم قد أبعدوني وكأنهم لا يعرفوني فلما
 ضاقت بي حيلتي واشتدت مصيبتني نهضت هذا اليوم وقصدت رحاب السيدة
 تقيسة العلم وصليت فيها صلاة الافتتاح وجلست بجوار المقام وانهلط دمعى
 سحاج وقد اشتد وجدي وقل صبري وجلدي وقد صرت استغيث بها واقول
 هذه الايات صلوا على صاحب المعجزات

أتيت لحكم بني هاشم مستجيراً بجدكم طه المرسل
 خذوا بيدي وانجدوني تكراً وفرجوا كركى المتسرل
 وانجدوني بنجدة النبوة بحق من هو خاتم وهو أول

ضافت حيلتي ولا أحد سواكم يكن لي نصيراً من كل تذلل
أنتم أهل التقى والمحامد كلها وأنتم أهل العفو ثم التكمل
توسلت بكم إلى قدر جددكم طه رسول الله خير مرسل
(قال الراوى) ثم إن الرجل قال للامير وبعد ذلك أخذتني سنة من النوم
فرايت السيده في أغرزينة وهي تنبخر في حلال الجنة وتقول لي يا علي زال عنك
الفقر وألمه باذن الملك الاكبر فانهمض الى ولدي بيبرس في بيت أحمد ابن أبياديس السبكي
تجده قد جمع المهندسين فتكون أنت في الجملة فيأتي اليك ويسألك فتخبره بكل ما
يسألك عنه وحده بما في البيت من الامور العظام فانتهت من منامي وأتيت الى هنا
فوجدت المهندسين عندك فسألتهم عنى فقالوا لا نعرفه أبداً وهذه حكايته والسبب
وبعد ذلك وحق رأسك ورأس امير المؤمنين أن هذا البيت ما بنى الا على رأسي ورأس
أبى من قبلى وجدى من قبل أبى ولا أحد يعرف فيه شىء غيرى فاعطى هؤلاء شيئاً
من النقود لاجل أن تكون حسنة بدت لهم فى في نظير سيئة بدت الي منهم وبعد ذلك
تصرفهم الى حال سبيلهم وانا اخبرك بكل ما تريد (قال الراوى) فلما سمع بيبرس
ذلك الكلام من على المهندس أطاعه فيما أمره به وفرح بقوله وأنعم على
المهندسين وصرفهم الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمرهم واما ما كان من
أمر على المهندس فان الامير خلع عليه خلعة سنية وأعطاه ألف دينار وقال له
امضى الى بيتك وادخل الحمام ولبس البدله فاذا كان من الغد تأتى الى هنا
فقال ممحاً وطاعة ثم ان المعلم على المهندس أخذ البدله والدرهم ونزل من
ساعته واتفق على اهل بيته ووسع عليهم ولبس البدله بعد ان تنظف وبات
تلك الليلة وهو مستريح القلب فلما كان الصبح سار المعلم على الى البيت بعد
صلى صلاة الافتتاح فوجد الامير قد أتى ومعه الاسطى عثمان فسلم عليه فأكرمته
وأجلسه الى جانبه واكلوا ما راج من الطعام ولما تهيأ الفراغ من ذلك قال الامير

بيبرس للشيخ على المهندس يا فتى أريد منك أن تفرجني على غوامض هذا
المكان فأجابه بالسمع والطاعة ثم نهض معه وأخذ بيده وأتى به إلى أول قاعة
وفرجه عليها وأتى به إلى الثانية وإذا بها خلاف الأولى وهكذا كل قاعة بخلاف
ما قبلها بحيث أننا لو صغنا قاعة واحدة منها لظال علينا الشرح في ذلك لأن
الواصف يتحير في وصفها وما زالوا يدخلون في قاعة ويخرجون من أخرى حتى
انهم توسطوا المكان وإذا بدعامة سوداء متصلة في أدنى المكان إلى أعلاه غريبة
البناء فقال الأمير بيبرس ما هذا يا أباي قال له يا سيدي هذه دعامة وأنا أعرف
ما فيها وأعرف كيف أفكها في ساعة هذه ولكن قبل أن أطلعك على حقيقة
الامر لي على شرطين وفيهما بنو عظمته لك ولي فأما الشرط الأول فإن السيدة
الكرمية أخبرني أنك تكون على مدة الزمان ملكا وسلطانا وتجلس على سرير
قلعة الجبل وتكون لك كلمة مسموعة وحرمة مرفوعة وأني أريد أن أتمنى عليك
إذا بلغك الزمان منك وبلغ لك سماعتك واعطاك فأكون أنا مهندس السلطنة
وذريتي من بعدي إلا إذا قضى الأجل واندرست الذرية فإذا أنت قائل فقال له
الأمير لك على ذلك إن شاء الله تعالى وهذا الشرط الأول وما يكون الشرط
الثاني قال له تأمر خادمك أن يمتنع إلى خارج المكان حتى نقضى ما نريد وبعد
ذلك يعود فقال له سمعاً وطاعة ثم التفت إلى عثمان وقال له امض إلى خارج المكان
حتى تقضى ما نريد وبعد ذلك احضر إلينا فقال عثمان وسرها في مقامها لم أطلع
ولا أشارككم أبداً فقال الأمير للشيخ على المهندس هذا ما عليك منه ودعه يكون
معنا فقال له يا سيدي هذا شيء يريد الأسرار والكتبان وما ينبغي إظهاره لأحد
غيرك فقال عثمان وأنا الآخر من أهل الأسرار فقال له الشيخ على وإذا نظرت
شيئاً لا تبيح به قال نعم إذا كان من قبيل ذلك فوصوا أنتم أنفسكم
قال الراوي ثم إن الشيخ على المهندس أخرج من جيبه شيء مثل الأزميل

وتقر به في الحائط ثلاث نقرات وتأخر عليه وأتى الى الجانب الاخر وتقرأ أيضا وتأخر ولم يزل حتى استدبل على الباب فنقر وقور حتى كشفه واذا به باب صغير من النحاس الاصفر المطلسم فتأمل الامير بيبرس الى ذلك فوجده مسبوك لم يعمل فيه الا زميل فارسل الشيخ علي المهندس وأتى باجزاء يصرنها وقطرها بالنار ومزجها وصفاها وكانت هذه تسمى ماء الانحلال وجعل يسكبها على رأس الباب والماء يأكل النحاس حتى اذابه عن آخره ثم دخل علي المهندس والامير بيبرس على أثره وعثمان علي أثر الامير فوجد من داخل المكان قاعتين قاعة على اليمن وقاعة على الشمال وكل من رأها يظن انه على وجه الارض لانهما في التفصيل شبيهة القاعتين الفوقائيتين فعبروا هؤلاء القاعتين ودخلوا الى الاولى واذا بها أربعة لواوين على كل ليوان شبكة من اللؤلؤ الابيض الرطب المنظوم بسلك الذهب والفضة وأرضها مقروشة بالزعفران الجنوبي غالي الثمن وهو مضاف بالعنبر الكنوزي ومن داخلها فراشات مطرزة بالحرير وشيء كثير من الحلى والحلل على أسرة من خشب الساج الهندي المصنح بالذهب الخالص المعدني ووجدوا على كل ليوان شخص من النحاس الاصفر ومعه مقشة من الرصاص وفي كل أربعة وعشرين ساعة تأتيه اسماء روحانية فيكنس الماء ويلقي ما يخرج منه الى الارض ويتصل الى القاعة واذا نظروا النظار ظنوا أنه من الزعفران وهب منه روائح زكية تطرب كل من شمها بنسائم عطرية والانهار تشق تلك القاعة من عيون الاسره والشخوص فيسير الماء من سائر المواضع ويمجرى من خلفه ومن أمامه وذلك كله بكواكب متصلة الاحجار بسقف المكان والاعطار مدلاة من أسفله ونورها من الجوهر والمعادن والمرجان وكانت هذه قاعة الوزير أسد بن أباديس السبكي في أوان الزهور والربيع وكان هو يسميها بالجنة الصغرى وكان كل ما فيها من هذه التماثيل صنعة المملين أهل الفراسة ولا هي بعلوم أقلام ولا عمل من أعمال الكهان وكان اذا جلس فيها يأمر الخولي ان يدور السواقى

فاذا اندفع الماء وجري ووصل الى الاشخاص فتدور من ثقل الماء فاذا تحركت
الغالب والمقارب الى ذات اليمين فتجري المياه وتهايل الاشجار وتهب الرياح
على الانهار فيطيب له المقام بتلك الدار وقد نظر الامير الى تلك القواوين
فوجد دون الاسر كل ليوان عليه ستار فتقدم وكشف الستار الاول واذا
من خلفه أربعة صناديق على قدر الليوان وعليها الاقمال بالمعانيخ فيها ومكتوب
على كل صندوق بالعربي يا واصلا الى هذا المكان ومطلعا على هذا الامر والشان
اعلم أن هذا وقف لله تعالى على الغزاة والجهاد في طاعة رب العباد وقد أوهبته
الى ملك المسلمين بيبرس المعجمي الخوارزمي الدربندي الدهمشتي بن القان
شاه جمك الذي ينتهي نسبه الى ابراهيم بن الادهم رضي الله عنه واتي قد اعدته
له لا لغيره ورصدته بعلوم النجوم والفلك يفعل به ما يشتهي ويريد وكل من
حاربه نصرته فيه قدرة الله تعالى وصار هذا المكان قبره الى ان يلتقي ربه
فلما قرأ الامير الكتابة خر على الارض ساجدا لله تعالى ثم تقدم الى الاول
وفتحه واذا به قطع من المعادن الكبار وكذلك الآخرين فلما نظرهم كان عتبان
علي أثره يرى ذلك ويتفرج وقد مديده وجعل يأخذ من كل صندوق شيئا
ويجمعه من داخل ملابسه قال ثم انتقل بيبرس الى الليوان الثاني ودفع ستاره
واذا هو مثل الاول وزيادة فتركه وأتى الى الثالث واذا به من الباقوت والذر
واللؤلؤ الرطب ثم تقدم الى الليوان الرابع وقد فرح الفرح الشديد ورفع
ستاره واذا فيه أربعة صناديق حبيبيات وغانات وجواهر ومطابخ وقهاوي
ودكاكين وحارات ووكايل وحمامات من مصر القديمة الى اصوان ومن مصر
الى الفيوم هذا وعتبان كلما يرى شيئا يأخذ منه ثم نظر الامير الى الفسقية واذا
فيها أربعة وعشرون سرجا من الذهب الاحمر الوهاج المرصع بالنصوص
الكبار ثم انه وجد ثمانية واربعين بشتا من الزرد النضيد ومثلهم من السيوف
الهندية ومثلهم من الشواكر اليمانية المحلية بالذهب والفضة ومثلهم اتراس

فلما نظر الى تلك الاشياء حمد الله على هذه النعمة وقد عظم المعلم على في عينه
لانه اطلعه على مكان لم يري مثله في بيت الوزير ولا في الدوان وما يشبه ذلك
الا بكنوز سيدنا سليمان بن داود عليه السلام وفي مثل ذلك المكان قالت
اهل المرقان هذه الايات الحسان

دار حوت كل المعاني من كل صنف مشتمل فاني
بها رياض قد ازهرت وانهارها زادت الدقائق
قد احتكمها وزير مليك ماهر يدري غوامض الازمان
له خيرة بكل الامور له صولة على كامل الاخوان
قد اتقن هذا بصناعة ملأها كسرى انوشروان
لا ولا فيصر في الوري وما تشابه الا كنوز سليمان
فيالها من رياض مبدعات ويا لها من كنوز تذهلان
وسميتها بالجهد والنفزا يرجو بها من الهادي الغفران
فيارب سامح واغفر لي وله وتب علينا ونحن باحسان

(قال الراوي) ثم ان الامير بيبرس سار بالمعلم الى القاعة الثانية واذا بها
اربعة لواوين ايضا مثل الاولى غير ان كلها اواني من الياقوت الاحمر وكذلك
بابها من الياقوت وكامل أرضها وحيطانها وأرضيتها من العقيق وفيها اواني من
المرجان وكانت هذه الدار يجلس فيها الوزير احمد بن اباديس في زمن الشتا وبسميتها
النار الحمراء ويقال ان هذه الاواني مكتوب على كل آنية منهم انه دواء من الداء
الفلاني وذلك اذا كان الانسان فيه مرض كذا وكذا فيضع الماء الساخن أو البارد
أو العسل المقطر أو الالبيض أو الزيت الطيب يضع ذلك في الآنية الفلانية وينجمها
تحت النجوم ويشرب منها عند النوم أو عند الصبح يبرء من هذا الداء
أو ينتمل به أو يضع شيئا من الماء في انفه أو في اذنه أو في عينه وذلك على
لختلاف الامراض وكل شيء مكتوب عليه ما يناسبه وباب المكان

مكتوب عليه النار الحرا فلما نظر الامير الى ذلك قال والله ما هي نار وانما هي
انجبار فرحم الله من صنع هذا المعروف ثم لما تهبوا الفراغ من ذلك خرجوا من
المكان وانعم الامير على المعلم على بالعام زائد وذلك انه اعطاه من كل شيء ملى
يديه وقد نزع الله الفقر من جوفه ثم امر بهندسة المكان وتصليحه فأجابه
الى ذلك بالسمع والطاعة فهذا ما كان من أمر الشيخ على المهندس (قال الراوي)
واما ما كان من أمر الامير ببيس فانه التفت الي عثمان وقال له يا عثمان لا تخبر
أحد باننا وجدنا هاهنا شيئاً فقال له عثمان اوصي نفسك أنت الآخر ولكن
أعطيني من ذلك شيء فقال له هاهو قد امك خذ منه ما تريد فقال عثمان سمعا
وطاعة ثم أن عثمان أخذ ما أراد من ذلك وطلع الامير وغلق الابواب وسلم
المفاتيح الي على المهندس وسار يوصي عثمان بالسكمان فهذا ما كان من أمر هؤلاء
(قال الراوي) وأما ما كان من أمر عثمان فانه خرج من البيت وصير الي آخر
النهار لانه قال اللهم صبرني واعني على كتمان هذا الامر الي آخر النهار فلما
وصل الوقت ترك الامير في مكان اقامته وسار هو الي باب الديوان واقام واقفاً
الى ان زلت الدولة والرجال ونزل القاضي وقال له طلق في عينك يا قاضي أنت
واييك وانظر ما أعطانا الله تعالى من حطام الدنيا القانية فقال له القاضي اربني
يا شيخ عثمان فالخرج له من جميع الاصناف فلما رأي ذلك كبرت علته وكادت
ان تنفطر صراره وقال يا عثمان حدثني عن ذلك المكان الذي وجد فيه هذه
الخيرات العظام فقال يا قاضي اعلم اننا نزلنا لشترى لنا بيت احمد بن اباديس السبيكي
فوجدنا فيه من القيمان كذا وجعل عثمان يصف للقاضي اوصاف ذلك المكان
وقال له وجدنا فيه قاعتين فيهم كذا وكذا وحدثه بما رأي الامير في
المكان بالحرف الواحد فقال القاضي وقد كادت روحه أن تخرج من
جيبه هذا شيء لا يحصى القلم ويكل عنه الواصف ثم تركه عثمان ومضى الي

حال سبيله وترك القاضي يتقلب على الجمر (قال الراوى) وأما أيبك فإنه التفت الى القاضي وقال له أنت سبب ضياع فلوسى ومتاعى وهذا الرجل يبيرس رجل مسعود وانظر الى نفسك انك كلما تدبر له لاجل هلاكه يعلموا به شأنه ويعظم سلطانه وقد أخذ مالنا واحتوت يده على بيت الوزير احمد بن اباديس السبكى وما حوى من الامكان وكيف اخذ اللقايات والبيوت والحجيج فقال له القاضي اصبر وما صبرك الا بالله واعلم انه قد آن الاوان وقرب موته وهلاكه وانه قد دنت حياته وسوف ترى ذلك عيانا وانى ابشرك بأن هذا البيت لرأسك خاصة ولا احد يتنازعك فيه فقال له دبر لنا تدبير يكون مناسب فى هلاك هذا الديوس فقال له ممحاً وطاعة ثم بعد ذلك انصرفوا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان من امر الملك الصالح فإنه ذات يوم من الايام ظهر وجلس على التخت وقد تكامل الديوان وجسدت الرجال وراق الديوان وقرأ القاريء وختم ورقى الراقى وختم ودعا الداعي وختم وصاح شاوئش الديوان يقول صلوا وصلوا على طه الرسول

لا تفرنك الدنيا وما فيها فاصرف هواها وحاذران ثمانها
فما هي بعد المز لا زوال وما تراه ذاهب فى فواحها
فاغتمم وقدم بين يديك فعلا تراه فى الآخرة يعانها
قال الراوى قال الملك آمنا سبحانه مالك الممالك سبحانه المعطى المالك
ثم ان الملك اراد أن يدندن ويهمهم ويترجم وقد قال يا حاج شاهين
أنا عبد الله وأنت عبد الله وأنا أعطانى ربى فلائى شئ نحتاجنى والذي أعطاه
واجده من يقدر يعانده فارجم يا شاهين عن الحسد وابعد الطير عن الطير
والطير نهب الطير والطيء بقي طير من طير وكبرت حوصلته فقال له الاغ شاهين
ما الخبر يا امير المؤمنين فقال له الملك انا رجل عبيط فلا تؤاخذنى فى كلامى
فالله تعالى يسبيل عليك ستره ويملكك عزيزا مهايا سيدا فى الدارين فقال

الاغا شاهين اللهم تقبل سبحانهك اللهم وبمحمدك خلقتني ورزقتني وبمشرقة
هؤلاء السادات اختيرتني اللهم لا تحرمني من أسيادي بجاه شهيد العباد (قال)
واذا بالقاضي تحرك من مكانه ووقف في محل الطلب بعد ان جنح طيلسانه وقبل
الارض بين يدي الملك وقال نعم يا أمير المؤمنين فقال الملك مالك يا قاضي قال القاضي
ولذلك المحفوظ المنصور الأمير بيبرس الذي سعادته تضيء على وجهه كالصباح قد
اشترى بيت احمد بن اباديس السبكي ولقي فيه لقيات عظيمات فقال الملك حق
ياد ايم يا غلام الغيوب ان بيبرس لم يطلع هذا النهار الى الديوان فهذا دليل على اثبات
قول القاضي انه لقي لقيات عظيمات ودليل على انه اشترى بيت الوزير احمد بن
اباديس فذاك دليل على اثبات قول القاضي وقال انه كبرت نفسه على الوزير والملك
وان اصله مملوك من الكفار ولا يرجع الفرع الاصله فقال الوزير شاهين ان
بيبرس لم يتكبر ابداعاً على أمير المؤمنين وانما انت الذي أمرته ان لا يأتي الي هنا الا بعد
ان يشتري له بيتاً فقال الملك ولكنه اشترى البيت فلا شيء لم يطلع
الي الديوان هذا الدن خر الخردل الا كال الهريسة بالسمن البقري الذي
يلبس القفطان الاحمر المزوق فعند ذلك ظن القاضي ان الملك اشتد به
الغضب وكذلك الوزير ايبك فيتما هم كذلك واذا بالامير بيبرس يقبل
الارض قدام السلطان وهو يقول هذه الايات صلوا هلى صاحب المعجزات

يا سيداً حاز السيادة كلها وملكاً ملك الفضائل كلها
الله يمطيك الفضائل كلها على جميع الخلائق كلها
ويمم امرك بالفضائل كلها بحق ما جاء في ألم نشرح وتزِيلها
عبدك وخدعك الآن قد اتى بنفس ذليلة يريد اعتزازها

قال الراوى فلما سمع الملك شعر الامير ونظمه وكيف انه مدحه ودظا له
فقال الملك وقد زال ما به من الكلام الاول وقال الله الله يا شاهين اللهم عمر
بك الارض والبلاد وجعلك الله ملكا وسلطان اللهم اقم سمعه اللهم هلك ضده

تعالى ياسيدي بيبرس انت حق اشترى دار احمد بن اباديس السبكي قال نعم
فقال ان القاضي يقول انك لقيت فيه لقية كبيرة قوية فقال بيبرس انا لا رأيت
فيه شيئا لا قليل ولا كثير فقال القاضي انا اخبرني بذلك عثمان بن الحبله
واوراني الاماره وشهد بذلك الوزير ابيك فقال الملك انت المدعى وايبك
شطر والشطر كالمدم ولكن لا بد من ارسالنا الى الاسطى عثمان ونسأله عن
ذلك الامر والشأن فان هو اقر فلا عذر له وان لم يقر فلا بد ان تقوى هذه
الدعوى بينه وأخرى والا فدعواك باطل سر يا بيبرس وأتى الينا بعتان فقال
له بيبرس سمعا وطاعة ثم نزل الى تحت القلعة وصاح يا عتمان فقال عثمان حنش يا كلك
من يبيضك انت مالك قال له تعالى حتى أقول لك فقال له عتمان يعني سر مدغدغ
اخبرني بما أتيت فيه فقال له انت قابلت بالامس القاضي والوزير ايبك واعلمتهم
بالعبارة فقال له عثمان قابلت ايبك والقاضي واخبرتهم بكذا وكذا واعاد عليه ما دار
بينه وبين القاضي من الكلام وكيف اخبره بجميع الاحوال فتأسف الامير وقال
يا عتمان القايات للسلطان وهذه دعوى كبيرة وانا انكرتها منه وها هو طالبك قال
عثمان أ موجود سلطان غيرك يا منفس روح انا وليتك سلطان بدل من ابوجوطه
واوليت عقيرب وزير ميمنتك بدل من ابوفره فقال الامير يا عتمان دعنا من هذا
الهزيان وتعالى معي الى السلطان فقال عثمان روح قول للملك عثمان عصي
عليك ولا رضى يأتي اليك فقال الامير يا عتمان سر بلا قلة أدب فقال له
عثمان سير وانا أسير معك واذا سألتني أخبره بما جري فقال الامير لا يا عتمان
اذا سألك انكر ذلك هذا وقول له القاضي كذاب ونحن لا رأينا شيئا ولا نظرنا
شيئا ولا معنى خبر بشيء فقال عثمان السمع والطاعة ثم ان الامير سار بعتان
وطلع الى الديوان فبينما الملك جالس واذا بعتان يضرب برزته باب الديوان
وهو ينشد ويقول هذا الموال صلوا علي ولد عدنان
ظنوا السدا اننا متنا وما متنا وتباشروا بالفرخ في طول غيبتنا

وان هون الله ورجعنا مثل عادتنا في منع الحط نجعلهم غيبتنا .
صباح الخير عليك يا معلم صالح الفاتحة في صحايفك وصحايف الاصطبل الذي
ربي صفر ك وعلمك ضرب الكفه والحديد قال القاضي قبح الله ذاك هوسائس
يا ممقوت قال الملك السائس ماله يا حاج ساهين رضي الله عن القنبر خادم الامام
الاكبر قال عثمان صباح الخير يا بوفره خيرنا عليك قناطير وبواطير احفظ سكر بنها
قال الوزير اخذت قدر حقه مائة مرة قال عثمان صباح الخير عليك يا ابيك اللقيط قال
ايبك مرض يلقط عقلك فلاح خطاف عمائم قال عثمان صباح الخير عليك يا عين
البساريه قال علاي الدين اخرس يا فلاح يا كلب قال عثمان صباح الخير عليك يا قاضي
يا منقرش يا مقله الزغل يا لى من العطفة الظلمة الضيقة يا عدو الحدود
قال القاضي صباح الخير عليك يا شيخ عثمان قال عثمان مرض في قلبك اكثر ما جاء
لك يا ابن القعبه بعد الفاتحة تسمع خير يا معلم صالح قال الملك خير يا عثمان
احكي لي ماجرى قال عثمان عز الله جل الله ما في الكون غير الله قول
معي انت يا بوجوطه لا اله الا الله عليك يا قاضي غضب الله قال الملك لا اله
الا الله قال عثمان زلنا من عندك نهار الخميس صلينا الجمعة في جامع طيلون
وعملت على كل واحد من المصلين قرش في كل رقه وأخذت حوائجهم
فحضر الاشقر تكلم معي رديت الحوائج لاصحابها وسرنا الى حالنا قابلونا
الدلائل فرجونا على بيت الوزير احمد ابن اباديس رحنا لاصحابه عشقوا الاشقر
اعطوه البيت من غير فلوس وقد جاب المهندسين فحضر الرجل على المهندس
قال له اطرده خديمتك فلا رضيت قال له هذا رجلك صاحب سر وفتح
المحلات فدخلنا كلنا راينا ستة عشر صندوقا على اللواوين الاربعه من
الذهب البندقى وهذا من الجواهر الكبار وهذا من المعادن والحجج ومن
الخيرات العظيمة ثم اخرج له ما كان هناك وأخذه قال الملك يا عثمان القاضي
يقول اللقيات للسلطان ولكن هذه اللقيات لمن يا قاضي قال القاضي لك

ياأمير المؤمنين تتعاون بها على الغزوات والجهاد في طاعة رب العباد قال الملك
 وجميع ما لقاء بيبرس و هبة مني اليه هبة كريم لا يرد في عطاء فاذا تقول يا قاضي قال
 القاضي هذا شي لا اعرفه ابدا يا مولانا غير اني اقول ان هذا بيت كبير والاولي ان
 كل واحد من الدولة يأخذ منه قطعة ويعملها بيتا لنفسه لاني اعرف ، انه يزيد على خمسة
 وسبعين بيتا فقال الملك يا بيبرس انت اشتريت ذلك البيت بكم فقال له ياأمير المؤمنين
 اشتريته بهذه القنطارية وانها وزنها مائة رطل اباديسي مطلسمه ياأمير المؤمنين قال
 الملك وهل رأيت أحد غيرك حملها ولعب بها قال لا ولكن قد ذكر والي
 انه قد جاء ناس كثير ولا أحد قدر يرفعها من مكانها وما هي الا مكتوبة
 باسمي فقال اوضع القنطارية ما هنا في الديوان وانا افصل لكم هذه القضية
 فعند ذلك وضعها الامير بيبرس فقال الملك كل من له مقدرة يلعب بهذه
 القنطارية ولو دورا واحدا فأنا أعطيه شيء من البيت يعمله لنفسه وانا كذلك
 لاني اريد ان آخذ منه قطعة وانا اول من يلعب بها ثم ان الملك قام وتقدم
 الي القنطارية ومسكها بيده وقد وضع عليها شيئا من اسراره فصارت مثل
 جبل أحد واراد الملك ان يرفعها بعد ذلك فلا قدر عليها (قال الراوي)
 وما فعل الملك ذلك الا خوفا من القاضي ان يلعب بها لما يعرف الملك
 من شدة خبثه ولو كان الامير بيبرس اراد ان يلعب بها في ذلك الوقت لما
 قدر من السر الذي وضعه الملك عليها (ياساده) ثم ان الملك حاد الى مكانه
 وقال يا حاج شاهين هذه ثقيله قويه قم انت العب بها فقام الوزير فلم يقدر
 ان يجر كها وكذلك الامراء فقال القاضي انا العب بها ولي نصف ذلك
 البيت ياأمير المؤمنين فقال الملك لك ذلك يا قاضي ان انت لعبت بها او نقلتها
 من مكانها قال وكان القاضي يقدر على ذلك كما ذكرنا وما منعه من ذلك الا اوضع
 يد الملك الصالح عليها لانه اودع فيها سرا خفيا لا يعلمه الا الله هذا وقد نهض
 القاضي على الاقدام وشر عن ساعديه وتقدم اليها ومسكها وتجر عليها بهمة

وجذبها بقوة واراد ان يرفمها فوجدها ثابتة كأنها ملحومة في الارض بالرصاص المذوب هذا وقد ضرب مدفع السلامة فتضاحكت الرجال عليه وقال له الملك ما هذا يا قاضي قال له ثقلة يا أمير المؤمنين فقال ايبك والله لقد راح منا البيت وراحت منا فلوسنا هذا وقد تقدسوا اليها كامل الدولة ولا احد قدر يلعب بها بدا فقال الملك أنا اقوم اشوف تقسى ثاني مرة حتى نصف البيت لانه بيت كبير يا حاج شاهين ثم ان الملك قام اليها ثانيا ومد يده اليها فأخذ الامانة التي كان قد وضعا عليها ثم رجع وقال والله يا حاج شاهين انما ثقيلة فهل تقدر ان تلعب بها يا بيرس قال نعم ثم قام الامير اليها واخذها في يده مثل المصاولة بها اوفى من عشرين باب فقال الملك يا سيدى بيرس هنيئ بما عطيت والله يا حاج شاهين يستاهل علة على قلب المتضايقين انزل يا سيدى بيرس اعمل لنا عزومة في بيت احمد بن اباديس السبكي وتكون عزومة كبيرة فقال سمما وطاعة (قال الراوى) فينباهم في ذلك الكلام واذا بابى على الرداد يقول كل عام وانتم طيبين البحر اوفى وزاد فقال الملك الصالح بشارة عظيمة مباركة يا بيرس اعمل المزومة في هذا اليوم حتى نزل نجر البحر ونأتي الى عندك فقال بيرس سمما وطاعة هذا والقاضي وايبك قد كبرت علتها هذا والامير بيرس اراد المسير الى منزله لاجل المزومة فتقدم اليه الاسطى عثمان وقال له خليك انت قاعد وانا اعمل المزومة فقال له بيرس جزاك الله خيرا يا عثمان ثم ناوله قرقاس من الذهب وقال خذ هذا وامضى الى بيت احمد بن اباديس السبكي واعمل العزومة حتى نأى فقال عثمان سمما وطاعة وسار عثمان وجميع الطوائف المعركة وقال لهم تشمروا ونحرموا مولانا اراد ان يعمل المزومة لاهو جوطه ثم انه اشترى عشر قناطير بصل من تحت القباني وحملهم مع الرجال وسار الى بيت اباديس ووضعوه في وسط الحوش وقال للسياس هاتوا القزانات الكبار واملوها بالماء وركبوها على النار وقشروا البصل وحطوه فيها

حتى أعود إليكم فقالوا له سمعنا وطاعة ثم انه تركهم وصار الى المطار وقال له هات السبعة صباغات كركم أصفر وعصفر ملون برتقاني وزنجار عراضى وبقم احمر وبقم أسود وكمون كرماني ونيلة زرقا فاعطاه المطار فصار به الى السياس ووضع كل قرطاس في قزان واطبق عليهم الغطايات وكانوا السياس وضموهم البصل المقشر فلما أقبل عثمان امرهم بزيادة النار فزادوا فيها وقد صعد الدخان الى العنان فهذا ما كان من عثمان

(قال الراوى) واما ما كان من الملك الصالح فانه كشف على عثمان وفعله فصار يدندن ويقول يا حاج شاهين الرجل عبيط وأنا عبيط وكل ما عمله فهو عندي مقبول وانا راضى بفعله لكن الفضيحة لا يرضى بها احد من الناس ولا يرضى بها رب الناس. ولكن ازل يا بيرس الى عثمان وانظر ان كان عمل العزومة والا لم يعملها فقال ببيرس السمع والطاعة ثم انه صار من ساعة ولم يزل سائرا حتى أقبل الى خضرة الحنه وادا بالدخان طاق من ساير الاماكن فظن ان عثمان هيا لاشغال ففرح بذلك وقال الحمد لله رب العالمين ثم انه دخل الى عثمان فلما رآه صاح بالسياس وقال اشتغلوا يا جدمان فقالوا سمعنا وطاعة فقال ببيرس ما الذي عملت يا عثمان فقال عملت شيئا عمركم ما أكلتوه أبدا فقال له أربنى اياه فقال عثمان ها هو بين يديك فتقدم الامير وكشف القزان الا وهو فرآه أسود مثل الحبر فقال ما هذا يا عثمان قال له أضرب الكبشة تري المعجب فضرب الكبشة واذا به بصل أسود غير مستوي فقال ما هذا يا عثمان قال له هذا يخنى اسود لاذفته في عمرك ذفته انت ولا ابو جبوطة فقال وهذا ايش قال يخنى احمر قال وهذا قال يخنى ازرق وهذا أخضر وهذا أصفر ولم يزل كلما تغير لونا من هذه أشد به الغضب وجعل يلوم عثمان على هذه الافعال وقد أمر بكب كل مافى هذه القزانات ووقف يدبر أمره وينفكر في نفسه

وفي ماجري له من فعال عتمان وان الملك الصالح لا بد من مجيئه في ذلك
النهار لاجل العزومة فانشد يقول صلوا علي طه الرسول

من الكرم على من فضله	وجاد باحسان وفضل وأمان
وجاد بيت كبير واسع	مرسوما يرسمي من ساق الازمان
ولقيت فيه من كل معادن	وجواهر وقواطع ويمان
ورأيت فيه كل حجة مشبوة	من ارض مصر الى العدنان
كذا الصميد وجرجا وغيرها	وكم حزت فيه امكانا وآمان
وماندني شيخ الاسلام تمداً	واراد نزعي وقتلي على الامكان
وساعدني وأعانني عليه ربي	وفزت بالبيت حقا على الاقران
ولبت ادوارا بقنطارية احمد	السبكي وزيرا مدبرا يا اخواني
وعزمت الملك ثم كامل جيشه	والمت بذلك اخي عثمان
فاني الى المكان بجيشه ورجاله	وفعل فعلا من نزعة الشيطان
واني تحيرت في أمره وفعاله	والامر لله الواحد المنان

(قال الراوي) ثم ان الامير بعد ان فرغ من انشاده التفت الى عثمان وقال له امضي
واحضر لي شيخ الطبائخين وجماعته فاجابه الى ذلك وسار وقد اخذ رزته ومضى الى
قبة الطبائخين فوجد الجميع جالسين فاقبل من خلف الشيخ وضربه بالرزة بين اكتافه
فالتفت اليه الشيخ بسرعة لينظر من الضارب له واذا هو عثمان فقال له ما الخبر يا اسطى
عثمان فقال عثمان الفاتحة فقال له الفاتحة من خلف ام من امام قال له كلها طرقات سالكة
فقال له والذي تريد ما هو قال له تأتي انت وعيلتك الى بيت احمد بن اباديس تكلموا
الدولاني فقالوا له ممما وطاعة ثم ان الشيخ جمع الطائفة وسار من تلك الساعة الى ان
وصل الى بيت الوزير فلما رأوا الامير سلموا عليه فترحب بهم وقال للشيخ أريد منك
سماط طعام فيه من جميع الالوان ويكون ذلك كله في ساعتين من غير زيادة وكلما طبلتة
فهو حاضر بين يديك فقال له اذا كان الامر على ما ذكرت فانا اصنع لك ذلك

بشرط ان تمنع عناصتهما ورفقاه وأما اذا كان معنفا فلا تعرف السماط ولا في عشرة ساعات فقال له ذلك يا اسطى ثم أن الامير بيبرس احضر عثمان واوصاه بذلك الامر والشأن وحلفه بالسيدة انه لا يتعرض لهم في شيء ثم صار الطباخ يرتب اشغاله وكل شيء حاضر بين يديه (قال الراوى) فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من الملك الصالح فانه التفت الى الوزير وقال له يا حاج شاهين تقوم بنا محضر والعزومة عند بيبرس لاجل يحصل لنا أن شاء الله السرور ويكشف عنا كل هم وضرور لان الله ما خلق أحسن من جبر الخواطر قوم بنا يا شاهين فلك الضيق فأن فيها اغاظة الاعداء وفرح كل صديق فقال الوزير الامر امرك يا امير المؤمنين امذك الله بالفتح المبين (قال الراوى) هنا لك قام السلطان قدام الجميع والدولة من خلفه حتى وصلوا قلعة الكبش الذي فيها محل المقصود ودخل الملك منزل احمد بن اباديس السبكي وعند الدخول كان السلطان دخل اولاً وتبعه الوزير والاكراد وبقية الدولة والامراء وغيرهم وعندما دخلوا في الدهليز وبقوا في رحبة الحوش أخذ السلطان ذات اليمين وقال ان هذا طريق المؤمنين الصالحين واما اليسار فانه طريق الكفار واخيرا يا شاهين مأواهم النار (قال الراوى) وما دام السلطان يتفرج على ذلك الا ما كن صناعة المهندسين الي ان وصل الى القاعة التي كانت تسمى الجنة ونظر السلطان اليها فأعجبته هو والوزير فجلس السلطان وأمر الوزير فجلس وكذلك ارباب الدولة كلا على قدر مرتبته من عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس كمادته (قال الراوى) يا سادة يا كرام صلوا على خير الانام وأعجب ما وقع من المعجب ان القاضي والوزير ايكة والامير قلاوون وعلاى الدين ومن يلوذ بهم من تلك الطائفة المخالفة فأنهم كانوا في آخر الناس ولما دخلوا الى حوش البيت ونظروا السلطان واتباعه توجهوا فكانوا مستعجلين لاجل التفرجة على ذلك الدار وساروا على

جهة اليسار وكان القاضي أمام الجميع سار الى ان انتهى بهم الى القاعة التي كانت تسمى
 بالنار الحمراء فقال القاضي لاصحابه فإيكون احسن من هذه القاعة في هذا الدار وجلس
 القاضي ومن معه وقد كان السلطان ومن معه بلا تشبيه ولا تمثيل في التقدير فريق في
 الجنة وفريق في السعير (قال الراوي) وأما عثمان بن الحبله لما نظر الى ذلك ورأى دولة
 الملك الصالح انقسمت كذلك قال عثمان ما أحسن هذه القسمة الي لا كانت على بال أحد
 ثم انه مضى الى الطباخ وقال يا طباخ اعلم ان ابوجوطه وابوفرمة والناس الذين معهم
 دخلوا الجنة وأما اعداءنا الكلاب دخلوا النار وأنا ومصر المبرقة ان ذاقوا
 طماننا لا قطع من الدنيا رزقك فقال له الطباخ واذا وضعنا الطعام يأكل
 الخالص والعام قال عثمان هم متفرقين يا ابن القعبة قال له الطباخ استريح انت
 يا عثمان ثم أن الطباخ امر واحد من غلمانه فضى وأتى له بفرد من الصبار
 فلما حضر جملة تحت يده وبعد ذلك تقدم وغرف الطعام وتقدمت الفراشين
 والصحنجية ورضفوا على الطباخي وحلوا على رؤوس الطبلجية ودخل معلم
 الفرش وفرس البيت ووضع الكراسي ووضع فوق الطباقي النحاس ورسم
 القتب بالطبر من صناعة الحلوانية وصواني البقلاوه والنفطورات من صناعة
 الفطاطرية ورسم مناظر الاضلاع المحشية والقوازي وصار يرسم كل شيء
 في محل حتى أوفى ما يليق بالحاضرين وبعد ذلك صاحبت الجاويشيه
 بسم الله هنا لك تقدم السلطان وصلى بسم الله وكذلك الوزير والدولة كبير
 وصغير وجعلوا يأكلون ويلذون ومع بعضهم يتخذون وأما حضرة القاضي
 فانه كان في النار كما ذكرنا وصحبته الوزير ايبك وعلاي الدين ومن يلوذ بهم
 فاتفقوا انهم اذا حضر لهم الطعام يأكلون منه وما بقي يتلقوه فيبئنا هم
 كذلك واذا بالفراشين قد حضروا وفرشوا البيت ورضفوا عليه الاطعمة
 حتى انه رسم السماط وقال بسم الله ياسادات وكان المعلم الطباخ مزجه بالصبار
 فتقدم القاضي وايبك ثم وضعوا ايديهم وأرادوا ان يأكلوا فطورات

وبقلاوات واذاهم على هذه الحالات ومثلها الحلاوات فتذكروا الجميع واتبعوا الخضرات
 فرأوها على هذه الصفات فقال اييك آه يا قاضي كيف نحن نقعد بالجوع والله وبالله
 أنت رأيتك فاسد لو كنا مع بعض شاه كنا اكلنا معه فقال القاضي تفضلوا بنا وقام
 القاضي أولا وتبعوه اصحابه وقال امشوا بالعجلة لاجل ان نلحق سباط السلطان
 ياوزير اييك قال الوزير اييك هيا يا علاي الدين وعلاي الدين يقول هيا يا بشتك ويا
 سنقر وعواساثرين حتى وصلوا الى محل السلطان الصالح واذابه اكل واكتفى وقام
 كل من كان على السباط ومحموا السلطان يقول الله الله ولا في الدخول اهل الجنة للجنة
 واهل النار للنار لان اهل الجنة مشوا يمين واهل النار مشوا شمال يا حاج شاهين
 وأما من جهة الماء كول في الجنة فان الله حرمها على الكفار وبعد ذلك قال بيرس
 لعثمان كل من أكل في آية من هذه الاواني ارسلها الى بيته فقال عثمان تعالوا
 يا خدامين ابو جوطه فحضر ابو الخير سايس الشبهة فقال له عثمان انت يا عم
 الجذعان ماأكلت شحات رجالك ولما حضر سياس السلطان قدم لهم طبق ورمى عليه
 أربعة آية من الموصوف بالذهب المرصع بفصوص الماذن وأمرهم عثمان ان يأخذوهم
 ويحضوا بهم الى سراية السيد فاطمة شجرة السر وكذلك مثلها الى السيد فاطمة
 الكردية وفعل كذلك الى سراية الوزير الاغا شاهين الا فرم وكذلك أيدمر البهلوان
 وكافة من له مفهومية فيهم لحبه الامير بيرس حتى فرق جميع الاواني هذا ما كان من عثمان
 (قال الراوي) وأما اييك فانه التفت للقاضي وقال له ان كل من اكل طعام يأخذ
 أواني له نحن نرجع الى محلنا ونأخذ أواني طعامنا ثم انهم رجعوا الى المحل الذي
 كانوا فيه ينتظرون الاواني فرأوا على رأى من قال هذين البيتين

ساروا وسار الربع يديه الثري قلت بانو فابانو

فاسأل منازلهم يحبيك يا فتى فانتو بها وكلهم ما كانوا

(قال الراوي) لهذا الكلام العجيب والامر المطرب الغريب صلوا

على طه الحبيب فلما وصلوا الى المكان فما وجدوا لا طعام ولا اواني والسبب في ذلك ان عثمان بعد خروج القاضى خلا بنفسه وكب الطعام ورفع الاواني وأما الملك الصالح بعد خروج الناس من الأكل ومن الشرابات فذكروا الله في ذلك المحل وبعد تمام ذكر الله وفروغ المجلس قال اللهم اجعل هذا البيت طامرا بما فيه الى يوم القيامة فاستجاب الله دعاءه وبعد ذلك اراد الانصراف واذا بعثمان أقبل الى السلطان عند قيامه وقال له استننا يا جدد قال السلطان مرحبا بك يا شيخ عثمان فقال عثمان انت يا ابو جوطه قلت انها لقمة عرس تاكل وتنسلت يا جدد البيت وحده من غير ونيس ما ينفعش وانما تقول للاشقر يعمل قيصريه بدكاكين وربيع فوق كل صف من الدكاكين وتكون قيصريه مملوك حارة كاملة بيوتها ودكاكينها محفوظين وتحتم لاستاذي علي فرمان سلطاني بعدم مرور المحتسب والوالي فيها لا نهار ولا ليل لاجل ما يتشرف مملوكك على مملوك غيرك لانه مملوك السلطان وكل حاكم حرص فيها يكون دمه مهدور للجلاوي رغما علي انفس القاضى المنقرش وايبك الغلبط وعين البساوية الدمروسر المبرقة يا ابو جوطه ان ما كتبت لي ما أقول لا أخليك تطلع الا اعمل خلاصى معك والاشيك لام البيت (قال الراوي) فقال الملك الصالح وعليه بذلك يا عثمان هذا شيء ما فيه ضرر بل انه نافع إن شاء الله تعالى اكتب يا شاهين له فرمان دستور مكرم يعمل كلما شاء واكتب له اشعار الي كافة الدولة أصحاب الاسلام المطلق ممنوعين لا احد منهم يطأ أرضا يكون يترس فيها لسكون ان يبيرس مقدم على جميع ارباب الدولة تنظر السلطان اليه (قال الراوي) فعند ذلك كتب الفرمان الملوكي والاشعار السلطاني ووضع السلامه بيده الملك ووضعت اختتامهم الوزراء وكبراء الدولة كما ذكرنا وبعد ذلك ركب السلطان ومضى الامير يبيرس في ركابه فأمره بالركوب فركب وسار علي اثر السلطان وكان الوزير شاهين في الميمنة وايبك في الميسرة وما زال السلطان حتى دخل الى شارع السيده زينب رضى الله عنها

فنظر الخليج محدود على ظهره خشب يدوس عليه الماء من على الخليج فقال الملك الصالح يا شاهين هنا يحتاج قنطرة لأجل راحة الناس في العبور فقال إياك يا بعض شاه أوامر بيبرس يعمل قنطرة هنا تبقي تنفع المؤمنين فقال له الملك الصالح صدقت ثم التفت إلى بيبرس وقال له إني ها هنا قنطرة ولكن تكون كاملة الأوصاف وكذلك كل محل يكون مثل هذا أجعل له قنطرة بالبنا الحجرة وعقد طيب بالوذن الطيبة لأجل منع الضرر عن الناس عسى الله أن يرحمنا بسبب ذلك وإذا مشوا الناس عليها بلا تمب يترحمون على من بنانا جيلا بعد جيل وانت يا ولدي يبقى لك في العمارة صواب وأما أنت يا شاهين أكتب له حجة بصارة أربعة قناطر على طرف السلطنة ويبقى أيضا الحارة التي مراده بنيانها والدكاكين والاما كن لأجل أن يصير الشغل متواصل لا ينقطع أبدا فقال الوزير على الرأس والعين ولما وصلوا إلى قلعة الجبل وحدوا القديم الأزل جلس السلطان على تخته وأمر الوزير أن يكتب الأمر والأشعار إلى بيبرس بصارة القناطر وأخذ بيبرس الأشعار والأمر ونزل من القلعة بعد ما رمى عليه الملك الصالح ققطان وقال له أنت معمرجي باشا (يا سادة) وبعد ذلك خرج الأمير بيبرس من الديوان فتلقيه عثمان ونظر إلى ذلك القمطان فقال له مبارك لملك أن تكون مشد تراب أو آفة كلاب فقال بيبرس يا عثمان أبش هذا الكلام فقال له عثمان إياك تكون لبست صدر مطبخ لأجل يبقى عندنا الأكل بكثرة فقال له بيبرس أنا لبني السلطان معمرجي باشا يا عثمان فإن السلطان لما طلع قصد مقام السيدة يروم زيارتها فنظر إلى الأفلاق الخشب كما ترى فأمرني أن أضع عمل الأخشاب قناطر ومرامي وأنا رأيت أن نحضر لي شيخ المهندسين فقال له عثمان إذ كان الأمر كذلك يكون أول المعاملة قنطرة المبرقة فأنها هي أم البيت وصاحبة الثوري فقال له أنت حضر لي المهندسين فقام عثمان في الحال واحضر المهندسين فلما نظر بيبرس إليه قام وركب واخذه إلى مقام

السيدة زينب وقال اعلّموا ان السلطان امرني ان ابني هنا قنطرة ولكن تكون غربية المثال فقال المهندس يادولاتلي ان الطريق أعوج ها هنا واذا وضعنا جدار يقي الصور أعوج ومع صورته يضرب فيه الماء فيكون سريع العطب فاذا كان ولا بد من بنيانه فيكون قنطرتين قصاد بعضهم فقال له بيبرس افعل يا ابني الذي تعرفه فعند ذلك أمر الحجارة بقطع الحجر من الجبل وحضرت التحاتين ونحنوه وكذلك الجباسين وجزوه في ايام قليلة وانعقدت قنطرتين التي تجاه السيدة وضع على وجه الواحدة سبع ذات اليمين ولبوة ذات الشمال وكذلك في الثانية فسموهم العوام قناطر السباع وكذلك عقد قنطرة في فم الخليج من خارج البوابة وكذلك الذي تحت عنهم وكان جدارها رخام وهو أساس القنطرة وسموه العوام الخليج المرخم وكان الامر كما ذكرنا ومن بعد تمام القناطر اجتهد الامير بيبرس في بناء الحارة والدكاكين وأربع من فوق الدكاكين ودار الامر كذلك حتى انتهت الحارة من البناء فكانت كلها تكلفوه على طرف السلطان من احجار ومونة واجرة صناعة وأما الحارة فانها كانت على طرف الامير بيبرس وبعد ذلك دخل المهندس وقال له يادولاتلي اعلم ان الحارة تمت فنهض بيبرس وتفرج على ذلك الدكاكين والاربعة قناطر والحارة والبيوت فعند ذلك جلس الامير بيبرس في بيت أحمد بن أباديس وانعم على المهندس والنقاش وكذلك أرباب الصنائع وجبر الله الجميع وطمعوا جميعا حامدين شاكرين (قال الراوي) وبعد ذلك قال بيبرس يا عتمان مرادى منك ان تأتيني باناس يكونون من أرباب السبب والصنائع فقال له عتمان سمعوا وطاعة ثم ان عثمان طلع الى السوق ونظر الى بعض أناس بشارع الصليبة وتقاعشرة أفتار منهم اثنان زياتين واثنان خضارية يابس وخضارية أخضر واثنان جزارين خشن وضان ورجل علاف ورجل مزين ورجل فوجي ورجل فكهاى فلما اوقفهم بين يدي الامير بيبرس قال لهم أنتم اين صنائعكم فمرفوه صنائعهم فقال للزياتين انتم تكونوا في باب الحارة وقد رتبهم علي اليمين وواحد على الشمال ومن بعدهم الخضارية الخضرى الناشف ذات اليمين والخضرى الاخضر ذات الشمال وهكذا الى آخر العشرة

وقال لهم انتم أول ناس سكنوا في ملكي فكل واحد منكم ياخذ مني ثلاثمائة دينار مائة يشتري بها سبب ومائة تكون أرضية على الجاني الذي يأخذ الاستئجار والمحتاجين ربما يكون محتاجا يأخذ شيئا ولم يكن عنده دراهم فلا تردوه واعطوه وعندما يتيسر الحال يأتي لكم بحقكم وأما المائة الثالثة فتكون بيد الواحد منكم نقدية لاجل التوسع في الاخذ والعطا هذا الارباب السبب وكذلك القهوجي واما المزين فانه يحضر عدة طينة وهي مرايات وطشوت وطاسات وبشاكير ويأخذ الثلاثمائة دينار كجيرانه ويستغنى المصرف حتى تدور دكانه فان الواحد لا يعلم عمله ولكن يشترط ان البيع لا يكون الا بالجد والانصاف ولا يكن فيه غدر على خلق الله والطل الزياتي أربعة عشر ودية وها انتم جميعا كل واحد منكم يبقى له ثلاثة رسامال رأس مال سبب في دكانه ورأس مال في حبيه نقدية ورأس مال عند الزباين لاجل عدم المضايقة ولكن بشرط ان تكون العدد نضاف قوية وكذلك شربة الزيات نظيفة وكذلك الميزان وعدة القهوجي كنل الملبوس النظيف مع عدم الوسخ وكل من سكن في دكان يحط لولاده وحريره في البيت الذي فوقه وأجرة الدكان والبيت سبعة سنوات من غير اجرة ومدة السبعة سنوات مؤنة بيته من القمح والسمن وكل ما كان يلزم بشرط انكم تكونون علي ملازمة صلاة الوقت ولا أحد يتأخر عن صلاته ابدا وايضا السقا والزبال علي طرفنا بشرط النظافة من جهة الرش والكفس وكل واحد يعلق قنديلا على باب بيته وقنديل في الدكان من المغرب الي الصباح هذا لا مقطوع ولا ممنوع يكون حفظا لمتاعنا ثم اني اعلمكم ان لا يدخل حارقي محتسب بالنهار ولا والي بالليل لاجل انكم تكونون آمنين في الليل والنهار من الطارق بشرط عدم النقص في الاوزان وعدم الزيادة في الاثمان وبعد ذلك فكل من كان يريد السكنى في املاكنا على هذه الصفة فاخبروه بذلك وكل من اراد فليحضر والله تعالى يسبب لكم فقالوا يادولانلي سمعا وطاعة فعند ذلك دفع لهم الامر كل واحد ثلاثمائة دينار وسمعت به الناس فحضر ناس كثيرة ورضوا

بذلك الشرط ولا مضت ثمانية ايام الا والحارة عامرة من الدكاكين والبيوت
 مسكونة وصارت الحارة عامرة ليلا ونهارا (قال الراوي) وصارت هذه الحارة
 بيع وشري مع عدم الجور والاسراف وتبعثها النساء والرجال وسكنوا فيها
 عطارين ودخاخنية وتقليه وحوانيه وفطاطريه وقد امتلأت الدكاكين وكان يزيد
 على التسعين دكان وخلفهم وكائل وفوقهم أما كن الي السكنه فصارت هذه الحارة
 لم يكن مثلها ابدا ولما نظريبيرس الى حارته وازدحام الناس وطلب المساكن والدكاكين
 فمرأ أربعة حارات وجعل في كل حارة جامع ومساكن يسكن فيها الناس وسماهم
 باسمائهم زخظاطهم وهم حارة عمر شاه متركب قنطرة عمر شاه وحارة لاله وحارة مسكة
 وحارة الجودريه وهؤلاء الحارات مشهورين الى وقتنا هذا لان الدكاكين بحارة
 الامير بيبرس كثيرة وأما البيوت البيب الواحد متركب على دكاكين او ثلاثة فبقت
 الساكنين سكنوا عيالهم في تلك الحارة واقامو دكاكينهم (قال الراوي) وكان رجل
 صناعته مزين ودكانه بجانب حمام باب البحر وعادته انه كل يوم في الفجر يشتغل في
 كاره يعنى يخلق ويحجم حتى اذا قرب الظهر يتصافا مع زوجته ويتمم نهاره في
 بيته الي يوم من بعض الايام اشترى من حارة ايبك التركاني اربعة أرطال لحم
 بدرهمين فضه وخمسة أرطال باميه بنصف ردم ونصف رطل سمن بدرهم فضه ثم
 انه مضى الى بيته فقالت له من اين أتيت بهذا يسدي فقال لها من حارة المعز ايبك
 فقالت خيبه الله هو وحارته والله ما هذا الا لحم نعجة عجوزه وهذه الباميه شايخه
 وهذا السمن فانه خلط وثانيا وزنه ناقص وكذلك اللحم كله عظام والاربعة أرطال
 في حارة الامير بيبرس قدر هذا مره ونصف قسما بالله الذي لا اله الا هو لا يمكن
 ان تستريح في هذه الظهريه ولا ترائى ضجيرة ولا سامعة لقولك ولا مطيعة الا
 ان تقوم ترد اللحم والخضرة والسمن الذي أتيت به من عنده وتروح تحييب من
 حارة الامير بيبرس فان الناس الذي فيه عدد هم نظاف وملابسهم نظاف وبيهم
 بالجد والانصاف كما أمرنا سيدنا محمد جد الاشراف (ياساه يا كرام) فقال لها

زوجها هذا اليوم مضى ومن الآن ما بقيت اشترى الا من حارة بيرس ولما كان من الغدا اشترى نفقته من حارة الامير بيرس فوجد فرق بعيد بين هذا وذاك في الوزن والفرط في الثمن فلم ان الحق في ذلك بيد زوجته فخي لاصحابه في دكانه وفي الحمام ونسأمت الناس بذلك فصارت حارة بيرس هي أحسن الحارات التي في مصر وشاعت هذه الاخبار وصار كل من اشترى لمنزله شيئاً تسأله زوجته من اين جبت هذا فان قال من خلاف حارة بيرس لازم نرجعه ولا تقبله والقي الله محبة حارة بيرس وسكانها في قلوب أهل مصر نساءً ورجالاً هذا ما جرى صلوا على خير الوري (قال الراوي) واما ما كان من القاضى صلاح الدين فانه مع هذه الحارة التي أنشأها بيرس فقال لا بد لي من العرجة فيها ثم انه ركب بغلته وسار الى ان دخل تلك الحارة فوجدها كالبيان وسكانها كالأغصان وهم في أمن وأمان من تصاريق الزمان وكان ذلك آخر النهار بعد تزولم من الديوان ولما نظر الى تلك الحارة لحقه منها كل بلية وهي قدامه مثل العروسة المجلية وهي تزهة لمن يراها فلما رأى ذلك ضاقت في وجهه المسالك فتنهد تنهيد وزاد به غيظ شديد وضاق صدره وحيل صبره لاله من العداوة ان يرجي بها المودة الاعداوة من عاداك في الدين (ياساده) فصار يتنقل من مكان الى مكان وعيناه في أشد الغارات ودام ماشي وكتم ما به من الحزازات حتى انتهى الى آخر الحارة ولما زاد به الغيظ التفت الى غلامه وقال ايش رأيت بأمنصور وانا والله ضاقت على جميع الامور وكلما افتح لهذا الغلام قاب ينجونه بستر وحجاب ويملوا قدره وبهاب فقال له الغلام وكيف يكون الحال اذا كان تدبيرك كذاب والامر لا بد له من خطأ وصواب فقال القاضى لا بد ان تنسب في انقطاع أجله بكل الاسباب (قال الراوي) وبعد ذلك ساروا الاثنين وما زالوا سائرين حتى خرجوا من مصر ماشيين ووصلوا الى دير الطين وكان بذلك المكان دير راهب لعين معرفة القاضى من مدة سنين واسمه مشمتين فلما وصل القاضى الى الدير طرق الباب فطل ذلك الراهب فعرفه ونزل سريعاً وفتح

له الباب وسلم عليه واجلسه الى جانبه ولما استقر به الجلوس سأله الراهب عن حاله فقال له حالتى حالة المسكين ذهبت منى كثير من الاموال ولا بلغت آمال وأنا خائف على دين النصاري الذي ما بقى له اماره لاسيما اذ ارتفع قدر هذا الغلام الذي اسمه بيرس فانه لا يبقى لطائفة دين النصرانية ذكر لانه اذا صار سلطان على المسلمين لم يبقى لدين النصاري ذكر يذكر في جميع اقطار البلاد فانه يهدم الديور ويجعلهم قصور ويهدم الصوامع ويجعلهم جوامع ويقم شعائر المسلمين ويهلك النصارى أجمعين فعند ذلك تعجب الراهب من القاضى وحر في أمره وقال المسيح يكفيناشره ويمكفنا منه ومن قتله حتى نعلمه مهجته (قال الراوى) فينبأكم كذلك واذا بالباب طرق فطل الراهب وقال للقاضى ان الوالى حضر فقال ياراهب ومن هو الوالى فقال له هو حسن أغا الذى من اتباع المعز ابيك فقال له ولاي شىء أتى الى هذا الدير قال الراهب لانه نصراني وما هو مسلم فقال له القاضى اخفىنى في موضع حتى أرى كيفيته فعند ذلك أدخله في مخدع (قال الراوى) ولما طلع الوالى خلع ما عليه من الملابس متاع الحكم والولاية ولبس النقميلية وشد الزنار ووضع على رأسه قلنسوه وجعل الصليب بين عينيه وسجد للصليب لعنة الله عليه فينبأكم هو كذلك واذا بالقاضى قد أقبل اليه فرأى ما ذكرنا من الفعل فقال له قبح الله ذاتك يا بمقوت انت نصراني نعوذ بالله منك ومن صفاتك لانه حل حرقك بالعين وسوف أعلم بك أمير المؤمنين (ياساده) فلما سمع حسن أغا ذلك المقال قال له يا مولانا القاضى هو نصراني وقد كنف الله لك ذلك وها أنت رأيتنى في في الدير ولكن انت ما الذى أتى بك الى هنا وانت رجل قاضى شهير هل تري هذا الجامع الازهر اما نظرت الصليب على بابه والامارة وأنه دير مخصوص للنصارى فضحك القاضى من هذا الكلام وقام قائما على الاقدام ووضع من على رأسه مقلته ورمى الخفظة وخلع فرجيته فبان من تحت ملابسه الفوقانية ملابس على بدنه نصرانية فلما نظر حسن أغا الى ذلك فرح فرحا عظيما فقال له من انت يا قاضى الديوان قال انا هو جوان ابن عصفوط صاحب بحيرة يفره لم يكون في بدنه طاهر ولا شعره فقال حسن أغا انت نصراني فقال نعم نصراني صحيح

بشد الزنار ويعد المسيح فقال له اقمع الى جانبي فانت بقيت اكبر حبابي فندد ذلك جلسوا الاثنين في المصاحبة والوداد على شرب الخمر والفساد والضلال وعدم الرشاد وبعد ذلك صار جوان يبكي فقال له حسن أغا لاي شيء تبكي يا ابني فقال له اما تنظر ما فعل بيبرس وكيف انه بنا حارة وجعلها أحسن حارات مصر وجعل فيها مسييين وارباب صنائع وبقيت عامرة وكل ما تسمع بذلك تتوقد في قلبي النار من هذا الحال مختار وفي غاية ما يكون من الافتكرك واريده منك يا ولدي ان تجتهد في حرقها وتصبحها خراب قفار لاجل ان يطمأن خاطري وتهدي سرائري فقال له ارتاح وانا في الليلة القابلة احرقها لك من قبل الصباح ولا يطلع النهار الا وهي رماد ودثار وانتقوا على ذلك الامر المحتوم وعند الصباح ذهب القاضي الى منزله بجارة الزوم هذا ماجرى يا كرام صلوا على خير الانام واما ما كان من أمر حسن اغا فانه ذهب الى بيته ثم تفكر فيما طلب منه القاضي (قال الراوي) وكان لمصر سبعة ابواب * اولهم باب النصر * وباب الفتوح * وباب الحديد * وباب الشيخ ريحان * وباب القرافه * وباب الغريب * وكان كل باب منهم له مقدم ينفره من الداخل والباب السابع باب الحجر * وكان كل مقدم له رجال من تحت يده للخدمة والفقر ولكن الاكبر على جميع مقدمين الدرك بباب الحجر وهو الحاكم على الجميع والمتكلم عليهم يقال له المقدم مقلد مقدم البوابة وكان مقلد هذا من أولاد الزنا المسمية وهو رأس كل بلية ورأس كل حرامي وشرطي وخطاف عمائم وله رجال من تحت يده ايضا تغدو مناظرة على البلاد بالليل وعنده مفهومية في القيادة ويده تدور على المعرصين الذين يسرحوا الاولاد في مصر للخانات والذين يمرصون على النسوان كذلك وهو مستوفي الشروط جميعها (ياساده) فلما عرض هذا العارض على الوالي من جهة حرق حارة بيبرس فتصور له ان لا أحد يقدر على ذلك الا المقدم مقلد فعند ذلك أرسل الوالي الى المقدم مقلد رسول وهو يقول له تفضل الى الامير الوالي فانه عرضت عليه حاجة وهي لازمة اليك فقال سمعا وطاعة ثم انه لما سمع ذلك

الكلام نهض قائما على الاقدام وهو لا يخشى ملام لانه تربى على أكل الحرام
 والنسق وشرب المدام وركوب الآثام وهو كما قيل في حقه هذه الايات
 ومقدم ألف الشدائد كلها ومقلد بالشر والحرمان
 وله على فصل الحرام جسارة ما يخشى من سطوة المنان
 ويده قد الفت على فعل الاذى وذوي الاذية عنده غلمان
 قدره عظيم عندهم وعلي القبايح كم له نشان
 لكنه حقا ذليلا ناقصا عند الكرام معذب ومهان
 قال الراوي ولما حضر للمقدم مقلد الى بين يدي الوالى حسن أغا قام له على
 قدميه واجلسه بعد ما سلم عليه واكرمه غاية الاكرام وامر باحضار الطعام فاكلوا
 وبعد ذلك حضر الوالى المدام وقال يا مقدم انت ندبي وانا أحبك كثيرا لانتك
 جدد وعمرك ما تخاف ولا تنزع ففرح مقلد بذلك الكلام وقد تعامل مع الوالى المدام
 وبعد ذلك دار بينهما الكلام فقال الوالى يا مقدم مقلدا نالى عندك حاجة ولكن ما احد
 يقضيها غيرك ابش تقول في قضاها فقال له المقدم مقلدا ما هي الحاجة حتى بهذا مهجتي
 فيها واقضها لك فقال له ان هذا الولد بيرس الملك الصالح يحبه كثيرا وانه بناحارة
 كبيرة واظنك شفتها وامر فيها السلطان ان لا يدخلها والى ولا يعتسب لاني الليل
 ولا في النهار فاخلصنا يا مقدم مقلد واتى جئت اعلمك واريد منك ان تحرق حارة
 بيرس وتجملها خراب بعد الممار ولك عندي مائة دينار فضحك المقدم مقلد وقال
 له ارتاح يا أمير هذا امرهين واقرب ما يكون عندي فلا بد ان احرق هذه الحارة
 واحط على رأس صاحبها الف غاره ثم انه نزل بعد ذلك الاتفاق وكان هذا مقلد
 بيفض الاسطى عثمان بن الحيلة وبينهم من قديم الزمان بغضه وكان المقدم مقلد
 له غلام اسمه فضة فقال له يا فضة مرادى منك أن ارسلك الى كفر الجاموس
 ثم انه في الحال صكتب كتاب واعطاه الي فضة وقال تسير من هنا الى
 كفر الجاموس وتسال عن شيخ العرب حريش ياولدى وتمطيه هذا

الكتاب وتأتي من عنده بضده فقال له الغلام على الرأس والعين (باسادة) وكان هذا حرحش شيخ منصر ويحكم على ثمانين لص وكلهم من أولاد الزنى واضل منه الا انه كان جبار ولكن كان فيه شيء من المروءة يحسن على الضعفاء والمساكين وهو اذا رأى حرمة متوجهة من بلد الى بلد وتخاف من الطريق فكان يغفرها وكان اذا كان رجل متسبب وفقير الحال يمنع عنه أهل السوء ويقول هذا في جيرتي وكانت هذه عادته واما اذا كانوا ناس نجار بالغين رشدهم فانه كان يذهب اموالهم وكان يتجنب سفك الدماء وفيه بعض من الملاطفة ولاجل ذلك ان الله سبحانه وتعالى يتوب عليه في الآخرة لان الله يجعل لكل شيء سببا وتوبته في كلام اذا اتسلسنا اليه نحكي عليه العاشق في جمال النبي يعكز من الصلاة والسلام عليه

(قال الراوي) وان مقلد قال لعلامة فضة اذا وصلت الي شيخ العرب حرحش بالكتاب تقبل يده وتقول له ان سيدي مقلد مقدم البوابة يدعوك اليه فقال فضة سمعا وطاعة وأخذ الكتاب وسار به من تلك الساعة فلما وصل الى كفر الجاموس سأل عن دار حرحش شيخ العرب فدلوه عن الدار فلما دخل سلم على من في الدار من القعود والقيام فردوا عليه السلام ونظر الي شيخ العرب حرحش وهو جالس في صدر المكان كانه الثمروود ابن كنعان فعند ذلك تقدم الى عنده وقبل يده فقال له من انت قال انا فضة غلام مقلد مقدم البوابة وهو قد ارسلني اليك بكتاب وأريد منك ضده فقال هات الكتاب وقرأه واذا فيه من حضرة المقدم مقلد مقدم على درك بوابة مصر الى بين ايادي محبنا شيخ العرب حرحش حال وصول كتابنا اليك بعد اطلاعك علي ما فيه نحضر الي عندنا لانه قد عرض لنا عارض يحتاج اليك فلا بد تحضر ويكون في صحبتك رجالك بالتتام فان الامر لازم لذلك والسلام قال فلما قرأ حرحش الكتاب التفت الى فضة وقال له سر اليه وقل له ينتظرنى بعد يومين اكون عنده فماد الغلام من عنده

واعلم سيده بما قال فلما كان بعد يومين يا كرام وإن المقدم مقلد له برج بن خارج
 صور البلد من ظهر الحجر يقين فيه هو ومن يلو ذبه لقضاء أشغالهم وهو لا يبرح من
 ذلك البرج وهو إلى الآن اسمه برج مقلد ولما كان في اليوم الثالث كما ذكرنا
 أقبل شيخ العرب حرحش إلى برج مقلد فقام إليه وتلقاه وسلم عليه بأحسن سلام
 وأكرمه هو ورجاله غاية الأكرام وفي الحال أحضر لهم الطعام وحضر لهم
 جانب من البيوت ومن الحشيش وجانب من الخمر والمسدأ وبعد ذلك قال له
 مقلد هل تعلم لأي شيء أرسلت إليك قال له أعلمني فحكى له على حرق حارة يبرس
 وخرابها والذي يتفق عليه من جهة حرقها وأنا أريد منك يا أخى أن تحرقها وتكفيني شرها
 فقال له هي في أي مكان فقال له أنها بجوار السيدة زينب فعند ذلك رفع رأسه إليه وقال له يا
 مقدم هذا شيء قريب لكن لو كانت في غير هذا المكان وأما بجوار السيدة زينب فما أقدر
 تقرب إليها ولا بد تمد إليها فقال له مقلد ولا شيء فقال له هذه كريمة الدارين ولها اسرار
 مائة الكونين وثاني ذلك السبع المبارك المسمى بالعريس وهو الوزر النفيس فان عليهم
 حفظ ذلك إلا ما كن ويحموا كل من كان مجاورهم ساكن ولا أحد يبيد لهم ولا يجرأ عليهم
 سوء ولا مكروه إلا ما أوعاه عليهم وأهلكهم وانا قلسمعت الشاعر يقول في حقهم هذه الأبيات

لذ بالكرام الطاهرين الأماجد وزرهما تحظى جميع المحامد
 وأخدم لخدم الكرام ترى النجا فان الخديم للخدامين يساعد
 وانظر مقامات الكرام وزرهم وقبل الاعتبار لهم والوسائد
 فهم في الثرى أشجار كرم تقارنت ويحموا حماهم من جميع المعائد
 تقرب إليهم بالتوصل والدعا تنال العلا وتكيد كل الحواسد

(قال الراوي) ولما فرغ شيخ العرب حرحش من نظائمه اعتاظ المقدم
 مقلد من كلامه وتكلم بضد ذلك الكلام وقال له دع الذنب يبقى على
 وأفل ما أمرت أنا به والسلام فلما سمع منه ذلك قال سمعا وطاعة وأمتل
 أمره لكن على مضض منه ولو كان يعلم ذلك ما كان أتى من مكانه ولما

تقرر الامر بينها امر مقلد غلامه فقه ان يأخذ اثنين من غلمان حرجش ويمضون الى حارة بيبس وينظرون الحارة ويدورون بها فزولوا زالوا كذلك حتى دخلوا الحارة ونظروها وجعلوا يتأملونها بالاشارة حتى توسطوا وسطها وكان الوقت وقت الظهر وكانت ايام صيف وجميع الناس نائمون في بيوتهم فلما توسطوا الحارة قالوا الاثنين لبعضهم هذا المكان لم يمكن حرقه بالنهار فان النهار نور فاذا اولعت النار والناس نيام فلا بد يصحوا الناس ويطلقوها فلا تبلغ مرام ولكن روح الى حال سبيلنا فاذا جن الليل نعود ونعمل اشغالنا ثم انهم رجعوا الثلاثة واعلموا المقدم مقلد وشيخ العرب حرجش بما اتفقوا عليه وان الامر يكون بعد المشاء يبلغوا مرامهم ويحرقون الحارة وصارت في لزومهم (قال الراوي) ومن لطف الله تعالى انه كان رجل خياط نائم في جورة الدكان وفي ذلك الوقت فابق لم يمت وقد وقفوا امام دكانه وهو يسمع كلما قالوه لانه يراهم وهما لا يرونه ولما ان سمع هذا الكلام وهو في جوار الدكان تخاف على دكانه من النيران ثم انه كتم ذلك الامر والشأن وصبر حتى مضوا الى حال سبيلهم وسار الى الاسطى عثمان وكان عثمان جالس في اسطبل الخيل ولم يعلم ما دبروا الا عادي وما أرادوا أن يفعلوا بالليل واذا بذلك الرجل دخل عليه وقبل يديه وقال له يا اسطى عثمان انا كنت عند الظهر نائم فما اشمر الا وثلاثه رجال مثل فروخ الجان وقفوا امام دكاني وأنا اراهم اولا أحد منهم يراني واتفقوا علي حرق هذه الحارة في هذه الليلة وهما أنا أثبت أعلمك بهذه الحيلة وهم يقولون ان الدكان هذا هو الذي نبذوه وكان كلامهم على دكاني وقد اتفقوا على هذه الاشارة فلما سمع عثمان ذلك تعجب من هذا الامر المنكر وناول الرجل محبوب وقال له لا تعد هذا الكلام الى أحد من الناس واترك عنك هذا الوسواس ولا تعلم احد من الناس

(قال الراوي) ثم أن عثمان ارسل الى البوايين أحضرهم بين يديه وقال لهم امضوا الى بيوتكم في هذه الليلة وما لكم تعلق بجاتنا يا جماعة

فقالوا سمعا وطاعة وانصرفوا البرابرين الى منازلهم من تلك الساعة وبعد ذلك عاد عثمان الى السوق وقال لاهل السوق عزلوا دكاكينكم في هذه الليلة من وقت العشاء ولا تشعلوا قنديل واخلوا الحارة ظلمة في هذه الليلة وكل من خالفني منكم أعدته القوة والحيل فقالوا سمعا وطاعة وقد عزلوا الدكاكين من المغرب وبعد ذلك جمع عثمان رجاله النسياس وقال لهم يا جدعان انا سمعت ان جماعة مرادهم يدخلوا في غفلتنا ويحرقوا حارتنا فلما راد انكم تكونوا معي حاضرين وتقفلوا البوابه وتفتحوا باب الخوخة ثم انا نقف من خلفها ذات اليمين وذات الشمال ولكن تكونوا صف واحد بجانب واحد حتى اذا دخل النسيم من باب الخوخه أتلقاه انا من فيه واوضح له الاكره في حنكه واسلمه الى الذي بجانبه والذي بجانبه يسلمه للذي بجانبه وهكذا حتى يصير داخل البيت الجواني بحيث اذا هو زعق فلا أحد يسمعه من رفقاته فقالوا لسمعا وطاعة (يا سادة) وبعد ان فعل ذلك عثمان ورتب ذلك الترتيب وجلس تحت باب الخوخه التي للبوابه وهو منتظر للخصم حتى يحضر هذا ما يجري ها هنا واما ما كان من شيخ العرب حرحش والتمانين رجل الذين صحبتهم فلهم ما زالوا سائرين الى ان وصلوا الى الحارة وكان محضرا صحبتهم عشرة قوارير ملأه من زيت النفض وقرطاس كبوت والا لة التي تصلح للحرق فلما وصلوا الى باب الحارة واذا بالحارة مظلمة معتمه وبوايتها مقفولة ولم يروا احدا فيها كاهه والشخص اذا كان ماشى لا يرى رفيقه وهذه الظلمه احسن لهم من النور لاجل الكائن في علم الله العزيز الغفور فانه يحدث من بعد الامور امور فقال شيخهم حرحش نحن بلغنا المني فانتا تقضي اشغالنا ولا احد ينظرنا ولا يعلم بنا ولما قبل حرحش الى باب الخواجه أرسل رجلا من رجاله وقال له أمض وادخل واكشف لنا الخبر وشوف لانه من المعجب كيف ان الحارة دائما سهرانه وفي هذه الليلة أهلها نيام وكل ليله فيها قناديل وهذه الليلة ظلام واعرف بيت يبرس ان كانوا الذي فيه نائمين بالمعجل واتنى بالخبر اليقين فقال له الرجل سمعا وطاعة ودخل من باب الخوخه وكان عثمان يسمع

فيما يقولون وقاعد ينتظر ما يفعلون فلما دخل الرجل نهض عثمان كأنه النسر الحرود ن
 ووضع يده اليمن على فكه ويده الشمال على قفاه وقد ناوله للذي بجانبه والاخر اعطاه
 للذي بجانبه وهكذا وهم ينقلوه من واحد الى واحد حتى أوصلوه الى حوش البيت
 الثاني وكنفوه هذا ماجري واما شيخ العرب حرحش لما مشى من قدامه الرجل ولم يسمع
 له خبر فقال للثاني الحق اخوك قال سمعا وطاعة ونزل ليتبع اخاه وكان عثمان قاعد
 فتلقاه ولحق به اخاه وبعد ذلك صفر عثمان فظنوا الرجال ان الذي صفر لهم رفيقهم
 وكان عثمان صاحب فهم في هذا الفن وما داموا يدخلون واحد بعد واحد وعثمان
 يتلقاهم هو ورجاله حتى اخذوا الثمانين ولم يبق الا شيخ العرب حرحش فوقف
 وهو منتظر خبر رجاله فصر له عثمان فصر الآخر فصر له عثمان ثانيا وثالثا
 فعند ذلك ظن شيخ العرب حرحش ان رفقاءه رأوا الحارة خاليه وجميع الناس ثايمين
 وهم يريدونه ان يدخل لهم ليقضوا اشغالهم فتقدم الى عند الباب وهو يريد الدخول
 واذا بعثمان قبض عليه واداره كتاف على حين غفلة منه ثم سحبه الى الحوش الجواني
 وأمر عثمان غلى القناديل فاوقدت ثم صاح عثمان على الرجال وقال يا جدعان كل
 من كان معه رجل يأخذه ويخرطه فقالت السبايس سبما وطاهه ثم ارادوا ان يفعلوا
 ذلك واذا بالرجال صاحت عليهم وأرادوا المنع منهم فصاح عليهم لا ترجعوا عنهم
 بل أخرطوهم فنادوا نحن في جبرتك يا اسطى عثمان فيينا هم كذلك واذا بالامير
 يبرس سمع الصراخ فنزل بجري على ألحس فوجد الرجال المقبوض عليهم وهم
 مكتفين فقال يبرس ما يكون الخبر فقال له عثمان مالك ومال الخبر انت خليك في حالك
 فقال له الامير وماذا يكون حالك قال له يريد ان نخرط هؤلاء الرجال وكل واحد منا يخرط
 واحد وأما أنا أخرط كبيرهم فقال يبرس يا عثمان أخشى من الله تعالى الرجال يخرطون
 قال عثمان وما نيك الا نيك الرجال فصاح عليه يبرس وفرد اللت وقال أبعد عنهم
 أنت ورجالك فتأخر عنهم وتقدم الى عند كبيرهم حرحش وقال له من تكون
 أنت فقال له انا شيخ العرب حرحش وهذه رجالي وانا من كفر الجماموس

وقد أتيت الى هاهنا ويداحرق هذه الحارة واقتلك وما ارماني في يدك ويدعثمان
 الا السيده زينب لانها مكرمة لجارها ثم اعاد عليه القصة من اولها الي آخرها
 وكشف له عن ظاهرها وباطنها (قال الراوي) ولما سمع يبرس ذلك الكلام حمد الله
 تعالى ثم قال لا حول ولا قوة الا بالله لعل العظيم والله لقد حصلت لنا رعاية
 من حضرة السيده زينب ثم التفت الى حرحش وقال له أنت فيك قوة ومقدرة على
 مثل ذلك فقال له يا دولاتي انا من الاول تأخرت خوفاً من السيدة ولكن غرني
 شيطان الانس وانا بادولاتي بعد ما كنت خالص انشبتك وبقيت في قبضتك فان كنت
 تسامحني وتعفو عني عسى الله يتوب علي على يدك فقال الامير يا عثمان اطلق هذا
 الرجل لما اخرج كيف انه يخدم ثمانين رجل فاطلقه عثمان وقال له روح أنت أهرب
 وخلي رجالك وكان الليل فرغ ولم يبق منه الا اليسير فصاح حرحش وقال يا صاحبة
 القناع الطاهر انا والله يا سيدتي اعرف حقك وتغريت في هذه النوبة وعلى يدك يا سيدتي
 اتوب فعند ذلك ادركه النوم فرأي كأنه عائم على وجه البحر ولم يجد له سواحل
 وهو تعبان ومشرف على الترق فاستجار بالسيدة زينب وهي كريمة الدارين
 ورأى في المنام السيدة وهي تتبخر في حلل الجنة فقال لها يا سيدتي قد
 حصلت منك كرامات ظاهرات فقالت يا حرحش ان الله تاب عليك وعلى رجالك
 من المعاصي كرامه لي ولكن اذا وقظت من مقامك وطارد منك المنام يكون
 الصبح أقبل وولي السلام توب على يد ولدي يبرس وكن له من جملة الخدام
 أنت ورجالك الثمانين لاجل أنكم تناولوا السعد والفنا أنتم أجمعين ويزول عنكم
 البلاء المبين فقال حرحش يا سيدتي أتى تبت على يدك الله تعالى عن جميع
 المعاصي كلها وأنت علي من الشاهدين فقالت انا أكون الواسطة في خدمتك عند
 يبرس وبعد ذلك وقف جرحش وهو يقول كلمة لا ينجح قائلاً وهي اشهد
 أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

تم الجزء السادس ويليه السابع واوله توبة حرحش واتباعه الثمانين

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان
محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره
ومشاهير أبطاله مثل شيعة جمال الدين وأولاده
اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى
لهم من الاحوال والحوادث وهو
يحتوي على خمسين جزء

الجزء السابع

﴿ الطبعة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١هـ - ١٩٢٣م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)

بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحميمي

مطبعة المطاوعة بمرور قسم المطابع بمصر

لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي



وصلي الله علي سيدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلم

(قال الراوي) واعجب ما جري من الاتفاق أن الأمير بيبرس ما عفى عنه وسامحه إلا لأنه نظر السيدة زينب وهي تقول له اغف عنه ويكون لك من جملة الخدام على طول الأيام فانت طاوز غيره فقام بيبرس في الحال وطلب حرحش لأجل صحة المنام وقال له باحرحش انت تستحق ايش في نظير ما كنت تاوي تفعل قال له يا سيدي أما أنا استحق شيء كثير لكن أنا بقيت من المحسوبين على جناب السيدة زينب الذي انت مجاورها أنا ورجالي فقال له تتوب قال له يا سيدي أنا ثبت لله على يد السيدة فقال له وانت في كرامتها اطلقه يا عثمان واطلق رجاله فقال له يا سيدي ان كنت عفوت عني فاقبلني لك خديما قال له بيبرس مرحبا بك تسلمه يا عثمان هو ورجاله جملة مع السياس قال عثمان مرحبا يا جدي ثم أن عثمان أطلق الرجال من الكتاف جميعاً وقد تابوا الجميع توبة نصوحا عن جملة المعاصي ورتب لهم الأمير بيبرس الجرايات والملوقات وقال حرحش لعنة الله على مقلد وكل من يلوذ به والله ما بقيت اخرج من تحت ركاب هذا المولتي ولا من خدمة عثمان اذا كان ذلك بأمر غفيرة مصر صانحة القناع فاقام الطاهر هو ورجاله في أهناً ما يكون من الميش المني

(قال الراوي) وأعجب ما روى في هذه السيرة العجيبة انه في صبيحة ذلك النهار أن مولانا السلطان بات وأصبح يصلي على نبي في كفه الود فتح فظن وجلس على تحت قلعة الجبل بعد ما قرأ الفاتحة حكم مادته والتقت الى الميامن أطرفت والى الميامر اطرفت والصدر والحناحين وقرأ القارئ وختم ودعى الداعي وختم ورقى الرائق وختم وامنت المساكر ترك وعرب وعجم زعن شاويش الديوان يقول

إذا عطيت ولاية كن عادلا واعلم بأنك بعدها معزول
وإذا رأيت جنازة فاسمي لها واعلم بأنك بعدها محمول
(قال الراوي) فقال السلطان آمنا والله أعلمنا ومن أين كنا حتى انصل
وبعد ذلك التفت الى الوزير الاعظم الاغا شاهين الافرم بن الدرويش ديار بك وقال الله الله يا شاهين سبب الاسباب فان الرجل سمي في فله اعقبه الله صلاح وارشاد رغما على كيد الاعداء والحساد وان الله قاب عليه وعلي من معه وأما سبب اشتقاهم الله فانهم يرومون علي شقاهم ياوزير كما قال الله اللطيف الخبير الآية فريق في الجنة وفريق في السعير ونسأل الله الحماية باشاهين من الشقا سببهم من له العزة والبقا يا حاج شاهين الطير بقي حوله طيور خضر وله مناقير طوال وأما الطيور السود فانهم مطرودين ومبعودين ولا بد من البركة على طول الايام تشف شيء بشيء وتبان الزقازيق للصيد الذي نابه في الماء قال فلما سمع الوزير ذلك الكلام تعجب (يا سادة) واذا بالوالي يقبل الارض بعد ما خدم ودعى بدوام العز والنعم ولما نظر اليه القاضي تحرك من مكانه وهز ديدانه وجعل طيلسانه ودور العمامة وقال يا والي مصر يا أمير حسن اعلم أن أولاد الزنا تجاسرت الآن على الاماكن ولم يخشوا علي أنفسهم وكذلك أصحاب البيوت لم يوقدوا قناديل علي بيوتهم وهذا كله من عدم الالتفات فشق مصر ليلا ونهارا وعليك بعدم الاهمال في السر والاعلان (فقال) الملك عرفوا بعضهم بعض طواع يا والي

مصر استاذك على الذى قال لك عليه فاتنا اذا ما أتتنا المهابا الى بلادنا سعيانور حنا
للمنية بأرجلنا كما قال القائل هذين البيتين

اذا كان عون الله للعبد مسعفا يبين له من كل امر مراده
وان لم يكن عوناً من الله للفقير فأول ما يحني عليه اجتهاده

(قال الراوى) فعند ذلك نزل الوالى من الديوان وركب على جواده فتقدم اليه
المقدم وقال له الى أين اتوجه يا أمير قال علي حارة بيرس فقال له المقدم أنت
ما سمعت أن السلطان أمر ما يدخلها أحد لا والى ولا محتسب قال له حسن أنت
يا مقدم مجنون نحن اتباع ولاية اذا كان لازم سوء وسيوفنا مطوق ما فيش
خوف علينا من جنس مخلوق امشى على حارة بيرس فقال المقدم حاضرسار
على الحارة لكن غصباً عنه وهو يقول للقواسة والله يا أولادنا ان قلبى خائف
فقال له واحد من القواسه انا والله يحصل لي قبض من التوبه هذه فقال له الآخر
أنا عيني ترف ولم يزلوا كذلك حتى وصلوا الى باب الحارة وكان في باب الحارة
أول دكان الزبات على اليمين وعلى الشمال فقال الى الذي على اليمين وكان يسمى
الحاج دلوع وقال له يا راجل يا زبات لاي شيء امبارح لم تعلق القنديل قال له
كان حرج علينا الاوسطى عثمان وقال لنا اليلة روحوا من المشا وخلوا الحارة
ظلام قال له الوالى وابن عثمان ثم ضربه علقه وانتقل بعده الى الذي بجانبه وكذلك
الى آخر الحارة وبعد ذلك توجه الى حال سيده فقالوا اهل الحارة لبعضهم نحن ما كنا
طعنا القناديل الا بأمر عثمان هو الذي قال لنا والآن الوالى جاءنا وضربنا ونحن نروح
الى الامير بيرس ثم جمعوا بعضهم رقد مضوا الى عند البيت وطلعوا الى المقعد فعرضهم
عثمان فقال لهم خبر ايه يا جدران قالوا نريد الامير بيرس وان هذا الامر لا يخصك قال
عثمان ادخلوا فدخلوا على الامير وقرؤا له الفاتحة مثل الفقراء وصبحوا عليه فكرمهم
وقال لهم ما الذي تريدونه قالوا له ان الوالى جاءنا في هذا النهار وضربنا وتعلل علينا بعدم
القناديل فقال لهم بيرس من بعد ان سمع الشكوى من أولاد الحارة اعلموا ان الوالى لا بد

له من الطواف على الحارات لاجل عدم المشاكسة ولاجل ابقاء القناديل بالليل
 لازم له من ذلك ولكن حيث انكم جئتم وشكيتم لى منه فانا أكله وامنعكم
 وسامحوه هذه المرة لاجل خاطري فانصرفوا أولاد الحارة وما نالهم من ذلك
 فائدة فلما كان ثاى يوم طلع الوالى الى الديوان حكم عادته فأمره القاضى مثلأمس
 فقال الملك طارح استاذك قالك قد تقرب يا ولدي ميعادك فنزل وركب علي ظهر
 جواده فقال لهم المقدم علي فين قال على حارة بيرس قال المقدم ياأمير طاروعى واكفينا
 شر هذه الحارة فان قابة الاسوده لا احد يقدر أن ينصب عليهم غارم وهذه الحارة حارة
 الامير بيرس وعنده الاسطي عثمان بن الحبله ورجاله ثمانين ويتبع الثمانين ثمانين
 وثمانين واذا طلعموا علينا ياأمير يأكلونا وانت ايش ذنب الناس الفقرا الذى قاعدين
 فى الدكاكين ايش مرادك بضربهم وهم ناس مساكين فقال حسن الايبكي امشى يا مقدم
 بلا كثرة كلام لابد لازم من حارة بيرس فسار المقدم واتباعه وهم يقولون لبعضهم
 ان هذه الفعلة ما هي مناسبة وهذا الوالى كانه مجنون فقال الآخر سوف يعود
 جنونه عليه ونحن اذا رأينا شيئاً مضر نتفرق من حواله ولا زالوا كذلك الى
 أن وصلوا الى الحارة وتقدم الوالى الى الحاج دلوع الزيات وقال له يا رجل قال له
 نعم قال انا أمرتك امبارح بالقنديل ولعته وهو الى الآن والع وها هي الساعة
 من النهار وكذلك تحت الدكان على ووسط الطريق واطى فقال له يا سيدي
 أما وسط الطريق واطى فهو من مرور الحمار والجمال وعدم رش الماء
 وهذا الوقت صيف ولكن يا سيدي اذا كان كذلك نحن نقطع الارض
 فقال له اقطع الارض الي تحت سبعة اذرع قال له الزيات لاى شىء سبعة اذرع
 واذا فعلنا ذلك تطلع المياه قال له انت تراجعني أنا فى الكلام يا بطل ثم التفت
 الى المقدم وقال له ارجي هذا الرجل فرما المقدم وضربه علقه وانتقل الى
 الآخر وكان عطار وقال له يا رجل قال نعم قال أرى علبه القرتقل
 فانه بها فاخرج منها كعبشة وقال له يا رجل هذه تشبه الخفاف الذي

المركب والمخطف له حلقه وهذه أين حلقها ولا بد تعمل لها حلقة قال له وربي
 قرنقل عند أحد غيري بالحلقة وأنا أعمل زينة قال الوالي يا رجل بيتي أنا كذاب
 ارموا هذا الرجل فرموه وضربه علقه ثم التفت الى الزينات الثاني وقال له يا رجل
 ان الجاموس أبيض ولاى شيء السمن أصفر فقال له يا أمير ان الله على كل شيء
 قدير يرفع الدم ويذله فقال أنت كذاب يا ملعون لاند انك أنت تخلطه بالقرع
 الاصفر قال له يا سيدي أنا ما أعرف أن القرع يدخل في السمن قال له يبقى
 انا كذاب رموه فرموه وضربه علقه وانتقل الى القهوجي وقال له كم فنجال
 بمجديد قال له اثنين قال ويكم رطل البن قال بثلاثة دراهم قال له اذا كنت توضع
 الرطل في البحر يسود وأنت تبيع كل فنجالين بمجديد هذا ظلم كثير قال له يا سيدي
 كل الناس على ذلك الوصف قال له كأنك تراجع كلامي ونجعله بطل ارموه
 فرموه وضربه علقه ثم انتقل الى بايع الليمون وقال له كم بمجديد قال عشرة
 قال الوالي القربة الماء بكم قال بمجديد قال الوالي هات قربة واعصر فيها الليمون
 حتى تملأها ويبيعها بمجديد واحد قال الرجل يا سلام هذا كلام ما قاله أحد
 غيرك فأغتاظ الوالي وضربه علقه ولا زال كذلك يضرب واحد بعد واحد على
 مثل ذلك بتمليل باطل حتى ضرب جميع أهل الحارة وطلع من الحارة وراح الى
 حال سبيله (ياسادة) فضافت صدور أهل الحارة وقالوا هذا شيء مالنا عليه
 مقدرة والامير بيرس قال لنا أنا أمنع عنكم وهو جاءنا وضربنا ونحن ندخل
 له ثانياً أما يمنعه عنا وأما نمزل من هذه الحارة ونسكن في غيرها قال بعضهم
 كيف ونحن عيالنا ساكنين في البيوت قال رجل منهم الصواب اننا نروح الى
 الاسدي عثمان ونقع في عرضه ونسوق عليه السيدة زينب ثم انهم اجتمعوا كلهم
 وراحوا الى عثمان وقالوا له نحن أولاد حارتك وكل يوم يأتي إلينا الوالي ويضربنا
 بلا ذنب أول يوم تمل علينا بالقناديل وكنت أبت الذي قلت لنا لا تقتحوا دكا كينكم
 بالليل وبسبب ذلك ضربنا ولما خبرنا الدولاتى فلما منعه عنا ونحن بأسطي رجالك

والذي تعرفه عمله قال لهم ولاي شيء ماجئتوني في الاول ولكن مقدر عليكم
يا أولاد الحارة قالوا يا أسطي الحق علينا قال هاتوا الحق وأنا أريد عنكم الوالي
ان شاء الله يقطع أرقابكم قالوا له ايتن مطلوبك في الحق قال مطلوبي تكون
بسياسة بالسمن البقري والسنل النحل ثم غابوا وعادوا له بستة عشر قصعة كل
قصعة يفرق فيها النور مئانين عيش أبيض نظيف مضمور في السمن البقري والسنل
النحل فلما رآهم عثمان قال يا جدمان هذه أكله مليحة ولكن الله ياكل
الخروف يحمي أمه ثم التفت الى أولاد الحارة وقال لهم اذا رأيتم الوالي دخل
الى الحارة قولوا طقطع شمعك يادبور وبعد ذلك اؤموا مكانكم وهذا الذي
عليكم فقط قالوا سمعاً وطاعة وانصرفوا من عنده هذا ما جرى صلوا على خير
الوري (قال الراوي) وأما عثمان فانه أحضر عشرة جدمان من السياس وقال
لهم انتم تكونوا ملازمين الابواب واذا رأيتم الوالي وجماعته دخلوا اغلقوا عليهم
الابواب كلها فقالوا سمعاً وطاعة ثم التفت بعد ذلك الى عقيرب ورجاله الثمانين
والى حرحش ورجاله الثمانين وقال لهم أريد أعمل على الجندي ملموب لاجل أن
يفوتنى باكر ويطلع الى الديوان وحده فقالوا كيف يكون الملموب قال لهم انا
اجعل قمسى ميتا وانتم تميطوا على واذا اناكم الاكل لاننا كلواوها انتم اكلتم البسيطة
قالوا سمعاً وطاعة قال لهم هيا عيطوا فارادوا المياط فما قدروا على ذلك واخذهم
الضحك فقال عثمان اصبروا وانا اخليكم تميطوا ثم سحب الثبوت وضرب حرحش
على ظهره فصاح حرحش آه يا عثمان ظهري وضرب عقيرب على ذراعه فصاح
عقيرب يا عثمان ذراعي وفعل بالباقي كذلك فصاحوا بجمعهم فقال عثمان خليك على
ذلك الحال وسر المبرقة أم البيت كل من سكت منكم كنت أنا خصمه فرادوا في
المياط وانطرح عثمان في وسطهم على السرير وغطوه وصاروا يصيحون عليه فلما
علا صياحهم سمع الامير ييبرس ذلك فزال الى عندهم وقال لهم ايتن الخبز
فرادوا في بحكائهم وهم ينادوا آه يا ظهري يا عثمان يا ذراعي يا أسطي عثمان

يارأسي ياأسطي عثمان فتقدم الى حرحش وقال له ابش الخبر قال له تعيش رأسك
يا دولاثلي في الاسطي عثمان بن الحيلة توفي

قال للراوى والله ما سمع الامير يبسر ذلك الكلام الا برزت الدموع من
عينية وضرب كف على كف وقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم أنا لله
وانا اليه راجعون ثم أنه تقدم الى عثمان وطل على وجهه وقبله فلم يجد فيه روح
ابدا فصاح وأخاه ثم وقع الى الارض مفشيا عليه وبعد ساعة افلق وجلس عند
رأسه وجعل ينظر اليه ثم انشد ينعيه بهذه الايات

ياراحلا عنا بكاس الممات	ومبعدا عنا يقوئ الشتات
جمع الاحباب يكوا عودتك	وانت ساكن في خلا خليات
اعلنا اتنا سوى نستيم	وليس نعلم اتنا راحلات
لو علنا اتنا راحلين	صكنا تهيننا لهذه الهات
تمضي وتترك حينا خاليا	ومن يكن بعدك بذاك الصفات
فارقنا من غير ذنب لنا	ولا فعلنا معك من سيئات
لكنها دنيا حقيقا غادرة	والاخرة حقنا من البقايات
وكلنا بعدك نكون لاحقينا	بعد الممارئ سكن قبور دارسات
لا خير في الدنيا ونعيمها	وعن قريب يأتنا كل آت
لو كنت بالمال ياأخي تفدى	اورد بذلك سائر الممتلكات
عليك سلامي كل ما هب ريح	على غصون او غردت لائحات

قال الراوى فلما فرغ الامير يبسر من اشعاره وما قاله من نظمه
ونثره صاحت السياس على عثمان وقالوا آء بالاسطي عثمان فقال لهم الامير
ياناس كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ثم صاح على
اليرب وقال له خذ هذا القرطاس الذهب وجهز عثمان بكمه وهات اليه
وجهه يقرأ عليه الى الصباح فاذا طلع النهار أتوجه انا الى الديوان وأخذ أجازة

من الملك ثم ارجع وامشى في مشهده فقال عثمان في نفسه انطلقت عليه الحيلة ثم
طلع الامير بيبرس ونام فلم يأخذه نوم وجعل يبكي الى الصباح ولما طلع النهار قام
توضأ وصلى صلاة الافتتاح ونزل فشد له عقيرب على الحصان وطلع طالب
الديوان وأخذ معه سايس من بعض السياس (ياساده) وأما حرحش فانه لما طلع
بيبرس للنعنام وامر باحضار فقيه يقرأ على عثمان فاحضروا له رجل فقيه يقال له
الشيخ حسن السوداني وكان عثمان ضربه وأخذ عمامته فلما جلس عند رأسه صار
يعاتبه ويقول له كيف تقابل الله تعالى وماذا تقول واى شيء ينجيك الآن بين
يدى الله بالمحقوت تأخذ عمامتي وتضربني الله لا ينفقوا عنك ولا يسامحك هذا
وعثمان سامع منه ذلك كله ولم يرد عليه جواب حتى طلع النهار وقام الشيخ
طلع بالسياس وصلى بهم وتوجه بيبرس كما ذكرنا ونهض عثمان جالسا وقبض على
خناق الفقيه وقال له انت كنت تقرأ على القرآن والا تعانبنى وتقول كذا وكذا
وانا يا شيخ سامعك وقد أحيانى الله لاجل اني اقتص منك هم قالوا لك اقرا على
الميت لعل الله يسامحه والا كنت سجاى تعاتب فيه وتقول الاقوال التى كانت ولكن
بقيت تستحق الاذية امالو كنت قرأت كنت استحققت العمولة فقال له الشيخ حسن
سألتك بالله ان تمفوا عني يا اسطى عثمان فقال عثمان عفوت وعفى الله عنا جميعا
ثم ان عثمان اخذ القرطاس من حرحش واعطاه الى الشيخ حسن السوداني وقال
له سر الى حل سبيلك وادعوا لنا بنخير فدعا له وانصرف الى حال سبيله

(قال الراوى) واما اولاد الحارة الذين بالكاكين فانهم من حيث قال لهم
عثمان تلك الكلمة صاروا يحلمون بها من شدة غيظهم من الوالى ومن خوفهم واعجب
ما وقع ان الخلاج دلوع الثيات بعد ما فرغ النهار وقفل الدكان بعد العشاء وروح الى
بيته وبعد ما تمشا ونام فرأى في منامه ان الوالى اقبل وأراد ضربه مثل ما جرى
سابقا فزعق طقطق شعيرك ياد بور فانقبه من النوم وعلم انه منام فقامت له زوجته
انت رأيت روحك تلعب مع الصغار في الحارة فهذا ما كان من هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من الاغا حسن الايبك الوالى فانه طلع فى ذلك اليوم الى الديوان فقال له القاضي يا والى مصر اعلم ان أهل مصر لا يخافون الا من الحاكم الشاطر وأما اذا كان بطل فانهم يستهزؤن به فشد حيلك فقال الملك الصالح شد حيلك رحمة الله على القائل حيث يقول صلوا على الرسول

يجري على المرء فى ايام محنته حتى يري حسنا ما ليس بالحسن

(قال الراوى) فنزل من الديوان وقدم له المقدم مركوبه وقال له على ابن يأمر قال على حارة يبرس فقال له المقدم ببقا ما بقى شغل امامك غير حارة يبرس اما غدا فى بلد وغشى فى بلد فقال له روح يا رجل انت مالك فصاح فيه فسار وهو يقول لرفقائه انا حاتى رأيتلى منام فقال الآخر وانا امي كنان واشارت لى فقال الآخر وانا زوجتى دعت على وقالت لي امامك خضرة وورائك خضرة ولم يزالوا كذلك الى ان دخلوا الى الحارة وأقيد الوالى على الحاج دلوع الزيات وقال له السلام عليك يا ابى فلم يرد عليه سلام فقال له يا رجل يا زيات فلم يرد عليه جواب فقال له يا رجل انت ماترد على سلام على ايش فقال له أنت رجل ما تستحي على عرضك وانت قليل الحياء روح بلا قلة ادب (قال الراوى) فلما سمع الوالى ذلك الكلام صاح على جماعته واذا بالزيات صاح طقطق شعيرك يا دبور فلم يشعر الوالى الا والسياس محتاطين به وجماعته من كل جانب ومكان وكل واحد منهم مسكوه خسة أو أكثر وعروهم من ملابسهم واما الوالى اراد الهروب واذا بالباب مغلق وكذلك جميع ابواب الحسرة فبينما هو كذلك واذا بعثمان خرج عليه وقال له ما جابك لحارتنا يا وجه حارتنا يا منقرش يا قريب القاضي يا ابن القعجة فقال له الوالى انت تعلمنى مسخرة يا رجل فلم يرد عليه جواب وجذبه من كتفه ارماء على وجه الارض فا وصل الى وجه الارض الا والتبوت على رأسه وعلى ظهره وعلى اجنابه وعلى سائر جسمه حتى رضر رضى بدنه وتركه مرمي بعد ان عراه من ملابسه فا صدق بنفسه الاعثمان بن الحيلة تركه فصار يجري من حلاوة

الروح فرأى باب مفتوح فدخل فيه فكان ذلك الباب دكان صباغ فلما دخل اليه وقع في جرة النيلة التي فيه فأخرج به الصباغ فطلع كالعبد الاسود فهجم عليه عثمان وجذبه اليه ورماه على الارض ثانياً وضربه خمسين نبوت على اضلاعه واركبه على الحصان بالقلوب وربط ذيل حصانه في شواربه وضرب كل واحد من اتباعه ثلاثة ضربات واحدة على اكفاه والثانية على ركبتيه والثالثة على ظهره وقال لهم سيروا أمام الوالى واتم عرايا وارسل السياس ورائهم بصفرون ويزمرون ويصفقون خلفهم رمامهم والناس يضحكون عليهم نساء ورجالا حتى اخرجوهم بعيداً عن الحارة قدر خمسة اميال وعلدوا عنهم راجعين وأهل الحارة فارحين بما جرى على الوالى وجماعته ويشكرون في عثمان ورقائه فالتفت عثمان الى أولاد الحارة وقال لهم لاشفنا ولا رأينا فقالوا سمعاً وطاعة ثم أن عثمان ربط رأسه وقعد على سريره هذا ما جرى من عثمان

(قال الراوى) واما ما كان من الامير بيبرس فانه طلع الى الديوان ومراده ان يستأذن السلطان فرأى السلطان فرحان وهو يقول المعشدي ما جزاء الا هكذا والحق بيد الرجل هو الظالم على قد كذا يا شاهين جزايم ما حل بهم (يا سادة) ولما دخل بيبرس واراد يستأذن بعد ما أصبح على السلطان وخدم فبادر اليه في الحال السلطان بالكلام وقال له يا امير انزل الى بيتك هذا النهار واذا كان في غدا اطلع الى الديوان فنزل بيبرس وهو يقول هذه كرامة عظيمة من السلطان وسار حتى اقبل بين مفارق الطريق واذا بالوالى سائر هو وجماعته على تلك الحالة التي ذكرنا فلما نظر بيبرس الى ذلك اقبل اليه وقال له يا حسن اغا من فعل بك هذه الفعلة فقال له خديمك عثمان يا بشت هو الذي ضربني وضرب هذه الرجال وانا ما بيني وبينكم الا السلطان بعض شاه لازم من دعوة اياك واياه ثم انه سار وترك بيبرس واما الامير بيبرس فانه تعجب لما سمع هذا الكلام وما ذكر عن عثمان وسار طالب داره (قال الراوى) وأما الوالى فانه

ما زال قاصد طريقه وكان مراده أن يطلع الى الديوان بتلك الحالة واذا بالوزير ابيك والقاضي نازلين من الديوان فلما رأى ابيك الوالى والناس مجتمعين عليه وهو على تلك الحالة امتزج بالفضب وقال له من فعل بك هذه الفعلة فأخبره بما تقدم ذكره فالتفت الى القاضي وقال له انظر يا قاضى ما فعل بيبرس وعثمان بالوالى وأنا كل ما أقول لك دبر حيلة وأنت تدبر ولا ينفع بل كل يوم يعلى منصب ويفوز فقال له القاضي ان بيبرس مات وثبتت عليه الحجة شرعا وغدا تطلع الى الديوان وتقيم الدعوة وتأمر أنت خادمين الوالى ان يجعلوه فى تابوت وبطلعوا به الى الديوان وأنا وانت نوضع كم قرش وقول على موت بيبرس يارحم يارحم فقال ابيك يا قاضى انا خايف يذهب مالى ولا ابلغ آمالي من بيبرس فقال القاضي لا والعلم الشريف ولا يكون منبري يوم القيامة كان ذلك فى قرار مكين وبیت احمد بن ابادنس السكي فهو لرأسك

(ياسادة) هذا روح القاضي الى حارة الروم وكذلك ابيك روح الى مكانه وامر خدامين الوالى ان يجعلوه فى تابوت وفى صبيحة غدا يطلعون به الى الديوان حكم مارتب القاضي هذا ما كان من هؤلاء (قال) واما الامير بيبرس فانه سار الى داره فرأى عثمان جالسا وهو ينين ورأسه مربوط بالحزمة فقال له بيبرس يا عثمان قال عثمان نعم فقال له بيبرس قلبى عليك لما كنت ميتا الحمد لله الذى ربنا احياك قال عثمان يا جندي يحى العظام وهو رميم قال بيبرس وربنا رد عليك روحك قال عثمان نعم بعد ما كانت طلعت روحي رجعت ثانى فقال له بيبرس ايش الذى عملت فى هذا النهار قال عثمان لاشفنا ولا رأينا ولا جري شيئا اهدا وادبنى وادى الوالى المنقرش قريب القاضي وادى اولاد الحارة شاهدين ان ما كانوا يقولوا ما شفناش ان كنت ضربته والاضربت خدامه ولا وقع فى دكان الصباغ فى حارتنا انى لاشفت ولا رأيت فقال له بيبرس احكى لى وهو عملايه الوالى قال عثمان الوالى هو الذى ضرب الناس وشكروا لك منه مرتين تقول مقدر فكان مقدر عليهم وكان مقدر على الوالى أيضا وهو

مقدور ولا انت مرادك فخر بالحارة نفخت أنا على خراب حارتا ففقت أنا عملت كذا وكذا
فاذا شكى لك قل له هذا مقدر مثل ما قلت لغيره فقال بيبرس هذا ماهو الكلام
يا عثمان قل لي انت عملت في الوالى ايش قال عثمان شكوا الى أهل الحارة قلت
لم اعملوا النفقة للجدعان فعملوها فعملت عليك الحيلة وعملت كأنى ميت فليست
انت منى وطلعت للديوان ولما جاء الوالى ضربته علقه فهرب منى ووقع في دكان
الصباغ وغطس في النيله وأخبره بالذى جرى من القصة من أولها الى آخرها
وكشف له على ظاهرها وباطنها فقال بيبرس استضت بالله عليك يا عثمان ولكن
اذا طلع بكركه للديوان وشكى دعوته الى السلطان كيف تعمل انت يا عثمان قال
عثمان مايجرى الا الخبير وأنا أرسل عقيرب يقول سبب الدعوة لانها فارغة فقال
بيبرس اخرس يا رجل بلا كلام وامنع منى ما أقول لك قال عثمان طيب قول قال
له اذا انتقامت الدعوة أنا أنكر واحلف انى ما رأيت وانت انكر وقل لا رأينا
ولا نظرنا قال عثمان طيب نحن لا رأينا ولا شفتنا ولا عريت خدامه ولا قطعت
لحمهم بالضرب

(قال الراوى) ولما كان ثانى الايام قام الملك الصالح وصلى فرضه وختم أوراده
ولما تكامل الديوان دخل الاغا جوهر وقال هل من حاجة يا سيدى لما يعلم أن
الملك الصالح كان غالب أيامه صائما تطوعا لله وأبام يعرف أنه ليس مستحلا صومها
فيأمر الاغا جوهر يأتيه بقرقوشة يبلها بالماء ويفطر بها فلما كان في ذلك الصباح
دخل كما ذكرنا وقال قدام الملك الصالح هذه الايات

صبحت بخير واسعد الله لياليك وانت سعد والمز والتصريو افيك
هنتت بصدق وانت ذو عدد ووفق يا ملك وفق كفيت شر أعاديك
ملكك متحفود وولتك والجنه صفوف مئات والوف وكلهم محتاجين اليك
(قال الراوى) قال الملك الصالح اللهم احبي الاسلام ثم انه قام من قاعة
الجلوس وظهر الى الديوان وميل على الميا من اطرفت وعلى المياسر اطرفت وجلس

على نخت قلعة الجبل وقرأ القارىء وختم ودعا الداعي وختم وآمنت الدولة ترك
وعرب وعجم صاح شاوليش الديوان يقول صلوا على الرسول

جل الذى على الخلائق دام متجلى يقبض ويبسط ويشرح صدر متجلى
يامس على الزور خانه كل منسولي سلطان على الملك يمزل فيه ويولى
(قال الراوي) قال الملك آمنا والله اطعنا ومن أين كنا حتى اتصلنا وأراد
الملك أن يتعاطى القصص ويريد القصص ثم يحكم بالعدل والإنصاف كما أمر النبي
جد الاشراف صلوا عليه يا عراف فأخذ الطرب سبحان من يعلم ما الناس عليه
فصند ذلك التفت الى الصدر الاعظم وزير الميمنة وهو الاغا شاهين الاقرم بن
الدرويش عثمان وقال يا شاهين انظر الباطل تجد له الف باب وأما الحق يا شاهين
كل من دخل فى باب من أبواب الباطل وأراد أن يسلك منه فيرد ويقع فى الحق
والباطل ينجله ولعن الله أهلى الباطل يا شاهين الرجل الذى قتله رزقه تعدي
فيه سهم رباني وكشف الله ستره ويفعل الله ما يريد وهذا النهار طالعه سعيد
ومبارك قال له الوزير لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يامولانا ايش جري
قال السلطان الرجل الذى يجيب الخوص من على النخلة قام وانحظر له غراب واراد
أن يسد له العميرة الذى يعملها وقام يخبطه خبطة خلاء عبرة ما خلصوش كان
فسكنه لكن الرجل أرمى الوقت يقطع لنا فرطه وترتاح منه قال الوزير لا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم قال السلطان يا شاهين كم أقول لك ما تفتشى على
أنا كلما جاء على بلى أقوله والله يفعل ما يريد

(قال الراوي) واذا ياب الديوان استند والستار اشتد وخدام الوالى طالعين
من باب الديوان وهم حاملين تابوت وعليه سيدهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الملك الصالح يا شاهين هاهنا قرانه أو جبانه
غربا فقال الوزير خبر ايه ياناس قالوا له تعيش رأس مولانا السلطان هذا حسن
أغا والى مصر قال الملك جل ربنا كل شىء هالك الا وجه ربنا الكريم جل

مدبر الكائنات فلماذا لا تدفونهم ولاي شيء جيتوه قالوا له مات قتيلًا قال الملك
الله بادايهم حق يا علام الغيوب من قتله قالوا عثمان ويبرس فعند ذلك رمي ابيك
قاووقة وقال خرمات بوق باخسه يعني ما خرمشي بقي (با ساده) فعند ذلك
تحرك القاضي من مكانه وهز ديدانه ودور عمامته وجنح طيلسانه وحرك لسانه
وقال هكذا يجري القتل جهاراً في بلد الاسلام هكذا يا مولانا السلطان يا حفيظ
يا أمير المؤمنين أنا كم أقول لك هذا القول مراراً واكرره تكراراً واذكره
سراً وجهاراً وأقول أن هذا الغلام ما أتى من بلاد الاعجام الا نعمة من الله والسلام
لخراب بلاد الاسلام ويفسد ملكك يا ملك الانام وانت لا تصدقني كلام فلا
حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد اتفق مع عثمان هذا الرجل الظالم خطاف
المام ودور الحق على غطاء لما التقاه وكم قتل هو وعثمان قتيلًا بعد قتيل حتى
يفنى لقولة ولا يبقى لا كثيراً ولا قليل يا مولانا السلطان من قتل يقتل فالصواب
قتلهم وأنا يا أمير المؤمنين أدفع من مالي ومن صلب حالي وزكاة عن قلبي ومحبة
في دين الاسلام وابتغاء لمرضاة الملك العلام خمسين كيساً وخمسين مملوك وخمسين
جواد عليك يا وزير ابيك بمنلتها فقال الملك الحق بيدك يا قاضي فان الذي يقتل
والي مصر يقتل غيره مثل أمير أو وزير ولكن هاتوا لنا الفلوس والعديد المذكور
حتى نبعث الى يبرس وخديجه ونخلص آذانها الاثنين فلهم باقاضي اثنين فاسقين
فسدوا في الارض وان كان الفساد من دأبهم فلا بد من صلبهم فقال القاضي
باحاج منصور اثني خمسين كيساً وثمان خمسين مملوك وثمان خمسين جواد وانت
يا وزير ابيك ادفع الذي عليك قال الوزير حاضر يا سيدي فنزل منصور واحضر
الاموال. وكذلك الوزير ابيك اجلها فيما قالوا ولما حضر المال قال الملك اطلبوا
يبرس هو وعثمان حتى تنظر كيف يجري على ذلك وكيف يقتلوا من الله تعالى
يا شاهين فعند ذلك أرسل الاغا شاهين بطلب يبرس فساروا اثنين من ممالك
الوزير الى بيت يبرس وقد صبحوا عليه وقالوا له تفضل مولانا السلطان بطلبك

فقال سمعاً وطاعة ولكن ايش الذى جري فقالوا له ان الوالى مات وطلعموه الى الديوان وقالوا انت الذى قتلته وانتقامت الدعوى وان السلطان طالبك بسبب ذلك والوزير ارسلنا اليك فعنه ذلك طلب يبيرس الحصان وركب والتفت الى عثمان وقال له الوالى قد مات قال الى جهنم وبئس الشئنا احنا لاشفنا ولا رأينا فقال له الامير اصحى تقر يا عثمان قال عثمان بس ما تقول انت وأما أنا لاشفت ولا رأيت ذا كان منقرش ثم ساروا الى أن وصلوا الى الديوان فنزل يبيرس من على الحصان وسلمه الى عثمان وطلع الى الديوان وخدم وترجم وافصح مابه تكلم ودعا للسلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم وأنشد يقول صلوا على صاحب المعجزات

سلامى علي هذا المقام وذا الجما مقام به كرسى الخلافة قد نما
سلام بدايته تكون تحية على رحمة يغشى بها المسك خاتما
الله باحافظ يحفظك وينصرك الله يأخذ بيدك الى جنات النعيم بأمر المؤمنين
مقال السلطان مرحبا بالعدل الظاهر والله أعلم بالسرائر والله يباهين كل من عاند
مسعود ما يموت الا مقهور مكمود تعالى يا يبيرس انت وخديك قتلت هذا الرجل
الذى قالوا عنه صحيح والا كذايين قال يبيرس أنا يا أمير المؤمنين ما أعلم بشيء
من ذلك أبدا قال الملك الصالح ان القاضى يقول ان عثمان قتله ولكن هات لنا
عثمان حتى نشوف لماذا قتله لاجل تمام الدعوى فقال سمعاً وطاعة ونزل يبيرس
(باساده) وكان عثمان بعد ما توجه يبيرس الى الديوان قد جمع أولاد الحماره
وأخذهم وسار أمامهم وهم خلفه يقولون خير فلما تقربوا واذا بالقاضى الذى فى
محكمة طيلون مقبلا فأنزله عثمان من على بطلته وقال له اشهد على هذه الشهادة
فقال له خير قال له خليك على هذه المقالة فسار القاضى معهم ولم يزلوا كذلك
حتى قربوا من الديوان واذا يبيرس مقبل قال ايش الخبير يا أولاد الحماره قالوا
خير قال يا عثمان خير ايه قال يبيرس أنا مالي بالخير خير أو شر ان الذى طالبه

السلطان هاهو حاضر ثم عاد يببرس الى الديوان فقال له السلطان جيت عثمان
قال نعم قال أين هو (يا سادة) واذا بثمان طالع من باب الديوان وهو يغنى
ويقول يا ليل ويترنم بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات
سافرت في البحر مع ريس ولدغربان اقف المراسي وصحننا معه غربان
قر الدجى غاب عن عيني وللقبر بان صيد الصايب صاب وصبح الصيد لقربان
صباح الخير عليكم يا اسطوانات من الطاقة للعلاقة ومن الدفة للشبورة صباح
الخير عليك يا معلم صالح يا برجوطه من الفاتحة في صحايفك وصحايك كبيرك
الذي علمك مسك الكفة والجرة وضرب المقشة في الاسطبل ضمها يوم الله
فدما لك تأكل قراقيش الخبز والدقة لما تروح ماتلحق تقول فقال له الملك الصالح
يا شيخ عثمان دايمًا تعابرنى انا أحد علمنى كفه ولا جره هو أنا يا رجل سايس
قال والوقت أعلمك يا معلم صالح صباح الخير عليك يا أبو فرمه يا أس البيت
وعمود الخيمه صباح الخير عليك يا قاضى يا منقرش يا لى من العطفة الضيقه
عارفك يا ابن القمبة أوعى تقول ما يعرفنيش قال القاضى اخرس قبح الله ذاتك
قال عثمان خليه في دار جهاتك قال عثمان صباح الخير عليك يا ايبك
يا قليط قال ايبك اسكت يا رجل قال وبعد ذلك التفت السلطان الى عثمان
وقال له أنت نعيم وتعلمنى سايس حق وعقيرب كبيرك وأنا جددك قال الصالح
أنا رضيت ولكن أنت صملت ايه في الوالى قال عثمان عز الله جل الله ما في الكون
غير الله قول مى أنت يا برجوطه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال عثمان وأنت يا قاضى عليك غضب الله يا منقرش أنت كتبت لنا الورقة
والا لا واخرج الفرمان الذي بخط الوزير وختم السلطان أمير المؤمنين بأن
ما أحد من الارباب يدخل حارة يببرس أبداً ال الملك ثم أنا أمرت بذلك
وما الذى جرى والذى يخالف قولك يلزموشى حاجة قال الوزير لا يا عثمان

من خالف ولي الامر عند المذاهب يقتل ولا جناح على قاتله قال عثمان اسأل
أولاد الحارة وكان قاضى طيلون أمامهم فقال السلطان ايش الخبر يا اولاد الحارة
قالوا خير قال السلطان ان شاء الله خير ولكن اخبروني قالوا خير فتركهم الملك
والتفت الى قاضى طيلون وقال له ايش الخبر قال خير قال السلطان عثمان قتل
هذا الرجل قالوا خير قال السلطان ما قتله قالوا خير قال الملك ان كنت حاضر
قال خير قال له ما حضر تش قال خير قال شغت بعينك شىء قال خير قال ما رأيت
شىء قال خير قال الملك وبعد تلك الشهادة قتلت انزلوا قالوا خير قال الملك
اقعدوا قالوا خير فقال السلطان اصرفهم عني يا عثمان فصرفهم عنه وزلوا من
الديوان وساروا الى حال سبيلهم والتفت السلطان الى عثمان وقال له كل لي
الحكاية فقال عثمان اخبرك حاضر يا أبو جوطه ان الوالى أرسل لنا جماعة
ومرادهم يحرقوا حارتنا فلما دريت بذلك قلت لاولاد الحارة روحوا ووقفت
أنا والجدهان بالليل مسكناهم وكنا رايمين نخرطهم فقام الجندى خلصهم مني
وتوبهم وخدمهم عندنا قام الملق لما لقي روحه مانعش صبح جانا عمل طرقة
على أولاد الحارة وضربهم مرتين قت لما سمعت الخبر عملت حيلة على الجندى
وأحكي له ماجري من أوله الى آخره وكيف وقع في جورة السباغ والحكاية
التي تقدمت من المبتدا الى المنتهى ولا في الاعادة افادة الا الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم قال في آخر كلامه وكنا دبرنا يا أبو جوطه اننا ننكر
ولا شغنا ولا رأينا فقال السلطان وسيدك حاضر قال عثمان سيدى ما يملشى
ولما بلغه الخبر قال يا عثمان انكر ونحن لاشغنا ولا رأينا ولا نظرنا فقال القاضى
أقررت ولا عذر لمن أقر فقال السلطان يا عثمان ان القاضى قال الرجل مات
قال عثمان اذا كان مات اتقضى عمره وفات وان كان لم يموت أنا أكمل موته
ويموت ويصير الى أقل الرحمات ثم ان عثمان وثب مثل الاسد الفضباز وأخرج
من حزامه سكين وتقدم الى التابوت وضرب الوالى أفرا بطنه فصاح الوالى

وَأَرَادَ أَنْ يَقُولَ آه فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ لُغْوَتُهُ الْأَصْلِيَّةُ وَقَالَ وَاي يَا مَسِيحَ وَخَرَجَتْ
رُوحُهُ الْخَبِيثَةُ مِنْ بَيْنِ جَنْبَيْهِ فَلَمَّا سَمِعَ السُّلْطَانُ صَرْخَتَهُ قَالَ هَذِهِ لَيْسَ لُغَةً مُسْلِمًا
اكْشَفْ يَا قَاضِي عَلَيْهِ كَانَ دِيْوَانِي مَسْخُورَةً نَزَرِيَا أَهْلَ الْكُفْرِ بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ الَّذِي
يَصْرُخُ هَذِهِ الصَّرْخَةُ مَا هُوَ مُسْلِمٌ وَلَكِنْ اكْشَفْ عَلَيْهِ يَا قَاضِي فَقَالَ الْقَاضِي سَمْعًا وَمَطَاعَةً
ثُمَّ قَامَ الْقَاضِي وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى آئِنَتِهِ وَإِذَا هُوَ بِغُلْفَتِهِ فَقَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ هَذَا نَصْرَانِيًّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقَدْ أَقْشَعَرْتُ بَدَنِي مِنْهُ فَقَالَ الْمَلِكُ أَمْتُ وَأَيُّكَ
وَرَدْتُمُ الدَّرَاهِمَ وَالْمَالِيكَ وَالْخَيْلَ عَلَى قَتْلِ بَيْرُسَ وَعَثْمَانَ ظُلْمًا وَعَدُوا نَاوَا الْأَعْلَى
أَظْهَارَ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ قَالَ الْقَاضِي عَلَى أَظْهَارِ الْحَقِّ مِنَ الْبَاطِلِ قَالَ الْمَلِكُ الْحَقُّ
ظَهَرَ وَاتَّضَحَ وَالْبَاطِلُ خَفِيَ وَانْدَثَرَ بَقِيَ الْمَالُ لِمَنْ يَا قَاضِي قَالَ الْقَاضِي لَكَ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ قَالَ الْمَلِكُ وَهَما مِنْ عِنْدِي إِلَى ابْنِي بَيْرُسَ فِي نَظِيرِ هَذِهِ التَّهْمَةِ هَبْ كَرِيمٌ
لَا يَرُدُّ فِي عَطَاءٍ وَارْفَعُوا هَذَا الْكَافِرَ مِنْ هُنَا قَالَ الْقَاضِي أَحْرِقُوهُ وَذَرُوا رَمَادَهُ
فِي الْهَوَى قَالَ الْمَلِكُ هَذَا الَّذِي نَابَهُ مِنْكَ يَا قَاضِي وَلَكِنْ ذَلِكَ نَظَرَةٌ الْحَقِّ
قَالَ نَعَمْ ظَهَرَ يَا مَلِكُ قَالَ الْمَلِكُ وَالْآنَ الْبَلَدُ بَقِيَ بِلَا وَالِيٍّ انْظُرُوا لَنَا مَنْ
يَكُونُ وَالِيٍّ فِي مَكَانِهِ فَقَالَ الْقَاضِي يَا مَلِكُ دَسْتُورُ أَتَكَلِّمُ بِكَلِمَةٍ حَسَنَةٍ لَيْسَتْ
بَسِئَةً قَاطِبَةً قَالَ الْمَلِكُ تَكَلِّمُ سَبْحَانَ النَّاطِقِ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَالَ الْقَاضِي الَّذِي
يَصْلُحُ لَدَيْكَ فَهُوَ وَلَدُكَ الَّذِي دَائِمٌ عَلَيْهِ الْفَلَاحُ وَالنَّجَاحُ وَهُوَ الْأَمِيرُ بَيْرُسُ
الَّذِي شَمَسَ سَعَادَتَهُ عَلَى وَجْهِهِ كَالْمَصْبَاحِ قَالَ أَيُّكَ أَبَوُهُ كَالْمَصْبَاحِ آه يَا مَقْلَةَ
مَتَاعِ زَغَلٍ يَا مَعْرُوسَ قَالَ السُّلْطَانُ يَبْقَى يَا قَاضِي أَنْتَ تَرْضَى بِأَنْ يَكُونَ بَيْرُسُ
وَالِيٍّ مَعْرُوسَ قَالَ الْقَاضِي نَعَمْ فَإِنَّهُ يَصْلُحُ وَعَلَى يَدَيْهِ تَتَنَفَّذُ الْمَسَالِكُ قَالَ الْوَزِيرَانِ
بَعْرُسُ رَجُلٌ فَقِيرٌ الْحَالُ فَقَالَ الْقَاضِي أَنَا أَسَاعِدُهُ بِخَمْسِينَ كَيْسًا وَنَحْنُ خَمْسِينَ مَمْلُوكًا
ثَمَنَ خَمْسِينَ جِوَادٍ وَعَلَيْكَ يَا وَزِيرُ أَيُّكَ مِثْلُهُمْ فَقَالَ أَيُّكَ مِثْلُهُمْ عَلَى شَأْنٍ إِيَّاهُ
يَا قَاضِي قَالَ لَهُ الْقَاضِي إِطَاعَةٌ لِلْأَمِيرِ بَيْرُسَ لِيَكُونَ وَالِيٍّ عَلَى مَعْرُوسَ قَالَ أَيُّكَ
وَأَيْشَرُ يَنْفَعُنَا يَا قَاضِي أَحْنَا مُطَالِبِينَ مَوْتَهُ وَالَا تَعْمَلْهُ وَالِيٍّ قَالَ الْقَاضِي إِذَا عَمِلَ

والى فان اريك كيف ادبر على هلاكه بتدبير حسن واحتيال انت بس ساعدني
في دفع الدراهم ولا تهتم على ما فات منى نصيب ومنك نصيب مات بيرس وساوي
من له سنين واوقات وانا الذي ادبر عليه وأرميه في كل الاوقات فعند ذلك
قال السلطان هاتوا ثمن الخيل والماليك فقال القاضي حاضر تعال يا منصور
انزل هات خمسين كيس ذهباً وثمن خمسين جواد وثمن خمسين مملوك وكذلك ابيك
حضر الذي جاء عليه فقال الملك يا بيرس قال ليبيك وقام ووقف بين ايدي السلطان
فقال له جاء لك مائه مملوك ومائه جواد ومائة كيس وتكون والى على مصر لبسه
يا شاهين خلمه يشوف شبابه فانه مفرد في السعادة أسأل الله الكريم رب العرش
العظيم كل من يكره ولدي بيرس لا يموت الا مقطعا على حربه ويحرق بفائط
الكلاب قول يا قاضى آمين قال القاضي آمين قال الملك سبقت في علم الله
تعالى يا جماعة (قال الراوي) وبعد ذلك ارتبى القفطان على اكتاف
بيبرس والدراهم سلمها الوزير الى الخنددار يؤديها الى الامير بيبرس وخرج
الامير من الديوان بعد ما وصاه السلطان وقال يا ولدى عليك بالعدل والانصاف
كما أمر النبي جد الاشراف صلي الله عليه وسلم انهى عن الظلم وقال الظلم
ظلمات وان دام دمر العدول لا يدوم وان دام صر صدق الله ورسوله
عليه الصلاة والسلام وانت سيفك مطلق فعند ذلك قبل يد السلطان
وكذلك يد الوزير وخرج والقفطان على أكتافه قتلقاته عثمان وقال له
مبارك يا جندي لعلك مشد تراب وآفة كلاب قال بيبرس اخرس يا رجل
ليست والى مصر قال عثمان سبوح قدوس اخدمه ماهي بالدبوس أنا ما بقيت
أخدمك أبدا لانك كل جماعة تمل وتغور وعثمان كل شوية يوطي ويغور
قال له بيبرس وايش الذي قصدك فية قال عثمان ان كان لك غرض في
خدمتي واكون على عهدي معك أكون انا الآخر والى مصر الصغير
وانت والى الكبير وتلبسنى القفطان الذي لبسه لك أبو جوطه ويناديلي

عقيرب ويقول عثمان لبس والى مصر الصغير قال الامير بيبرس انارضيت يا عثمان
وقلع القفطان ووضعة على عثمان وقال له الذى تعرفه اعمله فعند ذلك أحضر عثمان
عقيرب وقال له هات الجدعان هنا قدام الديدان فنزل حالا واحضر له الثانين
سايس فلما حضروا قال عثمان يا جدعان أنا لبست والى مصر الصغير وهذا
القفطان بتاع الولاية لبسته ومرادي منكم ان تحضروا لي حصان وعقيرب يكون
على اليمن وحرش يكون على الشمال والثانين بتوع عقيرب يكونون قدامى
ينادون فى الموكب اسمعوا لنا النادية والتنبيهة حكم ما أمر المعلم صالح ابو فرمه
ان الجندى بيبرس هو والى مصر الكبير وأما الاسطى عثمان ابن الحيلة الذى بيته
فى المراغة والقبر الطويل وعبد اسم فرج وعلى بيته حليه ومعلق على بابة قنديل
وخدام عند الاشقر الانقر صاحب التدمشقى العمرانى الذى داهيه تجيلة وتجي
للى دمشق الذى اسمه بيبرس فانه والى مصر الصغير وحاكم على كل امير والقفطان
على اكتافه من الوالى الكبير وتكونو هكذا يا جدعان للبيت قالوا سمعنا
وطاعه وكان الامر كما ذكرنا وانعقد لعتمان ذلك الموكب على هذه الكيفية
من القلعة الى بيت الامير بيبرس (قال الراوى) هذا والناس يباركوا
لعتمان فاذا حضر أحد وقال نهارك مبروك يا والدى مصر بمطيه سبعة دراهم
فضه وأما الذى يقول نهارك مبروك يا اسطى عثمان فيصيح ويقول طوطمش
فيقول عثمان ورميش فيرموه السباس الى الارض فاذا صاح الرجل وقال
انا فى عرضك يا اسطى عثمان فيقول دقوا قوس فيصير الضرب على الرجل
من السياس حتى انه ينهيه أحد من السياس فيقول انا فى عرضك يا والى
مصر فيقول عثمان شفا فيرفعوا عنه الضرب وسار موكب عثمان بهذه
الكيفية والصفة الى يبب احمد بن اباديس السبكى الذى هو بيت الامير
بيبرس واعجب ما وقع واغرب ما تفق عليه من كرامات عثمان ان فى هذه
النهاري كان من اخطاه عثمان سبعة فضة اغناه الله غناء لا فقر بعده وكذلك

كل من ضربه عثمان في ذلك النهار لا بد ان يكون فيه عاهة أو داء فلا ينطلق من أمام عثمان حتى تذهب عنه تلك العاهة أو الداء الذي به ويرجع سليم البدن وهذه كرامات عثمان ببركة السيده لانه خديمها وثبتت هذه الكرامة الواضحة ولما وصل عثمان الي دار احمد بن اباديس السبكي ونزل من على الركوبة احضر واه سرير وجلس عليه فقال اولاهاتو الارغول فحضر السياس والارغول ودور الصغير والصفق وعثمان ماسك النبوت وصار يرقص عليه فرحا ومرحاحتي اخذ حظه وبعد ذلك جلس على السرير ووقفت السياس جميعا في خدمته هذا ما جرى لعثمان (قال الراوي) واما الامير بيبرس فانه ركب على حصانه وسار وحده الى ان اقبل داره وترك عثمان في حاله ولم يكدر عليه وطلع الى المقعد وجلس فيه فيبينها هو جالس واذا بالخدامين الذين للوالي قد اقبلوا وسلموا وخدموا فقال بيبرس ما الخبر وانتم من ابن قالوا بادولاتي نحن خدامين الوالي وكل من عمل والي تتبعوه وان الوالي القديم توفي على يد سيدنا والي مصر الصغير فاتينا نحن الي حضرة الدولاتي نريد اكل عيشنا وخدمتنا عندك يا أمير فقال لهم الامير انا عندي خدامين وليس محتاج الي خدامين فقالوا له يادولاتي قطع المعاش حرام ونحن لا لنا صنعة ولا شغلة نعرف نتقوت بها خلاف هذه الخدمه من آبائنا واجدادنا فقال لهم بيبرس انتم لكم على الوالي جامكيه شهريه قالوا له ليس لنا على المخدم شيئا وانما نحن علينا للمخدم كل ما تتكلف مطبخته من لحم وخضار وسمن وحطب وملح وقلقل فقال بيبرس ومن اين تجميعوه قالوا له يا سيدى من السراحين الذين يسرحون في كار السرقه والمناصر والزغل والتعريض والبلطجيه واصحاب المشارط ولعابين القمار وبياعين الحمر وبياعين الحشيش وأرباب الزور ودالين الربى ومثل ذلك فقال بيبرس وهؤلاء الذين ذكرتموهم كيف تعرفون محلاتهم فقالوا يا دولاتي كل حرفه من ذلك لها رأس ورأس الجميع مقدم الدرك للقدم مقلد صاحب ذرك

البوابه فقال بيبرس يا جدمان هذا حرام يا اهل ترى اذا كان يطلع لكل واحد منكم كل يوم خمسة دراهم فضه وعشر أرغفه ويفطر الصبح من صاطي والمغريه له طاسه مسلوقة يملأها من المطبخه من الطعام الذي يمجبه وهذا شيء لا مقطوع ولا ممنوع يومى يطلع يقطر على الطبلية مع الخدامين ويقوم من على الفطور يمشى للمخبز يأخذ عشرة أرغفه ويطلع يأخذ خمسة دراهم فضه من الخزنه وأما من جهة الكسوة فان في رمضان له بدلتين ومركوب وأيضا لحريمه بدلتين ومركوب وأما في العيد الكبير له بدله وحريمه بدله وله مركوبين هو وحريمه ولا يلزمكم مطبخ ولا كراء فقالوا له ياسيدي اذا كان الامر كذلك هذا أحسن ما يكون لنا قال لهم لكن على شرط انكم تتوبوا عن هذا الفعل وتستعملوا الصلاة والعبادة مثل ما فعل حرحش وأما اذا اكتشف عليكم في أمر يفضب الله فلم يكن عندي الا الصلب على البوابات فقالوا له ممما وطاعة فقال اندهوا على عثمان ولما حضر عثمان احكى له العبارة فقال عثمان خليم يا جندي يدخلوا للاصطبل تحت يبرق عثمان فقال بيبرس خذهم يا عثمان فأخذهم عثمان وتاب الله عليهم وصاروا تحت أمر عثمان ورتب لهم حكم ما قال الامير بيبرس هذا ما جرى صلوا على خير الوري وقام بيبرس الى آخر النهار ثم انه تذكر قول السيدة صاحبة الفناع الطاهر على عثمان انه يشاوره ولا يخالفه فعند ذلك طلب عثمان الى عنده فلما حضر قال له يا عثمان ايش هذه الطوائف الذي حكوا لي عليها خدامين الوالي الذي مات وهذا الامر يفضب الله ورسوله قال عثمان شوف يا جندي اذا أردت ان تري هذه الطوائف فان رئيسهم مقلد مقدم درك البوابات وهؤلاء الجميع من تحت أمره فاذا كان يطلع من يدك تنخضع له وتمتج له عجب حتى انه يدلك على جميع الامور واذا سألك على فقل له ان عثمان سايس ولا له عندي شغل الا خدمة الحصان وادخل تحت باطه حتى انك تطلع على جميع الامور

وبعد ذلك اعرف شغلك وانا اخلى بالى وان شاء الله ببركة المبرقة تبلغ كل المقصود (يا سادة يا كرام صلوا على خير الايام) وأما الامير بيبرس فانه صبر الى ان أقبل الليل وصبر الى بعد صلاة العشاء وركب وأخذ عثمان معه ولم يزل حتى شق البلد وفي الثلث الاخير من الليل وصل الى باب الغريب وطلع الى براءة البرج فرأى برا البوابة جماعة من أولاد الرنا الطاغيين ونظر الى المقدم مقلده وهو جالس كأنه النمرود وكبر فرعون في عينيه وعليه الملابس الفاخرة والرجال بين يديه وقوف والخدام والعبيد وهو بين الجميع كالهرج المشيد وله لحية كبيرة كما قال فيه الشاعر هذه الايات صلوا على صاحب المعجزات
انظر الى رؤية بالخزى قد كنت تجمع المسخ فيها بالقناطر
السخط فيها وغضب الله حل لها نعوذ بالله من ذات الخنازير
(قال الراوي) فلما أقبل الامير بيبرس اليه فلم يسأل عنه ولا يعبا ولا قام له ولا اعتنى به وذلك من شدة كبره وتجره فتعجب الامير بيبرس من ذلك والتفت الى عثمان وقال يا عثمان من هذا قال هذا المقدم مقلده كبيرنا كلنا وانا يا أشقر ما افتقرت الا من أيام بمدت عن كاره وان كنت ما تصدقنى اسأل حرحش كمان يخبرك فقال بيبرس يا حرحش من هو هذا الرجل فقال حرحش هذا المقدم مقلده الذي ما يجرى شيء من الدنيا الا ويكون بمعرفة وهو كل اولاد الرنى والاشقياء من تحت يده من حرامى وبطحجى وسلال ولص وسارق من جميع ما يكون وهذا الذى أرسلنى الى حرقا رتك وامرنى بموتك ولكن الله حافظك وحكم لك الامان بالاسطى عثمان (قال الراوى) فلما سمع بيبرس ذلك زاد به الغضب واضمر لهذا الرجل الموت والتكيد ولكن أخفى الكمد وأظهر الصبر والجلد وأقبل على المقدم مقلده وقال السلام عليك يا أبى قال مقلده أنا لا أعرف سلام قول ما عندك يا ولدي أنت الذى لبست والى قال بيبرس نعم يا أبى قال مقلده أنت

الذي توبت حرحش وجماعته وعثمان وجماعته قال نعم يا ابي قال مقلد جاتك
داهيه تلفك يا غائر يعني ايش جالك من هذا عثمان خطاف عمائم ومقل حاجة
فارغه وانا ما أسأل عن ذلك كله وأما حرحش فانه كان عندي من الرجال
المعدودة ولكن دارت يدنا عليهم ثاني وأنت الآخر بالجملة بقيت من أتباعي
وان مشيت ممي مرحبا ولا بد أرتب لك ما كنت تحتاجه الى مطبخك
وكرارك ومصرف بيتك قال له يبيرس انا ما جيت الا على شان أشوفك
وانتفع عمرتك اذارضيت بي أكون كأمثالي ولا يفرك اني والى فانا لم أخالفك
في أمرك وكلما قلت لي عليه أنا أطاوعك فيه قال المقدم مقلد شوف يا ولدي
اما دخولك على في محلي مرحبا بك وانا أنعمك ولكن اذا كنت ماشي شافني
البلد بالليل أو بالنهار ووقع في يدك حرامي أو شرطي أو زغلي أو بطحجي
أو مثل ذلك فتأخذه الى حدالييت بتاعك اشارة قدام الناس أنك تعاقبه ومتي
توصل الي محلك تطلقه وكذلك ان عترت بواحد معرص على أولاد أو على
نسوان أو علق أو فحبه فلا تتجاري علي أذاهم بل خلي سبيلهم واذا كبست
على امرأة في بيت سواء كان بيتها أو بيت زبونها فلا تعاقبها ولا تهينها فان
هؤلاء الذين اذكرهم لك تحت يدي انا ومصرفك كله علي فان طاوعتني
انبسطت وجمعت الاموال وبقيت جدد واما ان خالفتني تسدم ولا ينعمك
الندم فشاور عقلك وشوف ايش تقول قال يبيرس يا ابي هذا رأي طيب وأنا
رضيت ولكن يا ابي انت عندك الناس تحت يدك قدر مائة أو مائتين أو أكثر
أو أقل وكلامك حقا أما الناس كثير يمكن أنا أمسك واحد يكون من جماعتك
وأنا أظنه انه ليس من جماعتك فاضربه أو أعاقبه وبعد ذلك انت تعاقبني أو
اني أمسك أحد ماهواش من جماعتك ويقول لي أنا من جماعة المقدم مقلد أقوم
اطلقه وهو يكون كذاب لا انا انتفع منه ولا انت تنتفع منه فكيف يكون
الرأي فقال مقلد انا اجي الى عندك في دارك وأحضر الطوائف التي في طرفي حتى

انك تراهم وهم يروك وتعرفهم حق المعرفة ويبقى الذي يقع في يدك منهم اطلق سبيله
 والذي تراه من غيرهم ارسله الى فقال بيرس حاضر يا ابني اجمع طوائفك وتعال الى
 عندي وعرفني بهم واذا رأيت أحد من غيرهم اعرفك به ان امرتني بضربه اضربه
 وان قلت لي اطلقه مطلقته فقال له مقلد امهلي خمسة ايام حتي اجمع للطوائف على
 التمام ثم انهم اتفقوا على هذه الاحكام وقام من عنده الامير بيرس ورجع الي منزله
 هنامما كان منه (قال الراوي) واما مقلد فانه ارسل من طرفه رجالا يجمعوا له
 الطوائف من الجهات لاجل ان يعرف بهم الوالي ولما كان يوم الميعاد ظلا الامير
 بيرس باعتمان اريد ان جميع الطوائف لا يتفقد منهم احد حتى اني اتوهم
 والذي لم يتوب اقتله واريد ان اعمل كائن عيان وانت تلتقي الطوائف فقال
 عثمان سما وطاعة فعند ذلك طلع بيرس الى المقعد وربط رأسه ووقف
 عثمان فبينما عثمان واقف واذا بخمسين امرأة لابسين حبر غمزاي
 وراكبين حمير طاليه مكارى وكل واحدة منهن لها خديم ففتح لهم عثمان
 مندرة من منادر البيت واجلسهم فيها وخدامهن معهن واما الحبر ادخلهم
 السباس في محل وربطوهم ووقف عثمان واذا بفرقة ثانية نحو سبعين
 امرأة وهم راكبين على حمير قلعماويه فقال مرحبا واستقبلهم وقد ادخلهم
 في مندرة ثانية وقال للحمارين خذوا الهم حميركم وروحوا الى حال سبيلكم
 وكانوا النساء لابسين الكل ملايات واقبلت بعدهم طائفة اخري بالمزاري
 بيض فادخلهم الى مكان آخر وجعلهم وحدهم (ياساده) وبعد ذلك
 اقبلت طائفة جدعان مرد بالملابس الاعيار على السدريات السود والحزاماب
 الكم على الشمار الحرير واقبلت طائفة اولاد صغار وبعدهم طائفة رجال
 وبعدهم نساء عجائز وبعدهم رجال كبار وبعد ذلك شيوخ حتي امتلأت
 اماكن البيت وبعد ذلك حضر مقلد راكب على بغلة فتلقاه عثمان وقال له
 يا مقدم ان الجندي عيان فلا تدخل عليه بسلاح فقال انا ما اقلع سلاحي

ابدا ثم انه دخل بسلحه فصار معه عتمان الى ان ادخله على سيده في المقعد فلم يقوم
 له الا ميريبيرس بل قال له يا مقدم اقبل عذري لاني عيان فقال له خليك ما علينا ثم
 جلس قدامه ومد العمود في وجهه وجلس جلسة الفراغة فقال له بيرس يا ابي
 طوائفك حضرت الجميع قال له مقلدا ما الذين في مصر حضروا ودواثرها واما الذين
 في البلدان فلم يحضروا فقال احضرهم الى فقال مقلدها يا ولد يا عتمان الطوائف
 قال عتمان حاضر يا مقدم فاول ما عرض كانت الطائفة العالية وهم النساء ارباب
 الخير فقال بيرس دول ايه يا ابي قال مقلدا هذا بقر الوحش قال بيرس يعني ايه قال
 مقلدا دول لهم بيوت مدفونه في حارات مداريه فتطلع الواحدة منهم تحط
 عينها على الرجل الذي تراه مليان باللباس والمال فتسايبره حتى يروح
 منها الى بيتها فتقعد وتسقيه الخمر حتى ينيب فيطلع خديهما يحط على فيه
 مخده ويقعد عليها حتى يحمد نفسه وتأخذ مامعه من ملابسه وتواريه هي وخديهما
 في قبر كان في بيتها وهذا يسمى عندنا بقر الوحش (ياساده) قال بيرس
 خذهم وهات غيرهم يا عتمان فاحضر ارباب الملايات فقال بيرس ودول
 ايه يا ابي ما شاء الله والله طيبين قال مقلدا هذا البقر السارح قال بيرس
 سارح يعني ايه قال تسرح الواحدة منهم ان يلوذ بها واحد معكوس
 يدخلها في بيته فاذا اراد ان يركب صدرها تطلب منه اولا طرفتها فان
 اعطاها شيء جزئي يقوم مقام خنانها سلمت له روحها وان اعطاها قليل
 تتكاسل وتقول له انا من غير ما اسكر فما يمكن أحد يدني مني فاذا جاب
 الخمر تقعد تسقيه الي ان تسكره وتوضع له من شمع أذنها في الكاس
 حتى انه يشغل عليه السكر وتأخذ كلما قدرت عليه من البيت وتطلع وتتركه
 مرمى وبعد ذلك تغير حالتها التي كانت عليها وهذا اسم البقر السارح
 (ياساده) قال بيرس ما شاء الله خذهم يا عتمان وهات غيرهم فاحضر عتمان
 ارباب المزارى البيض فقال بيرس دول ايه يا ابي فقال مقلدا يادولتلي هذا

بقر الحليب قال بيبرس يعني ايه قال مقلد هؤلاء يخرجون أيام الجمع والاعياد
 يتحشروا في طوائف البهلوانات والفنى والقروء فيتحشروا في جميع الازدحام
 حتى يتعلقوا بجذع ويكون رايح فيهارشوه حتى يأخذوا ما في جيبه ويمرون أيضاً
 على الخواجات في صورة المشتريين البعض يقلب والبعض يساير حتى يجدوا فرصة
 ويسرقون ما قدروا عليه فهذا هم اسمهم البقر الحلاب على هذه الكيفية يحلبون الناس
 (قال صاحب الحديث) فقال بيبرس ما شاء الله أما شغل طيب خذهم
 يا عتمان وهات غيرهم فأحضر عتمان الحداة المرد فلما رأهم بيبرس قال يا أبي
 مقلد دول ايه فقال مقلد يا دولاتي دول اسمهم الشموطة المأوى قال بيبرس
 يعني ايه مأوى قال مقلد يا دولاتي علوق وحراميه اذا طلب واحد أحداً
 منهم للخنات فانه يروح معه بما قسم ورزق وان أمكنه فيه فرصة أخذ كل
 ما قدر عليه ولهذا أسماؤهم شموطة ومأوى (يا كرام) قال بيبرس خذهم
 يا عتمان وهات غيرهم فأحضر عتمان أولاد دون البلوغ فقال بيبرس دول ايه
 يا أبي مقلد قال يا دولاتي هؤلاء فواكه الوقت يعني أنهم مخصوصين للخنات
 ثم أن مقلد طلب الرجال وقال هؤلاء يعرصون عليهم فقال بيبرس هات يا عتمان
 فأحضر أولاد صغار فقال بيبرس يا أبي مقلد دول ايه قال مقلد يا دولاتي
 دول أولاد جيها قال بيبرس يعني ايه قال يا دولاتي ان ابن الكار يأخذ
 واحد من هؤلاء الاولاد ويمشي في الطريق حتى ينظر الى من يكون
 ماشى وفي جيبه صرة فيضرب الولد بالكف فيجرى الولد ويدخل في
 حوض ذلك الرجل ويقول له أنا في عرضك يا عم فيقول له يا شيخ سييه
 فيقول له أنا قلت له اسرع وهات الذي أرسلتك اليها فما جاء بها وانا لا بد
 من ضربه اذا لم يجيها ويكون الولد شغال وعند ما يخلص وتبقى الامانة
 متخلصة معه فيقول يا عم أجيبها حالا فيقول له اجري هاتها حالا يخلص من
 يد الرجل ويجرى والرجل يجري وراءه ويتركوا الرجل فاذا وضع يده على

أمانته فلم يجدها ويكون الولد والرجل راحوا الى حال سيئهم فلهذا اسمهم أولاد جيبها قال بيبرس ما شاء الله خذهم يا عثمان وهات غيرهم (يا سادة) فأحضر عثمان النساء المجائز فقال بيبرس دول ايه يا أبي نقلد قال مقلده هؤلاء يدخلون البيوت في صفة مشايخ شيطاني وهم يسرقون ومع اعتقاد الحرمان فيهم يظنوا انهم من أهل البركات وبعدهم أحضر دقايق المعاملة الزغل وبعدهم لعائن القمار وبعد ذلك أحضر أناس يقال لهم ارباب الرنى ودلالين الحرام (قال الراوي) ولما عرضت هذه الطوائف نادى الامير بيبرس الى عثمان وقال له اعرض على الجميع التوبة فالذي يتوب لا بأس والذي لم يتوب ضع في رجليه قيد وحط في رقبته الحديد حتى اننى أنزل وأقول لك على مايجرى فيهم فنزل عثمان وقال يا جماعة ما قولكم في التوبة فقالوا النساء وكيف تتوب وعلى كل واحدة منا خمسة محبوب للشيخ مقلد شهره فأعلم عثمان سيده بذلك قال له بيبرس قل لهم هذا مرفوع عنكم ولا أحد يطالبكم بشيء مطلق وكذلك الرجال رضوا جميعاً بالتوبة فأمر الامير بيبرس ان كل حرمة تختار لها زوجان هؤلاء الحاضرين وأعطى لكل رجل وامرأة مائة محبوب وقال لهم تسبوا واتركوا الفساد وعليكم بتقوى الله الكريم الجواد واذا وقع في يدى حرمة أو رجل منكم صلبته على البوابة قال عثمان بقى شغلي معهم أنا قبل ما يخرجوا من البيت ثم انه ولع الفحم وحضر محاور حديد وكوى الجميع على قنب أيديهم الشمال وقال لهم هذه علامة التوبة وكل من كان يقع في يدنا بعد ذلك لا جزاء الا الموت وانصرفوا جميعاً وأما الاولاد الصغار كما هم وأدخلهم الكتاب والله تعالى فتح عليهم بركة القرآن والسيدة زينب والاسطى عثمان كل هذا يجري والمقدم مفصل ينظر ويرى (قال الراوي) فالتفت المقدم مقلد الى الامير بيبرس وقال له يادولا قلى لما ان الحرامية توبتهم من أين تأخذ مصاريف مطبخك وكذلك النسوان والاولاد توبتهم بقى اذا كان يوم

اشتيت قعك ولدولا امرأة تبسط بها من اين تلقى ذلك انت قطعت نصيبك
 بيدك فالتفت الامير بيرس الى المقدم مقلد وقال له يا شيخ انت عمرك كم سنة
 قال مقلد عمرى مائة سنة وعشرة سنين قال بيرس قطعت منهم كثير بالعبادة
 قال مقلد والله يادولانلى عمرى مادخلت جامع الا اذا كان لاجل بول او غائط
 وأما عمرى ما فعدت على فرش جامع قط بل أفت ستين سنة أقطع الطريق
 وأخون الرفيق ولا أعرف عهود ولا مواعيق وأقتل كل قتيل وأفعل كل أمر
 وييل وقضيت بأنى عمرى هكذا وكل الطوائف تحت يدي وكل والى ان رآنى
 يوافقنى وما عصى أمرى غيرك ولكن أنت الذى قطعت رررك بيدك وحرمت
 نفسك من غناك وسعدك قال له الامير بيرس يا أبى اذا كنت أنت الآخر
 تتوب ويكون محى الله عنك هذا المكتوب وترجع عن هذه الميوب وتطيع
 الله علام الغيوب وتطاعوا على ذلك وترجع الى مالك المالك قال مقلد كأنك
 استعزب بمقالي وتريد ان تردنى على افعالى ثم تتوبى عن خصالى وظنيت انى
 أنا كمثل هذه الناس وتقيسنى بالرجال فى القياس كأنك انت قليل العقل خفيف
 الراس وانا عندي خدام مثلك وأمثال والى منك لم يخطر ولى على بال
 ولكن يا علق يا ابن الاندال ما بقى لك عندي بعد هذا السؤال الا قتلك
 بهذا السيف القصال وضربه ضربة فارس همام فأخذ الامير الضربة على اللت
 فانكسر حسام مقلد وصاح بيرس يا عتمان قال عتمان مدوه يا جلدان فمعد ذلك
 قام الامير بيرس وضرب مقلد باللت على صدره أرماء وكتفه وهجم عتمان
 وكتف غلامه فضه كل هذا ومقلد يقول بس العمر يا حصرة الرجال قال له
 بيرس يا شبيبة الخزى مائة سنة تعيش فى هذا الضلال ولا ترجع وانت تعلم
 ان هذه الدنيا زوال وتتوب الى الله المتعال خذهم يا عتمان احبسهم مع بعضهم
 وتولى انت عقابهم فاخذهم عتمان وحبسهم على غاية الدن والهوان
 قال الراوى وفي الليلة الثانية اراد بيرس ان يركب ويشق البلد قال له

عثمان بلاش ركوب يا شقر يا جدع حتى يهدأ روع من كان حاضر عندك ويخف جرحه فاستقام بيبرس ليلتين وهو لا يركب وفي الليلة الثالثة قدم له عثمان الجواد واوقد المشاعل فقال بيبرس هذا ايض لا يظهر به غريم وانما يا عثمان اعمل لنا نور يخفى ويظهر للجواد عدة خرصه قال له يا عثمان ما سمعنا بمثل ذلك الا منك الان قال له بيبرس احضر لي خدام الوالي فاحضرهم له فقال لهم ما علمتم العدة الخرصة قالوا له ياسيدي لانعلم ذلك ابدا فقال عثمان هو يسلطكم ما هو عقب ظلم (ياسادة) فعمد ذلك امر الامير بالطوس القديم وصنع لهم الثقله وعلمهم علي افعالهم وقال يكون طرف الطالونس والى واذا رايتهم شيئا واردمت تشملوه فيكون معكم شيء من الطالونس الوالى فيشغل وهكذا نم امر باللبد ووضع تحت حافر الحصان لاجل عدم الدق في الارض وكذلك وضع على الحصان المدة الخرصة وهي من الحبس واللباد ولم يدخل فيها حديد ابدا ثم ركب الامير بيبرس وأمرهم ان يربطوا رجليهم باللباد ففعلوا ذلك وركب الامير وسار عثمان الي جانب ركابه ولم يزالوا سائرين الى درب الجمايز (قال الراوي) وكان بالامر المقدر ان اربعة حرامية نزلوا على بيت في ذلك المكان وسرقوا وطلعوا ووافقين منتظرين وهم يقولون لا يمكن المسير الا اذا فات الوالى فاذا جاء من الشمال سرنا نحن من اليمين واذا جاء من اليمين سرنا نحن من الشمال وهم واقفين على الفارق ينتظرون ضوء المشاعل ويقولوا لا نسير الا بعد ان يسير الوالى فما يشعرون الا والوالى وعثمان قبضوا عليهم ولا يكلموهم بشيء من ذلك كله وبعد ذلك انطلقت الشملة فصار الدنيا نور وما كانوا يمهدون تلك المشاعيل ولا صرهم رأوا ذلك وقبضوا عليهم قبضا باليد فالتفت اليهم الامير بيبرس وقال لهم من انتم قالوا نحن مراوحيه قال بيبرس انتم تبيعوا المراوح بالليل قال عثمان دول جدعان حاملين كسبهم ومروحين يا جندي مثل ما يعملوا المراوحيه قال بيبرس قول حراميه قال عثمان يعنى انا علقت

في اللوح حراميه قال لهم بيبرس انتم من جماعه مقلد قالوا نعم قال بيبرس اكشف يا عتمان
 عليهم هل فيهم العلامة ام لا فكشف عتمان واذا بالكي لم يخف من على قبة ايديهم
 فقال لهم الامير لو كنتم من غير علامة كنت اقول انكم ماسمعتم بالشروط واما لما انتم
 عالمين بالشروط مالكم عذر بعد التوبة قالوا يا دولتي ان ابن الزنا قاط لم يتوب قال لهم
 صدقتم اقتلهم يا عتمان فقدم المشاعيل اليهم واراد ان يذبهم فقال بيبرس ايش رايح
 تعمل يا عتمان قال له اقطع رقابهم فقال له ارجع حتى اعلمك ثم ان بيبرس نزل من
 على ظهر الحصان واقعدهم واحد بعد ان كتفهم وأسر واخذ يشكهم
 من قفاهم بمسلة ففعلوا ذلك وضربوا رقابهم فطارت رؤوسهم قال عتمان
 كان يا جندی حتى للموت حامل صنعة والله ما أنت الا ابن زنا سل مل فقال
 بيبرس يا عتمان هكذا يكون التضييع من غير ضرر ولا عذاب على المقتول
 لاجل موته تكون بالراحه ثم ان الامير اخرج قلم وقرطاس وكتب
 الاوراق هذا جزاء من يتجاسر على السرقة والحرام ويحرق قلوب الناس
 على امتعتهم فهذا جزاء وأقل من جزاءه ثم وضع كل شيلة من المسروق
 لجنب صاحبها ثم بعد ذلك احضر الفغرا بتوع درب الجمابز وقال لهم
 تكونوا محافظين على هؤلاء المقتولين وما معهم من الامتعة واذا جرى
 عليهم شيء حطيتكم في الليلة القابلة في موضعهم فقالوا له سمعاً وطاعة وبعد
 ذلك رتبهم وركب ظهر الحصان وسار الى عند باب الخلق فنزل في ذلك
 المكان وامر الخدامين بالمداواة فالبث غير قليل واذا بعشرة فقهاء لا بسين
 جوخ وقطاطين ومم يتحدثون مع بعضهم وواحد يقول للآخر كانت الليلة
 هذه العمل على رأس الشيخ سليمان فقال الآخر يا جماعة اني كنت مخشك
 من حسي فقال الآخر الاجرة علي قدر العمل فقال عتمان احفظ يا جدد
 فنفض الضو من الشعلة واحتاطوا بهم الخدام وأوقفوهم قدم بيبرس فقال
 لهم انتم ايش يا مشايخ فقالوا نحن فقهاء قال عتمان دول من جماعة مقلد

أنتم ما كنتم عندنا أول البارح هي التوبة ليست تفعد ثلاثة أيام فقالوا له أنت من
فقال أنا عثمان يا ابن القحبة أنا الذي حطيت المشعلة على يدك وقلت لي آه يا اسطى
ثم تقدم عثمان وكشف على علامتهم فكانوا الجميع فيهم العلامات فأمر الامير أن
يفتشوهم هل معهم عدة الحرامية أم لا ففتشهم عثمان فرأى معهم العتلة والاسنان
والمشارط وما أشبه ذلك من آلات السرقة والصوصية ورأى معهم أمتعة
مسروقة فأمر الامير بيبرس بقطع رؤوسهم وكتب أوراق ووضعها على قلوبهم
كمثل الدب قبلهم ونزل الى السلمانية فرأى خمسة بهذه الكيفية ففعل بهم كذلك
بعد ان كشف عليهم ونظر العلامات وكذلك في القوطية وفعل كذلك وركب
وسار حتى وصل الى الرسيه فالتقى بأربعة سارقين من بيت وحاملين المتاع الذي
سرقوه فكشف عليهم كذلك فرأى العلامات فقال لهم عثمان يا جدعان نحن
أعطيناكم مصروف أول البارح وزوجناكم لبعضكم كيف رجعتهم قوام ثم فعلوا
بهم كما مثا لهم ورجع بيبرس الى منزله هذا ما جرى وأما أهل البلد الرعايا فأنهم
لما أصبحوا فكان أول من صحا على بيته الذي في درب الجمايز فصاح يا متاعى
والنساء صاحوا فطلع صاحب البيت هالعا واذا بالفرا قالوا له مالك قال لهم انسرفت
حوائجى فقالوا له يا شيخ ان الذين سرقوا بيتك ما برحوا بمالك وان كل رجل
منهم بقى اثنين تعالى خذ متاعك ثم أحضروا شيخ الخط وشهد عليه واعطوه
متاعه وكذلك الذي في باب الخلق وكل ما كان وفرحت الخلق بهذا الحال
قال الراوى ومما اتفق من الوزير ابيك التركمانى فانه في ذلك النهار لما أصبح
عليه الصباح ركب مثل طادته يريد الديوان واذا به يجرد عند باب القوطية قتلى
فارتعب قلبه ولم يقدر يلتفت ومشى الى السلمانية فرأى قتلى فدارت بطنه فدخل
على الموسكى الى باب الخلق واذا بقتلى والى درب الجمايز فوجد كذلك ولا زال
حتى وصل الى الرميله فوجد بالمثل فسار الى باب القلعة واذا بالقاصى التقاه وهو

يرتعد مثل السعفة في يوم الريح العاصف فقال القاضي ما الخبر يا وزير قال ابيك
الخبر مثل الطين يا قاضي اعلم ان بيرس ولد حلق على شان السرقة قتل ناس
كثيرة وملأ الارض بالقتلى وانت كلما تعمل تدبير موت بيرس تقول أحط فلوس
وتقول ابيك يحط مثلها وأنا أحط فلوس على شان بيرس يموت يأخذوها منا وما فيش
صهرة يقع وانت يا قاضي أحرم مني فلوس متاعى وضيمتها على بيرس وهو في
هذه الليلة قتل نصف مصر فقال القاضي اذا كان الامر كذلك احنا نشكو الى
السلطان ثم انهم ساروا طالعين الى الديوان واعتمدوا على انهم يشكوا بيرس الى
السلطان يكون لهم كلام (قال الراوى) وأما ما كان من الملك الصالح أيوب
فانه بات وأصبح مثلك يا مؤمن يصلى على نبي في كفه الورد فتح ظهر وجلس
على تحت قلعة الجبل ووحده القديم الازل التفت الى الميامن أطرفت الى المياسر
أطرفت والصدرو الجناحين وقرأ القارىء وخم ودعا الداعي وختم أمنت العساكر
ترك وعرب وعجم وبعد ذلك صاح شاويش الديوان يقول صلوا على الرسول

الدنيا كصوت عاجز والجارى بها يتسير
لاتذكر نسايم فيها فالعاقل نعم يتحير
قل جل الذي في ملكه بغير ولا يتغير

قال الراوى فقال الملك آمنا والله أطلعنا من ابن كنا حتى اتصلنا يا حاج
شاهين جزايم على الله لا بد ان الله تعالى يظهر الحق ولما راق الديوان
وثب القاضي قائماً على الاقدام ووقف على رخامة الطلب وقال يا أمير
المؤمنين هو الوالى تولى الولاية على سفك الدماء وقتل الناس المؤمنين
فان هذا لا يجوز وقد قتل خلقاً كثيراً وهذا شيء لا يحل من الله فقال
ايك أنا شفت بعينى يا أمير المؤمنين حتى اذا أدعأ وقال انهم حرامية فلا
يجوز قتلهم بل كانت تنقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف فان الله تعالى قال

(السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) (الآية) وأنت يا مولانا السلطان اذا تركت ذلك فانه يحرم عليك فان كل راعى مسئول عن رعيته يوم القيامة وهذه الرعية أنت مسئول عنها فقال السلطان اذا كان فعل ذلك يبقى مخطيء ابعت هات بيرس يا شاهين فأرسل الوزير الى الامير بيرس وكان بيرس نائم لانه بات سهران حتى صلى صلاة الافتتاح ونام فلما وصل رسول الاغا شاهين طلع الى المقعد فرآه نائم فأراد أن يرجع فاستيقظ الامير بيرس فشافه وقال من هذا فأخبره انه مرسل من الوزير اليه وان الملك طالبك ليسألك عن ذلك القتلاء الذين في الشوارع والطريق فقال على الرأس والمين ثم انه قام ولبس ملابسه وحضر له عثمان الحصان فركب وطلع الى الديوان ثم انه خدم وترجم وأفصح ما به تكلم وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لا بلغب أعداءك فيك مرادهم كلا ولا يصلوا اليك بمكرهم

فلقد حوت مشارفاً ومناقباً ولووالاعداء عنها على أدبارهم

ما دمت منصوراً عليهم دائماً الله يرمي كبدهم في نحرهم

قال الراوى فقال السلطان أهلاً وسهلاً بالرجل المجتهد في تنظيف الطرقات من الرمم وحافظ المهود والدمسم أنت لأي شيء صمالت تمكن السيف في خلق الله وقتلت أناس كثيرة من عباد الله يا رجل أنت ما تخاف من الله قال بيرس اني أخاف الله وب العالمين يا مولانا السلطان أنا ما قتل الا كل من يستحق القتل وأنا حكى لك وهو أن مقلد هو الذي كان مسرح الجريمة في شوارع مصر وحكى له الذي جرى بينه وبين مقلد وتوبة الجريمة وأعطوهم الدراهم وزواجهم والعلامات التي علمها عليهم بالنار وبعد ذلك رأيتهم سارقين بالليل وكشفت على علاماتهم وبعد ذلك قطعت رؤوسهم وأما مقلد فهو الآن عندي فان تاب تاب الله عليه وان لم يتب جعلته مثلهم قال السلطان يبقى المقتولين يا سيدي فيهم العلامات فان كانوا كذلك يبقى الحق بيد بيرس فتزل عز الدين الحلبي بأذن السلطان

لانه قال قم يا عزم الدين وصحح لنا الخبر وشوف العلامات فان كانوا كذلك
يبقى الحق بيد الامير ولما نزل عز الدين الحلبي وكشف عن الجميع ورجع وقال
ياملك الاسلام رأيت الجميع فيهم العلامات وكانوا معه اربعة من الاكراد
واعلموا السلطان ان اصحاب المتاع المسروق أخذوه بمعرفة الخفراء ومشايخ
الحارات فلما سمع السلطان هذا الكلام قال يا قاضي بغي بيبرس ما افتراشي
على الناس بل انه قتل بحق شرعي والحق مع بيبرس في ذلك يا قاضي قال القاضي
ياملك الاسلام ذلك الفضل من الله ثم التفت القاضي الي ابيك وقال له نحن لو
كنا علمنا بالعلامات كنا قتلنا رجال بلا علامات وكان بيبرس يموت فيهم قال له
ابيک لا بد من ذلك وهي قد امة ليس له منها خلاص (ياساده) فمرف الملك
مام عليه حازمين فقال بيبرس ان وضع الرم على قارعة الطريق فيها كشف
ستر الناس والصواب دفن الرم من حيث انه لا بد لك من تنظيف الارض من
تنظيف الارض من الاصوص فاني في كل مفارق جب وفي كل بوابة جب
فاذا رأيت في الليل من هذا الجنس وقتلتهم فلا تبقينهم بل تأوهم في الجب
الذي يكون قريبا منهم فان الستر يا ولدي مطلوب وقال الاقدمون

بمدى عن حبيبي أستر وأجل لا عيني تراه ولا قلبي يحزن

(قال الراوي) فنزل بيبرس من الديوان واذا بالاغا رحمان اغا الدار
قبل يد الامير وقال له ان الملكة قالت قول الي بيبرس كلم لأمك فاطمة
شجرة الدر فقال بيبرس سميلا وطاعة ثم انه توجه الي ان وصل الي حرم
السلطان فنادت السيدة عليه وقالت له اطلع يا عادل فطلع وقبل يدها
فعند ذلك قالت له يا ولدي مرادي منك ان تأخذ هذا الكيس بالفين
دينار تكلف به قبور صدقه يدفن فيها الغرباء والفقراء وكذلك ابني
في كل مفارق الطرقات جبا كما أمرك ابن عمي واجعل هذا من مالي وثوابي
وأنت شريك ي ولدي في الثواب روح يا ولدي الله يملك ما تريد ويرزقك

النصر والتأييد على كل كافر عنيد قال بيبرس سمعا وطاعة وزل من عندها
 ووصل الى منزله وأحضر المهندس وأمره بذلك وأمره ان يجعل في كل بوابة
 جب ومن برا البوابة كل باب عشرة قبور للصدقة خمسة للرجال وخمسة
 للنساء وجعل في كل مفرق طريق جب فكان في شوارع مصر سبعة عشر
 جبا وسبعة في الابواب والجملة أربعة وعشرين جبا وسبعون تربة وكل ذلك
 من مال السيدة فاطمة شجرة الدر وطلع بعد ذلك وأخبر السلطان بذلك فقال
 هذا رأى حسن لاجل اذا سقط ساقط بالليل لا يراه احد في النهار لاجل ان
 يتمكن الاغادي منك يا بيبرس فقبل يده وزل مجتهد في تمام القبور والاجاب
 يقع لها كلام اذا اتصلنا اليه محكي عليه والماشي في جمال النبي يكثر من الصلاة
 عليه (قال الراوى) وأما ما كان من أمر السلطان فانه لما تقضى المنديل
 وتحولت العساكر والرجال وزل ايبك ووقف على باب الدوان حتى لحقه
 القاضي فالتفت ايبك الى القاضي وقال له انت سبب فقد مالى واتلاف مالى
 ولم أبلغ به آمالى يامقله بتاع الزغل التندير بتاعك بطلال أما والله بالله
 يا قاضي ان لم تعمل تدير طيب من شأن بيبرس يموت والا أضربك واحد
 نبوت على رأسك أ كسر عينيك لانه انت سبب هذا كله يا قاضي فقال
 القاضي لا تخف فاني لا بد ان ادبر عليه حيلة وأهلكه بها عن قريب وسوف
 تنظر بعينك كل أمر من فعلى عجيب وبعد ذلك سار القاضي الى أن وصل
 الى حارة الروم وأيبك مضى الى منزله (قال الراوى) ولما وصل القاضي
 ولع شمة واحضر قلم وقرطاس ودوايه من صنف للنحاس وكتب كتاب
 وأوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وانتم نوحده الملك القريب
 المحيب ونصلى ونسلم على سيدنا محمد الحبيب أما بعد من حضرة عالم
 الروح وكل أمر محتوم البركى جوان عالم علوم ملة الروم والكركستيان
 الى بين أيادى والدي المتقدم زغوير الارمل باش طابق ببغاير ايفره اعلم

يا ولدي انه ظهر في بلاد الاسلام غلام اسمه بيبرس ولكنه آفة من الآفات
 وهو يكره دين النصرانية ويخرب الكنائس ويبني مدارس ويخرب الصوامع
 ويبني جوامع ويخرب الديور ويبني قصور وانا لما رأيت تلك القضية فما هان
 على دين النصرانية وما أنا مجتهد في موته وهلاكه على هذه العبارة لاجل
 نصرة دين النصرانية ولكن لما أطلعت على كتاب اليونان وحكمة أهل الزمان
 رأيتك أفت الذي يكون على يدك قتله ولما رأيت ذلك كتبت اليك هذا الكتاب
 فاذا قرأت كتابي هذا تجمع الذي تحت يدك من العياق وتأني الى مصر وتجتهد
 كل الاجتهاد حتي تقتله وترجح النصارى من شره ولك في نظير قتل بيبرس
 أقدم لك عقد خرير فيه مائة عقده كل عقده بسنة زياده في عمرك كل ما تفرغ
 منه حل عقده الى ان ان تمضي تسعة وتسعين فاذا أردت ان تعيش كما نرجع
 اعقد مائة غيره ويبقى عمرك بيدك تحمل فيه وتربط
 وبعده أو هبتك يا ولدي اثني عشر فدان في سقرو أو هبتك قراطين من الوادي
 الاحمر أو هبتك خمسة عشر مصطبة في الهاوية كل هذا في نظير ما تقتل بيبرس
 المسلم وترجح النصارى منه وهذا ما عندي والشكر للمسيح ثم طوي الكتاب
 ودعى بسلامه وقال له يا ابن سيف الروم سر بهذا الكتاب الى زغوير بن لوقا
 الارمل وقل له يعمل بما فيه فأخذه بالسمع والطاعة (قال الراوي) وأخذ
 البرتقش ليلا وطلع يقطع الجبال وكل أرض وبحيره حتى وصل الى بحيرة ايفره
 ولما دخل على الملعون زغوير في مكانه فدخل عليه ولما وآه صرعه ففرح
 به وسأله عن سبب قدومه فقال له ان البركي جوان قد أطلع على كتاب
 اليونان فرأى اماره اشارة بأنه على يدك اقامة دين النصرانية فكذب لك
 كتاب لاجل تلك الاسباب وأنا جئت به اليك لاعرضه عليك فقال
 هو ابني جوان في الارض أو في السماء فقال البرتقش هو لا يطلع
 الى السماء الا اذا كانت له حاجة عند المسيح يفضها ويعود الي

الارض ويجتهد في نصر دين النصرانية لانه عليه فرض ثم ان البرقيش ناوله
الكتاب فحله وقرأه وفهم رموزة ومعناه فأجابه بالسمع والطاعة وكتب له
رد الكتاب فأخذه ورجع الى استاذة فلما رآه فرح به واطمأن فؤاده هذا
ما كان من هؤلاء (قال الراوي) واما ما كان من الامير بيبرس فانه صار يشق
في مصر ليلا ونهارا يجدها في امان واطمئنان فشكر على ذلك ربه الخنات المنان
ودام على ذلك الامر والشأن مدة من الزمان الى يوم من بعض الايام كان في الصر
والبساتين وهو محل الغورية الآن وكان هناك خان وذلك الخان عريف جميل
يقال له خان السبيل فلما مر الامير بيبرس على ذلك الخان في هذا النهار فنظر
الي ولد صغير يتشاجر مع رجل اختار لنكن الولد يسبه والاختيار مطول
باله عليه والولد يقول يا ناقص يا رخيص قم هات المال الذي عندك فيقول الاختيار
والله ما اعطيك الا على يد الوالي حتي يفصل بيني وبينك هذا والولد يزيد في
السفاهة علي الاختيار فتعجب بيبرس وقعد على دكان من داخل دلهيز الخان
وقال للاختيار يا أباي اذا كان هذا الغلام له عندك حق ومرامه أن يأخذ حقه
منك ايش السبب انك تقول ما اعطيك الا على يد الوالي وبمعه التفت الى
الولد وقال له لاي شيء هذه السفاهة وانت تعلم ان الادب مطلوب وقال
الرسول الخير في امتي مادام صغيرهم يوقر كبيرهم فقال الولد انا طالب
حقي وطلب الحق لا جناح عليه فقال الامير للاختيار ايش الحق الذي عليك
ان كنت انت عاجز عنه فقل لي وانا ادفعه عنك ابتغاء وجه الله تعالى
فقال الاختيار يا دولتي انا احكي لك حكايتي فان فيها موعظه لكن أريد
منك ان تروق ذهتك وتلقي سمك وتكثر من الصلاة علي الرسول صلى
الله عليه وسلم قال بيبرس اللهم صلى وسلم عليه قال انا كنت أولا كبير هذا
الخان وشيخ علي كل التجار الساكنين فيه فيسمعون كلامي ويحفظون مقامي
وكنت تاجر مثلهم واكثر منهم اموالا وتاه مالي لاجل امر يريد الله

أنا مقيم يوم من بعض الايام على باب الخان اذ نظرت الى رجل سائل وهو يقول
 ما عندكم فان وما عند الله باقى هنيئاً لك يا فاعل الخيرات فنددت عليه فلما وصل
 الى عندي اردت أن اعطيه شيئاً على قبول الصدقة لوجه الله تعالى واذا به وقع
 الى الارض وفهق فهبة فخرجت روحه ومات لحينه فقلت لا حول ولا قوة الا
 بالله فهذا قدر الله الكريم الحليم فقالوا لي التجار ان كنت ناوي تعطيه صدقة
 فاجعلها كفنه واخرجه واوليه الى رحمة الله تعالى وكان هذا الغلام واقفاً بجنبه
 فقالوا التجار وخدانه ربي له لوجه الله تعالى فقلت لهم وهو كذلك ثم انى حضرت
 الحنوط وشرعت في غسله وتكفينه وعملت له مشهداً عظيماً وقد دفنته في
 القرافة ورجعت وعملت له ما يحتاج اليه من الختومات والسبع والرحمات
 وبعد ذلك اخذت الولد عندي وفصلت له قفطان وجوخه وبدلة
 ومهدوم وادخلته الحمام وحيمته ولبسته ذلك البدلة وجعلته ولدي
 لوجه الله تعالى فصار ياتي معي الى الخان ويروح الى بيتي حتي انه كبر
 وانتشأ وصار يجتمع مع اولاد الحارة والتجار وبقي عندهم بمنزلة عظيمة
 وصار التجار يعكرومه اكراما زائداً وكذلك اولادهم اكراما واجلالاً
 فطأرت الى يوم من بعض الايام وانا جالسا في الدكان وانظر الى الارض
 فرأيت خنفسه وهي تمشي في الارض فنهضت من مكاني وضربت بها برجلي
 وقلت لها يعني ملك الله ناقص حتي خلقك وقتلها ثم رجعت الى مكاني
 جلست برهة قليلة فاكنى رأسي فهرشته فطلع فيه دما ممل وهيبات ولا
 ذال يكبر حتي صار مثل الرغيف وزاد علي الوجع فلزمت البيت وتركت
 الخان ومالي تحت يد الغلام من الحواصل فخلاني ولم يسأل عني فأرسلت اليه
 على انه يعطيني شيئاً من مالي فأرسل لي يقول ليس لك في الخان شيء واقام
 هكذا مدة وانا عيافاً فدورت على اساس البيت وصرت أبيع وآكل أنا
 وعيالي الي ان نفد جميع ما عندي غلي طول الايام واخيراً بعث البيت وسكنت

بالاجرة وبقيت اصرف حتى نفذت البيت وبعد ذلك بعت ملبوسى حتى بقيت
 لا املك شيئا مطلقا فضاق صدري من ذلك وليس لى رحيم الا الله تعالى ومن شدة
 ما ضاق بى الامر قصدت الى مقام السيده زينب وأرملت حملتى عليها وشكيت
 حالى والذي اصابنى اليها فهتف بى هاتف وهو يقول لى اياك واعتراض فانك
 اعترضت على الله تعالى حيث انك استحققت بخلقته والله ما خلق شيئا الا يسبح
 بحمده ولا خلق شيئا الا وله منافع فاذا أردت المفوتب لله تعالى فى مقام السيد على
 الاعتراض وعد الى بيتك وخذ سبعة خنفسات واقلبهم فى الزيت الطيب ثم جففهم بعد
 القلى ثم احرقهم بالنار واسحقهم ورش منهم على ذلك الداء فان الله يشفيك ويعافيك
 مما انت فيه ففعلت ذلك يا سيدى وتبت عن الاعتراض فى مقام السيده وقد
 شفانى الله ولما شفيت آتيت الى الخان فسلوا على جميع التعارو وهنوتى بالسلامه الا
 الا هذا الولد استغنى عنى فجلست على دكان من جملة الدكاكين فاخبرنى صاحب ذلك
 الدكان ان هذا الولد دارت يده على جميع التجار الذين مقيمين فى الخان وصار
 يتكلم عليهم وقد اطاعوه جميعا واعطوه المشيخة عوضا عنى وانا عزلوتى بطريقة
 انى كنت هيان فقلت ان شاء الله لعله يكن خيرا ثم انى اقمته الى الظهر واذا
 برجل عجمى اتى من بلاد المعجم بمتجر وكان ذلك الرجل بينى وبينه شركة
 وأخذ وعطاء ولما سأل عني أخبروه باننى افترقت وقالوا له مات متجرك
 ولكن نحن نبيع لك هذه البضاعة ثم انه تركهم واتى الى عندى وقال لى
 يزول عندك الهم والغم فقلت له الحمد لله على كل حال انا بخير من الله تعالى
 فأعطانى عشرة طاقات مقصب حالى مشغولين من القصب المحبس وقال يبيع الواحد
 بمائتى دينار واعطينى تسعين وخذ انت المشرة فقلت له سمعا وطاعة فأخذتهم
 وبعتهم واتبت اليه بالدراهم فقال لى الثمن والريح كله اليك هبة منى اليك
 فان الله عوضنى ببركة نبيه وأوليائه خيرا حتى انك تروح وتخلص ما عليك
 من الديون ففرحت بذلك وعلمت ان هذا كله ببركة السيده زينب رضى

الله عنها فبينما أنا كذلك وإذا بالولد مقبل على وقال لي هات الدراهم أنا آخذ النصف
 وأنت تأخذ النصف فقلت يا ولدي سامحني في ذلك لأنني محتاج اليهم وقد تربيتك
 يا ولدي فأحفظ حق التربيته وسامحني في هذه القضية لأنه لو كان لك هذا المال ما تفعل
 معي كل هذه الفعال فقام لي وأهانني وضار يسبني كما تري فقلت له لا أعطى لك دراهم
 الا على بدالو الى والحمد لله ها أنت حضرت الي عندنا فأحكم بما يرضي الله بيننا وهذا
 آخر كلامي وهذا الولد أخبرتك بقصته والسلام (قال الراوي) فلما سمع الامير
 بيرس ذلك القول من الاختيار غضب والتفت الى التجار وقال لهم
 حق ما قال هذا الشيخ بأخيار قالوا نعم يادولانلي كلما قاله فهو صحيح
 ولا فيه زور ولا تلوح فأقبل على الغلام وقال له هذا جزاء ربايته منك
 يا ولد تفعل معه هكذا ما هو فعل أولاد حلال قال له الولد نحن ناس
 مشايخ نحكم في بعضنا بالقانون ولا يحكم علينا من له تعلق بالدولة لاو الى
 ولا غيره انت تحكم على الحراميه ولا لك على التجار حكم أركنا من البعضنا
 نصتغل قال له بيرس يبقى القانون لك أنت دون الناس اذا كان هذا الرجل
 أحكي قضيته وشهدوا له هؤلاء السادات بصدق قوله وثبت ان التاجر انعم
 بالدراهم عليه فما يكون تعرض مثلك له والسفاهة عليه فقال الغلام انا أعرف
 القانون وأنت ما الذي يخصك امضى أنت الى حال سبيلك من عندنا وانظر
 دعاوى غيرنا (قال الراوي) فلما سمع الامير من الغلام ذلك الكلام صار الضياء في
 وجهه ظلام وامتزج بالفضب وظهرت له سبعة جذريان بين عينه وتقرت
 عروق حاجبيه ونحول السبع اللحم وصار ظاهريين صدغيه فصار اذا
 رآته الحامل يسقط حملها واذا نظرتة الخيل تبول الدم ولا بقي يعلم ان
 كان هو في الارض او في السماء وصاح في الولد بأعلى صوته اعطيه الدراهم
 فاحتاج الولد وأعطاه الدراهم ثم صاح بيرس على الخدام وقال ارموه فارموه
 الى الارض وأمر بضربه بالسياط حتى طارت اظفاره ومن ذلك خافت

التجار من الوالى ولما انتهى من ضرب الولد قال للتجار ان هذا الولد لا يصلح ان يكون شيخا عليكم بل اعزلوه والشيخ هذا الاختيار قالوا سمعا وطاعة وقاموا جميع التجار أخذوا بيد الاختيار وجعلوه شيخهم مثل ما كان (قال الراوي) لهذا الكلام المجيب صلوا على طه الحبيب الذي كل من صلى عليه لا ينجب لانه كان في مصر ذلك الوقت رجل شاه بن درنجا يقال له السيد عبد اللطيف الدمشقي وهو الحاكم على جميع الخانات يعني خان السبيل وغيره وكان في ذلك الوقت مارر من جهة المتولي وهو قاصد الى جهة الجماليه واخبروه بعض العوام بما يجري على شيخ خان السبيل من الوالى وكيف انه ضربه وعزله ولبس الشيخ القديم فقال ان الوالى ليس له حكم على التجار ولاي شيء تعدي علي خان السبيل ثم انه أقبل الى خان السبيل فوجد الامير بيبرس جالس والناس على ما هم عليه ثم نظر الى السلام المضروب وفهم ان الوالى ضربه فجلس على اعلا مكان ولم يبدى سلام وكان تلبس به الغضب واحتوى على عقله الشيطان والتفت الى بيبرس وقال له يا الاغه انت من أمرك ان تدخل الى هذا الخان وهذا فيه أموال التجار وانت والى مصر واولاد الزني كلهم تحت يدك والاشرار وايش الذى الجأك تدخل الى محل التجار فقال بيبرس يا أبى انا ما أخذت منه شيئا وانما رأيت اثنين متخاصمين حكمت عليهم بالانصاف بحكم العدل لاجل منع الخلاف فقال له السيد عبد اللطيف انت تقدر على مثل هذا كله ولكن انا اطلع الى السلطان واشكى اليه لانه اذا عدم من خان السبيل فانت المطلوب به فقال له الامير بيبرس يا أبى هذا شيء ظاهر اذا عدم لك شيء من خان السبيل او غير خان السبيل فانا الملزوم به وكل ما ضاع منك قليل أو كثير فما أخذه أحدا الا انا وانا الضامن وان أردت متى اكتب لك حجة بهذا القول على يدهم لاء التجار يكون بيننا فقال عبد اللطيف

هذا هو الصواب لاجل الاعتبار والماعل يعتبر بغيره أنت تهجم على محل
التجار وتضرب مع انى أقدر أجيب مملوك يكون أجل منك قدراً واجعله
والي على مصر فقال الامير بيبرس تقدر يا أبى ولكنه أمرها الامير بيبرس
في نفسه وقال يا أبى أنا أكتب لك كل ما عدم أنا ضامن له وكفيل

قال الراوي هنالك تقدم عثمان وقال له عمال تنفخ يا شيخ ومالك حد
طولت لسانك وسر البرقة أم البيت لو أعلم أن الجندي ما ينبطيش ما كنت أنت
تقدر تقول كلمة ما أخلي الا واحداً من السياس يقطع بيت منيكنك ولكن قم
يا أشقر ولا تكتب الحجة فقال بيبرس لا يا عثمان لا بد أن اكتب أقعد أنت
سأكت يا عثمان ثم أن بيبرس بطل كلام عثمان وكتب الحجة وانتهى الحال
وشهدت المؤمنين من الناس الحاضرين والتجار والخوارج أجمعين وبمد ذلك
انصرف بيبرس الى حال سبيله ومضى ذلك النهار ولما كان عند الصباح أقبلوا
التجار يروموا أن يفتحوا الخان ويقعدوا في أما كنهم فوجدوا باب الخان
مغلق فندهوا على بوابين الخان وخطبوا بالاحجار فلم يجابهم أحد فقاموا
حتى تضى النهار وحضر السيد عبداللطيف ورأى التجار وهم كل واحد منهم
واقفا محتار فسأل عن الاخبار فقالوا له ليس الخبر كالميان من الصبح ونحن
واقفين على باب الخان ونحن كما ترى وهذا الذي جرى (يا سادة) وكان ذلك
الخان حصين مكين ليس له منفذ ولا محل ليدخل منه انسان فلما أحاطهم الامر
جلسوا على باب الخان الى أن تضى النهار فلجل أمر يريده الله تعالى
فايت الامير بيبرس من الطريق فتعلق به الخواجه عبداللطيف ومعه
الخوارج وشكوا لهم ما أصابهم وانهم لا عرفوا فتح الخان فجلس الامير
بيبرس ولم يعلم ما قد جرى في عالم الغيب (قال الراوي) وأعجب ما روي
في هذا الديوان ان المقدم سقر اللوالي اجتمع مع المقدم سقر الهجان وقال
يا أخي الدولتي بيبرس له مدة طويلة ما رأيناه ولا علمنا ما الذي أصابه

من أحوال الدنيا والله يا أخى أنا مشتاق اليه سر بنا حتى نجتمع عليه لانه
أخيـنا وزياره الاخوان واجبة على كل انسان ورحمة الله على ما سلف وان
القائل يقول صلوا على الرسول

رفيق رفيقنا يعتب علينا فوا أسفاه من عتب الرفيق
(يا ساده) ثم ساروا الاثنين الى أن وصلوا مصر ثم انهم راحوا الى القلعة
وسألوا عن يبرس فاخبروهم بمض الخدام بأنه صار والى مدينة مصر فنزلوا
يفتشون عليه فعتروا به قدام الخان وهو قاعد على بابـه فسلموا عليه فهنأهم
بالسلامة وفرح بقدمهم ثم انهم سألوـه عن هذه العبارة فاخبرهم بالحال وما
جرى فى ذلك المكان فقالوا يادولتلى ان امرتنا بالطلوع الى هذا الخان طلـمنا
وان امرتنا بفتحـه فتحناه فقال يبرس كيف ذلك قالوا يادولتلى اذا اراد الرجل
منا ان يطلع على صور لطلع فقال هيا يا اخوانى افعلوا حتى أرى ما يكون
فمـند ذلك وقفوا الاثنين وأخرجوا من أوساطهم السرياقات وكل واحد
منهم ارمى مفردة ودور شككه بعد ما طرح الكلايت على صور الخان
وشد رحاياته وتعلق كل واحد منهم على مفردة وبمد ما كانوا تحت الجدار
بقوا فوق الاصوار فلما نظرتهم أولاد البلد والخوارجات صاروا يتكلمون
مع بعضهم فـمنهم من يقول لرفيـقه انظر يا أخى وكيف طلـموا على
الحيطان وهم كأنهم الفيران فيقول الآخر ما هم رجال الوالى
وهو الذى يـسرحهم من تحت يده وفى الناس من يقول ما هو كبير
الامـوص وقد زاد الكلام فيه بين الناس هذا وقد طلـفوا الاثنين
الى اعلا الخان وأرموا الاكر ونزلوا الى حوش الخان فلم يجدوا
فيه شيئا ووجدوا الفـمرا والبوابين فى قلب الخان مبـقجين
ففتحوا الباب ودخلوا الخوارجات واذا بالخـان خالى كأنه لم يكن فيه
شيء مطلق لا كثير ولا قليل وكأنه مكنـوش فـتمـجبوا الناس عايـه العجب

وسألو الفرجيه عن تلك السبب فقالوا نحن لا نعلم بشيء من ذلك الاسباب
بل اننا غلفنا الخان مثل عادتنا ولا نعلم ما أصابنا في غفلتنا فاننا كنا نأتمن
حتى أتيتم الينا وأيقظتمونا من مكاننا فقال عبد اللطيف نحن لا نلزم مال خان
السييل الا اليك ولا نأخذه الا منك يا أمير بيبرس لان عندنا عليك حجة
وما بيننا وبينك الا السلطان فقال بيبرس مرحباً وكرامة (ياسادة) فقال سقر
اللوالي وسقر الهجان يا دولتي هذا شغل عياق ماهو شغل سراق لان البارق
ما يحسن يفعل ذلك فقال بيبرس يا مقادم الامر في ذلك لله تعالى يفعل ما يشاء
ويحكم بما يريد ثم ان بيبرس ركب وعاد الى داره ومعه الاسفار الاثنين
ولكن ما يحسن أن يقول وهو على رأي من قال هذه الايات
أكلهم الناس ما أدري ما أقول لهم فان كلوني يروني غائب الفكر

قال الراوي وأما السيد عبد اللطيف فانه أخذ جميع تجار الخان وطلع بهم
الى الديوان ليفسكي الي السلطان (ياساده) وكان الملك الصالح في هذا اليوم
جالس على تحت الديوان والديوان متكامل وكان يقول الله يا دايماً الجزاء من
جنس العمل جراء الخلق على رب الخلق يا حق أنت الحق اللهم أظهر الحق وأعلى
كلمته اللهم اخذ الباطل واخذل كلمته يا حاج شاهين الرجل عنده المال ولكن
ما يسد شيء ولا يلزمه شيء وأيضا هذه غفيرة أم النور والكرامات وهو جارها
والجار بالجار ولو جار لا سيما وهي من أهل الاقتدار والعاقبة يا حاج شاهين
سليمة والرجل طريقته طيبة مستقيمة والذي ما أخذ شيء لا يغطي شيء
(ياساده) واذا بالسيد عبد اللطيف الدمشقي يقبل الارض بين يديه العاشق
في جمال النبي يكثر من الصلاة والسلام عليه يا أمير المؤمنين أجزنا وخلص
حقنا ورد علينا أموالنا ثم ان عبد اللطيف أشار قدام السلطان وأنشد يقول
أذل لاعدائي وأنت وسيلتي وأظلم في الدنيا وأنت نصير
يعارض على راعي الحمى وهو حاضر اذا ضاع في البیدا عقال بغير

(قال الراوى) قال السلطان اهلا وسهلا بمبد اللطيف الدمشقي والتجار بتوع خان السبيل وأشغالكم ايه و طاوزين ايه فقال عبد اللطيف يا أمير المؤمنين نحن أهل خان السبيل وهذا الخان عمره لا سطا عليه حرامى ولا سارق ابدا الا في هذه الليلة وسبب سرقة بيرس والى مصر لانه دخل للخان وتملأ على الخواجات وأنا قلت له انت والى وطرفك أولاد الزنى والصوص وأخاف أن يكون أحدهم اتباعك يسطوا علينا فقال لنا انا ضامن في كل ماضاع من خان السبيل وغيره وقد كتب لنا هذه الحججة وبقنا وصحبنا رأينا الخان مقفول ولما حضر الوالى احضر معه رجالا ومدوا الحبال وطلعوا عليها وفتحوا الخان فوجدنا الخان مافيه شىء ولا ما ينقر الطير فسلنا الوالى لانه هو ضامن فقام ولا رد علينا جواب وهذه قصتنا ونحن طالين اموالنا بموجب هذه الحججة فضلا عن انه والى وتحت يده مقدمين الدرك وهو المسؤول على كل ماضاع من البلاد (يا كرام) ثم أن عبد اللطيف طلع حجة شرعية مكتوبة على الامير بيرس وقال له تفضل يا أمير المؤمنين فاخذ الحججة السلطان وأعطاها للوزير يقرأها وأذا مضمونها الزام بيرس فى كل ملفقد من مال خان السبيل (ياساده) هناك تحرك القاضى من مكانه وهز ديدبانه وجنح طيلسانه وقال يا ملك المسلمين ان مال خان السبيل حقا فهو يلزم بيرس قطعاً هذا القول لا شك فيه ولا ريب بطريقة ما كتبوا عليه هذه الحججة وايضا يا ملك المسلمين ايش يقول اذا كان له رجال يتسلقون على الحبال ويطلمعون على الاصوار فانا أقول انهم هم السارقون وان الامير بيرس هو القاعدة لهم ولا يلزم السكوت على حقوق المؤمنين يا مولانا لا تتخلى عن هذا الامر ابدا فان الذى له مقدرة على هذه الفعل يخشى منه ان يتجارى على ما هو أقوى من ذلك يعنى يتجارى على قلمة الجبل ويملك بهذه الرجال الذين يطلعون على الحبال كلها أراد ونحن نخاف منه يا ملك فان هذا شىء من الكبائر يا حفيظ تحركوا يا أجيدادي يا غراقيون قال السلطان طيب

يا قاضي الله اعلم بالسرائر قال المعز ايبك التركاني الحق مع القاضي يا بعض شاه
اذا كان انسان مثل ذلك موجودين احنا كمان نخاف على رؤوسنا اذا كان ايبك
نايم كان الست حريم بتاعنا اطلع فلاح ازرب علينا واحد سيف نموت على باب
الله لازم من دعوة ديه ماسيوش ابد قال القاضي كذلك يا وزير قال السلطان يا حاج
شاهين حضر لنا بيرس حتي ننظر هذه العبارة فعند ذلك ارسل الوزير اثنين
عماليك لطلب بيرس فساروا طالين دار باديس وهو منزل الامير بيرس هذا
ما جرى في الديوان (قال) واما ما كان من الامير بيرس فانه لما رجع من خان
السبيل حضر مقلد بين يديه وقال يا رجل انت لما انجبت كان لك اناس من تحت
يدك مرقوا مال خان السبيل وانما انا لما طلبت منك ان تتوت فارضيت مع ان
من تاب تاب الله عليه وانت لا قبلت ان تتوب ولكن اعملني على الذي فعل
فعل ذلك الفعل الويل ومرق مال خان السبيل وانا وعزة الله اطلق
سبيلك واسامك في الذي مضى ولا أعاقبك الا اذا حصل منك ذنب جديد
فقال مقلد يا دولاتي وحق مقام السيد زينب الذي انت تلميذها لا أعلم ولا
أرسلت ولا وكلت ولا لي علم بالذي سرق خان السبيل فقتل حرحش
يا مقدم مقلد أنت من اين لك اعتقاد في السيد زينب مطلق ما تمتد شيئا
في آل البيت ولا غيرهم والدليل على ذلك لما كنت طلبت مني حرق
حارة الدولاتي فذكرت لك انها بجوار السيد زينب فلم تقبل مني وقلت لي ان
السيدة ماتت (قال الراوي) فلما سمع الامير بيرس ذلك الكلام ارمي
مقلد وضربه ضربا وجيعا وقرره فلم يعلم وبعد ذلك ضرب غلامه فضة فلم
يعلم بشيء فاطادهم الي السجن ثانيا وفي ذلك الوقت حضروا الاثنين الذين
ارسلهم الوزير في طلبه الي الديوان وصبخوا عليه وقالوا له اجب أمير
المؤمنين فقال الامير بيرس سمعا وطاعة ثم قام من ساعته وركب وسار
طالب الديوان وتقدم وقبل الارض وخدم وترجم وافصح ما به تكلم ودعى

للملك الصالح ودولته بدوام العز والنعم قال له السلطان يا سيدي يبيرس أنت
 صحيح كتبت عليك حجة بضمان ما عدم من خان السبيل وكان الختان حاصر قبل
 أن يسرق ولما ذلك يعني لان مصر فيها خانات بكثرة ومحلات فيها مال أكثر
 من خان السبيل ولماذا أنت اختصيت بخان السبيل وكتبت عليك حجة بضمانه
 من دون غيره فقال القاضي ولا بد له في ذلك ما رُب أخرى قال السلطان
 أسكت يا قاضي وأنا أكلمه فعند ذلك أحكى يبيرس للسلطان على الرجل وكان
 اسمه نصار واسم الولد عبد الهادي وكيف انه حضر السيد عبد اللطيف الدمشقي
 والعبارة التي جرت وهذا سبب كتابة الحجة قال السلطان ومع الحجة يا يبيرس
 انسرق الختان وحكمه قريب في ظرف كتابة الحجة وبعد ذلك بقي يلزمك
 مال خان السبيل ايض تقول فيه قال يبيرس يا ملك الاسلام أنا أعلم حقا في ذلك
 اني ملزوم واذا أمرتني بدفع كل ما عدم حالا أدفعه امتثالا لامرك ولكن
 الانصاف من الايمان واطلب المهلة حتى اني أحضر الغريم الذي فعل تلك الفعل
 وأقيم عليه الاحكام واقتص منه بالجزاء الذي يستحقه بعد أن يعطى للناس
 أموالها والغريم بعد ذلك يتجازى على ما فعل فقال القاضي اذا أردت مهلة
 فان الشرع يملك ثلاثة أيام لكن يكون بضامن يضمنك فأنت من الضامن
 الذي يضمن فيك في ذلك فقال الوزير أنا الضامن في ابني الامير يبيرس فقال
 القاضي طيب يا وزير لكن أنت كمان نطلب منك ضامن قال الوزير والله
 يا قاضي أنا أورد مال خان السبيل عن الامير يبيرس ولو اني أحط جميع مالي
 واذا كان مالي لم يوفى أرسل الى أخى مسعود ايبك في البصرة يرسل لي المال
 فقال القاضي طيب كلامك ولكن هذا حكم شرعي لا بد من تأكيد الضمانة
 فقال الملك الصالح أنا ضامن الضامن والمضمون أعني الوالي والوزير فان الاثنين

رأس دولتي وأنا محمد منهم والايافاضى أجيب لك أناضامن فقال القاضي أنت لم يجب
 أن أحد يضمنك أبداً فقال السلطان يا عبد اللطيف خذ الخواجات وانزلوا
 وبعد مضي ثلاثة أيام تعالوا الى عندي هناخذوا أموال خان السبيل ان شاء الله تعالى
 وأنت يا بيبرس انزل من هنا وفتش على غريمك والله تعالى يوقعه في يدك من
 قريب لكن احكى لى عن الشيخ عثمان في أى جهة قال حاضر ثم نادى على عثمان
 فطلع الى الديوان وقال نعم يا بوجوطة فقال ما تفتح عينك وتساعد الامير بيبرس
 فقال له عثمان انه لم يطاوعني فقال الملك طاووعه يا بيبرس وروحوا فتشوا على
 الغريم فمئذ ذلك نزل عثمان وأراد بيبرس أن ينزل فقال له الملك الصالح
 يا بيبرس ان مقلد وغلामه الذي عنده لم يملوا بشيء من ذلك وانما هذه أفعال
 الحجرة الزرقى حسبنا الله ونعم الوكيل طاووع عثمان (يا سادة) فتذكر الامير
 بيبرس كلام الملك الصالح كم من مرة وهو يقول له طاووع عثمان ثم قال له الملك
 الصالح اسمع كلامي فقال بيبرس ممعاً وطاعة يا ملك ونزل بيبرس فوجد عثمان
 يضحك فتبأشر عند ذلك بيبرس وقال يا عثمان أول ما نروح على أي طريق قال
 عثمان نروح اول الى المبرقة ونزورها لانها هي غفيرة مصر فقال بيبرس صدقت فركب
 الامير على الحصان وسار وعثمان قدماه الى ان وصل الى باب السيدة زينب ودخل الامير
 بيبرس ووقف عثمان ماسك الحصان واما بيبرس دخل ووقف قدام المقام وانشد يقول

ان باب الله طه جدكم ولكم قدر على عز على

وكل من يطلب قضا حاجته وأنى من غيركم لم يدخلي

ثم انه تملا بمشاهدة المقام وقرأ الفاتحة وما تنسر من القرآن وفرق
 الصدقات على جميع الخدام الذين يجوار المقام وبعد ذلك جلس قدام باب المقام
 وصار يشتكي الى السيدة ما هو فيه فأخذته سنة من النوم ووجد الحى
 القيوم فلما غفلت عينه واذا بالسيدة قدماه تنبخت في حلل الجنة فلما نظر

اليها قال لها يا سيدتي ها أنا من أتباعك وأنت يا سيدتي أوعديني بقضاء
حوائجي على يدك ولا لي في الدنيا من اعتمد عليه الا جنابك يا صاحبة
القناع الظاهر فقالت له لا تخاف يا بيرس فان عدوك مهوور مكمود وأنت ان
شاء الله تعالى في كل الاوقات مسعود ولكن طالع عثمان (يا سادة) فأفاق
الامير بيرس ولكنه فرحان ومتباهر بالخير فقام قرأ الفاتحة وخرج الى البيت
فرأى عثمان واقف يتكلم مع الحصان ويقول له طاعني يا جدد واسمع كلام
السيدة وأنت تبقى في ألف خير (قال الراوي) فعلم بيرس ان عثمان مكاشف
لا يخلو من الكرامات فقال بيرس يا عثمان قال عثمان نعم. قال له اني مأمور أن
أطاولك في جميع ما تقول لي عليه. وها أنا طائع على هذا الشرط بقا قول لي على
أي طريق نسير فقال عثمان يعني أنت تطاوعني قال بيرس نعم أطاولك قال عثمان
أول كل شيء هات لنا أبولوب وأبو هجمة يعني سقر اللوالى وسقر الهجان
قال بيرس هما فين قال عثمان هما في البيت قال له واذا جبناهم قال عثمان نروح
الى خان السبيل قال بيرس طيب ثم أن بيرس ركب وأخذ معه عثمان الى
الدار فوجد الاسقاز الاثنين واقفين له في الانتظار فقال لهم سيروا معي
وسار بهم الى أن وصل الى خان السبيل فقال عثمان انزل فنزل بيرس وقعد
على باب الخان ووقف سقر الهجان عن يمينه وسقر اللوالى عن شماله والخدام
واقفين قدامه والناس داخلين وخارجين يتأسفون على الامير بيرس والبعض
يقول هو الذي فعل هذه القمعال أو واحد من طرقة من أولاد الزنا الذين نحت
يده ما هو اللوالى كل أولاد الزنا تعرفه (قال الراوي) وصارت الناس
في قيل وقال ويبرس يسمع غالب الاقوال ولم يراجع أحداً في السؤال
فبينما هم على ذلك الحال واذا برجل مغربي ويده سبعة مرجان يسبح
بها وعلى اكتافه حرام وهو داخل الى الخان فلما نظر اليه عثمان قال لسيدة

يا أشقر قال له نعم قال امسك هذا المغربي قال يبرس لأى شيء يا عثمان
قال عثمان هذا المغربي هو الذي سرق أموال خان السبيل بالله امسكه وبطل
عنك القال والقيل قال عجب عجب يا رجل بلا كلام هذا مغربي كيف لى
عليه حجة أو عتب أو ملام وأنا بذلك المغربي غطس ما بأن كُنه ما كان قال
يبرس هو فين يا عثمان قال عثمان ضيعته يا مفش وخالفتنى وهو قريب القاضى
ومنقرش قوم بقى اركب وروح الى بيتك وما بقى ينوبك شيء قال يبرس
هات الحصان وركب وسار الى بيته وجلس فنزل عثمان وأمر السياس احضروا
له الغذا تغذا وكان يبرس نزع ملابسه وأراد أن ينام فطلع له عثمان وقال له
قم بنا قال يبرس على فين نروح يا عثمان قال على السيدة تقيسه قال يبرس
مناسب حضر لى الحصان وركب وسار وعثمان معه وكذلك الاسقرار ساروا معه
ولا زالوا باثنتين حتى وصلوا الى السيدة تقيسة فنزل يبرس ودخل جامع السيدة
وما زال الى أن وصل الى قدام الضريح وقال يا أهل البيت شيئا لله من المدد ثم انه
طلق لسانه بالتوسل وجعل ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

يا آل بيت المصطفى	أنتم بكم يا سادى
انى نزلت بحبيكم	أشكو لكم نصيبي
هل تقبلوا معذرتي	وترحموا مذلتى
واقف على أعتابكم	أرمى عليكم حملتى
فان رددتموني فن	يكون لى فى شدتى
وها أنا أرجوا الحمى	فى حبكم يا سادى
يا ربنا بالمصطفى	المبعوث لجميع الامة
وبالجماعة اجمعين	الطهر ذى الفضيلة
وبالحسن والحسين	وأهمهم فاطمة

وصاحبة هذا المقام سلافة النبوة
تقيسة العلم التي خست لها الكرامه
بحقهم وبيتهم وجدهم ذى النبوة
بالاوليا والاتقيا والاصفياء الرفقة
تنعم على عاجلا يارب وافر حاجي
ثم الصلاة والسلام وأفضل التحية
على النبي المصطفى من جاء بالهداية
والآل والاصحاب في غدوة وبكرة

قال الراوي فلما فرغ الامير بيبرس من كلامه وما أبداه من نظامه شكى حاله الى السيدة تقيسة وأباح بما في ضميره فاخذته سنة من النوم فرأى السيدة وهي مقبلة تبختر في حلل الجمة وأنوار النبوة لأشعة من ثنايا جبينها وقالت له يا بيبرس لا تخاف ولا تحزن أنت الظافر ولكن طالع عثمان فبايا مركبه نظفر يعدوك وأما ان خالفته تحصل لك مشقة فاتق الله وطاوعه فان الله له في خلقه سرا خفيا لا يعلمه الا هو وأنت طالع عثمان ففلق الامير من منامه وهو منشراح الصدر بكلام السيدة وخرج الى عثمان فرآه يتكلم مع الحصان وهو يقول له ان طلوعتى أكثر لك من العليق وأما ان خالفتنى ماتشوف يا عرس الا الضيق ونشنان الريق فقال بيبرس يا عثمان قال عثمان نعم قال تروح فين قال تروح الى خان السبيل فسار بيبرس الى خان السبيل وجلس ووقف على يمينه صقر الهجان وعن شماله صقر اللوالي واذا بواحد من اراج مقبل فقال عثمان امسك يا أشقر هذا السراج قال لاي شيء أمسكه قال عثمان هو الذي سرق مال خان السبيل قال بيبرس يا عثمان اتق الله هذا اذا كان نار ما يحرق موضعه قر السراج من بينهم كأنه الريح وغطس ما بان كأنه ما كان قال عثمان ضيعته تاني مره وخالفتنى ولم تسمع كلامي وصر المبرقة ان خالفتنى لم يطلع من يدك تجمع من مال

خان السبيل ولا درهما واحداً اشهدوا عليه يا أبو لولب وأنت يا أبو هججه
 فقالوا الاصتقار يا دولانني ان السلطان أبواب ولي الله المجذوب أمرك أن تطاوع
 عثمان وكذلك السيدتان أمروك بذلك فلاى شيء تكون المخالفة ولكن يا
 شيخ عثمان احنا نطوعك في هذه المرة فقال عثمان وهو الآخر يطاوعنى قال
 بيبرس أنا ما اطاولعك الا فى الشيء الظاهر فقال له عثمان بخاطرك خليك
 قاصد قال بيبرس ها أنا قاعد فتركة عثمان فاخذته سنة من النوم واذا بالسيدة
 أقبلت عليه ثانياً وقالت له أنا أقول لك طاولع عثمان وأنت تخالفه ان كنت ما
 تطاوع عثمان طاولعنى وأنا أقول لك طاولع عثمان ففاق من نومه وقال يا عثمان
 أنا طاولعتك فيما تأمرنى به ولو تقول لى افق فى النار أفع ولا أخالفك أبداً
 فعندها فرح عثمان وصاح يا كريمة الدارين وقتك واذا برجل اختيار شيخ كبير
 مقبل وتمت باطه محفظة ولا بس فرجية كبيرة وطيلسان عظيم ويده سبعة
 وهو سائر فى الطريق ويسبح قال عثمان يا أشقر قال نعم قال له امسك هذا
 الفقيه هذا قريب القاضى وهو الذى سرق مال خان السبيل فنهض الامير ولحق
 الفقيه ووقف قدامه وقال يا شيخ قال نعم قال له بيبرس ولاى شيء لا تقول
 السلام عليكم أما تعلم أن السلام سنة على كل مؤمن ورده فرض فاذا كنت
 أنت من علماء الاسلام ولم تحبى بالسلام فكيف يكون الجاهل من العوام
 فقال للشيخ يا ولدى الحق معك فى ذلك ولكن أنا كما رانى مشغول بالقراءة
 ويذكر الله فلا تأخذنى فانى ما رأيته ولا أخذت بالى منك فقال بيبرس
 لا وانما هذا كبر منك يا كلب يبقى أنا والى مصر وأنت لم تقرينى بالسلام
 تظن أنى لست من أهل السلام امسكوه فتقدموا اليه الاصتقار والسياس
 وأداروه كثاف وقبوا منه السواعد والاطراف فقال بعض التجار بأغصه
 واحد ما قال السلام عليكم يلزم له كثاف على قدر هكذا فى بلاد الاسلام
 فقال بيبرس ياناس لا يخص أحدكم شيء أبداً وانما أنا تصور فى ذهني أن هذا الرجل

هو الذي سرق مال خان السبيل ولكن حتى أتحمق منه طيب فان الدهن خوان فعند ذلك صارت الناس تتكلم كل منهم بكلام فاسن تقول كئنا نصلي وراءه صلاة الظهر في جامع طيلون وفاسن يقولون رأينا هذا الشيخ عالم يقرأ حصته في الازهر وهو من علماء الاسلام وفاسن تقول الوالي يمكن يطلب منه الدماء أن الله يوقع غريمه في يده وفاسن تقول بفنح على وجهه مندل وفاسن تقول الوالي غرقان فان مال خان السبيل ضاع فتملق في هذا الفقيه لاجل ان أصحاب المال يمكن تكون عندهم رافة يقولون له أطلق هذا الشيخ ونحن الله بخلف علينا في مالنا وهذا الامر لا يمكن والله ان ما كان الوالي يحط مال التجار لا بد ان السلطان يصلبه على باب الخان وكثر الكلام في حق بيرس وصارت الناس تقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(قال الراوى) وأما الامير بيرس فانه ركب وراح الى بيته وأمر الاصقان أن يحضروا عنده في البيت وقد جلس الامير بيرس في بيته وقال هاتوه فاحضروه بين يديه فقال له يا شيخ قال نعم قال أين مال خان السبيل قال له اتق الله الذي لا اله الا هو يا بنى وراقب الله أنا مثلى من يكون حرامي يا ابنى أنظر بعينك واخشى الواحد المتعال أنا مثلى من يعمل هذه الفعالي ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل ترانى أعلق في أذيالك يا ولدى يوم يقوم الناس لرب العالمين يبقى المولى حاكم عادل والسجن جهنم والملائكة شهود قال بيرس يا عثمان قال عثمان نعم قال ايش رأيك قال عثمان انبطه قال الامير ارموه فعندها أرموه ودارت عليه المدة فضر به الف كراباج وهو يقول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وبعد ذلك قال له يا شيخ تعمد نفسك قل لنا على مال خان السبيل قال الرجل حسبنا الله ونعم الوكيل قال بيرس خطوه في الحديد فوضعوها في رقبته حديد ووضموه في السجن الى ثانى الايام ولما فاق الامير بيرس من منامه وصلى فرضه وقرأ ورده ونزل وقعد في المقعد فتقدم اليه عثمان وقال له هات الرجل يا أشقر لاني

انا شايف رجل يقرأ الكتاب يمكن ان عيني زغلت فقال يبرس لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم يا عتمان تسببه قال عتمان لما تنبطه المرة ديه كان فاحضره
يبرس فرأى كفوف رجله مهريه بالكرباج فامر بضربه على ظهره فضر به
الف كرباج وبعد ما قال له الامير يبرس يا شيخ اين مال خان السبيل قال له مظلوم
وحسبنا الله ونعم الوكيل فقال يبرس يا عتمان قال عتمان هو بذاته قال يبرس اضربه
على صدره فضر به الف كرباج وحبسه الى ثاني يوم واحضره وضربه على انخذه والنفا
على ظهره ولم يقر بشيء ابدأ فاحضره وقت العصر وضربه خمسمائة على كفوفه
والف اخرى على ظهره وهو صابر ولم يقر

(قال الراوى) فضاق صدر عتمان وخاف من سيده ان يطلقه ولم يبلغ
مقصود من اظهار مال التجار فتقدم الى يبرس وقال له يا جندي هذا
الرجل مظلوم اعطيه لي حتي اشوف الحق بيدي انا والا بيدك انت فقال
يبرس خذه يا عتمان قرر ان عندك فسار عتمان الى الرجل ودخل عنده
في السجن وقال له يا شيخ أنت مظلوم والرجل هذا ظلمك لانه عقب
ظلم ولا في ظلامه نور ولعن انا مرادي ان اصل فيك جيل واطلق
سبيلك فقال له الرجل جزاك الله خيرا يا سيدي فقال له قم معي فقام
معه فأخذه الى الاسطبل وقال له يجازي الجندي ما هو الا بن زنى
سل مل ونحن يجب علينا اكرامك فقال له الرجل اكرامي اطلاق سبيل
هو الا اكرام فقال عتمان هذا لا يمكن ابدا وانت ما بقيت تقعد لا بد ان
أطلقك لكن يا جدد بدماء تنفدي وتشبع ولما عسى المساء وينام الجندي
أنا اخليك تروح وان سألت عليك الجندي أقول له سيناء هو رجل فقيه
عالم لا هو حرامي ولا يعرف السرقة وانما دور على الحرامية هات يا
عقرب غذية فعند ذلك أحضر له عتمان خمسة أرغفة سخان وعشرين
بيضه مشوية وحتوت فسيخ وقلب بطارخ وجاب له آنية فيها زيت طيب

وخل وقال له يا شيخ هذه ضيافتي كل هذا الطعام وقم روح الي محلك نام فانك اذا أكلت هذا كله لم يبق لك عندنا مقام فلما سمع الرجل ذلك الكلام فرح وتقدم الى الطعام وكان جيعان فا كل حتى ا كتنى وطلب الماء ليشرب فقال له يا سيدي استقني فناوله عثمان الماء فال على الماء ولا زال يشرب (ياسادة) ولا يخفى يا كرام ان الطعام حامى ومالح فصار كلما شرب ثايزداد الا عطشا ولا زال حتي شرب قدرة من الماء وقد كاد الماء ان يخرج من فوه من عينه وبعد ذلك أتاه حصر البول فقال لعثمان مرادى ازيل ضرورة فقال له عثمان قول لنسخ قال نعم قال عثمان تشخ سياسى والا مثل اولاد البلد فقال وما معنى هذا الكلام قال عثمان ان كنت ناوي تشخ مثل ما تشخ اولاد البلد اصبر لما يطلع الجندى ونحن نطلعك تشخ برا احسن لا يشوفك يقول لي من قال لك اطلقه وان كان تشخ سياسى قف وطرطر على السبله قال انا اقف والطرطر على السبله قال عثمان قوم مقام الرجل ووقف وأخرج ذكره فتقدم له عثمان وركب له زيار على ذكره وكبس عليه وقد داروا به السياس وشدوه من الجانبيين فعند ذلك طار عقل الملعون واراد ان يصرخ ويقول آه فصاح بلغوته المقلوبة وقال وادى فشد عثمان بالقوي ولم يرحمة فقال فى عرضك ياسيدي قال عثمان انت نصراني قال نعم ياسيدي نصراني قال واسمك ايه قال زغوير قال عثمان انت زغوير ومال خان السبيل في اى مكان يازغوير قال عندي ياسيدي بس نيشخ قال تسالي معى فوق فان هنا ما هو مطرح للشخاخ وسجبه عثمان وطلع به الى المقعد (ياسادة) فبينما الامير جالس يتفكر في هذا الامر واذا بعثمان مقبل اعليه النبي يتبسم في وجه من يصلى عليه فلما نظر بيبرس الى ذلك قال ايه يا عثمان قال عثمان هذا نصراني واسمه زغوير ومال خان السبيل عنده قال بيبرس انت من يارجل قال زغوير بس نفتح لان بزبوزى راح ينقطع قال بيبرس واين مال خان السبيلي يا ملعون قال عندي ياسيدي احضره حالا ولكن بس نفتح في عرضك

قال بيبرس انت من اى البلاد قال من بحاير ايفرة قال بيبرس وايش جابك
وليش اوصلك الى مصر وايش الجالك الى سرقة الخان ولما انتك سرقتك لاي شيء
رجعت ثانيا قول لى على الصحيح وانا أقول لمتان يطلقك وترح تشخ (قال الراوى)
وكان السبب فى ذلك ان القاضى لما كتب الجواب وارسله الى هذا الملعون مع
غلامه البرتقش وكان هذا اللعين جهر نفسه وسار ومعه اربعين ما يقا من
الكفار اللثام ولما قربوا الى مصر لبسوا ملابس الاسلام وساروا حتى دخلوا
مصر ونوطنوا فى حارة الافرنج وصار الملعون يدور فى مصر ليجد فرصه يهلك
بها الامير بيبرس فاجل امر يريد الله تعالى اقبلوا الى خان السبيل وكان
قدومهم عند مشاجرة السيد عبد اللطيف مع الامير بيبرس لما كتب عليه الحجة
بشهادة التجار وضمان خان السبيل فقالوا نحن نسرق هذا الخان وندخله فى اى
مكان ويبقى المطالب بيبرس فيقتله سلطان المسلمين واذا لم يموت نصبر احنا
الى ان ينقطع الطلب وننقل الى بيت عالم الله جوان وترقب الى بيبرس حتى
قتله على اى وجه كان قال زغوير هذا رأى طيب ولما تقرر الامر بينهم على
ذلك صبروا حتى اقبل الليل بالاعتكار واقبل الواحد واربعين كافر
الى الخان ارموا السرياق الحرير وتمكنوا من الخان وشدوا الرياحات
ودقوا فيها السكك وتملقوا وطمعوا فوق الاسوار وقد تمكنوا من الخان
وارادوا ان ينقلوا كل ما فيه فوجدوه شيء كثير وكان فى قلب الخان سبيل
قديم عادم مكسور ولم يكن فيه ماء بل هو ناشف من مدة زمان ولا له
استعمال فوضعوا جميع الامتعه فيه وقال زغوير لرجالهم كونوا انتم هننا
حتى ينقطع الطلب عنا ولم يبق خارج السبيل الا هذا الملعون زغوير وله
غلاما تابعه اسمه صابور فكانوا هم الاثنين خارج السبيل يحضروا الاصحابهم
كلما يحتاجون اليه وبسبب ذلك كان الملعون دائما يحوم حول الخان وقلبه
عند رجاله الاربعين الذين فى ذلك المكان فاول يوم دخل فى صفه

مغربى وعرفة الاسطى عثمان وثانى يوم دخل فى صفه سراج وقد كشف عليه
عثمان فى المرتين ويقول لسيده امسكه فلم يطاوعه الى ان تقدسهم الله فيه ورجع
ثالث مرة وهو على صفة عالم فقبض عليه بيبرس وهذا السبب وان الملعون
زغوير من شدة حره ان ذكره احكى كلما جرى له بالصحيح ولم يخالف لا يزور
ولا بتلويح فلما سمع بيبرس ذلك الكلام خر ساجدا لله تعالى الملك العلام
وفرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقام وركب ومشى والملعون بين يديه
الى ان وصل الى الخان وكان محاذية حرحش وعثمان ولما دخلوا الى خان السبيل
اعملهم الملعون بالسهاريج الذى فيه المال والمتاع فدخلوا الاثنين الفداوية الى ذلك
المكان وهما سقر اللوالى وسقر الهجان واحضروا مبخرة من النحاس ووضعوا
فى قلبها نار ونصيب من البنج وحدثوها فى السهرج فتبنجوا الاربعين عائق
الذين فيه ونزلوا بعد ذلك وطمعهم واحد بعد واحد حتى اخرجوا الاربعين
واقرنهم لبعضهم كل هذا يجرى والسيد عبد اللطيف والتجار تنظر وترى
فتقدم السيد عبد اللطيف الى الامير بيبرس وقال له من ملك من يكون الى
صحيح ومتولى المناصب فقال له بيبرس يا ابى قف حتى تستلم مالك مع اموال
التجار قصبر حتى طلعوا جميع الاموال ولم يعدوا ولا خيط ولا ابره وتسلم
كل ذى حق حقه وقال بيبرس فى غد يكون حضوركم أمام السلطان
لاجل الضمانة قالوا له جيما على الرأس والعين يا دولتي وشكر الله فضلك
قال بيبرس هل أنتم أخذتم أموالكم قالوا نعم فقال كل واحد منكم
يعطينى سند عليه بالاستلام لاجل ثبوت البراءة أمام السلطان قالوا سمعاً
وطاعة فأخذ منهم سندات بخطوطهم وأخذ زغوير والاربعين رجل
ومضى بيبرس الى حال سبيله هذا ماجرى صلوا على خير الورى
(قال الراوى) اسمعوا ما جرى من امر الملك الصالح نجم الدين ايوب
ولى الله المجدوب فانه بات واصبح ظهر الى الديوان وهو فى ذلك النهار

فرحان ثم التفت الى الاغا شاهين الا فرم من الدرويش عثمان وقال يا حاج شاهين
حامت جوارح العقبان على القربان مسكوكهم وقالوا رايحين بعلصوا منهم الا اذان
يا شاهين ونابهم ايه يعنى لكن اعمار تدانت

اذا ما اتقنا المنية الي بلادنا سعيينا ورحنا للنية بلادها

فالتفت القاضى الى السلطان وقال له يا ملك المسلمين ان هذا النهار هو
الميعاد الذى بدفع فيه مال خان السبيل من ابنك الظاهر بيبرس قال له السلطان
نعم لكن هذا شيء ظاهر وان الله عالم السرائر قال القاضى يا مولانا اذا كان
عنده ناس تطلع على الحبال فلهذا يقال انه قادر على كل الفعل ولا تخلو
منه تلك الاحوال (يا سادة) فبينما هم فى هذا الكلام واذا بيبرس طالع
وصعبته عبد اللطيف والتجار فقال الملك ما لكم يا ناس قال القاضى طالبين
حقهم قال الملك حقهم عند من يا قاضى قال عند بيبرس قال السلطان ياسيدى
بيبرس فكفى من الضمانة يا ظاهر قال بيبرس يا امير المؤمنين انهم اخذوا حقهم
ولم يبقى لهم عندى شيء مطلق ابداً وها هم قدامك اسألهم فقال الملك يا عبد
اللطيف احق ما قال قال نعم يا مولانا حق اخذنا حقنا بالتام والكمال قال الملك
يا بيبرس كنت اخذته ورديته لهم ثانياً والا لقيته عند أحد قال بيبرس وانما
كان واحد عايق نصرانى سطى على الخان والله تعالى اوقعه ومعه اربعين كافر
كل واحد منهم مثل الخنزير ولهم ملعون عايق عليهم كبير اسمه زغوير فقال
الملك هم فين قال بيبرس هم موجودين هاتهم يا عثمان فعند ذلك قدمهم فقال
قدام السلطان قال السلطان من امركم أن تفعلوا هكذا بالخان قالوا له يا مالك
المسلمين الذى حرصنا على هذه الافعال فهو عالم الملة المسيحية اسمه جوان قال
السلطان يا قاضى هات لنا جوان لكن القاضى تميز لونه واضطرب كونه وقال
يا ملك الاسلام وأنا ايش يعرفنى بجوان قال السلطان قم يا قاضى واوضح يدك
تحت باط هذا النصرانى وهات ذلك الكتاب الذى تحت باطه لاجل أن تتفرج وتعرف

ان من صر صيرة ألبسه الله رداها ولاجل أن تأخذ في الدنيا كتابك يمينك
 فقام القاضي ووضع يده وطلع الكتاب وقرأ كما ذكرنا قال الملك جوان
 هذا ايه يا قاضي قال انا يامولانا ايش يعرفى بهذا الملعون الكلب وما أظن
 الا انه من النصرانية قال الملك سوف يظهر يا قاضي في يوم تبيض فيه وجوه
 وتسود وجوه وأنا نسأل الله الكريم رب العرش العظيم بحجرة سيدنا محمد
 سيد الاولين والاخرين كل من كان هذا اسمه لا يعيته الله الا على ملة الكفر
 ويكون مقطوع على عربية ويحرق في الرميطة بنائط الكلاب قول آمين يا قاضي
 قال القاضي آمين آمين ثم قال الملك من أرسلك يا العين قال زغوير أرسلنى عالم
 الملة جوان وأعطاني مائة سنة زيادة في عمري وهم فرغوا ولا نابش حاجه
 قال الملك وجوان قين قال لانمره قال الملك قدموا لي هؤلاء الملاعين حتى
 اضرب كل واحد منهم بضغيرة الخوص قال الوزير ياملك وعلى ايش تنصب نفسك
 يامولانا أوهبهم الى بيبرس يعمل فيهم مثل ما يعرف فقال الملك خذهم يا بيبرس
 معك وريحنا منهم مالنا يا عم دعوه ثم ان الملك التفت الى عثمان وقال له يا عثمان
 جوان هذا فين قال عثمان هذا هو القاضي قال بيبرس اخرص يا راجل بلا كلام
 زايد قال عثمان لا يصدق حتى يرى ثم التفت عثمان الى سيده وقال له با اشقر
 انا بدي تعمل مونه لهؤلاء تكون طيبه لانك ابن زنا سل مل تعرف المواقف
 المتمينين اصمل لهم موته متعبه يكون ما احد ماتها قبلهم فعند ذلك أمر الامير
 باحضار واحد واربعين مبروم خشب وانعم أطرافهم النجار بالقاره ودهنهم
 بالدهن الماعز وقد قدق الصابون وساقوا الجميع الى ساحل الرميطة واركبهم عليهم
 بعد تقوير ادبارهم ولما أقعدوهم على الخوازيق نظر زغوير الى غلامه وهو واقف
 يفرج مع جملة المتفرجين فقال زغوير يامن انا شايغه وهو شايغنى وانا عارفه
 وهو عارفنى امضى الى اخواني دها شاجر الارمنى وشريحة الارمنى وقل
 لهم يأخذوا لي بالثار ويمحوا عنى المار (قال الروي) وكان هذا الملعون من

العياق الذي رباهم الملعون جوان وهم زغوير هذا وشاجر وشريحه ويحسب
 فاما يمشب مات وخلف ولد صغير يقال له جن بن يحنسب يظهر لنا في كلام اذا
 اتصلنا اليه نحكى عليه والماشق في جمال النسي يكثر من الصلاة عليه ولما سمع
 الملعون صابور ذلك الكلام ذهب الى بلاد الروم يعلم شريحه الارمنى وشاج
 فيكون لهم كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه (قال الراوى) وأما ما كان من
 الامير بيرس فانه عاد الى بيته واستقر به قراره وزال عنه ما كان قد اعتراه
 من الافتكار وحمد الله تعالى وقعد في حظ وانسراح وكذلك عبد اللطيف
 أخذ في العمل هو والتجار ولا افتكر بعد ذلك في بيرس ولا في عيلاته
 ولا جبر بخاطر الخدامين باحسان معه أنه لوضاع مال خان السبيل كان بيرس
 يسده من ماله والا مال الوزير وكذلك اذا عجزوا الاتنين كان السلطان
 ضامنا فأسرها الامير بيرس في نفسه وأبقاها له في سره (قال الراوى) ولما
 كان ثاني الايام وتكامل الديوان ودخل الاغا جوهر وقال يا أمير المؤمنين
 قد تكامل الديوان ثم أشار بقول صلوا على طه الرسول

ديوان مولانا المليك نجومه متكامله

حتى يروا بدر الدجا ومن يده شامسه

لا يستتم نورهم اذا ما رأوا أمائله

ثم قال يا أمير المؤمنين الديوان تكامل ولا يحتاج الا لطلعتك البهية
 قال الملك اللهم زده كمالا واحمى الاسلام اللهم لاترته ملالا يارب العالمين ثم
 قام السلطان وظهر الى الديوان وميل على الميامن أطرقت وعلى المياسر
 أطرقت والصدر والجناحين ثم قري القارئ وختم ودعى الداعى وختم ورقى
 الرافى وختم وامنت المساكر ترك وعرب وحجم وصاح شاويش الديوان وهو
 لا يخاف الموت ولا يهرب القوت

ولا الدهر لا شك انه دول يسلى وينهى بعد ابتداء

يا من تصاحت بكل ملك له بالمجز والجز والجاه
مسير زمانك عنك يولى والملك لا دام الا الى الله

قال الراوي فقال الملك يادايمن آمننا من أين كنا حتى اتصلنا كل من هو
بأخذ مدته وديرواح ياشاهين بيبرس أقبل له الدهر وبقي طرفه من مال خان
السبيل خالص والتجار أخذوا حقهم ولكن ياشاهين عدم جبر الخواطر عيب
والحق فيها بيد بيبرس وانا بيبرس ما يخلصنيش مكسور لا بد اجبر قلبه لاجل
ان يفرح بايام شبابه انزل هاته يا حاج شاهين خلى الذي يفرقع يفرقع فمعد
ذلك أرسل الاغا شاهين اثنين من طرفه وطلبوا الامير بيبرس فلما حضر قال
السلطان اعطيه ياشاهين كرك خلع الرضا تشريفا من السلطان وركبه بموكب
كامل ونادى قدامه هذا والى مصر مطلق سلاحه والحاضر يتخير الغائب فان
له نيابة في الحكم وأى دعوى قطعها لا تسمع بعد ونزل بيبرس بهذا الموكب
وسموا للناس على هذه الكيفية وكان بيبرس يحب الفقراء فكان كل من
له دعوه أو عليه دعوه أو غصاة يصلحها بالى هي أحسن واذا كانوا خصمين
نحوسه يجيب لهم الحق على نفسه وأى دعوى لا بد من قضاها وخلا البلاد
كالزمانه واتمى له الامر صلوا على من كان ساعى ركابه عمر

(قال الراوى) يا سادة يا كرام ومما اتفق ان الامير بيبرس شق
البلاد بالنهار فر على خان السبيل ونزل ووضعوا له الخدامين كرسيا على
باب الخان ووقفوا السقور على يمينه وعلى شماله فيينا هو جالس واذا بالخواجه
عبد ائيف مقبل من الامام الشافعى وصحبته الخواجات فوقعت عينه في
عين بيبرس فتركه وسار بعيداً عنه ولم يسلم ولا بدأ سلام ولا كلام وكان
بيبرس سابقا مغتاظا منه لما قال أنا أجيب مثلك مملوك وأجعله والى على مصر
ولما رآه الامير ذلك الوقت وهو لم يرد سلام ولا كلام زاد به الفيط فأمر
الخدامين ان يحضروه بين يده فرجلوه الثلمان وقدموه الى بين أيادى

الامير فلما صار قدومه قال له الامير يا عبد اللطيف يا هل ترى أنا لما ضمنت لك مال خان السينل كنت أنت عملت لي حجة على غفرك وبعد حجة الضمان الذي كتبته علي وجعلتها تحت يدك ولما ان سرق الخان طلبتني بموجب الحجة انا كنت على الخان بواب يا كلب ولما طلبتني عند السلطان والتمت لك وللتجار وانهى الحال وكان هذا شغل كفار من بلاد الروم وربنا حفظ هؤلاء الناس من ما لهم على يدي وكانوا الفاعلين هذا الامر واحد واربعين عايق نصراني وكلهم من اولاد ملوك الروم وعلى طول الايام يطلبون دماهم مني وانت لم يعرفوك بل انا هو المطلوب والقاتل انا هل ترى هذه الافعال كانت عليك منها ضرر او منفعة في حفظ مالك ومال التجار فقال له الخواجة ياسيدي ضرر ما فيش وانما تقع حفظ مالى ورد اموال الناس الى اصحابها ولما اخذت مالك كان ينبغي لك ان تحبر بخاطري وتحسن الى خدامي الذين وراني كان على كل حال فيها خير والثانية انا قاعد على باب الخان وانت داخل بيغلتك وعينك في عيني ولم تقول لي سلام عليكم وكان هذا عدم صحة اصلك فانك يا كلب الشوام ناقص الادب ومجهول الاصل والنسب ارموه فعند ذلك طرحوه على وجه الارض وضربوه ضربا وجيعا حتى أن الخواجات صاروا يشعظون بخاطر الامير ويقولون له يادولانلى هذا رباية أهل الشام وان غالب رضيع أولادهم بلبن الحميز فمن هذا ما لهم فهم في الادب ولا يعرفون بين المليح والتقيح وبعد ذلك مالوا على عبد اللطيف ووبخوه بالكلام وقالوا له ان الحق عليك للدولانلى فعند ذلك قام عبد اللطيف على حيله ووقف امام الامير بيرس وقال له ياسيدي أرجوا السامعة وتقدم قبل يده وابسط له العذرو قاموا للتجار وقالوا له يا أمير المفوم شيم الكرام فقال الامير انا سامعته

تم الجزء السابع ويليه الجزء الثامن وأوله ثم أن الخواجات
قالوا ياخواجه عبد اللطيف

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان

محمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره

ومشاهير أبطاله مثل شيخة جمال الدين وأولاده

اسماعيل وغيرهم من الفرسان وماجرى

لهم من الاهوال والحيل وهو

يحتوي على خمسين جزءاً

—525—

الجزء الثامن

—452357—

﴿ العتبة الثانية ﴾

سنة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

(طبعت على نفقة مصطفى السبع)

بشارع الحلوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

مطبعة المعارف بمكة قسم الجا لیه . برص

لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال الراوي ثم ان الخوارج قالوا له يا خواجه عبد اللطيف احنا أولا كنا قاعدينا عليه بكتابة الحجة وآخر الامر ان زمانه باداء المال ولولا ما كنا نجمع أموالنا ثانيا تخلية قاعد ولا تقريه السلام كان الواجب عليك ان تنزل عن بغلتك وتصبح عليه وتسارعه على طبق مزاجه حتى يأخذ حظه ويقوم الى حاله فعند ذلك قام الخواجه عبد اللطيف وتقدم الى عند الامير بيبرس وقال له يادولاني انت صفتني قال له نعم قال عبد اللطيف أنت ليلة غداً عندي فان عندي فقهاء يقرأون القرآن فأنت تسمع القرآن وتنجبر بخاطري في أكل زادي وقد قالوا لا قدمين لا بمصاد ولا ندم * سعى الموالي الى الخدم

(ياساده يا كرام) فقال له بيبرس ان شاء الله الرحمن الرحيم في أول الساعة السادسة أفوت عليك بعد أن أعود من شق البلد وانت أين محلك فقال له انا محلي في باب الشمرية على الخليج وصار الاتساق على ذلك وركب الامير بيبرس وتوجه الى حال سبيله قاصداً بيته واذا به نظر الى رجل وله سبعة معلقة في رقبته فتأمله بيبرس واذا به المقدم مقلد مقدم البوابة ولكنه مجذوب وهائم في الذكر فقال بيبرس شوف يا غثمان أنت أطلقتته

قال لا فقال من أطلقه قال له عثمان أسأله فقال له يبهرس من أطلقك فقال أطلقوني أهل الخير وقد لاحظوني بانفاسهم العظام والله يادولاتي اني ندمت على ما كان مني وها أنا نادم على ما كان مني من الخطأ وما قدمت يداي من المعاصي والآذ بقيت اختيار ومحى الظهر يا ليتك يا سيدي كنت قطعت رأس مقلد مثل الذي قطعت رؤوسهم من رجالي فانهم راحوا شهداء وقد سما الله أوزارهم وها أنا يا سيدي لا أعلم على أي شيء أقبل فقال له عثمان مالك بامقلد ألا تأخذ كما أخذ زغول فمئذ ذلك وضع بيرس يده في جيبه وطلع قرطاساً ذهباً وقال له يا أبي خذ هذا لاجل أن تسامحني فقال مقلد يا دولاتي أنت ما فعلت الا الخير لان الناس كان ربنا طامعهم عن طريق الارشاد وأنت الذي أهديتهم اليها وها أنا انتقلت من الظلمات الى النور والله ما يتبعني من حطام الدنيا شيئاً لا كثير ولا قليل منك ولا من غيرك ويكفيني ما جمعت لعل الله تعالى يقبل معذرتي ويصح خطيئتي (قال الراوي) فالتفت الامير الي عثمان وقال له يا عثمان ان مقلد صار من أولياء الله تعالى فقال له عثمان والله اذا كانت الولاية الذي في الدنيا تتفرق بالتمددان فما يناله منها لا قليل ولا كثير فقال يبهرس يا عثمان لا تتعرض للناس الذين ربنا اصطفاهم فقال عثمان ربنا ما يعطوني أولاد الزني فقال له يبهرس انظر كيف تخلص من السجن فقال عثمان الشقي عمره باق لساعة له في الدنيا عكوسات يفعلها مع شقاؤه باقية عليه سوف ترى بافلاح الى فعالة لان ابن الاخت ما ينسب الا لخاله (قال الراوي) وكان السبب في خلاص مقلد أن الامير يبهرس لما ضربه وتهمة في مال خان السبيل وجري ما جرى وكان مقلد لا يعلم خان السبيل وكان لمقلد غلام مريه فسجنه الامير معه وقد قال ذلك الغلام للامير يا دولاتي اعلم يا أميران رجال المقدم مقلد كثيرة فربما يكون أحداً منهم سطى على خان السبيل وفعل ذلك الفعل الويل وأنا لو أكون ليس محبوس لكنت أنظر في الناس واذا رأيت

منهم أحدا أعلمك به وأنت تقبض عليه وتخلص منه مال خان السبيل وتقتص منه بمعرفتك فقال له الأمير بيبرس أنا أطلقك لأجل ذلك ولكن إذا حصل منك شيء فأنت تعرف ما يكون جزاءك عندي فقال ممعاً وطاعه فعند ذلك أطلقه الأمير وصار عنده من جملة الخدام الي أن كان في ذلك النهار وبيبرس يتعاقب مع عبد اللطيف الدمشقي بعد ما ضربه فاغتتم الغلام الفرصة وسار الى السجن وأطلق مقلد وأعطى له ذلك السبحة وطلع مقلد على هذه الصفة وأدعى أن أولياء الله هما الذين خلصوه من السجن بالكذب وهذا أصل سبب اطلاقه وان مقلد لما انطلق انصرف الى الخان لينظر كيف كانت سرقة وكيف كان رجوع الاموال فصادف وصوله وقت الذي كان الخواجه عبد اللطيف يعزم على الأمير بيبرس كما ذكرنا واتفق هو واياه على أن الأمير يروح الساعة السادسة من الليل وكان مقلد سامع لذلك الكلام فعاد الى برجه وأقام يجهز أحواله بتدابير يعرفها فأحضر غلامه فضه وقال له يافضه أريد منك أن تمنحني الى كافر الجاموس وكتب له كتاباً يذكر فيه من حضرة المقدم مقلد الي شيخ العرب تمرار المراد منك انك ليله غد تجمع رجالك وتسميهم على اسم رجال الأمير بيبرس مثل عثمان ابن الجبله وعقيرب وحرش وحنيش وكل منهم يتصور في صورة من هؤلاء وتطرقوا بيت الخواجه عبد اللطيف الدمشقي شيخ التجار فانه عازم على بيبرس في الساعة الفلانية وأنا أصم على تعويقه في الطريق وأعوقه على الرواح اليه وأما أنتم اذا دخلتم البيت وقالوا لكم من أنتم قولوا الوالي ورجاله فاذا فتحوا لكم ودخلتم فانهبوا البيت واضربوا كل من فيه وكل واحد منكم يتظاهر باسم واحد أنت تقول أنا بيبرس وآخر يقول أنا عثمان والآخر يقول أنا عقيرب والآخر يقول أنا حرش وهكذا وبعد أن نهب البيت بما فيه فانك ترسل الى الكرك بالزغارات يكون لي وكلما أخذته من البيت غير الكرك يكون لك ولرجالك وبعدها عود

الى حال سبيلك والسلام وختم الكتاب وأعطاه الى غلامه فضه وتوجه فضه من عنده ثم أن مقلد أرسل أحضر فقير خط المدايغ وكان في المدايغ معصرة زيت وكان هذا الفقير صاحب مقلد فقال له لما حضر عنده مرادى منك أن تمسك اربعة فيران كبار وتربط في ذنب كل فار عود كبريت وتولمهم بالنار وتطلقهم في معصرة الزيت فاذا صارت الحريقه في المعصرة عرف بها فائدبوابه المتولي فيرسل الى الوالي ولما يحضر الوالي الى عنده يعلمه بأن حريقه في المدايغ فيوجه لها فان لى شغل في باب الشرعيه في غياب الوالي وهذا مقصودي فأجابه بالسمع والطاعة فهذا ما جرى ها هنا (يا سادة يا كرام) وأما الغلام فضه فانه سار الى كفر الجاموس طالب منزل شيخ العرب تمرار فبينما هو سائر واذا بينت مقبله وعلى رأسها بلاص فخار ملثان بالماء فقال لها يا أختي هل تعرفي بيت شيخ العرب تمرار فقالت له ها هو الذي قدامك على هذه العلوه واذا بشيخ العرب أقبل من جهة الطريق وضرب البنت بالسيف أطاح رأسها هي والبلاص على وجه الارض (قال الراوي) وكان السبب في ذلك ان هذه البنت لها حديث عجيب وأمر مطرب غريب مع هذا الكلب تمرار ولكن نذكر كل شيء في أوانه بعمون الله وسلطانہ وان تمرار لما ضرب البنت قتلها أراد أن يضرب الغلام بالسيف يلحقه بها فقال له أنا فضه غلام مقلد وقد جئتك من عنده بكتاب فقال له هات الكتاب فناوله الكتاب فأخذه وقرأه وفهم رموزه ومعناه فعند ذلك شال تمرار البنت من يدها بيده اليمن وأخذ رأسها في شماله وأدخلها الى أمها وقال لها يا خاليتي البال يا خطبة ان ابوها لم يرضى يزوجه لي قتلته وأنت لم ترضى تزوجه لي فها أنا قتلتها خذوها واطبخيها وكليها يا قبيحة وتركها ومضى مع الغلام فضه وفي الحال جمع رجاله وصبر الى الليل وسار برجاله ونزل من الخليج ولا زال سائر برجاله حتى أقبلوا الى بيت السيد عيد اللطيف وطرق تمرار الباب فصاح

عبد اللطيف من الباب فقال له أنا بيبرس فنزل وفتح الباب فلما نظرهم ترحب بهم وسار قدامهم الى وسط المكان واذا بتمراز أخرج نبوت وضرب النجفة فانكسرت وصاح في عقب الضربة أنا بيبرس وصاح واحد من رجاله انا عتمان ابن الحيلة وصاح الآخر انا سقر الهجان والآخر قال انا حنيش ووقع الخبط في كل من كان هناك وأظلم المكان وأبطل الفقهاء القرآن وقال واحد من الفقهاء اقرأ اذا زلزلت يا فقيه سليمان فقال والله يا أخي ما بقالي حفظ القرآن (يا سادة) وأما تمراز فانه قبض على عبد اللطيف وقلع كركه وجميع ملابسه وبقيت الرجال بنا دون كاذ كرنا وضربوا الفقهاء وأخذوا ملابسهم وصمايهم ونهبوا ما كان في البيت وطلعوا على صبيحة وأى صبيحة واثقت تمراز الى فضة غلام مقلد وقال له خذ الكرك اعطيه الى سيدك وسلم عليه وقل له ان تمراز قضى الحاجة هذا ما كان امر هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من الامير بيبرس فانه بعد ان صلى صلاة العشاء ركب على المائدة ليشرق البلد واذا بغير المتولي اطلق الصراخ اشارة ان البلد وقعت فيها حريقه فراح المتولي وسأل من الذي يزعج المتولي أين الحريقه فقال في معصرة المدابغ فسار الي ان وصل الى المدابغ فرأى حقيقة حريقه والسبب فيها من الغفير كما شرحنا أوقد كبريتنا في اذنان الفيران وادخلهم المعصرة فاوقد الزيوت فلما وصل الوالى مكان النار زاد وهيجه فأمر رجاله يجتهدوا حتي هدموا المعصرة وطفقوا تلك النار فكان الوقت الساعة السادسة فقال بيبرس يا عتمان سر بنا الى بيت الشيخ عبد اللطيف الدمشقي فقال له سبقنا اليه الوالى الآخر روح نام فقال له الامير لا بد من المسير اليه فان الله لا يخلف الميعاد ثم سار حتى وصل الى بيت عبد اللطيف فسمعه يقول انا صالحتك لكن ما أعلم أنه ابن زنا أما هو اصله مملوك عجمي لعنة الله عليه وسمع الذي يقول آه يا ذراعى يتتليك بكسر ذراعك يا عتمان والآخر يقول آه ياركبتى

يبتليك بكسر ركبتيك يا عقيرب والآخر يقول آه يا ظهري يبتليك بنزع رقبتيك
يا حرحش وكل من الناس يتظلم من واحد فقال بيبرس ما الذي جرى يا عتمان
فقال عتمان اما سمعت انت ضربت عبد اللطيف وأخذت كركه وملابسه وهم
يشكوا في عالم منك ومني والله عالم بنا وان دخلنا عندهم ما يجيبونا الا ما كؤل ولا
مشروب بقينا نعمل ايه اطلع بنا من البوابة لاجل أن نشم الهوى فقال
بيبرس طيب يا عتمان سر على بركة الله تعالى اللهم اجرنا من التهمة الباطلة ثم انه بسط
يديه وقرأ الفاتحة الى السيدة زينب وطلع من بوابة السليمانية وقصد الى
الخلا هو وعتمان هذا ما يجري هنا واعجب ما روي في هذه السيرة العجيبة
ان الحرمة أم البنت الذي قطع رأسها تمزار ورماها الى أمها وقال لها يا قبيحة
خذى بنتك اطبخيها فان الحرمة لما رأت بنتها قطعتين فلا قدرت تبدي
ولا تعيد لعلها ان تمر اذا تكلمت قتلها ولا لها منه نجاة فصارت تبكي وتوح
من كبد مجروح حتي بقت بلا روح ومن حملة ما قالت في تعديدها هذه الايات

يا حسرتي زاد البلاء والنار في قلبي مشعلا
قد كان بعلي فقير يرعى المواشي في الغلا
ولاله فعل ذميم ولا اسماع عاذلا
ولى بنت خليلتي ونيسة دون الملا
جار علينا دهرنا بغير ذنب نفعا
وصابنا سهم النيا شيخ عرب جاهلا
تمزار لا تبلغ منى ولا تنال مأملا
فجعتني في ابنتي ما ذنبها ان تقتلا
وكذلك بعلي هكذا قتلته في الاول
اشكيك للمولى الجليل وهو العلي الاعلا
فن تمدي واقترى فمض بحقي عاجلا

بحق طه المصطفى اذكى البرايا المرسل
وبالحسن والحسين وأهم ذات الملا
وأختهم سيدة النساء زينب لها قدر علا
ثم الصلاة والسلام على النبي الافضلا
محمد خير الوري كذا الصحافة الكملا

(قال الراوي) ولما فرغت الحرمة من بكائها وتمديد هاء واقالت من شعرها
ونثرها فأثاها النوم باذن الحى القيوم فوققت عليها الست زينب صاحبة القناع
الظاهر وهي مقبله اليها تنبخر في حلل الجنة فلما رأتها انبهرت تلك الحرمة
من هيبتها من حسن طلعها ومن ضياء وجنتها فقالت لها يا حرمة لا تخافى فان
بنتك شهيدة وسارت الى جنه الفردوس وكتبت سعيدة فقالت لها الحرمة يا سيدتى
وانت من تكونى فقالت لها انا صاحبة الاسم الظاهر انا السيدة زينب اخت الحسين
وجدى (محمد صلى الله عليه وسلم) سيد الكونين فقالت الحرمة يا سيدتى اليكم
اشكو حالى وليس لى صبر يا سيدتى ان رأيت هذا الظلم أمامى وهو قاتل زوجى
وابنتى وهذه مصيبتى فقالت لها السيدة زينب أما الذى مات فلا يعود ولا
يمكن يحى الى يوم القيامة وإما من جهة هذا الرجل الذى تعدي عليكم وقتل
زرجك وابنتك قومى من وقوتك واوضعى ابنتك في فرد خوص وسيرى بها
واظلمى من كفر الجاموس الى ان تصلى لمصر فاذا وصلت الى الخليج وقابلت
صور مصر هنالك اظلمى من الخليج نجدي باب البوابة افتتح وطالعين لك اولادى
وهما يبرساغ الولايه وعثمان ابن الحيلة فاعطى لهم الفرد بالقتيلة وهما يخلصون
لك حقتك من هذا تمراز ولكن اخبرهم انه هو الذى مضى الى بيت عبد
اللطيف ونهب منه ما نهب وهذه الليلة لا تنهاون حتى تخلص حق المظلومين
واجرك على الله رب العالمين (قال الراوي) ثم ان السيدة قالت لها
قولي له ان هذه الافعال كلها من مقلد وانه هو الذى حرق المصرة وحمل

هذه الحيلة لاجل امتناعك من الخط الذي فعلوا فيه هذه الاعمال فعند ذلك قامت
الحرمة واحضرت فردخوس ووضع جثث ابنتها وشالتا ونزلت من الخليج ولا
زالت سائرة حتي وصلت الي محل الرعفراني فنظرت الي عتمان وهو مقبل اليها متداني
حي وصلها وحمل الفرد وأخذ الحرمة وقدمهم الي سيده فنظريبرس اليها وقال ما
هذا يا عتمان قال هذا فرد فيه بنت مقتولة وهذا أمها وانت سأها وهي تحكي لك علي ما
أصابها فقال بيبرس ياسيدي أنت من أي مكان وما سبب اجتماعك بعتمان ومن قتل
هذه البنت من أولاد الزنى فقالت الحرمة ياسيدي قصتي عجيبة واموري
ياسيدي والله مشكله بديعة غريبه فاذا اردت ان تسمع مني كلامي تلقى
ذهنك وتروق سمعك وتكثر من الصلاة والسلام علي سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم وهي ان البنت بنتي والذي قتلها الشيخ تمران شيخ عرب
كفر الجاموس والسبب في ذلك وهو ان زوجي راعيا عنده وهو اسمه
سيدي احمد وانا اسمي حميده ورزقنا الله بهذه البنت سمينها زينب علي
اسم السيدة زينب رضي الله عنها وطلعت ذلك البنت بديعة في الجمال والقدر
والاعتدال ولما كبرت واستوفت محاسنها ولاجل الكائن في علم الله نظرها
شيخ العرب تمران فقال لزوجي ابعت لي ابنتك تكون لي ضجيرة فقال له
يا شيخ العرب هذا حرام وانما اذا اردت وكانت بنتي حلت في عينك
خذها بسنة الله ورسوله ولا تفعل القبيح فان هذا منك ما هو مليح فقال
له يا كلب انت فلاح وتمنع عني بنتك فقال له انا ما منعتها يا شيخ العرب
انا أقول لك خذها بالحلال فقال عمري ما أعرف الحلال ولا الحرام
الذي تمجيني آخذها وافسد بها والسلام فقال له هذا ياسيدي حرام
فضربه بالحسام قتله وأمر بدفنه فكفنوه الخدام وبعد ذلك طلبني وقال
لي جوزك منع عني ابنته فقتلته وعجلت له منيته فروحى وزينها وارسلها
وان لم تفعل ذلك قتلتها وفجعت قلبك عليها فقلت له ان الامر بيد الله وكان

هذا احسن فلما صبح رأي بنى مائة البلاص من البحر ومقبله فقتلها وجاء بها الى
 عندي وقال لي خذها واطبخها وكلها ففعلت أبكى عليها فأخذني النوم فرأيت
 السيدة زينب وهي تقول لي ان الذي مات مابقي يرجع قوسا وواضعها في فرد
 وأنزلي في الخليج وسيري الى برازعفران ترى ولدي بيبرس وعثمان بن الحبله اعطهم
 البنت واحكي لهم حكيتك وقولي لبيبرس ان الذي دخل الى بيت عبد اللطيف
 الدمشقي فهو نمرار وكان هذا من تدير مقلد ومقلد هو الذي حرق للعصره لاجل
 ان يبعدك عن باب الشمريه الى المدايع حتى ان نمرار عمل شغلته ومضى الى محله فحملت
 ابنتي وأنيت اليك وكان كذلك ورأيتك وسألتني فحكيت لك وهذه
 حكايتي والسلام (قال الراوى) لهذا الكلام العجيب صلا على النبي الحبيب فلما
 سمع الامير بيبرس من الحرمة هذا الكلام صار الضياء في وجهه
 غلاما والتفت الى عثمان وقال له يا عثمان انت تعرف كفر الجاموس
 قال عثمان أعرفه ولكن الوصول الى هناك صعب لانه عليه غفر وهو
 كلبته اذا رأت أحد طرق الكفر فانها تهيب عليه لكنه بحس على ولما
 تنبح الكلبه هناك فحل جاموس هو وحش كبير مثل الفيل اذا سمع نبح الكلبه
 يخرج حالا على الغريب ولا يرجع عنه حتى يقتله واذا كان الوارد على الكفر
 جماعة فعلى صياح الكلبه ينتبهون أهل الكفر فيرون أصحاب الفالط ولا
 لأحد عليهم وصول بسبب هامة الكلبه وهذا الجاموس وأما من جهة
 معرفة الكفر وأما كنهه وضروبه فما أحد يعرفه مثلي فقال له بيبرس
 وكأنك انت خايف من الكلبه أو الجاموس فقال عثمان أخاف منهما
 الاثنين فقال صقر الوالى أما من جهة الجاموس علي بقتله ولولا أخاف
 من البار لقتلت الكلبه لكنه نحن ليس من سيمتنا قتل الكلاب فقال
 عثمان اذا كنت انت يا ابوا اللوالب تقتل الجاموس أنا على قتل الكلبه لانى
 شب من الشباب قتال الكلاب وأما انت أسد مشروس قتال الجاموس

(ياسادة) ففند ذلك قال الامير قبل كل شيء يا عتمان ارسل الحرمة الى بيت احمد بن اباديس وأوصي عليها وخذ هذه المائة دينار ووصي لها من يجزئتها ويوارىها التراب وانا وحق مسبب الاسباب وهو الذي لا اله الا هو الكريم التواب لا أراجع حتى تدور يدى علي هذا الكلب تراز وكذلك اللعين مقلد وأقبض على هذين الاثنين واجعل العبارة واضحة البيان واطفي ما في قلبى من النيران وأخذ لهذه المسكينة بالثار ونجلى عنها الذل والعار فقال عتمان خذ هذه الحرمة يا عقيرب وديها لغزبه الجبله فانها هى التى تكفن بنتها ونحن لا نعرف تكفين ولا شيء ثم ارسلوا الحرمة الى بيت السيدة غزبه فلما وصلت اليها وعرفت أنها من عند ابنها عتمان صعبت عليها حالها وفي الحال أحضرت لها الطعام فايت أن تأكل شيء لأنها حزينة فهذا ما كان منها (قال الراوى) وأما ما كان من الامير بيبرس ومن معه فاتهم ساروا في تلك الليلة الى كفر الجاموس ففند ذلك قال عتمان اصبروا حتى أعمل شغلي وكان عتمان هو ماشيا في الطريق ميل على المطرية وأخذ جنباً من الملوخية وأعطى لصاحبها محبوب ولما وصل الى كفر الجاموس ملأ الجنبه بالثين وقسم خروف علي اربعة أقسام ووضع فوقه ربع من ذلك الخروف واحتمله على رأسه وسار يزحف علي الارض والفرد فوق ظهره ولما قرب الى الكفر وقف وجعل الفرد على رأسه وسار بمشى قليلا بعد قليل الى أن قارب الكلبة فشمت الكلبة رائحة اللحم وتقربت من الفرد ومدت رقبته فومطى عتمان رأسه فدلته يدها فومطى عتمان الى تحت وكانت الكلبة شافت اللحم فلم يمكن لها الرجوع فنزلت كلها في قلب الفرد فوضع يده في جنبه وقعد في الارض وصار يوضع الفرد من علي رأسه قليلا قليلا حتى خلص نفسه من تحت الفرد وضربها بسكين كانت له فشقتها من صدرها الي بين نخذيها ونزلت امعاؤها الى الارض ولكن صاحت ووقعت ميتة على الارض وعند صياحها انتبه فحل الجاموس وقصد الى نحو الرجال فصاح

عثمان يا أبو الوليد أنا أخذت حصي فقال المقدم صقر اللوالي كثر الله خيرك
يا عثمان ثم أنه وضع يده على قبضة شاكريته وجذبها بهمة قوية وتلقي ذلك
الجاموس وهو مقبل عليه وضربه بها بن عينية ففلق القرنين والمخ والسلسلة
الى حد كنفه فانصرع ووقع ميتا وزاده ضربة على ظهره قسمه نصفين فلما
علم عثمان ان السكبة ماتت والجاموس مشى قدامهم وقال لهم اتبعوني حتي
دار تمرز فشيبيرس وسقر اللوالي وسقر الهجان وحرحش وتوابه وعثمان
وتوابه ودخلوا الى دار تمرز فوجدوا الثمانين توابه وكل واحد منهم رافع
شيله على رأسه وهذه الشيل الذي اتواها من دار عبد اللطيف فعند ذلك هجم
الامير بيبرس على تمرز وكل اثنين من رجاله قبضوا على واحد من رجال تمرز
ولا أحد قدر يتحرك قط بل أوقفهم كثاف وقوا منهم السواعد والاطراف
واخذوهم بشيلتهم على رؤوسهم وساروا بالجميع ولم يزلوا سائرين الى أن وصلوا
الى دار أحمد بن أباديس السبكي ووضعوا في رقابهم الحديد بمدالكثاف الشديد
والتفت الامير الى عثمان وقال يا عثمان بقي لنا مقلد فقال عثمان وعاوز ايه
من مقلد قال يا عثمان اذا مسكت مقلد فهذا هو المقصود من قبل أن يهرب وتنصب بعد
ذلك قال عثمان انا الليله أمسكك مقلد بس اتبعني على بعد المسافة وانا علي افتح
لك البرج ثم أن عثمان سار وسار بيبرس علي أثره هو والرجال ولما أقبل عثمان
ألى باب البرج صفر تصفيرة حرامية فرد عليه مقلد بمثلها وكان هذا التصفير عادة
لأولاد الزنا وكان عثمان يعرف ذلك معرفة جيدة فلما صفر قال مقلد لفلانمه انزل
افتح الباب يا ولدي لئلا يكون رجل مطرود من الحاكيم وأقبل الى يستجيرني فافتح له
قال فضه حاضر ثم نزل وفتح الباب فدخل عثمان وقبض علي فضه وطبق علي
فضه وطبق يده بالسكرة علي فمه ووقف عثمان وكشف الفلام وقوي منه السواعد
والاطراف وصار كل ما يصفر مقلد يردد عليه عثمان بمثل ما يفعل الى ان دخل بيبرس
والجماعة وصعد الامير الى اعلى البرج واذا به يرى مقلد جالساً والكاس والطاس بين

يديه والكرك الذي أرسله له تراز كرك عبد اللطيف الدمشقي على كتافه فلما رآه
مقلد قال يا دايم يا حق يا معبود الله اكبر الله اكبر ان هذه من خور الجنة فعند ذلك
ضربه الامير بيبرس بالكرك الدمشقي ارماه وقال له تدعي بالولاية يا كذاب وانت أفسق
من الدباب وانت فاسق ظالم مرتاب وتدعي بالصدق وانت عند الله كذاب أين السبعة
التي كنت لا يساهي رفيتك فلعنة الله على شيبتك وعلى ذاتك ورؤيتك وأنشد يقول

يا جاهلا يا غافلا	يا سالكا بحر الضلال
قضيت عمرك فاسقا	البغي طبعك والضلال
أما علمت بأنها	دنيا ويعقبها زوال
تركت ما يكتب عليك	فرضا واتبعت المحال
كيف العمل اذا أتيت	ما بين أيادي ذوالجلال
لا زاد معك قدمته	حنا وأشياء يقال
واتبعت نفسك سرمدا	ورميت روحك بالنكال
وسلكت في سبيل الهوي	والله يعلم بالفعال
لو طعنتني في ما أقول	وتبت توبة الاقبال
أغارق عقلك والهوي	افيه على هذا الخصال

(قال الراوي) ثم أن الامير بيبرس صرخ بأعلا صوته وقال امسكوا
هذا المعص فعند ذلك تقدمت اليه الرجال وأوثقوه كتاف وقبضوا منه
السواعد والاطراف وجروه الى أن وصلوا الى دار احمد بن أباديس السبكي
وقرنوه برفقائه ودخل مقلد في قلب الحبس ونظر الى تراز وأصحابه وقال
لهم يزول الشر يا جدعان فقال له تراز أهلا وسهلا يا صمى قال لهم وأنتم
ما كنتم خلصتم يا جدعان وبعثتم الكرك الى عندي أم الزغرات قالوا له
وصلنا الى محلنا وهو وراؤنا يدور علينا احنا قعدنا وإذا به هو وجماعته عند
اكتافنا وقبضونا في ساعة ولا نعلم من الذي دله علينا فقال مقلد وأنا الآخر

كان واحد منهم يلاعبني بالتصغير فقال ربما يكون واحد مطرود واذا به ابن
 الحبله وطلعوا الي وأخذوني وصار الحديث بينهم علي ذلك الحال هذا ما كان
 من هؤلاء (قال الراوي) اسمع ماجري من الزناد القادح والبحر المتلاطم السائح
 مولانا السلطان الملك أيوب ولي الله المجذوب فانه بات واصبح يصلي علي نبي
 في كفه الورد فتح ظهر الي الديوان وجلس ونظر ألي الميا من اطرفت والى الميا سر
 اطرفت والصدر والجناحين ثم قرئ القاري وختم ودعي الداعي وختم ورقى الراقي
 وختم آمنت المساك أترأك وديلم وعرب وعجم وزعق شاوليش الديوان
 وهو يقول هذه الايات

الدهر لا يتقي علي طول الامد وكذا الزمان لا يصفي يوما لاحد
 كم من مليك حاز ملكا واسما من بعد تقرب خالقه سعد
 لا تحسب الله يغفل ساعة الا وينفذ حكمه اذا قد
 يعطي الذين تكبروا في ملكه حتى اذا فرحوا بما او تواخذ

(قال الراوي) قال الملك آمنة سبحان مالك الممالك سبحان المنجي من
 الممالك سبحان من كل شيء دون وجهه هالك سبحان من عنده كل ملك
 كملوك وكل غني كملوك الله الله يا دايم يا حاج شاهين ما تنظر الي هذه
 القمل التي تفعلها الناس الجمل ويمقها النكال والوبال يا شاهين يواظبوا
 علي كل داهية لكنه أوقع الله كيدهم في نحرهم هكذا يكون آخر الطلب
 يا شاهين (قال الراوي) واذا بباب الديوان استند الستار احتجج والخواجه
 عبد اللطيف الدمشقي والخواجهات الفقهاء طالعين يقبلون الارض بين يديه والنبي
 في القيامه يتبسم في وجه من يصلي عليه وهم ينادون مظلومين يا ملك الاسلام
 وتقدم أمامه عبد اللطيف وانشد يقول صلوا علي طه الرسول

ايظلني الزمان وأنت فيه وتأكلني الذئاب وانت ليت
 ويروي من حياضك كل حاد واعطش في حماك وانت غيث

(قال الراوى) فقال الملك الصالح من الذي ظلمك يا رجل يا عبد اللطيف قال عبد اللطيف ظلمنى والى مصر هو الدولاتلى بيبرس وهو ياملك جانى فى قلب الخان وضربنى ضربا وحيدا ومن بعد الضرب ياملك صالحته وأخذت بخاطره والتزمت ان اصمل له وليمة واحضره فيها وتوافقت ان اواياه ليقدّم الى محلى واذا به دخل على فى بيتى ونهب بيتى حتى قلموا الفقهاء ملابسهم من بعد ما ررضوا الجميع بالضرب وأخذنا أخذورا وهذا الذى جرى ثم احكى للسلطان القصة التى جرت عليه من اولها الى آخرها وبعد ذلك احضر الفقهاء شهدوا بما وقع لهم فى ليلتهم الماضية وكشفوا على ضربهم الذى فى أجسادهم وقالوا يا أمير المؤمنين هكذا يجوز فى دين الاسلام على حملة القرآن الذين يقرؤن كتاب الله الملك العلام (قال الراوى) هنالك تحرك القاضى من مكانه وهز مقلته ومرة لسانه وفرد شيبته على صدره وجنح طيلسانه وقال القاضى هذا لا يجوز يا أمير المؤمنين فهذا ظلم عظيم وان هذا العلام قد ظلمنى وضل واستطال حتى فعل هذه العمال فهذا حرام غير حلال ياملك الاسلام وما أبى هذا العلام من بلاد الاعجام ودخل بلدك الا يريد يفسد ملكك وأنا كم من مرة أقول لك على هذا وأنت لم تصدقني ولا على ما أريد منك توافقتنى حتى فشى منه الفساد وظهر فى هذه الارض والبلاد وتجاري على ظلم العباد وهذا العلام يقتل شرما وفرما وقرما ولا يمكن بقاؤه فى ارض الاسلام لان ابقاؤه حرام وان كان لايهون عليك قتله ياملك الاسلام فأنا أدفع لك من مالي وصلب حالى وزكاة عن قلبي ومحبتى فى دين الاسلام وفى رضاء الملك العلام خمسين كيسا وخمسين جواد وخمسين مملوك وعليك يا وزير ايبك مثلهم فقال ايبك مثلها يا قاضى كل نوبة ونحن نخطوا مثلهم يروح منا باطلا أما فلوس متاعنا راح ولا بقي عندنا يا قاضى مال قال له القاضى يا وزير النوبة هذه قاطعة الشهوات وبعد ما فعل هذه العمال فأتى لأبألى

بمال ولا بنوال فقال ايبك يحط يا باشا قال الملك هاتوا الفلوس ونعم المالك
والخيل وجميع المال حتى انظر هذا الولد ما الذي اغراه على هذه الفعلة فعند
ذلك قال القاضي يا شيخ منصور امضي الى الداروهات الدراهم فنزل منصور
وحضر المال بالجلس ووضع المال في خزانة الديوان بالكمال وبعد ذلك قال الملك
الصالح يا حاج شاهين هات لنا بيبرس الذي فعل هذه الفعلة فأرسل الوزير مملوك
الى دار بيبرس وصبح عليه وقال له أجب أمير المؤمنين فقال سمعاً وطاعة ثم اخذ معه
عثمان بعد ما شد له الحصان وركب وطلب الديوان وكان عثمان قد أمر رجاله ان
يلحقوه بسرائر ويكون مكتفياً كتافاً شديداً وصحبته رجاله الثمانين والجملة
مكتفين ويحضروا البنت المقتولة وأمها ومقلد وغلائه فضا ويلحقوا بهم الى
الديوان هذا وقد طلع الأمير بيبرس الى الديوان كأنه الاسد الغضبان فعند ذلك
خدم وسلم وافصح ما به تكلم ودعى السلطان بدوام العز والنعم وازالة البؤس
والنقم ورفع رأسه وقال نعم يا أمير المؤمنين

يا مليكاه فضل صفا و وفا وكل الاسم بالمجد والشرفا

امدك الله بالعمر الطويل كما مد نوح بعمرناك فيه الشفا

قال الملك يا بيبرس انت فعلت مع الحاجة هذه الفعلة رضرته
ونهب بيتته وأخذت ماله حتى ضربت الفقهاء الذين يقرءون عنده القرآن
وكان معك عثمان ومشاديد غلمان وكان سقر للوالى وسقر الهيجان
فقال بيبرس خاشا يا ملك الاسلام انا افعل هذه الفعلة فقال القاضي
يشهدون عليك الخواجات والفقهاء وأهل كتاب الله فقال بيبرس وانما
فعلوا هذا ناس من اولاد الزنا القتاك ودخلوا على الرجل صحيحاً وفعلوا
هذه الفعلة وبلغنى الخبر فى الليل فطلعت أنا ورائهم وأتيت بالاموال والرجال
الذي قد فعلوا هذه الفعلة حتى انهم قتلوا بنتاً واباهاً وهما أنا أحضرت
المقتولة لاجل ان تراها فقال الملك الملك الصالح وهذا الوقت موجودين قال

بمع يا أمير المؤمنين قال له احضرهم قال بيبرس يا عتبان واذا بعتان طالع الى
الديوان وهو يخطب بالنبوت ويعني ويقول يا ليل

أحبكم كلما حمار نهق نصار وكلما هببت جراوتكم في الدار
يا من على صحن خده مسرجه جنجار قتلتنى غدر يا أبو خطمه فول حار

صباح الخير عليكم يا أسطوات من الطاقه للعلاقه ومن الدقه للشابورة منا
القائمة في صحائفكم وصحائف كل من علمكم مسك السكه والجره وضرب
النفسه في الاصطبل صباح الخير عليك يا أبو جوطه يا ليلي عمرك ما ذقت اللحم ولا
السمن ظفرها يومه اكرام لله ندعى لك وانت تا كل القرافيش والدقه لا تروح
الله ما تلحق تقول قال الملك الصالح باعتان ما احشش في كده احنا الناس الحراميه
أين هم قال عتبان حاضرين قدمهم باعتيرب فعند ذلك قدمهم عقيرب وهم تمرار
وأصحابه وبعد ذلك قدم مقلد وغلामه فضه وأحضر ايضاً تابوت وفيه البنت
المقتولة وأما بجانبها وقال آدى الذى حضرناهم قال السلطان ايش دول فقال
الامير بيبرس هات يا عتبان كل ما كان معهم قال عتبان وادى شيلتهم قال السلطان
ايه العبارة قال بيبرس اسأل هذه الحرمة قال الملك يا حرمة ايش حكايته ومن
الذى قتل ابنتك فقالت يا سيدي ان الذى قتل ابنتى هو تمرار هذا وقد كان
سابقاً قتل زوجى وهو أبو هذه البنت المقتولة والسبب في ذلك انه طالب أن
ياخذها للزنا والفساد ثم حكى للسلطان على ما جرى لها من طلب ابنتها وان
أبوها لم يرضى فقتله وبعد ذلك طلب البنت منى وقال لى ان لم تزيني لى ابنتك
ونجعلها لى ضجيرة والا قتلتها فا رضيت له بالفساد فى بنتى فقتلها كما ترى ثم
أعادت عليه جميع ما جرى لها من الاول الى الآخر وقالت فى آخر الكلام وهو
الذى توجه الى دار هذا عبد اللطيف ونهبها بواسطة هذا المقدم مقلد والذى كان
كان لهم رسول هذا فضه غلام مقلد وان هذا تمرار ماله شغل الا قطع الطريق

ونهب الغادى والبادي وأكل أموال الناس بالباطل والزنا والفساد هو ورجاله الذين ترامم والسلام

(قال الراوي) فلما سمع الملك الصالح هذا الكلام والتفت الى الشيخ عبد اللطيف وقال له يا عبد اللطيف المتاع هذا متاعك ومالك قال عبد اللطيف نعم يا أمير المؤمنين وانت قلت أن ييرس هو الذي اخذ مالك ونهبك بقيا اذا كان ييرس ما حضر مع الغرما ولا فعل ذلك الفعّال وانت عملت عليه دعوه وتحضر هؤلاء الفقهاء ليكونوا شهود عليه وهم عدول بالشهادة ودين الاسلام فان له الحكم بالظاهر فكان ييرس تجري عليه الاحكام بغير ذنب فعله ويروح فيها مظلوم قال عبد اللطيف يا مولانا وأنا لا أعلم شيء من ذلك كيف يا بيريستقول في ذلك فقال ييرس يا ملك هذه الدعوة ما بين يديك ورأيك أولى قال الملك يا عبد اللطيف هذا العمل بين يديك نخذ انت مالك واعطى للفقهاء والضيوف ملابسهم كل ذي حق حقه فعند ذلك تقدمت الفقهاء وأخذوا ملابسهم وصاروا يوبخون في تراز وأصحابه ويقولون لهم يا حراميه تجمّلوا أنفسكم بأنكم الوالى وجماعته وتضربوا وتنبهوا في الليل ولا تخافوا الله الذي لا اله الا هو قبح الله ذاتكم يا عماقيت ثم أنهم أخذوا ملابسهم والبعض منهم كان له دراهم في جيبه القاهها كما هي ولم يمد لهم شيئا وكذلك الخواجات الذين كانوا عند عبد اللطيف ضيوفا واتهبوا أخذ كل من له شيء وبقا مال عبد اللطيف فقال الملك يا عبد اللطيف انت سبب هذا كله ولكن خذ مالك وانزل روح الى حالك الله تعالى يذهب مالك ما بين يديك فنزل عبد اللطيف والخواجات والفقهاء وان عبد اللطيف هذا يرسل أموالا الى جهة الهند والشام تفرق مرا كبه وتتفد فيه دعوة الملك الصالح والله يقبل دعاء أوليائه انه هو السميع البصير

(قال الراوي) وبعد ذلك قال السلطان يا قاضى قال القاضى نعم قال كيف رأيت ييرس في هذه المرة برىء ولا عليه ذنب ولا يستحق القتل حتى كنا

نملصوا آذانه قال القاضي يا مولانا الحق يعلى ولا يعلى عليه فقال الملك طيب
 يا قاضي لكن انت وايبك دفعتم هذا المال على قتل بيرس من غير ذنب عليه
 وجعلتموه لى رشوة فى نظير ما اقلته تمديا وظلما اذا كان على ذلك انما أريد شيئا
 من ذلك ومعاذ لله ان اقتل نفسا حرم الله قتلها الا بالحق فقال القاضي يا ملك
 الاسلام نحن ما دفعنا هذا المال الا لظهار الحق من الباطل والحمد لله يا مولانا
 الحق ظهر وانضح والباطل خفى واتقض فقال الملك وهذا المال من يستحقه أما
 ترجموه اليكم هذا لا يكون فقال القاضي يا ملك هذا يكون لبيت مال المسلمين
 والاخرزة مولانا السلطان فقال الملك أما خزنتي غنية عنه واما بيت مال المسلمين
 لا يستحق ذلك قال القاضي هذا حق مولانا السلطان يتصرف فيه كيف يشاء قال
 الملك اذا كان كذلك انا اهتبه الى ولدى محمود يا بيرس خذ يا ولدى ما سعى
 الا لى قسم وانت كنت فى هذه الدعوة مظلوم قال القاضي نعم ما فعلت وهو كذلك
 قال السلطان هاتولى هؤلاء أضرب كل واحد منهم ثلاث ضربات بالضغيرة الخوص
 فأنتهم ظالمين وقاتلين ولذلك مستحقين قال الوزير لاي شىء هذا التعب أهبهم الى
 الوالى يقاصمهم بما يستحقون قال الملك خذهم يا بيرس فأخذهم بيرس ونزل
 بهم من الديوان وقد شقق مقلد على باب برجة وخوزق غلامه فضة قدام البرج
 أيضاً وبمسد ذلك نزل الى كفر الجاموس وشقق تمرأز هناك فى وسط الكفر
 والتمنانين اتباعه شقق فى كل كفر من السبعة عشر والعشرين الباقين قطع رؤوسهم
 فى الخليج الذى جاءوا وراحوا منه لما نهبوا دار عبد اللطيف وكان الامر كذلك
 واما البنت المقتولة دفنوها فى كفر الجاموس واعطى لامها دوار شيخ العرب
 تمرأز من بعد ما شققه ووصى عليها أهل الكفر وقال كل جمعة لا بد يأتينى من
 عندها مطالعة على كل اخارها وان احد تعرض لها بسوء وحيات رأس السلطان
 ادفنه فى الارض وهو حياً واردم عليه فقالوا أهل الكفر يا مولانا نخضمها بالميون
 وان الحرمة تقيم فى الكفر أمينة وأميرة نفسها ولا احد يتعرض لها وعملت خيرات

كثيرة من مال شبيخ العرب تمرار ومن جملة ما فعلت سبيل مشهور الى وقتنا
يسمى سبيل المرأة ولم يذكر اسمها مع ان اسمها حميدة وان هذا السبيل سبيل
السيدة حميدة مشهور الى وقتنا هذا هذا ما جرى ما هنا

(قال) ويرجع الفصل الى القاضي صلاح الدين والمعز ابيك التركاني وذلك
انه لما جرى من الامر ما قد جرى وخسر القاضي وايبك اموالهم اغتاط ايبك
غيظا شديدا وقال للقاضي انت اهلك مالي واذهبت مني نوالي ولا بلغت من
بيبرس آمالي ولكن والله العظيم وبالله العظيم يا قاضي اضربك واحد سيف روح
موت علي باب الله اذا كان ما يعملني واحد تدير ويكون طيب علي بيبرس حتى
يموت قال القاضي اصبر يا ابا احمد وانا لا بد في من قتل هذا ولد الزنا وتربية
الخطا ولا بد انت تصير ملك وسلطان ويصير لك عبيد واعوان وهذا الامر ما
يفوتك ابدا ولا بد من قتل هذا الولد وسوف تدور يدك على ماله وعلى اما كنه
فقطب نفسا وقر عينا فهدأ روح ايبك واما القاضي فصبر حتى انقضى ذلك النهار
ونفض المنديل السلطان ونحولت العالم وان القاضي روح الى منزله والتفت الى
غلامه الحاج منصور وقال له يا حاج منصور يا ابني اعمل معروف ناديلي قراجودة
المحتسب فقال له لاي شيء عاوزه قال لاجل مكيدة فعملها علي بيبرس لعل المسيح
يا ابني يبلغنا فيه المأمول قال البرتقش الى كم تتعب نفسك مع عدم الفائدة يا ابني
وهذا الولد ما تبلغ منه المقصود والمال الذي حضرته معك من بحيرة ايغرة ضاع
أكثر من ذلك ولا بلغت ارب فقال له يا برتقش ان المال يجي غيره ولكن انا مرادى
قتل بيبرس على اى وجه من قبل ان يملو قدره قم أنت ناديلي على قراجودة
المحتسب لانه نصراني حتى ابني أعلمه علي أمور بهلك بها بيبرس قال له اخاف
بهلك قراجودة كما هلك حسن الايبكي على يد بيبرس قال القاضي من يقول هذا
الكلام البطل تقول انت بعقلك قوم هات قراجودة قال له سمعا وطاعة ثم ان
البرتقش قام الى بيت الامير قراجودة وقال له تفضل اجب القاضي فقال سمعا

وطاعة وسار بصحبته الى ان دخل الى بيت القاضى وقبل يده (با سادة) فلما حضر الامير قراجودة اجلسه القاضى بجانبه وكان هذا الملعون قراجودة نصراني وان القاضى يعلمه انه نصرانيا ومطلع الملعون على حاله وقراجودة يعلم ان القاضى جوان ويعلم قصده من يبرس فلما جلس بجانبه قال له القاضى يا امير قراجودة هات الميزان حتى انظره فاعطاه الميزان فأرسل القاضى احضر واحد حديد وعلمه على مكروه وتقرب هب الميزان بمنقاب مثل خرق شبك الدخان ووصل محل الخرق بلعام فارى من بعد ما وضع فيه خرق رصاص وبعد النصراني ما عمل له قب ميزان حكم طلبه قال له بقيت تستاهل البقشيش اجرتك ثم انه اثناء بكاس خمر ووضع له فيه خرقه سم خارق فلما شرب السكاس ذاب لحم من على عظمه فرماه القاضى فى جب عنده فى الدار خوفا ان ينقل الخبر ثم ان القاضى احضر الميزان الى قراجودة المجنسب وعلمه الى دورائها وقال له اذا اردت ان توزن اسحب القب هكذا يبقى الخردق جهة الصروف فكل ما كان ينزل فى الكفة القابلة تصير ناقص فمن ذلك تظهر حجتك مستقيمة ثم قال له فى غداة غد نطلع نصبح على السلطان وتنزل الى حارة بيبرس وتضرب رجلاها وحاذر فى الميزان اذا وضعت شئ تحمل الخردق جهة الصروف فقال له سمعا وطاعة وانصرف الى حاله بعد ما اخذ الميزان فهذا ما كان من هؤلاء

(قال الراوى) واما ما كان من الملك الصالح ايوب ولى الله المجنوب فانه بات واصبح يصلى على من فى كفه ألورد فتج وجلس على تحت قلعة الجبل وتكامل الديوان وجلست العساكر جميعا من مادته الجلوس جلس ومن مادته الوقوف وقف وقرأ التقارير وختم ورقى الراقى وختم ودعى الداعى وختم أمنت العساكر اترك وديلم وعرب وعجم صاح شاويش الديوان يقول

ما زاد نقص وكل متولى معزول والدهر كسلم طلوع ونزول
اصبر تؤجر ولا تكن فى الفعل عجول ما اسرع ما يقول كل شيئا كان ويزول

(قال الملك الصالح) سمعنا والله اطعنا وامورنا في الله سلمنا من اين كنا حتى
انصلنا ثم اراد الملك يتعاطي القصص ويزيل القصص ويحكم بالعدل والانصاف كما
امر النبي خد الاشراف واذا بالمحتسب وهو الامير قراجودة طالع يقول نعم شاة
دولة دائمة انا نازل من شأن شق البلد فقال له الوزير ابيك يا امير قراجودة
شق يا ابني البلد علي العدل توجه على باب الله فقال القاضي يا أمين الاجتساب
الناس تجارت علي النقص في الميزان والظلم اوزن طيب واضبط الميزان على الدقة
فقال السلطان طاعه يارجل يا قراجودة ما ينتج حالك انت كمان وتلحق
بالسابقين أنزل (ياسادة) فنزل قراجوده وركب وتقدم اليه الخدامين وقالوا له
على فين يا امير قال لهم علي حارة بيبرس هذه شقة غريبة ثم قال امشوا ففساروا
معه الخدام ولكنهم متكدرين لانهم يعلموا ما جرنى للوالى ولا زالوا ساترين
حتى وصل المحتسب الى اول دكان في الحارة المذكورة وكان دكان زيات فقال له
المحتسب سلام عليك يا ابني هات صروفك قال له الزيات سمعا وطاعة تفضل هذه
فقال له المحتسب هذه صروفك قال نعم قال له كم الرطل فيه قال له الزيات هو
في يدك يزيد على رطل وقيتين قال لما اوزن اشوف ووضع الرطل فصار الرطل
مدحرج الخردق فطلعت صروف الزيات فوق ضروف المحتسب فقال له ناقص
ارمى الرجل فقال له الزيات يمكن ان الصروف آكلوا منهم الفيران فرمى الزيات
وضربه علقه وانتقل الى دكان الزيات الثاني وكذلك الكفتاجي والعطاس
والجزارين والخصارية على هذه القضية حتى دار على اهل الحارة بالتمام وراح الي
حال سبيله فقاموا الناس واخذوا بعضهم واخذوا صروفهم وذهبوا الي دار
بيبرس وتراموا امامه فقال بيبرس ما الخبر قالوا له يا دولاتلى احنا صروفنا معنا
وانت عارفهم والاسطى عثمان كذلك يعرفهم ولكن امين الاحتساب
جلعنا ووزن الصروف ونزل علينا بالكراييج الى ان شوانا مع اننا
ما عندنا نقص يا دولاتلى في عرضك فقال بيبرس انا في غد اتكلم معه

وهذا مقدر عليكم ولكن ساعوه لاجل خاطري وانا باكر أقول له ما بقاش
يكلكم وارده عنكم قالوا له طيب يا سيدي ورجعوا الى حال سبيلهم فقال لهم عثمان
وقال لهم رحم للجندى لاي شيء قالوا له يا أسطى عثمان المحتسب ضربنا قال لم
عثمان والجندى ما قال لكم قالوا له قال لنا مقدر عليكم قال عثمان طيب مقدر
عليكم يا اولاد حارتنا فنزلوا الى حال سبيلهم ولما كان ثاني الايام طلع المحتسب الي
الديوان وصبح على السلطان فقال له القاضي يا أمين الاحتساب اجتهد كما فعلت
أمس عليك بها فقال السلطان اسمع كلام القاضي فنزل المحتسب وركب فقالوا له
الخدام على ابن يا أمير قال على حارة بيبرس ثم انه سار حتى وصل الى دكان الزيات
وطلب الصروف فلقام بذاتهم لا مبدلين ولا مشيرين وكذلك الكفتاجيه
والمطارين والخضارية على هذا المثال فضربهم ضربا شديدا اكثر من أول يوم
ومضى الى حاله فقالوا لبعضهم نروح الي صاحب الحارة وهو الامير بيبرس فقال
واحد منهم ما كنا عنده البارح وقال لنا مقدر عليكم وان ذهبنا له اليوم يقول
مقدر عليكم ايضا فقال لهم الزيات انا طارف الذي يطلع المحتسب ويحرمه دخول
الحارة وهو الاسطى عثمان ولكنه يطلب منكم البسيصة فقالوا له صدقت هات
لنا ربع قطار سمن بقرى وهات لنا عشرين رطلا عسل نحل واحنا نجيب
عشرة شقات عيش من الفرن وهذا شيء قريب وفي الحال كل من كان له طشت
في بيته احضره بدلا من القصاع وعملوا له ما ذكرنا وساروا الى عثمان وكان
عثمان جالسا ولم يعلم بشيء واذا بأهل الحارة مقبلين كما ذكرنا وقالوا له يا أسطى
عثمان احنا في عرضك من المحتسب والنفقة هاته موجوده فقال عثمان مرحبا
بكم يا اولاد حارتنا لانكم تعرفوا الواجب روحوا ولما يجيكم المحتسب قولوا له
طلق شعيرك يا دبور فرجموا وهم فرحين

(قال الراوى) وأما عثمان فانه التفت الى الجدة وقال لهم كلوا القصعة ..
يا جدعان لكن الذي يأكل الخروف يحس أمه فقالوا له سمعاً وطاعة قال

عثمان بس يا جددان خايف من الجندي ما يسيفيش ويروح من غيري بقي
تعمل زي النوبة التي فانت عملت فيها ميت وهذه النوبة اذا مت يسحب الدمشقي
ويقومني واذا ما قت ينبطني بالدمشقي فلمنة الله على من دمشقه ولكن انا اعمل
روحي اعمي ثم ان عثمان غاب وعاد وأحضر بصله ودقها ووضع فيها ملحاً ودعك
عيناه فاحمرت وتورمت ودمعت من ساعتها ووقتها ووقعت السياس وهم ينشون
عنيه وهو واضح الرقايف على عينيه وكل السياس واقفين يقولون له سلامتكم يا
اسطى عثمان وهو يصيح باعلى صوته ويقول آه يا عيوني فسمع بيبرس زعيق عثمان
فزول اليه مسرعاً وقال له لا بأس يا عثمان فقال له عثمان عيوني يا جندي فقال
بيبرس لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قال من هذا كنت اخاف عليك
واقول لك ما تكشف رأسك وانت عريان فقال له عثمان يا أشقر نزلت على السبعة
مرضات والسبعة دمويات والسبعة سخونات فقال له الله يشفيك وقد بكى عليه
ثم انه اتاه بماء الورد الباش والسكر المسكر وجعل يسقيه وكلما سقاء زاد
وجعه وينادي آه ولم يزل به الى ان طلع النهار وتركه بيبرس وركب مع القداوية
الاثنين وسار طالب الديوان وترك عثمان في البيت لاجل مرض عينيه (قال الراوي)
ولما كان صبيحة ذلك النهار بات الملك واصبح مثل العادة ظهر وجلس في الديوان
ثم التفت الى الوزير وقال يا شاهين الجماعة تحضروا قال الوزير اي جماعة يا ملك
الاسلام فقال له السلطان الخواصين رايمين يقطعوا الخوص (يا سادة) واذا
بالمحتسب طالع باس الارض وصبح على الملك فقال له القاضي يا أمين الاحتساب شق
مدينة مصر واجتهد في تصحيح الموازين ليلا ونهاراً وكذلك الائمان والاسمار كما
قلت لك شق مصر وعليك بها فقال السلطان يا شاهين هذا اليوم آخر المواعيد انزل
يارجل يا محتسب وطلوع القاضي فيما أمره به (قال الراوي) فزل أمين الاحتساب
الى باب الديوان وقدموا له الخدام الحصان وقالوا له علي فين يا أمير قال لهم
على حارة بيبرس فقالوا له يا أمير هي حارة بيبرس انفتح لك فيها مطلب ما

كننا فيها البارح قال لهم لازم من جارة بيرس قالوا له هذه حارة رجل جبار
 قال المحتسب اى رجل قالوا له عثمان بن الحيلة قال انا لا اخاف من عثمان ولا من
 سيده ثم صاح على الخدام فصار من غير مراده هذا ما كان من المحتسب (قال الراوي)
 واما ما كان من اولاد حارة بيرس فانهم صاروا يكررون في السكلمه وهي مطلق
 شعيرك يا دبور الذى علمهم عليها عثمان واما عثمان فانه حط على كل بوابة جماعة
 من السياس وقال لهم متى رأيتم المحتسب دخل اقفلوا البوابة فقالوا له سمعاً وطاعة
 ولما كان تمام الترتيب الذى جرى واذا بالامير فر اجوده المحتسب أقبل وعند ما عبر
 من باب الحارة غلقت عليه الابواب فأقبل الى دكان الحاج دلوع الزيات وقال له
 يا رجل اذا كان الجاموس اسود واللين ينزل منه ابيض من شأن ايه السمن يبقى
 اصفر قال له الحاج دلوع هذا صنعة الله يا سامح وانت مالك يا خيس ماذا يخصك
 بالسمن البقري احنا ناس قاعدين نبيعوا بالحد والانصاف كما أمر جد الاشراف
 وانت كل يوم نحبي تعمل علينا وتتنقل علينا ولا لك حق ولا انت يدك حق الا
 تعمل الكذب وضربتنا وسكتنا لك وصبحت كمان جاي وزاية قال المحتسب انت
 مالك يا رجل هذا النهار قال له مالى وانت مالك ربنا يميل حالك ويقطع اوصالك
 اصبر ونحن نوربك مقامك ثم ان الحاج دلوع وضع اصبعه في اذنه وزعق مطلق
 شعيرك يا دبور واذا بكل واحد من الخدام قبضوا عليه خمسة سياس وبعد ذلك
 ظهر عثمان الى المحتسب وقال له اهلا بالجدع المنقرش قريب القاضي الذى من
 العطفة الضيقة أيش جابك الى حارتنا يا وجه حمارتنا وكان عثمان طابت
 عيناه من الرمذ فقال له المحتسب يا عثمان انت اقل من المسخرة فقال
 عثمان والضراط على شواربك وشوارب ايبك الفليظ يا معرص فعند ذلك
 شرع المحتسب يده وكان في يده دبوس فضرب به عثمان فزاع عثمان عن
 الدبوس فوقع الدبوس في دكان واحد حلاق قاعد عنده رجل يريد ان يقطع خرسه
 والرجل فأتى حنكه والحلاق يقول له ابن المعبوب واذا بالدبوس وقع على حنكه

ارمى الميوب والصاغ فقال الحلاق قم روح الى حالك لان الله اراحك من القوي
 والضمف هات الاجرة وامضى الى البحر اغسل حنكك وروح الى حال سبيك
 (قال) وأما عتمان فانه قد هجم على المختسب وقلعة من جواده وارماه الى الارض
 وجعل رجله على قفاه وأمر السياس بمسكوا رجله ويديه ومال عليه بالضرب
 الوجيع حتى دغدغ اعضائه وكاد ان يعدمه الحياة ثم انه قلع ملابسه وعراه
 وكذلك السياس عروا جماعة المختسب وقدموهم الى عتمان فضربهم كل واحد
 ثلاثة ضربات بالنبوت وبعد ذلك قام عتمان وركب المختسب على ظهر جواده
 بالمقلوب وربط ذيل الحصان في شواره وامر خدامه ان يسيروا معه عرايا وامر السياس
 ان يسوقهم بالطبلة والزمارة وذارت بهم اولاد الحارة وكانت لهم زفة عظيمة
 وبعد ذلك طلعوا من الحارة وما زاوا معهم حتى ابعدوهم عن عتمان وعادوا عنهم
 راجعون هذا ما كان من عتمان والسياس (قال الراوي) وأما ما كان من المختسب
 فانه سار والناس يضحكون عليه حتى صاروا في وسط الطريق واذا بالقاضى وايبك
 مقبلين ونظروا الى قراجودة قالوا ايه الخبر فتقدم اليه وحكى له وهو يبكى امام
 القاضى هو الذي عمل له الميزان وقال له افعل كذا وكذا ففعلت كما أمرتني ورحت
 أول يوم وضربت الناس وثاني يوم كذلك واما النهار هذا كان ثالث يوم طلع لي
 عتمان وسياس كثيرة ضربونا بالنبايت وضربوا اتباعنا وربطوا ذيل حصاني في
 شواربي وهذا حالنا ثم حدثهم بالمعبرة من الاول الى الآخر فقال ايبك الله الله
 احنا يبقي وزيرنا ابن اخت متاعنا يضرب عليه الناس واحنا موجودين لكن
 هذا كله منك يا قاضى قال القاضى في غداة غدا يحضروا تابوت ويشيلوا الخدامين
 ويطلعوا به الى الديوان ويدعوا انه مات وانا على احكم على يبرس بالقتل ومني
 ومنك نصيات ومات يبرس وساوى من له سنين واوقات فقال ايبك مناسب
 يا قاضى هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ولما تقرر الامر بينهم على ذلك
 مضى كلا منهم الى حال سبيه وكذلك الامير قراجودة قصديته والارض

ضاعت في وجهه من الكيد الذي هو فيه واذا بالامير بيرس مقبل عليه وكان قادمًا من الديوان فلما رآه الامير على ذلك الحال قال له يا الاغا من فعل بك هذه الفعلة قال له فعل بي ذلك عثمان سائس متاعك وانا ما بقي بيني وبينك الا السلطان انت عامل سياس كثيرة ماسكين الحارة متاعك يضرب علينا كلمت كلام ايه قال له بيرس يا الاغا ان الحق على انا تمالي ارجع معي وانا ارضى خاطر ك واضرب عثمان قدامك وكذلك السياس جميعهم وانت تتفرج عليهم واخلف لك ثيابك وثياب خدامك واعطي لكل واحد من خدامك عشرة محاييب فقال قراجوده يا بشت اذا كان انت خفت على راسك من بعض شاة لاش نخلى سائس متاعك يضرب علينا وحق راس دولاتي وزير تركاني لازم اعمل دعوة عند السلطان فقال له بيرس روح اعمل ما تعرف وتركه الاميروسار الي ان اقبل الى الحارة ودخل الى البيت واذا بعثمان جالس على سلم الركوبة والرافة فوق عينيه فقال الامير بيرس يا عثمان انت طيب قال عثمان الحمد لله طيب قال بيرس قوم تعالى حتى اقول لك قال عثمان يعني سرمدغدغ رايح تقلى عليه قال بيرس من جاء الى هنا هذا النهار قال عثمان لاحد حاءنا ولا شغنا احد وان كنت تكذبني اسأل اولاد الحارة فقال بيرس والمحتسب قال عثمان المحتسب صحيح جاء الينا وضربته ما هو الحق عليه اول احنا صروف اولاد حارتنا مضبوطة قال لهم ناقصين بالكذب وضرب الناس وجاءوا وشكوا لك قلت لهم مقدر عنكم ضبح ثاني يوم جاء اليهم فجاء في الحاج دلوع وجاب البسيصة المنقة اكلوها الجدة ان طلبت له فوجدهته يقول للزيات ان الجاموس اسود ولماذا السمن اصفر منين ذلك قنبطه والسلام وادي الحكاية من اولها الى آخرها وان عاد يجي ثاني هنا قطعت بيت منيكة فقال بيرس هذا ابن اخي الوزير ابيك قال عثمان ابيك اللقيط والله وأقره. هذا والامير بيرس لم يأخذ من عثمان حق ولا باطل فعند ذلك طلع بيرس الى اولاد الحارة وقال لهم يا ناس اسكن كان اصل المحتسب

صبارته مع عثمان قالوا لا شفنا ولا رأينا وكان عثمان اوصاهم بعدم الحديث قال
بيبرس انتم ما رأيتم عثمان لما تخاصم مع المحتسب قالوا لا شفنا ولا رأينا ذلك
أبدا ما هو على شأنكم قالوا ما نعمل شيئا مطلقاً ولا شفنا عثمان ولا المحتسب
فسكت بيبرس (قال الراوى) ولما كان ثانى الايام ظهر الملك وجلس على كرسى
قلعة الجبل ووجد التقديم الازل واحدقت رجاله بين يديه ومن عادته الوقوف
واقف ومن عادته الجلوس جالس وقرأ القارىء وختم ودعي الداعي وختم آمنت
الساكر تراك ودبلم وعرب وعجم وزعق شاووش الديوان وانشد يقول صلوا على
الرسول

يا من عجب كل أمر عجيب * الوقت صفا من كدره والفنن رطيب
أثبت سدى احوال منها الطفل يثيب * اضحكت صفا فسوف تبنى بدمع صيب
قال الملك الصالح الله اكبر آمنا والله اطعنا وامرنا الى الله سلمنا واراد ان
يتعاطى الاحكام على منهج سيد الانام واذا ياب الديوان استند والستار انهر
وطائفة الاحتساب طالمين بالنبوت على اكتافهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلطان يا ناس هو باب القرافه صار من هنا
فقالوا تعيش رأس مولانا السلطان فى قراجوده المحتسب قال الملك ولما مات جيتوه
تدفوه فى القرافه قالوا له يا ملك هذا مات مقتول قال الملك من الذي قتله على
هذه الحالة قالوا يا مولانا قتله الامير بيبرس وعثمان بن الجبله فعند ذلك تحرك
القاضى من مكانه وهز ديدانه وقال يا أمير المؤمنين كم أقول لك مراراً عديده
وأذكرك به تذكراً واعلمك يا مولانا ان هذا المملوك ما جاءنا من بلاد العجم
الا على خراب هذا الاقليم الاسلاميه واذا لم يهلك هذا الغلام بخرب بلاد الاسلام
انصحك وانت تكذبني فى الكلام ولا تصدقني ولا تبغنى المرام حتى انه
قتل هذا الرجل المؤمن وان هذا المملوك يقتل قتله عظيمه وان كانت قتله
ينتج منها خسارة على مولانا السلطان لانه من ماله فانا ادفع من مالى

وصلب حالى وزكاة عن قلبي ودوايتي ورحمة ورغبة منى في دين الاسلام وابتنفاء
لوجه الملك العلام خمسين كيس في كل كيس الف دينار وثمان خمسين مملوك وثمان
خمسين حصان وانت يا وزير ايبك عليك مثلها قال ايبك نمط مثلها قال السلطان
يا شاهين يصح ان واحد مثل بيرس يقتل ابن أخت المعزايك التزكاني وهو
ملك ملوك الموصل لا كان ولا استكان هاتوا الدراهم وثمان المالك والجيل حتى
اخلي ابو حديد عوجاء يخلص اردانه فقال القاضي يا شيخ منصور هات الدراهم
وهم ثمانون الف دينار وانت يا ايبك احضر المال (يا ساذة) فعندها حضرت
الدراهم فقال الملك يا شاهين ارسل لنا بيرس فارسل الوزير الي الامير رسول
من طرفه فسار الرسول الى منزل الامير وقبل يدبيه وقال له يا سيدي تفضل
الى الديوان فقال سمعاً وطاعة ولكن ايش الذي جري فاخبره بان المحتسب قد
مات واحضروه في تابوت فالتفت بيرس الى عثمان وقال له المحتسب مات قال
عثمان من موته خدوه ماشى من هنا البارح طيب قال بيرس هاهومات وكيف
رأيتك يا عثمان قال ما أعرف أعمل ايه قال بيرس حارتهاكلها ما حد منها شاهد
وانا عليك ما اشهد بغيري وان سألت السلطان اقول له ان عثمان عيان ولا شفتنا ولا
رأينا فقال عثمان صحيح لاشفتنا ولا رأينا فقال بيرس انا اطلع الي الديوان وان سألت
السلطان عنك اقول له عثمان عيان وانت لا نمحي الا حتى نبرد الامور قال عثمان
طيب فعند ذلك ركب الامير بيرس وترك عثمان وطلع الي الديوان ولما دخل بيرس
حسم وترجم واقصع ما تكلم ودعا للسلطان بسوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم
قال الملك يا بيرس انت قتلت هذا فراجوده المحتسب فقال له بيرس لا شيء
اقتله لا بيني وبينه معاملته ولا مقاربة قال القاضي وعثمان فقال الملك فين عثمان
يا بيرس فاراد ان يقول عيان واذا بالنبوت ينجبط في باب الديوان وعثمان
ينفي ويقول يا ليل ولا فاك في ديوان ولا في ملك ولا في شيء مطلق
وهو مع ذلك يقول

عليل عماء جرجر فلق الكوز وابصر ايه
 وكان معه مال وباع الملك وابصر ايه وابصر ايه
 ولولا صلبا معهم عشب وابصر ايه
 كشفوا عليه التقوه يهوى في العيون السود ابصر ايه
 طرحوه على الارض ضربه ألف ضربه وصبر ايه

قال الراوى ثم ان عثمان لما فرغ من غناه قال السلام عليكم يا اسطوات من
 الطاقة للعلاقة ومن الدفه للشابوره قال الملك احنا سياس قال عثمان صباح الخير
 عليك يا بوجوطه الفاتحه في صحايفك وصحايف الذئى علمك مسك الكفه والجره
 وضرب المقطيله في الاسطبل يا شيخ ظفر بطنك ولو في السنة يوم تدعي لك أنت
 تأكل قرايش ودقه لما تروح لله ما تلحق تقدر تقول (ياساده) ثم التفت للوزير وقال
 صباح الخير عليك يا ابو فرمه يا طرنطش على طرنطشيك يا جدد صباح الخير عليك
 يا أيك بالقبط صباح الشر عليك يا قاضى يا منقرش بللى من الحارة الظلمه يا ابن
 الفحبة باقتلة زرقا قال القاضى اخرس قتل الله ذاتك قال عثمان جره في عين خاتك
 فقال الملك الصالح يا شيخ عثمان بطل عن الهذيان واخبرني على ماجري بينك
 وبين أمير الاحتساب قال عثمان اسمع الحكاية وشوف الحق على من قال الملك
 قوله قال عثمان عز الله جل الله ما في الملك الا الله انت يا معلم صالح قول معاي
 لا اله الا الله قال الملك لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 عثمان وعلى القاضى لعنة الله قال الوزير يا عثمان قل الحكاية بحول الله قال عثمان
 انت يا معلم صالح ما كنت انت كتبت البنا فرمانا ما أحد يجي البنا في حارتنا
 وان كنت تنكر احلف لى في أم البيت قال الملك صحيح معك فرامان ما أحد
 يدخل حارتكم من المجاورين ولا من أهل الحسبه قال له عثمان ان المنقرش
 الذى تعرفه أنت دخل وأمين الاحتساب الذى اسمه جرجوس وجاءنا بالميزان
 ان الذى علمه المنقرش يعنى القاضى وبقي يا معلم يحط الرطل ينزل بالكذب

وقال للناس صروفكم ناقصين وضرب كلا منهم عنقه فدحلو الجندي وحكوا
 له فقال لهم مقدر عليكم لكن سامعوه لاجل خاطري وثاني مرة كذلك وجابوا
 لي الفته اكلوها البجدمعان واعملت نفسي عيان بعموني حتى ان الاشقر خلاني
 وطلع الديوان وجاء جرجوس يسأل الناس ويقول لم الجاموس اسود واللبز
 ابيض والسمن اصفر لاي شيء والله يامعلم صالح فبطته البطلة التي قال عليها
 الحكيم ورفيته بالطليل والذكر لما طلعت من الحارة هو وجماعته وبعد ماضربنا
 يامعلم صالح اخذت عنقه والميزان وهذا الميزان يامعلم صالح وانظر يستحق النبط
 أم لا فعند ذلك اخذ السلطان الميزان وتفرج عليه وقال ان الذي فعل هذا لا يعرف
 الله ولا رسوله فان هذا شغل المنافقين ثم التفت الى عثمان وقال له وبعد ذلك ايه
 آخر الحكاية قال عثمان هذه آخر الحكاية يا ابو قوطه قال الملك لكن يا عثمان
 هو الضرب برد عليه وبقي قتله ويبقي مات كيف يكون الحيات قال عثمان اذا مات
 لا يلزمنا شيء كما كنت تكلمت انا والجندي لاشغفنا ولا رأينا ولكن انا قتلنا
 والسلام ونجمن لاشغفنا ولا رأينا قال السلطان سمعت منك باذني وما بقي ينفعك
 انكار قال عثمان وانا اعمل ايه قال الملك يا عثمان القاتل يقتل شرطا قال عثمان
 اذا كان رايح تقتلني انا اكمل عليه بالمره وابقي اعمل ما تعرف ثم ان عثمان مد يده
 في حزامه وطلع منه سكينه صلب صنعة اهل الهند وتقدم وأراد ان يفعل به كما
 فعل بالوالي وكان قراجوده عالم بما فعل عثمان بالوالي وهو مقبل السكين
 في يده فقفز من التابوت برى من التابوت وصار يجري على وجهه الارض
 فقال الملك الله يا اديم سبحان من يحيى العظام وهي رميم انظر يا شاهين ان الميت
 قد حيا بقدرة الله عز وجل سبحان القادر على كل شيء ولكن هات الملعون
 يا عثمان قال عثمان حاضر يا جدد هات يا حرحش جردوا السيف فقبضوا عليه
 وقدموه الي السلطان قال السلطان كيف يا أيبك هذا ابن اختك صحيح ولكر
 احنا رأينا الوالي فعل ذلك الفعال وكان ميتا بالكذب وكمل موته عثمان ورأينا

نصراني يا قاضي وهذا بقي له جانب من الزيت تكفف عليه ولكن الله حلیم
 ستار خذ يا أيبك معزول وهاتوا كركك الى بيرس أمين الاحتساب لبسه ياشاهين
 لاجل ان يفرح بشبابه كرامة للشيخ عثمان ولكن بقي يا قاضي هذا يحل في
 بلاد الاسلام ان الناس تحط الرشاوي على قتل النفس ظلما وعدوانا قال
 القاضي من الذي فعل ذلك قال الملك أنت وأيبك قال القاضي يامولانا احنا
 دفعنا عن اظهار الحق واخفاء الباطل والآن ظهر الحق واتضح واختفى
 الباطل وانفصح قال السلطان وهذا المال لمن يكون قال القاضي لما نظر السلطان
 ممزوجا بالفضب فقال ياملك يستحقه بيرس وهو منا هبة لا ترد قال الملك
 هيا ياشاهين لبس بيرس أمين احتسابيه فعند ذلك حضر الكرك واقترد
 على اكتاف بيرس ونادى على رأسه شاويش الديوان ومعاليك الوزير قد
 حملوا الاكياس وادخلوها الى دار الامير بيرس واما بيرس فانه لما لبس الكرك
 وصار أمين احتساب نزل على القاضي وأيبك ألف مصيبه ولما طلع الامير بيرس
 من الديوان وقال له أهلا وسهلا انت مقفطن ان شاء الله تعالى تكون مشدود
 كلاب قال له بيرس اخرص يامرص قال عثمان امالي ان شاء الله تكون أمين
 طباخه لاجل ان يكون عندنا الاكل كثير قال له الامير بيرس انا أقول لك
 يا عثمان بطل الكلام قال عثمان اياك عملت شيخ على الحاره فقال بيرس ياراجل
 انا اعلا والا أوطا قال له عثمان عملت ايه امال قال له الامير بيرس لبست أمين
 احتساب قال عثمان لبست محتسب قال نعم قال عثمان سبوح قدوس
 الخدمه بالفلس ما هي بالدبوس اما انا ما بقيت أخدمك ابداً يا سلام يارواد
 وان كلما تفور عثمان يفور قال الامير بيرس نحن سوى ان سعدنا سوى وان
 شقينا سوى وأما تخاوت انا واياك على مقام السيدة زينب ويبقى بيني وبينك
 عهد الله بقي الذي غير ذلك ماهو قال عثمان ان كان لابد اعلمني محتسب
 صغير قال الامير بيرس انت محتسب صغير يا عثمان قال عثمان وما يصح الا ان

تقول أوليتك يا عثمان يا ابن الحبله الذي داركم في المراغة والقبر الطويل وعندكم عبد اسمه فرج وعلى باب داركم قنديل أنا أولاني الملك محتسب كبير وأنا أوليتك محتسب صغير (يا سادة) فعند ذلك قال الامير بيبرس كما علمه عثمان فلما سمع عثمان قال يا عقيرب قال له نعم قال أنا بقيت محتسب صغير قال له مبارك يا أسطى ثم أن الامير بيبرس نزل من الديوان وركب الحصان وعثمان صير الى أن ركب الامير وأرسل معه واحد من السياس وحط الكرك على اكتافه وقعد وأمر السياس البعض منهم يزمرو والبعض يصفر ويصفق الى أن وصل الى الدار وكان النهار فرغ فبات بالنعم المقيم الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح صلي بيبرس صلاة الافتتاح وركب وطلع الى الديوان وتقدم الى السلطان وقبل الارض بين يديه وقال يا أمير المؤمنين مولانا السلطان قد أنعم على مملوكه بالولاية سابقا وزاد بأنعامه بالاحتسابية لاحقا فهل للملوك أن يتصرف قال الملك أي منصب أعطيته لك والي فيه وقلد من شئت في كل ممالك من حد الاوضه الى حد الاوزارية كل منصبا توليت فيه لا تعزل منه قط ولا أحد يتولاه سواك قال القاضي يا مولانا اذا كان تولى الاحتسابية يعطى الولاية لغيره قال الملك لا يمكن أبدا أنزل والي مثل ما تشاء ولبسه الولاية ثم التفت على الاحتسابية حتى تنظفها مثل ما نظفت الولاية فعند ذلك أخذ تستور مكرم وكتب له فرمان بجتم السلطان انه أمين على الاحتساب ووالى يفعل في مناصبه كيف يشاء ونزل معزور مكرم ووصل الى داره فرأى أرباب الحسبه واقفين له قدام داره فقدموا اليه وقبلوا ركبهم ونظر اليهم واذا بواحد حامل ميزان والآخر حامل الصروف في مقطف وواحد حامل قلعه واثنين كل واحد منهما في يده كرباج والباقي في يدهم العسكا كيز فقال لهم بيبرس أنتم ايش قالوا له يا أمير نحن خدامين الحسبه فقال لهم بيبرس الحسبه أعطاها لي الملك الصالح

وصرت أحكم فيها قالوا له نعم يا أمير ولكن احنا نريد خدمتك وتأكل عيشنا قال لهم عندي خدامي ولا أريد منكم أحد قالوا يادولائي أنت ما عليف كلفه لنا في خدمتنا بل يعود عليك النفع منا لا تنا نعرف الاسواق الطوايف لدى تابعوه الى الاحتساب ترتب عليهم العوائد على كل منهم استحقاقه واحنا كان نأكل عيشنا من جانبك ونبقى ملزومين بكل ما نحتاج اليه مطبخك من سمن ولحم وخضار وحطب وملح وفتح وصابون وما نحتاج اليه فانه يأتيك بالراحة على أيدينا قال بيبرس من أي محل أو من أي جهة يأتي هذا كله قالوا من البيع الذي عليه المرتب ونمسك له ييمه بسببها اذا كان صاحبها معروف والذي ما عليه عوائد فاننا نقبض عليه ونضربوه حتى يقرر على نفسه عوائد واحنا أيضا لنا عليهم عوائد وما يتكلف عليك شيء أبدا فقال لهم الامير بيبرس يا ناس ان هذا الذي تقولون لي عليه فهو شيء حرام والله تعالى أمرنا بالحرام ولا بأكله ولا بظلم الناس ومن يظلم الناس فآله حسبة وانما أنا عندي رأي أحسن من هذا كله فان كنتم ترضوا تتبعوه في أمان الله قالوا له وما هو الرأي قال هو أنكم تنوبوا الى الله تعالى عن ذلك القوا حش كلها ثم تخدموا عندي وأنا أرتب لكل واحد منكم يوميه عشرة أرغفه من الخبز ونرتب لكل واحد منكم يوميه خمسة دراهم فضه وكل ليلة عند الغروب يأخذ طاسه مسلوقة ويغلاها من المطبخ من الطعام الذي يعجبه ولكم الكسكسوي أتمم وحريركم والذي له ولد تكون له كسوة مثل أبيه وأمه في عيد الفطر كسوه للرجل وحريره تقيم به الى عيد النحر وفي العيد الكبير له وحريره كسوتين تقيمه بقية السنة من المركوب الى الطربوش والعمامة ولكن بشرط أنكم تمشون على تقوى الله تعالى واذا بلغني بعد ذلك أن واحد منكم ظلم أحد فإله من يدي خلاص الا بعد ضربه بهذا اللت ثلاثة ضربات واحده على رأسه والثانية على ظهره والثالثة على صدره فإذا أتمم قائلون قالوا له ممعا وطاعة واحنا يادولائي رضىنا بذلك الشرط قال بيبرس يا عتمان خذهم

عندك في الاسطبل فأخدم عثمان وأدخلهم الى الاسطبل وضرب كل واحد ثلاثة ضربات بالنبوت من غير ضروره وتابوا عن جميع المحرمات بركة عثمان ورتب لهم الامير ما ذكرناه وصاروا من توابع الامير بيبرس وبعد ذلك أقام الامير بيبرس ينتظر اصلاح الحال وأمر باصطناع ميزان وكلما يليق للحسابه فبينما هو كذلك واذا بمشايخ الخبز التابعه للحسابه وفي مقدمتهم شيخ الخبازين ويتبعه شيخ الزياتين مع شيخ الجزارين وشيخ الحضاربه وشيخ الكفتاجيه ومثل هؤلاء وسلموا على الامير بيبرس وجلسوا بين يديه وأخرج كل واحد منهم صره وقدموا الى الامير بيبرس وقالوا له يا أمير هذه عادة قال الامير ايش هذا قالوا له المشايخ هذه عوائد اذا تولى علينا مثلك محاسب جديد فان له علينا أن نأثوه بالصره وهذه علينا عاده ثم تقدم اليه شيخا منهم مقدم في السن وكان هذا أمين الخبازين وقال يادولاتي ان هذه الصره فهمي لتفصيل بدلتك والطوائف كلها مثل بعضها وأنا شيخ طائفة الخبازين وقد أتيت لك بالصره لاجل انك تعرفني لا تبتا كنا سابقا لما كان المحاسب الذي من قبلك كان عمل معدن للعيش على يدي وعلى يد المحاسب مع واحدا من جناب السلطان وجينا فجا وطلحناه وخزنناه نوافق الكريك اربعة ارغفه بنصف فضه وكان وزن الرغيف الواحد مائة درهم بقي الذي نصف الفضه اربعمائة درهم وصار علينا تنبيها بموجب ذلك ولكن بالامير بني آدم طماع وهذا كرانا وكل انسان لا بد أن يأكل من كراه ويلبس من كراه ويبنى أملاكا من كراه ويعمل افراح ويجمع أمواله هكذا وأنت يادولاتي تفهم الفاضل بقي نحن نورد العوائد لأمين الاحتساب لاجل اذا كان سراح يشق البلد ومسك رغيف ورآه ناقص عن مائة درهم فلم يتكلم بل هو له الصره فقط تأتي اليه في كل شهر وها أنا عرفتك لاجل أن تبقى تعرفني فقال بيبرس هل ترى هاته الصره منك فقط بخصوص نفسك أم لك فيها شركه فقال له يا سيدي أنا أجمعها من المعلمين الذين مدورين الخبازين في كل شهر وأقسمها

نصفين آخذنا نصفها وانت قاحاكم نصفها وهكذا العادة المرتبة من قديم الزمان فقال
له بئس انت شيخ الخبازين فقط وهؤلاء ايش يكونوا فتقدم شيخ الجزيرين
وقال يادولاتلى وانا شيخ الجزاوين وان المعدل علينا كان رطل لحم الضان بنصف
فضه والماعز ثلاثه ارطال بنصيين والبقرى رطلين بنصف فضه وهذه الصره نوديتها
نظير اننا نبيع بالرائد ونقص فى الميزان فيكون باللك معنا اذا رأيت بيعة لحم وكانت
زائده على ثمن التنبيه او ناقصه فى الاوزان تعلم ان ذلك نظير الصبره التى نوديتها
وتعف عن الذى تمسكه وكذلك قالوا بيقية المشايخ الباقيين ومن التطويل قلت لهم
وان توابع الحسبه مفهوم امرهم (قال الراوى) فعند ذلك التفت للمشايخ امحاضرين
وقال لهم يا مشايخ هذا يجوز لكم ان تنقصوا فى الكيل والميزان مع ان
الله تعالى انهى عليه وقال فى كتابه العزيز وأوفوا الكيل اذا كنتم
وزنوا بالقسط المستقيم الا به فضلا عن زيادة ايمان الشئ الذى يكون جعله
معدنا بالعدل والانصاف وكل من يؤمن بالله واليوم الآخر له فى ذلك حق وانتم
لاى شئ تنقصوا حق الناس وتعطوهم بايمان زائده وتنقصوا فى الموازين
والمكاييل فقالوا المشايخ يادولاتلى كانا على هذه الحاله فقال لهم الامير هذا
الذى تقولون عليه فانه يعين ارباب المكاييل والموازين على نقص الكيل
والميزان ويطمع ارباب البيع والشراء فى زيادة الايمان ولكن يا جماعة انا
عندي رأى احسن من هذا واقول لكم عليه وهو انى بعد صلاة الصبح
اشق البلد قبل اشراق الشمس فان وجدت العيش على مقاعد الباعين ازنه
واقب نظافته وسواده فان وجدت نظيف طائب اوزنه فان وجدته
كاملا اتركه وان وجدته نظيف وناقص وزنه فهذا له عندى شغل وان
كان كاملا وليس بنظيف كذلك له شغل وان كان كاملا وزنا ونظافة
بغير استوي كذلك عليه عندى شغل آخر هذا اذا رأيت العيش نظرا
على المقاعد من قبل طلوع الشمس كما ذكرت لك يا شيخ الخبازين وأما

اذا طلعت الشمس ولم أجد المقاعد معلومة بالعيش فاناسامح مرة وثانيا احرق المعلم
 على المقعد برغيف في وجهه واما في المرة الاخيرة فلم يكن جزاء المعلم في المقعد الذي
 على عليه خبر في اشراق الشمس الاصلية على المقعد ذاته واما نقص الميزان الدرهم
 الواحد خمسمائة كرباج وعدم النظامة تفريق الميش الذي مادم النظافة على الفقراء
 او اكسره وارميه للكلاب واما اذا كان ناقص التطيب ارمى خبازه أول مرة
 واضرته خمسمائة كرباج والثانية بالمثل والثالثة فاق ادخله في قلب الفرن والقبه الي
 بيت النار وهذا الكلام طلع من فم ياشيخ الخبازين وانت سمعته وكذلك الجزاوين
 اذا رأيت غش في اللحم من واقع الحيوانات وبيع الماعز باسم الضان او حلى باسم
 الجاموس فهذا ماله عندي الأهب جميع اللحم واعطائه للفقراء والكلاب
 وضرب الجزار الف كرباج وان نقص الميزان اقطع من لحم بدله واكمل
 به القدر الناقص وأما زياده الاثمان الجديد الواحد بخمسمائة كرباج
 وكذلك جميع ارباب الحرف التابعة للاحتسابيه على مثل ذلك وان
 يكون البيع والشراء من قبل اشراق الشمس الى بعد اذان العشاء بساعة
 ونصف وكل من تأخر عن ذلك لا يلوم الا نفسه واما اذا كال واحد شيخ
 طائفه من الطوائف التابعة الى الحسابه مديده الى واحد من طائفته
 واخذ درهم فضه أو أقل أو أكثر على قبول المحتسب اول نفسه فهذا له
 عندي مقام مثل مقام الحرامي ولا له جزاء الا قطع بده وها اتم يامشاخ
 سامعين وطوائفكم غائبين ولكن انا اركب غدا واجعل قدامى مناديا ينادي
 بهذه الكيفيه واكتب علامات باثمان المبيعات والاوزان والحاري في
 الاخذ منكم سابقا باطل وكل من أحضر شيئا معه رده الى أصحابه والسلام
 وها اتم سمعتم وقوموا الى حالكم وافعلوا ما أمرتكم (قال الراوي)
 فقاموا جميع المشايخ ووجوههم اسودت وبقوا في أشد مايكون من الخوف
 والقي الله الرعب في قلوبهم وساروا مع بعضهم في الكلام فمنهم من يقول

انه استقر بالسرو ومنهم من يقول حاف أن تكون حيلة عليه ومتى ما أخذ شيئاً فربما
 يدري الملك الصالح بذلك والعقلاء قالوا والله أن هذا المملوك لا ينتظر إلى شيء من
 ذلك أبداً حاذروا على أنفسكم من الاتلاف فقال شيخ الخبازين يا رجال وكم مثل
 يبيرس وغيره الدنيا فتانته (قال الراوي) وبعد خروجهم قام الأمير وركب ونزل إلى
 ساحة بولاق واطلع على ثمن النعمة وعرف ما يفرق بعد الطحن والخبز وأجرتهما
 وأجرة المعلم والصناع فوجد الأربعمائه درهم بنصف فضة فقال مناسب وكذلك
 مشتري الأغنام وحاب خروف وجاموس وما عز وعمل معدل اللحم ولا ثم ذلك
 النهار حتى كتب أوراق وجعلها في شوارع البلاد بأثمان المبيعات وأن الرطل أربعة
 عشر أوقية يعني مائة وثمانية وخمسين درهم تمام والذي ينقص يلزم خلاصه وصار
 تنبيه على أرباب المبيعات على هذه الحالات ولما كان في ثاني الأيام صلي يبيرس
 صلاة الافتتاح وركب وسار ولم يزل سائر حتى أتى إلى فرن شيخ الخبازين
 وتأمل وإذا بالفرن يحس في الفرن بالوقود فتركه وسار إلى جهة المحجر
 وعاد فراه يحس فتركه وعاد إلى جهة الصليبية وعاد بعد نصف ساعه وإذا
 بالعيش على الاقصاص خارج الفرن فأمر أن يأتيه برغيف وإذا به خمسة
 وثمانون درهم ولكن ناقص التطيب فأمر برد الرغيف إلى النار لاجل
 تمام استواء حتى اطلعه من الفرن ووضعه في وسط كفه وطبق عليه وفرد
 كفه فالتزد الرغيف معه فقال استوى طيب ولكن الميزان فوضعه في
 الميزان وإذا به ثمانين درهم فالتفت الأمير وقال للرئيس الذي واقف قدما
 الترن لاي شيء العيش ناقص فقال الرئيس ياسيدي أنا رئيس الخبازين فقط
 يأتيني العيش عجيب أخبزه ولى مرق يومي أجره ياسيدي ما أنا
 ملزوم بنقص العيش ولا بوزنه فكل ذلك يختص به القطاع والوزان فقال
 احضروهم فأحضرهم له فسألهم عن سبب نقص القطيعه ولما هي موافقه
 في الوزن فقالوا له يا مولانا نحن اجبرين نشتغل بأجرنا والميزان ميزان المعلم

ونحن نوزن كما يأمرنا فقال لهم أحضروه لي فذهب على أجرة إلى المعلم وأحضروه فلما حضر قال له يا شيخ لاي شيء منقص العيش عن الميزان الذي عملته وثانياً تخلى العيش ناقص الاستوى فقال له ياسيدي أنا للتنبيه نزل على البارحة ولا عملت ميزان جديد فأرجو من فضلك يا دولاتي المنعو وفي غداة إذا رأيت شيء لم يليق بمقلك أفضل خلاصك قال وهو كذلك ثم تركه ومضى شق البلد بالتنبيه شفاهاً ولما كان ثاني الايام كان أول قدومه على فرن شيخ الخبازين فكان الشيخ واقف والفرن الذي على الفرن واقف يقول له أنا ما أقدر أخبز الا عيش على اوزان الحاكم فقال له الشيخ اخبز الذي قدامك وان لم تخبز اطعم وأنا أجيب غيرك فقال أنا أطعم ورزقي على الله قال له اذا لم تخبز أرميك داخل الفرن فقال له وان جاء الحاكم قال له دعه يرميني أنا في الفرن وكان يبهرس يسمع ذلك الكلام في البدرية والناس داخل الفرن فصار ولم يكلم أحد ولما طلع النهار حضر فوجد العيش كما كان أمس فأمر برفع شيخ الخبازين والقائه في الفرن فانشوى وبعد ذلك توقع الاسطى عثمان عليه وحلفه بالسيدة تقيسه فطلعه لكن النار هلكت أعضائه فنا أقام الا أيام قلائل ومات وشاع الخبر في مصر بأن المحتسب رجل جبار لما انه وضع شيخ الخبازين في الفرن وحرقه بالنار أجازنا الله وإياكم من ذلك ومن هذا الامر خافوا كل أهل البلد ولا بقي أحد يبيع الا بالكيل المطلق والوزن المطلق وجميع الناس تركوا الباطل واتبعوا الحق وصارت البلد متمشية على طريقة حميدة والبيع بالعدل والانصاف والشرى كذلك الى يوم من بعض الايام وكان يوم جمعه فيه يصلون على النبي فر يبهرس على طريق باب الشعرية واذا عرضه رجل سقى حريم ومعه لحم وخضار متوجهاً بها الى منزل سيده فقال للخدامين هاتوا لنا هذا الرجل فأحضروه الى بين يديه فلما حضر قال له ما الذي معك فقال معي لحم ضأن ومعى خضره وهى باميه فقال له هات حتى أوزنها

فاخذ وقال كم رطل اخذت قال له سبعة ارطال لحم قال والباية قال عشرة ارطال
 فامر بوضعها في الميزان ووزنها واذا باللحم خمسة ارطال والباية ستة ارطال فقال
 له من اي حارة ابيك قال له من حارة ابيك التركاني فسار بيبرس واخذ الرجل معه
 الى حارة ابيك الى عند الجزار وقال له يا شيخ قال نعم قال له كم رطل لحم الذي اعطيتهم
 الي هذا الرجل فقال له عارفهم هم خمسة باسم سبعة فقال له اما تخشي من الله تعالى
 وتقيه وتبيع بالحلال فقال له يا سيد هذا غلط في الميزان وهذه حكمت غضب عني
 فقال بيبرس واين هذا الخضري وكان الخضري بجانب الجزار فقال له يا شيخ
 كم رطل وزنت هذه البامية فقال ستة باسم عشرة فقال يا شيخ ان الجزار
 ادعي انه غلطان وانت ما يكون عذرك فقال عذر الجزار وعذري سوى
 فقال كأنكم اكلتم طاطوره سوى وغلطتم في السنجة سوى فقال
 الخضري يا سيدي اولا كان امين الاحتساب السابق تحت أمر الوزير
 ابيك التركاني فما كان احد من الخدم يقدر ان يمر علينا ونحن ساكنين
 هنا حماة لعدم حكم امين الاحتساب علينا وفي نظير ذلك فان لزوم
 مطبخته اليومى من لحم وأرز وقمح وعسل وسمن وملح وصل وجميع
 ما محتاجه المطبخ لحد القليل وكذلك ضابون الفسيل علينا وعلى جميع
 السوق المقيمين بحارة ابيك وهذا كله ياخذ منا السدار الذي على
 مطبخته المعز ابيك وهو الذي يأمرنا بذلك كله وكيف نعمل اذا أخذ
 منا ما محتاج اليه المطبخ والمكان فما تجد غير نقص الميزان فقال بيبرس
 اذا كان هذا قولكم وأن الوزير مصروف مطبخته منكم فأنتم معذورين
 وانا في هذه النوبة أقبل عذرکم وفي آخر النهار فان الوزير يحضر من
 الديوان فاجعوا بمرضكم وادخلوا عليه وقولوا له يادولاتي ان بيبرس دخل
 الحارة وحكم علينا ان نوزن الرطل أربعة عشر اوقيه حكم البلد واطلبوا
 منه حقكم وامنعوا عنه ما كان مرتب عليكم له واما انا سمعتكم هذه

التوبه واما باكر فلم اسامحكم اذا رأيت نقص في الميزان أو زيادة في الاثمان اقتص
 منكم فقالوا سمعا وطاعة فعند ذلك طلب كمال السبعة ابطال لحم وكذلك الخضرى
 كمل منه الباميه ومضى الامير الى حال سبيله (قال الراوى) واما ما كان من امر المسبيين
 فانهم اجتمعوا مع بعضهم وقالوا هيا بنا نتوجه الى حضرة الوزير ابيك ونعلمه بذلك
 لاجل ان نأخذ منه حقوقنا فلما كان آخر النهار دخلوا على المعز ابيك اهل الحاره جميعا
 فلما دخلوا قال لهم ابيك انكم يا اولاد الحاره فقالوا له يا دولاتلى اعلم ان المحتسب
 القديم كان ابن اختك ولا كان يقيد علينا بطريقة اتنا فى حارتك وكان يكرمنا
 لاجل خاطرنا وتبيع ونشترى بخلصنا واما فى هذه الايام صار المحتسب
 يبيرس وأنت يا دولاتلى تعرف احواله وفى هذا النهار دخل علينا فى جارتك
 ومسك علينا البيع فرأى كل يمة تخس الثلث فقال لنا ولاى شئ مذكور
 فقلنا له يا دولاتلى بطريق أن مصروف مطبخك علينا من اللحم الى
 الى الفلفل فشوف يا دولاتلى قدر ايش يتكلف مطبخك يوميا هذا كله علينا
 ونحسن من اين نجيبوا ذلك الا اذا كان من نقص الميزان ومن حقوق
 الناس نسرق منهم ونعطى الى خدامك يا دولاتلى وغير ذلك ولا بيدنا حيله
 وأما اذا اردنا ان نبيع بالحلال ونطيع المحتسب من اين تأكل انت ودارك
 فلما سمع المعز ابيك ذلك الكلام منهم اغتبط غيظا شديدا عليه من مزبد
 لانه ما كان يعلم بذلك ابدا وأن الذى مشولى مصروف مكراره فأنه
 يحاسبه على المصروف مشاهرة فقال لهم يا ناس اناما أخذت منكم شيئا
 فقالوا جميع ما كان يدخل مطبخك فانه من عندنا بالظلم ولا تأخذ عليه
 شيئا ابدا غير اننا ننقصه من حق خلق الله تعالى فعند ذلك صاح فى
 الخزندار والطبايح والكرارحى فحضروا بين يديه فقال لهم من امركم ان تظلموا
 الناس وانتم تحاسبونى على كل ما كان يدخل عندى من السوق وتقبضوه
 من شهره فاقدموا أن يردوا عليه جواب ولا يبدوا له خطاب فعند ذلك

قال للبياعين قد رايت اأخذوا منكم فقالوا طول عمرنا ومن الذى يقدر يحسب
فعمد ذلك طيب خاطر المتسبين وأعطى لكل واحد منهم عشرين درهم فضة
وقال لهم من الآن لا تبيموا الا بالمدل والانصاف واذا جاءكم أحد من طرفي
وطلب منكم شيئاً لا تعطوه الا بشئنه بالحكم الجاري على الناس فقالوا له سمعنا
وطاعة وأمر بضرب الخزندار والكرارجى مع الطبايح وزاد عليهم بالضرب
الوجيع فينا هو يضرب فيهم واذا بالقاضى مقبل عليه وهو يقول استغفر الله
الفقار الحليم الستار على الفقار الذى لا اله الا هو مدبر الفلك الدوار ومدبر
الليل والنهار اللهم لا تجعل لنا نية فاسدة من الذين يلعبون الكورة والمنقلة
ولا تجعلنا من الذين يستفسقون الماء من تحت بيضانهم ولا تجعل لنا اولادا
يلعبون فى قصور بعضهم شغل الجدة شدوا رضى السلام عليك يا وزير ايبك يا وزير
الزمان شفتنا شفاعة يادولاننى على هذا الشأن فقال يا قاضى اسكت هؤلاء المرضى
هتكوفى وخرقوا جرمى انا اعطيهم فلوس كل شهر اكياس هم باخذوا متاعنا طمعا
من الناس فقال له القاضى اعلمنى ما سبب ذلك فعمد ذلك حكى ايبك للقاضى على
القصة من اولها الى آخرها وأطلعه على ظاهر الامور وبواطنها فقال القاضى بئى
أنت يادولاننى من أجل الولد بيبرس تضرب خدامك قال ايبك يا قاضى احنا
قف على رأسك تبقي هتكة فعمد ذلك تبسم القاضى وقال فان هذا الامر الذى
كنت اريده وبسبب ذلك فان بيبرس عمره قد دنا وما بقى كلام فانه مات
والسلام (قال) فلما سمع ايبك من القاضى ذلك الكلام مال اليه وقال له وباي
شئ يموت بيبرس يا قاضى قال له اعلم أن الناس الخدامين مثل الطباخين وغيرهم
فهم محتاجون لمثل ذلك الامر وهم منتظرون الى بعض على حسب الامر
الذى يكون لهم ظهر لا سيما وأنت الوزير ايبك ومثلك من تطمع احبابه
أو اتباعه فمن رأى أن تأمر الناس البياعين أن يكونوا على حالهم فى البيع
والشراء والاخذ والعطاء واذا جاء الولد بيبرس نكون امرنا ثمانين مملوكا

أن ينزلوا في الحارة فإذا جاء يقتلوه اشنع قتله وإذا حصل جواب من الملك
 أو خطاب فانا على برد الملك في رأيه برأى يكون من العوالب ويكون باحسن
 الالفاظ وإذا رأيت الامور تعمست منك نبييان ومنا نصيبات هلك بيرس
 وشرب كأس المات ولا بقي كلام مات بيرس والسلام (قال الرازي) فلما سمع ابيك
 منه ذلك الكلام انطلا عليه واحضر المالك الى بين يديه والى لهم انتم كلكم
 تكونوا حاضرين في الحارة فاذا دخل بيرس وتمال بالسوقيه فاهجمو عليه وقتلوه
 ولا تخافوا منه ولا تبقوه ولا تخافوا عاقبة امركم فانا ظهركم فقالوا له سمعا
 وطاعة وطلعوا من قدامه يحضرون كلما يحتاجون اليه من هذه الساعة فهذا
 ما كان منهم (يا سادة) وأما الامير بيرس فانه لما ترك الحارة بتاع ابيك فصار
 يتفكر ما يعمل ابيك فقال يا عتمان يا اهل ترى ما يعمل ابيك فقال عتمان الحق
 ما على ابيك وانما الحق على القاضي يا أشقر ولكن نظن ان القاضي وايبك
 يقوموا وبحضروا لك في حاربهم مثل ما عملنا فيهم في حارتنا يا جديع لكن
 ليس عنده الا الهياضم وأما اخنا من أولاد الشيخ أنا اطلع ثمانين من عندي
 والثمانين بتوع حرحش يبقى اذا دار البط بيننا وبينهم هما هياضمه ونحن أولاد
 قال ل بيرس اعمل ما تعرف يا عتمان فعند ذلك جمع عتمان الثمانين سايس
 وحرحش وجماعته وقال لهم نفرقوا في حارة ابيك ونحت كل دكان اثنين فاذا
 حضرت انا مع الجندي ورأيتم أحد جاءنا وكان بكل دكان اثنين منكم فيخرجوا
 الاثنين واحد يمسك المملوك والآخر يمسك صاحب الدكان والعلامة بيني
 وبينكم لما أقول طرطش يا جدعان تكونون ماسكين ولا احد منكم ينفلت
 وان قلت وارميش تكونون عندنا جميعا فقالوا سمعا وطاعة وساروا كما امرهم
 به عتمان فمنهم من عمل فاعل ومنهم من عمل زبال ومنهم من عمل فقير ومنهم
 من عمل سائل ومنهم من عمل أديب ومنهم من لبس يهودي ومنهم من
 لبس فلاح ومنهم من لبس فراش وخلاف ذلك وساروا وقد امتلات بهم

الحارة فهذا ما كان منهم (قال الراوي) وإما ما كان من امر الممالك فاتهم
جهزوا احوالهم وساروا الى الدكاكين وكان الواحد منهم اذا اقبل الى دكان
جلس الى جانب صاحبه وقال له سلام عليكم يا بای فيقول له اهلا وسهلا يا اغا
مرحبا فيقول المملوك يا بای هات جدل مدمس كان حط شوية سمن هات واحد
عيش كان هات واحد ليمون فيحط الرجل له فيفطر ثم يقول له يا بای بيع واشتري
ما فيش أحد يكلمك ابدا أنا كفيل والآخر هكذا وبعد ما يأت كلون ويشربون
ينامون على جنب الدكان مثل المبتجين من شهر ومنهم من يأتي الى دكان ويأكل
فطيره اذا كان صاحبه فطاطري ولا زالوا على مثل هذا المرام يا كرام (قال)
وأما ما كان من الامير بيبرس فإنه ركب وهو لا يعلم ما فعل عثمان وسار
قاصدا حارة ابيك وقد مسك في الطريق بياعين كثيرة وكلها ناقصة وكلما سأل
عنها يقولون من حاره ابيك فلما الى الحارة أقبل الى دكان الجزار وقال له يا رجل
أنا نهيتك عن النقص فلاي شيء ترجع اليه ثانيا بعد ما ساهتك المرة الاولى
فقال له انت ما يخصك شيء بحارة الوزير ابيك ابدا لانك لا تحكم علينا ولا
عليها فقال ايش هذا الكلام ومن الذي يخالف التنبيه فقالوا ان الوزير
ابيك ما عليه تنبيه ولا عيشي كلام مثلك عليه فاغتاط الامير وصاح بالرجال
وكان معه الاثنين القداويه فنهضت عند ذلك الممالك الذين لا يبيك فكل
من نهض قبض عليه رجل من تحت دكانه والرجل الثاني يقبض على صاحب
الدكان هذا والامير بيبرس لا يعلم ان كان هؤلاء نبتوا من الارض أو نزلوا
من السماء لانهم مخيرين ملابسهم هذا وقد أرموا الممالك وضربو كل واحد
منهم علفه وبعدهم السوقية وبعد أن قضى الشغل من ذلك قال لهم الامير
بيبرس هذه النوبة الثانية فان فعلتم المرة الثالثة عرفت انا خلاصي معكم فقال
عثمان يا ناس فرغ حكم المحتسب الكبير وبقي حكم المحتسب الصغير فقال
له بيبرس ايش تريد تعمل يا عثمان قال له اريد أصمل لهم مثل ما عملنا في جماعة

مقلد في بيت ابن اباديس السبكي لاجل اذا وقع منهم واحد تبقى تعرفه بعلامته
اذا انتقل من هذه الحارة الى غيرها فقال بيبرس افعل ما ترند وتركه الامير وسار
الى منزله فهذا ما كان من الامير بيبرس (قال الراوي) واما ما كان من عتبان
فانه صاح على عقيرب والجماعة الذين صحبته وقال لهم اصلبوا كل واحد على
دكانه من اذنه والاذن الاخرى علموا فيها السنجه ويكون تعليق السنجه بالدبارة
والمسمار واخزموهم في مناخرهم وعلقو البيع الناقص في خشمهم وادهنوا
وجوههم بالمسحوق حتى ياتي ابيك ويتفرج عليهم وهم على ذلك الحال وينظر ما حل
بأهل حارته فيعتبر ثم اصلب المماليك أيضا بمض الكتاف بالخرقة على باب البوابة
أربعين يمينا وأربعين شمالا واربط سلاحهم بالحرم وعلقه في انوفهم فعند ذلك
تقدموا الى الجميع وفعلوا كلما أشار عليهم عتبان وبعد ان نهى القراغ من ذلك
قال لهم عتبان ان الجدي سار الى القلعة بيسان أوجوطه وبرسل لكم المشاعلى
يرمى رقابكم جميعا وتركهم بعد ذلك عتبان وخرج طالب سيده ولما سار
عتبان وكانوا المسيبين سمعوا كلامه الذي قاله فكبر الخوف في قلوبهم
وجعلوا جميع أولادهم يتباكون عليهم وقد زاد بهم الخوف والحزن
فكان رجل منهم جزار قلبه صحيح فقال لهم يا جماعة اترضوا ان تكونوا
واقفين في هذه الحالة حتى يجيء المشاعلى ويرمى رقبتنا أما انا والله هذا
لا أرضاه ولا أصبر عليه فقالوا له وكيف العمل ونحن مكتفين ومغزومين
فقال لهم ان اذن اليمين معلقه بالسجنة والاحري معلقة بالبحم الناقص
وأما اذن الشمال معلقة بالمسار في درفة الدكان اما ان ينسل المسار رو ما
ان تفسرم اذن ولا أصبر حتى يجيء المشاعلى فيقطع رأسى فقالوا له افعل
فعند ذلك تمطع في أذنه مزقها وطلع يجرى الى بيته وكذلك الخضرى
وتتابع بقية الناس فمنهم من طلعت له امرأته أو بنته ومنهم من
فعل كما فعل الجزار والبعض منهم امتثل لأمر الله تعالى وما زالت داته

الحالة حالهم الى آخر النهار حتى أقبل المعز ايبيك من الديوان فرأى الحارة كما ذكرنا وأهلها كما وصفنا حتى أقبل ولما عين ذلك الحال اشتد غمه وزادت عليه حسرته وعرف أن الحق عنده فذهب الى منزله وأحضر الصدار والعشي وضربهم الصرب الوجيع وطردهم من وقته وساعته وأرسل أحضر الناس السوقية وأمرهم أن يبيعوا بالحلل والحق ويبطلوا الاذى والنقص واذا جاءكم أحد من طرفي فلا تمطوه شيئاً الا مثل غيره من الناس ولو كنتم أنا فأنا لا أكره الحق فقالوا له هذا هو الصواب ونزلوا الى حال سبيلهم وباعوا بالحق والانصاف وشاع العدل في الناس جميعهم وقد دعوا له الفقراء والمساكين ولم يبق أحد يتعرض للظالم وأخذ يبرس الدماء من جميع الاماكن (قال الراوى) ولم يزل الامير على مثل ذلك الى أن هلك شعبان المبارك واندرج وصار باقياً على الصيام ثلاثة أيام وقد جاء يوم الشك الذي يكون بعده فطر أوصيام فيينا هو جالس واذا بعثمان دخل عليه وقال له يا جندي بكره رؤية رمضان وان الرؤية تكون عندك بالخصوص لان الحسبة تحكم على الولاية وهى أشرف منها فقال يبرس كل عام وأنت في خير يا عثمان تصوم وتفطر في خير فقال عثمان أدبني طيب فقال يبرس ايش تريد قال له عثمان يا أشقر أريد أن أجعل الرايات تشيع بين الناس وتكون عادة مستمرة فقال له يبرس افعل يا عثمان ما بدالك فنزل عثمان من وقته وساعته وأرسل الى مشايخ الحرف كل شيخ بحرفته من الحرف التابعة الاحتمالية فانه يحضر أبناء حرفته ويحضر الى بيت احمد بن أباديس السبكي وكل من تأخر يكون جزاءه صلبه على بيته وان كان تفر يتأخر ينضرب خمسينة ويفلق دكانه شهر ويكون حضور المشايخ بأفخر الزينة مع الملابس الفاخرة راكبين على الخيول المسومة وأما أنصار الحرب فانهم يكونوا بالتبديلات المعظمة (قال الراوى) فمستند ذلك اجتمعوا المشايخ وكل واحد به على طائفته وتوجه الى بيت احمد بن

أباديس السبكي فرأوا الاسطى عثمان فقالوا له ايه الخير يا أسطى عثمان قال عثمان
نريد أن نظاهر الدولاتلى بيبرس فافعلوا كما أمركم به فقالوا سمعنا وطاعة وجعلوا
المشايع وأرباب الحرف يحضرون أنفسهم (يا ساه) وأما عثمان فإنه سار الى
الديوان وطلع الى عند الملك وقال له صباح الخير عليك يا معلم صالح عقبال
عندك رايحين نظاهر الاشقر فقال الملك الصالح طيب طهارة مباركة يا شيخ
عثمان فقال عثمان وأنت ماتعطيش يا معلم صالح بحاجة قال يلزمنا النقوط اعطوا
له القرس الشها بتاعى يركبها والدلق بتاعى يلبسه والطلحيه الخوص يحطها
على رأسه وأنت يا عثمان علم بيبرس ركوب الشها ويلبس الدلق والطلحيه
الخوص وأنا كمان أخلي أبو الخير السكياتى يمشي في ركابه لاجل خاطر ك يا عثمان
فقال عثمان خلي بالك يا معلم الصالح أنت عارف فالتفت عثمان الى الاغا شاهين
الافرم وقال له يا بو فرمه وأنت ما فيش عندك حاجه تنقطنها في ظهور الجندى
قال الوزير يبتى يا عثمان هو الامير الى هذا الوقت بغير طهارة قال عثمان أيوه
كان يخاف من الطهارة وهو صغير ولما كبر ما بقاش يخاف من الطهارة فأمر
الاغا شاهين بأربعين مملوكا من الخاص بخيلهم وسلاحهم وملبوسهم وأرسل الى
الامير بيبرس خمسين قفص سكر وعشرة قناطير شمع ابيض كفافوري وأمر
القراشين وكلما يحتاجون من أصناف زينة البيت يكونوا من عند الوزير وأما
السيدة فاطمة شجرة الدر زوجة الملك الصالح فأنها على مثل هذه الحالة فأمرت
بأربعة وعشرون جوادا من خيول الموكب الذي عملتهم من قديم الزمان على
سبيل الجهاد أن يمشوا في ركبة بيبرس وهم بالاتراس المذهبة والسيوف الملوكة
هذا وعثمان أمر القراشين يملقوا القطع الكبار العالية في بيت بيبرس وقد
كانوا أربعائة الذى أهداهم الوزير فتعلقوا في بيت ابن أباديس ورموا القراشين
من بيت ابن أباديس الى القلعة نجف وثرىات بلور وكذلك من القلعة الى بيت
القاضى وأرسل عثمان القهوة والشربات الى قاضى مصر ورتب عثمان السر

والحرية ورجع عثمان من وقته وساعته الى بيت ابن أباديس (قال الراوى)
لهذا الكلام العجيب صلوا على طه الحبيب وأما ما كان من الامير بيبرس فانه
جالس يقظان ليس ناعس وهو متبسم ليس عابس مثلك يا مؤمن يصلي على نبي
أخضر في يده كل يابس وليلة مولده انشق ايوان كسرى وخذت نيران فارس
واذا بطائفة الخبازين داخلين عليه راكبين الخيول العربية وهم في أحسن
ما يكون من الزينة البهية ونزلوا قدام الدولاتي بيبرس وسلموا عليه فقال
بيبرس ايض الخبر يا ناس فقالوا له ياسيدي عقبال الزواج فلما سمع الامير بيبرس
ذلك الكلام تعجب ولم يعلم باطن هذا الكلام وبعد هذا أقبلت طائفة الكحكيه
وهي في أحسن زينة بهية را على الجنائب الاعوجيه وهم فرحانين لهاته القضية
نزلوا قدام الامير وقالوا له العاقبة للزواج في نهار مبارك سعيد فقال لهم سقر
الوالي وسقر الهجان ما تريدون قالوا أتينا لنحضر الفرح الذي للامير وان
شاء الله العاقبة للزواج فالتفتوا الفداويه الى الامير وقالوا له يا دولاتي ان
كل من أتى اليك يقول لك العاقبة للزواج ونحن نعرف هذا لا يكون قبل
الزواج الا الطهور فأنت الى هذا الوقت بنير طهارة فلما سمع الامير بيبرس
ذلك الكلام قال علي بعتان فلما حضر عثمان قال له بيبرس ايه الخبر يا عثمان
قال عثمان هذه حسبه جديده ورؤيه جديده وفرح جديد فقال بيبرس وأنت
ايض فعلت قال عثمان ما فعلت شيئا أبداً وانما أنت قوم اطلع الى القلعه والذي
يأمر بك به أبو جوطه اصممه فنهض الامير بيبرس وسار الى القلعه واذا هو
بالشيخ أبو الخيرات مقبل فأعطاه الطليحيه الخوص والدلق وقال له ان الملك
يأمر بك أن تلبسها فقال بيبرس سمعا وألف طاعه ثم لبسها ودخل على السلطان
فقال له انزل يا ولدي العاقبة للزواج فاستحى الامير أن يرد عليه الجواب
ثم التفت الى عثمان وقال ما هذا يا عثمان قال عثمان أبو جوطه يبارك لك انزل
ولا تاخذ على بالك من كلامه فنزل بيبرس الى باب القلعه واذا بالشهيه تقدمت

اليه والماليك الذين من عند الوزير واقفين بين يديه فركب وهو متمجب غابة
 المعجب وسار بالشبه وهي تقول الله وعثمان يقول الله وأبو الخير يذكر ويقول
 الله وقد ترتب الموكب وذكرت فيه الصلوات على طه سيد السادات وكل هذا
 بعمره عثمان هذا وقد اتفق القاضي وأبيك أنهم يفسدون الزفه ويحسرونها
 فأرسلوا أربعة من الجاوي يشيه بمقل كبار خضر وقد كانوا هؤلاء هم السلاح لها
 وقد زينوها (قال الراوي) ولم يزالوا كذلك الى ان وصلوا الى بيت القاضي
 ونزل بيبرس هناك وجلس الى جانب القاضي وعندما استقر بهم المجلس حضروا
 لهم رجلين يشتكون بعضهم فقال القاضي ما الخبر قال أحدهم يا مولانا اعلم أن
 هذا الرجل عليه عشرة دنائير وقد أوعدني أنه إذا هلك الهلال الجديد يعطيني
 اياهم والهلال قد هلك تلك الليلة ومضى شعبان وهل رمضان فقال له القاضي
 ما تعطى له حقه حيث أن الألهة فرغت فقال له ان المدة باقية فيها غدا فان كان
 يريد بينة بأنهم رأوا الهلال يكون ذلك صدقا وان لم يروا الهلال فتكون المدة
 باقية فعند ذلك أمر القاضي الرجل أن يأتيه بالبينه فشهدوا أربعة بأنهم رأوا الهلال
 وشهدوا بذلك قال بيبرس حيث ان الليلة صارت من رمضان وقد ثبت علينا الصيام
 فهذه أيام فضيلة أطلق سبيل هذا الرجل بمضى الى سبيله وأنا أدفع العشرة
 دنائير فمئذ ذلك أطلقه الى حال سبيله ودفع الأمير الى الرجل العشرة
 دنائير وقال له خذها ومر فأخذها وسار فأخذها منه عثمان وأعطاها الى
 القاضي وقال له خذهم وقد صارت لك عادة ولك في كل عام مثل ذلك
 وكانوا هؤلاء الاثنين سياس من رجال عثمان وهو الذي علمهم ذلك
 ثم ان عثمان نادى الى رسول من طرف القاضي بالصيام وركب الأمير
 وسار وركبت طوائف أميين الاحتساب وهم ينادون صيام صيام حكم من
 شيخ الاسلام وأن غدا من شهر رمضان وصارت عادة الى وقتنا هذا

وصارت الناس يرتبون أمورهم وقد أوفدوا الوفودات وجعلوا الناس يهنون
 بعضهم بعضا بأقبال الصيام وصار الشهر من تلك الليلة وكل انسان من المشايخ
 جعل يسير الى حارته لاجل ان يبشرهم أن غدا يكون من شهر رمضان وقد
 تمادى السير بالامير بيبرس ولم يزل سائر الى ان أقبل الى حارة الروم وكان
 القاضي مقيم هناك منتظر قدوم بيبرس ليدير عليه المكاييد والحيل ولم يعلم
 بان الله حافظه من كل سوء ولما رآه نهض قائما على الاقدام واستقبله وتبسم في
 وجهه وقال له ياسيدي شهر مبارك على العباد بقدمك فشكره الامير بيبرس
 وترجل له من علي الشبهة اكراما لقيامه فقال له يادولاي خذ بخاطري واشرب
 عندي كأس شر بات ثم انه صاح على غلامه فأني اليه بكأس عظيم فناوله للامير
 فشربه ورد الكأس ففرح القاضي بذلك لعله ان الكأس مزوج بالسم الخارق
 وأما بيبرس لا يعلم شيء من ذلك كله لانه سليم القلب وركب الامير بيبرس
 قاصدا منزله فبقى القاضي يتمعجب ان بيبرس لم يهلك وقال لغلامه يا منصور
 اتبع أثره وانظر في أي محل يقع وارجع اعضني فقال سمعا وطاعة ثم انه اتبعه
 الى ان بعد عن محل القاضي وقرب بيته والغلام ينظر اليه أين يقع فما وقع
 ونظر الى وجهه واذا به زائد الاحمرار فرجع واعلم القاضي انه وصل الى
 محله سالما فبقى القاضي متمجبا من ذلك (قاو الراوى) وكان السبب في عدم
 تأثير السم في بدن الامير بيبرس وهو كما قدمنا ان الذي بجانب الامير أبو
 الخير الكلباتي سايس الملك الصالح ولما رأى ذلك تمعجب وقال في نفسه اذا
 جرى على هذا الولد شيء يصعب على عتمان ابن الحبله ويقول أنا لو كنت مع
 سيدى لم يصبه شيء ولما سامة أبو الخير واحدة فاقدر على حمايته وثانيا يقب
 على الملك الصالح ويقول لي أنا ما أرسلتك معه الا لتخفظه من عدوه ثم انه
 لاح السم وازعه من الكاس سر خفي لا يعلمه الا اصحاب الاسرار لان
 الله له في خلقه اسرار لا يعلمها الا هو ونجى الامير بيبرس ولم تحصل له الا

السلامة وتبعه غلام القاضي ونظره وهو ماشى كأنه ماشى كاس الشقاو عا دالى
 سيده واخبره وكان فرحان يظن ان بيرس قد شرب كاس منيته ولما قبل مير تقش عليه
 فوجده يضحك فقال له ايش الخبر يا ابن سيف الروم فقال له وحق المسيح لا اخبرك
 عن الذى جرى حتى انك تعدلى قفاك واسمعك هذه البشارة الذى عمرك لم نجد بشارة
 مثلها فمئذ ذلك مدله جوان قفاه فمكن له عنقيه وقال له يالمون اذا مات بيرس من
 الذى يقطعك في آخر الزمان يبقى علشان خاطر ك ينخرم كتاب اليونان اما
 قرأت انت في الكتاب ونظرت الى هذه الاسباب أن بيرس يطرح عليك
 واحد من الاعراب اسمه شيخه وأنت عارفه لم يحضر فسوف يقطعك في
 الرمله ويتفرجون للناس عليك في يوم معظم وأنت تظن ان كتاب اليونان
 قد انخرم والله ما انخرم الا عقلك فقال جوان بس يارتقش اخبرني ان
 الكاس الذي انت اعطيته الى بيرس وانا الذي واضع السم فيه فكيف
 انه ما حس به ولا اثر فيه فقال له البر تقش فكيف يؤثر السم فيه والى جانبه
 مثل هذا البطل العظيم ابو الخير الكلباني وهو الذي متولى حفظه في هذه
 الليله وهو قطب عصره ونتيجة دهره اما تنظر الى شبهة الملك الصالح
 وهي تذكر الله تعالى وتقدس فقال له الملعون دعى من هذا الكلام سوف
 ادبر أعظم من ذلك يا منصور ولا بد ان اخرب بعقل كتاب اليونان فهذا
 ما كان من هؤلاء (قال الراوى) واما ما كان من الامير بيرس
 فإنه سار الى منزله وهو بيت ابن اباديس السبكي وعادت الطوائف الى
 أماكنها وانتهى الموكب وصامت المؤمنين اول يوم في شهر رمضان وكان
 الامير بيرس طالعا من البيت يصل الوقت واذا بثنين اشراف داخلين
 عليه فلما رأوه تقدموا اليه وسلموا عليه ففتح يده منهم وقال لهم الامير من
 تكونوا اتم ومن اين اقبلتم فقال له واحد منهم اعلم يادولاني اننا من ارض
 الشام وما اتينا لهذا المكان الا بعرفتك ومعنا كتابا من عند امك السيد

فاطمة بنت الاقواسي وأنا اسمي السيد حسن وهذا اخي السيد محمد ومعه
أيضا من عند امك كتابا ثم اخرج كل واحد منهم كتابا وسلمه الى الامير
بيبرس فأخذ الكتابين وقرأهم واذاهم من عند السيدة فاطمة الاقواسيه
الي بين ايدي ولدي الامير بيبرس من بعد ما يلبق من اهداء جزيل السلام
انه قادمين لك من طرفي اثنين وهم من اعيان اهل الشام ولهم عندنا
معرفة قوية زائدة وهم قارئين ومن اهل الصلاح والمعة وانهم قاصدين
الحج الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه الصلاة والسلام فاذا وصلوا الي حضرتك
بالسلامة فأكرمهم غاية الاكرام ووضي عليهم أمير الحج الذي يسافر في هذا
العام وتكون وصية تمام وهما من عرضي الى عرضك والسلام ختام وأنت
يا ولدي فنحن مشتاقين اليك فلا تقطع مراسلتك الينا أيديك الله بالسعادة والبقا
والدوام من عند أمك فاطمة بنت الاقواسي فلما قرأ ما في الكتاب من الكلام
فرح بهم وأكرمهم غاية الاكرام وأفرد لهم مكان فيه كلما يحتاجون اليه وقال
لهم اننا نريد امام يصلي بنا في هذا الشهر وهو شهر رمضان المعظم فقال السيد
محمد أنا أكون امامك فقال له أنت تحفظ القرآن قال نعم أحفظه ففرح بهم
وزاد في اكرامهم فبينما هو كذلك واذا بعثمان دخل عليهم ونظر الى هاتين
الاثنين فقال عثمان الى سيده ما سبب هؤلاء الذين عندك فقال له بيبرس
هؤلاء اشرف من أرض الشام وان لهم معرفة بوالدتي السيدة فاطمة الاقواسيه
وجابوا الي من عندها كتاب توصيني عليهم لانهم قاصدين الحج الي بيت الله
الحرام قال عثمان حرام ايه من ابن يعرفون الحرام هؤلاء منقرشين من الحارة
الضيقة معرفة القاضي فقال بيبرس اسبكت يا عثمان لا تتكلم في حق الاشرف
فان هؤلاء أقل ما يكون فيهم يقرءون القرآن قال له عثمان انا ابليس ما كان
يقرأ القرآن حتى كان عرف العلم وتمبد فان كنت تطاوعني لا تصلي معهم
ولا يكون لك فيهم امام فقال له وقد صاح فيه اسكت يا رجل فقال عثمان

بمخاطرك صل زي ما يعجبك وانا اصلي مع عقيرب وتركه وسار الى الاسطبل
 وصار الامير يصل معهم الى ان اتقضى شهر رمضان وأقبل العيد رعيديوا
 الناس. وقد آن أوان الحج فاقبل الامير بيبرس على السيد محمد وقال له يا مولاي
 قد قربت أيام الحج فتحضر فقال له يا ولدي جزاك الله عنا كل خير واني يا ولدي
 رأيت في تقسى داخل على ضعف في بدنى وتكاسل واني ليس لي مقدرة على
 السفر فاذا كان ولا بد أقيم هنا من غير سفر لاني من حين هل شهر العيد
 ما سكني في بدنى مرضا شديداً وكل بدنى مادام يزيد ولكن الحمد لله على
 كل ما يريد فان كان العمر فرغ أطلب من الله التواصلي وان كان في العمر مدة
 يكون السفر في العالم القابل فاني لست أقدر أطلع الى الحجاز في مثل هذه
 الايام فلما سمع منه الامير بيبرس ذلك الكلام فرح وزاد في اكرامه هذا
 وقد طلعت الكسوة وآن الآوان وبرز المحمل وسار طالب الافطار الحجازية
 فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي) ولما توجه الحج أقبل السيد محمد على
 الامير بيبرس وقال له يا ولدي مرادى ان أصر لى دكان في أرض المحروسة أبيع
 فيه واشترى بشرطان يكون على طريق الحسين رضى الله عنه لان شغلى شربجي
 واذا كان دكاني في ذلك المكان لا بد لى من التماس البركات والكرامات
 وكل من زار الكرام لا بد يشرب من الشرابات فقال له بيبرس سمعا وطاعة
 ثم اخرج له كيساً من المال وامره في ساعة الحال بحضور واحد مهندس من
 ومعمار جي الديوان وقال لهم تسيروا مع الى خط الحسين وانظروا أي محل
 يريد ان كان في أي ملك اشتروه له بما يريد مالكة ودرغبوا صاحبه في
 البيع حتى ترضوه وابسوا له دكان على ما يعجبه فقالوا له سمعاً وطاعة ثم
 نزلوا معه وساروا حتى وصلوا الى العقادين فوجدوا قطعة خراب فاشتروها
 من اصحابها ودخل وقرج عليها فاعجبته ودفع ثمنها وبعد ذلك أمر بحفر
 الارض وعمل مطابق تحتاني فقال له المهندس لاي شيء هذا الطابق فقال

لأجل ان اخزن فيه الزبيب والتين من العام الى العام فبنوا الطابق ثم بنوا
 زاوية ودكان بالحجر الصوان وبعد تمام ذلك سار السيد محمد الى الامير بيبرس
 وقال له اني أريد أن تنبه على الوالي اراآنى فى ذلكى نصف الليل أو ربمه أو
 ثلته أو اخره أو أوله فلا يكون له عندى سؤال لاني أريد أن أقيم ليلا ونهارا
 فى هذا المكان لأجل ان يعرفونى الزوار وابلغ كما أحب وأختار فقال له
 بيبرس سمعا وطاعة وامر له بالوصية الكاملة وأما السيد محمد الشرابجى فانه
 احضر أخيه السيد حسن وجعله معه فى الدكان مثل الغلام وصاروا فى قلب
 الدكان واذا مر عليهم أحد بالليل من زوار أهل البيت وكان قصدهم زيارة
 الكرام وكانوا مقبلين من ليالى أو من أى مكان فيجدوا الدكان مفتوحا
 فيقعدون لأجل الراحة ويطلبون منه الشرابات فيقول لغلामه هات من القمقم
 الفوقانى فاذا شربوا من ذلك الشرابات اخذهم البنج الخارق فيجرحم وينزلهم
 فى قلب ذلك الطابق وقد دام على ذلك الجلال مدة ايام وليالى حتى شاع الخبر
 فى أرض مصر الخبر وأخذوا غالب أولاد الناس ولا أحد يعلم بذلك وتكلمت
 للناس فى حق الملك الصالح (ياساده) ولا بقى فى مصر حارة الا وغاب منها
 النفر والاثنين والثلاثة والاربعة وكثر الكلام من أولاد البلد يوم من بعض
 الايام أقبل السيد حسن الى تقيب الاشراف وهو يريد زيارة الحسن وكان
 الوقت وقت الغروب وكان معه غلامه ولما أقبلوا الى الدكان فوجدوه جديداً
 ووجدوا تلك الزاوية والشرابات فطمعوا اليه وقالوا له هات الشرابات يا
 هاشم فقال لهم سمعا وطاعة والى طاعه ثم انه اجلسهم على الكراسى من
 داخل الدكان وقال لغلामه هات الشرابات ورش عليها من القمقم الفوقانى
 فأتى لهم ولما شربوا ثقلت رؤوسهم فانقلبوا فانزلهم الطابق وغلق عليهم الباب
 فعند ذلك شاع الخبر وفشا بأن تقيب الاشراف ابنه قد ضاع ولا روح
 فلما سمع ابيه ذلك الخبر قال لكيف الحال ثم انه ذهب وجمع جميع

الاشراف وأمرهم بالركوب وركب أمامهم وتوجه بهم الى الديوان يريد أن
يعلم السلطان بفقد ولده وما ناله من هذا الامر والشان (قال الراوى) وان الملك
جلس يقظان ليس ناعس ضاحك ليس مابس مثلك يامؤمن يصلى على نبي اخضر
فى كف كل غصن يابس وليلة مولده شق ايوان كسرى وخمدت نار فارس واذا بنقيب
الاشراف مقبل وصحبته جميع الاشراف قال الملك يا شاهين الحمد لله الذى سخر
لنا من بحرك النار حتى تصير رماد لا جل أن يأخذ كل ذى حق حقه قال أهلا وسهلا
بسلاة سيد الانبياء وسلاة عبد مناف السادات الاشراف الذين طالعون يطلبون
طيرهم ونعمام رحمتهم علي غيرهم يا هل ترى ما سبب قدومهم (ياساده) فقال
نقيب الاشراف يامولاي ان البلد بقت ضايعة وعدمت أولادنا فهذا ياملك حرام
عليك قال الملك وأنا مالى بالحرام قال نقيب الاشراف لانك مسرح السهاوي يأخذ
اولاد الناس قال السلطان وأنا لاي شئ اسرح السهاوي على غير قائدة فقال
نقيب الاشراف اذا كنت أنت ماسرحت سهاوي هل ترى فى أي جهة
راحت اولاد الناس فقال الملك وعزة الربوبية وتربة حبيب النجار لا انا
مسرح سهاوي ولا أرضى بهذه الاخبار فقال نقيب الاشراف يامولانا هل
ترى أولاد الناس فى أي محل راحوا صعدوا الى السماء أو هبطت بهم الارض
فقال السلطان لا بد لهم من خبر كيف رأى فى هذه الامور يا وزير
شاهين فقال الوزير ياملك لا بد أن تنزلوا من يكشف الخبر ويزيل هذه
الغمة عن خلق الله تعالى فقال القاضي اما انتم ما عرفتم هاته الكابينة ولا
عرفت من الملزوم بها فان هذه لا تلزم الا الوالى وان الولاية من تحت أمر الامير
بيبرس يا أمير المؤمنين فقال الملك الصالح نعم هي بسببه لكنها نافعة منك
يا قاضي هات يا شاهين هاته يا أخى خيلني أشوف يجري ايه والله اعلم بالسراير
فمنذ ذلك أرسل شاهين رسول الى بيبرس وقبل يده وقال أحب أمير المؤمنين
فقال الامير ممعا وطاعة وركب فى الحال وسار الى الديوان ولما تمثل بين

أيادي السلطان خدم وترجم وافصح ما به ترجم ودعى للسلطان بدوام العز والنعم
 وازلة البؤس النقم فقال السلطان يا أمير بيبرس انت باسيدي ولايه مصر تحت
 يدك وهذه الغمة التي صارت على مصر كما ترى من اعداء اولاد الناس حتي قالوا
 الناس على انا مسرح ساوي وهذه آخر العبارة فلا بد انك تنزل حالا لتزيل هذه
 الغمة عن خلق الله تعالى وتقبض لي على هذا الغريم والنصر من عند الله العزيز
 الحكيم فقال بيبرس سمعا وطاعة ونزل في تلك الساعة ولما خرج من باب
 الديوان قال له عثمان خير خير يا جدد فقال له بيبرس يا عثمان ان البلد واقع
 فيها ساقط على اولاد الناس ووقع الجور والاسراف وعدم اولاد الناس وصار
 اتلاف وبالجملة فقد ابن قتيب الاشراف وان مولانا السلطان الزمى بالغريم
 يا عثمان وابن الغريم وابن ذهبوا اولاد البلد في أي مكان فقال له عثمان اسأل
 السيد محمد والسيد حسن الذين يقرؤن لك القرآن ويصلوا بك في شهر رمضان
 الذين انت جعلتهم لك أئمة وهم سبب هذه الغمة فلما سمع بيبرس منه
 هذا الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال يا عثمان أما تستحي ان تتكلم
 في حق الاشراف قال عثمان اشراف ايه انزل شق البلد وحدك ولا لك
 دعوة بي لأنك غضبان وأنا اقعد عند الجدعان فتركه بيبرس وصبر الى الليل
 ثم اخفى نزل ومعه الاسقار وقال لهم تسيروا انتم من طريق وانا من طريق
 ويكون الملتقى بيننا في دكان السيد محمد الشرججي فقالوا له سمعا وطاعة ثم
 ساروا كما امرهم وجعلوا يطوفون في البلد وكذلك بيبرس فانه مازال
 يطوف البلد والشوارع وهو يتجسس على الغريم فلم يجد الى ذلك أثر ولا
 زال كذلك حتى وصل الى دكان السيد محمد الشرججي وقد كان وصوله
 نصف الليل بوجد السيد محمد جالس من وراء الدرفة وقدامة شمعة مكوفة
 موقودة وهو يتلو في كتاب الله تعالى ويتضرع الى الله سبحانه وتعالى
 ويطلب في النصر والآمال وعلو الدرجة الى الامير بيبرس فلما اقتبل

عليه الامير بيبرس فرد عليه السلام وجلس الامير فقال له يا سيدي هذه شقة عظيمة وغريبة لكن من سعادتنا التي قدمت علينا في هذه الليلة المباركة فقال له الامير يا سيدي محمد ان البلد وقع فيها الساقط وان السلطان الزمني في هذا النهار أن اقتش على الغريم وأسعي في كشف هذه الفمعة وهاانا انزلت في هذه الليلة لعل الله سبحانه وتعالى ييسر لنا كل امر عسير فهل مرت عليك الاثني عشر سنة ام لا فقال لا يا سيدي ولكني أسأل الله العظيم رب موسى وابراهيم أن يظفرك سريعاً بهذا الغريم فقال بيبرس آمين وبعد ذلك قام السيد محمد سريعاً وأحضر كأس شربات وقال يا سيدي تفضل وناوله الكاس فأخذه الامير وشربه فانقلب حالاً عقيب البنج فانزله الى الطابق وكان الملعون قصده ان يقتله ويأخذ دماغه ويمضى من حثت آتى ولكن لاجل سلامة الامير لان الله سبحانه وتعالى لم يريد به سوء وكان الملعون طامعاً في سقر اللوالى وسقر الهيجان ليكونوا معه فانزله في الطابق وخرج بعد ذلك وجلس في مكانه واذا بالاثني مقبلين الى الدكان وهم سقر اللوالى واخيه سقر الهيجان فسلموا على السيد محمد وقالوا له هل مر عليك الامير بيبرس قال نعم آتى الى عندي وسأل عنكم وسار يشق البلد وقال لى ان جاءوا اخواني اليك خليفهم ينتظرون في عندك حتى أعود سريعاً فلما سمعوا ذلك الكلام ظنوه أنه حق وطمعوا الاثني الى الدكان فاحضر لكل واحد منهما كأس شربات فشربوا فبنجوا وانزلهم الى الطابق بعد أن شد كشافاً وأعطاهم ضد البنج فبقا بيبرس فوجد نفسه مكتفياً في الطابق والاستقرار بجنبه على رأى من قال

داري أساك وأظهر ياقى لطفك ونزه النفس واخلى الهم عن كفك
لو كنت تملك خاتم الملك في كفك يجري القصار غم عن ألقى وعن أهلك
(قال الراوى) فقال بيبرس الامان الامان من تقلبات الزمان أنا فى
أى مكان فقال السيد محمد انت عندى يا شنتار وزكه وطلع من الطابق

وخلق عليه الباب فعند ذلك سمعوا الاسفار حس الاسير يبهرس وكانوا
لما نزلوا كان بيد الملعون شعة ولما طلع بالشمعة بقى المحل ظلام فقالوا
له يا دولاتلى أي شيء اوقمك هنا فقال لهم وأي شيء اوقمكم مثلي فقال
سقر اللوالى يا دولاتلى والاسم الاعظم لولا رأينا هذا المعرض مقيم عندك
وأنت عامله أعز الناس عليك ما كنا وقعنا في يده ولا كان يقدر أن يقبض
علينا يا دولاتلى هذا قضاء والقائل يقول في بعض الاقوال هذه الايات الحسان

يسلم الجاهل من لفظه يحى فيها العالم الماهر
ويسلم الاطمس من حفرة يقع فيها البصير الناظر
ما حيلة المرء في نفسه هذا الذى قدره القادر

(قال الراوى) ياسادة يا كرام صلوا على بدر التمام ويمد ذلك صاروا
يلومون انفسهم كيف تمت عليهم هذه الجيلة وقبض عليهم ذلك الملعون وتارة
يتحدثون مع اولاد البلد الذين مقبوض عليهم في ذلك المكان وهم ينتظرون
أبواب الفرج من المولى الكريم المنان يقع لهم كلام اذا اتصلنا اليه نحكى
عليه والعاشق فى جمال النى يصلى عليه (ياسادة) وأما عثمان ابن الجبلة
فانه بات وأصبح فلم يجد لسيدة خبر فسحب النبوت وصار الى الديوان
مراده ان يحكى للسلطان هذا ما كان منه (قال الراوى) واما
ما كان من الملك الصالح فانه بات واصبح وظهر وجلس على التخت وأخذوا
الصاكر بين يديه فن عادته الجاوس جالس ومن عادته الوقوف وقف
وقرئى الفاريء وختم ودعي الداعي وختم ورعى الرائق وختم آمنت الصاكر
هرب وترك وعينم وزعق شاذيش الديوان وهو لا يشاف الموت ولا يرهب
الثوب والشد

الدهر يدور بالناس كما لولب دائر والبحر يغور وماؤه يعبح عابر
والعمر غرور يا من اقام تسافر الله غيور والملك لله القاهر

(قال) فعند ذلك قال الملك آمنا بالله وسلمنا امرنا الى الله واعتصمنا بحبل
الله المتين ثم التفت السلطان الى الوزير وقال يا حاج شاهين جزاؤهم على الله
ولكن يا جدد سوف يظهر ما كان مغطى وقد قرب الاوان ولكنى بس معنى
وانا مالى بظلمونى الناس ويتهمونى وانا فى حال غفلان معنى انا كنت معكم
لما بنيتم وهندستم كمان فيبنا السلطان كذلك وعثمان طالع يقول يا ليل قال
الملك لا ليل ولا نهار روح يا عثمان قال عثمان انا اروح وانت تقعد قوم هات
لى جنديا قال الملك هو جنديك مسمى يا رجل ها انت يا عثمان ان تعديت على بقى
ظالم يا عثمان قال عثمان انا لا اسيبك ومد يده ومسك اكمام السلطان وبكى وقال
يا ابو جوطه اطلع السما هاته والا انزل الارض هاته قال الملك حوش يا عثمان
يا شاهين انت رجل بطش وعثمان ظالم ولا احد يقدر يتعرض له سبحانه من يعلم
ما الناس عليه فقال الوزير يا عثمان اخبرنى ما الخبر قال عثمان الجندي مثل الدخان
طلع ولم يرجع وكان نزوله بالليل ولا أحد يعرف يجيبه الا أبو جوطه واذا ماجاه
به انبطه بالنبوت اخليه ما يلحق بقول قول قال له الملك انا احببه لك ولكن
تروح امامي فقال له عثمان انا اخاف ان اروح امامك نهرب قال له الملك الصالح
لا اهرب يا عثمان فقال الوزير سيب الملك يا عثمان وهو يجيبه وان سييته
وهرب فالضمانه على قال عثمان تضمن ضمان غريم بالسدالة قال الوزير على ضمان
غريم فقال له الملك سيبنى وانزل شق البلد ورعى جنديك وان الساعة
اربعة من الليل يكون الملتقى بينى وبينك في الدكان المعلوم التى تعرفها انت
وانا يا عثمان قال عثمان انت عرفت يا معلم صالح فان كنت عرفت الدكان بقيت
جدد من الجددان قال الملك طيب يا عثمان (قال الراوى) فعند
ذلك نزل عثمان وصبر الى بعد العشاء وأخذ نفسه واشهر وسار الى
أن أقبل ذلك الدكان ولما أقبل عثمان قال فى أمان الله يا جددان هاتوا
لى كاس شربات تكون مليحة وخلطوا عليها من القمصم الفوقانى مرادى

اشرب يا جدد واستنى ابو جوطه أحسن من لقاء وحدي فقام الملعون وملا
الكأس وأعطاه الى عثمان فقال عثمان ولا بد أشربه محبه في الجندي ثم شربه
فتزحزح وانقلب فكتفوه وانزلوه في الطابق فبينما يبهرس جالس وعثمان نازل
اليه قال له من جاء بك يا عثمان قال عثمان أنا أقول لك انه منقرش يا جدد
ولا تصدقني لكن خذ لك منهم واحد واذا ابو جوطه يسلم عليك وأنا
أقول لك ما نصلي معهم وانت تقول لي استحي من هذا الكلام في حق
الاشراف وأنت لم تسمع كلامي وقد نسبت وصاية أم البيت والا ما كنت
تقدر تخالفني فهذا ما كان من هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من أمر الملك الصالح أيوب فانه بعد ما صلا صلاة
المساء وقرأ أوراده التي عليه قام على حيله وأمر الاغا جوهر الصالح أن يحضر
له الشبهة فلما حضرت وركب وكان معه اثني عشر كردي من الابطال المعروفة
أولهم عز الدين وآخرهم صلاح الدين ولا زال سائر على ظهر الشبهة حتى وصل
الى دكان الشريجي وقال له يا عم أنت الذي أخذت الجماعة هل عندك تسقيني
أنا الآخر فاني عطشان فقام الشريجي قائم على قدميه وأحضر كأس وملاه
شربات ووضع في قلبه قطعة من السم الخارق وتقدم به وفي عزمه يسقى
السلطان وقال في نفسه ان مات هذا ارتاحت الصاري منه ولما تقدم أمام
السلطان قال الملك الصالح يبقى ابوا الخير السائس يبطل الذي كان في الكأس
دكها وأنا اشرب الكأس ده ثم صاح السلطان الله يا دايم واذا بالملعون اختلج
وحار في أمره ووقع منه الكأس فانكسروا نهرق الذي كان فيه فقال السلطان
هات يا عم واذا بالملعون تسم أمام السلطان ولم يقدر يتحرك فرفع السلطان
رأسه وقال تعالي يا حسن وأشار بيده على الذي في الدكان فتقدم الى ركاب
السلطان وقبله وقال يا ملك الاسلام أنا أقول على يدك لاله الا الله محمد رسول
الله صلي الله عليه وسلم فقال له الملك هو أنت كبرت نصراني وأنت لابس عمامة خضراء

وَأَنَّ النَّصْرَانِيَّةَ عَمَّا نَحْمُهمُ سَوْدٌ فَقَالَ لَهُ لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقِيَمَتِهِ أَحَبُّهُمُ نَاسٌ عَلَى
 هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا وَإِنَّ هَذَا الْمَلْعُونُ اسْمُهُ سَاجِرُ الْبُخَارَةِ وَهُوَ
 مِنْ بَحَايِرِ إِيْرَهُ وَهُوَ أَخِي زَغْوِيرِ الَّذِي كَانَ سَرَقَ مَالَ حَانَ السَّبِيلِ فَكَانَ غَلَامَهُ
 صَابُورٌ وَاقِفٌ وَنَظَرَ لِقَتْلَتِهِ فَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى بَحَايِرِ إِيْرَهُ وَخَبَرَ سَاجِرَ هَذَا
 وَأَخُوهُ شَرِيحَهُ الْآرْمَنِي فَسَارُوا إِلَى طَامِلٍ مَلْتَهُمْ جَوَانٌ فِي مِصْرٍ وَأَعْلَمُوهُ
 بِمَحْضُورِهِمْ فَكَتَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كِتَابًا عَنْ لِسَانِ السَّيِّدَةِ فَالْمَلِكَةُ بَنَتْ لِقَوَاسِي
 بِالْوَصِيَّةِ عَلَيْهِمْ وَعَمِلُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْ أَشْرَافِ الشَّامِ وَإِنْ مَرَادُهُمُ الْحُجَّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ
 الْحَرَامِ وَلَمَّا جَاءَتْ أَيَّامُ الْحُجَّ وَمَا وَجَدُوا فُرْصَةً مِنْ عَتَمَانَ بْنِ الْحُبَلَةِ فَطَلَبُوا
 مِنَ الْإِمِيرِ بِيْرَسَ هَذَا الدَّكَانَ فَفَتَحَهَا لَهُمْ بِنَاهَا كَمَا تَرَى وَيَقَى عَلَى هَذِهِ الْمَدَّةِ
 وَهُوَ يَقْبِضُ عَلَى أَوْلَادِ الْبَلَدِ حَتَّى يَقْبِضَ خَمْسَةَ وَخَمْسِينَ وَبِمَدِّ ذَلِكَ قَبْضٌ عَلَى
 الدُّوْلَاتِنِ كَمَا لَ السَّنَةِ وَخَمْسِينَ وَكَانَ مَرَادُهُ أَنْ تَكُونَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ تَمَامُ
 السِّتِينَ فَيَقْتُلُكُمْ أَجْمَعِينَ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ هَذَا الْكَلَامَ مِنَ الْإِمَامِ قَالَ
 أَنْزِلْ يَا عَزَّ الدِّينَ مَلْعُونُهُ مِنَ الطَّابِقِ خَلَى الْوَلَدُ يَخْدُمُ وَيَأْتِي عَلَى عَيْشِهِ عَلَى كَيْفِ عَاقِبَةٍ
 وَخَلَى الَّذِي يَكْرَهُمْ تَكْمِلُ كِرَاهَتَهُ وَيَطْلُقُ هُوَ وَرَفِيقُهُ فَعِنْدَ ذَلِكَ نُزِلَ عَزَّ الدِّينَ
 وَقَالَ اللَّهُ يَا دَابِمُ وَمَشَى إِلَى الدَّكَانِ فَرَأَى بَابَ الطَّابِقِ وَتَقَدَّمَ فَفَتَحَ الْبَابَ وَنَزَلَ
 الْفَلَامَ إِلَى الْإِمِيرِ بِيْرَسَ وَقَبْلَ يَدِهِ وَأَعَادَ إِسْلَامَهُ عَلَى يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ يَا دُولَاتِنِ
 بِحَقِّ مَقَامِ السَّيِّدَةِ تَقَوُّنِي قَالَ عَتَمَانُ يَفُوتُكَ أَزَايَ يَا جَدِّعُ وَأَنْتَ بِكَرِهِ تَقْعُدُ
 وَتَقُولُ دَسْتَهُمْ وَمِنْهُمْ هُوَ ابْنُ زَنَى سَلْ مَلِّ وَأَنْتَ مَلْقُوطٌ مِنَ الْحَارَةِ لَكِنْ
 الْإِنْفَافُ نَافِذٌ يَا جَدِّعُ فَعِنْدَ ذَلِكَ حَلَمَهُمْ شَعْنَتَرِي وَأَوْقَعَهُمْ أَمَامَ السُّلْطَانِ يَا أَيْ
 بِيْرَسَ هَذَا الْوَلَدُ خَذَهُ عِنْدَكَ لَكِنْ مَعِي حَسَنٌ قَالَ بِيْرَسَ حَسَنٌ عَلَى
 خَيْرَةٍ اللَّهُ قَالَ الْمَلِكُ أَعْطَى لَهُ مَالًا يَشِيْلُهُ لِأَنَّهُ جَائِعٌ وَهُوَ مِنَ الْكَلَابِ
 الْجَارِحَةِ فَقَالَ بِيْرَسَ أَوْلَيْتَهُ خَزَنَدَارٌ قَالَ الْمَلِكُ الصَّالِحُ مَبَارَكُ
 عَلَيْكَ وَبِمَدِّهِ تَقْدَمُ عَتَمَانُ وَقَالَ لَهُ كَثَرُ اللَّهُ خَيْرَكَ يَا أَبُو قُوطَةَ فَقَالَ الْمَلِكُ

وانت كنت فين يا عثمان انت ما انت عارف قال عثمان يا معلم صالح بس نزلت على شان خاطر الجندي قال الملك خذوا بعضكم وروحوا وانت يا حسن مالك دعوه ولا شفنا ولا رأينا كن من كاتمين الاسرار لا تكن من الكاشفين فانا كلنا شافين والقضاء لا بد من اتقاه مضمون كلام السلطان يقول لحسن لا تفضح الملعون جوان ويعد ذلك تقدم صقر اللوالى وصقر الهجان وقبلوا رتاب الملك الصالح فقال لهم الملك نحمد الله على سلامتكم يا مقامم فالتفت صقر اللوالى الى الذى واقف قدام الملك واذا به الملعون شاحر الارمنى فقال له ايش هذا يا مولانا قال ما له الا أملص أودانه يا جديع لاني مامى ضفيرة الخوص لو كانت معى كنت ضربته بها فعند ذلك ضربه صقر اللوالى بالشاكره أطلح رأسه فراح لعنة الله عليه وبعد ذلك أمر السلطان بهدم الدكان وردم الطابق بعد اطلاع الذين كانوا فيه وما طلع النهار الا والدكان مهدوم والطابق مردوم وأمر السلطان بإبقاء جثة شاجر الارمنى بلا دفن حتى يتفرجوا عليه العالم لان الملك كان قد سمع بعض العالم وهم يتكلموا في حقه وأعتقدوا حقيقيا أنه سرح السماوي لمقد هؤلاء الناس الذين كانوا عند هذا اللعين والبعض من الناس يقول ان السلطان ولي من أولياء الله والبعض يقول ولاية مغلطة والآخر يقول ولاية رزقه والملك يعلم ذلك ولكنه يدعو للناس بالخير وبعد ذلك توجه السلطان الى قلعة الجبل وكذلك الامير بيبرس فانه توجه الي بيته وأخذ معه حسن شمنترى وأصبحت الناس يتفرجون على القتل المجحوم الذى على باب حارة الروم هذا ما جرى هاهنا (قال الراوي) ويرجع الفضل والكلام الى ما يفعل ابيك التركاني والقاضى من الاجكام (قال) وان ابيك ركب ثاني الايام عند الصباح وسار طالب الديوان فلما وصل الى حارة الروم ونظر الى ذلك القيل فسأل بعض الناس على سبب قتلته لاي شيء فقالوا له انه نصراني وهو الذي كان عند بيبرس وكان عامل نفسه من الاشراف وبعد ذلك

عرفوه قتلوه وغفراء الشارع حكوا له على الذي جري في الليل من أوله الى آخره فاعتاظ غيظا شديداً وقال يلعن النصراني هذا اذا مسك بشت بيبرس حطه في طابق وابقاه ماموتوش ولا زال سائر الى الديوان (ياساده) وكان أيضاً القاضي فات ونظر القتل وأرسل غلامه الحاج منصور لينظر للقتيل فغاب وعاد اليه قال كان شاجر الارمى مات ولا نابنا لالحل ولا ربط اثنين مقدم يا أي من أكبر صياق الروم راحوا أولهم المقدم زغوير وهذا المقدم شاجر قال جوان يا خسارته وصار يغلي بالنار لما سمع هذه الاخبار ولما وقعت عينه على عين ابيك التركاني أمره أن لا يفتح ولا يبتلع لان القاضي كان شاف من ابيك عين الحماقة فبرده وأمره ان لا يتكلم فان الصبر خير من هذه المجلة وما زالوا ساكتين حتى انقضى النهار وتفض السلطان النديل وتحولت العساكر كل واحد قصد محله وسار القاضي طالب دار ابيك وكان ابيك قاعدي الانتظار وقد زادت به النار واذا بالقاضي مقبل وهو يقول أستغفر الله العظيم استغفارا تاما ثم قال السلام عليك ايها الوزير فقالوا ابيك السلام علي المؤمنين يا قاضي انت مقلة الزغل كل نوبه تقول عليك مثلها ونهبت مالي وأعطيته الى بيبرس وانا ما بقي عندي فلوس ولا عندي زبره من شأن بيبرس ومشطه برتها وانت تقول عليك مثلها لبيبرس يا مقلة الزغل ثم صاح يا مقدم مطراق هات نبوت اضرب قاضي يمت والا يعمل تدغير كويس كل يوم بيبرس يزيد ونحن ننقص فقال القاضي يا معز ابيك انا في هذه النوبه تذكرت مكيدة عظيمة تم بنا ندخل للجنيينة حتى أريك المكيدة التي لا نظير لها قط فطاوعه ابيك ودخلوا الاثنين في قلب الجنيينة فعند ذلك طلع القاضي على عجل الساقية الكبيرة والساقية دائرة واحضر قرطاس وقم ودوايه من النحاس وقال لا ابيك سوق الثور فقال سمعا وطاعة فصار ابيك يسوق الثور يكتب في كتاب علي لسان السلطان بالزور والبهتان وصنع له خاتم من الشمع عليه اسم أمير



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوي) غله واطلع عليه واذا به خط السلطان وكان البدوي يعرف خط السلطان لان السلطان كان اذا كتب ترتمش يده والملمون القاضي ما قعد على ساقية الا لاجل ذلك فوجد مكتوبا فيه من أمير المؤمنين الملك الصالح أيوب الى شيخ العرب الامير خضر البحيري حال وصول جوابي هذا اليك تجمع عربك الذي تعتمد عليهم وتنزل ليلا على الامير شعبان الكردي كاشف الجزيرة وتأخذ ما تحت يده في داره من متاعه وقرسه وحصانه وترجع تقيم في محلك حتى يأتي الخبر بقتل الكاشف وتطلب أهل الاقليم كاشف غيره فأرسل لك من عندي مملوك من ممالكي لكنه طامى على فاذا واصل الى الجزيرة وأقام في دار الكشوفية فنزل عليه حالا وتقطع رأسه وتنهب كل ما معه من المال والخيل وتقتل كلما معه من الخدام والرجال واذا تمت لك هذه الفعالي اعطيك اقليم الجزيرة اقطاع بلا مال وحامل ذلك الكتاب ترمي رأسه حالا وهذا الكتاب احفظه عندك سنداً على بذلك والسلام على البدر النمام فلما قرأ خضر ذلك الكتاب وفهم ما فيه من الامور والاسباب فصل الحسام القرضاب ثم ضرب حامل الجواب فاستشهد

واكتسب الثواب وبعد ذلك أمر العريان أن يقلعوه هذومه ويدفنوه وعند
 ذلك أخذوا ملابسه وحصانه وسلاحه وواروه التراب وبعد ذلك صار يجمع
 في رجاله يقع له كلام وأما ما كان من الأمير شعبان الكردي فإنه كان من
 أولياء الله الصالحين فمرف ذلك من كشف الأولياء وعرف أن في تلك الليلة
 موته وليس له محيدا عنها فادعي العبيد والماليك الذين يملكونهم وعنق الجميع
 وفرق عليهم نصف ماله واحضر زوجته وكان له معها غلام على يدها
 عمره ثلاثة أشهر فأعطاهما جميع ما تبقى له من الاموال وسيرها الى مدينة
 مصر بعد أن كتب لها جراب الى الملك الصالح وقال لها لا تظهر في هذا الكتاب
 الا بعد ثلاثة أيام وبعد ماوجه حريمه وخدامه أمر المنادي ينادي في اقاليم
 الجزيرة بديوان عمومي يحضر فيه الخالص والعام ولما اجتمعت عنده الناس قام
 على اقدامه وقال يا معشر المؤمنين كل من كان لي عنده شيء فقد ساحتته
 في الدنيا والآخرة ان كان ديناً أو حقاً أو اساء لي أو تعدي عليّ فانا ساحتته
 وتركته ولا اطلبه وكذلك انتم كل من كان يعلم أن له حقاً عليّ فليطلبني
 حالا ليأخذه ومن تأخر فلا يطلبني ولو يوم القيامة ولا زال كذلك حتى
 أعطى لكل ذي حق حقه وسامح الناس وقال في آخر كلامه يا جماعة اني
 مسافر الى السفر الذي لا بد منه فصار الناس يتمجبون منه ولما كان آخر
 النهار صلى ما عليه من الفرائض وجلس يذكر الله حتى صلى العشاء وقرأ
 اوراده بالتام وبعد ذلك فرش فرشه بيده لانه ما بقي عنده خدم ولا حريم
 وبعد أن فرش الفراش جدد وضوءه ووقف تحت قبلة الدعاء وهي سماء الدنيا
 وتضرع الى الله عز وجل وهو يقول صلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم
 ولما فنى صبرى رجعت الى الشكوي وناديت جنح الليل يا كاشف البلوى
 على الباب عبداً من عبيدك واقفاً كثير الخطأ مذنب يرتجى المغفوا
 فمامله بالالطاف يا من بفضلته على قوم موسى أنزل المن والسوى

سألتك بأنكتب التي منك أنزلت وبالبيت والمسمي والزمزم والصفاء
وبالمسجد الأقصى وبالجليل الذي تهرن علينا ساعة القبض عاجلا
وتحفظني من شر خلقك كلهم ولا تموجني ان اذل لفيرك
وهدم الله بكرة وعشيرة على المصطفى من جاءه فابالمعلم والتقوى
(قال الراوي) وبعد ذلك نزل الى محله واعتدل الى القبلة وأحسن
الشهادتين وقال اللهم بحق سيدنا محمد صاحب الخوض المورد الذي اوعده
أصغنا من يده شربة هنية مروية لا نظا بعدها ابدا (قال الراوي) فقبض
الله روحه كنسيم الهوى عليه رحمة الله وبعد ذلك جاءوا واحتاطوا العربان
بشاره وطلع شيخ العرب خضر البحيري ونزل على السيد شعبان الكردي
فرواه قائم نوم أهل الجنة ومعتدل الى القبلة فضر به بالحسام أطاح رأسه وهذا
الذي جري مع انه مات من قبل وصوله اليه ولما أصبح الله المباح شاع الخبر
عند أهل الجيزة بقتل الكاشف ونهب داره على يد عرب الجيزة وشيخهم
خضر البحيري فمعد ذلك حضرت مشائخ الجيزة والقاضي وقالوا ان هذا
ابن عم السلطان ولا بد من اعلام السلطان ثم انهم حضروا تابوت ووضعوه
فيه وشالوه على اعناق الرجال وداروا به للشائخ واكابر الجيزة وساروا به
الى ديوان قلعة الجبل فهذا ما كان منهم (قال الراوي) وأما ما كان من الملك
الصالح فانه بات وأصبح يصلى على نبي في كفنه الورد فتح ظهر وجلس على تحت
السلطنة وهو تحت قلعة الجبل فوجد القديم الازل واحدقت رجاله بين يديه
والتفت الى الميامن أطرقت والى المياسر أطرقت والصدر والجنابين أطرقت
وبعد ذلك فريء القاري وختم ودعى الداعي وختم ورقى الراقي وختم أمنت الدولة

اتراك وعرب وعجم وزعق شاوليش للديوان يقول وهو لا يرهب الموت ولا
 يخاف القوت وانشد يقول صلوا على الرسول صلى الله عليه وسلم
 يا سائعا في جهله ونسى عواقب أمره
 قم شغل نفسك وانتظر جور الزمان وغدره
 الدهر لا يبقى علي أحدوياً من منكره
 أرجع لربك خاضعاً واثني عليه بشكره
 واحده حقاً وامثل لقضائه مع قدره

قال الملك الصالح سمعنا واطمنا وجلس الملك يتعاطى القصص ويزيل
 النقص ولما تعالي النهار قال الملك الصالح يا حاج شاهين وعزة الربوبية وترتبة
 حبيب التجار أنا ما كتبت مكتوباً ولا امرت أمراً ولكن حسبنا الله ونعم
 الوكيل ونحن لا بد لنا من الموت وانما هذا لاحتمال الاوزار وعقاب الخالق
 في الآخرة وإن الله تعالى يخلص حق المظلوم من الظالم جري القلم على اللوح
 من القديم بما حكم فلا راد لقضائه اسأل الله الكريم رب العرش العظيم كل
 من تسبب في اتلاف الصورة البشرية انه لا يموت الا مقطوع ومحرق بفأط
 الكلاب ولا يخرج من الدنيا الا على دين الكفر يا شاهين نهار مبارك انت
 تعافيت على أضعف الطيور وأنت جيت عليه متشمر غداة يأتيك العقاب
 هو وكل نسر ما تخاف يا جدع واحده بواحدة جزاء (قال الراوي) ولما صار
 الملك يكررى ذلك قال الوزير هل ترى ايش الذي جرى في هذا النهار فبينما الملك
 الصالح يصرح في مثل هذا الكلام واذا بأهل الجيزة طالعين يتولون لا اله الا الله
 محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الملك حق يادايام يا مبهود يا اعلام الغيوب
 ان القرافة من هنا قالوا يا مولانا يمشي رأس أمير المؤمنين قال الملك من الذي مات
 قالوا شعبان الكردي كاشف الجيزة قال الملك وجئتم به الى هنا لاى شىء ما دفنتوه قالوا
 يا ملك مات قتيل قال الملك من الذي قتله قالوا رجلا من العرب يقال له خضر

البحري وهو رجل جبار فاجر فقال الملك على شان ايه قتله قالوا ما بينهم شيء
 ونزل عليه في الليل هو ورجاله وقتلوه من غير ذنب فقال الملك الصالح حسبنا الله
 ولكن هذا ان عمي من الاكراد الا وبيه لكن ادخرته عند الله هو الذي يخلص
 حقه ثم أمر السلطان بنزوله الى محله بشارع سوق السلاح فقاموا عليه المحازن وكان
 حريمه كما ذكرنا سبقتهم فعملوا له ما يليق به وغسلوه وكفنوه وصلوا عليه في الحسين
 ودفنوه في القرافه ومشي في جنازته الملك الصالح وواروه التراب كما قال بعضهم
 في المعنى هذه الايات

ادفن الجسم في الثرى ليس في الجسم منتفع
 انما السر في الذي كان في الجسم وارتفع
 أصله الجوهر النفيس والي أصله رجع

قال الراوي وبعد ذلك عملوا السبعة ثلاثة ليالي وختات وشرع السلطان
 بإرسال كاضف غيره الى الجيزة وقال يا شاهين ان الجيزة بغير كاشف قال الوزير
 يا امرانا لا نقعد بغير كاشف لكن اذا أردنا نرسل لها كاشف يكون رجل حربي
 لان هذا البدوي سطا عليها واذاراح واحد من هنا قتله كما قتل شعبان الكردي
 ولكن حتى ننظر لها واحد يصلح ونرسله فعند ذلك تحرك القاضي من مكانه
 وخرج طليسانه وقال دستور انكم بكلمة حسنة ليست بسيئة فاطبة قطع السلطان
 يا قاضي أنت ما عندك الا كل سيئة ولكن تكلم حتى نسمع كلامك فقال القاضي
 ان الذي يصلح بشأن الجيزة ويظهرها من الفساد ويصلح شأن المباد ويرد الاعداء
 والاضداد فما يكون لذلك يا أمير المؤمنين الا ابنك ببيرس فانه ولد مبارك
 مسعود ما توجه الى جهة الا وتتج بركاتك يا ملك الاسلام وأنا في نظري ان هذا
 النلام له عناية وسعادة ولرب السماء فيه مشيئة وارادة كما قال القائل هذه الايات
 اذا المرء لم يخلق سميداً من القدم وينشر عليه السعد علما ومحمل
 فلا خير فيه ان عاش واخبر موته وخاب الذي رأي وخاب المأل

(قال) ثم قال القاضي وهذا يهك يا ملك وله منصور حقا ورأيه موقفا
 فاذا أراد مولانا الملك أن يرسل الى الجيزة كاشفا فان بيرس يستحق فقال
 الملك صدقت يا قاضي ولكن الكشوفية يكن لها واحد غنى لانها تحب المال
 وبيرس رجل فقير فقال القاضي يا ملك الاسلام انا اساعده بأربعين كيما وثمان
 أربعين جراد وثمان أربعين مملوكا وعليك يا وزير ايبك مثل ذلك امضى سريعا
 يا حاج منصور واثني بما ذكرت قد مضى الامر وانت يا ايبك وفي الحال
 حضر المال واستلمه الوزير فقال الملك احضروا النابيرس فارس الوزير الاغا
 شاهين رسولا من طرفه وقال له كلم الملك فقال سمعا وطاعة ثم أن الأمير
 بيرس ركب وطلع الى الديوان وتقدم الى رخامة الطلب ونادي نعم يا أمير
 المؤمنين وقبل الارض وانشد يقول صلوا على الرسول صلي الله عليه وسلم
 عبدك وخديك ببابك واقف ايامن شذا عمره على الناس يفوح
 اجي مثل سعدك بين اياديك واقف ولا اولي مثل ضدك اروح
 (قال الراوى) فلما نظر السلطان الى الأمير بيرس قال اهلا وسهلا
 بك يا سيدى بيت الجماعة تقص الاشياء كل واحد دور الله تعالى يذهبها من
 بين ايديهم لان النوبة أربعينات ولكن يا ولدى اجني الشعره من صاحبها
 وهم ثمانين كيما وثمانين مملوك حضروا من عند القاضي وايبك وبقوا لك
 انت لكن مرادنا انك تروح كاشف علي الجيزة ولكن فيها واحد الملعن
 اودانة القلوس هاهم عند الحاج شاهين خذهم تساعده بهم فان كان غرضك
 تروح وان كان غرضك ما تروح ها أنت أخذتهم ولا تروح فقال القاضي
 يا مولانا يأخذ المال ولم يروح ولكن أسر الملك مطاع فقال بيرس
 يا أمير المؤمنين أروح ان شاء الله تعالى وانشد يقول صلوا على الرسول
 أروح ولم عرض على يمين ولا في من اهباش الرجال نجوح
 فالتدل ان سمع الكلام يطنش والجيد اذا سمع الكلام يروح

(قال الراوى) فعند ذلك قال السلطان لبسه يا شاهين ققطان الكشوفية
خليني أشوفه أنا وافرح به وكذلك هو الآخر يفرح بشبابه اذارأى نفسه لا بس
كسوة جديدة فعند ذلك طلب الوزير كرك من خزنة الامتعة ورماه على اكتاف
بيبرس وقال له انت كاشف الجيزه وعليك بتقوى الله العظيم واجتهد في تنظيف
الارض من اولاد الزنى ومن العرب الذين قتلوا الكاشف فاجتهد غاية
جهدك عسى الله أن يظفرك بهم وينصرك عليهم وقد نادى شاورين الديوان
حكم ما أمر ملك الاسلام وخادم حجره قبر النبي المذلل بالنعيم فان كاشف
الجيزة الامير بيبرس وله عليها الولاية والاحكام بما شاء الملك الملام وطلع
بيبرس من الديوان وقد تلقاه الاسطى عتمان فقال له انت مقفطن قال نعم قال
عثمان ان شاء الله تكون مشد تراب والا اغت كلاب قال بيبرس يا عتمان انا
طالب اعلا والا اوطى أنا لبست كاشف على اقاليم الجيزة قال عتمان يا سلام غارة الله
عليك وعلى الذى خلقك سبوح قدوس الخدمة بالفلوس ماهى باللبوس قال بيبرس
على شان ايه قال عتمان أكون كاشفا صغيرا يعنى قائم مقام وبالتركي متمسلم
قال بيبرس فى أمان الله خذ هذا الكرك على اكتافك وانا اوليتك كاشف
صغير وقائم مقام ومتسلم ل لاجل أن ترتاح ومالى بركة الا انت قال عتمان
بقيت انا اسبقك الى الجيزة الى أن تأتى انت على مهلك أكون أنا مهدت
لك الارض قال فعند ذلك ركب بيبرس وراح الى أن وصل الى بيت
احمد بن اباديس السبكي وطلع الى المقعد وجلسوا عنده الصقود وحسن
شمتري خزندار واما عتمان فانه لا يلتفت الى سيده ولا كان له سيد بل
انه احضر السياس الثمانين وكبيرهم عقيرب وركب عتمان على اعناق السياس
ولبس الكوك على اكتافه وساروا السياس أمامه والناس يباركون له
وهو فرحان بنفسه وكل من قال له نهارك مبارك يا اسطى عتمان يضربه
بعصا ضربات والذي يقول له يا متمسلم ل يعطيه سبعة فضة وهذه كانت

من كرامات عثمان الذي بمطيه سبعة فضة يسفنى والذي سبعة ضربات وكان به داء يشفيه الله تعالى ولم يزل عثمان سائر بهذا الموكب والسياس مجتمعين به حتى وصل الى الجيزة وعلى اكتاف القنطاز فجمع السياس قبل الدخول وقال لهم لم يغيب لنا أحد سايس انا رايح اعمل ملموب وهو ان كل من جاءنى من المشايخ أقول لكم طرطمش امسكوه وان قلت وارميش ارموه واضربوه حتى أقول لكم شفا سيبوه من تحت الضرب واحبسوه فقالوا سما وطاعة واتفقوا على ذلك وسار عثمان الى أن وصل الى الجيزة ودخل الى دار الكشوفيه فجلس عثمان ووقفت السياس بين يديه وقد شاعت الاخبار فى الجيزة بقدم الحاكم وهو الكاشف الجديد فسارت المشايخ اليه فلما وقعت عينه عليهم وقبلوا الارض بين يديه قال عثمان طرطمش فسكوههم قال وارميش فرموهم وشار عثمان بإدارة المدة على جميع المشايخ فقالوا المشايخ على شان ايه يا كاشف فلم يرد على احد جواب وبمدها قال شفا فارتفع الضرب وبعد ذلك اشار عثمان فادخلوهم الحبس وقد سجنوهم وكل منهم يقول هذا الحاكم لا يعرف شيء ابدافباتوا المشايخ فى الحبس وقد سجنوهم وكل منهم يقول يا هل ترى ما السبب (قال الراوى) واعجب ما وقع من الاتفاق انه كان موجود فى الجيزة رجل يقال له عثمان الهيسى واصله من مصر لكن حكمت تقسا بينه وبين عثمان وقال له عثمان ان رأيتك فى مصر قتلتك فخاف من عثمان وطلع اقام فى الجيزة لان عثمان فى مصر وقت ما يراه يضربه ولما كان ذلك اليوم الذي اقبل فيه عثمان بن الحبة فعرفه عثمان الهيسى فلم يظهر له نفسه ولما جرى ما جرى من عثمان من ضرب المشايخ اقبل عثمان الهيسى على المشايخ وهم فى الحبس وقال لهم الذي يرحل لكم هذا الكاشف من الجيزة ايش تمطوه فقالوا له نمطوه عشرة رايات قمح فقال على ان ارحله لكم ولكن هاتوا واحضروا القمح ثم انه تقدم الى عثمان

وبأس يده فقال له عثمان يا هيضي انت من جاء بك الى هنا فقال له انا تركت
اولاد هيضم وتبعتم اولاد الشيخ قال عثمان مرحبا بك يا جدي فقال الهيضي
يا جدي أنت اسمك رأس بيت اولاد الشيخ وان جرت عليك حاجة تشمت
فيها اولاد هيضم قال عثمان على شان ابيه قال له أقول لك يسر قال عثمان
قل قال يا أسطى ان خضر البحيري جمع العربان عليك ومراده في الليلة يهجم
على دار الكشوفيه مثل ما عمل مع السكاشف القديم وأنا يا أسطى لما كنت
بالخبر ما هان على ذلك ما قبلت من ساعتى هذه واخبرتك وهذا ما عندي من
الخبر والسلام والرأى لك فلما سمع عثمان ذلك الكلام صاح بعلو رأسه عرل
يا عقير ثم نهض من وقته وساعته وركب وسار طالب ارض مصر فبينما هو
كذلك واذا بالامير بيبرس عارضه في الطريق (قال الراوى) وكان الاسباب في
ذلك ان الامير بيبرس لما علم ان عثمان راح الى الجيزة فلم يحمده ولم يكره
عليه لانه يعلم انه من أهل الكشف وانما جهزته في الحال وأمره بارس
أن يحضر النقارات وركبهم على ظهر الجمال وركب الامير راسه
الاثنين الفداوية وأربعين مملوك والثمانين جساءة حرض وركب راسه
الرحيل وسار حتى لاقاه عثمان في الطريق وكان بيبرس قلبه عليه من مكانه
الفلاحين فلما عرضه كما ذكرنا قال بيبرس خبير ايا يا عثمان قال أنا يا أشر
عمات انا جندي وضربت المشايخ مثل ما يعمل السكاشف وكانت سميت صدي
يا جدي بس خربها على الهيضي قال بيبرس الهيضي ما له يا عثمان قال
قال لي ان العرب الذي قتلوا السكاشف أرادوا في هذه الليلة يقتلوك فقامت
وخفت وهربت وهذه حكايته وأنا جيت منك لهم ما أنت ابن زنا فقال له
بيبرس لا بأس عليك ثم سار وأخذه الى أن وصلوا الى الديوان وفرشوا ما يليق
بقامه وبصدا ما فرشوا الفرائين جلس الامير بيبرس وجلسوا الفداوية عن
يمينه وشماله وكذلك الخدامين وقفوا لخدمته وأقام فلم يروى أحد أن اليه

من المشايخ ولا من كبراء الاقليم فالتفت الى عثمان وقال له أين المشايخ قال له
يعنى ان المشايخ كان حد منهم قريبي قال هات غفراء الدار فحضروا بين يديه
فقال لهم أين المشايخ لم أر أحد منهم جاءنى لاي شيء فقالوا يا كاشف أن
عدم مجيئهم فأنهم جميعا عندك في الحبس فقال لهم وما سبب حبسهم فقالوا له
على ما فعل عثمان وكيف انه ضربهم ولا يعلم لاحد منهم ذنب وبعد ما ضربهم
حبسهم وبعد ذلك ركب على حصانه وتركهم محبوسين الى هذا الوقت فالتفت
الامير الى عثمان وقال له لماذا ضربتهم وحبستهم قال عثمان كنت أشوف الكاشف
يضرب الفلاحين والمشايخ فعملت مثله وانا يا أشقر عزلت نفسي انا حبستهم
وأنت سيهم يا جدد ومن هذا الوقت انا أضرب وانت سامح فعند ذلك أمر
الامير بيبرس باخراج المشايخ من الحبس واحضارهم الى بين يديه فلما حضروا
قالوا يا أمير قد أذانا الاسطى عثمان وما نعلم لنا ذنب فقال بيبرس الحق عليكم
كيف ان الامير شعبان يموت عندكم وفي بلدكم والذي قتله رجل يدوي فادروا أنتم
تاعدين ولا أحد يسأل ولا تخافوا أن يعيد عليكم هذا الغدار يفعل بكم كما
فعل بغيركم من العار والذل والشنار فقالوا له يادولاتى هذا رجل جبار ومن
الذى يقدر يقف له في الطريق أو يصطلى له بنار فقال لهم الامير كلن ما كان
ولكن من الآن تنهبوا لانفسكم واعلموا أن عثمان ما فعل بكم هذه الفعال
الا لاجل عدم التفاسكم ثم ان بيبرس رتب بنهم اثنين فثار وقسم أقلم
الجزيرة قسمين وجعل على كل قسم ناظراً منهم وجعل في كل قسم اثنين
مأمورين وجعل في كل مأمورية قائماً ون تحت أيديهم المشايخ ولكل شيخ
واحد معاون وأربعة مشندان ونب على اللاحين بدم الظلم واذا شيخ ظلم
فلاجل فانه يشتكيه الى قائم وان لم ينصفه يشتكى الى المأمور واذا لم ينصفه
المأمور يشتكى الى الناظر وان عدم انصاف الناظر يشتكى الى الكاشف
وانا أخاف له حقه بالعدل والانصاف كما أمر الذي جسد الاشراف عليه

الصلاة والسلام أثناء الليل وأطراف النهار وأنا أريد منكم أن تعاونوني على
 خضر البحري الذي قتل الكاشف سابقا لعل الله يوقمه في يدي وأجازيه
 على ما فعل وأنا مرادي ان ابني حمام وقصر يكون على شاطئ البحر وان شاء
 الله يكون قريب فقالوا له على بركة الله يادولاتلي وتوجه كل واحد الى حال
 سبيله ، لما كان في ثاني الايام قام الامير بيبرس من منامه ولذيد أحلامه وقد
 قلع بدلة النوم ولبس بدلة الاحكام وهو يحدث نفسه في بناء الحمام والقصر
 واذا بالطباخ مقبل عليه وقبل يده وقال له يا أمير أنا رجل غريب واناخذيمك
 متغرب معك ولكن يادولاتلي ان قتلتي أو ضربتني اتملق بأذيالك يوم القيامة
 لأنى انا صنعتى طباخ ما أنا غفير فقال له بيبرس ما الذى جرى لك فقال له ياسيدى
 ان النحاس الذى بالمطبخة انسرق فقال له من سرقه قال يادولاتلي لا أعلم فقال
 لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ياطباخ ابعث في هذا الوقت الى مصر
 واطلب نحاس غيره فبينما الامير يتكلم مع الطباخ واذا بقاضى الجيزه أقبل
 وهو راكب على حمارة عالية وعلى ظهر الحمارة فروة وهو على الفروة وقال السلام
 عليك ايها الامير فقال الامير بيبرس وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فنزل
 القاضى وتقدم وتزحزح له الامير من مكانه وأجلسه الى جانبه وطلب له القهوة
 فقال له ياسيدى ساعني من القهوة ثم بكى فقال له الامير لاى شىء تبكى
 يامولانا الشيخ فقال له القاضى انا جيتك مستجير واسوق عليك بالسيدة
 زينب غفيرة مصر لانك من زوارها فقال له بيبرس وصلت يامولانا ايش الذى
 جرى عليك فقال القاضى اعلم يامولانا ان لى بنت وليس لى ذرية غيرها
 ونزلت تملا قلتها من البحر لان البحر قريب من البيت فقبضها رجل يقال
 له منصور ابو سيفين واخذها الى بيته قوة واقتدار وهذا الرجل غدار
 كافر بالملك الجبار لا يصوم ولا يصلى ولا يعرف حرام ولا حلال بل صنعته
 قطع الطرقات وسبى المخدرات وهو أخو مقلد الذي قتلته انت في مدينة

مصر وكان عاملاً له برجا وانت ارحمت منه العباد ولكن يا أمير مقلد كاذب قيراط
وهذا أربعة وعشرين قيراط وان جميع أولاد الزنى عنده وله قصر على البحر
وله خمسة وأربعين عبد كلهم أولاد زنى فدائهم أخذ البنات الابكار ويسامون
له فاذا فعل بهم الفاحشة يردم اليهم فيفسقون فيهم بعده ويعرضون عليه
ثاني مره فن اعجبته ابقاها رغما عن الف أهلها ومن لم تعجبه تركها بعد هذا
الفساد وان هذا من بعض صفات هذا الملعون

(قال الراوي) فلما سمع الامير يبرس ذلك الكلام صار الضياء في عينيه
ظلام وقال له يا ابى وابن مكانه قال هو مقيم عند الاهرام في مكان حصين
يعني دار ولكن محصنه بالاحجار فنهض الامير يبرس من وقته وساعته
وركب ومعه الاستقار والتباع والسياس وكان معه اربعمائة مملوك كبار ومثلهم
اتباع وصقار وسار حتى قرب ذلك المكان التفت الى من حوله وقال لهم انتم
تكونوا خارج الدار فاذا تمكنت أنا من الدار وصحت الله أكبر فاحفظوا
المكان ولا ينفلت منكم ولا انسان فقالوا سماعا وطاعة ثم سار الامير امامهم
ومعه بعض المماليك الى ان وصل الى الدار التي لابو سيفين وعبر الامير
يبرس بشدة حميته وثقته بنفسه ولم يزل صاعدا الى ان وصل الى المقعد الذي
جالس فيه ابو سيفين فوجد ابو سيفين جالسا كانه نمر فلما رآه يبرس عرفه انه متكبرا
فقال له السلام عليك يا ابى فقال له من غير ان يقوم من موضعه العواني عليك فعند
ذلك جلس الامير يبرس الى جانبه وتعجب في نفسه فالتفت الى الامير وقال
له من تكون يا رجل فقال يا شيخ العرب انا كاشف الجيزة الجديدة ولكن يا ابى
انا عارف ان الفلاحين قليلين الكيف فتركهم وجئت الى عندك لاتصاحب معك
فقال له اعلم ان الكاشف الذي في هذا الاقليم القريب والبعيد فانه يكون معي مثلاً ما
يحكمم أريد وان لم تعمل بكلامى ولا يدخل أذنيك فلا بد من شري ان يوصل اليك
فعند ذلك أظهر له الامير يبرس الخوف والتوجع وقال له يا ابى انا من تحت أمرك

ونهيك فقال له مرحباً بك والمذل جالساً وقال له أنت يا ولدي إن لي عليك انك
 نحب الكيف وها أنا عندي بنت بكر عذرة جميلة أتتني في هذا الوقت وذكروا
 لي خدامي أنها بنت القاضي فدعنا تفعل بها أنا وأنت ونزيل بكارتها حتى يأتوا
 لنا الغلمان بغيرها فقال له الامير بيبرس يا أبي عمرك كم عام قال له مائة عام
 وأربعة أعوام فقال له هذه المدة قضيتها في المعاصي اتق الله تعالى وتب اليه
 ولو عشرة أعوام لعل الله سبحانه وتعالى يقبلك ويرحم هذه الشيعة التي شابت
 في الفسق والضلال ولم ترجع عن فعل الجهال فلما سمع أبو سيفين هذا الكلام
 قال له أنت جيت تتوبني بدخولك الى عندي يا غلق الاكراد ثم انه جرد حسامه
 وضربه ضربة سيار فكان الامير حارساً على نفسه فتلقاء على الملت فاقسم
 الحسام نصفين وضربه باللت على دماغه ألقيه الى الارض بعد أن كاد يقضى
 عليه من شدة تلك الضربة وفي عقب الضربة صاح الله اكبر أنا الامير بيبرس
 فسمعت الاسفار فكبروا وهم مجردين السيوف وصاح عثمان شد حيلك يا جدد
 ودخلوا المالك مع باقي الخدام وقبضوا على المبيد بأجمعهم وجمعوا كل من
 كان في الدار وكتفوا منصور أبو سيفين ولما تهيأ الفراغ من ذلك الاشغال
 جلس الامير بيبرس مكان أبو سيفين وأمر باحضار العبيد ثم باحضار خدامين
 أبو سيفين فلما حضروا أمر بضرب رقابهم فقالوا له لا تفعل أبها الامير فنحن
 كلنا تائبين على يدك ونكون في خدمتك من وقتنا هذا الى أن تقضى أعمارنا
 فقال الامير بيبرس مرحباً بكم خذهم يا عثمان واطلقهم ثم أمرهم أن يأتوه
 بينت القاضي فقالوا له سمعاً وطاعة وفي الحال أحضروها بين يديه فأعطاهما
 خمسين ديناراً وأمر اثنين من أتباعه أن يصلوها الى أبيها ولما وصلت الى
 أبيها أخذها وقبلها بين عينيها وسألها عن المرض فقالت له مثل الحليب
 فحمل يثنى على الامير بيبرس ويدعو له بكل ما يقدر عليه (قال الراوى)
 وبعد ذلك التفت بيبرس الى منصور أبو سيفين وقال له أنا طالبك أن

تقوب عن الضلال فلم تقبل كلامي ولكن السعيد من القدم والشقي من القدم
 لا راد لقضاء الله عز وجل ثم أمر بصلبه على باب الدار فصليوه وراح لعنه الله
 عليه وداوت يد الأمير بيبرس على الدوار وما فيه من مال وروال وأمتعته ونوق
 وجمال وخيل وغير ذلك وأمر ببناء هذه الدار قصراً عظيماً وبنائها أيضاً
 حمام وكل أهل الجيزة ساعدوه لأنهم كبر خوفهم منه وارتعبت قلوبهم لأنه
 قد شاعت سطوته على أهل الجيزة وزادت هيئته عندهم وبعد ذلك ترك
 البنائين في أشغالهم وأقام هو في محل حكمه فعند ذلك تقدم له الاسطلي
 عقيرب وقبل يده وقال له أنا خديك مدة حياتي وأنت الذي مالك رقبتي
 فالذي أرجوه منك يا أمير تخطب لي بنت الشيخ محمد القاضي فقال له الأمير
 يا عقيرب لو كانت بنتي كنت أعطيها لك وإنما أنا أرسل إلى أبيها ثم إنه في
 ساعة الحال أرسل إلى أبيها فلما حضر أخبره بطلب عقيرب فقال له سماعطاعة
 فعند ذلك أمهرها الأمير ودفع مهرها وشرعوا في الأفراح ثمانية أيام ودخل
 عقيرب بها فوجدها عذري فتمل منها بالحسن والجمال والقند والبهاء والاعتدال
 وأزال بكارتها وبلغ المقصود وأكّد كل عدو وحسود (قال الراوي) فعندها
 اغتاض عثمان وقال في نفسه كيف أن عقيرب يتزوج وعثمان يبقى من غير زوجة
 مع أن عثمان أكبر مقام فعند ذلك دخل على سيده وقال له شوف يا أشقر
 أما أن زوجتي مثل ما زوجت الولد عقيرب والافلا أخدك أبداً سبوح
 قدوس الخدمه ما هي بالدبوس فقال بيبرس يا عثمان خليك معي لا تتزوج
 فقال عثمان هذا لا يمكن أنت تقدر على تسك وأما أنا فلا أفدر فقال له بيبرس
 روح من هنا إلى أمك في مصر وقل لها اخطبي لي زوجة وهي تخطب لك كما
 تريد فقال سمعا وطاعة وتركه وسار من الجيزة إلى أن أقبل إلى أمه الحبلى وقال
 لها ان الجندي قال لي خلي أمك تخطب لك وأنا جيتك قومي واخطبي لي فقالت
 مرحبا يا ولدي نهار مبارك فقال لها عثمان أريد أن تخطبي لي بنت تكون بيضه

بثرا وتكون تكتب وتقرأ وعلى ذقنها شامة خضرا وعلى خدنها وردة حمرا
فقال له سمعا وطاعة وتركته ونزلت وقد خطر ببالها أنها لم توجد هذه الصفة
التي أخبرها بها عثمان ولم تعلم بأنه من أهل الكشف فسارت غزيرة الحبله وأخذت
معها بعض حيراتها من حارثها ونزلت وصارت تتنقل من مكان الى مكان ومن
حارة الى حارة الى أن وصلت الى السيدة زينب فدخلت الى مقام السيد زارنها
وقالت لها يا سيدتي خديمك يريد أن يتزوج وبعد ذلك طلعت ودخلت الى
حمام السيده ودخلت بين النساء والبنات وتأملت واذا بها رأت الصفة التي
كان طالبها عثمان فقالت غزيرة تبارك الله أحسن الخالقين ثم لها تقدمت اليها
وقالت لها يا بنت ما اسمك فقالت اسمي خضره فقالت لها وأنت تقرئي قالت
نعم اني أقرأ وأبني يقرأ فقالت لها بكر أم ثيب قالت أنا بنت عذري قالت لها
وأين أبيك قالت انا أبنى قاضي الجيزه ولي أخ اسمه الشيخ محمد وهو الآن
قاضي الجيزه من محب أبيه وكان له بنت وأخذها أبو سيفين وخلصها كاشف
الجيزه وقتله وتزوج بها عقيرب سائس الكاشف فقالت غزيرة الحبله أنا أريد
أن أزوجه الى ولدي عثمان سائس الكاشف فقالت لها يا سيدتي أمري لأبي
لاني لا أملك نفسي الا برضاه فتركها غزيرة ومضت الى ولدها عثمان وأعلمته
بالخبر فقال عثمان وأبيها قاضي الجيزه قالت له نعم فرجع عثمان الى الجيزه ثانيا
ودخل على الامير وقال له يا اشقر أُمي لقيت لي عروسه وأنت الذي منخطبها لي
فقال بيرس طيب ومن هو أبيها يا عثمان قال أبيها قاضي الجيزه فقال له
امض اليه وانتني به فقال عثمان سمعا وطاعة وأخذ النبوت وسار الى مكان
الشيخ أبو البنت خضره وأقبل اليه ومسكه من خنقه وقال له قم سر معي الى
عند القاضي الجندى وصار يضربه بالنبوت وجره حتى قدمه الى بين أيادي
الامير بيرس وهو على تلك الحالة فلما رأى الامير ذلك صاح على عثمان فتأخر
وقام الامير الى الشيخ وتلقاه وأجلسه الى جانبه واستمذر اليه من فعل عثمان

وقدم له الشرابات فشرب وجعل الامير يبيرس يلوم عثمان على فعله وهو يقول
 أنا ما فعلت به ذلك الا لاجل أن يحسب حسابي ويكرمني فقال له الامير يا مولاي
 الحق عندنا وأنت تسامحنى في جميع ما فعله معك عثمان فقال الشيخ الله يسامحك
 أنت وإياه ولما استقر به الجلوس طلب الامير القهوة والشرابات ثانياً ومازجه
 حتى أنه صفى خاطره وراق فقال له الامير يبيرس يا مولانا أنا جئتكم خاطباً
 راعياً فلا تردنى خائباً فى ابنتك السيدة المصونة والجوهرة المكنونة السيدة
 خضرة فقال له يا سيدي منى جارية اليك وأبوها خادم بين يديك قال وكان ظن
 الشيخ أن يبيرس يخطب البنت لنفسه فقال له يا مولاي ما هي وانما هي لخديجي
 الاسطى عثمان فلما سمع ذلك تقض وضوءه وقال يا أمير أنا ليس عندي بنات
 وما كنت الا أمزج معك فقال له الامير لأى شىء قال له أنا لم كنت أقدر
 عليه وهو بعيد عني وقد نظرت أنت ما فعلت بى فكيف اذا كان يناسبنى فقال له
 الامير يا مولانا لا تخاف من شىء أبداً فقال له اذا كان الامر كذلك يا ولدي
 فلا بد لك أن تجيء الى منزلي واخطبها منى على رؤوس الاشهاد وهى جارية
 لك ففهم الامير معنى كلامه وقال له الامير يا مولاي ممما وطاعة ثم أن الشيخ
 انصرف من تلك الساعة وعثمان بقى واقفا قدام سيده وقال له كيف رأيت
 يا دولاتي فقال له الحق معه يا عثمان ولكن هيا سر بنا الى منزل الشيخ القاضي
 حتى أخطب لك ابنته ثم أن الامير قام وقال سر يا عثمان قال عثمان ايش نعمل
 قال له الامير نمقد المقعد قال عثمان هو معقود وأشار بيده الى السقف فقال
 الامير ما هو عند السقف قال عثمان وايش يلزم بلا هتيكه قال يبيرس لا فيها
 هتيكه هذا المقعد بين الزوجة والزوج سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقال له
 عثمان افعل ما بدا لك فعند ذلك نهض الامير وتبعوه الاستقار والماليك والاكاير
 من الناس وساروا الى أن وصلوا الى منزل القاضي وكان الامير قبل ذلك أمر

اخذ نزار حسن شميتري أن يرسل السكر والحلاوات وكل ما يحتاجون اليه من
 العطورات والمواد التي يختص بها عبد السلام ولما وصل الامير نهض له القاضي
 قائما على الاقدام وتلقاه بالتحية والاكرام هو ومن معه وفرح بقدمهم الفرح
 التام وأجلسهم في أعلا المكان وبعد ذلك قرأوا الفاتحة وطلبوا عقد النكاح
 فأرسل الشيخ وأحضر رجلا عالما لاجل أن يعقد عقد النكاح فنظر عثمان اليه
 واذا به أعمى فقال عثمان ان هذا لا يعرف يعقد لأنه أعمى ولا يعقد الا الصحيح
 فقال الامير اسكت يا عثمان هذا رجل صالح ثم تقدم الشيخ وجلس القاضي
 أبو العروسة بين يديه وعثمان وأقبل عثمان فقال له الشيخ مد يدك فدها له
 فظن عثمان انه يقول له مرحب فضرب يده على يد القاضي كاد أن يخلع له زنده
 فقال الامير يبيرس ايش هذا يا عثمان قال هو الذي مد لي كفه وكان رابع
 يقول لي مرحب قلت له أنا قبله فقال له الامير يا عثمان لا بقيت تفعل هكذا
 فقال عثمان طيب ثم قام الامير وأجلس عثمان وأخذ يده ووضعها في يد القاضي
 وعقد الشيخ عقد النكاح وأمرها الامير بخمسمائة دينار حكم ما اتفق عليه
 الشرط وبذل له بعد ذلك في العطايا والاحسان وزغرطت النسوان وأعطى الامير
 الى الرجل الذي عقد العقد خمسين دينار وضربت الطبول وفرح الاسطى عثمان
 بزواجه فعند ذلك قال الامير يبيرس يا عثمان أنا مرادي أن أعمل لك فرح
 عظيم ما سبق به أحد غيرك من الناس فقال له عثمان لاي شيء يادولاني أنا
 ما مرادي فعمل شيئا وإنما آخذها الى عند أمي غزيرة الحبله وهي تزوجها وادخل
 بها من غير أن يدرى أحد من الناس فقال له الامير لا بد أن ندخل بها هنا
 فقال له عثمان أنا أروح الى مصر واعلم أمي انها تحضر الى هنا مع العروسة
 فقال الامير هنا مناسب ثم أعطاه كيسا من الذهب لاجل المصروف وأمره بالمسير
 الى أمه فسار عثمان طالب مصر وتوجه الامير بمن كان صحبته الى مكانه (ياساده)
 وأما عثمان سار من حينه مجداً في المسير الى أن وصل الى بيت أمه ودخل عليها

فتلقته وسلمت عليه فقال لها يا أمي قضي الأمر وتزوجت بالبنات خضره والجندی
 حلف بالاقسام أن يعمل لي فرحا عظيما وأمرني أن آتيك لاجل أن تروحي الي
 هناك وتزفي على المروسة وتمزى النساء وانا أعزم الرجال ولازم ما أمر أن
 تمزى الملكة شجرة الدر فقالت ممعا وطاعة ثم تركها عثمان ونزل من هناك
 الى سوق السلاح الى شيخ السيفيه فبينما هو جالس والنبوت بين أكتافه
 وقال له آخ قال عثمان الفاتحة وان الاشقر رايح يظهر اجمع رجالك ولاترك
 منهم أحد ومرا الى الجيزه لتحضر الفرح وان تأخرت لا يكون خصمك الا هذا
 النبوت فقال له ممعا وطاعة ثم أن عثمان تركه ومضى الى شيخ الجوهرجيه وفعل
 معه كذلك وأيضا شيخ السراجين وشيخ البراديه ولازال يدور على مشايخ
 الحرف شيخا بعد شيخ حتى نبه على جميع الطوائف وما منهم الا من أجاب
 بالسمع والطاعة ثم ان عثمان سار الى الديوان فهذا ما كان منه (قال الراوى)
 وأما ما كان من الملك الصالح فانه بات وأصبح وصلى على نبي في كفه الورد
 فتح ظهر وجلس على تحت قلعة الجبل وحمد القديم الازل تكامل الديوان بالمساكر
 والرجال حتى بقي كأنه زهر البستان ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته
 الجلوس جلس ثم قرأ القاريء وختم ودعى الداعي وختم ورفى الراقي وختم
 آمنت العساكر ترك وعرب وعجم صاح شاويش الديوان وهو لا يخاف الموت
 ولا يهرب القوت وأنشد يقول

يا من يحكم في ملكه وأمصح ما لك انظر في نفسك كم ملك أصبح هالك
 العدل أمان ومن عدل حق سلك والظلم دمار ومن ظلم لا يتالك
 قال الراوى فقال الملك آمنا بالذي لا اله الا هو يا حاج شاهين عطية الله لا يمنعها
 مانع لكن ان شاء الله مبركة عليه وأما الذي يجري بتقدير العزيز العليم
 سبحانه من يعلم بالحال فقال الوزير نعم يا مولانا السلطان فبينما الملك يترنم
 بمثل ذلك واذا بعثمان طالع يخبط بالنبوت على باب الديوان وهو يقول يا ليل يا ليل

قلبي عشق بنت ترمي في جزاير مر بجوز عيون سود ترمي كل فارس مر
 طلبت منها الوصال قالت وصالي مر روح وان هفك الشوق كل ساعة مر
 (قال الراوي) قال الملك اهلا وسهلا بالشيخ عتمان فقال له عتمان لا أهلا
 ولا وسهلا يا معلم صالح قال له الملك على شان ايه غضبان علينا يا شيخ عتمان
 قال عتمان الجنسدي ضربني وطردني وحلف على بمسين لاعاد يقبلني الا اذا
 عزمتك انت وابو فرمه وان كنت ماعزمتك ينبطي قال حيي الملكة تروح
 كان لاجل تحضر الفرح قال الملك الصالح فرح ايش يا عتمان قال عتمان مرادي
 نظاهر الجنسدي قال الملك وان جنسديك يا عتمان الى الآن من غير طهارة
 قال عتمان نعم وحيات رأسك قال الملك اذا كان الامر كذلك تروح أنا
 والملكة ابنة عمي لاجل خاطرك يا عتمان فقال عتمان احنا ما عندنا اكل
 خذ طعامك معك وانت يا ابو فرمه كان مثله قال الملك يا حاج شاهين أعطيه
 جميع ما كان يحتاج اليه من التكرار بتاعنا قال الوزير سمعاً وطاعة ثم أن
 الوزير فتح الكرار وارسل الى فرح عتمان كلما يحتاج اليه الطباخ مع الخدام
 من عسل وسكر وارز وبهارات واشربة واغنام ما يقوم بالفرح وزيادة وكذلك
 للفراش شموع مكوفة وشمع اسكندراني ابيض واصفر واحمر وزيوت
 للقناديل وأرسل عشرون قطعة نجف بزجالتها التي تخدمها مستوفية الشروط
 وأما غزية الحبل أم عتمان فاتها طلعت الى السراية وقبلت يد السيده فاطمة
 شجرة الدر وأعلمتها بزواج عتمان فقرحت وقالت لا بد اننا نروح وتنفرح على
 عروسته فهذا ما كان من هؤلاء

(قال الراوي) وأما ما كان من الامير بيرس فانه صار مقيم في الجزيرة وهو
 منتظر قدوم عتمان حتى يجيب أمه ويحضر من مصر لاجل ان يشرع له في الفرح
 فايشعر الا وفراشين الاغا شاهين اقبلت حالا ومدت صواري خشب وجعلوها
 رياحات في الحساء ونصبوا التريات وكذلك بيت الوسيه ورسومه بالنجف

وأقبلت الخدام ومعها الطباخين وما يحتاج الكرار وما يحتاج المطابخ وبعد ساعة قدمت فراشين السلطان ونصبوا الوقتات ومدوا المادات وقامت الصواري وبعد ذلك حضرت فراشين الوزير ايبك فانصرع بيبرس وقام طلع الى محله يأمر خدامه بتصليح المحل فوجد غزية أم عثمان واقفة لاجل تصليح محل الحرم وماتم ذلك النهار حتى بقي بر الجيزة كأنه معرض هيمون بالخدام والخيام والسرادات والاعلام وفي صبيحة ثاني الايام حضرت مشايخ العرب بجميعها وكل طائفة صحبتها حريمها واولادها ونصبت الخيام هناك قال بيبرس ما حضور السلطان والوزير والدولة لا بد يكون الملك له عادة بذلك وأما الطوائف يا اهل تری لاي شيء جايبين من مصر وطالعين الي هنا ثم أن الامير ركب ومر على الطوائف وكل مامر على طائفة يفرحون به ويقولون له نهار مبارك ربنا يتم بخير قال الامير ايش الخبر قالوا له يا امير نحن عزنا الاسطى عثمان وامر باحضارنا كما تری فقلنا له سمعا وطاعة وهانحن قد حضرنا قال بيبرس ولاي شيء فعل ذلك قالوا له والله يا سيدى ماندرى على شيء فقال الامير بيبرس لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم هتكى عثمان ولكن ان شاء الله تعالى يحصل خير ثم أنه أمر المنادى ينادى أن يكونوا الحريمات فى خيام وحدهم من غير رجالهم وكذلك الرجال يكونوا فى خيامهم من غير نساءهم لاجل أن يكونوا ما لكن رشدهم فى لهوهم ولعبهم وطربهم وانشراحهم وقد تم الامر كذلك حتى صار البر مثل البحر المجاج المتلاطم بالامواج من كثرة الخلايق وقد اقاموا فى زهو وانشراح الى تمام الثلاثة ايام وفى اليوم الرابع اقبلت ارباب الملاعب مثل البهلوانات والخواة والقردة والمغاني والآلات وكل من كان يتعاطي مثل ذلك وطلعت أولاد مصر على حسن ذلك ونصبوا الوقتات والسرادات وعلقوا الثريات وطلقوا البخور من العود والندو المسك والعنبر والكافور وترتبت منهم الامور واقاموا على هذا المنوال الى أن كان وقت العصر

واذا بالمدفع قد تكلم من البحر حتى أزعج الجيزة وهذا من كثرة ضربه فتبينوه
 الرجال واذا بالذهبية أقبلت بحرم السلطان وقد أقبلت الملكة شجرة الدر
 ومعها هدية عظيمة بكل عن وصفها اللسان وكذلك حريم الوزير الاكبر الاغا
 شاهين الاكرم وكذلك حريمات الدولة وكل منهم أتى بهدية عظيمة فعند ذلك
 نهض الامير بيبرس وأمر بضرب الخيام ودوارة المطبخ الكبيرة وبالشرابات
 واصطناع الحلاوات ولما تهيأ الفراغ من ذلك أقبل الوزير الاغا شاهين بكل
 من كان يمز عليه من الحبين فلقاه الامير بيبرس وأجلسه وشرع له في الاكرام
 والانعام ولما كان يوم الخميس أقبل الملك الصالح أيوب وأرباب الدولة والقاضي
 وأبيك وقد امتلأت الارض بالطول والعرض بما فيها من الخلائق والامم
 (يا سادة يا اكرام صلوا على بدر النمام) فنهض بيبرس والوزير الاغا شاهين
 وقلعة الملك والدولة وقد أحياهما ودقت العاويل وزمرت الزمور فمداروا
 الدعوة التركية والنقرات الامانية وكل من أمير ماسكيه ولعبت البهلرانات
 وكاف فرح ليس له نظير وقد أقبل عثمان الى مسيده فلما رآه مسارره في أذنه
 وقال له أنت من قال لك اعزم السلطان يا عثمان وافعل هذه الفعالة فقال له
 عثمان أنا لما سمعت من عندك وأين أبو قوطه يخرج في الرمية فلما رأي
 حرقه وقال لي يا عثمان قلت له نسمة ما تريد قال أريد أن سيدك يمزني عند
 فتلت له احنا ما عندنا فرح ولا غيره فحلف بالطلاق الا ان ينعمز وقد شرط
 أن يجيب أكله في بده هو ووريره فقال الأمير هو والله يحلف بالطلاق قال
 له عثمان وسيمات ذقتك وان كنت زعلان منه أنا أقول له يقوم يروح فقال
 له الأمير يا عثمان اصبرنا تتسكلم بشيء من ذلك قال عثمان المسلم مسالح جاب
 أكله معه والوزير يعني هيا رمية أبو النرجع هيا أروح أطردهم والمسلم فقال
 له الأمير اتق الله ومن الذي أعيا السيدة فادع شجرة الدر قال ما يسلمها الا
 بالمصلح وأنا أروح أطردها قال الأمير يا رجل لارد جماعة سادتنا وأنا

مماوكم يبقى العبد يطرد سيده هذا وقد دارت المطامح ولما كان في يوم الخميس المبارك ليلة الجمعة زفوا عثمان وأدخلوه على العروسة من بعد ما جلواها المواسط كما يليق بمجريات زواج الابكار وأقبلت على عثمان كأنها الغزال العطشان أو كأنها غصن بأن في كتيب زعفران والمواسط حولها حتى قدموها الى بين أيادي عثمان ونظر عثمان اليها وهي بين يديه فعند ذلك كبش من الذهب كما عرفه سيده الأمير بيبرس ووضعه على رأسها وأخذها من يدها وهو فرحان ودخل بها محل الخمار وكشف عن وجهها فوجدها على رأي من قال هذه الايات صارا على سيد السادات صلى الله عليه وآله وسلم

وسيف لحاظ الحب في الضمد ساكن	فكم من قتيل مات والسيوف مغمدة
لانزوى الالحاظ حازوا الشجاعة	تذل لها الاساد في الغاب اذ بدوا
اذا جردوا بان الضيا من جفونهم	فما قاصد الا غدا وهو شارد
يفولون للقلب السليم من الهوى	فولع بنا طوعاً وبالبحر يورد
لهم سحر الاجفان ان صاب ميناء	يقوم صحيح سالم الجسم راشد

قال الراوي فلما أقبل عثمان تقدمت اليه وقبلت يده وجلست وسط الفراش فجلس بجانبها وجل يلاعبها الى أن تحكت التحاكم وأرادوا أن يجربوا انفسهم في القتال فجرد عند ذلك حسامه وأشار اليها به فأشارت اليه بالترس فوقعت معه الحماقة فركب المدفع الضبيان علي ذلك البرج المشيد وأطلقه واذا انهدم الصور وزج المدفع فيه حتى أخربه واندمت رأسه الى قلب النلة فسالت الدماء عن كان هناك من أهل الحصن وكان هو الغالب عليها ولما رأت الغلبة امتثلت امره فرتب عليها الخراج فدفعت له سبعة أعوام الى قدام يأساده ولما كان من الاسر ما كان ودخل عثمان واخذ وجه زوجته وجامعها فحملت منه من برقتها وساعتها لاجل اراة الله تعالى وبعد ذلك نزل عثمان الى الملك وبأس يده الوزير ويد سيده وبأس

يد المتقدم صقر اللوالى والمقدم صقر الهجان ووقف عثمان عند سيده فى خدمة
الملك الصالح أيوب كما هو واجب عليهم بإسادة اسمع ما جرى من أمر القاضى
وهو الملعون جوان والوزير أيبك الترجمانى فانهما كانوا الاثنين بجانب بعضها
فى الحيام لانه كان صيوان الوزير أيبك بجانب صيوان القاضى فلما نظر والى تلك
الاحوال ضاق صدر أيبك وكاد أن ينفطر فاقبل القاضى وقال له هذا رجل فلاح
خطاف حمام وعمل مثل هذا الفرع العظيم وأنا اسمى الوزير أيبك والله والله
ما يخرج من يدي اعمل فرح مثل هذا الفرع الذي عمله عثمان الفلاح خطاف
الحمام وأنا يا قاضى عندي ضيقة صدر فدبر لى شيئا يكون منهم غمهم وحظى
أنا يا قاضى أنا فى عرضك احسن اييك متاعك يموت فقال له القاضى سمعوا طاعة
وكان الملعون جوان له عياق تأتي اليه من بحيرة ايفرة لاجل يطلعهم
على افعاله ومهامه ويقضوا له اشغالة وفى هذه الايام قدم عليه اثنين من
العياق فاحدهم اسمة المقدم بحرون والثانى سترون والاثنين عياق اولاد
زنا كل واحد منهم يسبق الشهر بعمله وفعله فكتب القاضى كتاب
واعطاه لسلامه منصور وهو البرتقش وقال له يا فليوتى امضى الى حارة
الروم اعطني هذا الكتاب الى الاثنين العياق فأخذ البرتقش ومضى الى
حارة الروم فرأى الاثنين العياق فاعطاهم الجواب فمرفوه وقرأوه واذا هو
من عند عالم ملة الروم والامر المحتوم الى اولادي عياق بحيرة يفره سترون
ويحرون حال وصول كتابي هذا اليكم تلبسوا ملابس اسلام ثم تحضروا
الى الجزيرة حالا وتنزلوا على السراية التى فيها عثمان وزوجته وأن أمكنكم
ذلك اقتلوا عثمان وخذوا زوجته فلما قرأ الجواب على بعضهم قالوا سمعوا
وطاعة ثم انهم غيروا ملابسهم بملابس الاسلام وتوجهوا الى الجزيرة وهم
فى صفة الاسلام وانحشروا مع الخدام ومع كثرة الخدام فلم أحد التفت اليهم
ولا سأل عنهم فصبروا الى الليل وتمكنوا من السراية وارموا قنق بنسج

فشموها النساء فرجو قلبوا ودخل الملعون بحرون أخذ السيدة خضره وهي عروسة الاسطى عثمان بن الحبل ووضعها في جدران وزر عليها اربعة وعشرين زر وعروة وشالها على كتفيه النبي صلوا عليه وكان الخبر عند الملعون حوان ولما فعلوا ذلك تلقاهم حوان وقال لهم يا اولادى سافروا بها الى قلعة الصخور وخذوا هذا الكتاب اعطوه الى ملك القلعة الباب اصطافور يعمل بما فيه وأما انتم اجر نكم عندي كل واحد منكم له مائة سنة زيادة في عمره واعقد لكم كل واحد مائة عقدة كل ما تفرغ سنة حل عقدة حتى يتم المائة سنة واذا أردت ان تميدها ثاني مرة يبقى صمرك بيدلا تحل فيه وتربط خلاصك ولا أحديمنك الا اذا جاءت لا تخليك تحل ولا تربط وكان بالاولادى اوهبت لكل واحد منكم خمسين فدان في ستر وعشرة مصاطب في الهاوية وعاهدهم على تلك الاجرة انها تبقى لهم منه واخذوا ذلك البنت وتوجهوا بها الى قلعة الصخور في بلاد الروم يسلموها الى الملعون اصطافور يكن لهم معنا كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق في جمال النى يكثر من الصلاة عليه (قال الراوي) وأما عثمان لاجل عمره كان ذلك الوقت نزل يقبل يد الصالح كما ذكرنا وسيدته والوزير وأما لو كان حاضر عندها وكانوا رأوه كان لا بد ان يكشف سترهم ولكن عثمان يعرف جيدا حق المعرفة بأن هذه العروسة تزوج ثم يظهر عليها الحمل ترزق ولد يسمى سيد محمد الغندور ويكون عايق أهل زمانه يكون له معنا كلام ياسادة واما عثمان فانه بات في خدمة سيده وهو يمثل لقضاء الله وقدره الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح وطلعت الشمس على رؤس الروابي والبطاح وسلمت على قبر النبي زين الفلاح فطلع عثمان الى القصر ينظر وجه عروسته لاجل ان يفرح بها فوجد على رأى من قال

ساروا وسار الربع يندبه الشري ان قلت بانوا اين مثلك بانوا

فأسأل منازلهم تجيبك يا فتي كانوا أيها وكأنهم ما كانوا
فرأي جميع النساء مبنجين والعروسة زوجته قد فقدت من دونهم اجمعين
فزل عتمان يجري وهو يبكي وينوح فقال له الامير بيبرس ما لك يا عتمان
فقال عتمان يا جندي العروسة راحت يا حسرتي ما شبت منها ثم أن عتمان دخل
يجري على الصالح وقال خذوها يا معلم صالح فقال الصالح يعوض الله يا عتمان
حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم يا قاضي هذه
حكمة الله لا بيدك ولا بيدي أسأل الله الكريم رب العرش العظيم بحرمة
النبي والملائكة المقربين ان كل من تسبب في هذا الفعل لا يموت الا على دين
الكفار مقطوع على عربة ويحرق في الرمي له بخرا الكلاب قول آمين يا قاضي
فانها سبقت في علم الله قال القاضي آمين آمين ثم أن الملك تودع من بيبرس
وقال لعتمان يا عتمان اسكت بقي كن من كتامين الاسرار لا تكن من كشافين
الاستار وتودع من بيبرس وتوجه الى المحروسة وكذلك الافاشاهين وأرباب
الدولة جميعا وكذلك مشايخ الحرف وأما القاضي والمعلم أيبك فانهم حصل لهم
العز الشامل وأصبح بر الجيزة غالي لا فيه أحد وأما عتمان بكى على زوجته
والامير بيبرس بكى على بكاء فقال المقادم يا دولاتي هذه الفعلة ما هي فعلة
فلاحين قال بيبرس أنا لو كنت أعلم الخضم يا مقادم كنت أخلص حق خديمي
ولكن ما أعلم لي غريم (قال الراوي) ولما كان في ثاني الايام قام الامير بيبرس
صلى فرضه وختم ورده وتذكر مصيبة عتمان وكونه لم تهنا فبكى واذا بعتمان
داخل عليه وقال له يا أشقر العروسة عروستي وأنا ما بقيت طوزها في هذه
الايام وانما حصل شيء أقبح من هذا وهو أن المهارة الذي لك انسرقوا بما
عليهم ولكن يا أشقر الذي أخذ أخذ قيمته فقال الامير يا عتمان أنا ما أبكى
الا عليك ولكن ما الذي سرق الخيل وكان في أي وقت في النهار والا بالليل
فقال له عتمان أنا أحكي لك وحد الله قال الامير بيبرس لا اله الا الله فقال

عثمان اعلم يا جندي اني كنت قاعد في الاصطبل وكان الوقت في النصف من الليل فدخل علي جماعة كلهم عريانين ولكن ما عرفتهم ولا هم من بلدنا ولا من قرايينا ولا عمري رأيتهم وحياتك الا النوبة فقلت لحالي لما أشوف رايجين يعملوا ايه ولقيت جماعة منهم ماسكين الباب والباقي مرصوصين جنب بعض فقلت لما أشوف رايجين يعملوا ايه واذا هم صاروا يحلوا الخيل واحد بعد واحد وأنا أنظر اليهم لكن أقول لك الدغري يا جندي بقيت خايف منهم ولا قدرت أتكلم ولا أتحرك وأنا ساكت لما حلوا الجميع وأنا خايف لا ينبطوني الى أن أخذوهم وطمعوا وراحوا لحال سبيلهم وأنا ساكت لا أتكلم أبداً وهذه حكايي والسلام (يا ساده) ولما سمع بيبرس ذلك الكلام صار الضياء في عينه ظلام وقال له يا خاين اذا كنت قت الصياح كنت أنا أدركت وكنت في تلك الساعة لحقتك فقال خفت أن يهجموا علي ويقتلوني فعند ذلك حط يده الامير بيبرس على اللث العشرة أرطال وطلب عثمان فنظر عثمان الى ذلك وشاف الغيظ على وجهه فتركه عثمان وسار يجرى قدماه فعند ذلك جرى وراءه بيبرس وما زال عثمان يجرى وبيبرس خلفه وقد حمله على ذلك الغضب فبينما هو كذلك اذ أقبل من كبد البر رجل أعرابي وهو مقبل من ذلك الروابي فلما رآه عثمان قال لبيبرس هذا الذي سرق الخيل بالامس فتقدم الامير الى البدوي وقال له يا شيخ أنت من أين والى أين تريد فقال البدوي لملك أنت الامير بيبرس قال له نعم فقال له يادولائي أنت انسرت خيلك قال نعم فقال له روق ذهنك وريض أنا أعرفك طريق خيلك لكن لما تسمع الحكاية قال الامير قد حكايك فقال الاعرابي لما تروق ذهنك وتلقى الي سمعك وتكثر من الصلاة على سيدنا محمد فقال بيبرس اللهم صل وسلم عليه فقال له الاعرابي اعلم يا دولائي أنا رجل شيخ عرب واسمى علي الخبيري وأنا رجل عارف بالله تعالى أصلي الحس أوقات وأصوم رمضان

وأخاف الله وأنا شيخ عرب مثل خضر البحيري ولما شاع الخبر بأنك أخذت
الجيزة فأتاني خضر البحيري وقال لي تعالى معي وعاوني على قتل بيبرس كاشف
الجيزة فقلت له لاي شيء تقتله ولاي ذنب فعله معك يستحق أن يقتل
فقال ذنب ما عمل وإنما اذا قتل تبقى ولاية الجيزة لنا دون غيرنا فقلت له
اتركه بلا طمع نفس فارغ أنت شيخ عرب وأنا شيخ عرب نحكم على العرب
والكاشف الذي تحكى عنه لا هو أذا أنا ولا تعدى علينا ولا عليه لنا شيء
اترك سبيله والسلام فقال لا يمكن ذلك ولا بد من قتله فقلت له انا لا أفعل
ذلك أبداً فقال أنا له كفوا بنفسي ثم انصرف من عندي وجعل يدبر أمره
فلما جن الليل عليه رأيت في منامي السيدة زينب رضي الله عنها وأخبرتني
وقالت لي يا علي قوم أسأل على بيت الامير وأخبره بالقصة من أولها الى آخرها
واعلمه بأن خضر البحيري هو الذي سرق الخيل فانتبهت من منامي وقصدت
اليك وقصدي أن أعلمك فينما أنا سائر وجدتك تجري خلف عثمان فلما سألتني
حكيت لك بالذي جرى وهذه قصة خيلك والسلام (يا سادة) فلما سمع بيبرس
ذلك الكلام تعجب من هذا المرام ورجع عن عثمان وقال والله لقد أخبرتني
بما فيه الصواب ولكن وحق مقام السيدة زينب صاحبة القناع الطاهر أن اخذ
رئي بيدي فأتى أعطيك صنعية التزام لنفسك اذا أراد الله تعالى ونصرني ربنا
على خضر البحيري ثم أقيدها لك في الرزنامة من بعدك لتدريتك فقال له علي
علي الخبيري يا دولاتلي اذا أردت ذلك فأنه والله قريب ولا يطلع النهار الا وهو في
قبضة يدك أسير فقال له بيبرس وكيف يكون ذلك اعلمني حتى أعرف كيف يكون
فقال علي الخبيري اعلم يا دولاتلي ان خضر البحيري جامع قبائل العرب
من بري البلد وهو من هنا الى نجمه مسيرة ساعة فلذا اردت ذلك انا اركب
واخذ معي جماعة من عربي واروح اسلم عليه وأقول له انا رضيت ان اكون
معك على قتل الكاشف وتعاون سوا لكن تلبس أنت وجماعتك لبس

عرب لاجل اذا شافكم لم يتراول منكم مره مى انت والفداوية والماليك
وكلما كان يتبعك وادخل أنا وانت على خضر البحيري واخاطر معك بروحي
والرجال اتباعك واتباعى يختاطون بالعرب ذات اليمين وذات الشمال وان الله
يعطى النصر لمن يشاء وهو الكبير المتعال فقال له الامير هذا هو الصواب
والامر الذي لا يعاب ثم أن الامير أخذ شيخ العرب الخبيري ورجع معه
إلى بيته وخواواه على الطعمام كما تفعل العرب الكرام وتحالفوا على المهاد
والزمام وقام فى الحال الامير بييرس لبس ملبوس العرب وكذلك فعل صقر
الوالى وصقر الهجان وعملوا لهم رايات يعرفون بعضهم بها ويتميزون بها
عن غيرهم وساروا ولم يزالوا سائرين الى أن وصلوا النجوع وكان خضر
الخبيري جامع عربان بكثرة وفي هذه الليلة يروح الى كاشف الجيزة وتأمل
رأى شيخ العرب على الخبيري قادم عليه فقام له وتلقاه وفرح به واكرم مشواه
وقال له مرحبا بشيخ العرب من الذي معك فقال له هذا شيخ العرب محمود
ففرح به وجلسوا جميعاً وكانوا عربان الخبيري وجماعة بييرس احتاطوا بالنجوع
من سائر الجهات وكان خضر البحيري عامل جموع افراح وعنده جارية رقص
فى وسط الرجال فلما استقر بالقوم الجلوس رقصت الجارية قدر ساعة من
الزمان وبعدها أتت بالرق لتأخذ فيه عوايدها من العرب ثم صاحت وقالت
شويش فى صحايف مشايخ العربان وأول الوقوف كانت قدام خضر البحيري
وكان لها الستري بتاعها اسمه صبح فلما وقفت قدام خضر البحيري
ومدت الطار فديده وأرمى لها فى قلب الطار جديد مدور وودى من الذي
كل عشرة ذلك الوقت بدرهم فضة فصاحت الفايزة شويش على حياة صبح
العرب البحيري وبعد ذلك انتقلت الى واحد آخر فأعطاه كوز دره فدحته
وبعدها واحد آخر أعطاه شوبة شعير وهى مع ذلك تمدح كل من أعطاه ولا
زالت على ذلك حتى انها ملأت الطار شعير وملت حجر صبح نحو عشرين كوز

دره وبنجوه عن قدح شعير ولا يكون معها شيء منقوش من صنف المجاملة
 الا الجديد بتاع شيخ العرب خضر البحيري فقط وأما باقي المشايخ ما بين
 شيخ العرب غنصور وبزبور وزعيط ومميط ونطاط الحيط وزريط كلها
 مشايخ عرب من مثل هذه الاسماء لم يعطوها الا كيزان دره وكبشات
 شعير ولما عدت الجميع وأقبلت الى قدام الدولتي ووقفت ونظرت الي
 وجهه في ضوء الشعلة التي بيدها فوجدته على رأي من يقول صلوا
 على الرسول

ومليح في الجيد يحكي الزالا ييسنى وينموا دلالا
 قلت جودلى بيومه قال لالا بتعنيق فان اردت وصالا
 لا بغز الميون والحاجبين والنبي لو صاحبتنى الف شهر
 وملأت الفلا بالنظم والنمر لم تنال منه ولا ضم خصر
 لا نطن البقاء بقاد بشعر ليس بالشعر تلقى الشعرتين

(قال الراوي) لهذا الكلام المعجيب صلوا على طه الحبيب صاحب البردة
 والقضيب والباقة النجيب الذي كل من صلى عليه لا يحجب وهو يصلى على
 طه النبي الحبيب فلما نظرته تولمت فيه ووقفت قدما مشروط كبير وهي ترقص
 وتتماجب وتصور لها ان هذا طير غريب وتريد ان تسلب نعمته وبعد ذلك
 وضعت الرق بين يديه وهو ملثان شفير كما ذكر فنظر الى ذلك الشعير وقال لها يا حرة
 العرب انا ما عندي من هذا الصنف حتى كنت أعطيكى منه فاني أرى جاييتك التي
 جمعتها في سهرتك فما تقوم بمليق حمار قالت له ياسيدي الذي يعطي شيئا يعطي على
 قدر حاله فقال لها وهو كذلك ثم أن الأمير فرغ الرقي في الارض وحط يده طلع
 قرطاس ذهب فيه خمسمائة محبوب وفرغه في قلب الرق وقال لها في حبيرتك
 فرغيه ولمي من باقي جماعتي قالت سمعا وطاعة قال عثمان لما تقول شويش قالت
 الفايزة شويش قول يا صبيح شويش على حياة من قال عثمان قول على حياة شيخ

العرب ضابط بن رابط فقالت كذلك ثم انتقلت الى قدام شيخ مقدم سقر
 الهوا الى ففرغ لها كيس فقالت شويش على حياة من قال عثمان قولي على حياة
 من قال قابض بن قابض وانتقلت الى قدام سقر أخيه ففرغ لها الآخر كيس
 قالت شويش على حياة شيخ العرب لاطش بن قاطش فعند ذلك قال خضر البحيري
 من أين هذه العرب الذي هذه الاسماء اسماؤهم وما هم من جنس فقال على
 وبعد ذلك صارت الغزوة ترقص لكن صار شغلها كله عند الامير يبيرس فعند
 ذلك طليها الامير يبيرس وقفت بين يديه وقالت له يا سيدي دستور من أين
 أنت قال لها وأنت ليش تسأليني قالت له يا سيدي عطيتك ما هي عطية عرب
 وملبوسك لبس عرب قال لها عثمان يا فحيه هذا كاشف الجزيرة فقالت له انت
 يا سيدي الامير يبيرس قال لها نعم قالت له يا سيدي ان هذا الجمع الذي تراه من العرب
 كلهم مجتمعين على فتلك وأنت والله يا سيدي شجرة الكرم وخسارتك في الموت اذا
 تمكنوا منك هولااء العرب ان فقال لها يبيرس يا بنت وهاء تابعون الله كفوا لهم ولو كان
 بعدد اصنافهم فقالت يا سيدي الكثرة تغلب الشجاعة وأنت وحيد والرأي عندي

تفسك فز بها ان خفت ضيا وخلي الدار تنمي من بناها
 فانك واجدا أرضا بارض ونفسك لم تجد نفسا سواها
 وما غلظت رقاب الاسد مني بانفسها تولت ما عناها
 مشيناها خطا كتبت علينا ومن كتبت عليه خطا مشاها
 ومن كانت منيته بأرض فليس يموت بارض سواها

(قال الراوي) فلما سمع الامير يبيرس منها ذلك الكلام تبسم
 ضاحكا وقال لها جزاك الله عنى كل خير فانك نصحتيني يا بنت يبقى أنا أخاف
 من العرب وأهرب منهم وانا باكل عيش السلطان الصالح كيف اخاف من
 العرب ومرادى أظهر الارض منهم وفي هذا الوقت آخذهم قدامك في
 الحديد وهم مكثفين الزند والايدي ولكن باشطرة ان أردت أن تساعدني

وتفتحيل باب الشكل معهم لاجل افرجك أقطع من الدنيا رجاهم قالت له ياسيدي
 يا ابن اساعدك قال لما تحببي عشرة بنات وأنت وأمك تبقا اثنا عشر أنت
 تكوني كبيرة على خمسة وأمك مثلك وتكون انتم عرب وتتجاربوا وتخلوا الغز
 تكسر العرب قالت له ياسيدي يقتلون العرب فقال لها الامير وانا قاعد ليه لما
 يقتلوكي العرب غير ان هذا طلب شيء وبعد ذلك أنا أقبض على جميع العرب
 فقلت له سمعا وطاعة قال لها لكن بشرط ان تجري انت بجماعتك قدام العرب
 وبعد تردي وتأخذي طرطور أمك وتخلي رأسها عريانة قالت له سمعا وطاعة
 ثم أن الغزية قامت على قدميها وأحضرت أمها وأمرتها أن تحضر من الغوازي
 عشرة بنات وقسمت خمسة معها وخمسة مع أمها وجعلت الخمسة التي مع امها
 عرب والخمسة التي معها غز وكل واحدة من الغز بيدها عصا طويلة فلما كان
 تلك البنت فانها لبست العرب طوافي وحملت لامها طرطور وتقاتلوا مع بعضهم
 فقال خضر البحيري اضربوا الغز يا عرب فهجمت العرب على الغز فقتلوا
 الى ورائهم فطعمت فيهم العرب وطلبوهم فردت الغز على العرب ضربوهم
 والغازية أخذت طرطور امها على العصا وكذلك البنات أخذت كل واحدة
 طافية واحدة على عصاة وقاموهم على العصا اشارة انهؤلاء وذوس العرب
 اخذوها على المزاريق وانها عند العرب شوم الثقال ولما نظر خضر البحيري
 الى ذلك الحال وكذلك العرب من اليمين والشمال ظهر الفضب على وجوههم
 وهموا على الغازية يريدون قتلها فأرمت بنفسها في حجر الامير بيبرس فقال
 له خضر البحيري خلى عنها لا رحم الله ابوها فسامت كلامه حتى ارماء باللت
 الى الارض قال عثمان مكتف كون في غيره يا جندي فصاح في غيره الامير
 بيبرس فجاولته الاثنين القداوية والماليك وعرب الخبيرة وجماعة حرحش
 ووقع السيف في جماعة خضر البحيري فقتلوا منهم مائتين واربعين وأسروا مع
 خضر البحيري سبعين وهربوا الباقيين وبعد ذلك امر الامير بيبرس اثنين

وحم عتمان وحرر حرس وصلوا الغزبة الى مكانها ورجع الاسطى عتمان وقال له
 انت خلعت العرب هؤلاء تعمل بهم ايه والتفت الى السياس وقال قطعوا
 رؤوسهم فقطعوا فقبض عتمان الرؤوس وبعد ذلك التفت ييبرس الى خضر
 البحيري وقال له من الذي أغراك على سرقة خيلى يا كلب قال خضر البحيري انا
 الذي أغراك سيدك قال ومن هو سيدى قال له سيدك صالح أيوب فقال له
 يا كلب أمرك بسرقة خيلى وانت قتلت الكاشف قبل فقال ان الذي امرنى
 بقتل الكاشف الذي قاتلك وقتلك انت كان ونهب مالك وقتل كل من معك
 من رجالك فهو الصالح أيوب فقال يا كلب يبقى السلطان اذا اراد قتلى انا
 بعيد عليه لما بعث لك تقتل ابن عمه شعبان الكردي وبعدها تقتلى انا
 فقال له خضر البحيري ها هو كتاب السلطان في رأسى قد يده الامير ييبرس
 أخذ الكتاب من رأسه ونظر اليه وقراه الى آخره فقال له والذي حضر لك
 هذا الكتاب قطع رأسه قال نعم قال ييبرس لاحول ولا قوة الا بالله العلي
 العظيم كيف يا عتمان قال عتمان ما هي كتابة ابو فوطه هذه كتابة المنقرض
 القاضى ولكن انا أصبح لك الخبير لما يفرجونى عليه بموت ازاى واشوف
 موته بمعنى فعند ذلك تقدم الدولتى ييبرس وطرح خضر البحيري على وجهه
 وانكبي عليه سلخ كل جلده ملاه تين بمدا ان ملحه وركب له عيون قزاز
 وجعله كلما نضر اليه يظن انه هو خضر البحيري وبعد انتهاء الفراغ من ذلك
 امر بنهب نجع العرب وجنح ما عندهم الا النساء والاولاد ففعل ذلك ورحل
 الامير بالنصر والظفر الى مكانة عابد منصور وكتب ربع السنجيقه الى شيخ
 العرب على الخيبري واما عتمان ابن الجبله فانه جمع رؤوس القتلى وقطعهم
 وعباهم فى ستة جنبات على ثلاثة حمير وقام من بدرى وحده من
 الجيزه وسار بالجنبات الى بيت ابن اباديس السبكي واحضروا مايتين نبوت
 ورشق كل راس فى نبوت وطلع بباب الصليبه وقال كل من جاء وشال

له كيس ذهب من هنا للقلعه فاجتمعوا الناس واعطى لكل واحد نبوت
 والراس فوقها وصار كامن حمل نبوت يمشى حتى اجتمعوا مائتين وأوقفهم
 عثمان ومشى قدامهم وساروا من خلفه (يا ساده) يا كرام واعجب ما وقع
 واغرب ما اتفق ان رجل فقيه فقير الحال وضافت عليه الدنيا بما رحبت فكثر
 الجلوس في البيت فتضايقت منه زوجته وقالت له وبعد هذا القعاد قم اخرج
 الى السوق اطلب رزقك من الله تعالى فنهض الفقيه من ساعته وسار الى السوق
 فيبينا هو كذلك اذ اقبل عليه الاسطى عثمان ابن الحبله وقال له السلام عليكم
 يا سيدنا قال له أهلا وسهلا قال يا سيدنا سير معي وخذ لك كيس ذهب امله
 الى الديوان وخذ أجرته محبوب فقال الفقيه ممما وطاعه يا مفتاح الابواب ثم
 ان الفقيه سار مع عثمان الى بيت ابن اباديس صحبة الناس حمل كل واحد كيس
 وهو على راس النبوت فامرهم عثمان لا احدا ينظر الي فوق خوفا لا ترصدوا
 المال ولا احد يرفع راسه فقالوا سمعنا وطاعه وساروا بتلك الاكياس وكل من
 الناس يظن انها مال فلما توسطوا الطريق لعب الشيطان بمقل ذلك الفقيه فقال
 في نفسه مالي الا ان اروح بذلك الكيس من تلك الحارة وما احد ينظرني
 وانتفع بما فيه ثم انه صار يتأخر الى ان صار آخر الناس وتداري بجباب حاره
 وقلب الراس في حجره وارمى النبوت الى الارض ثم انه طبق حجره وسار الى
 حال سييله وظن انه ملك الدنيا بما فيها ولم يزل يجري ويلتفت خلفه الى ان
 اتى الى البيب وطرق الباب فقالت زوجته من بالباب فقال افتحي انا الشيخ
 عمران فقالت له انت ما غبت فقال لها الله تعالى فرجها علينا وقد اتيت اليك
 بما يسر خاطرك وقال لها احسبي كل الحسبة التي علينا للناس حتى تأتي
 بالصحاب الذين اتى علينا وتدفعي لكل ذي حق حقه وبعد ذلك نزل من
 هذا المكان ونشترى لنا مكان غيره فقالت يبقي لقيت لقيه فقال لها أعظم
 من ذلك فقالت قتلت واحد يهودى صراف واخذت ماله قال لها اعظم

من ذلك قالت له اخبرني ايش الذي عملت فاعاد عليها ما جري له مع عثمان
وكيف اخذ الكيس الذهب وهرب فقالت له لا تتحدث ابدا بذلك الكفار
خوفان يسمع كلامنا احد فيعلم عثمان فيأتي اليك ويقتلك ويأخذ الكيس منك
ثم قالت له هات المال فد يده الي حجره بعد ان فتحه فجاءت اطراف أصابعه
في حنك القتيل وفي شواربه ، ذقنه قنع يده اسرع من البرق الخاطف وتأخر
الى ورائه وتلجج لسانه فقالت له زوجته يا شيخ عمران أين المال قال لها قديمي
انت خديبه لاني قد لمبت أعضائى كلها فتقدمت الحرمه اليها ونظرت الي حجر
زوجها وأذا بعينها وقعت على عين القتيل فصاحت بعلو رأسها أنت جايب لنا
رأس قتيل لاجل أن يطلع سيطانة علينا في البيت فقال لها يا أم سمان أكنمي
هني هذا الامر فياليتني ما طلعت من البيت في مثل هذا النهار وباليتمى كنت
رحت مع الاسطى عثمان الى الديوان وكنت اخذت الدينار أتتفتت به فقالت
له دعنا نسكت ولا نبدي كلام فقال لها وما نصنع بهذه الرأس فقالت له
نرميها في الكنيف أو ندغنها فقال لها يطلع لنا شيطانها في البيت فينما الشيخ
مع زوجته في السكلام واذا بالاسطى عثمان داخل الى البيت فلما رآه الشيخ خاف
منه خوفا شديدا فقال له الاسطى عثمان لا تخف من شيء فاني ساعذك ثم انه اخذ
الرأس منه وقد وضعها في الثبوت كما كانت وقال له احملها فقال له سمعا وطاعة ثم ان
الشيخ حمل الرأس وسار مع عثمان الي ان أوقفه باصحابه وكان السبب في مجيء
عثمان انه لما قارب الديوان عد الرؤوس فوجدهم يتفصون فسأل من الناس فقوا
هرب منا الشيخ عمران الفقيه فقال لا بد أنه ظن أنها مال ولكن أين مكانه
فاخبروه به وكانوا الناس يعرفوه هو وبيته لان بيت الفقيه دائما مشهور
فسار اليه وآتى به وأصعبه بالناس كما ذكرنا وسار عثمان الى الديوان كما وقفنا
(قال الراوى) وأما ما كان من أمر الملك الصالح أيوب ولي الله المجنوب فانه
اجلس على تحت قلعة الجبل وهو يوحد القديم الازل تكامل الديوان

بالعساكر والحجباب والوزراء والنواب ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته
الجلوس جلس والتفت الملك الى الميامن أطرفت والى المياسر أطرفت وكذا
الصدر والجناحين قرأ القارئ وختم ودعى الداعي وختم ورقى الرافى وختم
أمنت العساكر ترك وعرب وهجم وصاح شاويش الديوان وهولاً يخاف الموت
ولا يرهب القوت

أيامن له ملك وعز ورفعة وساد على الدنيا وكل المعالم
تأني ولا تعجل لامر تريده وكن راحماً للناس فآله راحم
وما من يد الا يد الله فوقها ولا ظالم الا سيلى بظالم
(قال الراوي) قال الملك آمنا والله أظننا من أين كنا حتي اتملنا سبحان
مالك الممالك سبحان المنجي من الشدائد سبحان رب العزة والجبروت سبحان
الحى الذي لا يموت يا حاج يا شاهين ابدان متسلطه على أبدان والجزاء على الله
والقصاص قريب ولكن والله يا حاج يا شاهين انا مظلوم والله ولا لى ذنب أبداً ولكن
يا شاهين وعلى الحقيقة هذا الرجل راح مغرور وغرة هذا المؤذى أبلّيس زمانه وهو
والله عاقبته مشومه فبينما السلطان كذلك وعثمان طالع يقول يا ليل

عن العدي أننا متنا ولا متنا وتصلحو افي الفرح بطول غيبتنا
أن أذن الله ورحنا لعادتنا ومنقم الدم تأخذ غنيمتنا
(قال الراوي) فقال الملك الصالح أهلاً وسهلاً بالاسطي عثمان ابن الحبله
قال عثمان لا أهلاً ولا سهلاً يا بوجوطه يا خساره الترييه لم طمرت وكثرت
الاذيات ولكن يا بوجوطه جرى أيه بينك وبين سيدى لما كتبت
هذا الكتاب الى خضر البحيرى وأرسلت تأمره بقتل شعبان الكردي
وبقتلنا وقتل حامل الجواب لما أنت زعلان على سيدى ما عندك أحد يقتله
مفشش الا الكردي في خضر البحيرى وأن كان سيدى عليه ذنب شعبان
الكردي عمل أيه وأيضاً السيار عمل أيه قال الصالح أنا يا عثمان لا وعزة

الربوبية ونزبة حبيب النجار لا كتبت هذا الكتاب ابداً فقال عثمان الكتاب
 هاهو معي الذي أخذه سيدي من خضر البحيري قبل موته ثم ان عثمان
 اخرج الكتاب فأخذه الملك وناولوه للقاضي وقال له اقرأ الكتاب وسمعي
 انا والعسكر لاجل ما يقال كل انسان يستلم كتابه يمينه ياما في القيامة
 تفضح ناس فأخذ القاضي الكتاب وقرأه واذا هو ما قد جرى وتقدم
 ذكره من خصوص قتل كاشف الجيزة وارسال بيرس وقتل حامل الجواب
 فقال الملك الصالح والله العظيم ما كتبت ولا اذنت ولا علمت بأصله ومطلق
 هذا الكتاب لأعلم به ابداً ولكن أسأل الله العظيم رب العرش العظيم كل
 من كتب هذا الكتاب بيده لا يميته الله الا على ملة الكفر مقطوع على عريه
 محروق بحري الكلاب قول آمين يا قاضي قال آمين آمين قال الملك
 الصالح أسأل الله العظيم كل من كان حاضر كتابة هذا الكتاب ويعلمه لا يميته
 ربنا الا قتيل من يد امرأة في حمام قول آمين يا ابيك قال ابيك آمين فتقبل
 الله سبحانه وتعالى دعاء الملك الصالح (ياساده) ثم ان الملك الصالح التفت الي
 عثمان وقال له اخبرني بما جرى فاخبره عثمان بما جرى تفصيلا بالحرف
 الواحد من أول الامر الى اخره كيف انسرفت الخيل واحكى لبيرس
 وجرى ورائه وجرى عثمان واجتمعوا على علي الخيري وراحوا الي نجع خضر
 البحيري والغازية وموت خضر البحيري وجماعته وجبت لك يا بواجوطه
 رؤسهم ثم صالح عثمان على حاملين الرؤس وطلعوا بهم الى الديوان فقال الملك والله
 لا منصور وعدوه مقهور قال عثمان منصور قهراً عنك والقاضي وانا جيت الرؤس
 هؤلاء من الجيزة ورايح بهم الى فين ثم أمر الرجال فارموا الرؤس الى باب
 الديوان والبعض في وسط الديوان قال الملك يا عثمان روح لسيدك سلم عليه
 يقل له سنتك فرغت تعالي بقي الى الديوان حتى ان الله برزقك بمنصب غير هذا
 ولكن ولا يتك الجيزة مادامت تحت أمرك تولى عليها من تشاء من تحت يدك

واحضر الي الديوان سرياً قال اكتب له مكتوب وترسل انت تعلمه وانا
 مالى قال السلطان اكتب له ياوزير مكتوب فعند ذلك كتب الوزير الذي
 تعلم به الدوثلى الامير بيبرس انى مولانا الملك يأمرك ان تولى على اقليم الجيزة
 من تشاء تحت أمرك وتحضر انت الى الديوان فان الامر لازم لحضورك
 والسلام وسلم الكتاب الى عثمان فاخذه وتوجه الى سيده يعطيه الكتاب
 وأما الملك الصالح فانه أمر بدفن الرأس والتفت الى ايبك والقاضي وقال
 لهم ان الامير بيبرس نصر الاسلام بإزالة هؤلاء العرب من طريق
 المسلمين وانت ياوزير ايبك وانت يا قاضى واجب عليكم ان تساعدوه قال
 القاضي وايش الذي تفعل حتى تساعدوه فقال الملك خذوا هذه الرووس
 ادفنوها فقالوا ممما وطاعة ولكن ايبك كادت روحه ان تخرج من
 بين جنبيه من الغيظ فنهض القاضي وايبك واحضروا مقاطف وقد وضموها
 الروس بأيديهم في المقاطف وشيلوا خدامهم وزلوا بهم من الديوان الى
 قبور الرميله هذا ما كان من هؤلاء ياساده واما ما كان من عثمان فانه سار
 الى سيده واخبره بما جرى من الملك الصالح وانه يأمرك بالمسير الى عنده
 بموجب هذا الكتاب الذى اعطانى اياه الوزير فقال بيبرس على الرأس والعين
 ثم ان بيبرس احضر على الخيبرى ولبسه والى على الجيزة ويكون حفظ البلاد
 وغفر الاقاليم كله عليه ولبس مملوك من ممالিকে وجعله كاشف واوصاه
 بالعدل والانصاف وترك الجور والاسراف وتوجه الامير بيبرس قاصداً مصر
 حكم ما امر السلطان وما زال سائر حتى انه وصل الى بيته وهو بيت ابن باديس
 السبكي يقع له كلام (قال الراوي) واما ماجري من أمر المعز ايبك التركمانى
 فانه التفت الى القاضي وهو فى الديوان وقال له يا قاضى لازم اليله هذه تأتى
 الى عندنا فقال القاضي وهو كذلك ياوزير ولما كان فى آخر النهار اجتمع القاضي
 وايبك فى بيت ايبك قال ايبك يا قاضى انت ضيعت مالى وانت تقول عليك مثلها

لما ما بقي عندنا شيء وكله أخذ بهيرس وانت كل ما تعمل تدير يطلع وبيرس يأخذ الاموال فقال القاضي مالك لم يضع منه شيء ابداً بل انه في قرار مكين يا ابو احمد فقال ابيك اعمل تدير يكون مبيع لاجل بهيرس ممت قائم القاضي وهو كذلك يا ابو احمد ثم ان القاضي قال له بنا الى الجنينة فدخلوا الاثنين وطلع القاضي على بير الساقية وايبك يدفع الساقية والقاضي احضر الورق والدوايه وصار يكتب وايبك يدور الساقية وكلما ينهز القاضي من فوق الساقية ينقطع الخط حتى صارت الحروف والكتابه مثل كتابة الملك الصالح لان يد السلطان كانت ترتعش في الكتابة ولما كتب الكتاب جعل يقرؤه على ايبك واذا فيه خطاب من أمير المؤمنين الملك الصالح الى ابن اياضي شيخ العرب نجم البحيري اعلم اننا طلع عندنا غلام عاصي علينا ونريد ان نعمل على موته فخال وصول جوابنا اليك تقتل الحامل لاجل ان يكون السر بينك وبيننا مكتوم وتزل على المحلة ليلا وتقتل كاشف الغريبه وهو حسان الكردي وتنهب الوارد على المحلة حتي ان أهل البلد يأتوا الينا بالاخبار ارسل لك هذا المملوك وهو اسمه بهيرس خال وصوله الى المحلة تقتله وفي نظير ذلك فاني أعطى لك الغريبه واقلبيها أقطاع بلامال وهذا الجواب سنداً علينا بذلك فاحفظه والسلام فلما سمع ايبك ذلك الكتاب قال له يا قاضي هذا تدير عظيم قال القاضي هذه افعال تعجز عنها صناديد الرجال ولكن اذا صح فكم من تدير مثله والله تعالى بحميه ثم قال القاضي اثبتني بمملوك من عندك تكون مستغنى عنه قال ممما وطاعه ثم انه اتاه بمملوك فقال له خذ هذا الكتاب ومريه الى الغريبه بجهة المحلة الكبرى لسأل عن نجم شيخ العرب نجم البحيري من عرب البحيري فاذا عرفته سر اليه واعطه الكتاب ونظير ذلك انت حر لوجه الله تعالى والذي يطيه لك نجم الدين البحيري فانه يكفيك بقية صمرك والسلام فلما سمع المملوك هذا الكلام طار عقله من شدة الفرح

والاستبشار وقال له مممماً وطاعة ثم أنه أخذ الكتاب وسار ولو كان له أجنحة
لطار ولم يزل سائر وهو في غاية الاجتهاد ولم يعلم ما قضاه عليه رب العباد الى أن
وصل الى المحلة وسأل على نجم شيخ العرب نجم الدين البحيري فارشده
اليه ولما وصل الى نجم العرب وسأل عن بيت الشيخ نجم البحيري فقدموه اليه
عنده فرآه جالساً بهيئة الخروء وكبرفرعون فلما مثل بين يديه وسلم عليه ودعا
له ولقومه فلم يعرفوا معنى الدعا فإشار عليهم بالكتاب فأخذه نجم البحيري
وأحضر واحد من المحلة يعرف بقرأ فقرأ له بينهما وبعد ما قرأ قال له أصحها
تتفاوت بهذا الكلام قال مممماً وطاعة يا شيخ العوب ولما عرف مضمون الكتاب
حط يده على سيفه وضرب المملوك جملة نصفين فوقع الى الارض قتيل وفي
دماءه جديل وراح هذا الى رحمة الله شهيد ولم يقدر أحد ان يسأله عن سبب
ذلك من جماعته لشدة سطوته ولم يزل ضابر الى الليلة الا تيه ثانی ليله ونزل
ليلاً على الامير حسان الكردي وقتله واقام في دار الوسية ليلاً وقامت به اولاد
الزنا ولما طلع النهار ضرب السيف في كل من حضر من جماعة حسان الكردي
فمنهم من مات بالسيف ومنهم من هرب ومنهم من التجأ الى بيوت أهل المحلة
وأما شيخ العرب نجم البحيري فانه نادي في المحلة وقال يا معشر الناس أنا
شيخ العرب نجم الدين البحيري وهذه الغريبة كلها بلادي ومن الآن وصاعد
لا يكون لكم حاكم ولا كاشف الا انا فبيموا واشتروا حكم ما كنتم اولاً ولا
لكم بأس وأما فاشفكم التقديم خذوه وقدموه الى الملك الصالح وقولوا له هذا
شعبان الكردي والذي قتله نجم البحيري (قال راوي) فلما سمعوا أهل المحلة
ذلك الكلام قالوا لبعضهم اما هذه جسارة لم يقدر أحد على مثلها ولكن حيث
ان الامر كذلك احنا نأخذ هذا الكاشف المقتول ونمضى به الى مصر
وتقدمه الى الملك الصالح وان سألنا نخبره بصورة الواقع ثم ان أهله المحلة
أحضروا تابوت ووضعوا الكاشف المقتول فيه وارسلوا أحضرُوا الكابر

ولاية الغربية وقد أعلموهم وزلوا من سمنود وداموا في البحر الى ان طلوعوا
على بولاق وقد طلوعوا من البحر ورفعوا التابوت على أعناقهم وساروا طالبين
الديوان هذا ما جري لهؤلاء (ياساده) وأما ما كان من أمر الملك الصالح
ايوب فانه بات وأصبح مثلك يأمؤمن يصلى على نبي في كفه الحصا صبح دخلت
له الاغوات أعلموه ان الديوان تكامل ثم أنه قام يتوكأ على قضيب خيزران حتى
أقبل الى الديوان فأبدي على المساكر فنهضوا له قيام وردوا عليه بالفريضة
الشرعية تحية السلام فبسط أيديه وقرأ الفاتحة أم الكتاب واهدي نوابها الى
ضامن جملة العاجزين والعاوزين ثم الى روح من مضى من الملوك السالفين ومن
يتولي بعده حملته على تخته ثم ان السلطان بعد ذلك جلس على كرسي السلطنة
واحدت رجاله بين أيديه ومن عادته الوقوف وقف ومن عادته الجلوس جلس
وتكامل الديوان ثم قرأ القاريء وختم ودعى الداعي وختم ورقى الرافى وختم آمنت
المساكر وصاح شاويش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يهرب القوت يقول
لا تدعى بالممالك أو تقول لى ملك من حى سلطان ومالك راح وفات الملك
من ادعى الكبر هالك في محور الهلك والبين سد مسالك لو كانت سلك
(قال الراوى) قال السلطان آمنا والله أطمنا ومن أين كنا حتى اتصلنا
سبحان الدائم على الدوام وهو الله لا اله الا هو الملك العلام يا جاج شاهين
هؤلاء الذين ماتوا كذلك ماتوا شهداء منهم للجنان واما الذين يموتوا فيهم
فانهم من أهل النار اللهم اكفنا سوء فريق في الجنة وفريق في السعير
والله كذاب وانا لا أمرت ولا حكمت فقال الاغا شاهين بس قل لى الخبر
قال الخواص يقول لى أنت عليك كتاب هؤلاء يا شاهين أهل الكتاب مفهومين
يعرفهم اصحاب البصائر ولكن أن الله حلیم ستار وقال تعالى (قل موتوا
بفيظكم أن الله عليم بذات الصدور) أن هذه آجال تدانت أيامها ولكل
أجل كتاب بينها الملك يهتف بهذا الكلام والوزير يتعجب واذا بباب الديوان

استند والستار احتجب وعمد الغريبة طالعين والتابوت قدامهم وهم من خلفه يقولون نعم يا أمير المؤمنين قال الصالح ما لكم يا ناس فقالوا له يمشي رأس مولانا السلطان قال الصالح في من قالوا له في الأمير حسان الكردي كاشف الغريبة قال وما تدفنوه خايبينه هنا لاى شئ قالوا له لانه مقتول قال ومن قتله قالوا يا أمير المؤمنين هجم عليه نجم البحيري شيخ عرب البحيرة وذبحه في فرشه ووضع السيف في ثوابه قتلهم وهب دوار الوسية ونهب المحلة وبعد ذلك قال أن الغريبة كلها صارت له ولاله فيها معارض يعارضه وقال لنا خذوا التكشف المقتول ودوه للسلطان قال الملك يا سلام ولكن يا جماعة هذا ابن عمي على كل حال روحوا غسلوه وكفنوه وادفنوه اتوكل به يا حاج شاهين قال ممعا وطاعة وحالا أرسل حضرة الحانوتيه غسلوه وكفنوه وواروه التراب رحمه الله جل من لا يموت (قال الراوى) وبعد ذلك قال السلطان بقى يا شاهين الرجل نجم الذي أخذ الغريبة وقعد على كرسى المحلة بخاطره يا شاهين الملك لله قال الوزير ياملك ترسل من يأخذ منه بالنار ويحلى العار ويخلص منه كرسى الولاية هذه الغريبة أقليم واسع فلا تقوته لواحد بدوي أيش يمي قال السلطان يا حاج شاهين ما هي باليد كل من أخذ شيئاً فهو له قال الوزير هذا لا يصح أننا نخلي أقليم الغريبة من غير كاشف قال الملك واحنا عندنا كاشف منين للغريبة قال الوزير عندنا الامرنولي أي واحد كان ينزل ويخلص البلاد من العرب ويقتل هذا الطاغى فعند ذلك تحرك القاضي من مكانه وتزحزح وهز رأسه وتنضح وجنح طيلسانه وفتح فاه ونبح وقال دستور يا أمير المؤمنين أتأذن لى أنكلم كلمة حسنة ليست بسيئة قط قال الملك تكلم يا قاضى أما أنت ما عندك الا السيئة قل حتى نسمع قال القاضي ان هذا أقليم الغريبة فهو أقليم مشهور ولا ينفع له الا حاكم جهور حتى يخلصه من العرب ويقتل هذا البدوي الفدور فانه لا يصلح في هذه الامور الا رجل علي

جميع النايبات صبور وهو الامير بيبرس الذي نجمه قد علا وارقتى ورد اعداءه
 بالخذلة والبؤس والشقا الذي أيده الله بالنصر والنجاح والعز والفلاح وشمس
 معده بتللا على وجهه كالمصباح فان اراد مولانا السلطان يخذل به الاعد على
 طول المدى والافراى مولانا السلطان الملك اعلى وأولى فقال السلطان صدقت
 يا قاضى ولكن بيبرس رجل فقير الحال وهذه الغريبة واسعة عليه ومي تحب
 المال والقدرة فقال القاضي أنا يا ملك أساعده أنا والوزير ايبك أنا أدفع له من
 مالي وصلب حالى خمسين كيسا وثمان خمسين جواد وثمان خمسين مملوك وعليك يا
 وزير ايبك مثلها قال ايبك يا قاضى اذا كان بيبرس يعمل كاشف في غريبة احنا
 نخط مثلها قال القاضي يبقى لوجه الله قال ايبك يا قاضى فلوس متاعنا تروح
 قال القاضي فى قرار مبكىن وأنا ضامن لك مالك لم يضع منه شيء أبداً قوم
 يا شيخ منصور هات من بيتى هذه الدراهم فذهب منصور أحضر المالك وكذلك
 ايبك احضر لهم الدراهم وصار فى مستودع السلطنة وبمدها قال الملك يا حاج
 شاهين اطلب لنا الامير بيبرس فقال له سمعاً وطاعة وأرسل فى باجل الحال
 الى الامير بيبرس مملوكاً من طرفه فلما وصل الى بيت الامير بيبرس قبل يده
 وسلم عليه كان الامير بيبرس فى ذلك الايام قادم من الجيزة ولم يعلم بشيء مما
 فى الديوان ولما حضر له الرسول من الوزير قام وركب وطلع الى الديوان ووقف
 على رخامة الطلب ودعى للسلطان بدوام العز على طول الزمان (ياساده) فقال
 السلطان تعالي يا سيدى بيبرس أهلم يا ولدى ان الامر قد احتاج لنصرة
 الاسلام فانه قد ظهر رجل خارجى وطرح سره علينا وقتل كاشف الغريبة
 وكان من الاكراد التوكلين على الله وكان هذا بواسطه اهل السوء ولكن
 لكل أجل كتاب وهذا شيء بقضاء الله وقدرته وحضرة القاضي والوزير
 ايبك اختاروا ان تكون أنت كاشف على الغريبة كما كنت كاشف وتبقى
 الغريبة بلادك والجيزة بلادك ودفع القاضي وايبك مائة كيس ومائة مملوك

ومائه حصان فاترى تأخذهم وتروح او تأخذهم ولا تروح وترسل واحد غيرك
قال الامير بيبرس ياملك كيف افي ما اروح اعلم ان خدمتك على فرض كشل
الصلاة والصوم ولا سيما ان كان ازالة غم عن المؤمنين اروح ياملك الاسلام
قال الملك ياشاهين لبسه كاشف الغريبة واعطى له الكرك شمسيت ذهب
لاجل ما أشوفه انا وافرح به وهو الآخر يفرح بشبابه فعند ذلك غاب وعاد
الخزندار ووضع قدام الوزير كرك باربع كوش ولربيع شمسيت من الذهب فقام
الوزير ووضع ذلك الكرك على اكتاف بيبرس وقال له انت كاشف الغريبة ثم
أمر شاوليش الديوان ينادى له بالكشوفيه على أقليم الغريبة وقبل بد السلطان
وكذلك قبل يد الوزير فقال القاضي نهارك مبارك فقال الامير بيبرس ان شاء
الله مبارك قال الملك يا قاضي هذا مقصودك يا بيبرس انت منصور. ويد وطلع
الامير بيبرس من باب الديوان فالتقاء عثمان فقال له شايفك مقفطن اياك
مشد تراب قال بيبرس يا عثمان تراب ايه قال آمال أفا كلاب قال بيبرس
يا عثمان انا لبست كاشف الغريبة قال عثمان ياسلام كل ماتعلا وتقور
عثمان بوطى ويفور انا ما أخذمك الا اذا كنت قائمقام قال بيبرس اوليتك
قائمقام فنزل عثمان فرحان يجهز في أحواله ويتوجه الى المحلة (قال الراوي) وأما
الامير بيبرس فانه أحضر جماعة النحاسين وأمرهم ان يصطنعوا له عدد من
النحاس الطبل يكون اذا ضرب عليه يسمع من بعيد فأصطنعوا له عشرة أجواز
تقاير وسلموهم الى الرحالة الضالين وبمد ذلك أمر الفراشين ان يطلعوا صيوان
سرجبول المهرى فحملوه على الجمال واعرض مماليكه فكان عنده ما يزيد عن
الستائة مملوك فأمر منهم أربمائه أن يحضروا على خيولهم واسلحتهم وكذلك
الاثنين المقادم الفداويه وهم سقر اللوالى وسقر الهجان وظهر الامير في
عرض لانظير له وبرز أول ليله في شهره وأصبح راكب قاصد المحلة يقع له
كلام (ياساده) وأما كان من الاسطى عثمان فانه ما توجه الى بلد من بلاد

لا في موكب سياسي الى ان وصل الى المحلة وكما وصل الى بلد من بلاد الغريبه
 يخرج أهلها يقابلوه قيامر عثمان ان يحط في رقة الشيخ الطوق الحديد ويأخذه
 معه الي ان أخذ من طريقه ما يزيد عن عشرين شيخا ولما وصل وزل في دار
 الوسية وأمر باحضار المشائخ الى بين يديه فلما حضروا ضرب كل واحد
 عشرين كرابج وقال احبسوهم فحبسوهم ففالت أولاد المحلة هذا ماكم جبار
 هذا الذي يخلص الحقوق من الممالطين (ياساده) واعجب ماوقع وأغرب
 ما اتفق ان رحلا معلم قاش له عند رجل مريح الف فضة مكسور فيهم له
 فقال انا أروح الكاشف الجديد وأطلب منه ان يخلص لي حتى ولو يبعه
 خاموسه ويعطيني حتى منها ثم انه دخل على عثمان وقال له يا كاشف انا لي عند
 واحد مال وأريد أنك ترسل تحضره لي وتخلص حتى منه قال عثمان طيب
 روح يا عقيرب احضره فراح الرجل وصحبته عقيرب الي شارع المحلة
 فرأى الرجل فاعد على باب الله فقال هذا هو الرجل فأخذه عقيرب وقدمه
 الى بين ايادي الكاشف قال عثمان يا شيخ اعطى الرجل هذا ماله الذي له عندك
 فقال له الرجل يا كاشف انا في عرضك انك تسمع دعوتي بما يرضى الله قال
 عثمان بس قول قال هو له عندى الف فضة ولكن مقسطهم على كل جمعه
 قرش أقوم أدور طول الجمعه ابيع واشترى وادبروا قطع من قوتي لما اجمع له في
 يوم الجمعه القرش وأجى أدور عليه فما القاه يكون قاتنى السراحه طول النهار
 وانا أدور عليه لم القاه أقوم آخر النهار اضيع القرش على نفسي وعيالى وهذا
 الحال حالى لو كان له محصل مخصوص كنت أحيى كل يوم المغرب اعطيه خمسة لما
 يخلص قال عثمان الحق بيدك دخلوا صاحب الدين الجبس وانت يا رجل روح
 لحالك وكل يوم تما لي المغرب اعطى له خمسة فضة والسلام ووضع صاحب الدين
 في الحاصل وفي ثاني الايام قعد وقال هاتولى مشائخ المحلة واذا بنقاير
 وممالك على ظهو الخيل وموكب وباشات ووصل الخبر الى عثمان قال عثمان

أتمزنا يا سلام يا عرس ولما دخل الأمير على المحلة ارتجت البلد لقدومه وبقي
له هيبة عظيمة وبعد ما قعد لا أحد جاء إليه ولا أحد راح للمغرب وإذا بالرجل
جاء ووقف ونادى على صاحب الدين وقال له خذ الخمسة يا عم هذه أول يوم
قال الدولاتي الخبر ايه تمالى يا رجل فتقدم قال له أنت ايه فاحكا له العبرة
قال بيبرس طلعموا الرجل فطلعموه وقال له روح يا شيخ أنت كم عليك قال ياسيدي
ألف فضة فقال ليلة الخميس ابقى هاتهم هنا لعتان الاربعين فضة وعتمان يعطيهم
له قال عتمان اعطيهم له أنت والسلام قال الدولاتي طيب روح يا شيخ خلاص
هو صاحب الدين كان محبوس قال عتمان ما فيه الا المشايخ فمئذ ذلك أمر
بإطلاقهم وقال لعتان لأي شيء حبسهم يا عتمان قال عتمان لاجل انهم يخافوا
منك ويحسبوا حسابك ويطيعوا أمرك ويحببوا خطابك وكان الامير وهو جاي
كل ما يفوت على بلديسأل على مشايخها فيقولون له أخذهم المسلم هذا وقد قال له
سيبهم يا عتمان ثم قال لهم اعملوا يا مشايخ انه ما فعل معكم هذه الفعلة الا
لاجل انكم تبينوني وتكونوا معي على قتل الاعداء قالوا له نحن خدامك وبين
يديك فرح بهم وأنعم عليهم وجعل منهم اثنين رؤوس على الاقليم ومن
تحتهم أربعة نظار وجعل كل ناظر على قسم وجعل ثمانية قائمقام كل اثنين تحت
يد ناظر ومن تحتهم المشايخ ومن تحت المشايخ المشدين وبعد ذلك نزل وضار
يشق أراضي المحلة فرأى النساء من أهلها الحرمه تمشى ومعها أربعة جدعان أو
خمس فقال بيبرس يا عتمان ايه قال عتمان هذه مادتهم فانهم أهل فسق وضلال والدليل
على ذلك مشيهم وهم يتباهوا في هذه الزينة وهذه عادة أهل هذه البلاد وبعد ذلك
نظر بيبرس الى معديه يمدون منها الرجال والنساء وإذا برجل أقبل وتجر من ثيابه
حتى بانت سوائتاه وكذلك المرأة وربما قابلوا بعضهما في المياه فلما نظر الأمير
الى ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقال يا عتمان ارسل من
ينادي في المحلة بعدم خروج النساء وعدم نزولهم الى هذه المعديه مع الرجال

بل يكونوا النساء دور والرجال دور قال عثمان أنت تخرج على النساء فقال له
 يا عثمان هذا أمر لا يرضى به الله عز وجل فلما صارت المنادات أرادوا أن يرحلوا
 من المحلة فرأى ذلك الأمير بيبرس فسأل عن ذلك فقالوا له أهل البلد ان الناس
 يريدون محلا غير هذا يرحلون اليه فانك خرجت عليهم في المشي والتمدد
 وهذه عادتهم ولا يمكن قطع رجلهم من تلك المسير والمروور وأنت خرجت
 عليهم وهذا شيء لا بد منه فقال لهم أمان خصوص أنهم يروموا أن يذهبوا
 فهذا علي أنا حرام اذا كانتوا الناس بسبب يرحلوا من أماكنهم وأفعالهم التي
 يفعلوها حرام فقالوا له أهل البلد اذا كان ولا بك فابني لهم قنطرة علي هذه
 التربة يمشون من فوقها فقال الأمير بيبرس ان شاء الله وقدرني ربي بنيت
 قنطرها ولكن اذا أعانني الله على عدوى نجم الدين البحري وقتله لا بد أن
 أبني قنطرها ثمشي عليها الناس ان شاء الله قال عثمان أصحاب الارض ما يرضوا
 بذلك قال بيبرس لا شيء قال له سوف ترى فقال له مالك به من حاجة
 قال الراوى ولما استقر بالامير الجلوس وأقام ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع
 دخل عليه المشد وقال له يا أمير ابث معي أحد من طرفك حتى أملك الموائد
 والقدم بتاع الكاشف فقال الأمير بيبرس سر يا عثمان معه ولم يعلم الأمير
 ما معنى ذلك (يا سادة) ولما سار معه عثمان أقبل على رجل خضري وكان
 ذلك الرجل أصله من أرض مصر وتزوج بامرأة ولد منها ثلاثة أولاد
 وضاق به الامر وافتقر فأخذها وسار بها من بلد الى بلد ومن مكان الى
 مكان الى أن أتى الى المحلة فأخذ له دكان وحن الله عليه بمبلغ سبتين فضه
 فأخذ عدس وزر وملح وبصل وجمل يبيع ويشترى لاجل عياله فلما
 وضع ذلك الاشياء عنده جلس في دكانه وهو يقول يا فتاح يا عليم واذا
 بالمشد مقبل عليه ومعه عثمان بن الحبله هذا وقد قال له المشد هات
 القدم متاع الكشوفية فقال له يا أخي أنا مامى شيء أبدا وللآن على فيض

الله تعالى نصر الى غيرى حتى يرزقني الله تعالى ولما ترجع أعطيك القدوم فعند
 ذلك انفاظ المشد منه وضربه كف على وجهه وقال له هات القدوم يا كلب
 فعند ذلك بكى الرجل بكاء شديدا ما عليه من مزيد وقال له القدوم كم قال له
 المشد عشرين فضة فقال له أنا وعيالي أحق بهم تغطر بهم أنا وأولادي ولكن
 خذ هذه خمسة ان شاء الله نشتري بها كفن للكاشف الجديد والخمسة الثانية
 تعطيا للعانوني والمفصل والخمسة الثالثة أجرة الفقهاء وأولاد الكتاب والرابعة
 أجرة الترية فلما أخذهم أراد أن يعطيهم لعتان قال عتمان خليمم مملك في
 يدك تعطيمهم الى الكاشف فقال المشد سر بنا لما نلم بقية القدوم قال عتمان
 لما نودى اليي جبناه وزجع نلم الباقي ثم أن عتمان أخذ المشد وأخذ الرجل
 وعياله وسار بالجميع الى عند الامير بيبرس وقال له أنا أقول لك أنت رجل
 ظالم أظلم أهل الارض تقول أنا عادل اسمع هذه الدعوى ثم قدم اليه المشد
 وقال له اعطيه خمسة فلما ناوله أول خمسة قال له قل كما قال ذلك الرجل
 لاجل أن يسمع الكاشف والا أضربك قال له هذه حق الكفن قال
 عتمان بتاع مين قال بتاع الكاشف الجديد والخمسة الثانية قال أجرة
 المفصل والحانوني ثم انه حسب له كل الحسبه فقال الامير بيبرس من الذي
 قال هذا الكلام قال له هذا الرجل قال فالتفت الامير الى الرجل وقال له
 لاى شيء قلت كذا يا شيخ فقال يا سيدي أنا رجل غريب وفقير الحال
 ومعي ثلاثة من العيال وأنا رأس مالي كله ستين فضة واحكى لبيبرس على
 قضيته وفقره وغربته وعياله واحكى حكايته من الابتداء الى الانتهاء
 فلما سمع بيبرس ذلك الكلام قل لا حول ولا قوة الا بالله العلي
 العظيم والله ما أعرف القدوم ولا سمعته الا هنا ولكن نادى يا عتمان
 القدوم بطل وكل من أخذه ملعون ابن ملعون ثم أن الامير أعطا الرجل
 كيس فيه ألف دينار وقال له سامحني يا أبى وادعي لي فدمى له بقلب فرحان

واراد الرجل ان ينزل فقال له عثمان اصبر حتى نعطى المشد الكف الذي أعطاه
لك ثم انه قدم المشدين ايديه وضربه قلم يساوى رطل ذهب ونزل الرجل الى حال
سبيله فهذا ما كان منه واما المشد فان عثمان قال له وحق المبرقة في مقامها ان
أقت في الحلة لابد أن أخل الكاشف بصلبك على البوابة فعندها أخذ عياله وارتحل
من الحلة الى سمند (قال الراوي) واستقام بيبرس في الحلة مدة عشرة أيام فلما
كان في اليوم الحادي عشر واصبح واذا به نظر الى عثمان وهو داخل عليه
ولكنه على غير الاستوى فقال الامير مالك يا عثمان قال عثمان انا خائف أقول
لك تقوم تفضل تقول لي دسيتهم في عينك وبطنك قال بيبرس بس قول خبر
ايه قال له الخيل السرقت كلها ولا بقي عندنا ولا حصان وبقيت انا أخدمك على
ايه أما المالك خليفهم عندهم وأما الذي راح فهم الركائب بتوعك وانت فقط ولا
بقي لك حصان تركبه ولما ما بقي عندك خيل فخدمك على ايه فقال بيبرس اخبرني
اولا هل تري كنت في أي مكان أنت والسياس يا عثمان قال عثمان أنا أحكي لك انا
كنت نائم لكن صاحي لم أخذن نوم فدخلوا على جماعة وثقبوا حيلة الاصطبل
وصاروا يطلعوا الخيل واحداً بعد واحد وانا انظر لهم ولا أقدر أن أحدث خوفا
لا يقتلوني ثم لما أخذوا الجميع ساروا ولم يقولوا خاطرك يا أسطي ما قالوها ولا خافوا
لامنك ولا مني فلما سمع بيبرس ذلك الكلام صار الضياء في وجهه ظلام وقال له
ما أحد ضيع الخيل الا أنت يا عثمان لانك لو كنت أقت الصباح كنت انا أدركك قال
عثمان انا خفت لا يقتلون فقال بيبرس انا ما ازم خيلي الا منك قال عثمان وانا أعمل
ايه أسرق لك غيرهم من الناس قال الامير هذا حرام قال عثمان وانا أعمل ايه
سربنا تدور لعل وعسى تنظر أحد نسأله عنهم فقال بيبرس نسأل من يا عثمان وهذه
أفعالك كلها خلط في خلط قال عثمان افتش أنا وسبيه عثمان ومشى فانما بيبرس وقال
له راجع فين يا عثمان قال عثمان راجع نعمل ايه لا عندك خيل ولا بقيت

أخدمك وتركه وشى قتيبه الأمير بيرس ولكن بقيظ ولم يزل عثمان يجري
والأمير وراءه الى أن وجد شياطين البحر بعد ما قطعوا مسافة بعيدة عن الحلة
فوقف عثمان وقال له ايش عاوز منى يا جندي هو أنا ضيعت خيلك عامد قصدك
تقبضنى وبكى عثمان فوقف بيرس جنب عثمان واخذته الرأفة عليه فتأمل بيرس
واذا برجل قالع ملابسه على شاطئ البحر ونزل فيه وقال انت تعلم يارب انى
تضايقت وهذه آخر عيشنى في الدنيا

هى نفسى ظلمتها ظلمتني فأنا الآن ظالم مظلوم
حكم ربى بالقضاء كيف ان ربى قضاءه محتوم
(ياسادة) وبعد ذلك أرمى نفسه فى البحر ولكن هو يعرف يعوم ولما ضاق
عليه نفسه لطلوع روحه ما هانت عليه نفسه فطلع الى البر وبكى وقال
يا أخا الحزم قد تحير أمرى فى أمور على الخليفة تجري
بين عمرو وثمة ضل فكري لست أدري ولا المنجم يدري
قال الراوى وبعد ذلك أرمى روحه فى البحر قال الأمير بيرس يا عثمان قال
نعم قال هات هذا الرجل وأما الخيل ربنا يخلف علينا بغيرهم فقرح عثمان وجرد ثيابه ونزل
جابه من قلب البحر ولما بقى معه على البر قال له عثمان رايح تفرق نفسك على
ايه قال له وانت مالك قال عثمان عليك دين قال له وما يخصك به فعند ذلك جذبته
عثمان واوقفه قدام بيرس فقال له بيرس يا جدد على ايه تقتل نفسك فقال له
ياسيدى من الزمان وتقلبه وانا استحق هذا والشدة

عجبت من الدنيا لنصرة ظلم وتدفعت مظلوم وكيد كريم
واعجب من هذا وذاك وهذه رأيت كريما تحت ظل لئيم
ياساده يا كرام ثم قال ياسيدى انالى حكاية خبر لو كتبت بالابر على أوراق الشجر
لكانت عبرة لمن اعتبر فقال الأمير سمعنى حكايتك قال حق ثروق ذهنك وتلقى سمعك
وتكثر من الصلاة على سيدنا محمد قال بيرس اللهم صل وسلم عليه فقال ياسيدى انا اسمى
محمد الكامل الهيجان وانا اصلى من بلاد العجم ومملكتنا اسمها خوارزم المعجم

وملكنا يقال له شاه حك وإبى عبد القان وصنمته هجان واسمه كامل المهيمن
 وأنه عند القان معظم مكرم وأن هذا القان شاه عمك له ولدان وله بنت وابنه
 الكبير يقال له محمود وأن هذا محمود جرت عليه الأقدار السابقة في علم الله تعالى
 فالسرق من عند أبيه وهو صغير فصار يبكي عليه أبيه وأمه بطول الزمن إلى أن
 ومثلت إليهم الأخبار بأنه في مصر عند الملك الصالح أيوب ملك مصر فلما سمع
 أبوه ذلك قال لي يا محمد خذ هذه الخزانة من مال ومسر بها من أرض المعجم واشتري
 متجراً وتاجر فيه إلى أن توصل إلى مصر واستشق أخبار ولدي محمود لأنني
 قد قل جليدي وعيل صبري فإذا وقعت به في أي عمل فاشتره وادفع ثمنه ولا
 تأني إلى إلا بغير كافي من خصوص ذلك ولك عندي كلما تمني فاستلمت منه
 الخزانة الممل واشترت بها المتجر وجهزت نفسي للسفر وسرت من المعجم وما
 زلت انتقل من بلاد إلى بلاد إلى أن وصلت إلى أرض حلب فبعت مامعي
 واشترت غيرها من مدينة حلب ودخلت بها إلى هاهنا فزلت بمتاجري في خان
 وأقت فيه أبيع الذي مئى مدة شهر أو أكثر واستعرقوني أولاد المحلة
 وصاحبوني وتقرّبوا إلي في الكلام ثم أنهم سألوني عن محل إقامتي فقلت لهم
 أنا رجل غريب من بلاد المعجم وقد أتيت إلى هنا لأجل التجارة وأنا أيت
 وأقيم في مكانى هذا فقالوا لي هذا الأمر لا يتم لك فسر معنا حتى تنفج على
 عرس عندنا ولاجل أن تنظر أفراح بلادنا ونجعل لك الحظ الأوفر فقلت
 لهم سمعاً وطاعة ثم أتى سرت معهم إلى ذلك القرع فلما دخلت إلى ذلك المكان
 وجلست فينما أنا كذلك وإذا أقبلوا الغوازي من النساء وجملوا يرقصون
 ويقنون ويطربون فتأملت وإذا بينت ذات حسن وجمال وقد واعتدال كأنها
 الشمس المضيئة الطالعة بالأنوار الساطعة لها طرف تحيل وثغر أسيل وشعر طويل
 وخصر نحيل وردف ثقيل وهي تتجلا بقامة كأنها غصن بان ولها الفئات كأنها الفئات
 النزلان كما قال فيها بعض وأصفى هذه الأبيات الحسان صلوا على محمد سيد ولد عدنان

ومليحة في قدها	فاقت على ما بعدها
سلبت فؤادي مذكرات	انوار حمرة خدها
ياست ومالث كالقنا	خضعت لها حسادها
الوجه بدر كامل	وبالحاسن زادهها
والعنق عنق غزالة	قد راعها صيادها
والصدر لوح مرمر	فيه تخالف تهديها
والبطن طيات الحرير	اما ترى ما بعدها
صرة حكمت حق الزباد	والحق حقا قدها
وبينهم شيخ كبير	محكوم بين افخاذها
من زاره قال المنا	ويبلغ مراده عنكها
وان جفت عشاقها	وابتلو بمودها
فالهجر حقا قاتلي	والقن عزز قادها

(قال الراوي) محمد كامل الهيجان ياسيدي لما رأيت ذلك البنت تعلق بها قلبي وقد
احتوت على جماع عقلي ولي ولا بقيت املك نفسي وتولع في الهوى والهيمان ومن
شدة ما بي قلت يا رب انت تعلم ان النظر الى ذلك حرام ولكن وانشدت
خلقت الجمال لنا فتنه وقلت لنا يا عباد اتقون
فانت الجليل ورب الجمال وكيف عبادك ما يعشقون

(ياساده) فعند ذلك سألت الناس الذي انا جالس معهم وقلت يا خواني
ما اسم هذه البنت فقالوا لي اسمها حجيج فلما سمعت هذا الاسم جعلت
اشكوا حالي لمن يعلم بسرى وسؤالي ولما مكثت مع اولاد المجلة وانا
قاعد معهم في العرس ورقصت تلك البنت وغنت واخذت الطار وارادت ان
تلم العادات من الحاضرين فبقى الرجل منهم يرمي لها نصف فضه والاخر
يعطي رغيف من دره والاخر يعطيها بيضة دجاجه وهكذا الى ان اقبلت

الى فددت يدي الى جيبى واخرجت لها كيسا من الذهب وصبيته في قلب الطائر فلما رأت ذلك فرحت واستبشرت وقالت لى ياخواجه قلت نعم قالت لى ما اسمك قلت لى يا محمد قالت لى هذا ما هو مقامك تقعد في وسط الاخشان فقلت لها الحب يا عيونى بلانى فقالت ياسيدي انت المنا والمطلوب والرأى ياسيدي ان تروح معى الى بيتى فقلت انالم اعرف بيتك فقالت لى وانت مقيم في أى مكان فقلت لها فى الخان قالت خان التجار فقلت لها نعم فقالت انت تمضى الى محلك وانتظر مرسولى وانا ارسل خادىمى بأن بك الى عندى وأخذ كلما احتاجه منك ان كان عندك فقلت سمعا وطاعة ثم ان بعد ذلك انصرفتم من وقتى وساعتى الى الخان فينما انا كذلك ياأمير واذا بالخدمة التى لها قد اتتني واسمها عندهم الخلبوصه وقالت لى تفضل أجب سيدتى فقلت لها سمعا وطاعة ثم خرجت لها بقجة مرر كشة بالقصب وفيها بدلة تساوى مبلغ من الدراهم وناولتها اياها وقلت لها اعطى هذه البقجة الى سيدتك لاني اريد ان تابسها قدامى فقالت لى سمعا وطاعة ولكن انا الاخرى أريد أن تعطيني بدله وانا اعطيك ثمنها فقلت لها على الرأس والعين وناولتها ما طلبت واعطيتها عشرة ذهب وقلت لها اعطى العشرة ذهب الى سيدتك تكلف بهم شمع وسكر وفواكه ولحم ومثل هذه الاشياء وانت خدى ذلك الشريفى الذهب اليك فأخذت ذلك كله منى وسارت امامى وانا خلفها الى البيت فلما دخلت الى البيت قامت لى على الاقدام وتلفتني واخذتني بيدها الى صدر المكان واجاستني فلما نظرت منها ذلك طار عقلي ولا بقيت اذك لك لى ثم انها جعلت تمازحني على قدر ما اريد من المباشطة من غير خنا وهي تلعب وترقص وتغنى وتجلس على حجرى حتى هو الليل ولجئت في طمو وطرب وسكر ورقص وغير ذلك الى آخر الليل فقلت لها قد طاب النوم ودخل الوقت فقالت لى سمعا وطاعة ثم انها قامت على اقدامها واخذت بيدها كاسا وناولتني ذلك الكاس فشربته من يدها ولم اعلم ما هو ياأمير فما استقر في جوفى حتى اتانى النوم فتمت من وقتى وساعتى ولم

ازل نائم الى ان حيت على الشمس قاستيقظت من منامي فوجدت حبيجة جالسة أمامي فلما رأيته قلت لها ماهذا قالت لي ماهذا اعلم اني غلبت فيك وانا اصحيك واستيقظك من منامك واقول لك قم على حيلك وانت لم ترد على جواب فقلت لها اذا كان اليوم فات غدا يكون الاجتماع وما عليتا من الماضي فقالت لي ارسل الى بعض البديل التي تليق بمقامي فارسلت لها بدله مثلي الذي ارسلتها في اليوم الماضي وعشرة ذهب واتييت في الليلة الثانية فقامت واستقبلتني احسن استقبال واجلسني ولما طاب النوم اتيتني بكاس شرابه فنمت الى ان نضاحي النهار وقالت اصحى ياسيدي فلما افقت من منامي فرأيت حبيجة قاعدة أمامي فقلت لها قد طاب النوم فقالت لي ياسيدي انت نومك ثقل وقعدت اصحيك وانبهك فاكنت تقوم فقلت لها يكون الليلة الاثنية وهكذا مدة ثلاثة شهور فنظرت في نفسي ان المال تحرك فيه الذهبان وانا بالحب ولهان فعند ذلك قلت الي حيث الفت واملأ متعلقة يوصلها ولا يمكن ودمت على ذلك حتى لم يبق مني متاجري شيء ابدا ونظرت الى حالي وعلمت في نفسها انها قد سلبت من جميع اموالي فقالت لي يا خواجه ارسل لي خمسمائة دينار فقلت انا ما بقي مني شيء يا حبيجة فقالت لي انظر كما كان فاني محتاجة فنزلت اخيرا وبعث بدلي وبفتي وما عندي وجمعت كل ما تحصل عندي واعطيتها اياه وما بقي حيلتي شيء ابدا فروححت اخر النهار الى بيتها واذا بالباب مغلق في وجهي فطرقت الباب فبعد مدة حنت على وفتحت الباب فدخلت وقد سمعت امها تقول لها ان الخواجه ما بقت له حيلة اطرديه فعتبت عليها وقالت لها يا حبيجة يصح منك هذا بعد ان تأخذي مالي ونوالي تطاوعني امك وتركييني قالت هكذا العادة فلما سمعت منها ذلك بكيت على نفسي فلما نظرت بكائي حنت علي فقالت لي اذا كان ولا بد فاجعلك خديعي ان رضيت فقلت سمعا وطاعة ورضيت بالخدمة فقالت للفلام

وهو الخلبوس الذي كان يأخذ من الذهب ويدل قدامى ويبوس يدي قالت له خذ
 هذا عندك رهونة فاخذني من يدي ويقول اني اعلمك الخلبوسه فلما يمكن اتخلص منه
 ويلحقني الحيا والخلجل فيقوم الخلبوس ويضربني ضرب فاحش وأفت عندها الي
 أن أتاها مرجان عند شيخ العرب نجم البحري وانه حامل لهما مرجان وجامع فيه العربان
 ويروم انه بعد ما يبلغ حظه فانهم ناويين أن يقتلوا كاشف الغريبه ومن شدة محبتي في
 حبيبها كلما سارت أكون معها ونعمني الهوى والعشق وضبابه الجوى وقد بليت
 بعلة لم اجدها دروي ومن مدة ثلاثة ايام دخلت امها ورائتي اقبلها فذهبت الى نجم
 البحري ووقعت في عرضه وأمرته يقتلني فضمن لها ذلك ولما جرى ذلك كانت حبيب
 في ذلك النهار متوجه الى نجع نجم الدين البحري فلما رآني قام على بالسيف فجريت
 قدماه فلما رآني جريت قال قسا بالله يا كلب ان رأيتك في هذه الارض لاجل حلمك
 كفته فهربت ولم ارد عليه وركته وطلعت ما جاعلي وجبي ومن شغفي بالحب أدت
 الرجوع اليهم بالليل واذا قد وجدت العربان خارجين من عندهم وهم عازمين على ضلال
 ووبال فتبعتهم وهم لا يعلموني ولم يزالوا حتى دخلوا الى الاسطبل بتاع كاشف الغريبه
 الجديد وتقبوا فيه نقبا فاحشا واطلموا الخيل وهم خيول عظام ولما تبعتهم في الرحمة
 خفت ان شيخ العرب اذا وقعت عينه على يقتلني والموت مر ما صبر عليه عبد ولا حر
 وعرفت ذلك جيد فقلت في بالي ان ابحت لي على محل ابان فيه ولا واحد اعرفه بمن على
 وبأدبني عنده ومالي ضاع وما بقي لي صد رقط فجعلت الوم نفسي واناأسف على ما كان
 مني والكلف التي فدكلفتها على نفسي فسرت ابكي الي ان وصلت الى هذا المكان
 فقلت في بالي يا محمد غرق نفسك في هذا البحر وارتاح من الدنيا ونزلت ومرامى اقتل
 نفسي بالفرق وكلما يل على الماء ويضيق نفسي ارجع اطلع الي ان جاء
 صاحبك هذا اخذني اليك يا ابن الكرام وقد سألتني عن
 هذه الاحكام فاحكي لك كل ما وقع من المرام وهذه حكايتي والسلام

(قال الراوى) فلما سمع الامير بيرس ذلك الكلام قال له وانت محمد كامل الهجان تابع القان شاه جك يا قليل الادب وهل تعرف محمود بن القان الذي تذكر فيه فقال له ياسيدي امره قال له يا محمد انت العشق غير حالك انا محمود بن القان الذي انت جيت في طلبه لما سمع محمد كامل هذا الكلام فتح عينه الكرام ونظر الى الدولاتلى وا قال

الفسزال المستهزء غدا توصل من يعشق

صادف حين وصلقى جاء الفال المؤكد بالمنطق

(قال الراوى) ولما نظر محمد كامل الهجان الى وجدة الدولاتلى اعلم وتحقق ان هذا ابن سيده طار عقله فرحا ومرحا وقال ياسيدي انا نسيت الذى جرى على وان المال الذى راح مني ما يقوم بما جرى لى في هذا الوقت فاقب اعرف ان المال يفتى وانت المطلوب وانا ياسيدي اذا رجعت الى ابيك باخبار وجودك فما يسألنى على مال بل يعطيني قدره ضعاف وانشد يقول

طيف الخيال من الاحباب اذهبوا هم في ضميري واحشائي كما عهدوا

الشوق في باطني والنار موقده . والله لو فتشوا قلبي لما وجدوا

فيه سوي حبكم والله والله

اقب على بابكم استنشق الخبرا والروح تقديم والسمع والبصرا

اشكي لكم حالتي ما تكشفوا ضررا والله اشكوا أن لو يعلم به احجرا

لرق لى ورننا والله والله

(يلساده) ثم ان محمد كامل الهجان صار يقع على اقدام الدولاتلى ويقبلها فقال له الامير بيرس يا محمد المال الذي اخذته منك الفزبه فهو مالى كما تعلم ومال ابى وانت ضعفته وانا اجيبه وهذه الملعونه حجيج انا ازوجهك لك اما برضاها واما غضبا عنها لكن انت عليك تعرفني طريق هذا الطاغى نجم البحيرى فانه هو الذى اخذ خيلي ومرامه قتلى وانا مرامى قتله وقتل كل من

كان معه من العربان فقال محمد كامل هو انت يا أمير كاشف الغريبة قال نعم قال
يا سيدي أنا قد سمعت ان كاشف الغريبه اسمه الامير بيرس وانت يا سيدي
اسمك محمود قال له اسمي محمود في المعجم واسمي بيرس في العرب امشي أمامي
ثم أن الامير بيرس أخذ محمد كامل الهجان منه الى دار الكشوفية والبسه
بدلة مريحة وأمر المماليك أن يتحضرُوا ويكونوا تحت السلاح وأمر المقادِم سقر
الوالى وسقر الهجان كذلك بالاستعداد فقالوا له نحن حاضرين عند الطلب فادعى
بحر حش وقال له حضر جماعتك قال نحن كلنا حاضرين فقال عثمان وجماعتي
حاضرين عندك فقال بيرس تسيروا معي حتى اذا وصلنا الى هناك فتنفروا
وتدوروا بدوائر العرب من الجهات الاربع وكل مائة مملوك يمكن في وسطهم
أربعون من جماعة عثمان ومن جماعة حرش عشرين ولا أحد يتخالف من المماليك
ولا من السياس ولا من أولاد العرب وكونوا مستيقظين وأنا والاتين المقادِم
تكون من داخل العرب حتى أقبض على نجم البحري فاذا سمعتم التكبير فكل
من كان أمامه يدوى يقتله ولا تخلوا أحد ينفلت منكم أبداً فقالوا سمعاً وطاعة
(قال الراوى) وسار الامير كما ذكرنا ومحمد كامل الهجان يدل به في الطريق
كما وصفنا الى أن عبروا الى نجع العرب وقد ساروا يشقوا ويخترقوا العرب الى
أن وصلوا الى دار شيخ العرب نجم البحري ولما وقعت عين الامير عليه أبدأء
بالتحية وتحية العرب ما يعرفون سلام فقال له الامير العواف لما عرف أنه ليس
من أهل السلام فرد عليه شيخ العرب وقال له العوافين والطمان من جهته قلبه
وخلن أنه من بعض العربان الباديات فدأتى لمساعدته فقال له شيخ العرب نجم
البحري من انت يا جدد قال أنا شيخ العرب محمود فقال له مرحبا بك والكرامه
العواف عليك يا محمود قال محمود وانت عليك العوافي يا شيخ العرب
(قال الراوى) ولما استقر بهم الجلوس حتى رقصت البنات الغازيات وكان
سقر الوالى وسقر الهجان واقفين بالباب واعينهم ترقب الدولاني وأما الاربعائة

مملوك والمائة وستون جديج جماعة عثمان وحرش فاتهم احتاطوا بالعرب وكذلك
 الخمسة واربعين عبد الذين كانوا لتمرار كانوا صحبة الممالك شاكين السلاح
 ومستحضرين لقبض الارواح وانهم الجميع احتاطوا بالعرب كما يحتاط السواد بالبياض
 او النيل بالبلاد او الخاتم بالاصع او السوار بالمعصم (قال الراوى) ودارت حجيج
 الغازيه وهي ترقص قدام العرب الي ان مضي من الليل الثالث الاول وبعد ذلك دارت
 قلم النقوط حكم عاذتها من العرب فصار الواحد منهم يضع لها في الرق الذي بيدها بعض
 من الشعر ويقول لها خذي يا قبحه فولى مخالف الله والا حريق قول خذي يا قبحه فولى
 عنبطير وآخر يقول خذي يا قبحه ويمطيها يرضه فوجهه ويقول لها فولى زبير
 وهكذا جميع النقطة التي لمتها منهم شعر ودره ويض ولا أحد اعطاها شيئا مصورا
 ابدا حتى جاءت الى عند شيخ العرب نجم البحري وقالت له انعامك يا شيخ العرب فقال
 لها ارقى يا قبحه انعمت عليك بكيله دره قالت شوبش شيخ العرب فعند ذلك تقدمت
 الى الامير بيرس ومدت يدها بالرق فأخرج لها كيس من الذهب ووضع في الرق
 فقالت له وقد اخذها الدهش والعجب لما رأت ما اعطاها من الذهب من انت لملك
 الامير الدولاني بيرس فقال لها نعم انا فقالت له ياسيدي اعلم بان هؤلاء العربان
 ما يجمعوا الا على قتلك في هذه الليلة ان اغترسوا بك فانك انت شجرة السكرم
 وخسارة قطعها قال بيرس يا بنت مالك دعوه وانما قولى صحايف شيخ العرب ضابط
 بن رباط قالت له بقتلى قال لها لا تخافى فان الله الحافظ الناصر وعؤلاء شوية شيوخ
 عرب وبعد ساعة تجديهم ابدان بلا رؤوس ورؤس بلا ابدان واجعلهم
 كاغنام المذبح الراقدين أكثر من القيام فقالت له وانا في امانك قال لها ان
 شاء الله تعالى تجبى على يدى فعند ذلك قامت حجيج الغازيه وصاحت بملو
 صريرها تقول شوبش يا صرب على حياة ضابط بن رباط ماتت هذه الكلمه
 حتى قام شيخ العرب نجم البحري وقال ايش يا قبحه لعن الله ابوك وابو ضابط
 ورباط ما تعلمي ان هذا قال يا قاحشه وجذب حسامه وكان الامير بيرس

واقف فقالت في عرضك يادولائي فقال ارجع يايزور العرب لمن الله بدتك فلما
سمع هذه الكلمة نجم البحرى حط يده على سيفه وضرب بيرس فأخذ الضربة باللت
فانكسر سيف البدوى نصفين قضره الامير باللت على رأسه كظم الارض بحببته
فكان عثمان بجانب بيرس فقال له مكتف كون في غيره باجده فصاح بيرس الله اكبر
فجاءته القداويه والماليك والعبيد من اليمن واليسار وزاد ظلام الليل في الاعتكار
وارادت العرب اخذ الثار وجردوا كل صارم بتار واوقدت نيران الحرب واشتدت
نوايب الضرب وصار كل حين صعب وغنى بين الفريقين الحسام وزاد سواد الليل ظلام
وان الامير بيرس سلم حجيج الى محمد كامل الهيجان وقال له سير بها الى مكاني ولعب
الامير بيرس بالسيف البمانى وقطع الاعناق بعد الهندوانى وشق بضرته الصدور
والامان ذل اهل البنى واهل النفاق وقاما الحرب على قدم وساق وان الماليك
هلكوا العرب نحت السيوف الرقاق ولا تنسى فضل الاثنين المقادم الا عيان وما كانت
الا وقعة يالها من وقعة وما تنصف الليل حتى عدمو العرب جميعا وما بقى الا قليل والذى
تبقي طلب الامان وسلم بنفسه الى الاسر والهوان وساق الجميع الى المحلة واجمع
الاسرى وامر عثمان ان يفرقهم في المحلة وكانوا ثمانين أسير فشنعوهم حوالين بوابات
المحلة واحضر نجم البحرى وقال له يا كلب العرب انت لاي شيء هجمت على كشف
المحلة قتلته وتجسست على الاصطبل نعبته واخذت حيلى ايش الذى غرك
على ذلك العمل اما بلفك عنى ما عملت انا بخضر البحرى وانا كنت كاشف
الجيزة وانت ارميت روحك فقال له نجم البحرى يا أمير انا ما فعلت ذلك من
تلقاه نفسى وانما انا جاني جواب من السلطان الملك الصالح ايوب يا امرنى
بذلك فقال الامير يا كلب يعنى الملك الصالح عاجز عنى حتى ارسل اليك يستنجد
بك على قتلى ولكن هات الكتاب واذا به مكتوب فيه كما ذكرنا ولا فى
الاعاده اقاده فقال الامير بيرس وعلي موجب هذا الكتاب قتل الكاشف
وقتل حامل الجواب قال له نعم فمنذ ذلك امر الامير بنجريده من ملايسه

وعلقه من عرقوب رجله كما يعلق الجزار الشاة ثم جمع امعاء كلها عند صدره وربطها على بطنه بوطر نجادي حتى جمع الجلد على العظم وقد احضر فرد مليون ومادفون سخن وضربه بالحسام ارمي النصف التحتاني ووضع النصف العوقي على فرد الرماد ودورة في الحلة يوم كامل وهو نصف فوق الرماد بالحياة والاخر ميت والمتادى ينادى هذا جزء من يطاوع الشيطان وينجاري على الحكم ويعمل عليهم كربه فهو بصير له هذا المثال كما فعل هذا الملعون حتى قتل كلشف الغربية وحصل له ذلك المثال وبعد ذلك أمر بنهب جميع متاع العرب من جمال وخيل وحير ومعيز وبيوت شعر ولا تركوا فيهم غير النسوان فقط ونادي المتادى كل بدوى ان ظهر في الحلة أو في كل ارض الغربية التي عليها كلشف الامير بيرس لاجزائه الا ان يصب في البلد التي فيها والحاضر يعلم الغائب (قال الراوى) يا كرام وبعد ذلك جلس الامير بيرس وطلب محمد كامل الهجان وطلب جميع الغازية وقال لها يا ملمونه ابن مالى الذى اخذتني من محمد كامل الهجان قالت له يا سيدى كل مالك عندي ولا ضاع منه ولا خيط قال لها يا ملمونه كان الرجل راجع يموت على يد هذا الملعون في دم مهدور ولا اعرف طريق مالى ولا اعرف طريق الرجل وتكون مثلك بنت غازية فاحشة ملمونه تضع الناس على هواها انت تستحقى عندي ان احطك افي زكية مع كلب وارميك البحر لكن بعد ما أسألك أول علي ما يرضى الله تعالى ان خالفتيني تبقى تستحقى وان طارعتيني تكون سبقت لك السعادة باذن صاحب المشيئة والارادة اما من خصوص المال الذى لعبتني على رجل واخذتني منه فما انا قابله ولا بارك الله في المال المردود وانما انا قصدى منك تتوبى الى الله تعالى عن الزنا وغن الخنا والفساد وعلى كل من يفضب رب العباد فان من تاب تاب الله عليه وبعد التوبة أزواجك الى خادمي محمد كامل الهجان وامهرك وادفع لك المهر من عندي وأدخله عليك بعد ما اعمل فرح عظيم (قال الراوى) فقالت حجيج والله يا سيدى انا عمرى لا طرفنى خنا ولا فساد وانا

بنت غدره ولا طرفنى طارق ابداً وقد أجبتك الى ما تريد وانالك اطوع من المبد فعدت
ذلك أمر بيرس باحضار قاضى المحله ونوب حجيح توبة ناصحة كاملة وعقد عقده اعلى
محمد كامل الهيحان وأمرها بألف دينار دفعها من عنده وانتهى ذلك الامر وقال الى محمد
لا تدخل عليها حتى اعمل لك فرحافى المحلة فاجاب بالسمع والطاعة (قال الراوى) وبعد
ذلك التفت الدولتى الى عثمان وقال له خذ هذا الكتاب وكتب له كتاب مضمونه يقول
ان الذى كتب الكتاب بيده يقري السلام على الذى يقرأه
وعلى الذى يقرأه الف تحية مزوجة بالمسك حين يراه

من عند العبد الاصفر والمحب الاكبر خادماً لاعتاب مقبل الركاب كاتب الجواب
بيرس عرب محمود عجم الى بين اياى سيد ملوك بني آدم وظل الله فى العالم ادام
الله دولتكم وامد بالاقبال طلعتكم ووصف بالنصر والظفر اعلامكم ورايتكم
وادام رافتكم ورحمتكم على رعتكم آمين أما بعد تفصيل ايايديكم الكرام والدعاء
لكم بطول العمر والدوام وصلنا الى المحله واقمنا فيها الاحكام بالعدل والانصاف
كما أمر النبي جد الاشراف وطلبنا الطاغى نجم البحري ومن له العربان الباغيين
ومحقناهم اجمعين وحق الله بالنصر المبين وقادم لدولتكم رؤوس اعدائكم العاقبة
لكل من عاداتكم ثم نقيده السياده اتنا رأينا مع مطاغى كتاب اطلاع دولتكم
عليه يغنى عن شرحه ولكن تمجينا لما نعلم ان يد الدولة الصالحة لم تقصر
عنا حتى تستنصر علينا بذلك الطاغى لا سيما ومن ضمن الامر قتل الكاشف
حسان الكردي وقتل حامل الجواب فقلنا حقاً ان هذه افعال المناقضين
وما قادم لكم الجيع صعبة تابعا لاجل احاطة مولانا على علوم كل صوره
وقعت ادام الله دولتكم والسلام (قال الراوى) واعطى الكتاب
لعثمان وعثمان أخذ معه مائتين رأس من رؤوس العرب وانزلهم فى مركب
وسار بهم الى ان أتى بولاق وجعل الروس على مائتين جريدة وجلهم
على اكتاف الرجال السائرين وقال سيروا الى الديوان ولكم على كل رأس

دينار فسالوا الروس ولم يزالوا سائرين الى قلعة الجبل وحدوا القديم الازل
 (قال الراوى) وأما ما كان من الملك الصالح فانه قام من منامه ولديذ احلامه
 ولبس ملابسه بالتمام وصلى صلات الافتتاح بالتمام وقرأ أوراده وختمها بالصلاة
 والسلام على سيدنا محمد صفوة الملك العلام ونعد ذلك تقدم اليه الاغا جوهر
 وقال يا أمير المؤمنين الديوان تكامل فقال الملك ما كامل الا سيد المرسلين ثم انه
 السلطان ظهر وجلس واحدقت رجاله بين اباديه ومن عادته الوقوف وقف ومن
 عادته الجلوس جلس قرأ القارىء وختم ودعى الداعى وختم ورقى الراقى وختم
 أمنت المساكر صاح شاولش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يرهب القوات
 مالك الملوك له قضاء نافذ فى خلقه مهما اراد به جرى
 يا خايفاً من القضاء كن آمناً وابسط يدك الى الذى بسط اثرى
 ان المقدر كائن لا ينمحي ولك الامان من الذى ماقدرا

(قال الراوى) فقال الملك أتناول الله اطعنا من اين كنا حتى اتصلنا باحج شاهين
 والله العظيم ما كتبت ولا حضرت وكل من كان فعل ذلك جزاءه على الله فقال
 الوزير يا ملك ابش الذى كتبت فقال الصالح الرجل الذى يجيب لى الخوض قال
 أنا كتبت له مكتوب والله يا حج شاهين ما كتبت لا تؤأخذنى فى كلامي فتعجب
 الوزير من ذلك المرام فينباهم كذلك واذا رزة عثمان تحبط على الرخام وعثمان
 طالع ينفى ويقول بالليل

خايف عليك يا غزال البر لا تنصاد الا العوازل وراك قاعدين بالمرصاد
 قال بلاغوش فروح الجن لى اوصاد اما العوازل يكتبوا الميم صاد
 صباح الخير عليكم باسطوات جميعاً من الطاقة للعلاقة ومن الدفة للشابورة صباح الخير
 عليك يا بوجوطه يا وكال الدقة والقرقيش ظفرها يوم تدعى لك تنك تأكل قرقيش ودفعه لما
 تروح لله ماتلحق تقول قوال الصالح وانت مالك بس يا عتمان ما حال سيدك قال عتمان
 تسأل عن سيدى وانت كاتب لنجم البحرى تقول اقتله هو أحد يا بوجوطه يقتل ابن عمه

تكتب لنجم البحري تخليه يقتل حسان الكردى قال السلطان الله بادايم كيف
يا عثمان أين هو الكتاب قال هاهو قال اعطيه للقاضى خذ يا قاضى كتابك الذى تعرف
خطه اقراء انت والكتاب الذى نخط بييرس فين يا عثمان قال عثمان قال لك عليه
قال الصالح اعطيه الى شاهين يقرأ فعند ذلك اعطا الكتاب للامير شاهين الوزير
قرأه اجهارا على رؤس الاشهاد ولما جاء على قوله قادم لكم الكتاب قال الصالح اخذوه
اصحابه يا سيدى وانا مالى بالكتاب والله ما هو من عندي ولا حضرته ولا أمرت
بكتابته كتب له شاهين رد الجواب بس لا يسمع القاضى ما فى الجواب لاجل يطمئن
عليه اقرأ يا قاضى فقرأه القاضى ومعموة للماضرون قال الصالح كثر خبرك قوم
بقي ادفن الرؤس أنت وأهلك لاجل يبتى لكم ثواب فى ازالة الغمة عن المؤمنين ثم قال
السلطان اكتب بى يا شاهين قول لبييرس القرية لك اقطع تقبض مالك منها لنفسك
انت بنفسك وليس فيها منازع ينازعك والسلطان يدعوا لك بخير ويقول لك انى برىء
ما كتبت قط هذا الجواب واما الرؤس حضروا ودفنهم القاضى والوزير اريك
فكتب الاغا شاهين كما امر السلطان وتوجه عثمان برد الجواب هذا ما جرى
لهؤلاء وأما ما كان من الامير بييرس فانه شرع فى افراح خديجة محمد كامل الهجانى
ويريد زفافه على حبيج وأمر القراشين ان يملقوا الخلق والزيات وكذلك الطباخين
ذبحوا الاغنام وكل ما كان فى القرية من الاعيان حضر فى هذا الفرح ولعبت فيه
ارباب القنون حواة وپهلوانك وغيرهم مما يليق للافراح مدة الفرح سبعة ايام
تمام ليلة الجمعة دخل محمد كامل على حبيج فوجدها درة ماثبت ومطبعة لغيره
ما ارتكبت فتملا بازالة بكارتها وبعد ازاله بكارتها على حسب للعادة نزل يقبل يد
سيده الذى لولاه ما كان بلغ مناه فلما تقدم وقبل يد سيده قال له الدولانلى
يا محمد قال نعم قال له انت فعلت شيئا تستحق عليه التزينة ولولاه انت من
رائحة أهلى كنت عملت لك ادب طيب ولكن بى عليك تمحي ما سلف لان
حبيج التى تولعت بها صارت فى قبضة يدك ولكن وحياة رأس أبى

السلطان شاه جمك ماعدت تنظر وجه حجيج الابعه ماتأخذ هذا الجواب توصله
الى ابي في ملك خوارزم المعجم وتأنيى برد الجواب فعند ذلك عض محمد كامل على
اصابعه قال للدولاتي انا أعرف انك بالك طويل واخاف احسن تضحك على كما كنت
تضحك على ابي وخذ هذه الف دينار للنفقة في الطريق وهذه أربع بدل واحده
لاي القان شان جمك والثانية لامى الملكة ابق والثالثة الى اخى تقطمر والرابعة
الى اخى دور ملك وتسلم الجميع الى ابي وتأنيى منه برد الجواب فقال محمد كامل
سمعا وطاعة ثم استلم البلد وطلب هجينة من الامير بيبرس حالافا حضرها الى بين
يديه ووضع البدل في خرجها وأخذ ما يحتاج اليه وما يلزمه وقبل يد سيده وأراد ينظر
حجيج فقال بيبرس انا خلقت فقال سمعا وطاعة وركب على ظهر الهجين وطلب
المسير وقال يامهون المسير يكون له معنا كلام اذا اتصلنا اليه نحكي عليه الفاشق في
جمال النبي يكثر من الصلاة عليه

تم الجزء التاسع ويليهِ الجزء العاشر واوله
واماما كان من عثمان فانه بعد ما طلع من الديوان

سيرة الظاهر بيبرس

تاريخ الملك العادل صاحب الفتوحات المشهورة (السلطان

نحمود الظاهر بيبرس) ملك مصر والشام وقواد عساكره

ومشاهير أبطاله مثل شيخة جمال الدين وأولاده

اسماعيل وغيرهم من الفرسان وما جرى

لهم من الاهوال والحيل وهو

يحتوي على خمسين جزء

الجزء العاشر

(الطبعة الثانية)

سنة ١٣٤١هـ - ١٣٠١م

(طبعت على نفقة مصطفى افندي السبع)

بشارع الخالوجي بمصر قريبا من الجامع الازهر والمشهد الحسيني

مطبعة المعارف بمصر

لصاحبها محمد عبد اللطيف حجازي



وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(قال الراوي) وأما ما كان من عثمان فانه بعد ماطلع من الديوان علي انه رايح الي سيده فر علي طريق الحجر فنظر الي المعلم حسن الحجار والمعلم علي المهندس فسحب الرزة وتقدم قالوا له الفاتحه قال عثمان لما اقرأها لكم آيه قالوا لا ياسيدي نحن حافظينها وانت ايش تريد قال لهم ان الدولاتلي عنده عماره في المحله كبيره ويروم انك تأخذ جميع ما عندك من بنائين وحجاره وتسيروا معي الي المحله قالوا له سمعا وطاعة وفي الحال قاموا معه من تلك الساعة وكل منهم أرسل الي رحاله ونبه عليهم بالسفر الي المحله فاجابوا جميعا بالسمع والطاعة وما تم ذلك النهار حتى ان الجميع بقوا علي ظهور الدواب مستعدين للسفر في البر وما جاء وقت المغرب الا وهم في قلوب ومن الغد توجهوا الجميع في البر صحبة عثمان ولما وصل عثمان الي المحله دخل علي سيده أولاً أعطاه رد الجواب الذي من عند الملك الصالح فقراه بيبرس ففرح فقال عثمان انت ما قلت تعمل قنطره للناس يمشوا عليها قال صحيح لما نبعث نحضر المهندسين ونسألهم كيف يكون الحال في بناء قنطره للطريق قال عثمان وانا جيت لك البنائين والحجاره والمهندس قال الامير مين قال لك هاتهم قال انا قلت لنفسي قال بيبرس علي بهم فطلع عثمان احضر لهم المعلم

حسن المهندس وسلم على الأمير فرحب به وأمره بالجلوس فجلس وبعد ذلك قال له أنا مرادي ان ابني قمطرة لها ثلاثة عيون وابني قصر وقيسارية دكا كين ذات الشمال وذات اليمين ومرامي بذلك السرعة في عمل ذلك سريعا وها انا أعرف ان هذا شيء صعب ويلزم له ارباب الخبرة وها انا احضرتكم لاجل ان تعرفوا خلاصكم ونجوزوا أشغالكم فانولكم قالوا ممعا وطاعة قال الأمير مرادي تقوموا معي حتى اتفرج على الارض من هذه الساعة ثم انه أخذ المهندس ومشوا الى ان وصلوا الى البحر الذي يعودون الناس منه فقال الأمير هنا مرادي ابني القنطرة فقال المعلمون له ممعا وطاعة ثم انهم أمروا الاتباع أن ينزلوا يعملوا جسور لمنع الماء ورمى الاساسات وكذلك الحجارين طلعت على الجبل لقطع الاحجار وأيضا نحائين الحجر كلا منهم حضر عدته وتحضروا تحت قدوم الاحجار وتقدموا لقفله وبضروا في البحر ذات اليمين وذات الشمال فقال لهم الأمير يريد ان ترموا الاساسات وتكون ما كنة وان الشغل أيضا يكون متين وأما من جهة الاجرة والعرق أنا ادفع لكم الطاق اثنين واول ابتداء الشغل من الساعة الاولى من النهار الى الساعة العاشرة والاكل والشرب للفعلا والبنائين والحجارين وجميع الشغالين يكون من مطبخي وأنا على كامل ما تريدوه من لحم ورز وخبز وطعام وغيره فشكروه على ذلك وقد أمرهم باطلاق الشغل قال عثمان طاووسي واترك البناء ولا تبني هنا شيء أبداً فقال الأمير بيبرس لا شيء يا عثمان قال عثمان فان أصحاب الارض ما يرضوا بذلك أبداً قال له الأمير بيبرس دعنا من ذلك الكلام ومن هم أصحاب الارض غير الملك الصالح أيوب وايضا أني أريد عمل مصلحة لاهي مفسدة يا عثمان فمن يكره فعل الخير قال عثمان ابن المرأ لا يصدق حتى يري هذا وقد دارت الأشغال بالاجتهاد ورموا الاساسات ودارت البناءات الى آخر النهار وروحوا الناس بعد ذلك الى حال سبيلهم ولما كان من الغد أقبلوا البنائين والمهندسين يريدون البناء

والاجتهاد واذا بالذي بنوه امس مهدود والطين وحده والطوب وحده فتعجب
المهندس من ذلك وقال لا حول ولا قوة الا بالله العمل العظيم ومق الذي فعل
هذه العمال ولكن نحن نخبر الدولاني بذلك ثم نسامحه في أجرة الشغالين
بالامس فقالوا جميعا هذا هو الصواب ثم أنهم ساروا اليه من ساعتهم فلما وصلوا
اليه سلموا عليه وقالوا له يا أمير نحن أتينا لنملكك وهو ان امبارح لما اجتهدنا
ورمينا في الارض الاساس وبنينا وروحنا آخر النهار الى محلاتنا فلما اصبحتنا
أتينا ثم أشغالنا فرأينا الذي بنيناه بالنهار انهدم بالليل فقال لهم ومن الذي هدمه
قالوا له لا نعلم يا سيدي قال الامير بيرس لا بأس عليكم الاجرة محسوبة لكم وروحوا أنتم
دوروا واشغلكم ذلك النهار واذا جن الليل انا الذي أغفر البنيان وأنظر من الذي يهدمه
فقالوا له هذا هو الرأي السديد ثم أنهم انصرفوا الى الاشغال وقد وسعوا
الجدران وقد نزلوا في الارض زيادة في الجدار وارموا الاساسات الى آخر
النهار ارسلوا الى الامير بيرس فلما حضر نظروا الى الاشغال فاعجبته فقال لعثمان
أنت والسياس جميعا تغفروا هذه البقعة الى ثاني يوم واذا اتاكم غريم اقبضوا
عليه فلا بد انه من اولادنا الذين بالحقه فقال عثمان لا تتكلم في ذلك يا دولاني
قالا آن تنظره بعينك وان شاء الله تعالى يقابلك وعقير يقبض عليه ثم ان
عثمان صاح علي عقير فلما حضر بين يديه أمره ان يحضر الطائفتين فحضروا
وجلسوا في ذلك المكان قال عثمان اصحوا يا جدعان كل من نام منكم ضربه
الجندی بالدمشقي فقالوا له ممما وطاعة ثم لنهم بأنوا سهارى يقطانين طول
الليل الى ان لاح الفجر فتأمل عثمان واذا برجل مقبل لابس ملابس
الفقراء وعلى كتفه نبوت وهو سائر مثل نسيم الريح حتى قارب البناء وأشار
بيده عليه فانهدم لوقته وساعته فصاح عثمان امسك يا عقير الرجل
هد البنيان فتجاروا وراء السياس وعثمان معهم فانفرد قدامهم وهم
وراء بالجري فلم يلحقوا له أثر فقالوا يا جدعان شدوا وراءه ففطس ما بان

كأنه ما كان فلما خفي عن أعينهم عادوا راجعين الى الامير بيبرس وعثمان في
 اولهم وهو يصبح دوه يا حلاوى دوه قال الامير بيبرس مالك يا عثمان قال عثمان
 البنيان انهدم قال الامير من الذي هدمه قال عثمان رجل واحد وجربنا وراه
 كلما قلنا نقبضوه ونجيبوه لك هرب منا كأنه مارد وغطس في الارض قال الامير
 ولاي شيء صبرتم حتى هدمه كنت يا عثمان من اول مادي فيه أول دقة كنت
 مسكته قال عثمان ما كان يدق هو قال للبنيان انهدم قام البنيان انهدم قال بيبرس
 من غير دق قال عثمان هذه عيني وهذه عينه ولا كان دق ولا تكلم قال بيبرس
 أنا أحرص هذا المحل بنفسى امض انت يا عثمان في حالك وكذلك رجالك فأنا
 لا بد من زولي في هذه الليلة وأشوف ما الخبير فقال عثمان هذا هو الرأى
 الصواب اغفرانت بنفسك وخل الناس تعرف بمعضجاتك داهية انت واياهم سوى
 ثم ان عثمان تركه وسار الى الاصطبل فامر الدولتى الشغالان ان يعمدوا البناء كما
 كان ودار الشغل الى آخر النهار وقد كانوا وسعوا الجدارات عن الاول وانصرفوا
 آخر النهار وتركوا البناء والامير بيبرس فعد عنده ومادام قاعد حتى صلى صلاة
 المغرب وبعد ان صلى حضروا له بعض بماليك بالعشا اكل وحمد الله تعالى وأقام حتى
 أذنت العشا فقام صلى العشا وقعد يقرأ في كتاب الله وكانت ليلة مقمرة ومتجلى
 رب العزة والقدرة فيينا هو جالس واذا قد ظهر من تحت البنا كراسى قد اصطقت
 وجلس عليها اصحابها فقال كبيرهم اهدموا المحلة بما فيها واربعة منكم يحملوها
 ويرموها في البحر فقالوا له لا نقدر على ذلك فان فيها الشيخ الفوال فقال لهم
 علي به فيينا هم كذلك واذا بالشيخ الفوال مقبل عليهم فقال لهم السلام
 عليكم ورحمة الله فردوا عليه السلام فجلس ولما استقر به المجلس قال له
 كبير القوم اننا أردنا هدم المحلة بما فيها وما أكرمناها الا على شئت خاطرك
 فقال لهم قد علمت ذلك وعرفت انه من أجل ذلك البنا ولكن أنا أهدمه
 ثم انه وضع النبوت فيه ورفعته فوقعت الى الارض وانصرفت الرجال وأراد :

ذلك أن ينصرف وإذا بالامير تعلق بالنبوت الذي بيده ثم قال من أنت ولاي شيء
هدمت البنا فقال الاستاذ ياداييم ودفعه بالنبوت فغاب لوقته وساعته وتأمل
الامير بيرس وإذا هو وجد نفسه في واد احفر اقفر متسع الجهات ولم يدر
أين هو فسار فيه الى ان انتهى الى شجرة عالية فصعد فوق الشجرة وجلس
خوفاً على نفسه من الوحوش والحوام الى بتلك الارض فبينما هو كذلك وإذا
قد أقبل رجل من كبد البر الى تحت الشجرة وكنس الارض ورش المياه تحت
الشجرة وبعد ذلك أخذ أحجاراً من الارض وصار يصفهم على هيئة الكراسي
فصار مثل الديوان وبعد ذلك نادى وقال بسم الله تفضلوا فان المكان خالي
فلما قال ذلك الكلمة وإذا قد أقبلت عليه رجال كثيرة ثم جلس كل واحد منهم
على حجر من تلك الاحجار فصاروا مثل ديوان الحكم وبعد ذلك أقبل رجل
جليل للقدر والمقام فلما أقبل نهضوا له جميع الجالسين على الاقدام فسلم عليهم
سلام الامراء المعظم فردوا عليه سلامه بأدب واحتشام كل هذا يجري والامير
يسيرس جالس فوق ذلك الشجرة وهو ينظر اليهم ويرى (قال الراوي)
لهذا الكلام المجيب صلوا على طه النبي الحبيب وكانوا هؤلاء الرجال
المقيمين على الكراسي وجالسين فهم أولياء الله الخواص الذين لصطفاهم الله
وخصهم بالولاية اللهم نعمنا ببركاتهم وأما الذي قدم عليهم فهو سيدي احمد
البدوي رضي الله عنه ونعمنا الله ببركاته دنيا وأخرى (يا سادة) ولما جلس
سيدي احمد البدوي على الحجر وكان اكبر الحجارة المرسومة التفت الى
اخذ الواقفين وقال له يا جوهرى سمعنا الفاتحة في صحايفنا وصحايف اولادنا
واخواننا وأمامنا وتوابنا والآخذين عنهم والآخذين عنا بسم الله الرحمن
الرحيم ثم انه قرأ الفاتحة وقرأوها جميع الحاضرين بصحبته ثم انه قال
يا جوهر افتح البسيط ومد قدما بنا بشا ط الطريق فقال له سمعاً وطاعة ثم
ان النقيب قام على قدميه وقرأ الفاتحة وقال الحمد لله رب العالمين والصلاة

والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أعلمو أيها الحاضرين
 الناظرين السامعين أن هذا القطب الذي قرب به الله واصطفاه وهو سيدي أحمد
 البدوي أمرني أن افتتح بساط الطريق بين أيديكم حقيق ففتحت البساط وقلت
 كما يليق الحمد لله الذي لا اله الا هو الملك العدل الرؤوف الشفيق والمصلح
 والسلام على نبيه سيدنا محمد الذي أظهر لنا الاسلام والايمان على صحة التصديق
 صلى الله عليه وعلى جميع آله واصحابه اولى الفضل والتوفيق ورضى الله
 تبارك وتعالى عن خليفته أبي بكر الصديق وعن عمر بن الخطاب ضجيعه
 ونعم الرفيق ورضى الله تعالى عن عثمان بن عفان جامع القرآن حبيب الرحمن
 عدو الشيطان ورضى الله عن ليث ابن غالب فارس المشرق والمغرب الامام
 على بن أبي طالب ورضي الله عن الستة الباقيين من المشرة الذين بايعوا النبي
 تحب الشجرة ورضى الله عن آل بيت رسول الله أجمعين بساط الطريق مفتوح
 وعليه الانوار تلوح لمن يأتي ولمن يروح لمن له حق ولا اتصل اليه اوله جار
 وجار عليه فليخرج ويبرز الى جانب النقيب في حضرة هذا القطب النقيب
 وهو سيدي أحمد البدوي سلالة سيدنا محمد النبي الحبيب فاسمعوا ما اقول من الخطاب
 من كان له خطاب فليحضر الى هذا الباب على يد سيدي أحمد البدوي يجمع هؤلاء الاقطاب
 ليأخذ له حقه من خصمه بالعدل والانصاف وعدم الارنياب لا ظلم اليوم لا أفلح من
 ظلم ان الله سريع الحساب (ياسادة) فاتم النقيب كلامه واذا يدامتدت كآهارة
 جبل ومسكت بيرس من ظهره ورفعته من على الشجرة وقدام السيد البدوي
 وضحته قال وكانت هذه اليد السلطان المحبوب الذي في طبقة السادة المصطفين
 محسوب وهو الملك الصالح أيوب ولي الله المجذوب وأوقفه على يمين للنقيب فلما
 رآه النقيب علي يمينه خرج وقرأ الفاتحة وقال يا سلطان الرجال انا مدحت النبي
 والاسحاب والاهل والاجباب وفتحت بساط الطريق وناديت على من
 كان صاحب دعوة أو له حق فظهر لي عن يميني هذا الشاب فلما تقول يا قطب

الاقطاب فقال له شيخ العرب قدمه الي محل الطلب فلما وقف بين يديه تبسم
 له سيدي احمد والبدوي وقال له ماتريد يا شاب فقال الامير بيبرس انا رجل مظلوم
 فقال له ومن الذي ظلمك فقال الذي ظلمني رجل في المحلة قال وما ظلمتك فقال
 يا سيدي انا رأيت ان الناس اذا خاضوا في المياه من البر الى البر الآخر فيرفعوا
 اذيالهم فتكشف سواآتهم فعلت ان هذا يغضب الله ورسوله وأردت ان ابني
 قنطرة على ظهر هذه التربة ليدوسون الناس عليها من غير ان يكشف عورتهم
 وأردت بذلك ثواب لوجه الله تعالى فكلما أبني أساس فيحضر في الليل رجل
 من المحلة يهدم البناء واصبح أجد الذي بنيت في النهار هدم في الليل وهذه
 ظلومتي ولم اعلم ايش يكون قصد هذا الرجل من منساظره عورات الأديمين
 ولم يراقب الله رب العالمين وها انا يا سيدي حضرت بين يديك وارجو منك
 الانصاف فمنذ ذلك التفت السيد البدوي للنقيب وقال له حضر لي صاحب
 المحلة فصاح النقيب وقال انت فين يا على يا فوال فأتته كلامه حتى اقبل من بعيد
 وتبوته على كتفه وهو يقول نعم يا سلطان الرجال عند ذلك قال السيد البدوي
 يا فتى انظر هذا الرجل هو الذي هدم البناء قال نعم يا سيدي هو ذلك فقال
 السيد البدوي لاي شيء يا فوال فعلت ذلك اتعارض من أراد الله ان يجعل
 على يديه خيراً ينتفع به المسلمين تمنعه انت عن فعل الصلاح مع ان هذا خارج
 بلدك في ارض مباح انت تكره فعل الخبز ومنع الشر والضير فقال الفوال
 لا والله يا سلطان الرجال انا في ذلك لا لي ذنب أبداً وانما اصحاب الارض هم
 الذين يكرهون ذلك بدليل ان هذه البقعة مكانهم وهم اصحابها ومقيمون بها
 فقال السيد البدوي ومن هم اصحاب الارض ان الارض لله رب العالمين فقال له
 هم العمار الذي هم الجن الاسلام الكبار والصغار وهم مؤمنون اخيار فمايهون
 عليهم ارضهم والديار فقال السيد البدوي وعزه الله ان لا بد ان يبني هذا الشاب
 القنطرة كظماً وكرماً ولا أحد يمارضه وكل من منعه فأنا له خصماً كيف ان

الجان يتحكمون في الارض والمهاد ويمنعون حكام البلاد عن الاصلاح ومنع الفساد امضي الي عندهم وقل لهم ان شيخ العرب السيد البدوي أمر بيبرس أن يبني القنطرة كظماً وكرماً وانظرهم ماذا يقولون وعبد الي في ساعتك هذه فقال سمعاً وطاعة ثم انه غاب قليلا وعاد اليه قال له يا سيدي انهم اجابوا بالسبع والطاعة غير ان هذا الموضوع سكننا لهم فاذا تركوه باي مكان يسكنون فقال له يسكنون تحت عتبة قتي من بعد بناها (قال الراوي) وكان السيد البدوي ذلك الايام على قيد الحياة فقال القوال يا سيدي سمعاً وطاعة لكن على شرط فقال السيد وما هو الشرط قال له يكون البنيان بالافراح تدق فيه نوبة سلطاني كاملة طبول ومزامير من أول الامر الى آخره فقال السيد هذا أمر ما فيه ضرر الفرح طيب ثم التفت الي الامير بيبرس وقال له يا بيبرس طاوهمم علي ما يريدون وخذ من استاذك الصالح نوبة كاملة ودع البنانيين يبنوا والنوبة تدق حتى يتم البناء فقال الدولتي سمعاً وطاعة وبعد ذلك التفت السيد للقوال وقال له خذ هذا الشاب ودخله البستان المعلوم امره واوضعه على ما تعلم من الشجرة الذي يأكل منها نصيبه فقال له سمعاً وطاعة ثم ان الشيخ القوال اخذ بيبرس وسار به قليلا وادخله في بستان شقائق ونمان وذنبق وسوسان وروح وربحان وهو جامع جميع الالوان سبحان من خلق المخلق وهو الله لا اله الا هو العظيم الديان مدير الاكوان على رأي من قال صلوا علي باهي الجمال

روض اليها في الاشجار متحلات بالانهار
والماء على روضه جار جل الذي فجر الانهار
والعليق علي الاغصان ينشد ويذكر الملك الفغار
(قال الراوي) فلما رأي الامير بيبرس الي ذلك البستان اعجبه غاية المعجب فقال له القوال تفضل يا أمير هذه الشجرة خذ منها علي قدر ما تأكل

حتى تزهد فنظر بيبرس الى تلك الشجرة واذا هي شجرة نبق فأخذ منها سبع حبات وأكلهم فاحمى في أكلهم هينين وطعمهم احلامن الشهد وهم يرضون مفرحين فقال له الشيخ لك سبعة آخر فأخذ بيبرس سبعة آخر وأكلهم واذا هم حلون مبيضين غير ان في أكلهم شمخين لا فيهم لين فقال له الشيخ خذ لك سبعة آخر فأخذ سبعة وأكلهم واذا لهم ملصوق بالنوى ولكن حلون فقال له الشيخ خذ سبعة آخر فأخذهم وأكلهم فاذا هم قليلة حلوتهم ناقصة عن الاولين ولكنهم لينين فقال له الشيخ خذ غيرهم فأخذ سبعة آخر وأكلهم واذا هم عضدين يابسين لا لهم حلاوة ولا لين فقال الشيخ خذ سبعة آخر فأخذوا اذا هم كماء الصبر مرين فقال الشيخ خذ غيرهم فأخذ سبعة وسارياً كل فيهم فوجد كل واحدة على صفة بين حلو ومالح وحامض ودلع ومرور والخامسة مشقة وبها مرض والسادسة منقنة والسابعة ناشقة ورائحتها كالنبر الخام وبها حلاوة أكثر من الجميع ولم تقبل نفسه من بعد ذلك من الشجرة شيئاً فقال له قنعت ولا اقبل غير الذي اكلته فقال له انزل انك أخذت ما تستحق فزل معه الامير بيبرس وما زال سائر مع القوال الى قدام السيد فقال له أكلت قال نعم فقال له اوصف ما أكلت فقال يا سيدي اولا أكلت سبع حبات أحلى من الشهد فقال له هم الذي أنت فيهم فقال اكلت سبعة آخر نعم في الطعم مثلهم ولكن يا بسين في أكلهم فقال لهم الذي نجتهد فيهم حتى ترتقي فقال له وأكلت سبع آخر لكن ملصوق لهم بنواهم فقال له هم الذي تأخذ فيهم المملكة فتكون قهراً عن من يكون معه شور في المجلس وأما الحلاوة فأصدك فقال أكلت سبعة آخر قليلين الحلاوة قال له يتفرق بعض احبابك ويظهر لك احباب وأعادي ولكن انت تنصير بقدره الله الذي يعطيك فقال اكلت سبعة آخر عادمين الحلاوة من اصله فقال نعم بنازعك كافر سارح بارادة الملك القادر ولكن ينتج على يديك انتفاع اولاد الجن من أهل الايمان بقراءة

القرآن وهذا أيضاً لك فيه صواب ويقتل على يديك وتورث الارض من بعده فقال وسعة صرين قوي فقال نعم لأن فيهم يعارضك كافر جبار وتكون معه في الحكم ولكن يأمر وينهى بغير الحق ولا تقدر تمنعه وهذا بإرادة الله فلا راد لفضائه فقال وسبعة أخر متشكلة فقال آخر سنينك ترى حامض وحلو والسابعة يقضى بك شهيد في الجهاد كما يشاء رب العباد تنقل من دار الفناء الى دار البقاء وتجاوز الصالحين فقال بيرس الحمد لله رب العالمين (قال الراوى) ثم ان السيد البدوي قال للاستاذ الفوال خذه ودعه يتوضى ويصلي في الزاوية فأخذه الفوال ودخل به الى الميضة فقمعد وسمى وتمضمض وتلشق وهو ساكت وقال نويت فرائض الوضوء فسمع من ينوي بجبانة ولم يرى شخصاً فسكت ولم يبد خطاب حتى تم وضوءه ووصل الى الحراب فسمع الناس وهم يقولون له صلي بنا جماعة يا أمير بيرس فسمع القائل ينوي جماعة وكانت صلاة العشاء وكل من كان في هذا المكان صلى خلف بيرس جماعة فسمع أحد الناس يبلغ وصوته صوت السائس بتاعه عثمان بن الحيلة فبقى الامير بيرس بين المصدق وبين المكذب حتى انتهى وسلم بيرس وسلموا المصلحين وختمت الصلاة وتقدم اليه السيد البدوي وصافحه وقال له تقبل الله يا ولدي منك الصلاة والجهاد فقبل الامير بيرس يده فقال له لما اكلت من الشجرة ابن النوى قال هاهو معي وكان الفوال أمره بحفظه فقال له تحفظ عليه يا بيرس لانه ينفع لداء الصرع فقال سمعاً وطاعة وبمدها قال له السيد مليت الميضة قال نعم قال توضيت منها قال نعم فقال له انت ولدي بمقام عهد الله والله علينا من الشاهدين ثم ضمه الى صدره وصافحه ثانياً وقال توجه حيث شئت أعانك الله بالنصر والتأييد على كل كافر عنيد ولكن يا بيرس اذا بنيت القنطرة وفرغت منها سر الى طنطا عند تل الحدادين وابني هناك مقام يكون عظيم فقال له سمعاً وطاعة فقال عبد المال وابني لي انا الآخر مقام

الى جانبہ الایم فسال المجاهد وانا ذات الیسار فقال الجوهری وانا الآخر
ابنی لی مقام علی رأس الوادی فقال القوال وأنا کان انی لی مقام بالمحله الکبری
فقال سمعاً وطاعة ثم انه تودع منهم الامیر بیرس وقال للقوال ارشدنی یامیدی
علی طریق المحله فقال القوال یا امیر اعلم ان بینک و بین وادی النیل سفر مایة یوم
وأ کثر للعجد المسافر فتمعجب بیرس وقال له کیف یکون فقال له أنا وأوصلک
بما انک ناوی تبنی لی المقام هات یدک فی یدی وغضض عینک فغعض بیرس
فقال القوال فتح عینک ففتح بیرس عیناه فرأی أبواب المحله فقال له الاستاذ
القوال مقامي یکون فی وسط سوق النیل ومنی علیک السلام وغطس الاستاذ
ما بان کانه ما کان وأما بیرس فانه قصد الی أبواب المحله وکان الفجر ظهر واذا
بعتیان وهو یقول اترکه یاقرع مرادک یرطک ماتمعل حاجه الا بالاجرة اعمل
مقام من کیسک وأنت تبني فنطره یاشقر علی شان تبقى تتعب نفسک کل ذلك
التعب مقام المقرب ومقام الخنش ومقام لابی اللبد داشیء کثیر هما کام نبقه
اللی اکلناهم الناس یا کولوا کثیر وانت اکلت اثنی عشر حاره و حبة بقا کل مقام
ولکن العیب عند الرجل أبو لبد هو الذی وصلک الی هنا ودخلت الجینینة
یا جدد وصلیت بالناس الذین کانوا هناك وقالوا لک ابن لنا کل واحدمقام فقال
بیرس وأنت من الذی وصلک یا عتمان قال عتمان الذین کلهما خطوة عاجز فقال
الامیر بیرس اسکت فقال عتمان واسکت لیه هی سرقة عقیرب کان یبلغ وأنا
صلیت امام فقال بیرس دعنا من ذلك یا عتمان ثم ان الامیر کتب کتاب یطلب
النوبة السلطانی من الملك الصالح وکتب کتاب الی الوزير یطلب المعاونة منه علی
ذلك وقال یا عتمان خذ هذا الكتاب للملك وهذا للوزیر قال عتمان وأبو
جوطه ما کان حاضر وهو حیلته ایه نشته منه مامعه الخبز قال الامیر سر
بلا کلام قال عتمان هات الكتاب فأخذ عتمان الكتاب وتوجه الی مصر
هذا جرى (یاساده) وأما ما کان من أمر الملك الصالح ظهر فی ذلك الیوم

جلس على تخت مصر يتعاطى الاحكام ولما تكامل الديوان وقرأ القاريء وختم
ودعا الداعي وختم ورقى الراقي وختم وأمنت المساكر عرب وعجم وصاح
شاويش الديوان وهو لا يخاف الموت ولا يهرب القوت

يا من حكم طول الزمان على القرايا والحل
فلا يفرك ذا المقام وانما الدنيا دول
يا من بدنياه اشتغل وغره طول الامل
الموت يأتي بقتة والقبر صندوق العمل

(قال الراوى) فقال الملك الصالح آمنا وأمرنا الى الله سلنا وعلى الله توكلنا
من أين كنا حتى اتصلنا يا شاهين الرجل مد يده على الشجرة وحضروه أهل
الواسطة وا كل نصيبه الذى له فى عالم الغيب واجتمع على الجماعة الذين لا
قبلهم ولا بعدهم واخذوه فى وسطهم ولا بقي أحد يقدر يكلمه منهم أبداً
قال وانا أعطيه يطبل طيب قال الوزير ما الذي يطبل قال السلطان الرجل قال
بده يفرح فبينما هم فى الكلام واذا بعتان طالع يقول يا ليل

روح يا فلان، الفلانى من هنا لفلان قل له فلان الفلانى اعترف بفلان
والله لولا المحبة والصفاء لفلان لاقتل فلان الفلانى واقرن بفلان
سلام عليكم يا جدعان منا الفاتحة فى صحايفكم من الطافة للعلاقة قال الصالح
أهلا وسهلا يا عتمان قال عتمان يا بوجوطه الجندى يسلم عليك وعلى ابو فرمه
وأرسلني بكتابات لكم خذ اقرأه يا بوفرمة أما كتاب الوزير فقال له الملك
حطه فى جيبك ولا توريه لاحد ابدا ولا لى واما كتابي انا اعطيه للقاضى
يقرأه على ويسمعه على رؤوس الاشهاد لاجل ما تسمع الناس فأخذ القاضى
الكتاب وحله ونظر فيه واذا فى اوله شعر

محصد القلب حبكم ايد الله مجدكم
لو رأيتم مكانكم فى فؤادي لسركم

قصروا مدة الجفا طول الله عمركم

اما بعد من العبد الاصغر والمحب الاكبر خادم الركاب كاتب الجواب ببيرس
الى بين ايادي أمير المؤمنين وخادم فبرسيد المرسلين خليفة الله في ارضه القائم
بشريعة فرضه وسنة سيد ملوك بني آدم وظل الله في العالم نعرف السيادة باننا
زولنا على المحلة فوجدنا الناس اذا ارادوا يمدون الترع من الشرق الى الغرب أو
من الغرب الى الشرق فيرفعون ثيابهم لمنع المياه فيكشفوا على عورات بعضهم
نساء ورجال فتيقنت ان ذلك حرام واللعنة على الناظر والمنظور فانذرت على
نفسى انى اذا نصرت على نهم الدين البعيرى ابني قنطره في ذلك المكان رحمة
للمؤمنين ولما نذرت وبلغنى الله ارادنى فاردت ان ابني فلهدم البناء ليلا ثلاث
مرات واصحاب الارض يمنعون وبعد ذلك تواسطوا أهل الخير واقنا الدعوة
على يد من تعرفونه فحكم لنا بالبناء بشرط ان تكون النوبة شفاله والمزمار
شفال فالمراد تساعدونا يارسال فردة طبل سلطاني ومزمار ملكي امتثالا لامر
اصحاب الارض وهذا ما لزم افدناكم والامر امركم اطال الله عمركم والسلام
على من نطله النمام (ياساده) فلما قرأ القاضي الكتاب وعرف ما فيه وميز معانيه
نهض على الاقدام ونقض الاحكام وقال ايش ايش يا أمير المؤمنين ان هذا لا
يكون ابدا وما تكون النوبة التركى والمزمار الملكى الا لمن يكن في صنجقيه
كامله ويبرس لا يستحق ذلك لانه كاشف والكاشف لا يقوم مقام الصنجقيه
فقال الملك يا قاضي والصنجقيه كثير على ولدي ببيرس وعزة الله الا يلبس ولدى
صنجق وعثمان نائبه لبسه يا وزير شاهين نيا به عن سيده كرك الصنجقيه وهو يلبس
سيده وارسل له نوبه كامله وارسل له رد الجواب فقال الوزير ممما وطاعه ثم
ان الوزير كتب له رد الجواب بامر الملك ان تتم بناء القناطر بممر فتك والكلفه
على طرف السلطنه ومرسل اليك الكرك تكن صنجق كامل سلطاني أمير
مائه مقدم على جيوش الف وهذه النوبة الكاملة من طرف السلطنه قادمة

اليك أوامر بدفها كجانت وتختار وعثمان البسه نيابة عنك وهو يلبسك الكرك والسلام (ياساده) ثم ان الوزير سلم الكتاب الى عثمان وقال له سلم على سيدك ولبسه هذا الكرك وسلم اليه التوبة ثم ان الوزير أدعا الانباشيه بتاعه وأمره أن يحضر أربعين مملوك يكون كبار مبشرين بحيلهم وسلاحهم ويسافروا الى المحلة صحبة عثمان هدية من الوزير الى الدولتلى الامير بيبرس وكان الامر كما ذكرنا وأخذ عثمان المماليك وسافر حتى انه قدم الى المحلة وكانت المماليك يفراشتهم وخدامهم فلما وصل عثمان الى المحلة أقام قريب منها وكان الوزير اركبه على حصان والمماليك بصحبته ولما قرب عثمان من المحلة أمر الفراشين ان ينصبوا الخيام فنصبوها وفرشوا الفرشات ووضعوا الكراسى وجلس عثمان على صدر الصيوان وهو لا لبس هذا الكرك ومومي رأسه الى الارض وقد احدثوا اليه بعض المشايخ ولم يعلموا من هو ثم ان عثمان أمر بضرب النوبة التركي والمزمار المملكي فلما ضربت الطبول رجفت العالم حتى كانه فرح كبير هذا جرى لثمان (ياساده) وممع الامير بيبرس الطبول والكاسات والزمور فتعجب غاية العجب وسأل عن ذلك من أهل المحلة فقالوا له لانعلم بشيء من ذلك غير اننا رأينا صنjq أقبل من عند السلطان ولكنه تركى مغلق لا يعرف ولا حرف عربى أبداً ولا يعرف له كلام ومعه خدام ومماليك فقال بيبرس يكون مولانا السلطان استمعظم على كون اني طلبت فردة نوبة لاجل بناء القنطرة والنوبة ماتكون الا للصنjq فارسل الى المحلة صنjq من طرفه لولاية الغريبة وعزلى أنا ولكن الصواب اننى أركب وأكشف هذا الامر بنفسى ثم انه نهض على الاقدام وسار فى تمر قليل ولم يزل سائر الى ان وصل الى ذلك الخيام فامر من معه بالتأخر عنه فتأخروا عنه ودخل بيبرس الى داخل الخيمة الكبيرة ولما قارب الصنjq تمنى بين يديه وقال له باللسان المعجبى انت ياأمير أقبلت من عند أمير المؤمنين لاجل أن تتولى مكافى فلم يرد عليه جواب فقال بيبرس فى نفسه

يكون لم يعرف بهذا اللسان ثم انه قال له بالترك كي ما ترد يا اميراً أنت حضرت صنjq
على الغربية فلم يرد عليه جواب فكله بالعربي فلم يرد عليه جواب فتأخر الامير
بيبرس الى ورائه وصبر نحو ساعتين وهو واقف بين يديه حتى انه كل من
الوقوف فقال له ائذن لي ان كنت أرحل أو أقيم وتقدم اليه ومديده اليه فاعطاه
يده عند ذلك أخذ بيبرس يد عتمان وباسها وتأخر ثم أعاد عليه الفوال فرفع
رأسه وهزها وأما وثانيا الى الارض كل هذا وهو لا يدري ولا يعلم بان هذا
عثمان بن الحبله فلما اعياه الامر عن ذلك قال اني أريد الرحيل واذا به صاح عليه
وقال له انت تقول ايش يا مفس فقال له الامير انت من فقال له انا عتمان ابن الحبله
الذي بيتنا في المراغة والقبر الطويل وعبدنا اسمه فرج علي باب بيتنا فتدليل
فقال له يارجل اما تخاف الله تعالى لأي شيء أتعبتني وأنا واقف بين يديك
واتمني عليك وأقبل يديك مرارا وأعياني الوقوف قال عتمان ومن قال لك أقف
فقال له قم من مكانك ثم صاح فيه قال عتمان خذ المالك الله يسامحك والطبل هو
عندك وخذ تنقطن جاتك داهيه ثم أرمي له الكرك وأعطاه الكتاب الذي بخط
الوزير واذا به من الوزير الاكبر الى المحب الافخر ولدى الامير بيبرس حضر
عثمان بجوابك وقضينا لك مرادك وأرسلنا لك كرك سنجقية عند ابى
القاضي لانه قال السلطان ان النوبة لاتدق الا على رأس صنjq قاصر السلطان
بارسال الكرك اليك على يد عتمان وان تكون صنjq على اغاضته وقادم لك
النوبة وايضاً أربعين مملوك من عند أبيك يخدموك وضمنهم سالمين فلما قرأ
الكتاب بيبرس فرح فرحاً شديداً سجد شكراً لله تعالى ثم قال يا عتمان أنا مالي ومال
القاضي قال عتمان هذا عذر الاسلام وحبيب الكفار فقال الامير يارجل اتق الله
قال عتمان بخاطرك (قال الراوى) ثم ان بيبرس شرع في ادارة البنيان
والطبول تدق والزمر كذلك ولكن مع الاجتهاد نقلت الروايه انها تمت
في أربعة أشهر وتسعة أيام ابتداها ثلاثة عشر في الحجة سنة ٦٠٣ بعد الهجرة

النبويه لانه طلع من العيد الاكبر وأقام في البناء لغاية اثنين وعشرين من الربيع
 الآخر سنة ٦٠٤ من الهجرة وطلعت هذه القنطرة غاية ونهاية وصار لها
 رونق وكل من رآها يقول رحمة الله على من صنعها وبعد ذلك شرع في بناء المقام
 المشهور الى الشيخ على الفوال ولما تم بناءه حكم ما علمه الاستاذ وفرغ منه ثم
 أقام ايام قلائل بالحلة وأخذ الممارجيه وتوجه الى طنطا ولما وصل اليها دخل
 الي جامع البوصه وطلع عليه فرأى مولانا السيد البدوي جالس يوحده الله
 تعالى فسلم عليه وقبل يديه فاجلسه الى جانبه وكان عثمان معه فقال له السيد
 أنا لحظتك يوم الخلوة وكذلك الرجال أصحاب الاحوال وأنت منصور وقد
 اتخذتك ولدي ولي معك مقابلة سبع مرات أولها قابلتك يوم طعام الكشك
 وأنت مريض والثانية يوم الجمعة في جبل قاف وهذه الثالثة فديدا أنت ولدي
 بمقام عهد الله والله علي خلقه من الشاهدين الطاعة نجمعنا والمصيبة تفرقنا فقال
 عثمان عشقته يا أفرع فاشار عليه السلطان بيده فوقع الى الارض ولكن لاحظته
 السيد بنظرة عظيمة فسار عثمان معه لحظات اربع أولها من السيدة نفيسة
 العلم والثانية من الخضر عليه السلام والثالثة من الصالح ايوب رضى الله عنه
 والرابعة من السلطان شيخ العرب السيد احمد البدوي وله لحظات خلا
 ذلك منها لحظة قطب الدائرة ولحظة سيدي عبد القادر ثم غيرهما من الابطال
 ولكن سوف تذكر كل شيء في مكانه ويكون ان عثمان يتم له الولاية ويصير
 من الخواص المصطفين (ياساده) ثم انه السيد البدوي قال للامير اركب
 جوادك وسر به الى ارض طنطا الى أن يقف الجواد وحده بقدرة الله
 تعالى فانزل عنه وتأمل في الارض تجد خوصة نابتة في الارض مكتوب عليها
 بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فاذا رأيت هذه العلامة فهناك
 يكون مقامي فقال الامير بيرس سمعا وطاعة فقال عبد المال واجمل

مقامى عن يمينه من داخل الجامع وقال السيد مجاهد وأنا على اليسار وكذلك
الجوهري قال وأنا على راس الوادى فقال سمعاً وطاعة ثم أشار على عثمان فافاق
من غشوته وصار مع سيده وصار قطب عصره ولم يزالوا سائرين الى ان وقف
الجواد فنزل الامير بيبرس الى الارض وتأمل واذا به وجد العلامة التى قال له
عليها فشرع فى البنيان وبنى المقامات والجامع والمآذنتين ووقف لهم الا ما كن
وعمل واجتهد وقد بلغ فى البناء أكثر من نصف سنة وكان الوكيل على البناء
سيدى على المليجي الوصال وكان اذا عجبته حجرة من الاحجار حذفه الى بلده
مليج وهذا السيد يعلم منه ذلك واذا أتى الى العمارة يقول له وصلت يا وصال
(ياسادة) ويقال ان كل الاولياء يجاملون السيد البدوي ويساعدونه فى البناء وكل
من أتى يكتبه عبد العال والذي يغيب يخبر عنه ويقول فلان لا انا الينا فكان من
جملة من غاب سيدى اسماعيل الانبأى فلما ذكره عبد العال بلغه ذلك من نقيب
الالباء لان السيد أرسله له يقول له لاي شيء ما أتيت فعند ذلك ركب الصخرة
وسار بها فى البحر فلما رأوه أهل بلده ساروا يقولون له جئدر يا ركب الحجر
فدعا عليهم بالحضار كما استهزأ به وسار الى ان وصل الى السيد احمد البدوي
فقال له لاي شيء ما أتيت فقال جئت ركب الصخرة فقال وعزة الله انت راكبها
ويدي من تحتها لسكن انى أتيت واريد أن تشتغل فقال سمعاً وطاعة لكن
بالاجرة ويكون شغلى فى القبة فقط قال السيد له وهو كذلك فاخذ سيدى اسماعيل
قصرية ووضع فيها النصف ملين والنصف طوب وقعد بجانب القبة ودام البناء
يعقد حتى تمت القبة ولم تفرغ تلك القصرية وهو واضعها على الاشغال ولما
تسكملت عقد القبة ولا بقا شيء فقال يا شيخ العرب احسب لى اجرى فقدر
له السيد سنوى خمسة وعشرين غرشاً وسبعة جدد فقال له هذه اجرى وأين
نحن التالية فقال له قد جمعت السبعة جدد منها فقال لى عليك ذلك يا شيخ
العرب مادامت القبة موجودة فقال لك على ذلك فيقال والله اعلم أن سيدى

احمد البدى يرسلهم فى كل عام الى سيدى اسماعيل الانبائى وذلك ان خادم
 سيدى اسماعيل يجدهم العام الى العام داخل صندوق النذور ثم بعد تمام ذلك
 الاحوال استأذنوا سائر الاولياء فى المسير فاذن لهم الاستاذ بالانصراف ودعا
 لهم وساروا الى حال سبيلهم فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) واما
 ما كان من الامير بيبرس فانه لما نهب الفراع من تلك الاشغال شرع فى المولد الكبير
 وهو المشهور فى سائر الاقطار وقد رسمه عشرين يوماً ثم ان الامير بعد ذلك سار
 طالب أرض المحلة وذلك بعد ان قرأ الفاتحة واستأذن وسار الى مقام الاستاذ
 الجوهري فبناء وأشهره لكل من يراه وسار بعد الاساتذة طالب المحلة وتلك
 الاوطان فينما هو سائر واذا قد أخذ المعطى الظمأ ولم يجد فى مسيره الماء فسار
 قليل وتأمل واذا به يرى فى طريقه زيرين ملبسين بالماء الزلال فصاح بعثمان
 اسقني الماء يا عثمان فلم يرد عليه عثمان فصاح به الثانية والثالثة فقال له اعلم ان
 صاحب الماء رجل بخيل ولم يرض أن يسقيك فقال له لاي شيء يا عثمان أما هو سبيل
 يشرب منه الغني والفقير والجليل والحقير فقال عثمان سبيل لغيرك وأما انت فمالك
 عليه سبيل أبداً فصاح فيه املا الكوز انت ولا يخصك شيء فقال عثمان جاتك
 داهية ابن الخرا لا يصدق حتى يرا ثم تقدم عثمان وملا الكوز وناوله اليه واذا به
 فارغ فتمجب من ذلك وأخذ الفرع فينما هو كذلك واذا برجل قد خرج
 اليه من خلف الابار عليه دلو مرفع ويده جريدة عليها شوك وله ثلاث
 ضفائر من الشعر وهو مكشوف الرأس وقال له السلام عليكم يا سيدى بيبرس
 ما اسم الكرم فعند ذلك أخذته الهيبة وتحول من على جواده وأقبل اليه عند
 ذلك الرجل وقبل يده فقال له انت تريد ترتب علينا ترتيب ونحن ناس فقرا
 على باب الله تعالى وأنت رتب علينا هذه الشربة لا بد لغيرك أن يفعل
 مثل فعلك فوعزة الله لا كان ذلك أبداً وان كان ولا بد من شربك الماء فتسلا
 هذا الكوز ذهباً حتى ان الترتيب يكون عليك لا علينا فقل له سمعاً وطاعة

ثم ان الامير ملا الكوز ذهباً وكتب بذلك سجن علي كل من يتولى المحلة
ثم ان الامير شرب وقبل يد الاستاذ وقال ياسيدي ما أنت من عباد الله
الصالحين فقال له يارجل أنا الفقير الي الله تعالى عوف ابو اللطيف فقال
له سألتك بالله الا ما دعوت لي فقال له الله تعالى ينصرك على الاعداء ويعمر
بك البلاد ويرشد بقدمك العباد ففرح الامير بذلك الدعوات وانصرف
الى حال سبيله وصارت هذه العادة مرتبة للشيخ ابو اللطيف ولم يزل الامير
في سرور وحظ الى ان وصل الى ارض المحلة ونزل في دار عزه ومجده وقد
تذكر ما من الله به عليه فصار يترنم بهذه الايات

أعاني ربي حتى بلغت ما أرى	وأعطاني فضلا جميلا زايدا
واسعدني ربي حتى قضيت حاجتي	بفضل علي رغم أنوف العدا
والنقيت بآل كرام كلهم	من آل بيت النبي محمدا
ونجم سمدي قد تلالا مشرق	وعلا فوق السماء رفرقدا
وقلت خضر ونجم وجيشهم	وسقيتهم بهنئ كاس الردي
ولقيتهم وضربتهم وهكتمهم	وساعدني سمدي بكل ترشدا
وعلى العمار ربي أعانني	من بعد ما كان البنا نهيدا
وأثبت قولي وأبطل مقالهم	بحكمة قيوم في علاه تمجدا
وقابلت اقواما كرام العطا	والتمت منهم كل الندا
وبنيت مارمت حقا من البنا	وأوجوا العفو في يوم الردي
وعمرت ارضا للشواب وانني	نشأت ثوبا يرتجى طول المدي
وبنيت بالمحلة ثم بغيرها	قناطر تبلغني رشادا وسوددا
وبنيت المقامات لاهلها	وعمرتها بذكر الله مع أهل الهدى
ونصرتي الرحمن حل جلاله	وزادني فضلا علي رغم العدا
ومن الله أرجو أن يعينني	على الخيرات في طول المسدي

وصل يا الهى على المصطفى احمد رسول الله جاء بالهدي
كذالآل والاصحاب جمعاً بأسرهم ما طلعت الافلاك أو نزل النداء
كنّا التابعين لامرهم ولقولهم وكل محبيهم ينجدو هذا
(قال الراوي) ولما فرغ بيرس من مقاله وما أبداه من أقواله جلس في
مكانه يسبح الله تعالى الذي خلفه وصوره وينقش الواح الخط على صدره مدة
من الايام فيوم من بعض الايام بينما هو جالس واذا قد دخل عليه عشرة رجال
يقدمهم رجل عالي القدر فلما وقعت العين على العين قبلوا الارض بين يدي
الامير بيرس وسلموا عليه وقالوا ايها الامير قد جئناك مستغيثين وبك
مستجيرين وبما نزل بنا خائفين ولا تردنا خائين فقال لهم وكيف ذلك ومن
انتم ومن أين أقبلتم فقالوا له نحن من بلد يقال لها بطينه ونحن أكابرها وهذا
شيخ البلد وما جئنا اليك الا بأمر عجيب وسماع غريب فقال لهم وما هو فقالوا
له أعلم ايها الامير انه قد ظهر عندنا غول مهول وذلك الغول على صفة الآدميين
شنيع المنظر كره الخلقه غليظ البشرة كل ما مر بشيء يأكله وكل ما مر بزرع
يقلمه وكل ما رأى شيئاً يفسده ولا يعرف الشبع ولا يدري الجزع وكل من
تعرض له في طريقه أهلكه وقد اجتمعنا عليه مراراً ونحن في عصبية عظيمة فلا
وجدنا به من طاقة فلما أعيانا الامر قال لنا هذا الشيخ ان اردتم ان ينصركم
الله تعالى على هذا الغول فيكون ذلك على يد الامير الذي بنا مقام سيدى أحمد
البدوي لانه رجل منصور وعدوه مقهور فقلنا له قد نظرت موضع النظر
وهذا هو الامر المدير ثم اتنا أتينا اليك ووقفنا بين يديك وعرضنا ذلك القول
عليك والسلام (قال الراوي) فلما سمع الامير بيرس ذلك الكلام العجيب
كاد ذهنه ان يغيب ثم انه التفت الى عثمان وقال له خذ معك اخوتى السقورة
الاثنين وسرهم مع هؤلاء العشرة واقبضوا على هذا الغول الليشوم حتى
أنظر ما يكون في هذه الامور فاجاب بالسمع والطاعة ثم أنهم ساروا من

وقتهم وساعتهم وهم مهتمين في حاجتهم الى ان أقبلوا الي بطينه فلما استقر بهم
 القرار قال عثمان انا لهذا الغول كفية وحق رب البرية فقالوا له السقورة وكيف
 تصنع قال لهم ان أردتم ان أقبض عليه لكم فأجعلوني في جلد جمل واربطوا
 على وارموني لهذا الغول وانا من داخل الجلد فاذا وجدني يأتي الي عندي فاذا
 اراد ان يقتلني فأصبح عليكم واكون قد مسكت يديه وأنتم تدركوني فتجهموا
 عليه وقد أخذناه والسلام (قال الراوي) فلما سمعوا كلامه ضحكوا عليه
 وقالوا له يا شيخ عثمان وكيف اننا نوضعك في الجلد وزميناك الى التلف في يد
 العدو ولكن ارح نفسك من هذا الامر قريب وسوف تري من أفعالنا ما يسر
 كل حبيب ثم ان الاثنين السقورة أمروا المشايخ ان يروحوا فيحضروا الطعام فقي ساعة
 الحال احضروه وبين أياديهم وضعوه فعند ذلك مزجوه بالبنج الطياري وقالوا
 للرجال احملوا هذا الطعام واوضعوه في طريق هذا الغول ففعلوا ما أمر به فقي
 ساعة الحال أقبل ذلك الغول وقد كرف رائحة الطعام فاقبل عليه باهتمام وجمل
 يأكل منه مثل الوطان فما أتى على آخره حتى تمكن البنج من رأسه وضامره
 فسقط هاوياً الى الارض ولم يعرف الطول من العرض فابتدر اليه عثمان فوجده
 بهذا الشأن فوثقة كثاف وقوى منه السواعد والاطراف وقد اجتمعت عليهم
 الناس وأخذهم من ذلك الفعال الوسواس وقد شاع الخبر في أهل البسندو
 والحضر بقبض الغول وان الذي قبضه الامير ييرس كاشف المحله ولا بد
 ان يقتله ويريح الناس من فعايله (يا سادة) ولم يزالوا به الى ان اتوا به الى
 الامير وهو كانه البرج الكبير فلما نظر اليه الامير تأسف عليه وجزن وبكي
 عليه وقال كلمة لا ينجل قائلها لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم والله
 لو كان هذا حافلاً على نفسه رشياً في أمره لكان الاسلام أحق وأولى به
 لأنني ارى علامة الشجاعه بين عينيهِ والفروسية ظاهرة عليه وانما لكثرة
 هواه موته خير له من حياه ثم ان الامير قال خذوه واقتلوه ولا تبقومه

فتقدم اليه سقر الهجان واوقفه كثاف وقوى منه السواعد والاطراف وعم عينيه
وأرماء في نطقة الدم وأعطاه ضد البئح عطس وافاق لنفسه فوجد نفسه هكذا فتقدم
اليه ليقضى عليه فيينا هو علي ذلك واذا فدا قبلت امرأة وهي عابسة الوجه ضايمة
الحواس واقبلت حتى وفعت بين يدي الامير وهي تنادي لا تظلمي ايها الامير
ولا تجاري علي ومامننا الا يقول لا اله الا الله محمد رسول الله انت يا امير تقتل
الاشراف وتسبي الاحرار وتعمل فمال الفجار فقال الامير متمجبا من قولها عوذ بالله
مما ذكرت اخبرني ما السبب في ذلك وما تكون قصتك وحالك فجعلت تسلم بهذه الايات

الله ناصر لكل موحد	ومخذل لكل طاغى وظالم
ومبيد أهل الظلم والردا	وأخذ للخلق كل المظالم
ومخذل أهل الكفر منه بمدله	وأخذ بيد المظلوم المتقادم
فلا بد ان يصبح المظلوم في عزة	ولا بد للظالم ان يصبح نادم
قد أمر بالعدل في قوله	وأمر المختار حقاً بنصر مظالم
وأنم ولأه الامر من أهل الوري	وأنم طعام الارض والطعم مادم
نخذ بيدي واسمع دعوتي	واصني مقالي وكن لي قاهم
مظلومة من الايام حقاً وغيرها	ومنك ايضاً ظلومي ومأثم
هذا شريف الاصل سيد قومه	وانه شريف من رجال اكارم
له الفخر والاعزاز في كل موطن	له الشرف العالي في المقادم
له نسب متصل بخير الوري	احد المختار نبينا الهاشمي
فريد قتله ظلما بنير جناية	وتلقى الله يوم القيامة ظالم
من أين تجد سبيلا للنجاة	ومن أين تخلص من يد لحاكم
فاعتدل ولا تنجور وتمتدي	واخشى كريها ولا تكون مخاصم
وقدم بين يديك له حقه	ولا تكون ظلوما فتبقي نادم
أمر الله بالعدل في قومه	وانت على غاية به ومفاهم

كيف تقتل شريفا مفضلا وتحرق فؤادي وأتقى راغم
 فلي حديث تمجبه منه الاكل لوري ويحير فيه كل ذي فطنة وتكارم
 وهذا سؤالي قد أخبرتك به والله ربي شاهد ثم عالم
 فأنا التي شئت البين عزوتي وأسقائي كؤوس العلاقم
 (قال الراوي) فلما سمع الامير بيبرس كلامها وما أبدته من نثرها ونظامها
 ود سماع قولها ورق لحالها وأخذ بخاطرهما وطلب قلبها وأمرها بالجلوس بين
 يديه وصبر عليها حتى أفاق من غشوتها على نفسها وقال لهم اتركوا هذا الرجل
 حتى نسمع كلام هذه الحرمة فعندها تأخر عنه سقراطهجان ثم أن الامير بيبرس
 قال لتلك الحرمة اخبريني عن سبب ظلومتك وما تكون قصتك وبليتك
 فقالت له أريد منك ثلاث روق ذهني والى سمعك وأكثر من الصلاة والسلام
 على النبي الكريم فقال الامير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين وسلم
 تسليما فقالت له اعلم انه قد ورد ببلدنا رجل من أولاد اسماعيل يقال له المقدم
 عون وكان هذا رجل فقير الحال فأقبل الى المضيفه وبات فيها تلك الليلة وذلك
 من شدة فقره فبالامر المقدر جاء بعض الفلاحين يشكون الى شيخ البلد ان
 الغنيلان قد سرقا منها الحبوب وكذلك البهايم قد سرقا من البيوت فلما سمع
 الشيخ منهم ذلك المقال قال لهم ومن فعل منهم هذه الفعال فقالوا له ان البلد
 التي أقصانا يفورون علينا ويهجموا علينا يأخذون بهائمنا وهم الآن سائرون
 بمتاعنا ومواشينا فتحير الشيخ وصار يضرب كف على كف ويقول نحن مالنا
 طاقة بأهل هذه البلد وما يكون الحل في ذلك الامر والزلل فتقدم اليه المقدم
 وود وقال له هذا لا تخف ولا تحزن ولا تتأسف فأنا قد أكلت من طعامكم
 وشربت من شرابكم والآن وجب علي اكرامكم وأرد مواشيكم اليكم لانه
 يقال عيب على راعي الحما وهو قادر اذا ضاع في البيداء عقلا بعير فلا بد ما أرد
 لكم ضالتكم واكرس شوكة أعدائكم ثم انه نهض في أربعة أنفار من أهل البلد

وسار خلف اللصوص ولم يزل سائر والاربعة يدلون به حتى أدرك اللصوص
وقد سبقهم واستقبل وجوههم وجرد حسامه وصاح فيهم الله أكبر فتح الله
ونصر وصار يضرب فيهم يمينا ويساراً حتى فرق جموعهم في القفار وقد تعجب
منه الاتقار ورد الضالة على أهلها ولم ينقص منها شيء ورجع بعد ذلك ولم يأخذه
تعب ولا ملل ولا شقاء ولا فشل فلما استقر قراره وقد فرح به الشيخ والرجال
الامارة فتقدموا اليه وقالوا له أيها السيد الكريم والبطل العظيم هل لنا في جنابك
مطعم وزمامك مرتع أن تقيم عندنا وتكون في أعيننا وتوفر غيظنا وبعد
تناولك منا ما يكفيك من الاجرة وما تقره عينك فأجابهم الى ذلك وتولى الفقير
وأخذ وأعطى وقد صارت البلدة محفوظة بسبب هذا الرجل فلما تكامل ذلك العام
جمع ماله من الزراعات والموائد والخيرات فكان شيء كثير ثم انه أراد الزواج
فخطبني من أهلي ففرحوا به وأكرموه بي فقمعد عندي وأدى مهرى ودخلني
فحملت منه بذلك الغلام الذي بين يديك وأقام معي بعد الحمل ثلاث سنوات
وتوفى الى رحمة الله تعالى وقد ر عليه بكاس المات فأوفيت شهوري ووضعت هذا
الغلام فطلع فارس لا يطاق وعلق امر المذلق ثم انهم اكرموني واكرموه وذلك لاجل
خاطر أبيه الى أن بلغ مبالغ الرجال وصار له قول وأحوال فأقاموه محل أبيه
وكل ما أتاها نتقات به أنا وایاه فيرم من الايام بيننا هو سائر بين البيوت والعيطان
فرأى رجل زارع مقانة خيار فقال له انني لم آخذ شيء على هذا المكان فقال
له ذلك الرجل يا سيدى الارض أرض الله والزرع لله والخلق خلق الله والامر
أمر الله وأنا لم أحط غفراً أبداً فقال له ولدى وقد سميت ناصراً الدين عون صدقت
يا شيخ نجم ثم انه تركه ومضى عنه ولكنه أضمر له الخيانة في سره فلما جن الليل
نزل ولدى على مقانة الرجل وجعل يقطع هذا ويأكل هذا ويقطع هذا حتى أخرج له
المقانة كلها وبعد ذلك أراد الانصراف واذا بالرجل قد أقبل وقال له قد أكلت
الخيار ولا أبقى له آثار ولكن روح بلاك الله بالفحط والاضرار ثم تركه وسار

الى حال سبيله فلا أحد يراه ياسيدنى ثم أن ولدى أقبل علي وقال لي يا أمى أنا جيعان
 فقدمت اليه الاكل فصاح أنا جيعان ولم أزل كلما أوضع له شىء يأكله ويصيح
 أنا جيعان حتى أكل كل ما عندى ثم انه بعد ذلك خرج من عندى وكل ما امر بقوم
 يأكل ما عندهم ورحل الى غيرهم وقد مموه الغول وقد أخافوه أهل البلاد وكل العباد
 ولم يزل كذلك حتى شاع ذكرك ونصرك الله على خصمك شكوا اليك هذا الامر
 فأرسلت اليه أحضرته الى بين يديك وأردت قتله وقد شاع في البلدان الامير بيبرس
 يريد أن يقتل الراجل المستغول فلما بلغني ذلك أتيت اليك وسألتني أخبرتك وهذه
 حكايتي والسبب وحق من على العرش احتجب (قال الراوى) فلما سمع الامير ذلك
 الكلام قام الى الحرمة وقبل رأسها وقال لها لا بأس عليك ياسيدنى قومي وروحي الى
 المكان وسوف ترى ولذلك أحسن مما كان بعون الله الملك الديان فعند ذلك دعت له
 بالنصر والظفر وانصرفت الى حال سبيلها على ذلك الامر وقد حدث ربها على نجاة
 ولدها وايفنت بذهاب صبرها وياسها فها ما كان من امرها (قال الراوى) وأما ما كان
 من أمر ولدها والامير بيبرس فإنه يذكر كلام سيدى احمد البديوى سلطان الرجال
 الكرام لما قال له دع هذا النوي معك فإنه ينفع لداء الفجط وحق الذى خلقك وقد
 سبق ذلك فى ديواننا الذى تقدم قبل هذا الديوان وكل شىء له أو ان (ياساده) يا كرام
 يا أهل الخيرات صلوا على سيد السادات فأخرج من ذلك سبع نوايات وجمعها بيده
 وسحقها وعجنهما بالصل النحل الابيض وأمر باحضار فطيرة معجونة بالسن
 البقرى وجعل عليها ذلك العسل المزوج بالنوى وقدمها الى ذلك الرجل فلما أكلها
 أخذته النوم فنام فلما استيقظ من منامه كان الامير بيبرس عمل له فطيرة
 أخرى فأكلها ونام وكذلك الثالثة فلما أفاق من النوم قال الامير انتوه
 بالطعام فأتوا بالطعام فأكل منه قدر رغيف وقال الحمد لله رب العالمين أشهد
 أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله أين أنا فقال له الامير أنت عندنا
 فقال لهم اعلموا يا اخواني اني قد عافاني الله تعالى من جميع ما أجده من

هذا الجوع فقال له الامير ما عندك داه أبدا هذا وقاموا اليه اولاد اسماعيل
وساسوا عليه سلام الاحبة والخليل وقالوا هذا أخينا ومنا وابن عمنا ومن دمننا
ولحننا هم انهم قلدوه بالسلاح وأنعم عليه ولبسه بدله عظيمة لها قدر وقيمة وأمر
له بخزين داره وعلو مقامه وذهاب اكداره فقام في خدمة الامير أيام وقد بلغ
أمه ذلك ففرحت غاية الفرح وانسع صدرها وانشرح وقبل المقدم ناصر الدين
عون يد الامير واستأذنه في السير فأذن له فسار الى ما كان عليه من الغفر وقد
أبراه الله من الضرر وعافاه من ذلك الامر المنكر فهذا يكون له ذكر اذا هو
من اللجج قد ظهر وبان أمره واشتهر (قال الراوى) ورجع النص والكلام
المعجيب الي ما يحصل من اللعين الكتيب القاضى المريب وذلك ان ابيك التركاني
جلس في بيته ولما أقبل الليل أرسل الى القاضى أحضره بين يديه فلما حضر قال
له يا مقلة الزعل ضيعت مالى وأذهبت مصالحى وصبحتي فقير بين الناس وذلك
لاجل هلاك بيبرس ولم يفيد من ذلك شيء واني الآن أريد أن أقتص منك
وأمتنع من صحبتك التي ماهي الا خسارة فلما سمع القاضى كلامه
ضحك له وقال تأتي ايها الرجل البهلول ولا تكون في أمرك عجول وسوف افعل
ما تقربه عينيك ثم انه أخرج دواة وسطر كتاب وأعطاه الى غلامه منصور
وقال له يا ولدى قد كبرت عنتي وأكادت أن تنفطر مرارتي ولحسن خذ هذا
الكتاب وسر به الى سمند وأعطيه الي قاضى سمند وأمره أن يعمل
بما فيه وهات لي منه رد الجواب ثم انه سارره في أذنه وقال له اعلم انه
من غلمانى وانه نصراني وانا الذي وليته على ذلك المكان وعلمته على هذا
الامر والشان فسار به منصور وقد طوى الارض طى ونهب البر اثهاب
حتى وصل الى سمند وسلم الكتاب للقاضى فحله وقراه واذا في أوله
صليب وفي آخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحى الله الملك
القريب المجيب خطاباً من شيخ الارجيس وخليفه ابليس التميمى النجيس

الكلب القرنان للملق من واحد وأبعين قسيس من داخل كنيس الى بين أيادي
ولدي خناجر اعلم يا ولدي اني جاءت لي دعوة وقد أخرجني السيد المسيح
والحواريون انها تقضى على يدك خال قراءتك الكتاب تصبر الى الليل وتسير
الى المحلة وتسال على دار الكاشف الذي بها وهو يقال له الامير بيبرس فاذا
دولك عليه فانزل واسرقه وسربه الى بين البلدين المحلة وسمنود واقطع رأسه
واخذ اتقاسه ولك في نظير ذلك خمسين سنة زيادة في عمرك ومائة فدان في
سقر شكر يامسيح والسلام (قال الراوى) وكان هذا اللعين خناجر فاجر ابن
فاجر يخوض الليل ويركب الخيل ويشن الغارات ويسرق الكحل من العين
والجديد من بين القميصين فلما قرأ الجواب قبله وجعله على رأسه وقال سمما
وطاعه لعالم الملة فسر انت يا برتقش اليه وسلم عليه وقبل ايديه ورجليه وقل له
اني فاغل كلما يطلبه منى فرجع البرتقش من عنده فلما وصل الى استاذة أخبره
بما جرى ففرح اللعين بذلك فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوى) وأما
ما كان من أمر اللعين خناجر فانه صبر الى الليل وسار الى المحلة وعرف المكان وكمن
هناك الى ان تمام الناس فهذا ما كان منه

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر بيبرس وعتبان نه فادخل على
سيده فرآه جالس يقرأ في القرآن الشريف فقال عتبان سلام عليكم قال الامير
عليك السلام قال عتبان قم بنا نلعب استغفر ما به قال بيبرس أنا ما ألقب
فقال عتبان نلعب السيجه قال له لا ألعب شيئاً قال عتبان يا شقر خيلنا الليلة بلا
نوم ودعنا نقضيها بالسر والضحك واللعب فقال له اتركني وأمضى الى حال
سبيلك فقال عتبان انت الاخرجادتك داهيه من عند الله ولكن مدركك اللطاف
الخفية ثم صاح عتبان بملو صوته يا نقيصة العلم احضري له وتركه ونزل
الى حال سبيله فهذا ما كان من عتبان (قال الراوى) وأما ما كان من
أمر الامير بيبرس فانه بعد ان فرغ من القراءة تخفف من ملابسه ودخل

الى محل نومه فنام وتوكل على العليم العلام الرحيم الرحمن ولم يدرك ما كتب له من
قديم الزمان على رأى من قال هذين البيتين صلوا على سيد الثقلين
امنتم وتحكمتم واغترتكم بمهلة وامنتم الدهر وهو خثوون
خذوا حذرکم من نكبة الدهر انما اذالم تكن كانت فسوف تكون
(قال الراوى) فلما استقر به المنام نزل عليه اللعين وقد اقبل وافرد على وجهها
منديل مطبق بالبنج الطيار فالتقى النوم على النوم واقتلع به بعد ذلك ولم يزل سايرا الى
بين البلدين ثم انه الفاه الى الارض واوثقه كنانا ونشبهه فى الارض واعطاه ضد البنج
عطس فقال الحمد لله رب العالمين اشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله أنا فى أى
مكان فقال له اللعين أنت عندى يا كناس يا مرفوس فقال له الامير ايش انت قال له انا
ايش ابصر انا ايش انا خناجر عايق بلاد الروم قال له ومالك ومالي ومن سلطك
على قال له سلطى عالم المسلة جوان وقد اكراني على قتلك قال اذا كان
هو اكرالك على قتلي بمشرة آلفه انا اعطيك عشرين ولك مى الامان قال
له يا كناس اعطاني مائة سنة زيادة فى عمرى وعشرين فدان فى سقر والواضى
الاحمر وأنت ايش رايح تعطيني قول كلمتك عند التناز قال له تأخر عنى حق
اطلب الفرج من صاحب الفرج قال اللعين من أين يجي لك الفرج يا كناس
وقد وقعت فى ضيق الاتقاس وما بقى لك من يدى خلاص قال له تأخر
يا ملعون حتى اطلب الفرج بمن لا نزاهة الميون فجعل اللعين يهزأ به ويقول
تعالى اليه يا سيدى فرج ثم تأخر اللعين عنه والامير رفع طرفه الى السماء
قبة الدماء وقال

الهي أنت المليم بما قد نزل بي من المصايب
وأنت القدير على الامر كله وقد حارت الافكار من كل حاسب
ففضلك لا يحصيه كل الورى لا ولا يعدونه كل الكواكب
ففرج عنى كرتي مع شدتي وما بليت به من نكايب

واصرف عني الهم والنعم كله وأرسل لي فرجاً غير ذاهب
وكف عني ذا اللعين وكيده وابليه بامولاي بالمصايب
لأنه عندي شديد كافر من نسل قوم لثام كواذب
أني. توسلت اليك بخير الوري طه رسول الحبيب الغالب
عليه صلاة مع سلام دائماً ماطلعت الانوار من كل جانب
كذا الآل والاصحاب كامل جمعهم هم السادة الكرام الاطايب

(قال الراوي) فاتم الامير دعاءه وتضرعه الى مولاه حتى صرخ اللعين صرخة
مرعبة ادوى منها البر الاقفر وقال في صراخه واي كانه الليث المفضنر فتأمل
الامير رأى اللعين وقع الى الارض قتيل وفي دماه جديل يختبئ بيده ورجلاه وبعد
قليل بطل حسه وخذ نفسه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار هذا وقد تعجب
الامير من ذلك غابة العجب ولم يقف على حد السبب (قال الراوي) وكان لذلك سبب
عجيب وامر مطرب بديع غريب يريد أن نسوقه على الترتيب حتى ان المستمع يلهو
ويطيب بعد الف صلاة والف سلام ترضي النبي الحبيب الذي من صلي عليه فليس
يخيب وكيف يخيب وهو يصلي على النبي الحبيب وذلك يا اخواني ان الله من كرمه
واحسانه وفضله ولتمتانه مخلق الفرج من قلب الضيق ويخلق اليسر من العسر
فتأملوا يا اهل التحقيق وانظروا هذا الفرج الذي قد خرج من عين الضيق
وذلك ان اللعين خناجر لما ان تأخر عن الامير بيبرس حين طلب الفرج
فبالامر المقدر والبلاء المحرر حصره البول حصراً قوياً فاراد اللعين ال يريق
الماء في ذلك البرية مثل اقرانه وهو واقف فلم ينزل منه الماء ابداً واخذ
الحصر بزيادة فجلس على كفيه وراق الماء في شق هناك فخرج من ذلك
الشق ثعبان كانه قضيب البان ولدغ اللعين في محاشمه فصاح الصيحة التي
ذكرناها وعجل الله بروحه الى النار فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي)
وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه صبر حتى مضت عليه أكثر من

ساعة وهو على تلك الحالة في البروحيد وقد ألمه الكثاف فبنا هو كذلك اد نظر رجلا في البرو هو راكب على حمارة ويقول لها سيري يا مبارك بآذن الله تعالى فسارت الى أن اقبلت الى ناحية الامير بيبرس ووقفت بقدة الله تعالى الملك القدير وأمنت من المسير فقال لها سيري يا مبارك فلم تنقل ابدا فقال لها انت تعبى من السير ومن ركوبى عليك ولكن انا خفف عنك ثم انه نزل عن ظهرها وخلع البردعه عنها ووضعها على رأسه وبعد ذلك ركب على ظهرها وقال لها الا أن خففت عنك سيري بقي فتعجب الامير من فعله كل المعجب وصاح كيف خففت عنها وهانت والبردعه عليها فالتفت اليه وقال له وايش تكون انت قال له رجل من خلق الله تعالى فقال له ولاى شيء لنت هنا قال له ادركي فأنى رجل مظلوم وفعلوا بي العدا ما ترى فدنا منه وحل كتافه وقال له قسم باذن الله تعالى واركب الحمارة حتي اني أوصلك الى دارك وأخذ الاجرة قال له الامير سمعا وطاعة ثم انه اركبه وسار ماشى خلفه وهو لا يعلم من هو ولم يزل سائر الى أذاني دواره فاصدق الامير أن يصل الى هناك حتى تحول عن الحمار وصعد الى مكانه وترك الحمار وقد بقي الله عليه النسيان لانه كان تعبنا من السهر وما قد اعتراه من ألم الكتاف فنام حتي طلع النهار فلما صلى الامير صلاة الصبح وجلس يقرأ ورد الافتتاح وقد طال المطال على صاحب الحمار فقال للحماره اطلعي الى الامير بيبرس وانطقي بقدره الله الواحد الاحد وقولى له هات اجرتنا فطلعت الحمارة الى المقعد ونظلت وقالت له صاحبي يريد الاجرة فلما سمع كلام الحمارة نهض على الافدام وتذكر الشيخ الذي خلصه واركبه الحمارة فنزل مهرولا الى ان أقبل عليه فقبل يده واعتذر اليه وطلب منه السماح فسامحه وقال له سامحك الله تعالى فقال له الامير ما تريد قال أريد أن تبني لى مقاما لمرض مليح وانى انا قد سرقت الطوب من المارة الكبيرة التى كانت بطنطا لانى كنت اذا اعجبني حجر

حذفته الي بلدى وأريد الآن انك تبقى لى مقام وتسميه باسمي انا الفقير الى الله تعالى على المليجي وترتب لى مولداً يكون قبل مولد السيد بجمعه واحدة وتكون هذه اجرتي منك وأما اجرة الحجارة فانت ترتب لها شيئاً بمعرفتك كما تريد فقال له قد رتبت لها ستة فدادين من الطين من غير مال فى كل عام على كل من يلبس كاشف بالقرية ولا احد يأخذ لهم ملك ابداً فسميت حجارة الشاوية لان ذلك الطين كان بارض الشاويين من تلك الموضع ثم ان الامير أجب الاستاذ الي ذلك وارسل المهندسين والبنائين وشرع فى المقام والمسجد العظيم الموجود الي الآن وبنا له مأذنتين وبعد الفراغ من هذه الاشغال شرع له فى المولد ورتب له تراتيب وخيرات وكتب الطين للحماره وذلك لاجل أن الله نجاه من عدوه فهذا ما كان من امر هؤلاء

(قال الراوى) وأما ما كان من أمر اللعين جوان فانه مقم ليلا فى مكانه واذا برسول أبيك قد أقبل عليه وقال له أجب سيدى فقام اللعين ودخل عليه وهو يقرأ فى القرآن ويسبح الرحمن ويدعو للاسلام فتخرج له أبيك واجلسه بجانبه فلما استقر به الجلس قال له الى الآن ماشاع عن بيبرس خبر ولا سمعنا عنه شيء وانت أوعدتنى بهلاكه وارسلت مكتوباً فما كان من أمره فقال له اعلم انى ارسلت اليه من يقتله فى كتابى الذى ارسلته ثم ارسلت بعد ذلك من يكشف لنا خبره ويقف على اثره وما أقول الا أنه قد قتل بين البلدين ولا بقيت تراه بالعين فبينما هم فى هذا الكلام واذا بالرسول الثانى الذى ارسله القاضى قد اقبل وهو على حالة مزعجة فقبل يد القاضى وقال له ما عندك من الاخبار فقال له اعلم انى سرت كما امرتنى الى المكان الذى عنه عرفتنى فلم أر بيبرس فيه ولا وقفت له على جلية أثر بل وجدت الرجل الذى ارسلت اليه الكتاب طريقاً هناك على التراب نهشته الوحوش والدواب والدود قد تنثر من لحمه

عاينت ذلك تركته وأقبلت اليك وأخبرتكم بما رأيت والسلام (باساده) فلما
 سمع أيبك والقاضي ذلك عظم لديهم وكبر عليهم وكادوا أن يهلكوا أنفسهم بأيديهم
 وجعل أيبك يسب القاضي و يلموه و يقول ماهذه الفعالم الذي فعلتها وما هي
 الا وبال علينا وأنت السبب في ذلك ووالله لقد كنت أنت السبب في هلاك
 أموالى وتعبي واشتغالى ولا بد ان أقتلك بيدي وأقتل بعدك نفسى وأستريح
 من هذا العناء والتعب يا أخسر القضاة يا مقلة الرغل الله أعلم انك جاور يا كلب
 قال فلما سمع القاضي ذلك منه ضحك له وجعل يصبر صويلا طلقه ويقول له تانى
 ولا تعجل فسوف ترى ولا بد ان يكون جميع ما بعتك بيبرس لك ونحت
 يدك وكل ما صرفته أنت فهو مفقود عندي فى القرار المكين لا تخف لا تخف
 واعلمك أيضا أنه قد خطر ببالى شيئا آخر وهو ان شاء الله تعالى فيه الصلاح
 لنا وسوف أطلعك عليها وأعلمك به فقم بنا الآن من هاهنا ثم ان
 جعل يده فى يد أيبك بمكره ودهاء وأخذه وسار الى ان دخل
 البستان وم الاثنين من غير زيادة هذا وقد جلس اللعين على الساقية
 وأمر أيبك بأن بدورها فصار أيبك يدور الساقية والقاضي يسطر فى كتاب
 فلما تهيأ الفراغ من كتابة الكتاب قال لا ييبك ارسل هذا الكتاب مع
 قراجو ان أختك الذى كان محتسب بارض مصر وسلم اليه غلة ملائنة
 حديد قال له وما يصنع بذلك فقال له اسمع ما قد سطرت فى كتابي
 هذا ثم قرأ عليه واذا فيه الصلاة والسلام على من تظله الغمام خطابا
 من أمير المؤمنين ووارث التبيين وخادم الفقراء والمساكين الى بين أبأدى
 بيبرس ساعة وصول تابعنا فواجو اليك توضع نفسك فى الحديد وتسلم نفسك
 اليه وتسير معه الى عندنا لان عليك دعوة فى الديوان وزيد ان تحققها
 فان كان لك الحق فلا بأس عليك وان كان عليك الحق فاما ان نسامحك

أو تقتص منك بالشرعية المحمدية والحذر ثم الحذر من المخالفة والسلام
على نبي تظله الغمام ثم ان اللعين القاضي قال لا يبك أريد منك شيئاً
آخر قال له وما هو قال تأتني برجل صايغ يكون غريب من هذه البلد
وذلك أريد منه اصطناع ختم يشبه ختم الملك فقال سمعاً وطاعة ثم انه أرسل
الى رجل من مصر القديمة ليلاً وأحضره وقال له أحبّ مولانا القاضي في كل
مأمرك به فقال سمعاً وطاعة ماتريد يا مولانا فقال له يا ولدي اعلم انك دخلت
ديارنا وقد وجب اكرامك علينا ثم ان اللعين أخرج له كيساً من الذهب
ووضعه بين يديه وقال له خذ هذا فهو مي اليك هدية واعلم يا ولدي اني
قد وقعت في مصيبة عظيمة وذلك ان بعض الاعداء سرقوا ختم الملك الصالح
نجم الدين أيوب وقد تهموني به وأريد انك تصنع لي ختماً مثله وهيئته وشكله
بعد ذلك أنحاي على من يضعه في محله ويكون تاريخه من يوم مملكته لاجل ان
لا يشعر بذلك أحداً من أهل دولته ويبقى لك الثواب في نجاتي من هذا الرجل
وأيضاً لك عندي ماتريده من الاموال ففرح الصايغ بذلك وقال له سمعاً وطاعة
واصطنع له ما طلب من تلك الساعة فآخذه منه وأخرج كيساً آخر من الذهب
وجعله بين يدي الرجل وقال له يا ولدي أريد منك ان تكتم سري ولا تبج
لاحد بأمرى وعلى ذلك تعاهدني وتأكل عيشي لاجل ان يكون ذلك مكتوماً
بيننا ولا أحد يشعر به منك ولا منا ثم ان القاضي صاح يا منصور أين الطعام
فأحضره في الحال فوضعه بين يدي هذا الرجل فأكل الرجل أول لقمة والثانية
واذا به قد تناثر لحمه وسقط شعره وخرجت روحه من بدنه فامر القاضي
بالقاء في جب هناك في قلب الدار فهذا ما كان منه (قال الراوي) وأما ما كان
من أيبك فانه قال للقاضي وما تريد أن تفعل بهذا الختم فقال له تختم به هذا
الكقاب ونجمه عندنا لاجل المهمات الصواب فقال له أيبك ما هذا صواب
والرأي عندي أنك بعد ختم الكتاب تكسر هذا الختم لانه ربما يشيع عنا

ذلك فيكون سبباً لهلاكنا فأجابه بالسمع والطاعة وختموا الكتاب وكسروا
الختم وأهلكوا الصايغ فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوى) وأما ما كان
من أمر ابيك فانه قال للقاضي ولأني شيء كتبت ذلك الكتاب فوق الساقية
قال له اعلم انه اذا رآه يببرس لا يشك فيه ويظن انه خط الملك بيده لان الملك
يده ترعش فدائماً تعوج الخط فاذا نظر يببرس أو غيره فلا يشك فيه ابداً لاسيما
هذه الطرة الملكى فلما سمع ابيك ذلك فرح واتسع صدره وانشرح وقال
والله هذا تدبير جاد بس اياك يصح هذا مثل الرز الذي بالمعجوة تأكل منه فلا
تشبع قال له القاضي ارسل الي قراجوا فارسل اليه ابيك فلما حضر قال له سر
يا قراجوا من هاهنا الى الغربية وتدخل على سبيل المعجوة وتعطيه ذلك الكتاب
بغير مهلة فاذا قرأه فلا بد أن يعمل بما فيه فيسلم في نفسه اليك ويحط روحه في
القيود والاعلال فاذا سرت به الى خارج القلعة فاقتله هناك وان أحداً قام لك دعوة
أو تكلم بكلمة فالمعد على قال سمعاً وطاعة ثم انه أخذ الكتاب والمخللة وركب
الجواد وسار ولم يزل يجد في السير الى ان عبر الى المحلة فدخل على الامير
يببرس وهو كانه النمرود بن كتمان فلما رآد الامير نهض له على الاقدام وسلم
عليه سلام الاحباب الكرام فقال له اعلم اني ما أتيت اليك على سبيل
المعجوة فخذ هذا الكتاب واعمل بما فيه فأجابه الى ذلك وأخذ الكتاب
وحله وقرأه واذا هو بالخط الملكى والختم الملكى فقبله الامير وقرأه واذا
هو بما قد ذكرناه فقال الامير السمع والطاعة لله ولرسوله ولأمر المؤمنين
هذا وقد قال الامير لقراجوا انزل ياسيدى حتى انك تستريح من تعب السفر
وأنا أجهز نفسي وأسير معك على الاثر فقال له انا على عجل من أمري فقال
له سعي على رأسنا وعيوننا ولكن بعد ان تأكل من زادنا ويعمى لك
وداذا ثم انه ما زال به حتى نزه وأجلسه وخرج بعد ذلك الى عتبان وأعاد
عليه ما جرى فقال عتبان هذا رجل منقرض واعلم انه قريب القاضي فقال له

يا عتبان دعنا من ذلك كله وأنا ما عملت ذنباً ولا غيره حتى ان الملك يرسل
 يقبض على ويأمرني بأن أسلم نفسي الى هذا الرجل فقال عتبان اعلم ان هذا
 منقرض قريب القاضي وان طاوعتني أقتله ولا تسمع كلامه فقال يا عتبان هذا أمر
 الملك الصالح لا بد منه وان من الرأي ان اسير معه فقال عتبان لا اخليك تسلم
 نفسك لحصمك أبداً والرأي عندي اني أركب أنا هذه البرغة وأسير الى الملك
 واستقصي الخبر وآني على سبيل العجلة فان كان هذا الامر صحيح فعلنا وامثلتنا
 وان كان هذا الامر غير صحيح دبرنا على قدر ما نراه من الرأي والسلام فقال له
 الامير يا عتبان لقد نظرت موضع النظر وقلت بالصواب وأتيت بما لا يعاب ثم
 انه ناوله الكتاب فأخذه وركب البرغة وسار يطوى الارض والمهمة حتى أقبل
 الى مصر هذا كله يجري والامير يصانع قراجوا ويمارجه ويسامره ويباسطه فهذا
 ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من أمر عتبان فانه لم يزل
 سار الى ان دخل الى ارض مصر في وقت الغروب فقصده الى البساتين ودخل
 علي الانا شاهين من غير دستور وصاح عتبان يا ليل قال الوزير أهلاً ومرحباً
 بالشيخ عتبان قال عتبان لأهلاً ولا سهلاً يا ابو فرمه احنا عملنا معك ايش من
 السيئات انت وأبو جوطه حتى ترسل لنا هذه الورقة قال له والله يا عتبان
 ما أعلم بشيء من ذلك أبداً ولكن حدثني ما الخبر فاعاد عليه القصة من أهلكا
 الي آخرها وكشف له عن ظاهرها وباطنها ثم ناوله الكتاب فقراه وقال
 يا عتبان هذه القضية لا وردت في الديوان ولا أعلم ان كان الملك كتب هذا
 أم لا ولكن قم بنا يا عتبان حتى نمتحن الملك ونسمع كلامه فركب الوزير
 في عاجل الحال وركب عتبان وساروا من خلف قلعة الجبل وقرع الوزير
 باب السر قالوا الغفر من الباب قال الوزير شاهين ففتحوا له الباب فدخل هو
 وعتبان وساروا الى قاعة مبيت السلطان فرأوا بابها منلوق فوقفوا خلف الباب
 وظنوا ان الملك نام فبينما هم كذلك واذا بالملك متوجها الى القبلة وهو يقول

اللهم اني امسيت اشهدك وأشهد حلة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك
 أنت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمداً عبدك ورسولك الى
 آخره ثم ان الملك بعد ان تم الدعاء قال جزام على الله والله العظيم انا ما كتبت
 ولا أرسلت ولا أمرت ولا اعلم بشيء من ذلك أبداً ولكن قد أوهبت قراجوا
 الى بيرس مالا ودما ولا أحد يطالبه بديته والمؤمن عند قوله ان قال صدق
 وان قيل صدق وان الأخ لا يخون نويت أصلي المشاء الحاضره الله العظيم الله أكبر
 فلما سمع الامير شاهين ذلك التفت الى عثمان وقال له سربنا لان هذه القضية لا بقت
 تحتاج الى سؤال غير هذا أبداً وان الملك قد اخبرنا بها كما سمعنا بأذنا فمر الى
 سيدك وسلم عليه واخبره بذلك وأمره ان يقتل قراجوا وهذا خطي وختمى له
 على ذلك فقال عثمان حياك الله انت وأبوجوطه في هذه القتل ثم أخذ الكتاب
 وجواب الوزير وسار ولم يزل سائر بطول ليلته حتى لاح الفجر وقد أتى الى باب
 المحلة ونزل عن اليرغى واذا بها قد سقطت الى الارض ميتة فاغناظ عليها عثمان
 وصعبت عليه وكبرت لديه وأحضر السياس فغسلوها وكفنوها ودفنوها في مقام
 هناك يقال له مقام اليرغا وشرع في المحزنه ودخل على سيده وهو يبكي فلما رآه
 الامير باكيا ظن ان كلام قراجوا صحيح فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلي
 العظيم ثم قال ماذا عملت يا عثمان فقال له خذ هذه التذكرة من الوزير فخلها واذا
 فيها خطابا من الوزير الاكبر الى بين أيادي ولدى المحب الانضر الامير
 بيرس اعلم ان الملك لا كتب ولا حجب ولا يعلم بشيء من ذلك القضية
 وهذه القصة زور محال وقد أذهب لك قراجوا مالا ودما وحق من سلمت
 عليه الفرالة فلما سمع الامير ذلك فرح واستبشر والتفت الى عثمان وقال له
 لاى شيء يكون بك بك فاعاد عليه ماجرى من أمر اليرغا وما أصابه من التعب
 والشقا وكيف انه غسلها وكفنها ودفنها فقال له دعنا من ذلك كله واشترى
 غيرها ثم ان الامير نهض في حاجل الحال ودخل على قراجوا وقال له

من الذي أرسلك الينا قال له أما قرئت الكتاب الذي أرسلني به أمير المؤمنين
فسر الآن معي كما أمرت فقال يا نذل الرجال ويا نذل الانبال هل يليق منك
الكذب والضلال والخيانة والمحال في حق الملوك الكبار ثم جذبه الى الارض
أرماء وكاد أن يعدمه الحياة ثم أنه ضربه بالسوط حتى كاد أن يسميه كاس الموت
ثم قال لعمان خذني الى عندك واكرمه حتى اذا تضاحيا النهار اصلحناه وأخذنا
بخطره لاننا قد اقتصينا منه بفعاله ولكن ينبغي اكرامه لاجل ابيك خاله
قال عمان هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب ثم أن عمان أخذه الى الاصطبل
وأمر السياس مدوه وجعل يضربه بالرزه حتى أعدمه الحياة وأسقاه كاس فناء
وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (يا سادة) فبينما عمان كذلك واذا
الامير قد دخل عليه وتأمل واذا به يري قراجوا قتيلا عفير قال يا عمان من
فعل به هذا الامر الخطير قال له أنت الذي فعلت قال أنا سلمته اليك بالحياة
قال عمان قد كثرت عليه الضرب مات قال الامير هل ضربته أنت يا عمان قال
عمان أنا ضربته اكثر مما ضربته انت قال الامير وماذا يكون الرأي قال له روح
أنت وأنا مثل ما أعرف أعمل والله اني كانت عندي البرغا أحسن من قراجوا
وأحسن من خاله ابيك وسوف أحرق عظمه لانه قريب القاضي ثم قال له هل
تريد أن تسلفه ونخرجه رجل من رجل قال نعم فتقدم الامير اليه وسلفه
ودبغ جلده وحشاه وركبه العيون الفزاز وبعد ذلك قال عمان سلم الي قراجوا
ده وروح أنت الي حال سبيلك فتركه الامير وسار الي مكانه هذا وعثمان قد
أخذه وركبه جواده الذي قد أتى راكبه وربط رجلاه على بطن الجواد
وركبه وسار به طالب أرض مصر ولم يزل سائر الى أن أتى الى درب
الركابي لعند بيت الوزير ابيك وقال له ما هو بيت قريبك وتركه ومضى الى
حال سبيله فهذا ما كان من أمر عمان (قال الراوى) وأما ما كان من
أمر ابيك والقاضي فان القاضي كان تلك الليلة عند ابيك وهم يتحدثون في

أمر قراجوا والقاضي بقول زمان بيبرس مات وانقضت أيامه وقات وسوف يصير
المال وبيت احمد بن أباديس لراسك يا أبا احمد والعلم الشريف وإلا أكون
بريثاً منه يوم القيامة فيبيناهم على مثل ذلك الحساب الخارم وإذا بالجواد قد
حك برأسه الباب وذلك لما رآه مقفول وهو متردد على ذلك المكان فجعل
يحك الباب برأسه حكاً قوياً قال ايبيك من بالباب قال القاضي خبيب من
الاحباب ولا بد انه الامير قراجوا لان قلبي حدثني بذلك فقم بناحني نكشف
الخبر بأنفسنا دون غيرنا فنهضوا الاثنين وفتحوا الباب فدخل الجواد الى
داخل الباب قال القاضي مرحباً بالامير قراجوا ماذا فعلت فلم يرد عليه جواب
فتأخر القاضي وقال لا يبيك فمات اليه لانه رأى نفسه كبير وكانه فعل ذلك الامر
فلذلك لم يرضى برحمني في الكلام دونك أنت وياه وانظر ماجرى من
الامر فتقدم ايبيك وكله بالتركي فلم يرد عليه وبالعربي فلم يجبه فتقدم الى عنده
ودفعه بيده فوق الى الارض فتحقق ايبيك انه قد مات وانقضت نجبته وفات
فبكى عليه بكاء شديداً ما عليه من مزيد ولطم وجهه وخدوده وقال لمن الله
القاضي ومشورته فما هي الا وبال علينا وكأنا ما عملنا هذا التدبير الا على
هلاك صاحبنا فلما تحقق القاضي ذلك كاد أن يهلك ولكنه أظهر الجلود وأخفى
الكمد وقال لو عملناها بلياً ما أقبلت كذا وقد صح الامر وذهب الشر وإذا
كان غداً أوضعه في تابوت وأمر من يحمله واطلع الديوان وقدم الدعوة
للسلطان وقل لا يحل من الله آنا بعثت ابن أخي وأرسلته يجمع المال من
النواحي والبلدان فاعترضه بيبرس وفعل معه ذلك الفعل وشهد أربعة من
الناس انه سار في لم المال وأنا أعلم لك على قتل بيبرس وقد مات واسترحنا
منه وفات والسلام فلما سمع الوزير ايبيك من القاضي ذلك الهذيان اجابه
على ذلك الشأن وقال عسى أن تبلغ المراد من هذا القرنان فهذا ما كان من
هؤلاء

قال الراوى وأما ما كان من أمر الملك الصالح فانه لما أصبح الله بالصباح
وأضاء الكريم بنوره ولاح وطلعت الشمس من بطاح الى بطاح وسامت على
زين الملاح ظهر الملك وجلس على كرسي قلعة الجبل وهو يوحد القديم
الازل وقد تكامل الديوان وجلست المساكر والرجال قرأ القارىء وختم
ودعى الداعي وختم ورقى الراقي وختم صاح شاويش الديوان يقول
يا من يطول عزه وبقاه الملك يفنى ويبقى وجه الله
ان كل من عليها هالك ولا يبقى على الدوام الا الله
يا طامعاً في الدنيا أرجع ثم اخشى الاله
وتأمل في الامور ترى الملك والعزة كلها لله

(قال الراوى) فقال الملك الصالح آمنا من أين كنا حتى اتصلنا
سبحان مالك الممالك سبحان المنجى من المهالك يا حاج شاهين الجزاء على
الله هذا النهار طالعه سميد فقال الوزير يا فتاح يا عليم فبينما الملك يذندن
في مثل ذلك واذا بباب الديوان استند والستار احتجب وجماعة يقولون
لا اله الا الله محمد رسول الله فقال الملك حق يا دايماً يا علام الغيوب
يا ناس باب القرافة من هنا فقالوا تعيش رأسك مولانا السلطان قال الملك
في من قالوا في ابن أخت الوزير ايبك التركانى قال الملك كل شيء هالك
الا وجهه ولكن لاي شيء ما دفتوه فعند ذلك نهض ايبك على الاقدام
وارمى فاووقه من على رأسه وقال خدمه يوك يا بعض شاه أنا ما بقيت أخدم
أبدأ لا يحل من الله يبيرس يقتل ابن أختى ولا يرعى حرمتى ولا يخشى بأسى
وسطوني قال الملك هل عندك بينة عليه بذلك يا ايبك قال نعم ثم انه
ارسل احضر البينة فشهدوا بين يدي السلطان انه سافر يجمع مال الاطيان
الى خاله فاعترضه ببيرس وقتله فلما أدوا الشهادة نهض القاضي على أقدامه
وهز اكلمه وحرك لسانه وجنح طيلسانه وقال القاضي حلت المهاجرة

من هذه البلد وبدا الاسلام غريبا كما كان مبتداه لا يحل من الله يا أمير المؤمنين أنا كم أقول لك ذلك القول مراراً وأعيده لك نذكاراً وأجباراً وأقول لك هذا الغلام أتى من بلاد العجم دسيسة يريد يفسد ملكك وأنت لا تصدقي ولا حول ولا قوة الا بالله هذا يقتل قتلة بعد قتلة وإن كانت قتلته تصعب على مولانا السلطان أنا أعطى من مالي وصلب حالي وزكاة عن قلبي ومحبة في دين الاسلام والمسلمين مائة كيس ومائة مملوك ومائة جواد وعليك يا وزير ايبك مثلها أي هذا المبلغ المذكور قال ايبك منك الضفر الذي قطعوه لك بالقرمة يا خابن يا كلب وأنا مالي أخط يا قاضي ابن أخي بموت وأنا أخط الفلوس فقال الملك يا سيدي ايبك يد على يد تساعد وهذا ولد أختك تخط والا لا فقال ايبك أخط يا بعض شاه فقال الملك هاتوا الدراهم والماليك والخيال فأحضروا جميع ذلك في الحال قال الملك ومين بقي يأتينا بالأمير يدرس فيبينها هو يقول كذلك وإذا بعثمان طالع من باب الديوان وهو يقول يا ليل

يا منية القلب سد عيني ربي عينيك يا ابن الحلال خذني حدك راعي لك
وقدمي مجرور وساري لك ودمي سد بالدفع ناعي لك
قال الملك أهلاً وسهلاً بالشيخ عثمان قال عثمان لا أهلاً ولا سهلاً يا خائن
الصهود يا ابن القحبه احنا عملنا فيك ايش من السيئات يا ابو قوطه لما انك
أرسلت لنا هذا الكتاب مع ابن الخاطمية ده قال الملك أنا وعزة الله ما أرسلت
ولا أمرت ولا كتبت ولا ختمت ولكن هات الكتاب فتأوله اليه
وأخذه وقال خذ يا قاضي هذا الكتاب اقراه أسمعه أنا والرجال لأجل
ما يقال كل انسان يستلم كتابه يمينه فأخذ القاضي الكتاب وقرأه كما قدمنا
ذكره وقال القاضي أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله
هذا شيء ثقيل يا أمير المؤمنين قال الملك يا قاضي الذي يكذب على الملوك
ويزور عليهم ويأخذ معه الحديد من غير أن يأذن له أحد ما هو خان قال

قال الملك والخائن لا يكون له في الاسلام حظ أبداً وان قلبي يحدثني ان هذا الرجل غير مسلم وانه كافر على غير الاستقامة فقم يا قاضى واكشف لنا عليه فقال سمحاً وطاعة ثم تقدم اليه القاضى ولمس بيده وقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بدني اقشعر يا أمير المؤمنين هذا نصرانياً والعلم الشريف قال الملك الله يا دايماً تعالى يا ابيك هذا ابن أختك وكيف انه نصراني يبتلى نادى باني كله نصارى واسلامهم باطل ولكن العرق دساس اكشفوا لنا على كامل العسكر وكل من كان في هذا الديوان حتى تظهر الكفار من الاسلام فأجابوا الملك بالسمع والطاعة واحتاس القاضى وكركب بطنه وخاف أن يكشفوا عليه فذهب الى بيت الخلا وما عاد الا بعد الكشف وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله قال للملك أين كنت يا قاضى قال اعلم أيها الملك اني لا رأيت لي قلب أن أنظر الى تلك الفعائل وان قلبي رقيق وأخاف اني اذا رأيت شيئاً مثل هذه الفضائح يقشعر بدني من رقة قلبي فخرجت حتى اتقضى الحكم قال الملك سبحان من يعلم بك اجلس نحن ناس على باب الستار سمينا بالاحرار كاتمين الاسرار تعالى يا ابيك أنت ومن كان من عيلتك لا بد أن يكون نصراني ولكن ينبئ لك أن تكشف على سائر رجالك ثم أن الملك أمر بمداييك فدوه فقام الملك وضربه ثلاث ضربات بالضفيرة الخوص وقال له ان انت اشتريت عبد أو مملوك أو جاءتك جارية أو مملوك على سبيل الهدية فلا بد أن تكشف عليهم قال سمحاً وطاعة يا أمير المؤمنين ويقال ان محل الضرب سار بدمي ويقبح في رجل ابيك الى أن مات به ثم أن الملك قال لها خذوا هذا الكافر ارموه في ترب النواويس وأنت يا قاضى عملت الفلوس والماليك والخيال أنت وابيك على قتل يبرس عنوة والا على اظهار الحق من الباطل قال القاضى من كبد الغيظ على اظهار الحق من الباطل قال للملك والحق ظهر وبأن واشهر قال القاضى صار مثل الشمس المضيئة قال الملك بقوا لمن يا قاضى قال لبيت مال المؤمنين قال الملك يا وزير الزمان

بيبرس كان مظلوما في هذه القضية قال نعم قال الملك فداءً وهبت له ذلك كله في نظر ظلمته يتساعد به على فقره هبة كريم لا يرد في عطاء قال ايبك الفانحه هذا وقد أمر القاضي باصراف الشهاد الى حال سبيلهم بعد أن ساءهم الملك لما علم من مكائد القاضي وضلاله وقال الملك خذ يا عتمان المال والماليك والخيل وسر من هنا الى سيدك وسلم عليه وأمره أن يولي بعض علمائه على النرية ويعود اليها فقد فرغت سنته قال عتمان ممعياً وطاعة ونزل طالب سيده فهذا ما كان منه ثم أن الملك نفى المنديل وانقض الديوان ونزلت العساكر والرجال فهذا ما كان من امر هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من أمر الأمير بيبرس فانه لما وصل اليه عتمان وأعلمه بما جرى من ذلك الشأن ولي على المحلة واحد من الماليك وأوصاه بالعدل والاحسان وأن يحاسب على المال سنة بسنة فأجابه الى ذلك وسار الأمير بيبرس طالب أرض مصر الى أن دخل اليها وكان ذلك وقت الغروب فسار الى بيت الوزير احمد بن أباديس السبكي وعتمان معه فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من أمر الملك الصالح أيوب ولي الله المجذوب فانه بات وأصبح مثلك يصلي على من له الورد فتح دخلت الاغوات أعلموه بأن الديوان تكامل قال الملك وعلى الله الكمال ظهر الملك وجلس على تخت تكامل الديوان قرأ القارئ وختم ودعى الداعي وختم ورفقي الراقي وختم صاحب چاويش الديوان يقول

الملك لله العزيز الدائم لم له شريك في الوري من خلقه
بل تعالى بالانفراد وبالبقا له المجد والتسليم في جميع أموره
ومن سلم الامر اليه لقد نجا وسلمه الرحمن من شرور قضائه
ومن عليه بالاخلاص من كل شدة وعنه بالخير من سوانج فضله
قال الملك الصالح آمنا سبحان مالك المالك سبحان المنجى من الشدائد
والمهالك ثم أن الملك أراد أن يتعاطى القصص ويزيل الفصوص حكم ما أمر

مولانا جاد الاشراف واذا بباب الديوان احتجب والستائر اهترت واذا بسيار
يقبل الارض وهو يقول

وقفت ببابك أيها السلطان طالباً منك كشف الضر والهلوان
فاصغ لدعوتي واعتن بها مادمت أنت كاشف الاحزان
قد جارت اللثام علينا وأنت منصور من الديان
فانصرنا عليهم بعزم قوي فرب الانام مجزبك بالقرآن
قال فلما سمع الملك كلامه وما قاله من نظامه قال له من أين والى أين قال من
حلب الشام الذي قالت سائر المدن عيدي وأنا في تحت عزي بين سعيد وسعدي
قال الملك وما الذي معك من الاخبار فأخرج اليه كتاب ففضه الملك وقرأه
وفهم رموزه ومعناها واذا فيه خطاب من باشة حلب الى بين أيادي أمير المؤمنين
أيده الله بالنصر والعز والتمكين اننا مقيمين يوم تاريخه واذا بالبشار قد علا وتار
وسد منافس الاقطار عن رجال مجريين وفوارس للحروب طالبين وهم ككرة
كاملة اثنين وثمانين الف فارس مع الفان هلاوون بن منكتمر فأغلقنا الابواب
وأقننا الحصارات ومنعناهم بالمدافع فخط اللعين بمجيوشه على حد رمى النار وقد
تضايقتنا من الحصار فأرسلنا هذا الكتاب بقي في شريف علمك ادر كما أو أرسل
اليك من يدركنا والسلام على نبي تظله الغلام (قال الراوي) فلما سمع الملك
ما في الكتاب التفت الى الاغشاهين وقال له يا راجل يا شاهين حلب دي ايش
ياجو فرمه امرأة والا رجل قال له بلد يا أمير المؤمنين قال الملك خليبهم يأخذوها
قال الوزير اذا أخذوها يأخذوا الشام بعدها قال الملك دعهم يأخذوها قال
الوزير يأخذوا ما وراءها من البلدان مثل قابوك وغزه وقطية قال الملك دعهم
يأخذوا ما يشاءون ويعلموا ما يطلبون فالارض والامر لله الواحد القيوم قال له
الوزير ان أخذوها يأخذوا مصر وهي فيها الامام الشافعي فقال الملك وقد
امتزج بالغضب لا وعزة الله الابدية لم أدعهم يأخذونها لان فيها رجال مخبورة

وأبطال مشهورة وفيها الرجل الذي فرسه عرجة وسيفه خشب وترسه حيز
وهو أنا ولكن ما يكون من الرأي يا شاهين فقال له أنا أخيرك وأنت تعمل
على قدر ما تراه فقال الملك يا قاضي ومن يزد عنا هذه المصيبة ويدفع عنا هذه
النكبة فقال القاضي وقد ظهر له الكلام يا مولانا السلطان هذا رجل جبار
وبطل مغوار وقد بلغني أنه فارس لا يطاق وعلقم مر المذاق وعنده من الرجال
ما لا يحصى عددهم الا الواحد المتعال والذي أعرفه أنا أنه لم يدفع عنك هذا
العار ويأخذ لك بالثار الا الولد المحفوظ المنصور الامير بيبرس الذي سمعته
تضي على وجهه كالصباح فقال الملك ومن يأتينا به من المحلة فيينا هو على

مثل ذلك واذا بالامير بيبرس طالع من باب الديوان وهو يقول

تصبح كل يوم في نعمة وفضل كثير عميم متزايد
وأعطاك الاله العظيم مهابة على جميع أعدائك الحوasd
ونجّاك ربّي العظيم بفضله ودفع عنك جميع البشائد
وأيدك الله كل لحظة وخصك بالنصر المرشد

(قال الراوي) فلما رآه الملك وسمع كلامه صاح الملك ودندن

وقال الله الله يا حج شاهين انظر الى ذلك التوفيق العظيم الذي لا يبلغه الا
من كانت له سعادة من الرحمن الرحيم ثم أن الملك صاح به وقال
اللهم عمر بك الارض والبلاد اللهم أهلك ضدك اللهم ارفع سعد
قل آمين يا قاضي قال القاضي آمين آمين هذا وقد سلم الوزير عليه وقال
له خذ اقرأ ذلك الكتاب فقرأه بما قدمناه وقال لا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم فقال له الملك يا سيدي بيبرس ان القاضي قال لنا انه لم
يكسر هذه الركبة وينصرنا باذن الله على ذلك المصيبة الا أنت
واني قد أردت أن أرسل اليك فاذا أنت فائل قال الامير أنا لها
ان لذن لي الملك لاني تحت اذنه وكلمته ومهما أمرني به فعلته فلو أمرني

ان اقتل نفسي فميت ذلك فقال الملك يا ولدي تعمل معروف وتسير الى ذلك
 المكان فقال ممما وطاعة فقال الملك يا قاضي ان ولدي اجاب الى ذلك ولكن
 أن الركبة لها كلفة ويبيرس فقير الحال فقال القاضي أنا أساعده من مالي وصلب
 حالي وزكاة عن قلبي ومحبة في دين الاسلام والمسلمين بخسين جوادا وخسين
 كيسا وخسين مملوكا وعليك يا وزير ايبك مثلها امض يا ابا أحمد فقال ايبك
 وانا مالي بذلك يا قاضي قال الملك طامعه يا ايبك يد على يد تساعد فأجاب
 بالسمع والطاعة وأرسلوا أخضروا ذلك كله في تلك الساعة فقال القاضي يا مولاي
 السلطان اعلم ان هذا الرجل هلاوون رجل عنيد وبطل صنديد ومعه ابطال
 كثيرة وفوارس غزيرة وانا أريد من محبتي الي ولديك بيبرس أن يكون له في
 ذلك الامر معين وهو ان الوزير ايبك يسير معه وعلى خصمه يساعده لاني
 أخاف عليه من العدا ويبلغ برقته دفع الردي لان الناس الاقدمين يقولون يد
 على يد تساعد قال الملك تروح يا ايبك قال ايبك أروح يا بعض شاه وأكون
 خديم لولديك بيبرس لاني يحصل لي غاية الشرف برقته هذا الغلام فقال الملك
 يا حاج شاهين لبسم الله أعلم بما في القلوب فألبس الامير بيبرس صاري عسكر
 ولبس ايبك معاونا له فزلاوا الاثنين من الديوان وكان الامير بيبرس قد حاز
 جميع مارسم به القاضي ونزل في موكب عظيم وايبك كأنه خادم من الخدام هذا
 وقد تكلمت أولاد مصر في الاثنين فقال واحد لآخر يا أخى ان ايبك نزل
 معاون لبيبرس على قتل النصاري التي عند كوم الضبع قال له الآخر جاتك
 داهيه رمت رقبتك أنت وايبك سوى هو بيبرس عاوز مساعدين وايش يكون
 ايبك والاغيره والا الملك والاغيره جنب الامير بيبرس هذا وقد صار الامير
 يرمي سلام وايبك يرمي سلام والناس يتكلمون فيقول الرجل لبيبرس عليك
 السلام والاسم الاعظم منصور وسعادتك قابلة وخصمك مقهور واذا رمى
 ايبك السلام يقولون عليك السلام آنت آنت ربنا يرجعك لام احمد

بحير خاطر ولا يجرمك من هذه المسكينة والثاني يقول آتينا بشفقك فيها
ولآخر يقول روح داهيه لا ترجمك للبلاد هذا وقد تكلمت الناس بمثل ذلك
الى ان اقبل كل من الاثنين الى منزله فلما ايبك فانه صبر الى ان رحل النهار وأقبل
الليل فحضر القاضي من الديوان واجتمع عليه فقال ايبك ولاي شيء يا قاضي
أرسلتني مع خصمي هذا الى ذلك العدو فقال القاضي اردت بذلك بلوغ الآمال
وكيد الفجار وخطر بالي انك تظهره في ليل أو نهار أو على غفلة منه فتعزق دمه
وسوى أدبراً أنا تديراً آخر غير هذا فلا تشغل نفسك وتنصب سرک بسبب ذلك
فقال له سمعاً وطاعة وما زالوا في مثل ذلك حتى ذهب الظلام وبرز ايبك الى العدلية
وأحضر القراشين والطباخين وقال لطباخه اعلم ان السفر يجب الاكل الكثير
فمليك بكثرة البقسماط والدمنيش حتى انك تكفي المالك وتشبعهم قال سمعاً
وطاعة ثم ان ايبك أمر باحضار أربع مدافع فأمر بهم الى العدلية هذا اوبيرس
يجهز نفسه ورجاله وبأمرهم بالطعامات والحلويات وما أشبه ذلك فبينما هو يجهز
ذلك وقدر أي الاربع مدافع الذي لايبك وقال في نفسه ولاي شيء يفعل ايبك
هذه القمال ومن الذي أمره وايش يكونو الاربع مدافع (ياساده) فبينما يحدث
نفسه بذلك واذا بهتمان قد أقبل عليه وسلم عليه وقال له لقد جئتكم بشيء عجيب
وأمر غريب ما سمعت به أبداً يادولتي فقال له وقد تمجب منه يا عتمان كيف
ذلك فقال عتمان اعلم اني لما اردت أن أشد الحصان اليك وقد سمع بالسفر والرحيل
فشرد مني في وسط بيت احمد بن اباديس السبكي فتبعته حتى أقبل الى المناخ
ووقف الى جانبه فتقدمت اليه واذا به يحفر في الارض برجله اليمن وهذا دليل
على النصر والبشارة واللقاءات لغفرت مكان حفره فظهرت لي من الارض طابقة
مدرج نارل الى أسفل نفخت من ذلك فانهض معي وانظر ما فيها قمندها نهض
الامير بيبرس الى ذلك المكان فكشف الامير ونزل واذا من داخلها ثمان مائة
مدفع والى سيف مسقط لا يملوها الصدا أبداً وجبخانه كاملة من البارود

وفيه من الزرد والعدد وآلة السلاح والخود ما لا يقع عليه عدد فلما رأى الأمير ذلك لم يتمالك نفسه دون أنه سجد على وجه الأرض شكراً لربه الذي فرج عنه ما كان به زل وأزال عنه ما في ضميره قد حصل ثم أمر بإخراج المدافع فأخرجوها إلى مكان آخر وأخذ منها أربعة وعشرين مدفعاً وأخذ لهم ما يكفيهم من البارود وأخذ مائة بشت من الزرد ومائة سيف مسقط وترك الباقين إلى الاحتياج وسار طالب العدلية وهو ينشد ويقول هذه الآيات صلوا على سيد السادات

لك الحمد يا ذا الجود والعلا	تباركت تمطى من نشاء من الفضل
لك الحمد ربى كل وقت وساعة	سرا واعلانا منى ومن نسل
لك اللطف بالناس حقاً جميعهم	كما تفضلت بالاحسان ثم بالفضل
كما فرجت عني مصيبتى	انت التقدير على ما نشاء من الفضل
الهي كما انعمت من جود تكريماً	تجود لى بنصر وتغفو عن الزلل
وأحمينى من عدو معاند	واجبر لكسرى في قول وفي عمل
وخذ بيدي يارب فضلا ومنة	وأيدنى وابلى عداى منك بالذل
وصل على المختار ثم على الآل	والاصحاب الآخرين والاول

(قال الراوى) ولم يزل يترنم ويشئى على الله تعالى مثل ذلك والناس يدعون له بالنصر حتى وصل إلى العدلية وقد صفت المدافع ونصبت السراشق وجلس الأمير وفرق السيوف على أربابها ولم يعط ايبك منها شيئاً فكادت مرارته أن تنفطر هذا ولما كان وقت الظهر طلعت الاطبخة من عند ايبك إلى ممالكه وهي كما ذكرنا العدى وطلعت صفرة الأمير يبرس وهي كما ذكرنا اطعمة فاخرة فأكلوا وطربوا وانشأت الاواني وقد اجتمعت الممالك ببعضها وجملوا يتحدثون في أمر المدافع والسلاح وفعل ايبك وفعل يبرس ثم أنهم انتقلوا من كلام إلى كلام حتى اتصلوا إلى حديث الطعام فجمعوا بممالك ايبك يتشاكرون وممالك يبرس يتشاكرون فقالوا لهم بممالك ايبك

والله ما عندنا غير العدى فقالوا لهم أقيموا معنا وكلوا مما تأكل فإن الخير كثير وأميرنا غير بخيل فامتثلوا ذلك وأقاموا مع بعضهم وتركوا أشغالهم ومنازلهم وأقاموا معهم لما وجدوا كلامهم صحيح فلما كان وقت العشاء خرجوا الطباخين الطعام فلم يروا من يأكل وبقي على حاله فشكوا لايبك ذلك فاغتاط غيظاً شديداً ما عليه من مزيد وصبر الى أن طلع النهار وعاد الى الديوان واشتكي ذلك للملك الصالح وقال يا بعض شاه ان المالك يتوعدني أخذهم يبيرس فأرسل الملك أحضره وسأله فقال يا مولانا السلطان اسأل المالك فإرسل الملك اليهم واذا بهم تمصبوا جملة واحدة وقالوا يا أمير المؤمنين نحن لا نقارق الدولتي الأمير يبيرس أبداً ولو سقيناً كأس الردى وان اغصبتنا الى أيبك قتلناه وبعد ذلك قتلنا أنفسنا وذلك لانه يطعمنا العدى والبصرة والبقساط قال الملك يا أيبك اعلم ان هذه ركة واحدة وانتم سواء مع بعضكم وكذلك هم الآخرون مع بعضهم والرأي عندي انك تترك هذا الامر حتى تم الركة واذا رجعت بالسلامة يكون لنا حديث خلاف ذلك ثم أن الملك قال يا أيبك لا تأخذ على خاطرِكَ وخذ معك الأمير قلاوون واتباعه الخمسة وثلاثين أميراً فأجابوا بالسمع والطاعة وفرح أيبك بذلك غاية الفرح لانه يعلم أن قلاوون وجماعته ينفضون الأمير يبيرس هذا وقد تودعوا الجميع من الملك والوزير وساروا حتى وصلوا الى العديلي فقال لهم الأمير يبيرس انتم تسيروا قدام والانا أسير قدام قالوا له نحن الذي نسير قدامك حتى اذا طلع علينا العدو نكون لك القدا ونعديك بأرواحنا من الردى فشكرهم الأمير على ذلك لانه سليم القلب ولم يعلم أن قولهم هذا بخلاف ما أضروه في قلوبهم وقد ألبسهم الله من سرائرهم ونياتهم وقد كانت المسافة بينهم وبين الأمير يبيرس يوماً كاملاً فهذا ما كان من هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من أمر اللعين القاضى

فانه بعد سيرهم سطر كتاب وختمه وأعطاه الى البرتقش وقال له سر بهذا الكتاب الى المريش وسلمه الى الملك فرنجيل ودعه يعمل بما فيه قال ممعاً وطاعة ثم أخذه وسار يجد المسير ليسلاً ونهاراً الى أن وصل الى قلعة المريش وكان بها ملك عنيد رذيل يقال له الملك فرنجيل فبينما هو جالس واذا بالبرتقش دخل عليه فقام وتلقاه وبالسلمة هناء وسأله عن استاذة قال له يدعوك وأنت في باله ففرح اللعين بذلك وقال يا بنحى الذى عالم الملة لم ينساني وأنا في باله ثم بعد ذلك تناول الكتاب فحله وقراه واذا فيه أوله صليب وآخره صليب وعنوانه صليب ونحن وأنتم نوحده الملك القريب المجيب خطاباً من عالم الملة المسيحية بلاه الله بكل رزيه وبليه الذى بين أيادى ولدى فرنجيل اعلم أى قد أرسلت الملك بيبرس الذى قد كان قتل ولدك في أول دخوله الى مصر وانه جائز من على أرضك وقلمتك وقد أخبرني المسيح بأن قتله على يدك فاذا وصل اليك كتابي هذا فاكمن اليه حتى يجوز على أرضك واخرج عليه واقتله واتهب ماله من المال والنوال وذلك الثواب من المسيح ففرح اللعين بذلك وجعل الكتاب على رأسه وأعطاه وده الى البرتقش وقال له سلم لي على عالم الملة واعلمه اني فاعل كل ما ذكره فأخذ الجواب البرتقش وسار ولم يزل سائر حتى أقبل الى مصر ودخل على القاضى وأعلمه بما صار من الامور والاخبار وأعطاه رد الجواب ففرح به وظن أنه بلغ المراد (قال الراوي) فهذا ما كان من أمر هؤلاء وأماما كان من أمر اللعين فرنجيل فانه اكمن بخمسة آلاف فارس وجعل ينتظر قدوم بيبرس لاجل أن يأخذ منه بالثار ويحلى عن نفسه العار فبينما هو كذلك واذا بالغباء قد تار وعلا وسد الاقطار وانكشف الغبار عن الوزير ابيك وقلاون ومن بصحبته لم يعلموا ما قد خبي لهم في عالم الغيب هذا ولما تقاربوا من قلعة المريش واذا بالمكمنين قد خرجوا عليهم من أربع جهات المكان واحتاطوا بهم وساروا ينادون بأخذ الثار وجلى العار فعند ذلك انكسرت

شوكة الاسلام وكبسوم اللثام لانهم كانوا سائرن على غير أهبة من أمرهم
 وقد فبضوا عليهم باليدوا وتقوم كثاف وقروا سوا اعداهم والاطراف وصاح فرنجيل
 منظار لا سبيطة ولا طهامة فقالوا له يا ملك الزمان نحن لا بيننا وبينك ثار ولا
 لك علينا دم فقال لهم واين بيبرس فقالوا له ما هو معنا ولا وضينا بصحبته واننا
 له أعداء واعلم أنه سيأتي على أثرنا فدونك واياه وخذ ما تريد منه فلما سمع
 اللعين كلامهم أمر بتجريد ثيابهم ونهب أموالهم وجعلهم عبرة لمن كان ينظرهم
 وأمر بضربهم فضرهم والضرب الوجيع ثم أنه أمر الرجال أن يردوهم على أعقابهم
 فمادوا من حيث أتوا منهزمين والى نحو بيبرس طالبين فيينا الامير سائر واذا
 بالوزير أيبك دخل عليه ومعه قلاون وهم على هذه الحالة فلما رآهم الامير بيبرس
 صعب عليه وكبر الامر لديه واغتم لاجلهم غاية الغم وقال لهم من فعل بكم هذه الفعـال
 وأورثكم السكال فقالوا له يا حبيبنا نزل علينا اللعين ملك العريش فرنجيل في خمسة
 آلاف فارس وهجم علينا بهم وفعل بنا ماتراء وذلك انه سألنا عنك وقال هل
 عندكم خبر عن بيبرس فقلنا له انه في غاية الصحة والسلامة واننا كننا اتباعه
 وخدمه ونوابه فلما سمع منا ذلك الكلام انزل بنا الهوان ونهب مالنا وجردنا من
 ملابسنا وقال لنا اذهبوا الى أميركم واعلموه بما وقع لكم حدثوه وان لم تذهبوا قطعت
 أعماركم واستقيتكم كأس بواركم فخرجننا ونحن لا نصدق بالنجاة لان العدو كثير والجـم
 غفيرة وهذا ما جري والسلام (قال الراوي) ولما سمع الامير بيبرس منهم ذلك الكلام
 قال لهم لا تخافوا والاسم الاعظم الاكرم لا مجد لا بد لي من النزول على الفريش ولم
 انتقل منه حتى أخذ لكم بالثار واحلى عنكم ذلك العار وأخذ جميع مالكم وأخلصه
 لكم من اعدائكم ثم انه صاح بخزنداره فقبل الارض بين يديه فقال له اخرج
 كساوي الى هؤلاء فأخرج لهم الكساوي فلبسوا واطمأنت قلوبهم وأخذ الامير
 بمخاطبهم وعاشت أرواحهم وسار الامير بيبرس حتى أقبل الى القلعة وحط
 عليها وقد احتاط بها كما احتاط النيل بالبلاذ أو البياض بالسواد أو الخاتم بالاصبع

فقال فرنجيل لمن حوله من البطارقة ارموا عليهم النار فرموا عليهم بالمدافع
لخط الامير على حد زوى النار وبات بمن معه فهذا ما كان من هؤلاء (ياساده)
واما ما كان من أمر اللعين فرنجيل فانه جمع البطارقة اليه وقال لهم اعلموا ان
حالم الملة دعالي وبشرني بالنصر على هذا الغلام ولولا ذلك ما فعلت الذي فعلت
وفي غداة انا عاجز على الحرب والقتال والضرب والزال فهاذا أنتم قائلون فقالوا
له كل من خالف أمرك منا كافر وعن دين المسيح بدل وغير لانك مأمور
من عالم الملة المسجيه ونحن كلنا لك التمدا ونفديك بأرواحنا من الردى فشكرهم
اللعين على ذلك وجعل يفرق عليهم العدد والخيول والزررد وقد باتوا على ذلك
حتى اصبح الله الصباح واضاء الكرم بكوكبه ولاح وفتحت ابواب القلعة
ونزلت البطارقة كأنهم قطع النمام ويقدمهم اللعين فرنجيل وقد أمر بدق طبول
الحرب فعند ذلك نهض الامير يبيرس على الاقدام وحضر له الجواد فركب
بنفسيه واشهد الى حومة الميدان ولعب انداب وابواب وقال هل من مبارز
هل من مناجز من عرفى فقد اكتفى ومن لم يعرفني فابى خفا أنا الامير
الدولتي يبيرس محمود المعجى الخوارزمى الضربندى انا الذي قاتل ابن فرنجيل
واسقيه الشراب التكيل وكان الامير يومئذ راكب على جواد اصفر عالي من
الجيل مضمرب بقره كالقنديل ومعرفه كالنديل واذا طلب الحق واذا طلب لم يلحق
عريض الكفل مثلث الحجل اغر اكحل كما قال فيه الشاعر المفضل هذه الايات

جوادى في الخيول شاع ذكره	ما مثله في الخيول جميعها
يسبق هبوب الريح اذا جرا	ولم تدركه الخيول عند هلوها
يفوق بريق البرق في جبرانه	ويسبق نزول المساء في انيابها
فراكبه يأمن من طعن العدى	لا يري سوا من شرور حصومها
بل اذا رأي الطمن مقبل	زاغ منه بمنجها وعينها
واذا رأي راكبه وقد عيا	نجابه في برها وفلاتها

مارات العيون قط مثله ولا ركب الركاب كل خيولها
(قال الراوي) ثم أن الأمير لعب على ذلك الجواد انداب وابواب وجرى
في يده السيف القرضاب وهجم على مينة الكفار وغاص فيهم فقتل أربع
رجال وهجم على الميسرة وغاص فيهم فقتل خمسة ابطال واعتدل بعد ذلك
الى حومة الجبال وانشد وقال هذا المقاتل صلوا على باهى الجمال

انا الفارس الصنديد بيرس الذى شاع ذكرى في سائر الاقطار
انا قاتل الكفار حقاً بأسرهم وشتت جمع الكفر بالبتار
واليوم تنظروا ما يحل بجمعكم وتروا منى فارسا كزار
وانا قاتل تومة اللعين بهتى وسألنى فرنجيل به على الاثار
هلموا الى بكامل جيشكم انا قابض الارواح على البتار
ان لم تردوا علينا كل ما أخذتم ابلتكم منى بعنة وضار
ولا بد لى أن املك ارضكم واجعلكم ملقى على الاحجار
وأخذ بالثار منكم عنوة بمجد سنان الفيصل البتار
(قال الراوى) فلما سمع اللعين فرنجيل ذلك من الأمير بيرس ورأى فعله

وما قتل من البطارقة وكيف ذكر ولده فى شعره صاح اللعين بملو صوته وادى
عليه يابطارقة خذوا منه بالثار واجلوا عن نفسكم العار فعند ذلك هجبت
اللاثام فى وسيع الآكام واحتاطوا بالامير من كل جانب ومكان (يأساده) فلما
عابن ذلك الامير بيرس منهم فتبسم لهم واستقبلهم مثل ما تتلقى الارض
العطشانه او ايل النيل السعيد ثم انه تكبب وارغمى واكحل المبغضين بكحل
العلماء وقرأ آيات معظمها خاضت الخيول فى الدماء وقد عضت على الاجلما وهوى نادى الله
اكبر الله اكبر فتح الله ونصروا خذل اللثام ومن كفر بالدين محمد القمى هذا وقد ادر كوه
الماليك واكابر دولته الا اينك وجماعته هذا وقد وقعت الرؤس كالاكر والكفوف
مثل اوراق الشجر وزجر الشجاع وبربر وانهمز الجبار وادبر وطارت الرؤس من

على ابدانها وقد وقعت الجند من على خيولها وبقطعت الاوصال من مفاصلها وصار
المنادي لا يعرف اصيلها من دنيثها هذا وقد سال العرق وازور الحدق ووقع السيف
وحرق وظلم وماشفق وتغنى الجبان انه لم يخلق وثبت الشجاع وزعق هذا والامير
يضرب فيهم شمال ويمين وقد اتسع عليه الجبال وصاروا اهل الكفر يتحايدون عليه في
التلال ولم يزل على ذلك الحال حتى قربت الشمس من الزوال (ياساده) يا كرام وقد نظر
اللعين فرنجيل فرأى انه في ذلك الامر ذليل لانه رأى الامير يبرس وضرباته ونظر
الى حملاته وطلعاته وهو يقتل هذا ويصرع هذا وكما قتل انسان بزاداد نشاط فلما
عاب ذلك كبر في عينيه ووقع الله الرعب في قلبه فولى الادبار وركن الى الفرار وكان
أول من انهزم هذا اللعين فرنجيل وهو لا يصدق بالنجاة من ذلك البلاء الذي
نزل به واعترا (ياساده) ولما رأت الكفار الى ملكها قد انهزم وانهدركنه
وانصرم ولوا على اثره الادبار وركبوا الى الفرار وهم لا يصدقون بالنجاة ومازلوا
في هزيمتهم والامير خلفهم حتى ادخلهم الى قلعتهم فلما دخلوا اليها اغلقوا الابواب
ولما جلس اللعين في قلعته وقرقرراه وهو لا يصدق انه يري نفسه سالم من المطب
جمع اللعين خواصه وسائر اهل مملكته وجلسه وقال لهم ما الذي فقد منا فحسبوا
القتلى واذا هم القين انسان غير المجروحين من المنهزمين وقال لهم الرأى عندي اننا
نرد لهم كامل ما اخذناه منهم ونكتفى شرهم لاننا مالنا طاقة بهم وان نزلنا
اليهم ثاني مرة لا بد لهم ان يهلكونا ويسقونا كأس دمارنا فقال له وكيف ذلك
وقد أمرك عالم الملة وانت لا يصح لك المخالفة لامره فقال لهم اللعين دعونا من
ذلك فاني قاتلت انا وانتم على قدر جهدنا وأيضاً اننا ما قدرنا عليه وهو ولد
بنيت يعنى صغير وكان وحيد فيكف تقدر عليه وهو رجل كبير وله رجال كثير
وانا أقول ان هذا الرجل ان رأى المسيح قدامه لا بد انه يقاتله ولم يخشاه
فكيف ان اطواع عالم الملة واضيع تقسى بلا شيء (قال الراوى) فلما سمعوا
الكفار كلامه انكسرت شوكتهم وضعفت همهم وقالوا له أفعل ما بذاك فنحن

لا يخالف مقالك ثم انهم اخضروا جميع ما أخذوه من الامتعة والاموال وارسلوا
الى الامير بيبرس في عاجل الحال مع أربعة أنفار فلما وصلوا الى الامير بيبرس
قبلوا الارض بين يديه وقالوا له خذ متاع أتباعك وارحل عن ارضنا وبلادنا
فعند ذلك أخذ الامير منهم ذلك وقد دعى يا بيبك ورفقائه وأعطاهم جميع
مالهم وما كان ذهب منهم ولم يسألهم عن تأخيرهم في الحرب والقتال ولم
يبد لهم في مثل ذلك مقال ثم أن الامير التفت الى الاربعة الذين أتوا بالمال
وقال لهم أن كان ولا بد من رحيلي فأمرؤا فرنجيل أن يرسل الى خزنة مال
بالتمام والسكمان فاني وحق ديني لا أرحل الا بما ذكرت فأمر أن يعطوا له
الاموال فأخذ الامير المال وسار طالب أرض الشام فلما تقارب منها قال لبيبك
ورفقائه تسيرون خلف أم أمام فقالوا له أنت تكون أمامنا لانك على كل
حال كبيرنا ونحن نسير خلفك وعلى أثرك وها نحن كلنا خدامك وتباعك فقبل
الامير منهم ذلك وسار طالب أرض الشام وكانت قد تسابقت الاخبار الى بامشت
الشام بأن بيبرس قد أقبل وكان كما ذكرنا قبل هذا الديوان ان بينهما عداوة فعند
ذلك أمر بفتح أبواب الشام في وجه الامير المهام فأغلقوها وقال لهم لا تفتحوها
لاحد الا باذني فأجابوه الحراس بالسمع والطاعة (ياساده) وقد شاع في البلدان
أن بيبرس قد أقبل من مصر الى الشام وقد أغلقت الابواب لاجل قدومه هذا وقد
وصلت الاخبار الى أم الامير بيبرس السيدة فاطمة فصعب ذلك عليها وكبر لديها
وقالت كله لا ينجل قائلها لا جول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم أنها لبست بدلة
خروجها ونزلت من بيتها وأقبلت الى البوايين وكانوا أثنين أحدهم يقال أبوا
الخير والثاني أبو البشر وكان بالاتفاق الدور على محمد بن جمعة أبوا الخير فسارت
اليه وقالت له نحن قد علمنا ما أمر به الخاكم ولكن أريد منك شيئا وهو
أسهل ما يكون وذلك أنك تفتح لي الباب ليلا حتى أخرج الى ولدي وأسلم
عليه وأعود الى مكاني ثم ناولته شيئا من الخطام فأجابها الى سؤالها بالسمع

والطاعة ثم أن السيدة رجعت من تلك الساعة وجعلت تجهز نفسها وما تريد أن تقابل به ولدها فهذا ما كان من أمرها (قال الراوى) وأما ما كان من أمر الامير بيبرس فانه قد أقبل الى الشام واذا به وجدا بوابها قد أغلقت فقال لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم حط برجاله من خرجها (قال الراوى) فلما أقبل الليل وحلب سهيل فتحت الابواب وقد خرجت السيدة فاطمة من الابواب وسارت الى ولدها وقد زاد لها فيها وصعب عليها فقال بأشة الشام (بإسادة) ولم نزل تجمد المسير حتى وقعت العين على العين ونظروا الى بعضهم الاثنى فقام الى أمه وسلم عليها سلام الاحباب وسلمت عليه الاخرى وجعلوا يتشاكون ألم الفراق والهوى والبعد والجوى فصارت تشكي اليه بهذه الايات

دع المقادر تجري في اعنتها ولا تبين الا خالي البال

لا يعجبني الله في أمر يدره اقام السطيج وهد الشامخ العالى

يا ولدي لا تفكر فيما فعل بأشة الشام وكيف أنه اغلق دونك الابواب وسلم امرك لله ودع هذا الحساب ثم انها جعلت تحذنه وتمازجه الى أن قالت له اعلم يا ولدي ان الله تعالى مجيب السائلين وقاضى حوائج الطالبين وذلك يا ولدى اني طلبت منه دعوة وقد بلغها الى فقضاها لي حسب ما طلبت وأجاب سؤالى وذلك لما سرت من عندي وأنت متوجه الى مصر قلت يا رب يا سامع الدعاء لا تدعنى أراه الا وهو صاري عسكر يحكم على عشرين الف فارس فاستجاب الله دعائى وأنا أسأله ان ينصرك على من تعادى فقبل الامير يدها وباسها وفرح واستبشر بقولها هذا وقد قالت له يا ولدى خذ هذه الخزنة مال استمين بها على فقرك وعلى الجهاد فى طاعة رب المباد فقبلها منها وتودع بعد ذلك منها ورجعت الى محلها وكانوا قد تذكروا نائب الشام وما فعل من غلق الابواب فقال لها الامير دعيه يفعل ما خطر بباله ويفعل الله ما يريد فهذا ما كان من امر هؤلاء وأما ما كان من أبو الشر فانه لما علم أن أبو

الخير فتح الابواب الى السيدة فاطمة أخذه الحسد والغيرة وقال لا بد أن اخبر بذلك باشة الشام ثم نهض من وقته وساعته وقبل الارض بين يديه وقال له اعلم أن أبو الخير فتح الابواب لئلا الى السيدة فاطمة الاقواسية وخالف أمره وقد أعطت خزنة مال لبيبرس ومائة دينار الى أبو الخير قال فلما سمع ذلك اغتاض غيظاً شديداً ما عليه من مزيد ثم اضمر الشر في قلبه الى أبو الخير وقال حتى يرحل بيبرس عن بلدي وشكر أبو الشر على هذه الفتنة فهذا ما كان من هؤلاء هذا والامير بيبرس رحل طالب ارض حلب وسار قاصدا اليها (ياسادة) وبعد رحيلة اقبل الوزير ايبك ونزل على ابواب الشام وبلغت الاخبار الى باشة الشام بوصول الوزير ايبك فأمر بفتح الابواب فطلع اليه وسلم عليه واجلسه هو ومن معه ولما استقر بهم الجلوس قال ايبك هل مر عليك البشت العلق بيبرس فقال له نعم واغلقت الابواب دونه وحلفت انه لم يدخل بلدي ابد ما دمت على قيد الحياة فقال ايبك احسنت فيما فعلت ثم أن عيسى الناصر قال له اعلم ان السيدة فاطمة قد خرجت اليه وأعطته خزنة مال فقال ايبك هي امرأة شرمولة لاى شيء تعطى بيبرس دوننا ارسل هات لنسا منها نحن الآخرين خزنة مال فقال عيسى هذا هو الصواب ثم انه أرسل اليها في عاجل الحال يقول لها مثل ما اعطيتي ولدك خزنة مال هاتى الي ايبك خزنة مال وان لم تعطيني ذلك اخرجني عن بلدى الى غيرها قال فلما سمعت ذلك اغتاضت غيظاً شديداً ما عليه من مزيد ثم انها في عاجل الحال احضرت العلماء واعادت عليهم الحديث فقالوا ولاى شيء يطلب المال من غير شيء وركبوا من ساعتهم وساروا الى عيسى فلما وقعت العين على العين قالوا له لاى شيء تأخذ من السيدة فاطمة خزنة مال انت شريكها في مالها او تأخذ مالها منها ومظلمة فعند ذلك تلجلج لسانه ولم يرد عليهم جواب يقول له فاعادوا عليه الكلام فقال لهم اعلموا يا سادتنا اننى طلبت منها خزنة مال على سبيل القرضة والسلف لان سيدى

ابيك طلب منى خزنة مال وانا مامعى فاحببت ان افترض له منها فقالوا له اذا كان
 ولا بد من ذلك فيكون شروط ثلاثة أولهم أن يكون ذلك يرضاها الثاني ان
 يكون لاجل معلوم تأخذها منك في وقت ارادتها الثالث ان يكونوا مكتوبين
 عليك بمجة شرعية ونحن نشهد عليك بذلك فقال ابيك اكتب ما اضرك من
 حبرك الا ورقك فكتب الحجة وختمها وقد انطلقوا بها الى السيدة فاطمة فاخذتها
 عندها وأرسلت اليه الخزنة المال فاخذها وسلمها الى ابيك فاخذها وفرقها على
 قلائون ومن معه ثم ارتحلوا ولم يدر عيسى كيف تكون عاقبة هذا الامر فلما
 ارتحل ابيك سار على اثره وقد ظن ان بيرس سبقه في السير فهذا ما كان منه
 (قال الراوى) وأما ما كان من أمر بيرس فانه نزل بجيشه في الخلا
 وسار متوجهاً الى اخوانه أولاد اسماعيل ولم يزل سائر حتى انه وصل اليهم فلما
 وقعت العين على العين وسلموا على بعضهم ولسان الحال يقول صلوا على الرسول
 فلا تحسب اننا ننسا جالك ساعة وروحي لقد بلغت على الطرافيا
 وقد يجمع الله الشيتين بعد ما يظنون كل الظن ان لا تلاقيا
 ثم انهم أكرموا غاية الاكرام وأراد الرحيل فأقسموا عليه ان لا يرحل
 حتى يأكل الضيافة عندهم فأقام (ياساده) فبينما هو كذلك واذا بعثمان أقبل
 اليه وأخذته بعيداً عن الرجال وناولاه كتاب وقال له هذا الكتاب قد أتى
 اليك من عند امك السيدة فاطمة فقال يا عثمان قد عرفت باطن الكتاب وقلبي
 يحذرنى بان ابيك وباسة الشام جاروا عليها وظلموها والا ما كانت أرسلت
 هذا الكتاب على أثرى والرأى عندي انك تكتم هذا الامر ولم تبده
 لأحد من البشر خصوصاً هؤلاء الرجال لانهم لا يعرفون العين وانهم مثل
 المراكب شرم على مقدمهم فقال عثمان صدقت ولكن اكنم انت السر فقال له
 سمعاً وطاعة ثم جلس بيرس في مكانه ولم يبد كلام الى أحد من الانام
 (قال الراوى) وكان السبب في ذلك ان السيدة فاطمة لما فعلوا معها ذلك

الفعال وأخذوا منها خزنة المال كتبت ذلك الكتاب واسلته مع سبار من عندها قالت له سر خلف الامير وادركه عند أولاد اسماغيل وأعطه هذا الكتاب بينك وبينه لانه كان حدثني انه سار اليهم حين كان هندي فصار حتى أدركه الاسطى عثمان فأخذ منه الكتاب وقد عرف انه من عند السيدة فاطمة الى ولدها فأخذ الكتاب وسار به الى سليمان الجاموس وقال له فترمى وأخاف أن أطلعك عليه تبيح به فقال له والاسم الاعظم لا اكلم الا اذا تكلمت انت فأعرض عليه الكتاب واذا فيه من عند السيدة فاطمة الى بين أيادي ولدي بيمرس اعلم انه بعد ما توجهت من عندنا اقبل ابيك وأخذ مني خزنة مال بواسطة باشة الشام على سبيل الرهن واخذت عليهم بذلك حجة يكون في شريف علمك وبعد أن قرأه ظواه وأعطاه الى عثمان فأخذه وسلمه لسيده كما ذكرنا وحدته بما وصفنا وعاد الامير الى مكانه كما خرجنا وعندنا الى شياق الحديث باذن من يحيى وبقيت فقال له سليمان الجاموس ثقيب الرجال يا أخينا نحن لا بيننا من يكتم ولا ما يقسم فاذا الذي أخبرك به عثمان فقال له الامير ان عثمان يأمرني بالرحيل فقلت له حتى تأكل الضيافة فقالوا له بالاسم الاعظم ما أعطاك كتاب فقال نعم أعطاني كتاب فنظر الى عثمان نظرة الغضب وكان عثمان قد أطلع الرجال على الكتاب قبل أن يعطيه الى سيده فقال عثمان هذه عيني وهذه عينه بالاسم الاعظم أنا وريشكم الكتاب فقال سليمان والاسم الاعظم وريتنا اياه قال عثمان اخيه على ان بقيت أقل لك على شيء قال سليمان أنا ما قلت حتى انك بدأت بالكلام وقلت ولكن يادوثلي لاي شيء تفعل هكذا وتكلم من لا يكرمك وتبقي من لا يبقي عليك فوالاسم الاعظم ان أقل انسان من رجالنا يقدر على أعظم من هذا الرجل ولولا يقال انه مؤمن لا رسل اليه من يغذبه أو يقنله فقال الامير دعونا من ذلك كله وأتركوا أمره فشكل انسان منه ليه قال فسكنتت الرجال على مضمهر منها (قال الراوى) فلما ولي النهار

وأقبل الليل بالاعتكار التفت المقدم سليمان الجاموس الي ولده الفهد وأشار له بعينه فمرف المقصود وفهم المني فخرج من وقته وساعته ولم يعلم أجداً من الرجال الى أين توجهه فلما كان الثلث الاول من الليل أقبل الفهد ومعه جردان حامله فوضعه بين أيادي والده فقال الامير بيرس ما هذا يا أخي يا سليمان فقال له اعلم ان عندنا نخلة تطرح في كل عام مرتين وقد أنينا بشيء منها لأنها قد طرحت في ذلك الاوان فافتح لنا هذا الجردان حتى يرى ذلك أعيان فتقدم الامير وفك الزارات ومد يده وأخرج ما كان داخل الجردان واذا به باشة الشام فلما رآه قال لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم انه قال لهم ولأى شيء فعلتم هذه الفعالم وأتيتم بهذا الرجل الى هذا المكان فقالوا له والاسم الاعظم ان لم يرد الخزنة مال والا أهرقنا دمه وان تكلم معنا جعلنا عليه فناء وجعلنا موته بين بديك فلما سمع الامير مقالهم علم انه اذا لح عليهم قتلوه فكث على مضض خوفا عليه (ياساده) ثم انهم اعطوه ضد البنج أفاق وقال أين أنا قالوا له انت عندنا يا خناس من الذي أمرك بأخذ خزنة المال من السيدة فاطمة الأفواسيه فقال لهم اعموا انسى لم يكن لي ذنب في ذلك أبداً وهذا كله من فعال ابيك وجساعته فلمن الله حضرة هو ورفقته فما أشنع شورته فقالوا له ولاى شيء أغقت الابواب في وجه أميرك وسيدك الامير بيرس فلو أطلعنا لكنا حكناء على ما أراد من البلاد غصباً عن الملك الصالح وغيره فما تكون انت حتى نفعل هذه الفعالم وتنهب أحبابنا وتأخذ مالهم في غيابنا ولكن وحق الاسم الاعظم ان لم ترد المال الذي أخذته من السيدة فاطمة والا تفعل بك كل ما نريد فقال سمعنا وطاعه فقالوا له ومن يضمنك في ذلك فقال الفهد ولد سليمان الجاموس الضمان على الله وعلي فلو طلبتوه أحضرته اين ما كان في أى وقت كان ولا أبلى بأهل الشام فقال المقدم سليمان خذه يا ولدي وأوصله

الى مكانه واكرمه وعظم شأنه ونظر اليه بأعيانه فعرف الفهد مقال والده
بالاشارة ثم انه سار به الى بعض النابت وعطف به هناك وشبحة شبحة تقشعر
الابدان منها ويفر الاسود عنها وأعطا ضد البنج عطس فقال اشهد ولا اجد
بدين محمد انا فين قال الفهد انت عندي يا خناس ثم انه تركه وغاب عنه قليل
وطاد ومعه شيء من لبالب الاشجار ثم تقدم الى عيسى وعراه ونزل عليه حتى
اكاد أن يعدمه الحياء وما زال به حتى غشى عليه وصبر عليه حتى أفاق ثم
بنجه وحله من الوثاق وسار به الى محل آخر وفعل به مثل ما فعل ولم يزل ينتقل
من مكان الى مكان حتى ضربه سبع علقات حتى كاد أن يشرب كأس المات
ثم رده الى محله وقال له والاسم الاعظم ان لم ترد ما أخذته من المال والا
أتيت اليك وقطعت رأسك وخدت أنفاسك فقال له سمعا وطاعة ثم تركه وهو
على مثل ذلك الحالة وطاد عنه رهو لا يصدق بانصرافه لانه أورثه كأس تلافه
فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي) وأما ما كان من أمر ياشة الشام
فانه لما أصبح الله بالصباح وأضاء الكرم بنوره ولاح طلع الى سرايته واحضر
المال من خزنته وأرسل أحضر السيدة الاقواسيه وسلم اليها المال الذي اخذه
منها في عاجل الحال وقال لها ياسيدي لا تؤاخذيني بما فعلت لاني كنت أجهل
قدرك وما اعلم ان خلقك من يخلص لك حقلك ثم انه نسي ان يأخذ الحجة
منها الذي كتبت عليه فاخذت المال وسارت الي منزلها وأقام هو في مكانه
ولم تعلم هي ما الذي جرى له فهذا ما كان من أمر هؤلاء (قال الراوي)
وأما ما كان من أمر الامير بيرس فانه بعد ان فرغ من العزومه وأرسل
الجواب الى والدته برد الجواب فارسلت اخبرته بأنها قد خلعت منه وأخذت
المال ففرح بذلك وارتحل طالب أرض حلب ولم يزل سائر يجرد السير حتى لحى
بالامير قلاون والوزير ابيك وكانوا قد سبقوه الي حلب ونزلوا هناك وأقاموا
يأكلون ويشربون من مطالبهم مدة ثلاثة ايام وقد أقبل الامير الي ذلك

المكان واذا به يري اللثام قد احتاطوا بالارض والبلاد وكان ايبيك يظن ان
بيبرس هرب في وسيع الوهاد ولما استقر الجلوس بالامير دقت الطبول والانترة
والزمر فأمر الامير أن ينادي في عساكره بأخذ الامة للقتال وان يصطفوا
يمينا وشمال ففعلوا ما أمروا به في عاجل الحال هذا وقد تربت اللثام وخرج
اليهم فارس الى الميدان وهرر بامانه فلما رآه الامير بيبرس صاح على الجواد
فتملقوا به الرجال وقالوا له نحن لك القدا فاقسم بالله ان لا يبرز الي الميدان أحد
غيره ثم ان الامير ركب الجواد وتقلد بالسيف والرمح واعتد اعتداد و نزل الي
حومة المجال ولعب في جوانبه حتى خير عقول الشجعان والابطال وتمایل
الامير طربا واهتز على الجواد عجباً وأنشد وجعل يقول هذه الايات

اليوم الشدايد	ويوم لحرت في وسيع الغدافد
فايرزوا الى يا عصبه المدا	سأهلك منكم كل كافر ومياند
وأطكنكم طعن الحصيد بجمعكم	وأسقيكم كأس المهلاك من يد
الآن تنظروا فارساً وغضنفرا	بيبرس الهامات بمشيده ومساعد
ويحمد الاتقاس من اشباحها	ويترككم صرعى فوق أعلا الجلامد
أنا بيبرس والفارس الذي	يفزع من شخصى كل قرم معاند
أنا الهمام الذكة شاع ذكره	بين العباد في كل موقد
أنا حامى الاسلام في التقا	أنا مفدى الاسلام يوم تشرد
واقي أنا الفاك في جميع الوري	وجميع اللثام عنى تبعد
واليوم أبليكم بكل بلية	وأخذ الاموال منكم باليد
وارجع منشوراً مجبوراً مؤيداً	ولى النشر من رب كريم مرشد
عليه توكل في الامور جميعها	عليه ترشدى وتمهدي وتمند
توسلت اليه بسيد الورى	طه رسول الله بيتا الماجد
عليه من صلاة مع سلاما دائماً	ماهب ربح وما نزل الشد

كذا الآل والاصحاب حقا بأسرهم ماغرد القمى فوق غصن تفرقة
(قال الراوى) وكان يومئذ الأمير معتقل بسف طويل مليح صقيل ماحاز
ملك ولا رجل فاضل كما قال فى حقه الشاعر هذه الايات

حسام ابت من الهند اصيلة قد فاق جميع السوف بأسرهم
له حد يلقط الرمل من الحصا له ضرب مهيل فى جيوشهم
اذا تجرد من غمده فكانه البرق قد لاح فى انظارهم
ياله من حسام شاع ذكره بين الانام قد كان حديتهم
(قال الراوى) وكان الجواد الذي هورا كبه جواد أصفر على عن الخيول مضمر
ماحازه غيره ولا مثله من الخيول بين الأصفر حجل القوام طويل الدعام كما
قال فيه بعض واضفه هذه الايات

جواد أصفر ذات غرة ماحازه فى الوري كسرى ولا قيصر
محجل أغر خفيف ذا رونق له غرة مثل الهلال اذا بدر
اذا غالب الرياح أفاقها والبر له مثل المبيت اذا قصر
(قال الراوى) ولما توسط الميدان ولعب بالسيف الجاني استقبل ذلك الفارس الذي
كان لزل اليه واندفع كانه الاستد عليه وضربه بالحسام أطاح رأسه عن الهام فوق قتل
وفى دماء جديل ومجل الله بروحه الى النار ويئس القرار فابتدر اليه أح المقتول وكان
رجلا مهول وقال العين حتى رأي أخاه ما بقاى معيشه سواء ثم انه ما لحق أن يرل الى
لقاة حتى ان الامير ألحقه بأخيه فنزل اليه عشرون فارس فاستقبلهم كانه العر الداحس
وأفنام فى الالباس ولم يزل على ذلك الحال حتى انه قتل خمسين من الرجال فلما نظرت
اللائم الى ذلك الاحوال دفوا طبل الا تفصال فاتفصلت الطائفتين ورجعوا عن بعضهم
وقد شكر الامير أصحابه على فعاله ولما كان ثاى الايام أراد الامير البراز فاقسموا عليه
رجالهم أن لا ينزل الى الميدان ثم انهم ابتدروا ونزلت المالك وقد فتكوا بالكفار
الصعاليك ولم يزلوا يقابلوا ويظاغنون امد سبعة أيام كل هذا يجري وايبك وجماعيه

يأكلوا على السباط يتسوطوا غاية الانسباط ولا يباشروا حرب ولا قتال ولا يسألوا
عن بزال ولا جدال فلما عاين الأمير بيبرس منهم ذلك وقدمضى عليهم سبعة أيام
ولم يبدوا كلاماً فانفاظ الأمير بيبرس من فعالهم وما قد ضمروا عليه من أمورهم فمصر
عليهم حتى امتد السباط وأراد إيبك أن يمد يده وإذا بالأمير بيبرس قبض على يده
وقد أكاد أن يخلعها من زنده وقال له أنت لم تستحق الاكل من ذلك الطعام
وما يستحقه الا المجاهدون في اللثام وأما أنت أكلت منه حرام وكذلك من معك
من اللثام فعند ذلك غضب إيبك وتأخر عن الاكل وتأخروا أيضاً جماعته
وامتنعوا من حين سمعوا كلمته ثم انهم ظهروا للأمير المكر والحديمة وقد
اضمروا الخيانة الشنيعة وذلك انهم صبروا لما أقبل الليل بالاعتكار واتفق الرأي
بينهم أن يكتبوا كتاباً الى الفان هلاون فكتبوا الكتاب وقالوا لبعض الرجال
سر بهذا الى هلاون وأتينا منه براد الجواب فصار الرجل حتى توسط الطريق
وإذا بعتان مقبل اليه وقد قبض عليه وأخذ برقبته ويديه وقال له الى أين
أنت سائر فقال له يا أسطى عثمان اني أريد أن أقضي حاجة سيدي إيبك
فقال عثمان وعزة الله اذا لم تقل لي علي الصحيح والا اضربك بالرزة أقطع بها
خبرك ثم انه جرد الرزة فصاح الرجل أنا في عرضك يا شيخ عثمان تأن عليّ
وأنا أعلمك بالحال ثم انه أخرج الكتاب وناول له إياه فأخذ الكتاب وسار
به الى سيده والرجل بصعبته فلما دنا من سيده أشار اليه فنهض بيبرس وسار
الى عثمان فابتعد به عن الرجال وأعطاه ذلك الكتاب فحله وقراه

(تم الجزء العاشر ويليه الجزء الحادي عشر)

وأوله وإذا فيه خطاباً من إيبك وهلاون

الى بين أيادي هلاون



۱۹۵۰ قمری

• تصمیم الغلاف والخطوط : محمد بهزادی •